اللباب
في علوم الكتاب

تأليف
الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي
ابن عادل الدمشقي الحنبلي
المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود   الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسالته الجامعية
الدكتور محمد سعد رمضان حسن / الدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب

الجزء الثالث عشر

المحتوى:
أول سورة مريم - آخر سورة الأنبياء

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3




http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : baydoun@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾.

اعلم أنَّ حروف المُعجم على نوعين: ثُنائي، وثُلاثي، وقد جرت العادةُ ـ عادةُ العرب ـ أن ينطقُوا بالثنائيَّات المقطوعة ممالة، فيقولوا: بَا، تَا، ثَا، وكذلك أمثالها، وأن ينطقوا بالثلاثيَّات التي في وسطها الألف مفتوحة مشبعة، فيقولون: دال ذال، صاد، ضاد، وكذلك أشكالها.

أما الزَّايُ وحدهُ من بين حُروف المعجم، فمعتادٌ فيه الأمران؛ فإنَّ من أظهر ياءَهُ في النُّطْق حتَّى يصير ثلاثيًّا، لم يُملهُ، ومن لم يظهر ياءه في النطق؛ حتَّى يشبه الثنائيَّ، أماله.

واعلم أنَّ إشباع الفتحة في جميع المواضع أصلٌ، والإمالة فرعٌ عليه؛ ولذلك يجوزُ إشباعُ كُلِّ ممالٍ، ولا يجوز إمالةُ كُلِّ مُشْبَعٍ من المفتوحات.

والعامَّةُ على تسكين أواخر هذه الأحرفُ المقطعة، لذلك كان بعضُ القرَّاء يقفُ على كُلِّ حرفٍ منها وقفة يسيرة مبالغة في تمييز بعضها من بعض.

وقرأ[1] [الحسنُ] «كافُ» بالضمِّ؛ كأنه جعلها معربة، ومنعها من الصَّرف؛ للعلميَّة والتأنيث، وللقراء خلاف في إمالة «يَا» [و «ها»] وتفخيمهما، وبعضهم يُعبِّر عن التفخيم بالضمِّ، كما يُعبِّر عن الإمالةِ بالكسر، وإنما ذكرته؛ لأنَّ عبارتهم في ذلك مُوهمةٌ.

وأظهر دال «صاد» قبل ذالِ «ذكرُ» نافعٌ، وابن كثير، وعاصم؛ لأنه الأصل، وأدغمها فيها الباقون.

والمشهورُ إخفاءُ نون «عَيْن» قبل الصَّاد؛ لأنها تقاربها، ويشتركان في الفم، وبعضهم يظهرها؛ لأنها حروفٌ مقطعةٌ يقصدون تمييز بعضها من بعض.

---

(١) ينظر: الإتحاف ٢/ ٢٣٢، والقرطبي ١١/ ٥١، والكشاف ٣/ ٣، والبحر ٦/ ١٧٦٣، والدر المصون ٤/ ٤٨٩.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

قوله: ﴿ذِكْرُ﴾: فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: فيما يتلى عليكم ذكر.

الثاني: أنه خبر محذوف المبتدأ، تقديره: المتلوُّ ذكرُ، أو هذا ذكر.

الثالث: أنه خبر الحروف المقطَّعة، وهو قول يحيى بن زياد، قال أبو البقاء[(١)]: «وفيه بعدٌ؛ لأنَّ الخبر هو المبتدأ في المعنى، وليس في الحروف المقطَّعة ذكرُ الرحمة، ولا في ذكر الرحمة معناها».

و «ذِكْرُ» مصدرٌ مضافٌ؛ قيل: إلى مفعوله، وهو الرحمة، والرحمة في نفسها مصدرٌ أيضاً مضافٌ إلى فاعله، و «عَبدَهُ» مفعولٌ به، والناصبُ له نفسُ الرحمةِ، ويكون فاعلُ الذِّكرِ غير مذكورٍ لفظاً، والتقدير: أنْ ذكر الله رحمته عبدهُ، وقيل: بل «ذِكْرُ» مضافٌ إلى فاعله على الاتِّساع، ويكون «عبدهُ» منصوباً بنفس الذِّكر، والتقدير: أن ذكرت الرحمة عبدهُ، فجعل الرحمة ذاكرةً له مجازاً.

و «زكَرِيَّا» بدلٌ، أو عطفُ بيانٍ، أو منصوبٌ بإضمار «أعْني».

وقرأ يحيى بن يعمر ـ ونقلها الزمخشريُّ عن الحسن[(٢)] ـ «ذَكَّرَ» فعلاً ماضياً مشدداً، و «رحمة» بالنصب على أنها مفعولٌ ثانٍ، قدمت على الأول، وهو «عَبْدَهُ» والفاعلُ: إمَّا ضمير القرآن، أو ضمير الباري تعالى، والتقدير: أن ذكَّر القرآنُ المتلُوُّ ـ أو ذكَّر الله ـ عبده رحمتهُ، أي: جعل العبد يذكرُ رحمته، ويجوز على المجازِ المتقدِّم أن تكون «رحمةَ ربِّك» هو المفعول الأول، والمعنى: أنَّ الله جعل الرحمة ذاكرةً للعبد، وقيل: الأصلُ: ذكَّر برحمةٍ، فلمَّا انتزع الجارُّ نصب مجروره، ولا حاجة إليه.

وقرأ الكلبيُّ[(٣)] «ذكر» بالتخفيف ماضياً «رَحْمَةَ» بالنصب على المفعول به، «عَبْدُهُ» بالرفع فاعلاً بالفعل قبله، «زَكريَّا» بالرفع على البيان، أو البدل، أو على إضمار مبتدأ، وهو نظيرُ إضمار الناصب في القراءة الأولى.

وقرأ[(٤)] يحيى بن يعمر ـ فيما نقله عنه الدَّاني ـ «ذَكِّرْ» فعل أمرٍ، «رَحْمَةَ» و «عَبْدَهُ»

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٠.

(٢) ينظر: البحر ٦/ ٥٦٢، والدر المصون ٤/ ٤٨٩ وينظر: القرطبي ١١/ ٥٢ وقد نسبها إلى الحسن.

(٣) ينظر: القرطبي ١١/ ٥٢، والبحر ٦/ ١٦٣، والدر المصون ٤/ ٤٩٠.

(٤) ينظر: القرطبي ١١/ ٥٢، والبحر ٦/ ١٦٣، والدر المصون ٤/ ٤٩٠، والكشاف ٣/ ٣.

بالنصب فيهما على أنهما مفعولان، وهما على ما تقدَّم من كون كلِّ واحدٍ، يجوز أن يكون المفعول الأول، أو الثاني، بالتأويلِ المتقدِّم في جعل الرحمة ذاكرةً مجازاً.

فصل في تأويل هذه الحروف المقطعة

قال ابنُ عباسٍ: هذه الحروف اسم من أسماء الله تعالى(١)، وقال قتادةُ: اسمٌ من أسماء القرآن(٢).

وقيل: اسمٌ للسُّورة.

وقيل: هو قسمٌ أقسم الله به ويروى عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباس في قوله ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: الكافُ من كريم وكبير، والماء من هاد، والياء من رحيمٍ والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق(٣).

وعن ابن عبَّاس أيضاً أنَّه حمل الياء على الكريم مرَّة. وعلى الحكيم أخرى.

وعن ابن عباس في العين أنَّه من عزيز من عدل(٤). قال ابنُ(٥) الخطيب: وهذه أقوالٌ ليست قويَّة؛ لأنَّه لا يجوزُ من الله تعالى أن يودعَ كتابهُ ما لا تدلُّ عليه اللغةُ، لا بالحقيقةِ، ولا بالمجازِ؛ لأنَّا إن جوَّزنا ذلك، فتح علينا بابُ قول من يزعم أنَّ لكلِّ ظاهرٍ باطناً، واللغة لا تدلُّ على ما ذكروه؛ لأنها ليستْ دلالةُ «الكافِ» على الكافي أولى من دلالته على الكريم، والكبير، أو على اسم آخر من أسماء الرَّسُول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو الملائكة، أو الجنَّة، أو النَّار، فيكونَ حملها على بعضها دون البعض تَحَكُّماً.

فصل في المراد بقوله تعالى: ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾

يحتملُ أن يكون المراد من قوله ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ أنه عنى عبدهُ زكريَّا، ثم في كونه رحمة وجهان:

أحدهما: أن يكون «رحْمة» على أمَّته؛ لأنَّه هداهُم إلى الإيمان والطَّاعة.

والثاني: أن يكون رحمة على نبيِّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلى أمَّته؛ لأنَّ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٥) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٦) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٠٣) والحاكم (٢/ ٣٧١ـ ٣٧٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وقال الحاكم: صحح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٥) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وعثمان الدارمي في «التوحيد» وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٤) عن الضحاك.

(٥) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٥٢.

الله تعالى، لمَّا شرع لمحمَّد ﷺ طريقتهُ في الإخلاص والابتهال في جميع الأمور إلى الله تعالى، صار ذلك لطفاً داعياً له، ولأمَّته إلى تلك الطريقة، فكان زكريَّا رحمة.

ويحتمل أن يكون المرادُ أنَّ هذه السُّورة فيها ذكرُ الرحمة التي يرحمُ بها عبدهُ زكريًّا.

قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

في ناصب إذ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّهُ «ذِكْرُ»، ولم يذكُر الحوفيُّ غيره.

والثاني: أنَّه «رَحْمَة» وقد ذكر الوجهين أبو البقاء.

والثالث: أنَّه بدلٌ من «زكريًّا» بدلُ اشتمالٍ؛ لأنَّ الوقت مشتملٌ عليه، وسيأتي مثلُ هذا عند قوله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] ونحوه.

فصل في أدب زكريا في دعائه

راعى سُنَّة الله في إخفاء دعوته؛ لأنَّ الجهر والإخفاء عند الله سيَّان، وكان الإخفاء أولى؛ لأنَّه أبعد عن الرِّياء، وأدخلُ في الإخلاص.

وقيل: أخفاه؛ لئلاً يلامُ على طلبِ الولدِ في زمان الشيخوخة وقيل: أسرَّهُ من مواليه الذين خافهم.

وقيل: خِفتُ صوتهُ؛ لضعفه، وهرمه، كما جاء في صفةِ الشَّيْخ: صوتهُ خفاتٌ، وسمعهُ تارات.

فإن قيل: من شرط النِّداء الجهر، فكيف الجمع بين كونه نداء وخفيًّا؟.

فالجوابُ من وجهين:

الأول: أنَّه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصَّوت؛ إلا أنَّ صوته كان ضعيفاً؛ لنهايةِ ضعفه بسببِ الكبر، فكان نداءً؛ نظراً إلى القصد، خفيًّا نظراً إلى الواقعِ.

الثاني: أنَّه دعاه في الصَّلاة؛ لأنَّ الله تعالى، أجابه في الصَّلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩] فتكُون الإجابةُ في الصَّلاة تدلُّ على كون الدُّعاء في الصَّلاة؛ فوجب أن يكون النداءُ فيها خفيًّا.

وفي التفسير: «إِذْ نَادَى»: دعا «ربَّهُ» في محرابِهِ.

قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ دعا سرًّا من قومه في جوف الليل.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ الآية.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾: لا محلَّ لهذه الجملةِ؛ لأنها تفسيرٌ لقوله «نَادَى ربَّهُ» وبيانٌ، ولذلك ترك العاطف بينهما؛ لشدَّة الوصل.

قوله: «وهَنَ» العامَّةُ على فتح الهاء، وقرأ[١] الأعمشُ بكسرها، وقُرِىء بضمِّها، وهذه لغاتٌ في هذه اللفظة، ووحَّد العظم لإرادة الجنس؛ يعني: أنَّ هذا الجنسَ الذي هو عمودُ البدنِ، وأشدُّ ما فيه، وأصلبه، قد أصابه الوهنُ، ولو جمع، لكان قصداً آخر: وهو أنه لم يهن منه بعضُ عظامه، ولكن كلُّها، قاله الزمخشريُّ، وقيل: أطلقَ المفردُ، والمرادُ به الجمعُ؛ كقوله: [الطويل]

٣٥٧٧ ـ بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُهَا فَبِيضٌ وأمَّا جِلدُها فصليبُ[٢]

أي: جلودُها، ومثله: [الوافر]

٣٥٧٨ ـ كُلُوا في بعضِ بَطْنكمْ تَعِفُّوا فإنَّ زمانَكُم زمنٌ خَمِيصُ[٣]

أي: بُطُونكُمْ.

و «مِنِّي» حالٌ من «العَظْم» وفيه ردٌّ على من يقول: إنَّ الألف واللام تكونُ عوضاً من الضمير المضافِ إليه؛ لأنه قد جمع بينهما هنا، وإن كان الأصل: وهن عظمي، ومثله في الدَّلالةِ على ذلك ما أنشد شاهداً على ما ذكرتُ: [الطويل]

٣٥٧٩ ـ رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رفِيقةٌ بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ[٤]

ومعنى ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾: ضعف، ورقَّ العظم من الكبر.

فصل

قال قتادةُ[٥]: اشتكى سُقُوط الأضراس.

قوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: ابْيَضَّ شعر الرَّأس شيباً.

وفي نصب «شَيْباً» ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها ـ وهو المهشور ـ: أنه تمييزٌ منقولٌ من الفاعلية؛ إذ الأصل: اشتعل شيبُ الرَّأسِ، قال الزمخشريُّ: «شبَّه الشَّيب بشُواظِ النَّار في بياضهِ، وانتشاره في الشَّعْر، وفُشُوِّه فيه، وأخذه منه كُلَّ مأخذٍ باشتعالِ النَّار، ثم أخرجهُ مخرج الاستعارةِ، ثم أسند الاشتعال إلى مكانِ الشَّعرِ، ومنبته، وهو الرَّأسُ، وأخرج الشَّيب مُمَيَّزاً، ولم يُضِفِ الرَّأس؛ اكتفاءً بعلم المخاطبِ: أنه رأسُ زكريَّا، فمن ثمَّ، فصُحَتْ هذه الجملةُ، وشُهِدَ لها بالبلاغةِ» انتهى، وهذا من استعارة محسُوسٍ لمحسُوسٍ، ووجه الجمع: الانبسَاطُ والانتشَارُ.

والثاني: أنه مصدرٌ على غيرِ الصَّدْرِ، فإنَّ «اشْتَعَلَ الرَّأسُ» معناه «شَابَ».

---

(١) ينظر في قراءاتها: الشواذ ٨٣، البحر المحيط ٦/ ١٦٣ والدر المصون ٤/ ٤٩٠.
(٢) تقدم.
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.
(٥) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٨٨.

الثالث: أنه مصدرٌ واقعٌ موقع الحالِ، أي: شَائِباً، أو ذا شيب.

وأدغم السِّين في الشِّين أبو عمرٍو.

وقوله: «بِدُعائِكَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ المصدر مضافٌ لمفعوله، أي: بُدعائي إيَّاك.

والمعنى: عوَّدتني الإجابة فيما مضى، ولم تُخَيِّبْنِي.

والثاني: أنه مضافٌ لفاعله، أي: لم أكن بدعائك لي إلى الإيمان شقيًّا، أي: لما دعوتني إلى الإيمان، آمنتُ، ولم أشق.

قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: العامَّةُ على «خِفْتُ» بكسر الخاء، وسكون الفاء، وهو ماضٍ مسندٌ لتاءِ المتكلِّم، و «المواليِ» مفعولٌ به؛ بمعنى: أنَّ مواليهُ كانُوا شِرارَ بني إسرائيل، فخافهم على الدِّين، قاله الزمخشريُّ.

قال أبو البقاء[1]: «لا بُدَّ من حذفِ مضافٍ، أي: عدم الموالي، أو جَوْرَ الموالي».

وقرأ الزهريُّ كذلك، إلا أنه سكَّن ياء[2] «المَوالِي» وقد تقدَّم أنَّه قد تُقدَّر الفتحةُ في الياء، والواو، وعليه قراءةُ زيد بن عليٍّ ﴿**تُطْعِمُونَ أَهالِيكم**﴾ [المائدة: ٨٩]. وتقدَّم إيضاحُ هذا.

وقرأ عثمانُ بنُ عفَّان، وزيدُ بن ثابت، وابن عبَّاس، وسعيد بن جبير، وسعيد بن العاصِ، ويحيى بنُ يعمر، وعليُّ بنُ الحسين في آخرين: «خَفَّتِ» بفتحِ الخاءِ، والفاءِ مشددةً، وتاء تأنيثٍ، كُسرتْ؛ لالتقاءِ السَّاكنين، و «المَوالِي» فاعلٌ به؛ بمعنى: دَرَجُوا، وانقرضُوا بالموتِ.

قوله: «مِنْ وَرائِي» هذا متعلِّقٌ في قراءة الجمهور بما تضمَّنَهُ الموالي من معنى الفعلِ، أي: الذين يلون الأمْرَ بعدي، ولا يتعلَّق بـ «خِفْتُ» لفسَادِ المعنى، وهذا على أن يُرَادَ بـ «وَرَائِي» معنى: خَلْفِي، وبَعْدِي، وأمَّا في قراءةِ «خَفَّتِ» بالتشديد[3]، فيتعلَّقُ الظَّرفُ بنفس الفعل، ويكونُ «وَرائِي» بمعنى قُدَّامي، والمعنى: أنهم خفُّوا قدَّامهُ، ودرجُوا، ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضادٌ، ذكر هذين المعنيين الزمخشريُّ.

والمَوالِي: بنوُ العمِّ يدلُّ على ذلك تفسيرُ الشَّاعر لهم بذلك في قوله: [البسيط]

٣٥٨٠ ـ مَهْلاً، بَنِي عمِّنا؛ مَهْلاً موالينَا لا تَنْبُشُوا بَيننا ما كان مَدْفُونا[4]

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/١٠١.

(٢) ينظر في قراءاتها: المحتسب ٢/٣٧، والقرطبي ١١/٥٣ والبحر ٦/١٦٥، والدر المصون ٤/٤٩١.

(٣) سقط من ب.

(٤) البيت للفضل بن العباس، ينظر: المؤتلف والمختلف ٣٥، مجاز القرآن ١/١٢٥، الصاحبي ٣٤٢، الكامل ٤/٤٦، البحر ٦/١٦٤، القرطبي ١١/٥٣، الدر المصون ٤/٤٩١.

وقال آخر: [الوافر]

٣٥٨١ ـ ومَوْلى قد دفعتُ الضَّيمَ عَنْهُ   وقَدْ أمْسَى بمنزلةِ المَضِيمِ[١]

وهو قولُ الأصمِّ.

وقال مجاهدٌ: العَصَبَة[٢].

وقال أبو صالحٍ: الكلالة[٣].

وقال ابنُ عبَّاس والحسن والكلبيُّ[٤]: الورثة.

وعن أبي مسلم: المولى يرادُ به النَّاصرُ، وابن العمِّ، والمالك، والصَّاحب، وهو هنا من يقُوم بميراثه مقام الولد، والمختار: أنَّ المراد من الموالي الذين يخلفُون بعده، إما في السِّياسة، أو في المال، أو في القيام بأمر الدِّين؛ وهو يدلُّ على معنى القُرْبِ والدُّنوِّ، ويقالُ: وليتهُ أليه ولْياً، أي: دَنَوتُ منهُ، وأوليْتُهُ إيَّاهُ، وكُل ممَّا يليكَ، وجلستُ ممَّا يليهِ، ومنهُ الوَلْيُ، وهو المطرُ الذي يلي الوسميَّ، والوليَّة: البرذعةُ [الَّتي][٥] تلي ظهْر الدَّابَّة، ووليُّ اليتيم، والبلدِ، ووليُّ القتيل؛ لأنَّ من تولَّى أمراً، فقد قرُبَ منه.

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] من قولهم: ولاه بركنه، أي جعله ما يليه، وأما ولَّى عنِّي، إذا أدبر، فهو من باب تثقيل الحشو للسلْب، وقولهم: فلان أولى من فلان، أي: أحق؛ أفعل التفضيل من الوالي أو الولي، كالأدنى، والأقرب من الدَّاني، والقريب، وفيه معنى القرب أيضاً؛ لأنَّ من كان أحقَّ بالشيء، كان أقرب إليه، والمولى: اسمٌ لموضعِ الولي، كالمرمى والمبنى: اسمٌ لموضعِ الرَّمي والبناءِ.

والجمهورُ على «وَرَائِي» بالمدِّ، وقرأ ابنُ كثير[٦] ـ في رواية عنه ـ «وَرَايَ» بالقصر، ولا يبعدُ ذلك عنه، فإنه قد قصر ﴿شُرَكَايَ﴾ [النحل: ٢٧] في النَّحْل؛ كما تقدَّم، وسيأتي أنَّه قرأ ﴿أَن رَاهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ في العلق [الآية: ٧]؛ كأنه كان يُؤثِرُ القصْر على المدِّ؛ لخفَّته، ولكنَّه عند البصريين لا يجوزُ سعةً.

قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أي: لا تَلِدُ، والعَقْرُ في البدن: الجُرْح، وعقرتُ الفرس بالسَّيف: ضربتُ قوائِمهُ.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة. ينظر: ديوانه ١٨٤، البحر المحيط ٦/ ١٦٤، الدر المصون ٤/ ٤٩٢.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٧) عن مجاهد وأبي صالح وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٧) عن ابن عباس وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٧) عن أبي صالح.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٥٣).

(٥) في ب: لأنها.

(٦) ينظر: القرطبي ١١/ ٥٤، والبحر ٦/ ١٦٥، والدر المصون ٤/ ٤٩٢.

قوله «مِنْ لدُنْكَ» يجوز أن يتعلق بـ «هَبْ» ويجوزُ أن يتعلَّق بمحذوفٍ على أنَّه حال من «وليًّا» لأنه في الأصل صفةٌ للنكرةِ، فقُدِّم عليها.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾: قرأ أبو عمرو[1]، والكسائيُّ بجزم الفعلين على أنَّهما جوابٌ للأمر؛ إذ تقديره: إن يهبْ، يرثْ، والباقون برفعهما؛ على أنَّهما صفةٌ لـ «وليًّا».

وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وابنُ عبَّاسٍ، والحسن[2]، ويحيى بن يعمر، والجحدريُّ، وقتادةُ في آخرين: «يَرِثُنِي» بياء الغيبة، والرَّفع، وأرِثُ مسنداً لضمير المتكلِّم.

فصل فيما قرىء به من قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾

قال صاحب «اللّوامح»: «في الكلام تقديم وتأخيرٌ؛ والتقدير: يرثُ نُبُوَّتِي، إنْ متُّ قبلهُ وأرِثُ مالهُ، إن مات قبلي». ونُقِلَ هذا عن الحسن.

وقرأ عليٌّ أيضاً، وابنُ عبَّاس، والجحدريُّ[3] «يَرِثُني وارثٌ» جعلوه اسم فاعلٍ، أي: يَرِثُني به وارثٌ، ويُسَمَّى هذا «التجريد» في علم البيان.

وقرأ[4] مجاهدٌ «أوَيْرِثٌ» وهو تصغيرُ «وارِثٍ» والأصل: «وُوَيْرِثٌ» بواوين، وجب قلبُ أولاهما همزة؛ لاجتماعهما متحركتين أول كلمةٍ، ونحو «أوَيْصِلٍ» تصغير «واصلٍ» والواوُ الثانيةُ بدلٌ عن ألفِ «فاعلٍ» و «أوَيْرِثٌ» مصروفٌ؛ لا يقال: ينبغي أن يكون غير مصروفٍ؛ لأنَّ فيه علتين: الوصفيَّة، ووزن الفعل، فإنه بزنة «أُبَيْطِر» مضارع «بَيْطَرَ» وهذا ممَّا يكون الاسم فيه منصرفاً في التكبير ممتنعاً في التصغير، لا يقالُ ذلك لأنه غلطٌ بيِّنٌ؛ لأنَّ «أوَيْرِثاً» وزنه فُوَيْعِلٌ، لا أفَيْعلٌ؛ بخلاف «أحَيْمِر» تصغير «أحْمَرَ».

وقرأ الزهريُّ[5] «وارِثٌ» بكسر الواو، ويعنون بها الإمالة.

قوله: «رَضِيًّا» مفعولٌ ثانٍ، وهو فعيلٌ بمعنى فاعلٍ، وأصله «رَضِيوٌ» لأنه من الرِّضوان.

فصل

معنى قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أعطني من أبناء.

واعلم أنَّ زكريَّا ـ عليه السلام ـ قدَّم السؤال؛ لأمور ثلاثة:

الأول: كونه ضعيفاً.

---

(١) ينظر: السبعة ٤١٧، والنشر ٢/ ٣١٧، والحجة ٤٣٧، والتيسير ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٦٣٨ والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩١، وإعراب القراءات ٢/ ٩، ١٠، والإتحاف ٢/ ٢٣٣، والبحر ٦/ ١٦٥.

(٢) ينظر: البحر ٦/ ٦٥، والدر المصون ٤/ ٤٩٢، والكشاف ٣/ ٥.

(٣) ينظر: مصادر تخريج القراءة السابقة.

(٤) ينظر: البحر ٦/ ١٦٥، والدر المصون ٤/ ٤٩٢، وينظر: الكشاف ٣/ ٥ ونسبها إلى الجحدري.

(٥) ينظر: الدر المصون ٤/ ٤٩٢، والبحر ٦/ ١٦٥ وقد نسبها إلى الجحدري.

والثاني: أن الله تعالى ما ردَّ دعاءه.

والثالث: كونُ المطلُوب سبباً للمنفعة في الدِّين، ثم بعد ذلك صرَّح بالسُّؤال.

أمَّا كونه ضعيفاً، فالضَّعيف: إمَّا أن يكون في الباطن، أو في الظَّاهر، والضَّعْف في الباطن أقوى من ضعف الظَّاهر، فلهذا ابتدأ ببيان ضعف الباطن، فقال: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ وذلك لأنَّ العظم أصلبُ أعضاء البدن، وجعل كذلك لمنفعتين:

الأولى: ليكون أساساً وعمداً يعتمد عليها بقيَّة الأعضاء؛ لأنَّها موضوعة على العظام، والحاملُ يجبُ أن يكون أقوى من المحمول عليه.

الثاني: أنَّها في بعض المواضع وقاية لغيرها.

واحتج أصحابُ القول الأوَّل أنَّه إذا. . .[١] أوَّلاً، ثم ردَّ بأنها تكونُ كغيرها من الأعضاء كعظام الصَّلف وقحف الرأس، وما كان كذلك، فيجبُ أن يكون صلباً؛ ليصبر على ملاقاة الآفاتِ، ومتى كان العظم صُلباً، فمتى وصل الضعفُ إليه، كان ضعف ما عداهُ مع رخاوته أولى؛ ولأنَّ العظم حاملٌ لسائر الأعضاء، فوصولُ الضعف إلى الحامل موجبٌ لوصوله إلى المحمول، فلهذا خصَّ العظم بالوهْنِ من بين سائر الأعضاء.

وأما ضعف الظاهر، فلاستيلاء ضعف الباطن عليه، وذلك ممَّا يزيدُ الدُّعاء تأكيداً؛ لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته.

وأما كونهُ غير مردُود الدُّعاءِ، فوجه توسله به من وجهين:

الأول: أنَّه إذا قبله أوَّلاً، فلو ردَّه ثانياً، لكان الردُّ محبطاً للإنعام الأول، والمنعم لا يسعى في إحباط إنعامه.

والثاني: أنَّ مخالفة العادةِ تشقُّ على النَّفس، فإذا تعوَّد الإنسانُ إجابة الدُّعاء، فلو ردَّ بعد ذلك، لكان ذلك في غاية المشقَّة، والجفاء ممن يتوقع منه الإنعام يكون أشقَّ، فكأنَّ زكريَّا ـ عليه السلام ـ قال: إنك إن رددتَّني بعدما عودتَّني القُبول مع نهايةِ ضعفي، كان ذلك بالغاً إلى النِّهاية القصوى في [ألم][٢] القلب، فقال: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

تقولُ العربُ: سعد فلانٌ بحاجته: إذا ظَفِر بها، وشَقِي بها: إذا خَابَ، ولم [يَبْلُغْهَا][٣].

وأمَّا كون المطلُوب منتفعاً به في الدِّين، فهو قوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾.

فصل في اختلافهم في المراد من قوله: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾

قال ابن عباس والحسن: الموالي: الورثة[٤] وقد تقدم.

---

(١) موضع النقط بياض في الأصل.
(٢) في أ: ضعف.
(٣) في ب: يذلها.
(٤) تقدم.

واختلفوا في خوفه من الموالي(١)، فقيل: خافهم على إفساد الدِّين.

وقيل: خاف أن ينتهي أمرُه إليهم بعد موته في مالٍ، وغيره، مع أنَّه عرف من حالهم قصورهم في العلم والقدرة عن القيام ببعضه.

وقيل: يحتمل أن يكون الله قد أعلمه أنَّه لم يبقَ من أنبياء بني إسرائيل نبيٌّ له أبٌ إلاَّ نبيٌّ واحدٌ، فخاف أن يكون ذلك الواحدُ من بَني عمِّه، إذا لم يكن له ولدٌ، فسأل الله أن يهب له ولداً، يكونُ هو ذلك النبيَّ، والظاهرُ يقتضي أن يكون خائفاً في أمر يهتمُّ بمثله الأنبياء، ولا يمتنع أن يكون زكريَّا كان إليه مع النبوة الربانيَّة من جهة الملك؛ فخاف منهم بعده على أحدهما أو عليهما.

وقوله: «خِفْتُ» خرج على لفظ أصل الماضي، لكنه يفيد أنه في المستقبل أيضاً؛ كقول الرجل: قد خفتُ أن يكون كذا، أي: «أنَا خَائِفٌ» لا يريدُ أنه قد زال الخوف عنه.

قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي: أنَّها عاقرٌ في الحال؛ لأنَّ العاقر لا يجوزُ [أن تحبل في العادة](٢)، ففي الإخبار عنه بلفظ الماضي إعلامٌ بتقادُم العهد في ذلكَ، والغرضُ من هذا بيانُ استبعاد حصول الولدِ، فكان إيرادهُ بلفظ الماضِي أقوى، وأيضاً: فقد يوضعُ الماضي، أي: مكان المستقبل، وبالعكس؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقوله: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ قال أبو عبيدة: من قُدَّامي، وبين يديَّ.

وقال آخرون: بعد موتي.

فإن قيل: كيف علم حالهم من بعده، وكيف علم أنَّهُمْ يبقون بعده، فضلاً عن أن يخاف شرَّهم؟.

فالجوابُ(٣): أنه قد يعرفُ ذلك بالأمارات والظنّ في حصول الخوف، وربما عرف ببعض الأمارات استمرارهم على عادتهم في الفساد.

وقوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ الأكثر على أنه طلب الولد، وقيل: بل طلب من يقُوم مقامه، ولداً كان، أو غيره.

والأول أقربُ؛ لقوله تعالى في سورة آل عمران؛ حكاية عنه ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

وأيضاً: فقوله ها هنا «يَرِثُنِي» يؤيِّده.

وأيضاً: يؤيِّده قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩] فدلَّ على أنَّه سأل الولد؛ لأنَّه أخبر ها هنا أنَّ له مواليَ، وأنَّه غيرُ

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٥٥.

(٢) في أ: أن تكون وسوداً.

(٣) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٥٦.

منفردٍ عن الورثةِ، وهذا وإن أمكن حمله على وارثٍ يصلح أن يقوم مقامه، لكنَّ حمله على الولد أظهرُ.

واحتجَّ أصحابُ القول [الثالث][(١)] بأنَّه لما بشِّر بالولد، استعظمه على سبيل التعجُّب؛ وقال «أنَّى يكونُ لِي غلامٌ» ولو كان دعاؤهُ لطلب الولد، ما استعظم ذلك.

وأجيبَ بأنَّه ـ عليه السلام ـ سأل عمَّا يوهب له، أيوهبُ له وهو وامرأتهُ على هيئتهما؟ أو يوهبُ له بأن يُحوَّلا شابَّيْن، يُولد لمثلهما؟! وهذا يُحْكَى عن الحسن.

وقيل: إنَّ قول زكريَّا ـ عليه السلام ـ في الدُّعاء «وكَانتِ امْرَأتِي عاقراً» إنما سأل ولداً من غيرها أو منها؛ بأن يصلحها الله تعالى للولدِ، فكأنَّه ـ عليه السلام ـ قال: أيسْتُ أن يكون لي منها ولدٌ، فهبْ لي من لدنك وليًّا، كيف شئت: إمَّا بأن تصلحها للولادةِ، وإمَّا أن تهبهُ لي من غيرها، فلمَّا بُشِّر بالغُلام، سأل أن يرزق منها، أو من غيرها، فأخبر بأنه يرزقه منها.

فصل في المراد بالميراث في الآية

واختلفُوا ما المرادُ بالميراثِ، فقال ابنُ عبَّاس، والحسنُ، والضحاك: وراثةُ المالِ في الموضعين[(٢)].

وقال أبو صالح: وراثةُ النبوَّةِ[(٣)].

وقال السديُّ، ومجاهدٌ، والشعبيُّ: يَرِثُنِي المال، ويرثُ من آل يعقوب النبوَّة[(٤)].

وهو مرويٌّ أيضاً عن ابن عباس، والحسن، والضحاك.

وقال مجاهدٌ: يرثُنِي العلم، ويرثُ من آل يعقُوب النبوَّة[(٥)]. واعلمْ أنَّ لفظ الإرث يستعملُ في جميعها: أمَّا في المال فلقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧] وأمَّا في العلم، فلقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [غافر: ٥٣].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «العُلماءُ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا دِرْهَماً، وإنَّما ورَّثُوا العِلْمَ»[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] وهذا يحتملُ وراثة الملك، ووراثة النبوَّة، وقد يقال: أورثَنِي هذا غمًّا وحزناً.

---

(١) في ب: الثاني.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/٣٠٨).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/٣٠٨) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٦٧) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٤) أخرجه الطبري (٨/٣٠٨) عن الحسن وأبي صالح.
(٥) أخرجه الطبري (٨/٣٠٨) عن مجاهد وينظر: تفسير الماوردي (٣/٣٥٦).
(٦) تقدم تخريجه.

فصل في أولى ما تحمل عليه الآية

قال الزَّجاج: الأولى أن يحمل على ميراث غير المال؛ لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «نَحْنُ معاشِرَ الأنبياءِ ـ لا نُورَثُ، مَا تَركْنَا صدقةٌ»(١) ولأنه يبعدُ أن يشفق زكريًا ـ وهو نبيٌّ من الأنبياء ـ أن يرث بنُو عمِّه مالهُ.

والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمِّه دين الله، وتغيير أحكامه على ما كان شاهدهُ من بني إسرائيل من تبديل الدِّين، وقتل من قُتل من الأنبياء، فسأل ربَّه وليًا صالحاً يأمنُه على أمَّته، ويرثُ نُبوَّته وعلمه؛ لئلاً يضيع الدِّين.

قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾؛ الآلُ: خاصَّةُ الرجل الذي يئول أمرهم إليه، ثم قد يئُول أمرهم إليه لقرابةِ المقربين تارةً؛ وبالصحابة أخرى؛ كآل فرعون، وللموافقة في الدِّين؛ كآل النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وأكثر المفسِّرين على أنَّ يعقوب هنا: هو يعقوبُ بنُ إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأنَّ زوجة زكريًا ـ عليه السلام ـ هي أختُ مريم، وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب، وأمَّا زكريا ـ عليه السلام ـ فهو من ولد هارون أخي موسى، وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن إسحاق، وكانت النبوة في سِبْط يعقوب؛ لأنَّه هو إسرائيلُ ـ عليه السلام ـ.

وقال بعضُ المفسِّرين: ليس المرادُ من يعقوب هاهنا ولد إسحاق بن إبراهيم، بل يعقُوب بن ماثان، [أخو عمران بن ماثان](٢)، وكان آلُ يعقوب أخوال يحيى بن زكريًا، وهذا قولُ الكلبيِّ ومقاتل(٣).

وقال الكلبيُّ: كان بنُو ماثان رُءوس بني إسرائيل ومُلُوكهُم، وكان زكريًا رئيس الأحبار يومئذٍ، فأراد أن يرثه ولده حُبُورته، ويرث بنو ماثان ملكهم(٤).

فصل في تفسير «رضيًا»

اختلفُوا في تفسير «رَضِيًّا» فقيل: برًّا تقيًّا مرضيًّا.

وقيل: مرضيًّا من الأنبياء، ولذلك استجاب الله له؛ فوهب له يحيى سيِّداً، وحصُوراً، ونبيًّا من الصَّالحين، لم يعصِ، ولم يهم بمعصية.

وقيل: «رَضِيًّا» في أمَّته لا يتلقَّى بالتَّكذيب، ولا يواجهُ بالرَّدِّ.

فصل في الاحتجاج على خلق الأفعال

احتجوا بهذه الآية على مسألة خلق الأفعال؛ لأنَّ زكريًا ـ عليه السلام ـ سأل الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سقط من أ.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١/٥٦) والماوردي (٣/٣٥٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

تعالى أن يجعله رضيًّا؛ فدلَّ على أنَّ فعل العبد مخلوقٌ لله تعالى.

فإن قيل: المرادُ: أن يلطف به بضُرُوب الألطاف فيختار ما يصير به رضيًّا عنده، فنسب ذلك إلى الله تعالى.

فالجوابُ من وجهين:

الأول: لو حملناه على جعل الألطاف، وعندها يصير إليه المرء باختياره رضيًّا؛ لكان ذلك مجازاً، وهو خلافُ الأصل.

الثاني: أنَّ جعل تلك الألطاف واجبةً على الله تعالى، لا يجوزُ الإخلال به، وما كان واجباً لا يجوزُ طلبهُ بالدُّعاء والتضرُّع.

قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا
(٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا
(٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا (٩) قَالَ
رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (١١) يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ
وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا (١٢) وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا (١٣) وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيّٗا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا (١٥)﴾.

قوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾.

اختلفُوا في المنادي، فالأكثرون على أنَّه هو الله تعالى؛ لأنَّ زكريًّا إنَّما كان يخاطبُ الله تعالى، ويسأله بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾، وبقوله: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ وبقوله: «فهب لي»، وبقوله بعده: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾، فوجب أن يكون هذا النداءُ من الله تعالى، وإلاّ لفسد [المعنى و][1] النَّظْم، وقيل: هذا النداءُ من الملكِ؛ لقوله: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وأيضاً: فإنه لمَّا قال: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ [مريم: ٩].

وهذا لا يجوزُ أن يكونُ كلام الله؛ فوجب أن يكون كلام الملكِ.

ويمكنُ أن يجاب بأنه يحتملُ أنَّه يحصل النداءان: نداءُ الله تعالى، ونداءُ الملائكة.

ويمكنُ أن يكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ من كلام الله تعالى، كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) زيادة من أ.

فصل

[في] الكلام اختصار، تقديره: استجاب الله دعاءهُ، فقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾: بولدٍ، ويقال: زكريَّاء «بالمد والقصر»، ويقال: زكرَىٰ أيضاً، نقله ابن كثيرٍ.

فإن قيل: كان دعاؤهُ بإذنٍ، فما معنى البشارة؟ وإن كان بغير إذنٍ؛ فلماذا أقدم عليه؟.

فالجوابُ[١]: يجوز أن يسأل بغير إذن، ويحتمل أنَّه أذن له فيه، ولم يعلمْ وقته، فبُشِّر به.

قوله: «يَحْيَىٰ»: فيه قولان:

أحدهما: أنه اسمٌ أعجميٌّ، لا اشتقاق له، وهذا هو الظاهرُ، ومنعهُ من الصَّرف؛ للعلميَّة والعجمةِ، وقيل: بل هو منقولٌ من الفعلِ المضارعِ، كما سمَّوا بـ «يَعْمُرَ» و «يعيشَ» و «يَمُوتَ» وهو يموت بنُ المُزرَّع.

والجملة من قوله: «اسْمُهُ يَحْيىٰ» في محلِّ جرٍّ صفة لـ «غُلام» وكذلك «لم نجعلْ» و «سَمِيًّا» كقوله: «رَضيًّا» إعراباً وتصريفاً؛ لأنَّه من السُّمُوِّ، وفيه دَلالةٌ لقول البصريين: أن الاسم من السموِّ، ولو كان من الوسم، لقيل: وسيماً.

فصل

قال ابن عباسٍ، والحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، وقتادةُ: إنَّه لم يسمَّ أحدٌ قبله بهذا الاسم[٢].

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ، وعطاء: لم نجعل له شبهاً ومثلاً؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: مثلاً[٣].

والمعنى: أنه لم يكن له مثلٌ؛ لأنَّه لم يعصِ، ولم يهُمَّ بمعصية قط؛ كأنَّه جواب لقوله ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ فقيل له: إنَّا نُبشِّرُكَ بغلامٍ، لم نجعلْ له شبيهاً في الدِّين، ومنْ كان كذلك، كان في غايةِ الرضا.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/١٥٨.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٠) عن قتادة وابن جريج وابن زيد والسدي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٦٨) عن قتادة وعزاه إلى عبد الرزاق وأحمد في «الزهد» وعبد بن حميد.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٢) عن ابن عباس.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٨) وزاد نسبته إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٠) عن مجاهد وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٨) وعزاه إلى أحمد في «الزهد» وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّه يقتضي تفضيلُه على الأنبياءِ قبله؛ كآدَمَ، ونوحٍ، وإبراهيم، وموسى، [وعيسى](١)؛ وذلك باطلٌ.

وقيل: لم يكن له مثلٌ في أمر النِّساء؛ لأنَّه كان سيِّداً وحصوراً.

وقال عليٌّ بنُ أبي(٢) طلحة، عن ابن عبَّاس: لم تَلدِ العواقرُ مثلهُ(٣) ولداً. وقيل: لأنَّ كُلَّ الناس، إنما يُسمُّونهم آباؤهم وأمهاتهم بعد دخولهم في الوجود، وأما يحيى فإنَّ الله سمَّاه قبل دخوله في الوجود، فكان ذلك من خواصِّه.

وقيل: لأنَّه ولدُ شيخٍ، وعجوزٍ عاقرٍ.

فصل في سبب تسميته بيحيى

واختلفُوا في سبب تسميته بيحيى(٤)، فعن ابن عبَّاس: لأنَّ الله أحيا به عقر أمه، ويرد على هذا قصَّةُ إبراهيم، وزوجته، قالت: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢] فينبغي أن يكون اسمُ ولدهم يحيى.

وعن قتادة: لأنَّ الله تعالى أحيا قلبهُ بالإيمانِ والطَّاعة، والله تعالى سمَّى المطيعَ حيًّا، والعاصِيَ ميِّتاً؛ بقوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقيل: لأنَّ الله تعالى أحياه بالطَّاعة؛ حتى لم يعص، ولم يهُمَّ بمعصيةٍ.

قال رسول الله ﷺ «ما مِنْ أحدٍ إلاَّ وقد عَصَى، أو هَمَّ إلاَّ يحيى بنُ زكريَّا، فإنَّهُ لَمْ يهُمَّ ولَمْ يَعْملهَا»(٥) وفي هذا نظر؛ لأنه كان ينبغي أن تسمى الأنبياء كلهم والأولياء بـ «يحيى».

وقال ابن القاسم بن حبيب: لأنه استشهد، والشهداء أحياء عند ربهم، قال تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وفي ذلك نظر؛ لأنه كان يلزم منه أن يُسَمَّى الشهداءُ كلُّهم بيَحْيَى.

وقال عمرو بنُ المقدسيِّ(٦): أوحى الله تعالى، إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه قُلْ

---

(١) زيادة من أ.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٨٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٩) عن ابن عباس وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٨) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٥٩.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٤، ٢٩٢) من حديث ابن عباس وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٢) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني وفيه علي بن زيد وضعفه الجمهور وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٦) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٥٩.

لسارَّة بأنِّي مخرجٌ منها عبداً، لا يَهُمُّ بمعصيةٍ اسمه حيى، فقال: هَبِي لهُ من اسمكِ حرفاً، فوهبتهُ حرفاً من اسمها، فصار يَحْيَى، وكان اسمُها يسارة، فصار اسمها سارة.

وقيل: لأنَّ يحيى أوَّلُ من آمن بعيسى، فصار قلبه حيًّا بذلك الإيمانِ.

وقيل: إنَّ أمَّ يحيى كانت حاملاً به، فاستقبلتها مريم، وقد حملت بعيسى، فقالت لها أمُّ يحيى: يا مريمُ، أحاملٌ أنت؟ فقالت: لم تقولين؟ فقالت: أرى ما في بطني يسجُد لما في بطنك.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي: مِنْ أين يكون لي غلامٌ، والغلامُ: هو الإنسانُ الذكر في ابتداءِ شهوته في الجماع، ويكونُ في التلميذ، يقال: غلامُ ثعلبٍ.

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا﴾. أي: وامرأتي عاقرٌ، ولم يقل: عاقرةٌ؛ لأنَّ من كان على «فاعل» من صفة المؤنَّث ممَّا لم يكن للمذكَّر، فإنَّه لا تدخل فيه الهاءُ، كامرأةٍ عاقرٍ وحائضٍ.

قال الخليلُ: هذه صفاتُ المذكَّر، وصف بها المؤنَّث، كما وصف المذكَّر بالمؤنَّث؛ حيث قال: رجُلٌ نكَحةٌ، ورُبَعَةٌ، وغلامٌ نُفَعَةٌ.

قوله: «عتيًا»: فيه أربعةُ أوجه:

أظهرها: أنه مفعولٌ به، أي: بلغتُ عتيًا من الكبرِ، فعلى هذا «مِنَ الكِبرِ» يجوز أن يتعلَّق بـ «بَلَغْتُ» ويجوز أن يتعلق بمحذوفٍ؛ على أنه حالٌ من «عِتِيًّا» لأنه في الأصلِ صفةٌ له؛ كما قدرته لك.

الثاني: أن يكون مصدراً مؤكِّداً من معنى الفعل؛ لأنَّ بلوغَ الكبر في معناه.

الثالث: أنَّه مصدر واقعٌ موقع الحالِ من فاعل «بَلَغْتُ» أي: عاتياً، ذا عتيٍّ.

الرابع: أنه تمييزٌ، وعلى هذه الأوجه الثلاثة «مِنْ» مزيدةٌ، ذكره أبو البقاء[1]، والأولُ هو الوجهُ.

والعُتُوُّ: بزنة فعولٍ، وهو مصدر «عَتَا، يَعْتُو» أي: يَبِسَ، وصلُبَ، قال الزمخشريُّ: «وهو اليُبْسُ والجساوةُ في المفاصلِ، والعظام؛ كالعُودِ القاحل؛ يقال: عَتَا العُودُ وجسَا، أو بلغتُ من مدارجِ الكِبرِ، ومراتبه ما يسمَّى عِتيًّا» يريد بقوله: «أوْ بلغْتُ» أنه يجوزُ أن يكون مِنْ «عَتَا يَعْتُو» أي: فسد.

والأصلُ: «عُتُوٌّ» بواوين، فاستثقل واوان بعد ضمتين، فكسرتِ التاءُ؛ تخفيفاً، فانقلبت الواو الأولى ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، فاجتمع ياءٌ وواوٌ، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواوُ ياءً، وأدغمت فيها الأولى، وهذا الإعلالُ جارٍ في المفرد هكذا، والجمع: نحو: «عِصِيّ» إلا أنَّ الكثير في المفرد التصحيح؛ كقوله: ﴿وَعَتَوۡ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/ ١١١.

[الفرقان: ٢١] وقد يعلُّ كهذه الآية، والكثيرُ في الجمع الإعلالُ، وقد يصحَّحُ؛ نحو: «إنَّكُمْ لتنظُرُونَ في نحوٍّ كثيرةٍ» وقالوا: فُتِيٌّ وفُتُوٌّ.

وقرأ الأخوان(١) «عتيًّا» و ﴿صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠] و «بِكِيًّا» [مريم: ٥٨] و ﴿جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] بكسر الفاء للإتباع، والباقون بالضمِّ على الأصل.

وقرأ عبدُ الله بن مسعودٍ بفتح الأوَّل من «عتيًّا» و «صَليًّا» جعلهما مصدرين على زنة «فعيلٍ» كالعجيجِ والرَّحيلِ.

وقرأ عبد الله وأبي بن كعبٍ «عُسِيًّا» بضم العين، وكسر السينِ المهملة، وتقدم اشتقاقُ هذه اللفظة في الأعراف، وتصريفها.

والعُتِيُّ والعُسِيُّ: واحدٌ.

يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا، وعتيًّا، فهو عاتٍ، وعَسَا يَعْسُو عُسُوًّا وعسيًّا فهو عَاسٍ، والعَاسي: هو الذي غيرهُ طولُ الزمانِ إلى حال البُؤس. وليل عاتٍ: طويل، وقيل: شديدُ الظلمة.

فصل

في هذه الآية سؤالان(٢):

أحدهما: لم تعجب زكريًّا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ مع أنَّه هو الذي طلب الغلام؟.

والسؤال الثاني: قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ هذا التعجُّب يدل على الشك في قدرة الله تعالى على ذلك، وذلك كفر، وهو غير جائز على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؟.

فالجوابُ عن الأول: أمَّا على قول من قال: ما طلب الولد، فالإشكال زائلٌ، وأمَّا على قول من قال: إنَّه طلب الولد، فالجوابُ: أن المقصود من قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ هو البحث على أنه تعالى يجعلهما شابين، ثم يرزقهما، أو يتركهما شيخين، ويرزقهما الولد، مع الشيخوخة؟ ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وما هذا الإصلاحُ إلاَّ أنَّه تعالى أعاد قُوَّة الولادة.

وذكر السديُّ في الجواب وجهاً آخر، فقال: إنَّه لمَّا سمع النداء بالبشارة جاءهُ

---

(١) ينظر في قراءاتها: السبعة ٤٠٧، والنشر ٢/ ٣١٧، والحجة ٤٣٩، والإتحاف ٢/ ٢٣٤، والمحتسب ٢/ ٣٩، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩١، ١٩٢، وإعراب القراءات ٢/ ١١.

(٢) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٦٠.

الشيطان، فقال: إنَّ هذا الصَّوت ليس[1] من الله تعالى، بل من الشيطانِ يسخر منك، فلمَّا شكَّ زكريًا قال: «ربّ، أنى يكُون لي غلامٌ»، وغرض السدي من هذا أن زكريا ـ عليه السلام ـ لو علم أن المبشِّر بذلك هو الله تعالى، لما جاز له أن يقول ذلك، فارتكب هذا.

وقال بعضُ المتكلِّمين: هذا باطلٌ باتِّفاق؛ إذ لو جوَّز الأنبياءُ في بعض ما يردُ عن الله تعالى أنَّه من الشيطان، لجوَّزوا في سائره، ولزالتِ الثقة[2] عنهم في الوحي، وعنَّا فيما يوردُونه إلينا.

ويمكنُ أن يجاب عنه: بأنَّ هذا الاحتمال قائمٌ في أوَّل الأمر، وإنَّما يزولُ بالمعجزةِ، فلعلَّ المعجزةَ لم تكُنْ حاصلةً في هذه الصور[3]، فحصل الشَّك هنا فيها دون ما عداها.

والجوابُ عن السؤال الثاني من وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾.

ليس نصًّا في كون ذلك الغلام ولداً له، بل يحتمل أن يكون زكريًّا ـ عليه الصلاة والسلام ـ راعى الأدب، ولم يقل: هذا الغلام، هل يكون ولداً لي، أم لا، بل ذكر أسباب حُصُول الولدِ في العادة؛ حتى أنَّ تلك البشارة، إنْ كانت بالولد، فإن الله تعالى يزيلُ الإبهام، ويجعل الكلام صريحاً، فلمَّا ذكر ذلك، صرَّح الله تعالى بكون الولد منه، فكان الغرضُ من كلام زكريًّا هذا، لا أنه كان شاكًّا في قُدرة الله تعالى عليه.

الثاني: أنه ما ذكر ذلك للشك، لكنْ على وجه التعظيم لقدرته، وهذا كالرجل الذي يَرَىٰ صاحبه قد وهب الكثير الخطير، فيقول: أنَّى سمحت نفسك بإخراج مثل هذا من ملكك! تعظيماً وتعجُّباً.

الثالث: أن من شأن من بُشِّرَ بما يتمناه؛ أن يتولد له فرط السرور به عند أوَّل ما يرد عليه استثباتُ ذلك الكلام؛ إما لأن شدة فرحه به توجبُ ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر، وهذا كما أن امرأة إبراهيم عليه السلام بعد أن بشرت بإسحاق قالت ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] فأزيل تعجبها بقوله: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٧٣]، وإما طلباً للالتذاذ بسماع ذلك الكلام مرة أخرى، وإما مبالغةً في تأكيد التفسير.

قوله: «كَذلِكَ»: في محلِّ هذه الكاف وجهان:

أحدهما: أنه رفع على خبر ابتداءٍ مضمرٍ، أي: الأمرُ كذلك، ويكون الوقفُ على: «كَذلِكَ»، ثم يبتدأ بجملةٍ أخرى.

---

(١) في أ: السورة ليس. (٢) في أ: المشقة. (٣) في أ: السورة.

والثاني: أنها منصوبةُ المحلِّ، فقدَّرهُ أبو البقاء[١] بـ «أفْعَلُ» مثل ما طلبتَ، وهو كنايةٌ عن مطلوبه، فجعل ناصبه مقدَّراً، وظاهره أنه مفعولٌ به.

وقال الزمخشريُّ[٢]: «أو نصب بـ «قَالَ» و «ذَلِكَ» إشارةٌ إلى مُبْهم يفسره «هُو عليَّ هيِّنٌ»، ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]. وقرأ[٣] الحسن «وهُوَ عليَّ هيِّنٌ»، ولا يخرَّج هذا إلا على الوجه الأول، أي: الأمرُ كما قلت، وهو على ذلك يهُونُ عليَّ.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يُشارَ بـ «ذلِكَ» إلى ما تقدَّم من وعد الله، لا إلى قولِ زكريَّا، و «قَالَ» محذوفٌ في كلتا القراءتين. يعني قراءة العامَّة وقراءة الحسنِ ـ أي: قال: هُوَ عليَّ هيِّنٌ، قال: وهُوَ عليَّ هيِّنٌ، وإن شئت لَمْ تنوهِ؛ لأنَّ الله هو المخاطب، والمعنى أنه قال ذلك، ووعدهُ وقوله الحقُّ».

وفي هذا الكلام قلقٌ؛ وحاصله يرجع إلى أنَّ «قال» الثانية هي الناصبةُ للكاف.

وقوله: «وقَالَ محذوفٌ» يعني تفريعاً على أنَّ الكلام قد تمَّ عند «قال ربُّك» ويبتدأ بقوله: «هُوَ عليَّ هيِّنٌ». وقوله: «وإنْ شِئْتَ لَمْ تَنوهِ»، أي: لم تَنْوِ القول المقدَّر؛ لأنَّ الله هو المتكلِّمُ بذلك.

وظاهرُ كلام بعضهم: أنَّ «قال» الأولى مسندةٌ إلى ضمير الملكِ، وقد صرَّح بذلك ابن جريرٍ، وتبعه ابن عطيَّة.

قال الطبريُّ: «ومعنى قوله «قال كذلكَ»، أي: الأمران اللذان ذكرت من المرأةِ العاقر والكبرِ هو كذلك، ولكن قال ربُّك، والمعنى عندي: قال الملكُ: كذلك، أي: على هذه الحال، قال ربُّك: هو عليَّ هيِّنٌ» انتهى.

وقرأ الحسن البصري[٤] «عَليِّ» بكسر ياء المتكلم؛ كقوله [الطويل]

٣٥٨٢ أ ـ عَليِّ لعمرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوالِدِهِ لَيْسَتْ بذاتِ عقَارِبِ[٥]

أنشدوه بالكسر. وتقدم الكلام على هذه المسألة في قراءة حمزة «بمُصْرِخيِّ» [إبراهيم: ٢٢].

قوله: «وقَدْ خلقْتُكَ» هذه الجملة مستأنفةٌ، وقرأ الأخوان[٦] «خَلقْنَاكَ» أسنده إلى الواحد المعظِّم نفسهُ، والباقون «خلقْتُك» بتاء المتكلِّم.

وقوله: «ولَمْ يَكُ شَيْئاً» جملةٌ حاليةٌ، ومعنى نفي كونه شيئاً، أي: شيئاً يعتدُّ به؛ كقوله: [البسيط]

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/ ١١١.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٢.
(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٥٠٢.
(٤) الإتحاف ٢/ ٢٣٤.
(٥) تقدم.
(٦) السبعة ٤٠٨ النشر ٢/ ٣١٧ التيسير ١٤٨.

٣٥٨٢ ب ـ .... إذا رَأَىٰ غَـيْـرَ شـيءٍ ظَـنَّـهُ رَجُـلا[1]

وقالوا: عجبتُ من لا شيءٍ، ويجوز أن يكون قال ذلكَ؛ لأنَّ المعدومَ ليس بشيءٍ.

فصل

قيل: إطلاق لفظ «الهَيِّن» في حق الله تعالى مجاز؛ لأن ذلك إنما يجوزُ في حقِّ من يجوز أن يصعب عليه شيء، ولكن المراد؛ أنه إذا أراد شيئاً كان.

ووجه الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ فنقول: إنه لما خلقه من العدم الصِّرف والنفي المحضِ، كان قادراً على خلق الذوات والصفات والآثار، وأما الآن، فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه إلا إلى تبديل الصفات، والقادرُ على خلق الذوات والصفات والآثار معاً أولى أن يكون قادراً على تبديل الصفات، وإذا أوجده عن عدم، فكذا يرزقه الولد بأن يعيد إليه وإلى صاحبته القوَّة التي عنها يتولَّد الماءان اللذان من اجتماعهما يُخلقُ الولد.

فصل

الجمهورُ على أنَّ قوله: «قال: كذلِكَ قال ربُّكَ» يقتضي أن القائلَ لذلك ملك مع الاعتراف بأن قوله ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ قول الله تعالى، وقوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ قول الله تعالى، وهذا بعيدٌ؛ لأنه إذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى، فكيف يصحُّ إدراجُ هذه الألفاظ فيما بين هذين القولين، والأولى أن يقال: قائلُ هذا القول أيضاً هو الله تعالى؛ كما أن الملك العظيم، إذا وعد عبده شيئاً عظيماً، فيقول العبد: من أين يحصلُ لي هذا، فيقول: إن سلطانكَ ضمِنَ لك ذلك؛ كأنه ينبه بذلك على أن كونه سلطاناً ممَّا يوجب عليه الوفاء بالوعد، فكذا ههنا.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

أي: اجعل لي علامة ودلالة على حمل امرأتي.

فصل

قال بعضُ المفسِّرين: طلب الآية لتحقيق البشارة، وهذا بعيد؛ لأن بقول الله تعالى قد تحقَّقت البشارةُ، فلا يكون إظهار الآية أقوى في ذلك من صريح القول، وقال آخرون: البشارةُ بالولدِ وقعت مطلقة، فلا يعرف وقتها بمجرَّد البشارة، فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوعِ، وهذا هو الحق.

---

(١) عجز بيت للمتنبي وصدره:

وضـاقـت الأرض حـتـى كـان هـاربـهـم

ينظر: ديوانه (١/ ٦٠)، وروح المعاني ١٦/ ٧٠، والكشاف ٢/ ٥٠٤، والدر المصون ٤/ ٤٩٤.

واتفقوا على أن تلك الآية هي تعذرُ الكلام عليه، فإن مجرَّد السكوتِ مع القدرةِ على الكلام لا يكونُ معجزةً، ثم اختلفوا على قولين:

أحدهما: أنه اعتقل لسانه أصلاً.

والثاني: أنه امتنع عليه الكلامُ مع القوم على وجه المخاطبة، مع أنه كان متمكناً من ذكر الله، ومن قراءة التوراة، وهذا القولُ عندي أصحُّ؛ لأن اعتقال اللسان مطلقاً قد يكون لمرضٍ، وقد يكونُ من فعل الله، فلا يعرف زكريا عليه السلام أن ذلك الاعتقال معجزٌ إلا إذا عرف أنه ليس لمرض، بل لمحضِ فعل الله تعالى مع سلامة الآلات، وهذا مما لا يعرف إلا بدليل آخر، فتفتقر تلك الدلالة إلى دلالة أخرى، أما لو اعتقل لسانه عن الكلام، مع القوم، مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى وقراءةِ التوراةِ، علم بالضرورة؛ أن ذلك الاعتقال ليس لعلَّةٍ ومرضٍ، بل هو لمحض فعل الله، فيتحقق كونه آية ومعجزة، ومما يقوي ذلك قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ خص ذلك بالتكلم مع الناس؛ وهذا يدلُّ بطريق المفهوم؛ أنه كان قادراً على التكلُّم مع غير الناس.

قوله: «سَوِيًّا»: حالٌ من فاعل «تُكَلِّمَ»، وعن ابن عباس: أنَّ «سويًّا» من صفةِ الليالي بمعنى «كاملات»، فيكونُ نصبه على النعت للظرف، والجمهورُ على نصب ميم «تُكَلِّم» جعلوها الناصبة. وابن أبي عبلة بالرفع، جعلها المخففة من الثقيلة، واسمها ضميرُ شأنٍ محذوف، و «لا» فاصلةٌ، وتقدَّم تحقيقه.

وقوله: «أنْ سَبِّحُوا»: يجوز في «أنْ» أن تكون مفسِّرة لـ «أوْحَى»، وأن تكون مصدرية مفعولة بالإيحاء، و «بُكْرَةً وعشِيًّا» ظرفا زمانٍ للتسبيح، وانصرفت «بُكْرَةً»؛ لأنه لم يقصدْ بها العلميَّةُ، فلو قُصِدَ بها العلميةُ، امتنعت من الصَّرف، وسواءٌ قصد بها وقتٌ بعينه؛ نحو: لأسيرنَّ الليلة إلى بكرة، أم لم يقصدْ؛ نحو: بكرةُ وقتُ نشاطٍ؛ لأنَّ علميَّتها جنسيَّةٌ؛ كأسامة، ومثلها في ذلك كله «غُدْوة».

وقرأ طلحة «سَبِّحُوه» بهاءِ الكناية، وعنه أيضاً: «سَبِّحُنَّ» بإسناد الفعل إلى ضمير الجماعة مؤكَّداً بالثقيلة، وهو كقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [هود: ٨]، وقد تقدَّم تصريفه.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه؛ أن يفتح لهم الباب، فيدخلون ويصلون؛ إذ خرج عليهم زكريا متغيِّراً لونه، فأنكروه، فقالوا: ما لك يا زكريا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾.

قال مجاهدٌ: كتب لهم الأرض، ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾، أي صلوا لله، ﴿بُكْرَةً﴾، غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾، معنا أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشياً، فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقتُ حمل امرأته، ومنع الكلام خرج إليهم، فأمرهم بالصلاة إشارة.

قوله عز وجل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾، قيل: فيه حذف معناه: وهبنا له يحيى، وقلنا له: يا يحيى، ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني التوراة، وقيل يحتمل أن يكون كتاباً خصَّ الله به يحيى،

كما خص الله تعالى الكثير من الأنبياء بذلك، والأول أولى؛ لأن حمل الكلام ههنا على المعهود السابق أولى، ولا معهود ههنا إلا التوراة.

وقوله ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يدلُّ على أن الله تعالى بلغ بيحيى المبلغ الذي يجوز أن يخاطبه بذلك، فحذف ذكره؛ لدلالة الكلام عليه.

قوله: «بقُوَّة»: حالٌ من الفاعل أو المفعول، أي: ملتبساً أنت، أو ملتبساً هو بقُوَّة؛ وليس المراد بالقوة القدرة على الأخذ؛ لأن ذلك معلوم لكلِّ أحد، فيجب حمله على معنى يفيد المدح، وهو الجد والصبر على القيام بأمر النبوة، وحاصلها يرجع إلى حصول ملكة تقتضي سهولة الإقدام على المأمُور به، والإحجام عن المنهيِّ عنه[١].

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

قال ابن عبَّاس: الحكم: النُّبوة[٢] «صَبِيًّا»؛ وهو ابن ثلاث سنين وقيل: الحكمُ فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغيرٌ.

وقيل: هو العَقْل، وهو قولُ مُعَمَّر.

وروي أنه قال: ما للَّعبِ خُلِقْنا[٣].

والأوَّل أولى؛ لأنَّ الله تعالى أحكم عقلهُ في صباه، وأوحى إليه، فإنَّ الله تعالى بعث عيسى ويحيى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وهما صبيَّانِ، لا كما بعث موسى ومحمَّداً ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وقد بلغا الأشُدَّ.

فإن قيل: كيف يعقلُ حصولُ العقل والفطنة والنُّبُوَّة حال الصِّبَا.

فالجوابُ: هذا السَّائِلُ: إمَّا أن يمنع خرق العاداتِ، أو لا يمنع منه، فإن منع منه، فقد سدَّ باب النبوات؛ لأنَّ الأمر فيها على المعجزات، ولا معنى لها إلا خرق العاداتِ، وإن لم يمنع منه، فقد زال هذا الاستبعادُ؛ فإنَّه ليس استبعاد صيرورةِ الصَّبيِّ عاقلاً أشدَّ من استبعاد انشقاقِ القمر، وانفلاق البحر، و «صبيًّا»: حال من «هاء» آتيناه.

قوله «وحَنَاناً»: يجوز أن يكون مفعولاً به، نسقاً على «الحُكْمَ» أي: وآتَيْنَاهُ تَحَنُّناً. والحنانُ: الرحمةُ واللِّينُ، وأنشد أبو عبيدة قول الحطيئةِ لعمر بن الخطَّاب: [المتقارب]

٣٥٨٣ أ ـ تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ ... فَإنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالا[٤]

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٦٣.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧٠) عن قتادة وعزاه إلى أحمد في «الزهد» وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧٠) عن معمر بن راشد وعزاه إلى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي وابن عساكر وعن قتادة وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وعن ابن عباس مرفوعاً وعزاه إلى الحاكم في «تاريخه» وعن معاذ مرفوعاً وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) البيت للحطيئة. ينظر: ديوانه ٨٢، الطبري ١٦/ ٤٤، مجاز القرآن ٢/ ٣، البحر ٦/ ١٦٨، القرطبي ١١/ ٦٠، الكامل ٢/ ١٩٩، اللسان «حنن»، الدر المصون ٤/ ٤٩٥.

قال: وأكثر استعماله مُثَنًّى؛ كقولهم: حَنانَيْكَ، وقوله:

٣٥٨٣ب ـ .... حَنانَيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ من بعضِ(١)

[وجوَّز] فيه أبو البقاء(٢) أن يكون مصدراً، كأنَّه يريدُ به المصدر الواقع في الدعاء؛ نحو: سَقْياً ورَعْياً، فنصبه بإضمار فعلٍ [كأخواته]، ويجوز أن يرتفع على خبر ابتداءٍ مضمر؛ نحو: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] و ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] في أحد الوجهين، وأنشد سيبويه(٣): [الطويل]

٣٥٨٤ ـ وقَالَتْ حنانٌ مَا أتى بِكَ هَهُنَا أَذُو نسبٍ أمْ أنتَ بالحَيِّ عارفُ(٤)

وقيل لله تعالى: حنَّانٌ، كما يقال له «رَحِيمٌ» قال الزمخشريُّ: «وذلك على سبيل الاستعارةِ».

فصل في المراد بـ «حَنَاناً»

اعلم أنَّ الحنان: أصله من الحنين، وهو الارتياحُ، والجزع للفراق كما يقال: حنينُ النَّاقة، وهو صوتها، إذا اشتاقت إلى ولدها، ذكره الخليل.

وفي الحديث: أنَّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يُصلِّي إلى جذعٍ في المسجد، فلمَّا اتَّخذ المنبر، وتحوَّل إليه، حنَّت تلك الخشبةُ، حتَّى سُمِعَ حنينُها(٥). وهذا هو الأصل، ثُمَّ يقال: تحَنَّنَ فلانٌ على فلانٍ، إذا [تعطَّف](٦) عليه ورحمهُ.

واختلف الناس في وصف الله تعالى بالحنان، فأجازه بعضهم، وجعلهُ بمعنى الرَّؤُوف الرَّحيم، ومنهم من أباه؛ لما يرجع إليه أصلُ الكلمة.

قالوا: ولم يصحَّ الخبر بهذه اللفظة في أسماء الله تعالى.

وإذا عرف هذا، فنقولُ: في الحنانِ ها هنا وجهان:

الأول: أن نجعله صفةً لله تعالى.

والثاني: أن نجعله صفةً لـ «يحيى»، فإن جعلناه صفة لله تعالى، فيكونُ التقديرُ: وآتيناهُ الحكم حناناً، أي: رحمةً منَّا.

ثم هاهنا احتمالات:

---

(١) تقدم. (٢) ينظر: الإملاء ٢/ ١١١.

(٣) ينظر: الكتاب ١/ ١٦١.

(٤) البيت لمنذر بن درهم الكلبي ينظر: الكتاب ١/ ٣٢٠ والمقتضب ٣/ ٢٢٥، شرح المفصل لابن يعيش ١/ ١١٨، الصاحبي ٤٢٨، الهمع ١/ ١٨٩، التصريح ١/ ١٧٧، الإنصاف ٣/ ٦، الدرر ١/ ٧١٦٣ التهذيب واللسان «حنن»، الدر المصون ٤/ ٤٩٥.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٦٩٦) كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر.

(٦) في ب: عطف.

الأول: أن يكونَ الحنانُ من الله تعالى لـ «يحيى»، والمعنى: وآتيناهُ الحكم صبيًّا حناناً [منَّا][(١)] عليه، أي: رحمة عليه، «وزكَاةً» أي: وتزكيةً، وتشريفاً له.

والثاني: أن يكون الحنانُ من الله تعالى لزكريًّا، والمعنى: أنا استجبنا لزكريًّا دعوته بأن أعطيناه ولداً ثم آتيناه الحكم صبيًّا وحناناً من لدُنَّا على زكريا فعلنا ذلك «وزكَاةً» أي: تزكيةً له عن أن يصير مردود الدُّعاء.

الثالث: أن يكُون الحنانُ من الله تعالى لأمَّة يحيى ـ عليه السلام ـ والمعنى: آتيناه الحكم صبيًّا حناناً على أمَّته؛ لعظيم انتفاعهم بهدايته وإرشاده.

وإن جعلناه صفةً ليحيى ـ عليه السلام ـ ففيه وجوهٌ:

الأول: آتيناهُ الحكم والحنان على عبادنا، أي والتعطُّف عليهم وحسن النَّظر لهم، كما وصف محمَّداً ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: «وزكَاةً» أي: شفقةً، ليست داعيةً إلى الإخلال بالواجب؛ لأنَّ الرأفة واللِّين ربَّما أورثا ترك الواجب؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] وقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

والمعنى: أنَّا جمعنا له التعطُّف على عباد الله، مع الطَّهارة عن الإخلال بالواجبات، ويحتمل أنَّا آتيناه التعطُّف على الخلق، والطَّهارة [عن المعاصي][(٢)]، فلم يَعْص، ولم يَهُمَّ بمعصية.

الثاني: قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾: تعظيماً من لدنا[(٣)].

والمعنى: آتيناهُ الحكم صبيًّا؛ تعظيماً إذ جعلناه نبيًّا وهو صبيٌّ، ولا تعظيم أكثر من هذا؛ ويدلُّ عليه ما رُوِيَ أنَّ ورقة بن نوفلٍ مرَّ على بلالٍ، وهو يعذب، قد ألصقَ ظهرهُ برمضاء البطحاء، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ، فقال: والذي نفسي بيده، لئنْ قتلْتُمُوه، لأتَّخذنَّهُ حناناً، أي: مُعَظَّماً.

قوله: «مِنْ لَدُنَّا» صفةٌ له.

قوله: «وَزَكَاةً». قال ابن عباس: هي الطَّاعة، والإخلاص[(٤)].

وقال قتادةُ والضحاك: هو العملُ الصَّالح[(٥)].

---

(١) في ب: من لدنا.
(٢) سقط في ب.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣١٦) عن عطاء.
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٠).
(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٧) عن قتادة وابن جريج والضحاك.

والمعنى: آتيناهُ رحمةً من عندنا، وتحنُّناً على العبادِ؛ ليدعوهم إلى طاعة ربِّهم، وعملاً صالحاً في إخلاص.

وقال الكلبيُّ: صدقة[١] تصدَّق الله بها على أبويه، وقيل: زكَّيناه بحُسْن الثَّناء، أي كما يزكِّي الشهودُ الإنسان. وهذه الآيةُ تدلُّ على أن فعل العبد خلقٌ لله تعالى لأنه جعل طهارتهُ وزكاتهُ من الله تعالى، وحملهُ على الألطاف بعيدٌ؛ لأنَّه عدولٌ عن الظَّاهرِ.

قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مُخْلِصاً مُطِيعاً، والتَّقيُّ: هو الذي يتقي ما نهى الله عنه [فيجتنبه][٢]، ويتقي مخالفة أمر الله، فلا يهمله، وأولى النَّاس بهذا الوصف من لم يعْصِ الله، ولا همَّ بمعصيةٍ، وكان يحيى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كذلك.

فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ وهذا حين ابتداء تكليفه.

فالجوابُ: إنَّما خاطب الله تعالى الرسُول بذلك وأخبر عن حاله حيث كان كما أخبر عن نعم الله تعالى عليه.

قوله: «وبَرًّا»: يجوز أن يكون نسقاً على خبر «كان» أي: كان تقيًّا برًّا. ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مقدَّر، أي: وجعلناه برًّا، وقرأ[٣] الحسن «بِرًّا» بكسر الباء في الموضعين، وتأويله واضحٌ، كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وتقدَّم تأويله، و «بِوالِدَيْهِ» متعلقٌ بـ «بَرًّا».

و «عَصِيًّا» يجوز أن يكون وزنه «فَعُولاً» والأصل: «عَصُويٌ» ففعل فيه ما يفعلُ في نظائره، و «فَعُولٌ» للمبالغة كـ «صَبُور» ويجوز أن يكون وزنه فعيلاً، وهو للمبالغة أيضاً.

فصل في معنى الآية

قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: بارًّا لطيفاً بهما محسناً إليهما، «ولَمْ يكُن جبَّاراً عصيًّا». الجبَّار المتكبِّر.

وقال سفيان: الجبَّار الذي يضرب ويقتل على الغضب؛ لقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤] [القصص: ١٩]؛ ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] والجبَّارُ أيضاً: القهار، قال تعالى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

والعَصِيُّ: العاصِي، والمراد: وصفه بالتواضع، ولين الجانب، وذلك من صفات المؤمنين؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

---

(١) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩٠. (٢) سقط من: أ.

(٣) ينظر: الإتحاف ٢/ ٢٣٤، والبحر ٦/ ١٧٧، والدر المصون ٤/ ٤٩٥.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥).

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقيل: الجبَّار: هو الذي لا يرى لأحدٍ على نفسه حقًّا. وقيل غير [ذلك] وقوله: «عصيا» وهو أبلغُ من العاصي، كما أن العليمَ أبلغُ من العالم.

قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

قال محمد بن جرير الطبريُّ[١] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أي: أمانٌ من الله يوم ولد من أن تتناوله الشياطين، كما تناولُ سائر بني آدم ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أي: وأمانٌ عليه من عذاب القبر، ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: ومن عذاب الله يوم القيامة.

وقال سفيان بن عيينة[٢]: أوحشُ ما يكونُ الإنسان في هذه الأحوال [الثلاثة يوم يُولَدُ][٣]، فيرى نفسه خارجاً [مما كان فيه، ويوم يموتُ، فيرى يوماً، لم يكن عاينهُ، ويوم يبعثُ، فيرى نفسهُ][٤] في محشرٍ عظيمٍ، لم ير مثله، فأكرم الله يحيى ـ عليه السلام ـ فخصَّه بالسلامة في هذه المواطن الثلاثة.

قال عبدُ الله بن نفطويه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أي: أوَّل ما رأى الدُّنيا، ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أي: أول يوم يرى فيه أمْرَ الآخرة ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: أوَّل يومٍ يرى فيه الجنَّة والنَّار.

فصل في مزية السلام على يحيى

السلام يمكن أن يكون من الله، وأن يكون من الملائكة، وعلى التقديرين، فيدلُّ على شرفه وفضله؛ لأنَّ الملائكة لا يُسَلِّمون إلا عن أمر الله.

ويدلُّ على أن ليحيى مزية في هذا السلام على ما لسائر الأنبياء؛ كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات: ٧٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]. وقال ليحيى: ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾. وليس ذلك لسائر الأنبياء.

ورُوِي أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال ليحيى ـ عليه السلام ـ: أنت أفضلُ منِّي؛ لأنَّ الله تعالى قال: سلامٌ عليك وأنا سلَّمتُ على نفسي.

وأجاب الحسنُ عن هذا، فقال: هذا يجري مجرى سلام الله على عيسى؛ لأن عيسى معصومٌ، لا يفعل إلا ما أمره الله به.

واعلم: أنَّ السَّلام عليه يوم ولد يكون تفضُّلاً من الله تعالى؛ لأنه لم يتقدَّمه عملٌ يكونُ ذلك السلام جزاءً له، وأمَّا السَّلام عليه يوم يموتُ، ويوم يبعثُ حيًّا، فيجوزُ أن يكُون ثواباً؛ كالمَدْح والتَّعْظِيم[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/٣١٨).
(٢) ذكره الرازي (٢١/١٦٥).
(٣) سقط في ب.
(٤) سقط في ب.
(٥) ذكره الرازي (٢١/١٦٥).

فصل في فوائد هذه القصة

في فوائد هذه القصَّة [أمورٌ][١] منها:

تعليمُ آداب الدعاء، وهو قوله: «نِدَاءً خفيًّا» يدلُّ على أن أفضل الدعاء خفيةً ويؤكِّدهُ قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ ولأنَّ رفع الصوت مشعرٌ بالقُوَّة والجلادةِ، وإخفاءُ الصوت مشعرٌ بالضعف والانكسار، وعمدة الدُّعاء الانكسار والتبرِّي عن حول النَّفس وقوَّتها، والاعتمادُ على فضل الله تعالى وإحسانه.

ويستحبُّ أن يذكر في مقدِّمة الدعاء عجز النَّفس وضعفها؛ كقوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ثم يذكر نعم الله تعالى؛ كقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، ويكون الدعاء لما يتعلق بالدين لا لمحض الدنيا، كقوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ وأن يكون الدُّعاء بلفظ: يا ربِّ.

كما ذكر فيها بيان فضل زكريًّا، ويحيى ـ عليهما السلام ـ أما زكريًّا؛ فلتضرُّعه وانقطاعه إلى الله تعالى بالكليَّة، وإجابة الله تعالى دعاءه، وأن الله تعالى بشَّره، وبشَّرته الملائكةُ، واعتقالُ لسانه عن الكلامِ دُون التَّسبيح.

وأمَّا يحيى؛ فلأنَّه لم يجعل له من قبلُ سميًّا، وقوله ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وكونه رحيماً حناناً وطاهراً، وتقيًّا، وبرًّا بوالديه، ولم يكن جبَّاراً، ولم يعص قطُّ، ولا همَّ بمعصية، ثم سلَّم عليه يوم ولد، ويوم يموتُ، ويوم يبعثُ حيًّا.

ومنها: كونُه تعالى قادراً على خلق الولد، وإن كان الأبوان في نهاية الشيخوخة ردًّا على أهل الطَّبائع.

ومنها: أن المعدوم ليس بشيءٍ؛ لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

فإن قيل: المرادُ «ولمْ تَكُ شيئاً مذكُوراً» كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

فالجوابُ[٢]: أنَّ الإضمار خلافُ الأصل، وللخصم أن يقول: الآيةُ تدلُّ على أن الإنسان لم يكُن شيئاً مذكُوراً، ونحنُ نقولُ به؛ لأنَّ الإنسانَ عبارة عن جواهر متألِّفة قامت بها أعراضٌ مخصوصةٌ، والجواهرُ المتألِّفة الموصوفة بالأغراض المخصوصة ليست ثابتة في العدمِ[٣]، وإنَّما الثابتُ هو [أعيانُ][٤] تلك الجواهر مفردة غير مركَّبة، وهي ليست بالإنسان، فظهر أن الآية لا دلالة فيها على المطلوب. ومنها أن الله تعالى ذكر هذه القصة في «آل عمران»، وذكرها في هذه السورة، فلنعتبر حالها في الموضعين، فنقول: إن الله تعالى بيَّن في هذه السورة أنه دعا ربه، ولم يبين الوقت، وبينه في «آل عمران» بقوله

---

(١) سقط من: ب.

(٢) ينظر: الفخر الرازي ٢١/١٦٦.

(٣) في ب: المعدوم.

(٤) في ب: الاعتبار.

تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٨] إلى أن قال: «هنالك دعا زكريا ربه قال: ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء»، والمعنى أن زكريا ـ عليه السلام ـ لما رأى خرق العادة في حق مريم، طمع في حق نفسه، فدعا ربه، وصرح في «آل عمران» بأن المنادي هو الملائكة، بقوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، والأظهر أن المنادي ههنا بقوله: «يا زكريا إنا نبشرك» هو الله تعالى، وقد تقدم أنه لا منافاة بينهما.

وقال في آل عمران ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] فذكر أولاً كبر نفسه، ثم عقر المرأة وهاهنا قال: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ وجوابه: أنَّ الواو لا تقتضي الترتيب.

وقال في «آل عمران»: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] وقال هاهنا: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ وجوابه: أن ما بلغك فقد بلغته.

وقال في آل عمران: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر﴾ [آل عمران: ٤١].

وقال هاهنا ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

وجوابه: أنه دلَّت الآيتان على أنَّ المراد ثلاثة أيَّام ولياليهنَّ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ
بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ
أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ
قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ
ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ القصة.

اعلم أن الله تعالى إنَّما قدَّم قصَّة يحيى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قصَّة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنَّ الولد أعني: لأن خلق الولد من شيخين فانيين أقربُ إلى مناهج العاداتِ من خلق الولد لا من الأب ألبتَّة، وأحسن طُرُق التعليم والتفهيم الترقِّي من الأقرب فالأقرب، إلى الأصعب فالأصعب.

قوله: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: في «إذ» أوجهٌ:

أحدها: أنَّها منصوبةٌ بـ «اذكُرْ» على أنَّها خرجت عن الظرفيَّة؛ إذ يستحيلُ أن تكون باقيةً على [مُضِيِّها]، والعاملُ فيها ما هو نصٌّ في الاستقبال.

الثاني: أنَّه منصوبٌ بمحذوفٍ مضافٍ لمريم، تقديره: واذكر خبر مريم، أو نبأها؛ إذ انتبذت، فـ «إذْ» منصوبٌ بذلك الخبر، أو النبأ.

والثالث: أنه منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ، تقديره: وبيَّن، أي: الله تعالى، فهو كلامٌ آخرُ، وهذا كما قال سيبويه[1] في قوله: ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وهو في الظرف أقوى، وإن كان مفعولاً به.

والرابع: أن يكون منصوباً على الحال من ذلك المضاف المقدَّر، أي: خبر مريم، أو نبأ مريم، وفيه بعدٌ، قاله أبو البقاء[2].

والخامس: أنه بدلٌ من «مريمَ» بدلُ اشتمال، قال الزمخشريُّ: «لأنَّ الأحيان مشتملةٌ على ما فيها، وفيه: أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا؛ لوقوع هذه القصَّةِ العجيبةِ فيه».

قال أبو البقاء[3] ـ بعد أن حكى عن الزمخشريِّ هذا الوجه ـ: «وهو بعيدٌ؛ لأنَّ الزمان إذا لم يكن حالاً من الجثَّة، ولا خبراً عنها، ولا صفة لها، لم يكن بدلاً منها» انتهى. وفيه نظرٌ؛ لأنه لا يلزمُ من عدم صحَّةِ ما ذكر عدمُ صحَّة البدلية؛ ألا ترى نحو: «سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ» فـ «ثَوْبُهُ» لا يصحُّ جعله خبراً عن «زَيْد» ولا حالاً منه، ولا وصفاً له، ومع ذلك، فهو بدلُ اشتمالٍ.

السادس: أنَّ «إذ» بمعنى «أن» المصدرية؛ كقولك: «لا أكْرِمُكَ إذ لم تُكرمْنِي» أي: لأنَّك لا تُكرِمُني، فعلى هذا يحسنُ بدلُ الاشتمال، أي: واذكُرْ مريم انتباذهَا، ذكره أبو البقاء[4].

وهو في الضعف غايةٌ. و «مكاناً»: يجوزُ أن يكون ظرفاً، وهو الظاهرُ وأن يكون مفعولاً به على معنى: إذ أتتْ مكاناً. قوله: ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ الانتباذُ: افتعالٌ من النَّبْذ، وهو الطَّرْح، والإلقاء، ونُبْذَة: بضمِّ النون، وفتحها أي: ناحيةٌ، وهذا إذا جلس قريباً منك؛

---

(١) ينظر: الكتاب ١/١٤٣.
(٢) ينظر: الإملاء ٢/١١١.
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) ينظر: الإملاء ٢/١١١.

حتى لو نبذتَ إليه شيئاً، وصل إليه، ونبذتُ الشيء: رَمَيْتُهُ، ومنه النَّبِيذُ؛ لأنَّه يطرح في الإناءِ.

ومنه المَنْبُوذ، وهو أصله، فصرف إلى «فعيل»، ومنه قيل للَّقيطِ: منبوذٌ؛ لأنَّه رُمِيَ به.

ومنه النهيُ عن المُنابذةِ في البيع، وهو أن يقول: إذا نبذتُ إليك الثَّوب، أو الحَصَاة، فقد وجب البَيْعُ فقوله: ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: تباعدتْ واعتزلتْ عن أهلها مكاناً في الدار، ممَّا يلي المشرق، ثم إنَّها مع ذلك اتَّخذت من دُون أهلها حِجاباً.

قال ابنُ عباسٍ: سِتْراً، وقيل: جلست وراء جدارٍ، وقال مقاتلٌ: وراء جبل.

فصل

اختلف المفسِّرون في سبب احتجابها، فقيل: إنها لمَّا رأت الحيضَ، تباعدت عن مكان عبادتها تنتظرُ الطُّهْرَ لتغتسلَ، وتعودَ، فلما طهرتْ، جاءها جبريل ـ عليه السلام ـ.

وقيل: طلبت الخلوة للعبادة.

وقيل: تباعدتْ لتغتسِل من الحيضِ، مُحْتجِبة بشيءٍ يستُرها.

وقيل: كانت في منزلِ زَوْجِ أختها زكريَّا، وفيه محراب تسكنه على حدةٍ، وكان زكريَّا إذا خرج يغلقُ عليها، فتمنَّت أن تجد خلوةً في الجبل؛ لتُفلِّي رأسها، فانفرج السَّقفُ لها، فخرجت في المشرقة وراء الجبل، فأتاها الملكُ.

وقيل: عطِشَتْ؛ فخرجت إلى المفازةِ لتستقي، وكل هذه الوجوه محتملة.

واعلم أن المكان الشرقيَّ هو الذي يلي شرقيَّ بيت المقدس، أو شرقيَّ دارها.

قال ابنُ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: إنِّي لأعلمُ خلق الله، لأيِّ شيءٍ اتَّخذت النصارى المشرق قبلةً؛ لقوله: ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فاتَّخذُوا ميلاد عيسى قبلةً، وهو قول الحسنِ ـ رحمه الله تعالى ـ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

الجمهورُ على ضمِّ الراءِ من «رُوحِنَا» وهو ما يَحْيون به، وقرأ[1] أبو حيوة، وسهلٌ بفتحها، أي: ما فيه راحةٌ للعبادِ، كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] وحكى النقاش: أنه قُرِىء[2] «رُوحنًا» بتشديد النُّون، وقال: هو اسمُ ملكٍ من الملائكة.

قوله: «بَشَراً سويًّا» حالٌ من فاعل «تمثَّل» وسوَّغ وُقُوعَ الحالِ جامدة وصفها، فلمَّا وصفت النكرةُ وقعت حالاً.

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ٩، والبحر ٦/ ١٧٠، والدر المصون ٤/ ٤٩٦.

(٢) ينظر: البحر ٦/ ١٧٠، والدر المصون ٤/ ٤٩٦.

فصل في المراد بالروح

اختلفوا في هذا الرُّوح[١]، فالأكثرون على أنَّه جبريل ـ صلوات الله عليه ـ لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وسُمِّي روحاً؛ لأنَّ الدِّين يحيى به.

وقيل: سُمِّي رُوحاً على المجازِ؛ لمحبته، وتقريبه، كما تقول لحبيبك: رُوحِي.

وقيل: المرادُ من الرُّوح[٢]: عيسى ـ صلوات الله عليه ـ جاء في صورة بشرٍ، فحملت به، والأول أصحُّ، وهو أنَّ جبريل عرض لها في صُورةِ شابٍّ أمرد، حسن الوجه، جعد الشَّعْر، سويِّ الخلق وقيل: في صُورة تربٍ لها، اسمه يوسفُ، من خدم بيت المقدس.

قيل: إنما تمثَّل لها في صورة بشر؛ لكي لا تنفر منه، ولو ظهر في صورةِ الملائكة، لنفرت عنه، ولم تقدر على استماع كلامه، وهاهنا إشكالات:

الأول: أنَّه لو جاز أن يظهر الملكُ في صورة الإنسان المعيَّن، فحينئذ؛ لا يمكُننا القطع بأنَّ هذا الشخص الذي نراه في الحال هو زيدٌ الذي رأينا بالأمْسِ؛ لاحتمالِ أن الملك، أو الجنِّي تمثَّل بصورته، وفتحُ هذا الباب يؤدِّي إلى السَّفْسَطةِ، ولا يقال: هذا إنَّما يجوز في زمانِ [جواز][٣] البعثة، فأما في زماننا فلا يجوز.

لنا أن نقول: هذا الفرقُ إنَّما يعلمُ بالدليل، فالجاهلُ[٤] بذلك الدَّليل يجبُ ألا يقطع بأنَّ هذا الشخص الذي رآهُ الآن هو الذي رآه بالأمْسِ.

الثاني: أنه جاء في الأخبار أنَّ جبريل ـ صلوات الله عليه ـ شخصٌ عظيمٌ جدًّا، فذلك الشخصُ ـ كيف صار بدنهُ في مقدارِ جثَّة الإنسان، وذلك يوجبُ تداخل الأجزاء، وهو محالٌ.

الثالث: أنَّا لو جوَّزنا أن يتمثَّل جبريل ـ صلوات الله عليه ـ في صورة الآدمي، فلم لا يجوز تمثُّله في صورة أصغر من الآدميِّ؛ كالذُّباب، والبقِّ، والبعُوضِ، ومعلومٌ أن كلَّ مذهب جرَّ إلى هذا، هو باطلٌ.

الرابع: أن تجويزهُ يفضي إلى القدحِ في خبر التَّواتُر، فلعلَّ الشخص الذي حارب يوم بدرٍ، لم يكُن محمَّداً ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بل كان شخصاً يشبهه، وكذا القولُ في الكُلِّ.

والجوابُ عن[٥] الأوَّل: أن ذلك التجويز لازمٌ على الكُلِّ؛ لأنَّ من اعترف بافتقار العالم إلى الصَّانع المُختار، فقد قطع بكونه قادراً على أن يخلُق شخصاً آخر؛ مثل زيدٍ في خلقه وتخطيطه، وإذا جوَّزنا ذلك، فقد لزم الشكُّ في أنَّ زيداً المشاهد الآن هو الذي

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٦٧.
(٢) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩١.
(٣) سقط في ب.
(٤) في أ: فالحاصل.
(٥) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٦٨.

شاهدناه بالأمْسِ، أم لا، ومن أنكر الصَّانع المختار، وأسند الحوادث إلى اتصالات الكواكب، وتشكُّلات الفلك، لزمه [تجويزُ][(١)] أن يحدث اتصالٌ غريبٌ في الأفلاك يقتضي حدوث شخصٍ، مثل زيدٍ في كُلِّ الأمور، وحينئذٍ يعود التجويزُ المذكُور.

وعن الثاني: أنَّه لا يمتنعُ أن يكون جبريلُ ـ عليه السلام ـ له أجزاءٌ أصليَّةٌ، وأجزاءٌ فاضلةٌ، فالأجزاءُ الأصليَّة قليلةٌ جدًّا؛ فحينئذ: يكون متمكِّناً من التشبُّه بصُورة الإنسان، هذا إذا جعلناه جسمانيًّا، فإذا جعلناهُ روحانيًّا، فأيُّ استبعادٍ في أن يتنوَّع تارة بالهَيْكَل العظيم، وأخرى بالهيكل الصَّغير.

وعن الثالث: أنَّ أصل التجويز قائمٌ في العقل، وإنما عرف فساده بدلائل السَّمع، وهو الجوابُ عن السؤال الرابع.

قوله: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

أي: إن كان يرجى منك أن تتقي الله، فإنِّي عائذةٌ به منك؛ لأنَّها علمتْ أن الاستعاذة لا تُؤثِّرُ في التُّقى، فهو كقول القائل: إن كنت مُسْلماً، فلا تظلمني، أي: ينبغي أن تكُون تقواك مانعاً لك من الفُجور.

كقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

أي: أنَّ شرط الإيمان يُوجبُ هذا؛ لا أنَّ الله تعالى يُخْشَى في حالٍ دون حالٍ.

وقيل: كان في ذلك الزَّمانِ إنسانٌ فاجرٌ يتبعُ النِّساء، اسمهُ تقيٌّ، فظنَّت مريمُ أنَّ ذلك الشخص المشاهد هُو ذاك، والأول أصحُّ. قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ جوابه محذوفٌ، أو متقدِّم.

قوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ﴾: قرأ نافعٌ، وأبو عمرو[(٢)] «ليهَبَ» بالياء والباقون «لأهَبَ» بالهمزة، فالأولى: الظاهرُ فيها أنَّ الضمير للرَّبِّ، أي: ليهبَ الرَّبُّ، وقيل: الأصلُ: لأهَبَ، بالهمز، وإنما قلبتِ الهمزةُ ياءً تخفيفاً؛ لأنها مفتوحةٌ بعد كسرةٍ، فتتفِقُ القراءتان، وفيه بعدٌ، وأمَّا الثانية، فالضميرُ للمتكلِّم، والمراد به الملكُ، وأسنده لنفسه؛ لأنه سببٌ فيه ويؤيده: أن في بعض المصاحف: «أمرني أن أهب لك»؛ ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى، ويكون على الحكاية بقولٍ محذوف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

فصل

لما علم جبريلُ ـ صلوات الله عليه ـ خوفها، قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾؛ ليزول

---

(١) سقط من ب.

(٢) ينظر: السبعة ٤٠٨؛ والنشر ٢/٣١٧، والتيسير ١٤٨، والإتحاف ٢/ ٢٣٤ والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٥، والحجة ٤٤٠، وإعراب القراءات ٢/ ١٤، والبحر ٦/ ١٧٠، والدر المصون ٤/ ٤٩٦.

عنها ذلك الخوف، ولكن الخوف لا يزولُ بمجرَّدِ هذا القول، بل لا بُدَّ من دلالةٍ تدلُّ على أنه كان جبريل ـ صلوات الله عليه ـ، فيحتمل أن يكون قد ظهر معجزٌ، عرفت به أنَّه جبريلُ ـ صلوات الله عليه ـ، ويحتملُ أنَّها عرفت صفة الملائكة من جهة زكريَّا ـ صلوات الله عليه ـ فلمَّا قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أظهر لها من جسده ما عرفت به أنَّه ملكٌ؛ فيكونُ ذلك هو العلمَ، والذي يظهر أنَّها كانت تعرفُ صفة الملك بالأمارات، حين كان يأتيها بالرِّزْق في المحراب، وقال لها زكريَّا: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قوله: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ولداً صالحاً طاهراً من الذُّنوب.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ إنما تعجبت مما بشَّرها جبريلُ؛ لأنَّها قد عرفت بالعادة أنَّ الولادة لا تكونُ إلاَّ من رجُلٍ، والعاداتُ عند أهل المعرفةِ معتبرةٌ في الأمُور، وإن جوَّزنا خلاف ذلك في القدرة، فليس في قولها هذا دلالةٌ على أنَّها لم تعلمْ أنَّه تعالى قادرٌ على خلق الولد ابتداءً، وكيف، وقد عرفت أنَّه تعالى خلق أبا البشر على هذا الحدِّ؛ ولأنَّها كانت منفردةً بالعبادة، ومن يكونُ كذلك، لا بُدَّ أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك.

فإن قيل: قولها ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ كافٍ في المعنى، فلم قالت: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

فالجوابُ[1] من وجهين:

أحدهما: أنها جعلت المسَّ عبارة عن النِّكاح الحلال؛ لأنَّه كنايةٌ عنه قال تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] والزِّنا، إنما يقال فيه: فجر بها، أو ما أشبهه.

والثاني: أن إعادتها؛ لتعظيم حالها؛ كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فكذا هاهنا: إن من لم تعرف من النِّساء بزوج، فأغلظ أحوالها، إذا أتت بولدٍ: أن تكُون زانيةً، فأفردت ذكر البغْي بعد دخوله في الكلامِ؛ لأنَّه أعظَم ما في بابه.

قوله تعالى: «بَغِيًّا»: في وزنه قولان:

أحدهما ـ وهو قولُ المبرِّد ـ أنَّ وزنه «فَعُولٌ» والأصل «بَغُويٌ» فاجتمعت الياء، والواو، [ففعل فيه ما هو معروفٌ][2]، قال أبو البقاء[3]: «ولذلك لم تلحقْ تاءُ التأنيث؛ كما لم تلحقْ في صبُور وشكور» ونقل الزمخشريُّ عن أبي الفتح في كتابه «التمام» أنها فعيلٌ، قال: «ولو كانت فعُولاً، لقيل: بغُوٌّ، كما يقال: فلان نهُوٌّ عن المنكر» ولم يعقبه بنكير، ومن قال: إنها «فَعِيْلٌ» فهل هي بمعنى «فَاعِل» أو بمعنى «مَفْعُول»؟ فإن كانت

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٧٠.

(٢) في أ: فأدغمت الواو في الياء.

(٣) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٢.

بمعنى «فاعل» فينبغي أن تكون بتاء التأنيث؛ نحو: امرأةٌ قديرةٌ وبصيرةٌ، وقد أجيب عن ذلك: بأنها بمعنى النَّسب؛ كحائضٍ وطالقٍ، أي ذات بغيٍ، وقال أبو البقاء[(١)]، حين جعلها بمعنى «فَاعِل»: «ولم تلحقِ التاءُ أيضاً؛ لأنها للمبالغةِ» فجعل العلة في عدم اللحاقِ كونه للمبالغة؛ وليس بشيءٍ، وإن قيل بأنَّها بمعنى «مَفْعُول» فعدمُ الياءِ واضحٌ.

وتقدم الكلامُ على قوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ وهو كقوله في آل عمران ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] لا يمتنعُ عليه ما يريدُ خلقه، ولايحتاجُ في إنشائه إلى الآلاتِ والموادِّ.

قوله: «ولنَجْعَلهُ» يجوز أن يكُون علَّةً، ومُعَلَّلُهُ محذوفٌ، تقديره: لنجعلهُ آيةً للنَّاسِ فعلنا ذلك، ويجوز أن يكون نسقاً على علةٍ محذوفةٍ، تقديره: لنُبَيِّنَ به قدرتنا، ولنجعله آيةً، والضميرُ عائدٌ على الغلام، واسم «كان» مضمرٌ فيها، أي: وكان الغلام، أي: خلقه وإيجاده أمراً مقضياً: أي لا بُدَّ منه.

والمرادُ بـ «الآية» العلامةُ، أي: علامة للنَّاسِ، ودلالةً على قُدرتنا على أنواع الخلق؛ فإنه تعالى خلق آدم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ من غير ذكرٍ ولا أنثى، وخلق حوَّاء من ذكرٍ بلا أنثى، وخلق عيسى ـ صلوات الله عليه ـ من أنثى بلا ذكرٍ، وخلق بقيَّة النَّاسِ من ذكرٍ وأنْثَى.

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ أي: ونعمةً لمنْ تبعه على دينه، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ محكوماً مفروغاً منه، لا يُرَدُّ، ولا يُبَدَّلُ.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾.

قيل: إنَّ جبريل ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ رفع درعها، فنفخ في جيبه، فحملتْ حين لبستْ.

وقيل: نفخ جبريلُ من بعيدٍ، فوصل الرِّيح إليها، فحملت بعيسى في الحالِ.

وقيل: إنَّ النَّفْخة كانت في فيها، فوصلت إلى بطنها.

وقيل: كان النَّافخُ هو الله تعالى؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

وظاهرهُ؛ يفيدُ أنَّ النافخَ هو الله تعالى؛ ولأنه تعالى قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومقتضى التشبيه حُصُول المُشابهة إلاَّ فيما أخرجه الدَّليل، وفي حقِّ آدم النَّافخُ هو الله تعالى؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فكذا هاهنا، وإذا عرفت هذا، ظهر أن في الكلام حذفاً، تقديره: «فنَفخَ فيها، فحملتهُ».

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

قيل: حملتْ، وهي بنتُ [ثلاثَ عشرة سنةً][١].

وقيل: بنتُ عشرين، وقد كانت حاضتْ حيضتين قبل أن تحمل، وليس في القرآن ما يدلُّ على شيء من هذه الأحوال.

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾: الجارُّ والمجرورُ في محلِّ نصب على الحال، أي: انتبذتْ، وهو مصاحبٌ لها؛ كقوله: [الوافر]

٣٥٨٥ ـ .... تَدُوسُ بِنَا الجَمَاجِمَ والتَّرِيبَا[٢]

والمعنى: اعتزلت، وهو في بطنها؛ كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: تنبتُ، والدُّهْنُ فيها.

﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾: بعيداً من أهلها.

قال ابن عبَّاس[٣] ـ رضي الله عنهما ـ: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم؛ فراراً من قومها أن يُعَيِّروها بولادتها من غير زوج[٤].

واختلفوا في علَّة الانتباذِ[٥][٦]؛ فروى الثعلبيُّ في «العَرائسِ» عن وهب قال: إنَّ مريم لمَّا حملتْ بعيسى ـ صلوات الله عليه ـ كان معها ابنُ عمٍّ لها يُسمَّى «يُوسُفَ النَّجَّار»، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند «جَبَلِ صُهْيُون»، وكانت مريمُ ويوسفُ يخدمان ذلك المسجدَ، ولا يعلمُ من أهل زمانهما أحدٌ أشدُّ اجتهاداً منهما، وأوَّلُ من عرف حمل مريم يوسفُ، فتحير في أمرها، فكلَّما أراد أن يتَّهمها، ذكر صلاحها، وعبادتها، وأنَّها لم تغبْ عنه ساعةً قطُّ؛ فقال: إنَّه قد وقع في نفسي من أمركِ شيءٌ، وقد حرصتُ على كتمانِهِ، فغلبني ذلك، فرأيتُ أنَّ الكلام فيه أشفى لصدْرِي فقالت: قُلْ قَوْلاً جَمِيلاً.

قال: أخبريني يا مريمُ، هَلْ يَنْبتُ زَرْعٌ بِغيْرِ بذْرٍ؟ وهلْ تَنْبُتُ شَجرةٌ من غَيْرِ غَيْثٍ؟ وهَلْ يكُونُ ولدٌ من غَيْرِ ذكرٍ؟ قالتْ: نَعَمْ، ألَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللَّه تعالى أنْبَتَ الزَّرْعَ يوْمَ خلقهُ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ، وهذا البَذْرُ إنَّما حصل مِنَ الزَّرْعِ الذي أنْبَتَهُ من غَيْرِ بَذْرٍ.

ألم تعلم أنَّ الله أنبتَ الشَّجرَةَ بغير غَيْثٍ، وبالقُدْرةِ جعل الغَيْثَ حياةَ الشَّجرةِ، بعدمَا خلقَ اللَّهُ كُلَّ واحدٍ مِنْها على حدةٍ؟ أو تقُول: إنَّ الله لا يقدرُ على أنْ يُنْبِتَ الشَّجرة حتَّى استعان بالماءِ، ولوْلاَ ذلكَ، لَمْ يَقْدِرْ على إنباتها؟!.

قال يُوسفُ: لا أقُولُ هذا، ولكنِّي أقُولُ: إنَّ الله تعالى قادرٌ على مَا يَشاءُ، فيقُول: كُنْ فَيكُونُ، فقالت لهُ مريمُ: أو لَمْ تعلمْ أنَّ الله خلق آدَمَ وامْرأتهُ حوَّاء من غير ذكرٍ، ولا

---

(١) في ب: عشر.
(٢) تقدم.
(٣) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩٢.
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٢) عن ابن عباس.
(٥) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٧٢.
(٦) ينظر: تفسير الرازي (٢١/ ١٧٢).

أنثى، فعندهُ زالتِ التُّهْمَةُ عن قلبهِ، وكان ينُوبُ عنها في خدمةِ المسجدِ؛ لاستيلاءِ الضَّعْف عليها؛ بسبب الحَمْلِ، وضيق القَلْبِ، فلمَّا قرُبَ نفاسُها، أوحى الله تعالى إليها أن اخْرُجي من أرض قومكِ؛ لئلاً يقتُلُوا ولدكِ، فاحتملها يوسفُ إلى أرْضِ مِصْر على حمار لهُ، فلمَّا بلغتْ تلك البلادَ، وأدْركهَا النِّفاسُ، فألْجأها إلى أصلِ نخلةِ، وذلك في زمانِ بردٍ، فاحتضنتها، [فوضعت][1] عندها.

وقيل: إنَّها استحيت من زكريَّا، فذهبت إلى مكانٍ بعيدٍ، لئلاً يعلم بها زكريَّا ـ صلوات الله عليه ـ.

وقيل: لأنَّها كانَتْ مشهورةً في بني إسرائيل بالزُّهدِ؛ لنذْرِ أمِّهَا، وتشاحَّ الأنبياءِ في تربيتها، وتكفَّل زكريَّا بِهَا، وكان الرِّزْقُ يأتيها من عند الله تعالى، فلمَّا كانت في نهايةِ الشُّهرةِ اسْتَحْيتْ من هذه الواقعةِ، فذهَبتْ إلى مكانٍ بعيدٍ.

وقيل: خافت على ولدها من القَتْل، لو ولدته بين أظهرهم. وكلُّ هذه الوجُوهِ محتملةٌ، وليس في القرآن ما يدلُّ على شيءٍ منها.

فصل في بيان مدة حمل مريم

اختلفُوا في مُدَّة حملها، فرُوي عن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّها تسعة أشهر؛ كسائر النِّساء[2] في الغالب.

وقيل: ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى؛ لأنَّه لم يعش ولدٌ يولدُ لثمانية أشهر إلاَّ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ.

وقال عطاءٌ، وأبو العالية، والضحاك: سبعةُ أشهر[3] وقيل: ستَّةُ أشهر.

وقال مقاتلُ بنُ سليمان: ثلاثُ ساعاتٍ، حملت به في ساعةٍ، وصُوِّر في ساعةٍ، ووضعته حين زالتِ الشَّمْسِ من يومها[4].

وقال ابنُ عبَّاس: كان الحَمْل والولادةُ في ساعةٍ واحدة[5]، ويدلُّ عليه وجهان:

الأول: قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾، والفاء: للتعقيب؛ فدلَّت هذه الفاءاتُ على أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأحوال حصل عقيبَ الآخَرِ من غير فصْلٍ؛ وذلك يوجبُ كون مدَّة الحَمْل ساعةً واحدة لا يقال: انتباذها مكاناً قصيًّا كيف يحصُلُ في ساعة واحدةٍ؛ لأنَّا نقول: السُّدي فسَّر بأنَّها ذهبت إلى أقصى موضع في جانب محرابها.

الثاني: أنَّ الله تعالى قال في وصفه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ

---

(١) في ب: فولدت.
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٢).
(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٢).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٢).
(٥) ينظر: المصدر السابق.

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فثبت أن عيسى ـ صلواتُ الله عليه ـ كما قال الله تعالى: «كُنْ» فكان، وهذا مما لا يتصوَّر فيه مدَّةُ الحمل، إنَّما يتصوَّر مُدَّة الحمل في المتولِّد عن النُّطفة.

والقَصيُّ: البعيدُ.

يقال: مكانٌ قاصٍ، وقَصِيٌّ بمعنى واحدٍ؛ مثل: عاصٍ وعَصِيٌّ.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: الأصلُ في «جَاءَ»: أنْ يتعدَّى لواحدٍ بنفسه، فإذا دلت عليه الهمزة، كان القياسُ يقتضي تعدِّيه لاثنين، قال الزمخشريُّ: «إلاَّ أنَّ استعماله قد تغيَّر بعد النَّقْل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقولُ: جئتُ المكانَ، وأجاءنيه زيدٌ؛ كما تقولُ: بلغتهُ وأبلغنيه، ونظيرهُ «آتىٰ» حيثُ لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيتُ المكان وآتانيه فلانٌ».

وقال أبو البقاء[1]: الأصلُ «جَاءَهَا» ثم عُدِّي بالهمزة إلى مفعولٍ ثانٍ، واستعمل بمعنى «ألْجَأها».

قال أبو حيَّان: قوله: إنَّ «أجَاءَهَا» [استعمل][2] بمعنى «ألْجَأهَا» يحتاجُ إلى نقل أئمةِ اللغة المستقرئين لذلك من لسانِ العرب، والإجاءةُ تدلُّ على المُطلقِ، فتصلحُ لما هو بمعنى «الإلْجَاءِ» ولما هو بمعنى «الاختيار» كما تقول: «أقَمْتُ زَيْداً» فإنه يصلحُ أن تكون إقامتك لهُ قَسْراً أو اختياراً، وأمَّا قوله: «ألا تراكَ لا تقُولُ» إلى آخره، فمن رأى أنَّ التعدية بالهمزة قياسٌ، أجاز ذلك، وإن لم يسمعْ، ومن منع، فقد سمع ذلك في «جَاءَ» فيجيزُ ذلك، وأمَّا تنظيرهُ ذلك بـ «آتى» فليس تنظيراً صحيحاً؛ لأنَّه بناهُ على أنَّ همزته للتعدية، وأنَّ أصله «أتَى» بل «آتى» ممَّا بُنِيَ على «أفْعَلَ» ولو كان منقولاً من «أتى» المتعدِّي لواحد، لكان ذلك الواحدُ هو المفعول الثاني، والفاعل هو الأوَّل، إذا عدَّيته بالهمزة، تقولُ: «أتى المالُ زيداً» و «آتى عمروٌ زيداً المالَ» فيختلفُ التركيبُ بالتعدية؛ لأنَّ «زَيْداً» عند النحويِّين هو المفعول الأول، و «المال» هو المفعولُ الثاني، وعلى ما ذكره الزمخشريُّ، كان يكون العكس، فدلَّ على أنَّه ليس على ما قاله، وأيضاً، فـ «أتى» مرادفٌ لـ «أعْطَى»، فهو مخالفٌ من حيثُ الدلالة في المعنى، وقوله: «ولَمْ تقُلْ: أتَيْتُ المكانَ، وآتانيه» هذا غيرُ مسلمٍ، بل تقول: «أتَيْتُ المكَانَ» كما تقول: «جِئْتُ المكانَ» وقال الشاعر: [الوافر]

٣٥٨٦ ـ أتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أنتُمْ فقَالُوا: الجِنُّ قُلتُ عِمُوا ظَلامَا[3]

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٢. (٢) سقط من أ.

(٣) البيت لشمر بن الحارث وقيل لغيره ينظر: شواهد الكتاب ٢/ ٤١١، الخصائص ١/ ١٢٩، المقتضب ٢/ ٣٠٦، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٢٥٧، الأشموني ٤/ ٩١، المقرب ١/ ٣٠٠، الهمع ٢/ ٢٥٧، التصريح ٢/ ٢٨٣، البحر ٦/ ١٧٢، الدر المصون ٤/ ٤٩٨.

ومن رأى التعدية بالهمزةِ قياساً، قال: «آتانيه» قال شهاب الدين: وهذه الأبحاث التي ذكرها الشيخُ ـ رحمه الله ـ معه ظاهرةُ الأجوبة، فلا نُطَوِّلُ بذكرها.

وقرأ الجمهورُ «فأجَاءَهَا» أي: ألْجَأهَا وساقها، ومنه قوله: [الوافر]

٣٥٨٧ ـ وجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إليْكُمْ أجَاءَتْهُ المَخَافَةُ والرَّجَاءُ[1]

وقرأ[2] حمَّادُ بن سلمة «فاجَأهَا» بألفٍ بعد الفاء، وهمزة بعد الجيم، من المفاجأة، بزنة «قابلها» ويقرأ[3] بألفين صريحتين؛ كأنهم خَفَّفُوا الهمزة بعد الجيمِ، وبذلك رُويتْ بيْنَ بيْنَ.

والجمهورُ على فتح الميم من «المَخَاض» وهو وجعُ الولادةِ، ورُوِيَ عن ابن كثير[4] بكسر الميم، فقيل: هما بمعنى، وقيل: المفتوحُ: اسمُ مصدر؛ كالعطاءِ والسلام، والمكسورُ مصدرٌ؛ كالقتال واللِّقاء، والفعالُ: قد جاء من واحد؛ كالعقابِ والطِّراقِ، قاله أبو البقاء[5]، والميم أصليةٌ؛ لأنه من «تَمخَّضتِ الحامِلُ تَتَمخَّضُ».

و «إلى جذْعِ» يتعلق في قراءة العامَّة بـ «أجَاءَهَا» أي: ساقها إليه.

وفي قراءة حمَّاد بمحذوفٍ؛ لأنه حالٌ من المفعول، أي: فاجأها مستندةً إلى جذْع النَّخلةِ.

فصل في معنى الآية

المعنى: ألْجَأهَا المخاض، وهو وجعُ الولادةِ إلى جذْعِ النَّخْلة؛ لتستند إليها، وتتمسَّك بها عند وجع الولادة، وكانت نخلة يابسةً في الصحراء في شَدَّة الشِّتاء، ولم يكُن لها سعفٌ، ولا خُضْرة، والتعريف فيها: إمَّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة؛ كتعريف النَّجم [والصَّعق][6] أو كانت تلك الصَّحراء كان فيها جذْع نخلة مشهورٌ عند النَّاس.

فإن قيل: جذعُ النَّخلْة فهم منه ذلك دون سائره، وإمَّا أن يكون تعريف الجنْسِ، أي: إلى جذْعِ هذه الشَّجرة خاصَّةً؛ كأنَّ الله تعالى أرشدها إلى النَّخْلة؛ ليُطعمَها منها الرُّطب الذي هو أشبه الأشياء موافقة للنُّفساء، ولأنَّ النخلة أشدُّ الأشياء صَبْراً على البَرْد، ولا تُثْمِرُ إلاَّ عند اللِّقاح، وإذا قُطِعَ رأسُها، لم تُثْمِرْ، فكأنَّ الله تعالى قال: كما أنَّ الأنثى لا تلدُ إلاَّ مع الذَّكر،

---

(١) البيت لزهير. ينظر: ديوانه (٢٩) شرح ديوان الحماسة ١/ ٣٠٢، البحر ٦/ ١٧٢، القرطبي ١١/ ٦٣، مجاز القرآن ٢/ ٤، روح المعاني ١٦/ ٨١، الدر المصون ٤/ ٤٩٨.

(٢) ينظر في قراءاتها: المحتسب ٢/ ٣٩، والشواذ ٨٤، والقرطبي ١١/ ٦٣، والبحر ٦/ ١٧٢، والدر المصون ٤/ ٤٩٧.

(٣) نسبها ابن خالويه في الشواذ إلى حماد بن سليمان عن عاصم.

(٤) ينظر: القرطبي ١١/ ٦٣، والبحر ٦/ ١٧٢، والدر المصون ٤/ ٤٩٨.

(٥) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٢.

(٦) في ب: وابن الصعق.

فكذا النَّخلة لا تُثْمِر إلا باللِّقاح، ثم إنَّه أظهر الرُّطب من غَيْر اللِّقَاح؛ ليدلَّ ذلك على جواز ظُهُور الولد من غير ذكر. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ تمنَّت الموت.

فإن قيل: كيف تمنَّت الموت مع أنها كنت تعلم أنَّ الله تعالى بعث جبريل ـ صلوات الله عليه ـ ووعدها بأنْ يجعلها وولدها آيةً للعالمين.

فالجوابُ من وجوه:

الأول: تمنَّت الموت استحياءً من النَّاس، فأنْسَاها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى ـ صلوات الله عليه ـ.

الثاني: أنَّ عادة الصَّالحين ـ رضي الله تعالى عنهم ـ إذا وقعُوا في بلاءٍ: أن يقُولُوا ذلك، كما رُوِيَ عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنه [نظر إلى طائرٍ][1] على شجرة، فقال: طُوبى لَكَ، يا طَائِر؛ تقعُ على الشَّجرِ، وتأكُلُ من الثَّمَر، وددت أنِّي ثمرةٌ ينْقُرهَا الطَّائِرُ[2].

وعن عُمر ـ رضي الله عنه ـ أنَّه أخذ تبنة من الأرض، فقال: يا لَيْتَنِي هذه التِّبْنَةُ، يا ليتَنِي لم أكُنْ شيئاً[3].

وعن عليٍّ كُرِّم وجهه يوم الجمل: لَيْتَنِي مِتُّ قبل هذا اليومِ بعشرين سنة[4].

وعن بلالٍ ـ رضي الله عنه ـ: ليت بلالاً لم تلدهُ أمهُ[5].

فثبت أنَّ هذا الكلام يذكُره الصَّالحون عند اشتداد الأمْرِ عليهم.

الثالث: ـ لعلَّها قالت ذلك؛ لئلاَّ تقع المعصيةُ ممن يتكلَّم فيها، وإلاَّ فهي راضيةٌ بما بُشِّرَتْ به.

قوله تعالى: «نَسْياً» الجمهور على النون وسكون السين، وبصريح الياء بعدها، وقرأ[6] حمزة وحفص وجماعة بفتح النون، فالمكسور «فِعْل» بمعنى «مَفعُولٍ» كالذِّبح والطِّحن، ومعناه الشيء الحقيرُ الذي من شأنه أن ينسى؛ كالوتد، والحبلِ، وخرقةِ الطَّمْثِ، ونحوها. تمنت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من حقّه أن ينسى عادة.

قال ابن الأنباري ـ رحمه الله ـ: «من كسر فهو اسمٌ لما يُنسى، كالنِّقص؛ اسمٌ لما ينقصُ، والمفتوحُ: مصدرٌ يسدُّ مسدَّ الوصف» وقال الفرَّاء: «هما لغتان؛ كالوَتْر والوِتْر، والكسرُ أحَبُّ إليَّ».

---

(١) في ب: رأى طائراً.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٣).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٣، ١٧٤).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٤).

(٥) ينظر: المصدر السابق.

(٦) ينظر: السبعة ٤٠٨، والنشر ٢/٣١٨، والحجة ٤٤١، والتيسير ١٤٨، والحجة للقراء السبعة ٥/١٩٦، وإعراب القراءات ٢/ ١٥، والإتحاف ٢/ ٢٣٥.

وقرأ محمدُ بنُ كعب القرظيُّ «نِسْئاً» بكسر[١] النون، والهمزةُ بدل الياء، وروي عنه أيضاً، وعن بكر بن حبيب السهميِّ فتحُ النون مع الهمزة، قالوا: وهو من نسأتُ اللَّبن، إذا صببت فيه ماءً، فاستهلك فيه، فالمكسورُ أيضاً كذلك الشيء المستهلك، والمفتوحُ مصدرٌ؛ كما كان ذلك من النِّسيانِ.

ونقل ابن عطيَّة عن بكر بن حبيبٍ[٢] «نَساً» بفتح النون، والسين، والقصر؛ كـ «عَصاً»، كأنه جعل فعلاً بمعنى مفعولٍ؛ كالقبضِ بمعنى المقبوض.

و «منْسِيًّا» نعتٌ على المبالغة، وأصله «مَنْسُويٌ» فأدغم، وقرأ[٣] أبو جعفرٍ، والأعمشُ «مِنسيًّا» بكسر الميم؛ للإتباع لكسرة السين، ولم يعتدُّوا بالساكن؛ لأنه حاجزٌ غير حصينٍ؛ كقولهم: «مِنْتِنٌ» و «مِنْخِرٌ»، والمقبرة والمحبرة.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: قرأ[٤] الأخوان، ونافع، وحفص بكسر ميم «مِنْ» وجرِّ «تحتها» على الجار والمجرور، والباقون بفتحها، ونصب «تحتها» فالقراءةُ الأولى تقتضي أن يكون الفاعلُ في «نَادَى» مضمراً، وفيه تأويلان:

أحدهما: هو جبريلُ، ومعنى كونه «مِنْ تحتها» أنه في مكانٍ أسفل منها؛ ويدلُّ على ذلك قراءةُ[٥] ابن عبَّاس «فناداها ملكٌ من تحتها» فصرَّح به.

ومعنى كونه أسفل منها: إما أن يكونا معاً في مكانٍ مستوٍ، وهناك مبدأ معيَّنٌ، وهو عند النَّخلة، وجبريلُ بعيدٌ عنها، فكل من كان أقرب، كان فوق، وكُلُّ من كان أبعد، كان تحت، وبهذا فَسَّر الكلبيُّ قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠].

ولهذا قال بعضهم: ناداها من أقصى الوادي.

وقيل: كانت مريم على أكمةٍ عاليةٍ، وجبريل أسفل؛ قاله عكرمة.

ورُوِيَ عن عكرمة: أنَّ جبريل ناداها من تحتِ النخْلَة[٦].

و «مِنْ تَحْتِهَا» على هذا فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلقٌ بالنداء، أي: جاء النداء من هذه الجهة.

والثاني: أنه حالٌ من الفاعل، أي: فناداها، وهو تحتها.

وثاني التأويلين: أنَّ الضمير لعيسى، أي: فناداها المولودُ من تحتِ ذيلها، والجارُّ

---

(١) ينظر: المحتسب ٢/ ٤٠، والقرطبي ١١/ ٦٣، والبحر ٦/ ١٧٢، والدر المصون ٤/ ٤٩٨.

(٢) ينظر: القرطبي ١١/ ٦٣، والبحر ٦/ ١٧٢، والدر المصون ٤/ ٤٩٨.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/ ١٢، والبحر ٦/ ١٧٣، والدر المصون ٤/ ٤٩٨.

(٤) ينظر: السبعة ٤٠٨، والنشر ٢/ ٣١٨، والتيسير ١٤٨، والحجة ٤٤١، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦، ١٩٧، وإعراب القراءات ٢/ ١٦، والإتحاف ٢/ ٢٣٥.

(٥) ينظر: البحر ٦/ ١٧٣، والدر المصون ٤/ ٥٨٣.

(٦) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٧٥.

فيه الوجهان: من كونه متعلِّقاً بالنداء، أو بمحذوفٍ على أنه حالٌ، والثاني أوضحُ.

والقراءة الثانية: تكونُ فيها «مَنْ» موصولةً، والظرفُ صلتها، والمرادُ بالموصول: إمَّا جبريلُ، وإمَّا عيسى.

وقرأ زِرٌّ، وعلقمةُ: «فَخَاطبَهَا» مكان «فَنَادَاها».

فصل في اختلافهم في المنادي

قال الحسنُ وسعيدُ بن جبيرٍ: إنَّ المنادي هو عيسى ـ صلوات الله عليه[١] ـ وقال ابنُ عبَّاسٍ والسديُّ، وقتادةُ، والضحاكُ، وجماعةٌ: إنَّه جبريل ـ صلوات الله عليه[٢] ـ وكانت مريمُ على أكمة [وجبريل][٣] وراء الأكمةِ تحتها.

وقال ابن عيينة، وعاصمٌ: المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى، وعلى القراءة بالكسر هو الملكُ، والأوَّل أقربُ لوجوهٍ:

الأول: أن قوله: ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَها﴾ بفتح الميم إنَّما يستعملُ إذا كان قد عُلِم قبل ذلك أنَّ تحتها أحداً، والذي عُلِمَ كونه تحتها هو عيسى ـ صلوات الله عليه ـ فوجب حملُ اللفظ عليه، وأما قراءةُ كسر الميم، فلا تقتضي كون المنادي «جبريل» صلواتُ الله عليه.

الثاني: أنَّ ذلك الموضع موضعُ اللَّوْث والنَّظر إلى العورة، وذلك لا يليقُ بالملائكةِ.

الثالث: أن قوله «فَنَادَاهَا» فعلٌ، ولا بُدَّ أن يكون فاعله قد تقدَّم ذكره، والذي تقدَّم ذكره هو جبرائيل، وعيسى ـ صلوات الله عليهما ـ، إلا أنَّ ذكر عيسى أقربُ؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾ والضمير عائدٌ إلى المسيح، فكان حمله عليه أولى.

الرابع: أنَّ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ لو لم يكُن كلَّمها، لما علمتْ أنه ينطقُ، ولما كانت تُشيرُ إلى عيسى بالكلام.

فصل في معنى الآية على القولين

من قال: المُنادِي: هو عيسى، فالمعنى: أنَّ الله تعالى أنطقه لها حين وضعتهُ تطييباً لقلبها، وإزالةً للوحشة عنها؛ حتى تشاهد في أوَّل الأمر ما بشَّرها به جبريلُ ـ صلوات الله عليه ـ من عُلُوِّ شأن ذلك الولد.

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٢) عن قتادة وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٢) عن مجاهد وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٢) عن سعيد بن جبير وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
وعن الحسن وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ومن قال: المنادي هو جبريلُ ـ صلوات الله عليه ـ قال: إنه أرسل إليها؛ ليناديها بهذه الكلمات؛ كما أرسل إليها في أوَّل الأمْر؛ تذكيراً للبشارات المتقدمة.

قوله: «ألاَّ تَحْزَنِي» يجوز في «أنْ» أن تكون مفسرةً؛ لتقدُّمها ما هو بمعنى القول، و «لا» على هذا: ناهيةٌ، وحذف النون للجزم؛ وأن تكون الناصبة، و «لا» حينئذٍ نافيةٌ، وحذفُ النُّون للنَّصْب، ومحلُّ «أنْ»: إمَّا نصب، أو جرٌّ؛ لأنها على حذفِ حرفِ الجرِّ، أي: فَنَادَاهَا بكذا، والضميرُ في «تحتها»: إمَّا لمريم ـ صلوات الله عليها ـ وإمَّا للنَّخلة، والأول أولى؛ لتوافق الضميرين.

قوله تعالى: [«سَرِيًّا»] يجوز أن يكون مفعولاً أوَّل، و «تَحْتك» مفعولٌ ثان؛ لأنها بمعنى «صيَّر» ويجوز أن تكون بمعنى «خلق» فتكون «تَحْتَكِ» لغواً.

والسَّرِيُّ: فيه قولان:

أحدهما: إنه الرَّجلُ المرتفع القدر، من «سَرُوَ يَسْرُو» كـ «شَرُفَ، يَشْرُفُ» فهو سريٌّ، وأصله سَرِيوٌ؛ فأعلَّ إعلال سيِّدٍ، فلامهُ واوٌ، والمراد به في الآية عيسى ابنُ مريم ـ صلوات الله عليه ـ، ويجمعُ «سريٌّ» على «سراة» بفتح السين، وسُرَواء؛ كظرفاء، وهما جمعان شاذَّان، بل قياسُ جمعه «أسْرِيَاء» كغَنِيٍّ، وأغنياء، وقيل: السَّرِيُّ: من «سَرَوْتُ الثَّوبَ» أي: نزعتهُ، وسروتُ الجُلَّ عن الفرس، أي: نزعتهُ؛ كأنَّ السريَّ سرى ثوبه؛ بخلاف المُدَّثِّر، والمُتزمِّل، قاله الراغب(١).

والثاني: أنه النَّهْر الصغير، ويناسبه «فكُلِي واشْرَبِي» واشتقاقه من «سَرَى، يَسْرِي» لأن الماءَ يَسْري فيه، فلامه على هذا ياء؛ وأنشدوا للبيدِ: [الرجز]

٣٥٨٨ ـ فَتوسَّطَا عُرْضَ السَّريِّ فصَدَّعا مَسْجُورةً مُتجَاوِزاً قُلاَّمُهَا(٢)

فصل

قال الحسن، وابن زيدٍ: السَّرِيُّ هو عيسى، والسَّرِيُّ: هو النَّبيلُ الجليلُ(٣).

يقال: فلانٌ من سرواتِ قومه، أي: من أشرافهم، وروي أن الحسن رجع عنه.

وروي عن قتادة وغيره: أن الحسن تلا هذه الآية وإلى جنبه حُمَيد بن عبد الرَّحمن الحميريُّ ـ رضي الله عنه ـ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

فقال: إن كان لسريًّا، وإن كان لكريماً، فقال له حميدٌ: يا أبا سعيد، إنما هو

---

(١) ينظر: المفردات ٢٣١.

(٢) من معلقته، ينظر: ديوانه ١٧٠، شرح القصائد العشر ٢٧٢، الطبري ١٦/ ٥٤، البحر المحيط ٦/ ١٦٢، القرطبي ١١/ ٦٤، روح المعاني ١٦/ ٨٣، اللسان «سجر»، الدر المصون ٤/ ٤٩٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٠) عن الحسن وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

الجدول، فقال له الحسنُ «مِنْ ثَمَّ [تُعْجِبُنِي مُجالستُكَ»[١]][٢].

واحتجَّ من قال: هو النَّهر بأنَّ النبيَّ ﷺ سُئِل عن السَّرِيِّ، فقال ـ صلوات الله عليه وسلامه[٣] ـ هو الجدولُ، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلِى وَاشْرَبِى﴾ فدلَّ على أنَّه النَّهر؛ حتى ينضاف الماءُ إلى الرُّطب، فتأكل وتشرب.

واحتجَّ من قال: إنَّه عيسى بأنَّ النهر لا يكون تحتها، بل إلى جنبها، ولا يجوزُ أن يكون يُجابُ عنه بأن المراد أنَّه جعل النَّهر تحت أمرها يجري بأمرها، ويقف بأمرها؛ لقوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١] لأنَّ هذا حمل اللفظ على مجازه، ولو حملناه على عيسى، لم يحتج إلى هذا المجاز.

وأيضاً: فإنَّه موافقٌ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وأجيب[٤]: بما تقدَّم أن المكان المستوي، إذا كان فيه مبدأٌ معيَّن، فكلُّ من كان أقرب منه، كان فوق، وكل من كان أبعد منه، كان تحت.

فصل في التفريع على القول بأن السريّ النهر

إذا قيل: إنَّ السَّرِيَّ: هو النَّهْر، ففيه وجهان:

الأول: قال ابنُ عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ جبرائيل ـ صلواتُ الله عليه وسلامه ـ ضرب برجله الأرض[٥].

وقيل: عيسى؛ فظهرت عينُ ماءٍ عذبٍ، وجرى.

وقيل: كان هناك ماءٌ جارٍ، والأول أقربُ؛ لأنّ قوله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ يدلُّ على الحدوث في ذلك الوقت؛ ولأنَّ الله تعالى ذكرهُ تعظيماً لشأنها، وذلك لا يدلُّ إلا على الوجه الذي قلناه.

وقيل: كان هناك نهرٌ يابسٌ أجرى الله فيه الماء، وحيث النخلة اليابسة، فأورقتْ، وأثمرتْ، وأرطبتْ.

---

(١) في ب: تعجبنا مجالسك.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٣) وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٧) عن البراء مرفوعاً وعزاه إلى الطبراني في «الصغير» وقال: وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٣) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
وفي الباب عن ابن عمر: ذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٥٧ ـ ٥٨) وقال: رواه الطبراني وفيه يحيى ابن عبد الله البابلتي وهو ضعيف.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٣) وزاد نسبته إلى ابن مردويه وابن النجار.

(٤) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٧٥.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٣).

قال أبو عبيدة والفرَّاء: السَّريُّ: هو النَّهْرُ مطلقاً.

وقال الأخفشُ: هو النَّهْرُ الصَّغير.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: يجوز أن تكون الباءُ في «بِجِذْعِ» زائدة، كهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] [وقوله]:

٣٥٨٩ ـ ....لا يَـقْـرَأْنَ بـالـسُّـوَرِ[١]

وأنشد الطبريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: [الطويل]

٣٥٩٠ ـ بِـوادٍ يـمـانٍ يُـنْـبِـتُ الـسِّـدْرَ صـدْرُهُ وأسْـفَـلُـهُ بـالـمَـرْخِ والـشَّـبَـهَـانِ[٢]

أي: ينبت المرخ أي: هُزِّي جذْعَ النَّخلةِ.

أو حركي جذْعَ النَّخلة. قال الفرَّاء: العربُ تقول: هزَّهُ، وهزَّ به، وأخذ الخطام وأخذ بالخطام، وزوَّجتُك فلانة، وبفُلانةٍ ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً، والجارُّ حالٌ من ذلك المحذوف، تقديره: وهُزِّي إليك رُطباً كائناً بجذع النخلة، ويجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى؛ إذ التقدير: هُزِّي الثمرةَ بسبب هزِّ الجِذْع، أي: انفُضِي الجِذْع، وإليه نحا الزمخشريُّ؛ فإنه قال: «أو افْعَلِي الهَزَّ»؛ كقوله: [الطويل]

٣٥٩١ ـ .... يَـجْـرَحْ فـي عَـراقِـيـبِـهَـا نَـصْـلِـي[٣]

قال أبو حيَّان: وفي هذه الآيةِ، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢] ما يردُّ على القاعدة المقرَّرةِ في علم النَّحو: من أنَّه لا يتعدَّى فعلُ المضمرِ المُتَّصل إلى ضميره المتَّصلِ، إلاَّ في باب «ظنَّ» وفي لَفْظَتَيْ «فَقَدَ، وعدِمَ» لا يقالُ: ضربْتَكَ، ولا ضَرَبْتُني، أي: ضَربْتَ أنْتَ نَفْسَكَ، وضَربْتُ أنَا نفسي، وإنما يؤتى في هذا بالنَّفْسِ، وحكمُ المجرور بالحرف حكمُ المنصوب؛ فلا يقال: هَزَزْتَ إليك، ولا زيدٌ هزَّ إليه؛ ولذلك جعل النحويُّون «عَنْ» و «عَلَى» اسمين في قول امرىء القيس: [الطويل]

٣٥٩٢ ـ دَعْ عَنْكَ نَهْباً صيحَ في حُجُراتِهِ ولـكِـنْ حـديـثـاً مـا حَـدِيـثُ الـرَّواحِـلِ[٤]

وقول الآخر: [المتقارب]

٣٥٩٣ ـ هَـوِّنْ عـلـيـكَ فـإنَّ الأمُـورَ بِـكَـفِّ الإلـهِ مـقـاديـرُهَـا[٥]

وقد ثبت بذلك كونهما اسمين؛ لدُخُولِ حرفِ الجرِّ عليهما في قوله: [الطويل]

---

(١) تقدم.

(٢) البيت للأحول اليشكري وقيل لغيره، ينظر: مجاز القرآن ٢/٤٨، البحر ٦/١٧٤، القرطبي ١٢/٢٥، التهذيب «شهم»، اللسان «شبه»، الدر المصون ٤/٥٠٠.

(٣) تقدم. (٤) تقدم.

(٥) تقدم.

٣٥٩٤ ـ غَدَتْ من عليْهِ بعدما تمَّ ظمؤهَا   تَـصِـلُّ وعـن قَـيْـضٍ بِـبَـيْـدَاءَ مَـجْـهَـلِ[1]

وقول الآخر: [البسيط]

٣٥٩٥ ـ فَقُلْتُ للرَّكْبِ لمَّا أن عَلا بِهِمُ   مِـنْ عَـنْ يـمـيـنِ الـحُـبَـيَّـا نـظـرةٌ قَـبْـلُ[2]

وأمَّا «إلى» فحرفٌ بلا خلافٍ، فلا يمكنُ فيها أن تكون اسماً؛ كـ «عَنْ» و «عَلَى» ثم أجاب: بأنَّ «إليكِ» في الآيتين لا تتعلقُ بالفعل قبله، إنما تتعلَّقُ بمحذوفٍ على جهةِ البيان، تقديره: «أعني إليك» قال: «كما تأولوا ذلك في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] في أحد الأوجه».

قال شهاب الدين ـ رضي الله تعالى عنه ـ: وفي ذلك جوابان آخران:

أحدهما: أن الفعل الممنوع إلى الضمير المتصل، إنما هو حيث يكون الفعلُ واقعاً بذلك الضمير، والضمير محلٌّ له؛ نحو: «دَعْ عنْكَ» و «هوِّنْ عليْكَ» وأمَّا الهزُّ والضمُّ، فليسا واقعين بالكاف، فلا محذور.

والثاني: أنَّ الكلام على حذف مضافٍ، تقديره: هُزِّي إلى جهتك ونحوك واضمم إلى جهتك ونحوك.

فصل في المراد بجذع النخلة

قال [القفال[3]][4]: الجِذْعُ من النَّخلة: هو الأسفل، وما دُون الرَّأس الذي عليه الثَّمرة.

وقال قطربٌ: كُلُّ خشبة في أصل شجرة، فهي جذعٌ.

قوله: «تُسَاقِطْ» قرأ حمزةُ[5] «تَسَاقَطْ» بفتح التاء، وتخفيف السين، وفتح القاف، والباقون ـ غير حفص ـ كذلك إلا أنَّهم شدَّدُوا السِّين، وحفصٌ، بضم التاء، وتخفيف السين، وكسر القاف.

فأصلُ قراءةِ غير حفص «تتساقطْ» بتاءين، مضارع «تَساقَطَ» فحذف حمزة إحدى التاءين تخفيفاً؛ نحو: ﴿تَنَزَّلُ﴾ [القدر: ٤] و ﴿تَذَكَّرون﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والباقون أدغمُوا التاء في السِّين، وقراءة حفص مضارعُ «سَاقَطَ».

---

(١) تقدم.

(٢) البيت للقطامي ينظر: ديوانه (٥)، شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٤١، المقرب ١/ ١٩٥، اللسان «عنن»، الدر المصون ٤/ ٥٠٠.

(٣) في ب: الفقهاء.   (٤) في أ: الفقهاء.

(٥) ينظر في قراءاتها: السبعة ٤٠٩، والتيسير ١٤٩، والنشر ٢/ ٣١٨، والحجة ٤٤٢، والمحتسب ٢/ ٤٠، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٧، ١٩٨، وإعراب القراءات ٢/ ١٦، ١٧، والإتحاف ٢/ ٢٣٥، والقرطبي ١١/ ٦٤، والبحر ٦/ ١٧٥.

وقرأ الأعمشُ، والبراء [بنُ عازبٍ] «يَسَّاقَطْ» كالجماعة، إلا أنه بالياء من تحتُ، أدغم التاء في السِّين؛ إذ الأصلُ: «يتساقط» فهو مضارعُ «اسَّاقَطَ» وأصله «يَتَساقَطُ» فأدغمَ، واجتلبتْ همزةُ الوصل؛ كـ «ادَّارَأ» في «تَدَارَأ».

ونقل عن أبي حيوة ثلاثُ قراءاتٍ:

وافقهُ مسروقٌ في الأولى، وهي «تُسْقِطْ» بضم التاء، وسكون السين، وكسر القاف من «أسْقَطَ».

والثانية كذلك إلا أنه بالياء من تحتُ.

الثالثةُ كذلك إلاَّ أنه رفع «رُطَباً جَنِيًّا» بالفاعلية.

وقُرِىء[1] «تَتَسَاقَط» بتاءين من فوقُ، وهو أصل قراءة الجماعة، وتَسْقُط ويَسْقُط، بفتح التاء والياء، وسكون السين، وضمِّ القاف، فرفعُ الرطب بالفاعلية، وتعطي من الأفعال ما يوافقه في القراءات المتقدمة، ومن قرأ بالتاء من فوق، فالفعل مسندٌ: إمَّا للنَّخلة، وإمَّا للثمرةِ المفهومة من السياق، وإمَّا للجذْعِ، وجاز تأنيثُ فعله؛ لإضافته إلى مؤنَّث؛ فهو كقوله: [الطويل]

٣٥٩٦ ـ .... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِن الدَّمِ[2]

وكقراءة ﴿تلتقطه بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] ومن قرأ بالياء من تحت، فالضميرُ للجذْعِ، وقيل: للثَّمر المدلول عليه بالسيِّاق.

وأمَّا نصب «رُطَباً» فلا يخرجُ عن كونه تمييزاً، أو حالاً موطِّئة، إن كان الفعل قبله لازماً، أو مفعولاً به، إن كان الفعل متعدِّياً، [والذَّكِيُّ] يردُّ كلَّ شيءٍ إلى ما يليقُ به من القراءات، وجوَّز المبرِّد في نصبه وجهاً غريباً: وهو أن يكون مفعولاً به بـ «هُزِّي» وعلى هذا، فتكون المسألةُ من باب التنازع في بعض القراءات: وهي أن يكون الفعل فيها متعدِّياً، وتكون المسألةُ من إعمال الثاني، للحذف من الأوَّل.

وقرأ[3] طلحة بن سليمان «جنِيًّا» بكسرِ الجيم إتباعاً لكسرةِ النون.

والرُّطبُ: اسم جنسٍ لرطبة؛ بخلاف «تُخَم» فإنَّه جمعٌ لتخمة، والفرقُ: أنهم لزمُوا تذكيرهُ، فقالوا: هو الرطبُ، وتأنيث ذاك، فقالوا: هي التُّخَمُ، فذكَّرُوا «الرُّطَب» باعتبار الجنس، وأنَّثُوا «التُّخَمَ» باعتبار الجمعيَّة، وهو فرقٌ لطيفٌ، ويجمعُ على «أرطابٍ» شذوذاً كربع وأرباع، والرُّطب: ما قطع قبل يبسه وجفافه، وخصَّ الرُّطب بالرُّطبِ من التَّمر، وأرطَبَ النَّخلُ؛ نحو: أتْمَرَ وأجْنَى.

---

(١) هي قراءة أبي السَّمَّال: ينظر: الشواذ ٨٤، والدر المصون ٤/ ٥٠١، والبحر ٦/ ١٧٥.

(٢) تقدم.

(٣) ينظر: المحتسب ٢/ ٤١، والبحر ٦/ ١٧٥، والدر المصون ٤/ ٥٠١، والكشاف ٣/ ١٤.

والجَنِيُّ: ما طاب، وصلح للاجتناء، وهو «فَعِيلٌ» بمعنى مفعول أي رُطَباً مَجنيًّا، وقيل: بمعنى فاعلٍ، أي: طريًّا، والجنى والجنيُّ أيضاً: المُجْتَنَى من العسلِ، وأجْنَى الشَّجَرُ: أدْرَكَ ثمرهُ، وأجنتِ الأرضُ: كَثُرَ جناها، واستعير من ذلك «جنى فلانٌ جنايةً» كما استعير «اجْتَرَمَ جَرِيمَةً».

فصل في معنى الآية

المعنى جمعنا لك بين الشُّرب والأكل.

قال عمروُ بنُ ميمُون: ليس شيءٌ خيرٌ من التَّمر والرُّطب، ثم تلا هذه الآية.

وقال بعضُ العلماءِ: أكْلُ الرُّطبِ والتَّمرةِ للمرأةِ الَّتي ضربها الطَّلق يُسَهِّل عليها الولادة.

قال الرَّبيعُ بنُ خيثمٍ: ما للنُّفساءِ عندي خيرٌ من الرُّطب، ولا للمرضِ خيرٌ من العسل[1].

قالت المعتزلةُ: هذه الأفعالُ الخارقةُ للعادةِ كانت معجزة لزكريًّا وغيره من الأنبياء؛ وهذا باطلٌ؛ لأنَّ زكريًّا ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ما كان له علمٌ بحالها ومكانها، فكيف بتلك المعجزات؟ بل الحقُّ أنها كانت كراماتٍ لمريم، أو إرهاصاً لعيسى ـ صلوات الله عليهما ـ، لأنَّ النَّخلة لم تكُن مثمرةً، إذ ذاك؛ لأن ميلادهُ كان في زمن الشتاء، وليس ذاك وقت ثَمرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: نصب «عَيْناً» على التمييز منقولٌ من الفاعل؛ إذ الأصلُ: لتقرَّ عينُك، والعامَّة على فتح القاف من «قَرِّي» أمراً من قرَّت عينهُ تَقَرُّ، بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع.

وقُرىء[2] بكسر القاف، وهي لغةُ نجدٍ؛ يقولون: قرَّت عينهُ تقرُّ، بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع، والمشهورُ: أن مكسور العين في الماضي لـ «العيْنِ»، والمفتوحها في «المَكَان» يقال: قررتُ بالمكانِ أقرُّ به، وقد يقال: قررتُ بالمكانِ بالكسر، وسيأتي ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي وصف العين بذلك تأويلان:

أحدهما: أنَّه مأخوذٌ من «القُرّ» وهو البردُ: وذلك أنَّ العين، إذا فرح صاحبها، كان دمعُها قارًّا، أي: بارداً، وإذا حزن، كان حارًّا؛ ولذلك قالوا في الدعاء عليه: «أسْخَنَ اللَّهُ عيْنَهُ» وفي الدعاء له: «أقر اللَّهُ عيْنهُ» وما أحلى قول أبي تمَّام ـ رحمه الله تعالى ـ: [الطويل]

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٥) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) ينظر: القرطبي ١١/ ٦٥، والبحر المحيط ١٦/ ١٧٥ والكشاف ٣/ ١٤، والدر المصون ٤/ ٥٠٢.

٣٥٩٧ ـ فأمَّا عُيُونُ العاشِقِينَ فأسْخِنَتْ وأمَّا عُيونُ الشَّامِتينَ فقرَّتِ[١]

والثاني: أنه مأخوذٌ من الاستقرار، والمعنى: أعطاه الله ما يسكِّنُ عينه فلا تطمحُ إلى غيره.

المعنى: فكلي من الرطب واشربي من النهر «وقرّي عيناً» وطيبي[٢] نفساً، وقدَّم الأكل على الشرب؛ لأن حاجة النُّفساء إلى الرُّطب أشدُّ من احتياجها إلى شرب الماء؛ لكثرة ما سال منها من الدَّم، قيل: «قَرِّي عيْناً» بولدك عيسى، وتقدَّم معناه.

فإن قيل: إن مضرَّة الخوف أشدُّ من مضرَّة الجُوع والعطشِ؛ لأنَّ الخَوْف ألمُ الرُّوح، والجُوع ألمُ البدنِ، وألم الرُّوح أقوى من ألم البدنِ، يروى أنَّه أجيعتْ شاةٌ، فقُدِّمَ إليها علفٌ، وعندها ذئبٌ، فبقيت الشَّاة مدَّة مديدة لا تتناولُ العلف، مع جوعها؛ خوفاً من الذئب، ثم كسر رجلها، وقدم العلفُ إليها، فتناولت العلف، مع ألم البدن؛ فدلَّ ذلك على أنَّ ألم الخوف أشدُّ من ألم البدنِ، وإذا كان كذلك، فلم قدَّم دفع ضرر الجُوع والعطش على دفع ضرر الخوف؟.

فالجوابُ: لأنَّ هذ الخوف كان قليلاً؛ لأنَّ بشارة جبريل ـ صلوات الله عليه ـ كانت قد تقدَّمت، فما كانت تحتاجُ إلى التَّذكرة مرَّة أخرى.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ دخلت «إن» الشرطيةُ على «ما» الزائدةِ للتوكيد، فأدغمتْ فيها، وكتبتْ متَّصلة، و «تَرَيِنَّ» تقدَّم تصريفه.

أي: «أنْ تري»، فدخلت عليه نونُ التَّوكيد، فكسرتِ الياءُ؛ لالتقاء الساكنين.

معناه: فإمَّا ترينَّ من البشر أحداً، فسألك عن ولدكِ والعامَّةُ على صريح الياء المكسورة، وقرأ أبو عمروٍ في رواية «ترَئِنَّ» بهمزة مكسورة بدل الياء، وكذلك رُوي عنه[٣] «لتَرؤنَّ» بإبدالِ الواو همزةً، قال الزمخشري: «هذا من لُغةِ من يقولُ: لبَأتُ بالحَجِّ، وحلأتُ السَّويقَ» ـ يعني بالهمز ـ وذلك لتآخٍ بين الهمز وحروف اللِّين» وتجرَّأ ابنُ خالويه على أبي عمروٍ؛ فقال: «هو لَحْنٌ عند أكْثَرِ النَّحويِّين».

وقرأ أبو جعفر قارىءُ المدينةِ، وشيبةُ، وطلحةُ[٤] «تَرَيْنَ» بياءٍ ساكنة، ونون خفيفة، قال ابن جني: «وهي شاذَّةٌ». قال شهاب الدين: لأنَّه كان ينبغي أن يُؤثِّر الجازمُ، فيحذف نون الرفع؛ كقول الأفوهِ: [السريع]

٣٥٩٨ ـ إمَّا تَرَيْ رَأسِيَ أزْرَى بِهِ مَاسُ زمانٍ ذِي انتِكاثٍ مَئُوسْ[٥]

---

(١) ينظر البيت في ديوانه (٦١)، والبحر المحيط ٦/ ١٦٢، والدر المصون ٤/ ٥٠٢.

(٢) سقط من أ.

(٣) ينظر في قراءاتها: الشواذ ٨٤، والمحتسب ٢/ ٤٢، والبحر ٦/ ١٧٥ والكشاف ٣/ ١٤، والدر المصون ٤/ ٥٠٢.

(٤) الآية رقم ٦ من التكاثر «لترون الجحيم» ينظر: المحتسب ٢/ ٣٧١، والبحر ٦/ ١٧٥.

(٥) ينظر البيت في البحر ٦/ ١٧٥، القرطبي ١١/ ٦٦، روح المعاني ١٦/ ٨٦، الدر المصون ٤/ ٥٠٢.

ولم يُؤثِّر هنا شذوذاً، وهذا نظيرُ قول الآخر: [البسيط]

٣٥٩٩ ـ لولا فَوارِسُ مِنْ نُعْمٍ وأسْرتِهِمْ يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بالجَارِ[١]

فلم يعمل «لَمْ» وأبقى نونَ الرَّفع.

و «من البشر» حالٌ من «أحَداً» لأنه لو تأخَّر، لكان وصفاً، وقال أبو البقاء[٢]: «أو مفعول» يعني أنه متعلِّق بنفس الفعل قبله.

قوله تعالى: «فَقُولِي» بين هذا الجواب، وشرطه جملةٌ محذوفةٌ، تقديره: فإمَّا ترينَّ من البشرِ أحداً، فسألك الكلام، فقُولي، وبهذا المقدَّر نخلصُ من إشكالٍ: وهو أنَّ قولها «فَلَنْ أكَلِّمَ اليومَ إنْسيًّا» كلامٌ؛ فيكون ذلك تناقضاً؛ لأنها قد كلَّمت إنسيًّا بهذا الكلامِ، وجوابه ما تقدَّم.

ولذلك قال بعضهم: إنَّها ما نذرتْ في الحال، بل صبرتْ؛ حتَّى أتاها القَوْم، فذكرت لهم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

وقيل: المرادُ بقوله «فقُولي» إلى آخره، أنه بالإشارة، وليس بشيء؛ بل المعنى: فلن أكلِّم اليوم إنسيًّا بعد هذا الكلام.

وقرأ[٣] زيدُ بن عليٍّ «صِيَاماً» بدل «صوماً»، وهما مصدران.

فصل في معنى صوماً

معنى قوله تعالى: «صَوْماً»: أي صمتاً، وكذلك كان يقرأ ابن مسعُود ـ رضي الله عنه ـ، والصَّوم في اللُّغة: الإمْسَاك عن الطَّعام والكلام.

قال السديُّ: كان في بني إسرائيل[٤] من إذا أراد أن يجتهد، صام عن الكلام، كما يصوم عن الطَّعام، فلا يتكلَّم حتَّى يُمْسِيَ.

قيل: كانت تُكلِّمُ الملائكة، ولا تكلِّم الإنْسَ.

قيل: أمرها الله تعالى بنذر الصَّمْت؛ لئلاً تشرع مع من اتَّهَمَهَا في الكلام؛ لمعنيين:

أحدهما: أن كلام عيسى ـ صلوات الله عليه ـ أقوى في إزالةِ التُّهمَة من كلامهما، وفيه دلالةٌ على أنَّ تفويض[٥] [الأمر][٦] إلى الأفضلِ أولى.

(١) ينظر البيت في الخصائص ١/٣٨٨، والمحتسب ٢/٤٢، شرح المفصل لابن يعيش ٧/٨، المغني ٢/٣٣٩، التصريح ٢/٢٤٧، الهمع ٢/٥٦، الأشموني ٤/٦، الدرر ٢/٧٢، الخزانة ٩/٥، اللسان «صلف»، الدر المصون ٤/٥٠٢.

(٢) ينظر: الإملاء ٢/١١٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٦/١٧٦، والكشاف ٣/١٤ والدر المصون ٤/٥٠٢.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/١٩٣) عن السدي.

(٥) في ب: الكلام. (٦) في ب: الكلام.

الثاني: كراهةُ مجادلة السُّفهاء، وفيه أنَّ السُّكُوت عن السَّفيه واجبٌ، ومن أذلِّ الناس سفيهٌ لم يجد مسافهاً.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾: «به» في محلِّ نصبٍ على الحال من فاعل «أتَتْ»، [أي: أتَتْ] مصاحبة له؛ نحو: جاء بثيابه، أي: ملتبساً بها، ويجوز أن تكون الباءُ متعلقة بالإتيان، وأمَّا «تَحْمِلُه» فيجوز أن يكون حالاً ثانية من فاعل «أتَتْ» ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في «به» وظاهر كلام أبي[(١)] البقاء: أنَّها حالٌ من ضمير مريم وعيسى معاً؛ وفيه نظرٌ.

قوله تعالى: «شَيْئاً» مفعولٌ به، أي: فعلتِ شيئاً، أو مصدرٌ، أي: نوعاً من المجيءِ غريباً[(٢)]، والفَرِيُّ: العظيمُ من الأمر؛ يقال في الخَيْر والشرِّ، وقيل: الفَرِيُّ: العجيبُ، وقيل: المُفْتَعَلُ، ومن الأول، الحديثُ في وصف عمر ـ رضي الله عنه ـ: «فَلَمْ أرَ عَبْقريًّا يَفْرِي فريَّهُ» والفَرْيُ: قطعُ الجلد للخَرْزِ والإصلاح، والإفْرَاء: إفساده، وفي المثل: جاء يَفْرِي الفَرِيَّ، أي: يعمل العمل العظيم؛ وقال: [الكامل]

٣٦٠٠ ـ فلأنْتَ تَفْرِي ما خَلقْتَ وبَعْـ ... ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي[(٣)]

وقرأ أبو[(٤)] حيوة فيما نقل عنه ابنُ خالويه «فَرِيئاً» بالهمز، وفيما نقل ابن عطية «فَرْياً» بسكون الراء.

وقرأ عمر بن لجأ[(٥)] «ما كَانَ أبَاك امْرُؤ سَوْءٍ» جعل النكرة الاسم، والمعرفة الخبر؛ كقوله: [الوافر]

٣٦٠١ ـ .... يَكُونُ مِزاجَهَا عَسَلٌ ومَاءُ[(٦)]

وقوله: [الوافر]

٣٠٦٢ ـ .... ولا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الوَدَاعَا[(٧)]

وهنا أحسنُ لوجودِ الإضافةِ في الاسم.

فصل في كيفية ولادة مريم وكلام عيسى لها ولقومه

قيل: إنَّها ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها.

وقال ابنُ عباس، والكلبيُّ: احتمل يوسفُ النَّجَّار مريم، [وابنها][(٨)] عيسى إلى

---

(١) ينظر: الإملاء ١/ ١١٣. (٢) في أ: فرياً.
(٣) تقدم.
(٤) ينظر: الشواذ ٨٤، والبحر المحيط ٦/ ١٧٦، والدر المصون ٤/ ٥٠٣.
(٥) ينظر: القرطبي ١١/ ٦٩، والبحر ٦/ ١٧٦، والدر المصون ٤/ ٥٠٣.
(٦) تقدم. (٧) تقدم.
(٨) في ب: وولدها.

غارٍ، ومكثَ أربعين يوماً؛ حتَّى طهرتْ من نفاسها، ثم حملتهُ مريمُ إلى قومها، فكلَّمها عيسى في الطَّريق؛ فقال: يا أمَّاهُ، أبشري؛ فإنِّي عبد الله، ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصَّبيُّ، بكَوْا، وحَزِنُوا، وكانُوا أهل بيت صالحين؛ فقالوا ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ عظيماً مُنكراً.

قال أبو عبيدة: كُلُّ أمرٍ فائق من عجبٍ، أو عملٍ، فهو فَرِيٌّ؛ وهذا منهم على وجه الذَّمِّ، والتَّوبيخ؛ لقولهم بعده: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ يريدون: يا شبيهة هارون، قال قتادةُ، وكعبٌ، وابنُ زيدٍ، والمغيرة بنُ شعبة ـ رضي الله عنهم ـ: كان هارُون رجلاً صالحاً عابداً مقدَّماً في بني إسرائيل، رُوِيَ أنَّه تبعَ جنازتهُ يوم مات أربعُون ألفاً، كلُّهم يسمَّى هارون من بني إسرائيل سوى سائر النَّاس، شبَّهُوها به على معنى أنَّنا ظننَّا أنَّك مثلهُ في الصَّلاح، وليس المرادُ منه الأخُوَّة في النَّسب؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1] [الإسراء: ٢٧].

روى المغيرةُ بنُ شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدمتُ [خراسان][2] سألُوني، فقالوا: إنَّكُم تقرءون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلمَّا قدمتُ على رسول الله ﷺ سألتهُ عن ذلك، فقال: إنَّهُمْ كانُوا يُسمُّون بأنبيائهم والصَّالحين قبلهم[3].

قال ابن كثيرٍ: وأخطأ محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ في زعمه أنَّها أختُ موسى وهارون نسباً؛ فإنَّ بينهما من الدُّهُور الطَّويلة ما لا يخفى على من عندهُ أدنى علم، وكأنَّه غرَّه أنَّ في التَّوراة أن مريم ـ أخت موسى، وهارون ـ ضربتْ بالدُّفِّ يوم نجَّى الله موسى وقومه، وغرقَ فرعونُ وجنودهُ، فاعتقد أنَّ هذه هي تلك، وهذا في غاية البُطلان ومخالفةٌ للحديث الصحيح المتقدِّم.

وقال الكلبيُّ: كان هارونُ أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجُل في بني إسرائيل[4].

وقال السُّديُّ: إنَّما عنوا به هارُون أخا موسى[5]؛ لأنَّها كانت من نسله، كما يقال

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٣٥) والماوردي (٣/ ٣٦٨ـ ٣٦٩) والبغوي (٣/ ١٩٣ـ ١٩٤) والقرطبي (٦٨/١١).

(٢) في ب: نجران.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٥) والترمذي (٢/ ١٤٤) وأحمد (٤/ ٢٥٢) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٩٣). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٤).

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي وأخرجه الطبري (٨/ ٣٣٦) وينظر: المصدر السابق.

للتميميِّ: يا أخا تميم، ويا أخا همدان، أي: يا واحداً منهم.

وقيل: كان هارونُ فاسقاً في بني إسرائيل مُعْلِناً بالفِسْق، فشبَّهوها به. وقول الكلبيِّ أقربُ؛ لوجهين:

الأول: أن الأصل في الكلام الحقيقةُ؛ فيحملُ الكلامُ على أخيها المسمَّى بـ «هارُونَ».

الثاني: أنها أضيفت إليه، ووُصف أبواها بالصَّلاحِ؛ وحينئذ يصيرُ التوبيخُ أشدَّ؛ لأنَّ من كان حال أبويه وأخيه هذا الحال، يكونُ صدور الذَّنْب منه أفحش.

ثم قالوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾.

قال ابن عبَّاس، أي: زانياً، «وما كانَتْ أمُّك» حنَّة «بغيًّا» أي: زانية، فمن أين لك هذا الولدُ[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: الإشارةُ معروفةٌ تكون باليد والعين وغير ذلك، وألفها عن ياءٍ، وأنشدوا لكثيرٍ: [الطويل]

٣٦٠٣ ـ فقُلْتُ وفي الأحشاءِ داءٌ مُخامِرٌ ألا حــبَّــذا يــا عــزُّ ذَاكَ الــتَّــشــايــرُ[٢]

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ في «كَانَ» هذه أقوالٌ:

أحدها: أنها زائدةٌ، وهو قولُ أبي عبيدٍ، أي: كيف نُكَلِّمُ من في المهد، و «صَبِيًّا» على هذا: نصبٌ على الحالِ من الضمير المستتر في الجارِّ والمجرورِ الواقع صلة، وقد ردَّ أبو بكرٍ هذا القول ـ أعني كونها زائدة ـ بأنها لو كانت زائدة، لما نصبت الخبر، وهذه قد نصبتْ «صَبيًّا» وهذا الردُّ مردودٌ بما ذكرتهُ من نصبه على الحال، لا الخبر.

الثاني: أنها تامَّةٌ بمعنى حدث ووجد، والتقدير: كيف نكلِّمُ من وجد صبيًّا، و «صبيًّا» حال من الضمير في «كان».

الثالث: أنها بمعنى صار، أي: كيف نُكلِّم من صار في المهد صبيًّا، و «صَبِيًّا» على هذا: خبرها؛ فهو كقوله: [الطويل]

٣٦٠٤ ـ .... قَطَا الحَزْنِ قد كَانَتْ فِرَاخاً بُيُوضُهَا[٣]

الرابع: أنها الناقصةُ على بابها من دلالتها على اقتران مضمونِ الجملة بالزمان الماضي، من غير تعرُّضٍ للانقطاع؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] ولذلك يعبَّر عنها بأنَّها ترادفُ «لَمْ تَزلْ» قال الزمخشريُّ: «كان» لإيقاع مضمون الجملة في زمانٍ ماض مبهمٍ صالح للقريبِ والبعيد، وهو هنا لقريبه خاصَّة، والدَّالُّ عليه معنى

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٤).

(٢) ينظر: ديوانه ٥٠٢، البحر المحيط ٦/ ١٦٢، الدر المصون ٤/ ٥٠٣.

(٣) تقدم.

الكلام، وأنه مسوقٌ للتعجُّب، ووجه آخر: وهو أن يكون «نُكَلِّمُ» حكاية حالٍ ماضيةٍ، أي: كيف عُهِدَ قبل عيسى أن يكلم النَّاس في المهد حتى نُكلمه نحنُ؟.

وأمَّا «مَنْ» فالظاهرُ أنَّها موصولةٌ بمعنى الذي، وضعفُ جعلها نكرة موصوفة، أي: كيف نكلِّم شخصاً، أو مولوداً، وجوَّز الفرَّاء والزجاج[1] فيها أن تكون شرطيَّة، و «كان» بمعنى «يَكُنْ» وجوابُ الشرطِ: إمَّا متقدِّمٌ، وهو: «كَيْف نُكلِّمُ» أو محذوفٌ؛ لدلالةِ هذا عليه، أي: من يكن في المهدِ صبياً، فكيف نُكلِّمُهُ؟ فهي على هذا: مرفوعة المحلِّ بالابتداءِ، وعلى ما قبله: منصوبته بـ «نُكَلِّمُ» وإذا قيل بأنَّ «كان» زائدةٌ؛ هل تتحمَّلُ ضميراً، أم لا؟ فيه خلافٌ، ومن جوَّز، استدلَّ بقوله: [الوافر]

٣٦٠٥ ـ فكَيْفَ إذا مررْت بدارِ قومٍ وجيرانٍ لنا كانُوا كِرَامِ[2]

فرفع بها الواو، ومن منع، تأوَّل البيت؛ بأنَّها غيرُ زائدةٍ، وأنَّ خبرها هو «لنا» قُدِّم عليها، وفصل بالجملة بين الصفة، والموصوف.

وأبو عمرو يدغمُ الدال في الصاد؛ والأكثرون على أنه إخفاء.

فصل في مناظرة مريم لقومها

لمَّا بالغوا في توبيخ مريم سكتت، وأشارت إلى عيسى، أن كلِّمُوه.

قال ابنُ مسعود: لمَّا لم يكُن لها حجَّةٌ، أشارتْ إليه؛ ليكون كلامهُ حُجَّةً لها، أي: هو الذي يُجيبُكُمْ، إذا ناطَقْتُمُوه[3].

قال السديُّ: لما أشارتْ إليه؛ ليكون كلامهُ حجَّة، غضبُوا، وقالوا: لسُخْريتُهَا بنا أشدُّ من زناها، و ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾، والمهدُ: هو حجرها[4].

وقيل: هو المهدُ بعينه.

والمعنى: كيف نكلِّم صبيًّا سبيلهُ أن ينام في المهد؟!.

قال السديُّ: فلما سمعَ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ كلامهم، وكان يرضعُ، ترك الرَّضاع، وأقبل عليهم بوجهه، واتَّكأ على يساره، وأشار بسبَّابة يمينه، فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[5].

وقيل: كلَّمهم بذلك، ثم لم يتكلَّم؛ حتى بلغ مبلغاً يتكلَّم فيه الصبيانُ، وقال وهبٌ: أتاها زكريَّا ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند مناظرتها اليهُود، فقال لعيسى: انْطِقْ بحُجَّتِكَ، إن كنت أمرتَ بها، فقال عيسى عند ذلك وهو ابنُ أربعين يوماً ـ وقال مقاتلٌ: بل هو يوم ولد ـ: إنيِّ عبد الله، أقرَّ على نفسه بالعُبوديَّة للَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ أول ما تكلَّم لئلا يتَّخذ إلهاً، وفيه فوائدُ:

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨.
(٢) تقدم.
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩٤).
(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٨).
(٥) ينظر: المصدر السابق.

الأولى: أن ذلك الكلام في ذلك الوقت، كان سبباً لإزالةِ الوَهْم الذي ذهب إليه النَّصارى؛ فلا جرم: أوَّل ما تكلَّم، قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

الثانية: أنَّ الحاجة في ذلك الوقت، إنَّما هو نفي تُهْمة الزِّنا عن مريم، ثم إنَّ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ لم ينصَّ على ذلك، وإنَّما نصَّ على إثبات عبوديَّة نفسه، كأنَّه جعل إزالة التُّهْمَة عن الله تعالى أولى من إزالة التُّهْمة عن الأمِّ؛ فلهذا: أوَّلُ ما تكلَّم إنما تكلَّم بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

الثالثة: أنَّ التكلُّم بإزالة التُّهْمَة عن [الله تعالى][1] يفيد إزالةَ التُّهمة عن الأمِّ؛ لأنَّ الله تعالى لا يخص الفاجرة بولدٍ في هذه الدرجة العالية، والمرتبة العظيمة، أمَّا التكلُّم بإزالةِ التُّهْمَة عن الأمِّ، فلا يفيدُ إزالة التُّهْمَة عن [الله تعالى][2]، فكان الاشتغالُ بذلك هاهنا أولى.

فصل في إبطال قول النصارى

في إبطال قول النصارى وجوه[3]:

الأول: أنَّهُم وافقونا على أنَّ ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ لم تحلَّ في ناسُوت عيسى، بل قالوا: الكلمةُ حلَّت فيه، والمرادُ من الكلمة العلمُ، فنقول: العلمُ، لما حصل لعيسى، ففي تلك الحالةِ: إمَّا أن يقال: إنَّه بقيَ في ذاتِ الله تعالى، أو ما بقي.

فإن كان الأوَّل، لزِمَ حُصُول الصِّفَة الواحدة في مَحَلَّيْنِ، وذلك غير معقول، ولأنَّه لو جاز أن يقال: العلمُ الحاصلُ في ذات عيسى هو العلمُ الحاصلُ في ذاتِ الله بعينه، فلم لا يجوزُ في حقِّ كلِّ واحدٍ ذلك حتى يكون العلمُ الحاصلُ لكُلِّ واحدٍ هو العلمُ الحاصلُ لذاتِ الله تعالى؟ وإن كان الثاني، لزم أن يقال: إنَّ الله تعالى لا يبقى عالماً بعد حلول علمه في عيسى، وذلك ممَّا لا يقوله عاقلٌ.

قال ابنُ الخطيب[4]:

وثانيها: مناظرة جرت بيني وبين بعض النَّصارى، فقلتُ له: هل تُسلِّم أنَّ عدم الدَّليل لا يدُلُّ على عدم المدلول، أمْ لا؟ فإن أنكرت، لزمكَ ألا يكون الله قديماً؛ لأنَّ دليل وجُودِهِ هو العالمُ، فإذا لَزِمَ من عدمِ الدَّليل عدمُ المدلول، لزِمَ من عدم العالم في الأزل عدم الصانع في الأزل، وإن سلَّمتَ أنَّه لا يلزمُ من عدم الدَّليل عدمُ المدلول، فنقولُ: إذا جوَّزْتَ اتحادَ كلمة الله بعيسى أو حُلولها فيه، فكيف عرفت أنَّ كلمة الله تعالى ما حلَّتْ في زيْدٍ وعمرٍو؟ بل كيف عرفتَ أنَّها ما حلّت في هذه الهرَّة، وفي هذا الكلب؟ فقال: إنَّ هذا السُّؤال لا يليقُ بك؛ لأنَّا إنَّما أثبتنا ذلك الاتحاد، أو الحلول، بناءً على ما

(١) في ب: أبيه.
(٢) في ب: أبيه.
(٣) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨١.
(٤) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨١.

ظهر على يد عيسى من إحياء الموتى، وإبراءِ الأكمه، والأبرصِ، فإذا لم نجدْ شيئاً من ذلك ظهر على يد غيره، فكيف نثبت الاتحادَ، أو الحُلُول؟ فقلتُ له: إنِّي عرفتُ بهذا الكلامِ أنَّك ما عرفت أوَّل الكلامِ؛ لأنَّك سلَّمْتَ لي أنَّ عدم الدليل لا يدلُّ على عدم المدلُول، وإذا كان هذا الحُلولُ غيرَ ممتنعٍ في الجملة، فأكثر ما في هذا الباب أنَّه وُجِدَ ما يدلُّ على حصُوله في حقِّ عيسى، ولم يوجد ذلك الدَّليلُ في حقِّ زيدٍ وعمرو، ولكن عدم الدليل لا يدلُّ على عدم المدلُول؛ فلا يلزمُ من عدم ظهورِ هذه الخوارق على يد زيدٍ وعمرٍو، وعلى السِّنَّوْرِ والكلبِ عدمُ ذلك الحُلُول، فثبت أنَّك مهما جوَّزْت القول بالاتِّحاد، والحلول، لزمك تجويزُ حُصُول ذلك الاتحادِ، والحُلُول في حقِّ كلِّ أحد، بل في حق كل حيوان ونباتٍ، ولكنَّ المذهب الذي يسُوقُ [قائلهُ][١] إلى مثل هذا [القول][٢] الركيك، يكُون باطلاً قطعاً، ثم قلتُ [له] وكيف دلَّ إحياءُ الموتى، وإبراءُ الأكمهِ، والأبرصِ على ما قلت؟ أليس انقلابُ العصا ثعباناً أبعد من انقلاب الميِّت حيًّا، فإذا ظهر على يد مُوسى، ولم يدلَّ على إلهيته، فبأن لا يدلَّ هذا على إلهيَّة عيسى أولى.

وثالثها: أن دلالة أحوال عيسى على العبوديَّة أقوى من دلالتها على الربوبيَّة؛ لأنَّه كان مجتهداً في العبادة، والعبادةُ لا تليقُ إلا بالعبد، وأنَّه كان في نهاية البُعْد عن الدُّنْيَا، والاحترازِ عن أهلها حتى قالت النصارى: إنَّ اليهُود قتلُوه، ومن كان في الضعف هكذا، فكيف يليقُ به الرُّبُوبيَّة؟.

ورابعها: أن المسيح: إمَّا أن يكون قديماً، أو محدثاً، والقولُ بقدمه باطلٌ؛ لأنَّا نعلمُ بالضَّرورةِ أنَّه وُلِدَ، وكان طفلاً، ثم صار شابًّا، وكان يأكُل ويشْرَب، ويعرضُ له ما يعْرِضُ لسائر البشر، وإنْ كان مُحْدَثاً، كان مخلوقاً، ولا معنى للعبُوديَّة إلاَّ ذلك.

فإن قيل: المعنيُّ بالإلهيَّة أنَّه حلَّت فيه صفةُ [الإلهيَّة، قلنا:][٣] هب أنَّه كان كذلك، لكنَّ الحالَّ هو صفةُ الإلهِ، والمسيح هو المحل، والمحلُّ محدثٌ مخلوقٌ، فالمسيحُ عبدٌ محدثٌ، فكيف يمكنُ وصفه بالإلهيَّة؟.

وخامسها: أنَّ الولد لا بُدَّ وأن يكون من جنس الوالد، فإن كان لله تعالى ولدٌ، فلا بُدَّ أن يكُون من جنسه، فإذاً قد اشتركا في بعض الوجوه، فإن لم يتميَّز أحدهما عن الآخر بأمر مَّا، فكلُّ واحدٍ منهما هو الآخر، وإن حصل الامتيازُ، فما به الامتيازُ غيرُ ما به الاشتراكُ؛ فيلزمُ وقوعُ التَّركيب في ذاتِ الله تعالى، وكلُّ مركَّب مُمْكِنٌ، [فالواجب][٤] ممكنٌ؛ هذا خلفٌ، هذا على الاتِّحاد، والحلول.

فإن قيل: قالوا: معنى كونه إلهاً أنَّه سبحانهُ خصَّ نفسه أو بدنهُ بالقُدرة على خلق الأجسام، والتصرُّف في هذا العالمِ، فهذا أيضاً باطلٌ؛ لأنَّ النصارى نقلُوا عنه الضَّعف

---

(١) في ب: تأويله.
(٢) في ب: التأويل.
(٣) في ب: الإله، فالجواب.
(٤) في ب: فالجواب.

والعَجْز، وأنَّ اليهود قتلُوه، فلو كان قادراً على خَلْق الأجسام، لما قَدَرُوا على قَتْله، بل كان هو يقْتُلُهم ويَخْلُق لنفسه عَسْكَراً يذُبُّون عنه.

فإن قيل: قالُوا: معنى كونه إلهاً أنَّه اتَّخذه ابناً لنفسه؛ على سبيل التشريف، وهو قد قال به قومٌ من النصارى، يقال لهم الآريوسية، وليس فيه كثير خطأ إلاَّ في اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: معناه: سيُؤتيني الكتاب، ويجعلني نبيًّا.

روى عكرمةُ عن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ هذا إخبارٌ عمَّا كتبَ له في اللَّوْح المحفُوظ؛ كما قيل للنبيِّ ﷺ: متى كُنْتَ نبيًّا؟ قال: «كُنْتُ نبيًّا، وآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجسَدِ»[١] وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنَّه ألهمَ التوراة، وهو في بطن أمِّه.

وقال الأكثرون: إنه أوتيَ الإنجيل، وهو صغيرٌ طفلٌ، وكان يعقلُ عقل الرِّجال.

فمن قال: الكتابُ: هو التَّوراة، قال: لأنَّ الألف واللاَّم للعهد، ولا معهود حينئذٍ إلاَّ التوراة، ومن قال: الإنجيلُ، قال: الألفُ واللاَّم للاستغراق، وظاهرُ كلام عيسى ـ صلوات الله عليه ـ أنَّ الله تعالى آتاه الكتاب، وجعلهُ نبيًّا، وأمرهُ بالصَّلاة والزَّكاة، وأن يدعو إلى الله تعالى، وإلى دينه، وشريعته من قبل أن يكلِّمهم، وأنه تكلَّم مع أمِّه وأخبرها بحاله، وأخبرها بأنَّه يكلِّمهم بما يدلُّ على براءتها، فلهذا أشارتْ إليه بالكلام.

قال بعضهم: أخبر أنَّه نبيٌّ، ولكنَّه ما كان رسُولاً؛ لأنَّه في ذلك الوقت ما جاء بالشَّريعة، ومعنى كونه نبيًّا: رفيعُ القدر عالي الدرجة؛ وهذا ضعيف لأنَّ النبيَّ في عرف الشَّرع هو الذي خصَّه الله بالنبوَّة وبالرِّسالة، خصوصاً إذا قرن إليه ذكر الشَّرع، وهو قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

وقال مجاهدٌ ـ رضي الله عنه ـ معلِّماً للخَيْر[٢].

وقال عطاءٌ: أدعُو إلى الله، وإلى توحيده[٣] وعبادته.

وقيل: مُباركاً على من اتَّبعني.

روى قتادةُ أنَّ امرأةً رأتهُ، وهو يحيي الموتى، ويُبْرِىءُ الأكمه والأبرص، فقالت: طُوبَىٰ لبطن حملك، وثدي أرضعت به، فقال عيسى مجيباً لها: طُوبَى لمن تلا كتابَ اللَّهِ واتبعَ ما فِيهِ، وعملَ بِهِ، ولمْ يَكُنْ جبَّاراً شَقِيًّا.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ يدلُّ على أن حاله لم يتغيَّر كما قيل: إنَّه عاد إلى حالِ الصِّغَر، وزوالِ التَّكْليف.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٩) عن مجاهد وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٧) وعزاه إلى عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣٤/ ١٩٥) عن عطاء.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: هذه شرطيةٌ، وجوابها: إمَّا محذوفٌ مدلولٌ عليه بما تقدَّم، أي: أينما كُنْتُ، جعلني مباركاً، وإمَّا متقدِّمٌ عند من يرى ذلك، ولا جائزٌ أن تكون استفهاميةً؛ لأنَّه يلزمُ أن يعمل فيها ما قبلها، وأسماءُ الاستفهامِ لها صدرُ الكلامِ، فيتعيَّنُ أن تكون شرطيةً؛ لأنها منحصرةٌ في هذين المعنيين.

ثم قال: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾، أي: أمرني بهما.

فإن قيل: لم يكُن لعيسى مالٌ، فكيف يؤمرُ بالزَّكاة؟ قيل: معناه: بالزَّكاة، لو كان له مالٌ.

فإن قيل: كيف يُؤمَرُ بالصَّلاة والزَّكاة، مع أنَّه كان طفلاً صغيراً، والقلمُ مرفوعٌ عن الصَّغير؛ لقوله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثلاثٍ»[1] الحديث.

فالجوابُ من وجهين[2]:

الأول: أنَّ قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ لا يدلُّ على أنَّه تعالى أوصاهُ بأدائهما في الحالِ، بل بعد البُلُوغ، فيكونُ المعنى على أنَّه تعالى أوصانِي بأدائهما في وَقْت وجوبهما عليَّ، وهو وقتُ البُلُوغ.

الثاني: لعلَّ الله تعالى، لمَّا انفصل عيسى عن أمِّه ـ صلوات الله عليه ـ صيَّرهُ بالغاً، عاقلاً، تامَّ الخلقة؛ ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فكما أنَّه تعالى خلق آدم ـ صلواتُ الله عليه وسلامه ـ تامًّا كاملاً دفعةً، فكذا القولُ في عيسى صلوات الله عليه وهذا أقربُ إلى ظاهر اللَّفْظ؛ لقوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ فإنَّه يفيدُ أنَّ هذا التَّكليف متوجِّه عليه في جميع زمانِ حياته، ولكن لقائل أن يقول: لو كان الأمرُ كذلك، لكان القومُ حين رأوهُ، فقد رأوه شخصاً كامل الأعضاء، تامَّ الخِلْقَة، وصدورُ الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكونُ عجباً؛ فكان ينبغي ألاَّ يَعْجَبُوا.

والجوابُ[3] أن يقال: إنَّه تعالى جعله مع صِغَرِ جثَّته قويَّ التركيب، كامِلَ العَقْل، بحيثُ كان يمكنه أداءُ الصَّلاة والزَّكاة، والآيةُ دالَّة على أنَّ تكليفه لم يتغيَّر حين كان في الأرض، وحين رُفع إلى السَّماء، وحين ينزل مرَّة أخرى؛ لقوله ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ «ما» مصدريةٌ ظرفيةٌ، وتقدمُ «ما» على «دام» شرطٌ في إعمالِها، والتقدير: مُدَّة دوامِي حيًّا، ونقل ابن عطيَّة[4] عن عاصم، وجماعةٍ: أنهم قرءُوا «دُمْتُ» بضم الدَّالِ، وعن ابن كثيرٍ، وأبي عمرو، وأهْلِ المدينة: «دِمْتُ» بكسرها، وهذا لم نره لغيره، وليس هو موجوداً في كتب القراءات المتواترة والشَّاذَّة الموجودة الآن، فيجوزُ أن يكون اطَّلَعَ عليه في مصنف غريبٍ، ولا شكَّ أنَّ في «دَامَ» لغتين، يقالُ: دمتَ

---

(١) تقدم.

(٢) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨٤.

(٤) ينظر: البحر ٦/ ١٧٧، الدر المصون ٤/ ٥٠٤.

تَدُومُ، وهي اللغةُ الغالبةُ، ودمتَ تدامُ؛ كخِفْتَ تخَافُ، وتقدم نظيرُ هذا في مَاتَ يَمُوتُ ومَاتَ يَمَاتُ.

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾: العامَّةُ على فتح الباء، وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه منصوبٌ نسقاً على «مباركاً» أي: وجعلني برًّا.

والثاني: أنَّه منصوبٌ بإضمارِ فعلٍ، واختير هذا على الأوَّلِ؛ لأنَّ فيه فصلاً كثيراً بجملةِ الوصيَّةِ ومتعلَّقها.

قال الزمخشريُّ: جعل ذاتهُ برًّا؛ لفَرْط برِّه، ونصبه بفعل في معنى «أوْصَانِي» وهو «كَلَّفَنِي» لأنَّ أوْصَانِي بالصَّلاة، وكلَّفني بها واحدٌ.

وقُرِىء «برًّا» بكسر الباء[١]: إمَّا على حذفِ مضافٍ، وإمَّا على المبالغة في جعله نفس المصدر، وقد تقدَّم في البقرة: أنه يجوز أن يكون وصفاً على فعلٍ، وحكى الزَّهْراوِيُّ، وأبو البقاء[٢] أنه قُرِىء بكسر الباء، والراء، وتوجيهه: أنه نسقٌ على «الصَّلاة» أي: وأوصاني بالصَّلاة وبالزَّكاةِ، وبالبرِّ، و «بِوالِدَتِي» متعلقٌ بالبرّ، أو البرّ.

فصل فيما يشير إليه قوله «وبرًّا بوالدتي»

قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ إشارةٌ إلى تنزيه أمِّه عن الزِّنا؛ إذ لو كانت زانيةً، لما كان الرسُول المعصومُ مأمُوراً بتعظيمها وبرِّها؛ لأنه تأكَّد حقُّها عليه؛ لتمحض إذ حقها لا والد له سواها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ يدلُّ على أنَّ فعل العبد مخلوقٌ للَّه تعالى؛ لأنَّه لما أخبر أنه تعالى، جعله برًّا، وما جعلهُ جبَّاراً، إنما يحسنُ لو أنَّ الله تعالى جعل غيره جبَّاراً، وجعله [غير] برٍّ بأمِّه؛ فإن الله تعالى، لو فعل ذلك بكلِّ أحدٍ، لم يكُن لعيسى مزيَّةُ تخصيصٍ بذلك، ومعلومٌ أنه ـ صلواتُ الله عليه وسلامهُ ـ إنما ذكر ذلك في معرضِ التخصيصِ، ومعنى قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي ما جعلني جبَّاراً متكبِّراً، بل أنا خاضعٌ لأمِّي، متواضعٌ لها، ولو كنتُ جبَّاراً، كنتُ عاصياً شقيًّا.

قال بعضُ العلماء: لا تجد العاق إلا جباراً شقياً، وتلا: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ولا تجد سيِّىء الملكة إلا مختالاً فخُوراً، وقرأ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾: الألف واللام في «السَّلام» للعهدِ؛ لأنه قد تقدم لفظه في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ١٥] فهو كقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا

---

(١) وهي قراءة الحسن وآخرين، ينظر: الإتحاف ٢/ ٢٣٤، والمحتسب ٢/ ٤٢، والبحر ٦/ ١٧٧، والدر المصون ٤/ ٥٠٥.

(٢) ينظر: الإملاء ٢/ ٦٢.

فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]، أي: ذلك السلامُ الموجَّه إلى يحيى مُوجَّهٌ إليَّ، وقال الزمخشريُّ ـ رحمه الله ـ: «والصحيحُ أن يكون هذا التعريفُ تعريضاً باللعنةِ على متَّهِمِي مريم ـ عليها السلام ـ وأعدائها من اليهُود، وتحقيقه: أنَّ اللاَّم لاستغراق الجنس، فإذا قال: وجنسُ السَّلام عليَّ خاصَّة، فقد عرَّض بأنَّ ضدَّه عليكم، ونظيره قول موسى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

يعني: أنَّ العذاب على من كذَّب، وتولَّى، وكان المقام مقام اللَّجاج والعِنَاد، فيليق به هذا التعريضُ».

فصل في الفرق بين السلام على يحيى، والسلام على عيسى

رُوِيَ أن عيسى ـ صلواتُ الله عليه وسلامه ـ قال ليحيى: أنت خيرٌ منِّي؛ سلَّم الله عليك، وسلَّمتُ على نفسي. وأجاب الحسنُ، فقال: إن تسليمهُ على نفسه تسليمُ اللَّه؛ لأنَّه إنَّما فعله بإذن الله.

قال القاضي[1]: السَّلام عبارةٌ عمَّا يحصُل به الأمانُ، ومنه السَّلامةُ في النِّعم، وزوال الآفاتِ، فكأنَّه سأل ربَّه ما أخبر الله تعالى أنه فعل بيحيى، وأعظمُ احتياج الإنسانِ إلى السَّلامة في هذه الأحْوالِ الثلاثة، وهي يومُ الولادةِ، أي: السَّلامة عند الوَلادة من طعْن الشَّيطان، ويومُ الموت، أي: عند الموت من الشِّرك، ويومُ البعث من الأهوال.

قال المفسِّرُون: لمَّا كلَّمهم عيسى بهذا، علمُوا براءةَ مريم، ثم سكت عيسى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ، فلَمْ يتكلَّم بعد ذلك حتَّى بلغ المدَّة التي يتكلَّم فيها الصِّبْيَان.

قوله: «يومَ ولدتُ» منصوبٌ بما تضمَّنه «عَليَّ» من الاستقرار، ولا يجوزُ نصبه بـ «السَّلام» للفَصْلِ بين المصدرِ ومعمولِه، وقرأ زيدُ بنُ[2] عليٍّ «ولَدَتْ» جعله فعلاً ماضياً مسنداً لضمير مريم، والتاءُ للتأنيث، و «حَيًّا» حالٌ مؤكِّدةٌ.

فصل في الرد على اليهود والنصارى

اعلم أنَّ اليهُود والنَّصارى يُنكِرُونَ أنَّ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ تكلَّم في زمانِ الطفوليَّة؛ واحتجُّوا بأنَّ هذا من الوقائعِ العجيبة، التي تتوافرُ الدَّواعِي على نقلها، فلو وجدت، لنُقلتْ بالتَّواتر، ولو كان كذلكَ، لعرفهُ النَّصارى، لا سيَّما وهم أشدُّ النَّاس بحثاً عن أحواله، وأشدُّ النَّاس غُلُوًّا فيه؛ حتَّى ادعوا كونهُ إلهاً، ولا شكَّ أنَّ الكلام في الطفوليَّة من المناقب العظيمة، فلمَّا لم يعرفه النصارى مع شدَّة الحبِّ، وكمال البَحْثِ عنه، علمنا أنَّه لم يُوجَدْ؛ ولأنَّ اليهود أظهرُوا عداوتهُ حين ادَّعى النُّبُوَّة والرسالة، فلو أنَّه ـ صلوات الله عليه ـ تكلَّم في المَهْد، لكانت عداوتهم معه أشدَّ، ولكان قصدهم قتله أعظم، فحيثُ لم يحصُل شيءٌ من ذلك، علمنا أنَّه ما تكلَّم.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦/ ١٧٨، الدر المصون ٤/ ٥٠٥.

وأمَّا المسلمُون، فاحتجُوا بالعَقْل على أنه تكلَّم، فقالوا: لولا كلامهُ الذي دلَّهم على براءة أمِّه عن الزِّنا، لما تركُوا إقامة الحدِّ عليها، ففي تركِهِمْ لذلك دلالةٌ على أنَّه ـ صلوات الله عليه ـ تكلَّم في المَهْد.

وأجابُوا عن الشُّبْهة الأولى بأنَّه ربَّما كان الحاضِرونَ عند كلامه قليلين؛ فلذلك لم يشتهر.

وعن الثاني: لعلَّ اليهُود ما حَضرُوا هناك، وما سَمِعُوا كلامهُ، وإنَّما سَمِع كلامهُ أقاربهُ؛ لإظهارِ براءةِ أمِّه؛ فلذلك لم يَشْتغلوا بقَتْله.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾: يجوز أن يكون «عِيسَى» خبراً لـ «ذلك» ويجوز أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، و «قَوْلُ الحقِّ» خبره، ويجوز أن يكون «قَوْلُ الحقِّ» خبر مبتدأ مضمرٍ، أي: هو قولُ، و «ابْنُ مَرْيَمَ» يجوز أن يكُونَ نعتاً، أو بدلاً، أو بياناً، أو خبراً ثانياً.

وقرأ[١] عاصمٌ، وحمزةُ، وابنُ عامر «قَوْلَ الحقِّ» بالنَّصب، والباقون بالرفع، فالرفع على ما تقدَّم، قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «وارتفاعه على أنَّه خبرٌ، بعد خبرٍ، أو بدلٌ». قال أبو حيَّان: «وهذا الذي ذكرهُ لا يكُونُ إلاَّ على المجازِ في قولٍ: وهو أنْ يراد به كلمةُ اللَّهِ؛ لأنَّ اللفظ لا يكُونُ الذَّاتَ».

والنَّصْبُ: يجوزُ فيه أن يكون مصدراً مؤكِّداً لمضمُون الجملة؛ كقولك: «هُوَ عَبْدُ الله الحقَّ، لا الباطِلَ» أي: أقولُ قول الحقِّ، فالحقُّ الصِّدقُ، وهو من إضافةِ الموصوف إلى صفته، أي: القول الحقَّ؛ كقوله: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ [الأحقاف: ١٦] أي: الوعد الصِّدق، ويجوز أن يكون منصوباً على المَدْح، إن أريد بالحقِّ الباري تعالى، و «الَّذِي» نعتٌ للقول، إن أريد به عيسى، وسُمِّي قولاً كما سُمِّي كلمةً؛ لأنه عنها نشأ.

وذلك لأنَّ الحق هو اسمُ الله تعالى، فلا فرق بين أن نقول: عيسى هو كلمة الله، وبين أن نقول: عيسى قولُ الحقِّ.

وقيل: هو منصوبٌ بإضمار «أعْنِي» وقيل: هو منصوبٌ على الحالِ من «عيسَى» ويؤيِّدُ هذا ما نُقِلَ عن الكسائيِّ في توجيهِ الرفعِ: أنه صفةٌ لعيسى.

وقرأ الأعمشُ «قالُ» برفع اللاَّم، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ أيضاً، وقرأ الحسن «قُولُ» بضم القاف، ورفع اللام وكذلك في الأنعام ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وهي مصادر لِـ

---

(١) ينظر في قراءاتها: السبعة ٤٠٩، والنشر ٢/٣١٨، والحجة ٤٤٣، والتيسير ١٤٩ والحجة للقراء السبعة ٥/٢٠١، وإعراب القراءات ٢/١٨، والإتحاف ٢/٢٣٦ والشواذ ٨٤، والبحر ٦/١٧٨، ١٧٩.

«قَالَ» يقالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلاً وقَالاً وقُولاً؛ كالرَّهْبِ، والرَّهَب والرُّهْب، وقال أبو البقاء: «والقَالُ: اسمٌ للمصدر؛ مثلُ: القِيلِ، وحُكِيَ «قُولُ الحقِّ» بضمِّ القاف؛ مثل «الرُّوحِ» وهي لغةٌ فيه». قال شهاب الدين: الظاهرُ أنَّ هذه مصادرُ كلُّها، ليس بعضها اسماً للمصدر، كما تقدَّم تقريره في الرَّهْبِ والرَّهَبِ والرُّهْبِ.

وقرأ طلحةُ والأعمشُ «قَالَ الحقُّ» جعل «قَالَ» فعلاً ماضياً، و «الحَقُّ» فاعلٌ، والمرادُ به الباري تعالى، أي: قَالَ اللَّهُ الحقُّ: إنَّ عيسى هو كلمةُ الله، ويكونُ قوله «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» خبراً لمبتدأ محذوف.

وقرأ[1] عليُّ بنُ أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ والسلميُّ، وداودُ بنُ أبي هندٍ، ونافعٌ، والكسائيُّ في رواية عنهما [«تَمْتَرُونَ» بتاء] الخطاب، والباقون بياءِ الغيبة، وتَمْتَرُون: تَفْتَعِلُون: إمَّا من المريةِ، وهي الشَّكُّ، وإمَّا من المراء، وهو الجدالُ.

وتقدَّم الكلامُ على نصب «فَيَكُونَ».

فصل فيما تشير إليه «ذلك»

«ذَلِكَ» إشارةٌ إلى ما تقدَّم.

قال الزَّجَّاج[2] ـ رحمه الله ـ، أي: ذلك الذي قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ عيسى ابن مريم إشارةٌ إلى أنَّه ولدُ هذه المرأة، لا أنَّه ابنُ الله [كما زعمت النصارى][3].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، أي: يختلفُون، وأما امتراؤهُم في عيسى، فقائلٌ يقُولُ: هو ابنُ الله، وقائلٌ يقولُ: هو الله، وقائل يقُولُ: هو ساحرٌ كاذبٌ، وتقدَّم الكلامُ على ذلك في آل عمران.

ورُوِيَ أن عيسى ـ صلوات الله عليه ـ لمَّا رفع، حضر أربعةٌ من [أكابر][4] علمائهم، فقيل للأوَّل: ما تُقولُ في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرضِ، خلق، وأحيى، ثم صعد إلى السَّماء، فتبعهُ على ذلك خلقٌ، وهم اليَعْقُوبيَّةُ، وقيل للثاني: ما تقُولُ؟ قال: هو ابنُ الله، فتابعهُ على ذلك ناسٌ، وهم النسطورية، [وقيل للثالث: ما تقول؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك أناس، وهم الإسرائيلية][5]، وقيل للرابع: ما تقولُ؟ فقال: عبدُ الله ورسولهُ، وهو المؤمنُ المُسْلم، وقال: أما تعلمُونَ أنَّ عيسى كان يطعمُ، وينام، وأنَّ الله تعالى لا يجُوزُ ذلك عليه، فخصمهم.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ نفى عن نفسه الولد، أي: ما كان من نعته اتخاذ الولد.

---

(١) ينظر: الإتحاف ٢/ ٢٣٦، والقرطبي ١١/ ٧٢، والبحر ٦/ ١٧٩، والكشاف ٢/ ١٦، والدر المصون ٤/ ٥٠٦.
(٢) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩٥.
(٣) سقط من أ.
(٤) سقط من أ.
(٥) سقط من أ.

والمعنى: أنَّ ثبوت الولد له محالٌ، فقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ كقولنا: ما كان للَّهِ أن يكون له ثانٍ وشريكٌ، أي: لا يصحُّ ذلك، ولا ينبغي، بل يستحيلُ؛ فلا يكونُ نفياً على الحقيقةِ، وإن كان بصُورة النَّفْي.

وقيل: اللاَّم منقولةٌ، أي: ما كان ليتَّخذ من ولدٍ، والمرادُ: ما كان اللَّه أن يقُول لأحدٍ: إنَّه ولدي؛ لأنَّ مثل [هذا] الخبرِ كذبٌ، والكذبُ لا يليقُ بحكمةِ الله تعالى وكماله، فقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ كقولنا: ما كان للَّه أن يظلم، أي: لا يليقُ بحكمته، وكمالِ إلهيَّتِهِ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ إذا أراد أن يحدث أمْراً، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وهذا كالحُجَّة على تَنْزيهه عن الولدِ، وبيانهُ: أن الَّذي يجعلُ للَّهِ ولداً، إما أن يكون الولدُ قديماً أزليًّا، أو مُحْدَثاً، فإن كان أزليًّا، فهو محالٌ؛ لأنَّه [لو كان واجباً لذاته، لكان واجبُ الوجودِ أكثر من واحدٍ،][1] ولو كان [مُمْكِناً][2] لذاته، لافتقر في وجوده إلى الواجب لذاته؛ لأنَّ الواجب لذاته غنيٌّ لذاته، فلو كان مفتقراً في وجودهِ إلى الواجبِ لذاتِهِ، كان ممكناً لذاته، والممكنُ لذاته محتاجٌ لذاته، فيكُون عبداً له؛ لأنَّهُ لا معنى للعبُوديَّة إلاَّ ذلك.

وإن كان الولدُ مُحْدَثاً، فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم، وإيجاده، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

فيكونُ عَبْداً، لا ولداً؛ فثبت أنه يستحيلُ أن يكون لله ولدٌ.

فصل في قدم كلام الله تعالى

دلَّت هذه الآية على قدم كلام الله تعالى؛ لأنَّه إذا أراد إحداث شيءٍ، قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فلو كان بقوله: «كُنْ» مُحْدَثاً، لافتقر حدوثهُ إلى قولٍ آخر، ولزمَ التَّسَلْسُل؛ وهو محال؛ فثبت أنَّ قول الله تعالى، قديمٌ، لا مُحْدَث.

واحتج المعتزلةُ بالآية على حُدُوثِ كلامِ الله تعالى من وجوه:

أحدها: أنه تعالى أدخل كلمة «إِذَا» وهي دالَّة على الاستقبال؛ فوجب ألاَّ يحصُلَ ذلك القولُ إلاَّ في الاستقبال.

ثانيها: أنَّ «الفاء» للتعقيب، و «الفاءُ» في قوله: «فإنَّمَا يَقُولُ» يدلُّ على تأخير ذلك القول عن ذلك القضاء والمتأخِّر عن غيره مُحدثٌ.

وثالثها: «الفاءُ» في قوله «فَيَكُونُ» يدلُّ على حصول ذلك الشيء عقيب ذلك القول من غير فصلٍ؛ فيكون قولُ اللَّهِ تعالى متقدِّماً على حُدُوث الحادث تقديماً بلا فَصْلٍ،

---

(١) في أ: يكون ولا حياء ذاته، ولو كان واجباً لذاته.
(٢) في ب: واجباً.

والمتقدم على المحدثِ تقديماً بلا فصل يكونُ مُحْدَثاً، فقولُ الله محدثٌ.

قال ابنُ الخطيبِ[١] ـ رحمه الله ـ: واستدلالُ الفريقين ضعيفٌ.

أمَّا الأوَّل؛ فلأنَّه يقتضي أن يكون قوله «كُنْ» قديماً، وذلك باطلٌ بالاتِّفاق.

وأمَّا استدلالُ المعتزلة؛ فلأنَّه يقتضي أن يكون قولُ الله تعالى الذي هو مركَّبٌ من الحروف، والأصوات مُحْدَثاً؛ وذلك لا نزاع فيه، [لأن][٢] المدَّعى قدمُه شيءٌ آخرُ.

فصل في أقوال الناس في قوله «كُنْ»

من النَّاس من أجْرَى الآيةَ على ظاهرها، وزعم أنَّه تعالى، إذا أحدث شيئاً، قال له: كُنْ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّه إما أن يقُول له: كُنْ قبل حدوثه، أو حال حُدُوثه، فإن كان الأوَّل، كان خطاباً مع المعدُوم، وهو عبثٌ، وإن كان حال حدوثه، فقد وُجِدَ بالقُدْرة، والإرادة، لا بقوله «كُنْ» ومن النَّاسِ من زعم أنَّ المراد من قوله: «كُنْ» هو التخليقُ والتكوينُ؛ لأنَّ القُدْرَة على الشَّيء غير، وتكوين الشيء غيرٌ فإنَّ الله تعالى قادرٌ في الأزل، وغير مُكَوِّن في الأزل؛ ولأنَّه الآن قادرٌ على عالم سوى هذا العالم، وغير مكوِّن له، فالقادريَّة غير المكوِّنيَّة، والتكوينُ ليس هو نفس المكوَّن؛ لأنَّ المكوَّن إنما حدث؛ لأنَّ الله تعالى كونه، وأوجده، فلو كان التَّكوين نفس المكوَّن، لكان قولنا: «المُكَوَّن إنَّما وجد بتكوين الله» بمنزلةِ قولنا: «المُكَوَّنُ إنَّما وجد بنَفْسِه» وذلك محالٌ؛ فثبت أنَّ التكوين غير المُكوَّن، فقوله «كُنْ» إشارةٌ إلى الصفة [المسمَّاة] بالتكوين.

وقال آخرون: قوله سبحانه وتعالى: «كُنْ» عبارةٌ عن نفاذ قُدرة الله تعالى ومشيئته في المُمْكِنَات؛ فإنَّ وقوعها بتلك القُدْرة والإرادة من غير امتناع واندفاع يجرى مُجْرَى العَبْد المُطِيع المُنْقَاد لأوامر الله تعالى، فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارةِ على سبيلِ الاستعارة.

قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: قرأ[٣] ابن عامرٍ، والكوفيُّون «وإنَّ» بكسر «الهمزة» على الاستئناف، ويؤيِّدها قراءةُ أبيٍّ «إنَّ اللَّه» بالكسر، دون واو، وقرأ الباقون بفتحها، وفيها أوجهٌ:

أحدها: أنها على حذف حرف الجرِّ متعلِّقاً بما بعده، والتقدير: ولأنَّ اللَّهُ ربِّي وربُّكم فاعبدُوهُ؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] والمعنى: لوحدانيَّته أطيعوهُ، وإليه ذهب الزمخشريُّ تابعاً للخليل وسيبويه[٤] ـ رحمة الله عليهم ـ.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/١٨٦. (٢) في أ: إنما.

(٣) ينظر في قراءاتها: السبعة ٤١٠، والنشر ٢/٣١٨، والحجة ٤٤٤، والتيسير ١٤٩، والحجة للقراء السبعة ٥/٢٠٢ وإعراب القراءات ٢/١٩ والإتحاف ٢/٢٣٧، والقرطبي ١١/٧٢، والبحر ٦/١٧٩.

(٤) ينظر: الكتاب ١/ ٤٦٤ـ ٤٦٥.

الثاني: أنها عطفٌ على «الصَّلاةِ» والتقديرُ: وأوصاني بالصلاةِ، وبأنَّ الله، وإليه ذهب الفراء[(١)]، ولم يذكر مكّي[(٢)] غيره؛ ويؤيِّده ما في مصحف أبيٍّ «وبأنَّ الله ربِّي» بإظهار الباءِ الجارَّة، وقد استُبْعِد هذا القولُ؛ لكثرةِ الفواصلِ بين المتعاطفين، وأمَّا ظهورُ الباءِ في مصحفِ أبيٍّ؛ فلا يُرجِّحُ هذا؛ لأنها باءُ السببيةِ، والمعنى: بسببِ أنَّ الله ربِّي وربُّكم فاعبدُوهُ، فهي كاللاَّم.

الثالث: أن تكون «أنَّ» وما بعدها نسقاً على «أمْراً» المنصُوبِ بـ «قَضَى» والتقديرُ: وإذا قضى أمراً، وقضى أنَّ الله ربِّي وربُّكم، ذكر ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاءِ، واستبعد الناسُ صحَّة هذا النقلِ عن أبي عمرو؛ لأنَّه من الجلالةِ في العلم والمعرفة بمنزلٍ يمنعهُ من هذ القولِ؛ وذلك لأنَّه إذا عطف على «أمْراً» لزم أن يكونَ داخلاً في حيِّز الشرطِ بـ «إذَا» وكونُه تبارك وتعالى ربنا لا يتقيَّد بشرطٍ ألبتَّة، بل هو ربُّنا على الإطلاق، ونسبوا هذا الوهم لأبي عبيدة؛ لأنه كان ضعيفاً في النَّحو، وعدُّوا له غلطاتٍ، ولعلَّ ذلك منها.

الرابع: أن يكون في محلِّ رفعِ خبر ابتداءٍ مضمرٍ، تقديره: والأمرُ أنَّ الله ربِّي وربُّكم، ذكر ذلك عن الكسائيِّ، ولا حاجة إلى هذا الإضمارِ.

الخامس: أن يكون في محلِّ نصبٍ نسقاً على «الكتاب» في قوله «قال إني عبدُ الله آتاني الكتابَ» على أن يكونَ المخاطبُ بذلك مُعاصِري عيسى ـ عليه صلوات الله ـ والقائلُ لهم ذلك عيسى، وعن وهبٍ: عهد إليهم عيسى: أنَّ الله ربي وربُّكم، قال هذا القائل: ومن كسر الهمزة يكون قد عطف «إنَّ الله» على قوله «إنِّي عبد الله» فهو داخلٌ في حيِّز القولِ، وتكون الجملُ من قوله «ذلك عيسى ابْنُ مريمَ» إلى آخرها جمل اعتراضٍ.

وهذا من البعد بمكان كأنَّه قال: إنِّي عبد الله، والله ربِّي وربُّكم، فاعبدوه، وهذا قول أبي مسلمٍ[(٣)] الأصفهانيِّ، وهو بعيدٌ.

فصل في دلالة الآية

قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ يدلُّ على أنَّ مدبِّر العالم، ومصلح أمورهم هو الله سبحانه وتعالى [على] خلافِ قول المُنَجِّمين، أنَّ المدبِّر للنَّاس، ومُصلحَ أمورهم في السَّعادة والشَّقاوةِ هي الكواكبُ، ويدلُّ أيضاً على أنَّ الإله واحدٌ؛ لأنَّ لفظ «الله» اسمٌ علمٌ له سبحانه، لا إله إلا هو، فلمَّا قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾، أي: لا ربَّ للمخلوقاتِ سوى الله؛ وذلك يدلُّ على التَّوحيد.

وقوله «فاعْبدُوهُ» قد ثبت في أصُول الفقهِ أنَّ ترتيب الحكم على الوصف المناسب

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٦٨.

(٢) ينظر: المشكل ٢/ ٥٧.

(٣) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٨٧.

مُشْعِرٌ بالعليَّة، فهاهنا وقع الأمر بالعبادة مُرتَّباً على ذكر وصف الربوبيَّة، فدلَّ على أنَّه إنَّما يلزمنا عبادته سبحانه؛ لكونه ربًّا لنا؛ وذلك يدلُّ على أنه تعالى إنَّما تجبُ عبادتهُ لكونهُ منعماً على الخلائق بأنواع النِّعم؛ ولذلك فإنَّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لمَّا منع أباه من عبادة الأوثان، قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] أي: إنَّها لما لم تكن منعمة على العبادِ، لم تجز عبادتها، وبيّن هاهنا أنَّه لما ثبت أن الله تعالى لمَّا كان ربًّا ومُربِّياً، وجبتْ عبادتهُ، فقد ثبت طرداً وعكساً تعلُّق العبادة بكون المعبُود مُنْعِماً، ثم قال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يعنى القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة صراط مستقيم، وسمي هذا القول صراطاً مستقيماً][(١)] تشبيهاً بالطَّريق؛ لأنَّه المؤدِّي إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾.

قيل: المرادُ النَّصارى، سُمُّوا أحزاباً؛ لأنهم تحزَّبُوا ثلاث فرق في أمر عيسى: النُّسْطُوريَّة، والملكانيَّة [واليعقُوبيَّة][(٢)] وقيل: المراد بالأحزاب الكفَّارُ بحيثُ يدخلُ فيهم اليهودُ، والنصارى، والكفَّار الذين كانوا في زمان محمَّد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهذا هو الظاهرُ؛ لأنَّه تخصيصٌ فيه، ويؤيِّدهُ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قوله: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: «مَشْهَد» مفعل: إمَّا من الشَّهادة، وإمَّا من الشُّهود، وهو الحضورُ، و «مَشْهَد» هنا: يجوز أن يراد به الزمانُ، أو المكان، أو المصدر: فإذا كان من الشهادة، والمرادُ به الزمانُ، فتقديرهُ: من وقتِ شهادة، وإن أريد به المكانُ، فتقديره: من مكانِ شهادةِ يوم، وإن أريد به المصدرُ، فتقديره: من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم ألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، والملائكةُ، والأنبياءُ، وإذا كان من الشهود؛ وهو الحضورُ، فتقديره: من شهود الحساب والجزاء يوم القيامة، أو من مكان الشُّهود فيه، وهو الموقفُ، أو من وقت الشُّهود، وإذا كان مصدراً بحالتيه المتقدمتين، فتكونُ إضافتهُ إلى الظرف من باب الاتِّساع؛ كقوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ويجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله على أن يجعل اليوم شاهداً عليهم: إمَّا حقيقة، وإمَّا مجازاً.

ووصف ذلك المشهد بأنَّه عظيمٌ؛ لأنَّه لا شيء أعظم ممَّا يشاهدُ ذلك اليوم من أهواله.

---

(١) سقط من: أ.

(٢) في ب: والمار يعقوبية.

قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: هذا لفظ أمرٍ، ومعناه: التعجُّب، وأصحُّ الأعاريب فيه، كما تقرَّر في علم النَّحو: أنَّ فاعله هو المجرور بالباءِ، والباءُ زائدة، وزيادتها لازمةٌ؛ إصلاحاً للفظ؛ لأنَّ «أفْعِلْ» أمراً لا يكون فاعله إلاَّ ضميراً مستتراً، ولا يجوز حذفُ الباءِ إلاَّ مع أنْ وأنَّ؛ كقوله: [الطويل]

٣٦٠٦ ـ تَرَدَّدَ فيها ضَوْؤُهَا وشُعَاعُهَا فَأحْصِنْ وأزْيِنْ لامرئٍ أنْ تَسَرْبَلا[1]

أي: بأنْ تسربل، فالمجرورُ مرفوعُ المحلِّ، ولا ضمير في «أفْعِلْ» ولنا قولٌ ثانٍ: أن الفاعل مضمرٌ، والمراد به المتكلِّمُ؛ كأنَّ المتكلم يأمر نفسه بذلك، والمجرورُ بعده في محلِّ نصبٍ، ويعزى هذا للزَّجَّاجِ.

ولنا قولٌ ثالثٌ: أن الفاعل ضمير المصدرِ، والمجرور منصوبُ المحلِّ أيضاً، والتقدير: أحسن، يا حُسْنُ، بزيدٍ، ولشبه هذا الفاعل عند الجمهور بالفضلة لفظاً، جاز حذفه للدَّلالةِ عليه كهذه الآية، فإنَّ تقديره: وأبْصِرْ بهم، وفيه أبحاثٌ موضوعها كتبُ النَّحْو.

فصل في التعجب

قالوا: التعجُّب استعظام الشي، مع الجهل؛ بسبب عظمه، ثم يجوز استعمالُ لفظ التعجُّب عند مجرَّد الاستعظام من غير خفاءِ السَّبب، أو من غير أن تكون العظمةُ سبب حصوله.

قال الفرَّاء: قال سفيانُ: قرأتُ عن شريح: ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**﴾ [الصافات: ١٢] فقال: إنَّ الله لا يعجبُ من شيء، إنما يَعجبُ من لا يعلم، قال: فذكرتُ ذلك لإبراهيم النخعيِّ ـ رضي الله عنه ـ فقال: إنَّ شريحاً شاعر يعجبه علمه، وعبد الله أعلمُ بذلك منه قرأها ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**﴾.

ومعناه: أنَّه صدر من الله تعالى فعلٌ، لو صدر مثله عن الخلق، لدلَّ على حصول التعجُّب في قلوبهم، وبهذا التأويل يضافُ المكرُ والاستهزاءُ إلى الله تعالى، وإذا عرفت هذا، فللتعجُّب صيغتان:

إحداهما: ما أفعلهُ، والثانيةُ أفعل به.

كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ والنحويُّون ذكروا له تأويلان:

الأول: قالوا: أكْرِمْ بزيدٍ، أصل «أكرم زيدٌ» أيْ: صار ذا كرم، كـ «أغَدَّ البَعِيرُ» أي: صار ذا غُدَّة، إلاَّ أنه خرج على لفظ الأمْر، ومعناه الخبرُ، كَما أخرج على لفظ الأمر ما معناه الخبر، كما أخرج على لفظ الخبر ما معناه الأمر؛ كقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) البيت لأوس بن حجر، ينظر: ديوانه ٨٤، المقرب ١/٧٧، الهمع ٢/٩٠، الدرر ٢/١٢٠، التهذيب واللسان «عزل»، الدر المصون ٤/٥٠٧.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي: يمدُّ له الرحمنُ، والباء زائدةٌ.

الثاني: أن يقال: إنَّه أمرٌ لكُلِّ أحدٍ بأن يجعل زيداً كريماً، أي: بأن يصفه بالكرم، والباء زائدةٌ؛ كما في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال ابن الخطيبِ[1]: وسمعتُ لبعضِ الأدباء فيه تأويلاً ثالثاً؛ وهو أن قولك: أكرم بزيدٍ، يفيدُ أنَّ زيداً بلغ في الكرمِ إلى حيثُ كأنَّه في ذاته صار كرماً؛ حتَّى لو أردتَّ جعل غيره كريماً، فهو الذي يلصقك بمقصُودك ويحصِّلُ لك غرضك.

فصل في معنى الآية

المشهورُ أنَّ معنى قوله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: «ما أسمعهُمْ، وما أبْصَرهُم» والتعجُّب على الله تعالى محالٌ، وإنَّما المرادُ أنَّ أسماعهم وأبصارهُم يومئذٍ جديرةٌ بأن يتعجَّب منهما بعدما كانُوا صُمًّا عُمياً في الدُّنيا.

وقيل: معناه التَّهديدُ مما يسمعُون وسيبصرُون ما يَسُوءهُمْ، ويصدعُ قلوبهم.

وقال القاضي[2]: ويحتملُ أن يكون المرادُ: أسمع هؤلاء وأبصرهم، أي: عرِّفهم حال القوم الذين يأتوننا؛ ليعتبروا وينزجروا.

وقال الجُبَّائيُّ: ويجوز: أسمع النَّاسَ بهؤلاء، وأبصرهُم بهؤلاءِ، ليعرفُوا أمرهُم، وسُوء عاقبتهم، فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ معمولٌ لـ «أبْصِرْ». [ولا يجوز أن يكون معمولاً لـ «أسْمِعْ» لأنه لا يفصلُ بين فعلِ التعجُّب، ومعموله؛ ولذلك كان الصحيحُ أنه] لا يجوز أن تكون المسألةُ من التنازع، وقد جوَّزه بعضهم ملتزماً إعمال الثاني، وهو خلافُ قاعدةِ الإعمال، وقيل: بل هو أمرٌ حقيقة، والمأمورُ به رسولُ الله ﷺ والمعنى: أسمعِ النَّاس، وأبصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنعُ بهم من العذاب؟ وهو منقولٌ عن أبي العالية.

قوله تعالى: ﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾.

نصب «اليَوْمَ» بما تضمَّنه الجار من قوله «في ضلالٍ مُبينٍ» أي: لكن الظالمُون استقرُّوا في ضلالٍ مبينِ اليوم، ولا يجوز أن يكون هذا الظرفُ هو الخبرَ، والجارُّ لغوٌ؛ لئلا يخبر عن الجثة [بالزمَّان؛ بخلاف] قولك: القتالُ اليوم في دارِ زيدٍ؛ فإنَّهُ يجوز الاعتباران.

فصل في معنى الآية

المعنى: ﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: خطأ بيِّنٍ، وفي الآخرةِ يعرفُون الحقَّ.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ١٨٩/٢١.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

وقيل: لكن الظَّالمُون اليوم في الآخرة في ضلال عن الجنَّة؛ بخلاف المؤمنين.

وقوله ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إيقاع الظَّاهر موقع المضمر.

قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هذا أمرٌ لمحمَّد ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بأن ينذر من في زمانه، والإنذار: التخويفُ من العذاب، لكي يحذروا ترك عبادةِ الله تعالى، ويوم الحسرة: هو يوم القيامة؛ لأنَّه يكثر التحسُّر من أهل النَّار.

وقيل: يتحسَّر أيضاً في الجنَّة، إذا لم يكن من السابقين إلى الدَّرجات العالية؛ لقول رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: «مَا مِنْ أحدٍ يمُوتُ إلاَّ ندمَ، قالوا: فَما ندمهُ يا رسُول الله ﷺ؟ قال ﷺ: إنَّ كان مُحسناً، ندم ألاَّ يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم ألاَّ يكون نزَعَ»[١] والأول أصحُّ؛ لأن الحسرة [هَمٌّ][٢]، ولا تليقُ بأهْل الجنَّة.

قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: يجوز أن يكون منصوباً بالحسرةِ، والمصدرُ المعرَّفُ بـ «ألْ» يعملُ في المفعولِ الصَّريح عند بعضهم، فكيف بالظَّرف؟ ويجوز أن يكون بدلاً من «يَوْم» فيكون معمولاً لـ «أنْذِرْ» كذا قال أبو البقاء[٣]، والزمخشريُّ وتبعهما أبو حيان، ولم يذكر غير البدل، وهذا لا يجوز إن كان الظَّرف باقياً على حقيقته؛ إذ يستحيلُ أن يعمل المستقبلُ في الماضي، فإن جعلت «اليوم» مفعولاً به، أي: خوِّفهُم نفس اليوم، أي: إنَّهُمْ يخافُون اليوم نفسهُ، صحَّ ذلك لخُرُوجِ الظَّرف إلى حيِّز المفاعيل الصريحة.

فصل في قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ وجوه:

أحدها: قُضِيَ الأمرُ ببيان الدَّلائل، وشرح أمر الثَّواب والعقاب.

وثانيها: [إذ قضي الأمرُ يوم الحسرة بفناء الدُّنيا، وزوالِ التَّكليف، والأول أقرب؛ لقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وثالثها:][٤] «إذ قُضِيَ الأمْرُ» فُرِغَ من الحساب، وأدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهلُ النَّار النَّار، وذُبح الموتُ؛ كما روي أنَّه سُئل النبيُّ ﷺ عن قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ فقال: «حِينَ يَجاءُ بالموتِ على صُورة كبشٍ أمْلحَ، فيذبحُ، والفريقان ينظران؛ فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحٍ، وأهلُ النَّار غمًّا إلى غمٍّ»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٢) كتاب الزهد باب ٥٨، رقم (٢٤٠٣) من طريق يحيى بن عبيدالله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه ويحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة.
ومن هذا الوجه أخرجه أبو نعيم (٨/ ١٧٨) وقال غريب من حديث يحيى لم نكتبه إلاّ من حديث ابن المبارك.

(٢) في ب: غم. (٣) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٤.

(٤) سقط من: ب.

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ٢٨٢) كتاب التفسير: باب وأنذرهم يوم الحسرة حديث (٤٧٣٠) ومسلم (٤/ ٢١٨٨) كتاب الجنة: باب النار يدخلها الجبارون حديث (٤٠/ ٢٨٤٩) من حديث أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملتان حاليتان، وفيهما قولان:

أحدهما: أنهما حالان من الضمير المستتر في قوله «في ضلالٍ مبينٍ» أي: استقرُّوا في ضلالٍ مبينٍ على هاتين الحالتين السيئتين.

والثاني: أنهما حالان من مفعول «أنذِرْهُم» [أي: أنذرهُم على هذه الحالِ، وما بعدها، وعلى الأول يكون قوله «وأنْذِرْهُم»] اعتراضاً.

والمعنى: وهم في غفلةٍ عمَّا يفعلُ بهم في الآخرة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولا يصدقون بذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نُميتُ سُكَّان الأرض، ونُهلِكُهم جميعاً، ويبقى الرَّبُّ وحده، فيرثُهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾، فنجزيهم بأعمالهم.

[وقرأ العامَّةُ «يُرْجَعُون» بالياء من تحت مبنيًّا للمفعول، والسُّلمي(١)، وابن أبي إسحاق، وعيسى مبنيًّا للفاعل، والأعرج بالتاء من فوقُ مبنيًّا للمفعول على الخطاب، ويجوز أن يكون التفاتاً، وألا يكون].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ
أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ
أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ
كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى
شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ اعلم أنَّ منكرِي التوحيد الذين أثْبَتُوا معبُوداً سوى الله تعالى فريقان:

منهم: من أثبت معبُوداً غير الله تعالى حيًّا، عاقلاً، فاهماً، وهم النصارى.

ومنهم: من أثبت معبُوداً غير الله، جماداً ليس بحيّ ولا عاقلٍ، وهم عبدةُ الأوثان.

والفريقان، وإن اشتركا في الضَّلال، إلاَّ أنَّ ضلال عبدة الأوثان أعظم، فلمَّا بيَّن الله تعالى ضلال الفريق الأوَّل، تكلَّم في ضلال الفريق الثاني، وهم عبدةُ الأوثان؛ فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ والواو في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ عطف على قوله ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ كأنَّه لمَّا انتهت قصَّةُ زكريًّا ويحيى، وعيسى ـ صلوات الله عليهم ـ قال: قد

(١) ينظر في قراءاتها: الإتحاف ٢/ ٢٣٧، البحر ٦/ ١٨٠، ١٨١ والدر المصون ٤/ ٥٠٨.

ذكرتُ حال زكريًا، فاذكر حال إبراهيم ـ صلواتُ الله عليه ـ وإنَّما أمره بالذِّكر لأنَّه ـ صلوات الله عليه ـ ما كان هُو، ولا قومُه، ولا أهل بلده مشتغلين بالتَّعليم، ومطالعةِ الكتب، فإذا أخبر عن هذه القصَّة، كما كانت من غير زيادةٍ، ولا نقصانٍ، كان ذلك إخباراً عن الغَيْب، ومُعْجِزاً [قاهراً][1] دالاً على نُبوَّته، وإنَّما ذكر الاعتبار بقصَّة إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لوجوه:

الأول: أنَّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كان أبا العرب، وكانُوا مقرّين بعُلُوِّ شأنه، وطهارةِ دينه على ما قال تعالى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] فكأنه تعالى قال للعرب: إنَّ كنتم مقلِّدين لآبائكم على قولكم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣] فأشرفُ آبائكم وأعلاهُم قدراً هو إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فقلِّدوه في ترك عبادةِ الأوثان، وإن كُنتم [مستدلين][2]، فانظروا في هذه الدَّلائل التي ذكرها إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لتعرفُوا فساد عبادةِ الأوثان، وبالجملةُ: فاتَّبِعُوا إبراهيم، إمَّا تقليداً، أو استدلالاً.

الثاني: أنَّ كثيراً من الكُفَّار في زمان رسُول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كانوا يقولون: نتركُ دين آبائنا، وأجدادنا؟ فذكر الله تعالى قصَّة إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ و [بيَّن][3] أنه ترك دين أبيه، وأبطل قوله بالدليل، ورجَّح متابعة الدَّليل على متابعة أبيه.

الثالث: أنَّ كثيراً من الكُفَّار كانُوا يتمسَّكُون بالتقليد، [وينكِرُون][4] الاستدلال؛ كما حكى الله تعالى عنهم ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] فحكى الله عن إبراهيم التَّمَسُّكَ بطريقة الاستدلال؛ تنبيهاً للكُفَّار على سُقُوط طريقتهم، ثُمَّ قال تعالى في صفة إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، والصديق مبالغةٌ في الكثير الصِّدق، القائم عليه، يقال: رجلٌ خميرٌ، وسكِّيرٌ للمولعِ بهذه الأفعال.

وقيل: هو الذي يكون كثير التصديق بالحقِّ؛ حتَّى يصير مشهُوراً به، والأول أولى؛ لأنَّ المصدِّق بالشيء لا يوصفُ بكونه صديقاً إلاَّ إذا كان صادقاً في ذلك التَّصديق، فيعودُ الأمْرُ إلى الأوَّل.

فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] فالجوابُ[5]: المؤمنون بالله [ورسله][6] صادقُون في ذلك التَّصديق.

واعلم أن النبي ﷺ يجب أن يكون صادقاً في كُلِّ ما أخبر؛ لأنَّ الله تعالى صدَّقه، ومُصدَّق الله صادقٌ؛ فلزم من هذا كونُ الرَّسُول صادقاً فيما يقوله، ولأنَّ الرُّسُل شهداءُ الله

---

(١) في ب: باهراً.
(٢) في أ: مقلدين.
(٣) في ب: هو.
(٤) في ب: ويتركون.
(٥) ينظر: الفخر الرازي ٢١/١٩١.
(٦) في أ: ورسوله.

على النَّاسِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] والشَّهيد: إنَّما يقبلُ قوله، إذا لم يكن كاذباً؛ فإن قيل: فما قولكم في قول إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] و ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

فالجوابُ مشروحٌ في هذه الآياتِ، وبينَّا أن شيئاً من ذلك ليس بكذبٍ، ولمَّا ثبت أنَّ كُلَّ نبيٍّ يجب أن يكون صديقاً، ولا يجبُ في كلِّ صدِّيقٍ أن يكون نبيًّا؛ ظهر بهذا قربُ مرتبة الصِّدِّيق من مرتبة النبيِّ، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبيًّا.

وأما النبيُّ: فمعناه: كونهُ رفيع القدر عند الله، وعند النَّاس، وأيُّ رفعةٍ أعلى من رفعةِ من جعله الله واسطةً بينه، وبين عباده، وقوله: ﴿كَانَ صِدِّيقًا﴾ معناه: صار، وقيل: وجد صدِّيقاً نبيًّا، أي: كان من أوَّل وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والصِّيانة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: يجوز أن يكون بدلاً من «إبْراهيمَ» بدل اشتمال؛ كما تقدَّم في ﴿إِذِ انتَبَذَتْ﴾ [الآية: ١٦] وعلى هذا، فقد فصل بين البدل، والمبدل منه؛ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ نحو: «رأيتُ زيْداً ـ ونِعْمَ الرَّجُل أخَاكَ» وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن تتعلق «إذْ» بـ «كَانَ» أو بـ «صدِّيقاً نبيًّا»، أي: كان جامعاً لخصائص الصديقين، والأنبياء، حين خاطب أباه بتلك المخاطبات ولذلك جوَّز أبُو البقاء[1] أن يعمل فيه «صدِّيقاً نبيًّا» أو معناه.

قال أبو حيان: «الإعرابُ الأوَّلُ ـ يعني البدلية ـ يقتضي تصرُّف «إذْ» وهي لا تتصرَّفُ، والثاني فيه إعمالُ «كان» في الظرف، وفيه خلافٌ، والثالث لا يكون العامل مركَّباً من مجموعِ لفظين، بل يكون العملُ منسوباً للفظٍ واحدٍ، ولا جائز أن يكون معمولاً لـ «صدِّيقاً» لأنَّهَ قد وصف، إلا عند الكوفيِّين، ويبعدُ أن يكون معمولاً لـ «نبيًّا» لأنه يقتضي أنَّ التَّنْبِئَة كانت في وقتِ هذه المقالة».

قال شهاب الدين: العاملُ فيه ما لَخَّصَهُ أبو القاسم، ونضَّدهُ بحسن صناعته من مجموعِ اللفظين في قوله: «أي: كان جامعاً لخصائص الصِّدِّيقين والأنبياء حين خاطب أباه».

وقد تقدَّمت قراءةُ ابن عامرٍ «يَا أبَتَ» وفي مصحف عبد الله[2] «وا أبتِ» بـ «وا» التي للندبة.

والتاءُ عوضٌ من ياءِ الإضافةِ، ولا يقال: يا أبتي، لئلاً يجمع بين العوض، والمعوَّض منه، وقد يقال: يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء.

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ وصف الأوثان بصفاتٍ ثلاثٍ، كُلّ واحدةٍ منها فادحةٌ في الإلهيَّة وبيانُ ذلك من وجوه:

---

(١) ينظر: الإملاء ٢/ ١١٤.

(٢) ينظر: البحر ٦/ ١٨٢، الدر المصون ٤/ ٥٩٠.

أحدها: أن العبادة غايةُ التَّعظيم؛ فلا يستحقُّها إلاَّ من له غايةُ الإنعام، وهو الإله الذي منه أصُولُ النِّعَم، وفروعها على ما [تقدَّم][1] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥١]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وكما أنَّه لا يجوز الاشتغالُ بشكرها، لمَّا لم يكُن مُنْعِمَة، وجب ألاَّ يجوز الاشتغالُ بعبادتها.

وثانيها: أنَّها إذا لم تسمع، ولم تُبْصر، ولم تُمَيِّز من يطيعها عمَّن يعصيها، فأيُّ فائدةٍ في عبادتها، وهذا تنبيهٌ على أنَّ الإله يجبُ أن يكون عالماً بكُلِّ المعلومات.

وثالثها: أنَّ الدُّعاء مُخُّ العبادةِ، فإذا لم يسمع الوثنُ دعاءَ الدَّاعي، فأيُّ منفعةٍ في عبادته؟ وإذا لم يبصرْ تقرُّبَ من يتقرَّب إليه، فأيُّ منفعةٍ في ذلك التَّقرُّب؟.

ورابعها: أنَّ السَّامع المُبصر الضَّار النَّافع أفضلُ ممن كان عَارِياً عن كُلِّ ذلك، والإنسان موصوفٌ بهذه الصِّفات؛ فيكون أفضل، وأكمل من الوثنِ، فكيف يليقُ بالأفضل عبوديَّةُ الأخسِّ؟.

وخامسها: إذا كانت لا تنفعُ، ولا تضرُّ، فلا يرجى منها منفعةٌ، ولا يخافُ من ضررها، فأيُّ فائدةٍ في عبادتها؟!.

وسادسها: إذا كانت لا تحفظُ نفسها عن الكسر والإفساد، حين جعلها إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جُذاذاً، فأيُّ رجاءٍ فيها للغير؟!، فكأنَّه ـ صلوات الله عليه ـ قال: ليست الإلهيَّة إلاَّ لربٍّ يسمعُ ويبصر، ويجيبُ دعوة الدَّاعي، إذا دعاه.

فإن قيل: إمَّا أن يقال: إنَّ أبا إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ كان يعتقدُ في تلك الأوثان أنَّها آلهةٌ قادرةٌ، مختارةٌ، خالقة.

أو يقال: إنَّه ما كان يعتقدُ ذلك؛ بل كان يعتقدُ أنَّها تماثيلُ للكواكب، والكواكبُ هي الآلهة المدبِّرة للعالم؛ فتعظيم تماثيل الكواكب يوجب تعظيم الكواكب.

أو كان يعتقدُ أنَّ هذه الأوثان تماثيلُ أشخاصٍ معظَّمة عند الله من البشر، فتعظيمُها يقتضي كون أولئك الأشخاص شُفعاء لهم عند الله.

أو كان يعتقدُ أن تلك الأوثان طِلَّسْمَاتٌ ركِّبَتْ بحسب اتِّصالاتٍ مخصُوصةٍ للكواكب، قلَّما يتَّفِقُ مثلها، أو لغير ذلك.

فإن كان أبُو إبراهيم من القسم الأوَّل، كان في نهاية الجُنُونِ؛ لأنَّ العلم بأنَّ هذا الخشب المنحُوت في هذه السَّاعة ليس خالقاً للسَّموات والأرض من أجلى العلوم الضروريَّة، فالشَّاكُّ فيه يكونهُ مجنوناً، والمجنونُ لا يناظرُ، ولا يُوردُ عليه الحُجَّة، وإن كان من القسم الثاني، فهذه الدلائلُ لا تقدحُ في شيءٍ من ذلك؛ لأنَّ ذلك المذهب إنما

---

(١) في ب: تقرر.

يبطلُ بإقامةِ الدَّلائل على أنَّ الكواكبَ ليست أحياء، ولا قادرة، والدليلُ المذكور هنا لا يفيدُ ذلك.

فالجوابُ[١]: لا نزاع في أنَّه لا يخفى على العاقلِ: أنَّ الخشب المنحوت لا يصلح لخلقِ العالمِ، وإنَّما مذهبهم هذا على الوجه الثاني، وإنَّما أورد إبراهيمُ ـ صلوات الله وسلامه عليهِ ـ هذه [الدلائل][٢] عليهم؛ لأنَّهم كانوا يعتقدُون أنَّ عبادتها تفيدُ نفعاً؛ إما على سبيل الخاصِّيَّة الحاصلةِ من الطِّلَّسمات، أو على سبيل أن الكواكب تنفع، وتضُرُّ، فبيَّن إبراهيمُ ـ صلواتُ الله عليه وسلامه ـ أنه لا منفعة في طاعتها، ولا مضرَّة في الإعراض عنها؛ فوجب أن تجتنب عبادتها.

قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بالله، والمعرفة ﴿مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على ديني ﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ مستقيماً. ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: لا تطعهُ فيما يزيِّن لك من الكُفر والشِّرك؛ لأنَّهم ما كانُوا يعبدُون الشيطان؛ فوجب حملُه على الطَّاعة ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ أي: عاصياً، و «كَانَ» بمعنى الحالِ، أي: هو كذلك.

فإن قيل: هذا القول يتوقَّف على إثبات أمور:

أحدها: إثباتُ الصَّانع.

وثانيها: إثباتُ الشيطان.

وثالثها: أن الشيطان عاصٍ [للَّه][٣].

ورابعها: أنَّه لما كان عاصياً، لم تَجُزْ طاعتهُ في شيءٍ من الأشياء.

وخامسها: أن الاعتقاد الذي كان عليه آزَرُ مُستفادٌ من طاعة الشيطان، ومن شأنِ الدَّلالة التي تُورَدُ على الخصم: أن تكون مركبة من مقدِّماتٍ معلومةٍ يسلِّمها الخصمُ، ولعلَّ أبا إبراهيم كان منازعاً في كُلِّ هذه المقدِّمات[٤]، وكيف، والمحكيُّ عنه: أنه ما كان يُثْبِتُ إلهاً سوى نُمْرُوذَ؛ فكيف يسلِّم وجود الرَّحمن؟.

وإذا لم يسلِّم وجوده، فكيف يسلِّم أنَّ الشيطان عاصٍ في الرحمن؟ وبتقدير تسليم ذلك؛ فكيف يسلِّم الخصمُ بمجرَّد هذا الكلامِ أنَّ مذهبهُ مقتبسٌ من الشيطان، بل لعلَّه يقلب ذلك على خصمه.

فالجوابُ:

أنَّ الحجَّة المعوَّل عليها في إبطالِ مذهب «آزَرَ» هو قوله: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ وهذا الكلامُ يجري مَجْرَى التَّخويف والتَّحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدِّلالة، فسقط السُّؤال.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٩٢.
(٢) في أ: الدلالة.
(٣) في ب: في الله.
(٤) في أ: المقامات.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾.

قال الفرَّاء ـ رحمه الله ـ: أخافُ: أعلمُ، والأكثرون على أنَّه محمول على ظاهره، والقول الأوَّل إنَّما يصحُّ، لو كان إبراهيمُ ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ عالماً بأنَّ أباه سيموتُ على الكفر، وذلك لم يثبتْ؛ فوجب إجراؤُه على ظاهره؛ فإنَّه كان يجوزُ أن يؤمنَ؛ فيصير من أهْلِ الثَّواب، ويجوز أن يدُوم على الكفر؛ فيكون من أهلِ العقاب، ومن كان كذلك، كانَ خائفاً لا قاطعاً، والأوَّلون فسَّروا الآية، فقالوا: أخافُ، بمعنى أعلمُ بـ «أنْ يمسَّك عذابٌ» يصيبك عذابٌ من الرحمن، إن أقمت على الكفر، «فتكُون للشيطانِ وليًّا» قريناً؛ لأنَّ الولاية سببُ المعيَّة، فأطلق اسم السَّبب على المُسبب مجازاً.

وقيل: المرادُ بالعذابِ هنا: الخِذْلانُ، والتقدير: إنِّي أخاف أن يمسَّك خذلانٌ من الله، فتصير موالياً للشيطان، ويتبرأ الله منك.

فصل في نظم الآية

اعلمْ أنَّ إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رتَّب هذا الكلام في غاية الحسن؛ لأنَّه ذكر أولاً ما يدلُّ على المنع من عبادة الأوثان، ثُمَّ أمره باتِّباعه في النَّظر، والاستدلال، وترك التقليد، ثُمَّ ذكر أن طاعة الشَّيطان غير جائزة في العُقُول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزَّاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، ثم إنَّه ـ صلوات الله عليه ـ أورد هذا الكلام الحسن مقروناً باللُّطف والرِّفق؛ فإن قوله في مقدِّمة كل كلامه: «يا أبت» دليلٌ على شدَّة الحبِّ، والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصَّواب، وختم الكلام بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾ وذلك يدلُّ على شدَّة تعلُّق قلبه بمصالحِه، وإنَّما فعل ذلك لوجوهٍ:

الأول: لقضاءِ حقِّ الأبُوَّة على ما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] والإرشادُ إلى الدِّين من أعظم أنواع الإحسان، فإذا انضم إليه رعايةُ الأدب والرِّفق، كان نُوراً على نُور.

والثاني: أنَّ الهادي إلى الحقِّ لا بُدَّ وأن يكون رفيقاً لطيفاً لا يُورِدُ الكَلاَم على سبيل العُنْف؛ لأنَّ إيرادهُ على سبيل العُنْف يصيرُ كالسَّبب في إعراض المُستمع؛ فيكون ذلك في الحقيقةِ سَعْياً في الإغواء.

وثالثها: ـ ما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: «أوْحَى اللَّهُ ـ تبارك وتعالى ـ إلى إبراهيمَ أنَّك خليلي فحسِّنْ خُلقكَ ولو مع الكُفَّار تدخُلْ مداخلَ الأبْرارِ؛ فإن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقهُ، أنْ أظلَّهُ تحت عرشي، وأسْكِنهُ حظيرةَ القُدْسِ، وأدنيه من جوارِي»[1].

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٣ـ ٢٤) وقال رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي وهو ضعيف.

=

قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾: يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون «راغبٌ» مبتدأ؛ لاعتماده على همزةِ الاستفهام، و «أنْتَ» فاعلٌ سدَّ مسدَّ الخبر.

والثاني: أنه خبر مقدمٌ، و «أنْتَ» مبتدأ مؤخَّر، ورُجِّح الأول بوجهين:

أحدهما: أنه ليس فيه تقديمٌ، ولا تأخير؛ إذ رتبةُ الفاعل التأخيرُ عن رافعه.

والثاني: أنه لا يلزمُ منه الفصلُ بين العامل ومعموله بما ليس معمولاً للعامل؛ وذلك لأنَّ «عَنْ آلهتي» متعلقٌ بـ «رَاغِبٌ» فإذا جعل «أنْتَ» فاعلاً فقد فُصِل بما هو كالجزءِ من العامل؛ بخلاف جعله خبراً؛ فإنه أجنبيٌّ؛ إذ ليس معمولاً لـ «راغبٌ»[(١)].

فصل فيما قابل به آزر دعوة إبراهيم

اعلم أنَّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ لمَّا دعا أباهُ إلى التوحيد، وذكر الدَّلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف ذلك بالوعظ البليغ، مقروناً باللُّطف والرِّفْق قابله أبُوه بجواب [مضادٍّ][(٢)] لذلك، فقابل حُجَّته بالتَّقليد بقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾ فأصرَّ على ادعاء إلهيتها جهلاً وتقليداً، وقابل وعظهُ بالسَّفاهة؛ حيثُ هدَّده بالضَّرْب والشَّتْم، وقابل رفقه في قوله «يا أبتِ» بالعنف، فلم يَقُلْ له: يا بنيَّ، بل قال له: يا إبراهيمُ، وإنَّما حكى الله تبارك وتعالى ذلك لمحمَّدٍ ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ تخفيفاً على قلبه ما كان يصلُ إليه من أذى المشركين، ويعلمُ أنَّ الجُهَّال منذُ كانوا على هذه السِّيرة المذمومة، ثم قال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

= وأخرجه ابن عساكر (٢/ ١٥٥ـ تهذيب) وابن عدي (٦/ ٢٤٣٢) وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٥١٥٩) وزاد نسبته إلى الحكيم الترمذي.

(١) هذا الذي ذكره في حالة تطابق الوصف إفراداً أما إن تطابقا تثنية أو جمعاً نحو (أناجحان المحمدان، أناجحون المحمدون) تعين أن يكون الوصف خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ مؤخراً ولا يجوز العكس من جعل المؤخر مرفوعاً بالوصف المقدم وسادًّا مسدّ خبره لأن تثنيته وجمعه أبعدته عن شبهه بالفعل؛ لأن الفعل إذا أسند إلى الظاهر تجرد من علامة التثنية والجمع فكذلك الوصف إذا رفع ظاهراً كان حكمه حكم الفعل في لزوم الإفراد على اللغة الفصحى اللهم إلا على لغة من يلحق علامة التثنية والجمع الفعل عند إسناده إلى الظاهر وهي لغة (أكلوني البراغيث).

وإن لم يتطابقا وتحته قسمان: ممتنع وجائز فالممتنع مثل (أناجحان محمد، أناجحون علي) لأنا إذا جعلنا ما بعد الوصف فاعلاً أغنى عن الخبر فالوصف بعد عن شبه الفعل لتثنيته وجمعه فلا يرفع ظاهراً وإذا جعلنا الوصف خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ مؤخراً فات التطابق الذي هو شرط فيهما ولا يخفى أن هذا تركيب غير صحيح.

والجائز نحو (أناجح المحمدان، أناجح المحمدون) وحينئذٍ يتعين أن يكون الوصف مبتدأ وما بعده سد مسد خبره، ولا يجوز أن يكون ما بعده مبتدأ مؤخراً والوصف خبراً مقدماً لأنه لا يجوز أن يخبر عن المثنى والجمع بالمفرد.

(٢) في ب: مناف.

قال الكلبيُّ، ومقاتلٌ[١]، والضحاكُ: لأشتمنَّك، ولأبعدنَّك عنِّي بالقول القبيح، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤]؛ أي: بالشَّتم، ومنه: الرَّجيمُ، أي: المرميُّ باللَّعْن.

قال مجاهدٌ: كلُّ رجمٍ في القرآن بمعنى الشَّتم، وهذا ينتقضُ بقوله تعالى: ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال ابنُ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ: لأضربنَّك[٢].

وقال الحسنُ: لأرجمنَّك بالحجارة، وهو قولُ أبي مسلم[٣]؛ لأنَّ أصله الرمي بالرِّجام، فحمله عليه أولى.

وقال المؤرِّج[٤]: «لأقْتُلَنَّكَ» بلغة قريش، وممَّا يدلُّ على أنه أراد الطَّرْد، والإبْعَاد قوله: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا﴾.

قوله تعالى: «مَلِيًّا» في نصبه ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أنه منصوبٌ على الظرفِ الزمانيِّ، أي: زمناً طويلاً، ومنه «الملوانِ» للَّيلِ والنهار، وملاوةُ الدَّهر، بتثليث الميم قال: [الطويل]

٣٦٠٧ ـ فَعُشْنَا بِهَا مِنَ الشَّبابِ ملاوةً ... فَلَلْحَجُّ آيَاتُ الرَّسُولِ المُحَبَّبِ[٥]

وأنشد السدي على ذلك لمهَلْهِلٍ قال: [الكامل]

٣٦٠٨ ـ فَتَصَدَّعَتْ صُمُّ الجبالِ لمَوْتِهِ ... وبَكَتْ عليهِ المُرْمِلاتُ مَلِيَّا[٦]

أي: أبداً.

والثاني: أنه منصوبٌ على الحال، معناه: سالماً سويًّا، قال ابن عباس: [اعتزلني سالماً؛ لا يصيبك مني معرة][٧] فهو حالٌ من فاعل «اهْجُرْنِي» وكذلك فسَّره ابن عطيَّة؛ قال: «معناه: مستبدًّا، أي: غنيًّا عني من قولهم: هو مليٌّ بكذا وكذا» قال الزمخشريُّ: «أي: مُطِيقاً».

والمعنى: مليًّا بالذَّهابِ عنِّي، والهجران، قيل: أن أثخنك بالضَّرب؛ حتى لا تقدر أن تبرح.

والثالث: أنه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: هجراً مليًّا، يعني: واسعاً متطاولاً؛ كتطاول الزمان الممتدِّ.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩٧.
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) ينظر: الفخر الرازي ٢١/ ١٩٥.
(٥) ينظر البيت في البحر ٦/ ١٨٣، الدر المصون ٤/ ٥١٠.
(٦) ينظر البيت في البحر المحيط ٦/ ١٨٤، القرطبي ١١/ ٧٥، روح المعاني ١٦/ ٩٩، الدر المصون ٤/ ٥١٠.
(٧) سقط من: أ.

قال الكلبيُّ[١] ـ رحمه الله ـ اجتنبني طويلاً.

والمراد بقوله: واهجرني، أي: بالمفارقة من الدَّار والبلدِ، وهي كهجرة النبي ﷺ والمؤمنين، أي: تباعد عنِّي؛ لكي لا أراك.

وقيل: اهجرني [بالقول، وعطف «واهجرني» على معطوف عليه محذوف يدل عليه: «لأرجمنك» أي: فاحذرني، واهجرني][٢]؛ لئلاً أرجمك، فلما سمع إبراهيمُ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كلام أبيه، أجاب بأمرين:

أحدهما: أنه وعدهُ بالتَّباعُد منه؛ موافقة وانقياداً لأمْرِ أبيه.

والثاني: قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ توديعٌ، ومتاركةٌ، أي: سلمتَ منِّي، لا أصيبُك بمكروهٍ؛ وذلك لأنَّه لم يؤمر بقتاله على كفره؛ كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهذا يدلُّ على جواز متاركة المنصُوح، إذا ظهر منه اللَّجاج، وعلى أنَّه تحسُن مقابلةُ الإساءةِ بالإحسان، ويجوزُ أن يكون دعا لهُ بالسَّلامة؛ استمالة له.

ألا ترى أنَّه وعدهُ بالاستغفار؛ فيكون سلام برٍّ ولطفٍ؛ وهو جوابُ الحليمِ للسَّفيه؟!.

كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقرأ أبو البرهسم[٣] «سلاماً» بالنصب، [وتوجيهها][٤] واضحٌ ممَّا تقدَّم.

قوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾، أي: لمَّا أعياه أمرهُ، وعدهُ أن يراجع الله فيه، فيسألهُ أن يرزقه التَّوحيد، ويغفر له، والمعنى: سأسأل الله لك توبةً تنالُ بها المغفرةَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ برّاً لطيفاً.

واحتجَّ بهذه الآية من طعن في عصمةِ الأنبياءِ ـ صلوات الله عليهم ـ وذلك أنَّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ استغفر لأبيه، وأبوهُ كان كافراً، والاستغفارُ للكُفَّار غيرُ جائزٍ؛ فثبت أنَّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فعل ما لا يجوزُ.

أما استغفارهُ لأبيه؛ فلقوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ وقوله: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦].

وأما كون أبيه كان كافراً؛ فبالإجماع، ونصِّ القرآن.

وأمَّا أن الاستغفار [للكافر] لا يجوزُ؛ فلقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن

---

(١) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٩٧.
(٢) سقط من أ.
(٣) ينظر: البحر ٦/ ١٨٤، والدر المصون ٤/ ٥١٠.
(٤) في ب: وهو.

يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] ولقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ في سورة الممتحنة ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

والجوابُ: أن الآية تدلُّ على أنّه لا يجوزُ لنا التَّأسِّي به في ذلك؛ لكنَّ المنع من التأسِّي به في ذلك لا يدلُّ على أنَّ ذلك كان معصيةً؛ فإن كثيراً من الأشياء هي من خواصِّ رسُول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ولا يجُوزُ لنا التَّأسِّي به فيها، مع أنَّها كانت مباحةً له.

وأيضاً: لعلَّ هذا الاستغفار كان من باب ترك الأولى، وحسناتُ الأبْرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ.

قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

قال مقاتلٌ ـ رحمه الله ـ: كان اعتزالهُ إيَّاهُمْ أنّه فارقهُم من «كوثى»، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، والاعتزالُ عن الشيء هو التَّباعدُ عنه، «وأدعُو ربِّي» أعبد ربي الذي يَضُرُّ وينفعُ، والذي خلقني، وأنعم عليَّ ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾، أي: عسى ألاَّ أشْقَى بدُعائه وعبادته؛ كما تشقون أنتُم بعبادةِ الأصنام، ذكر ذلك على سبيل التواضُع؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقوله «شَقِيًّا» فيه تعريضٌ لشقاوتهم في دعاء آلهتِهِمْ.

وقيل: عسى أن يجيبني، إن دعوتُه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ذهب مهاجراً إلى ربِّه، فعوَّضه أولاداً أنبياء بعد هجرته، ولا حالة في الدِّين والدُّنيا للبشر أرفعُ من أن يجعله الله رسولاً إلى خلقه، ويُلزم الخلق طاعتهُ، والانقياد لهُ مع ما يحصلُ له من عظيم المنزلةِ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: «كُلاًّ» مفعولٌ مقدَّم هو الأول، و «نبيًّا» هو الثاني.

ثم إنَّه مع ذلك وهب لهم من رحمته، قال الكلبيُّ: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا: هو ما بسط لهم في الدُّنيا من سعة الرِّزْق.

وقيل: الكتابَ والنبوَّةَ. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾:

يعني: ثناءً حسناً رفيعاً في كُلِّ أهل الأديان، وعبَّر باللسان عما يُوجد باللِّسان، كما عُبِّر باليد عمَّا يوجدُ باليدِ، وهو العطيَّة، فاستجاب الله دعوته في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، فصيَّره قُدوةً، حتى ادَّعاه أهلُ الأديان كلهم. فقال سبحانه وتعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن

جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ قرأ أهلُ الكوفة مخلصاً، بفتح اللام، أي: مختاراً اختاره الله تعالى، واصطفاه.

وقيل: أخلصه الله من الدَّنس.

والباقون بالكسر، ومعناه: أخلص التَّوحيد لله والعبادة، ومتى ورد القرآنُ بقراءتين، فكلٌّ منهما ثابتٌ مقطوعٌ به، فجعل الله تعالى من صفة موسى ـ صلوات الله عليه ـ كلا الأمرين.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ وهذان وصفان مختلفان، لكنَّ المعتزلة زعمُوا كونهما متلازمين؛ فكلُّ رسول نبيٌّ، وكلُّ نبيٍّ رسولٌ، ومن الناس من أنكر ذلك، ويأتي الكلامُ عليه ـ إن شاء الله تعالى ـ في سورة الحج عند قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] ثم قال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ يعني: يمين موسى، والظاهر أنَّ الأيمن صفة للجانب؛ بدليل أنه تبعه في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠] وقيل: إنه صفة للطُّور، إذ اشتقاقهُ من اليُمْن والبركة، والطُّور: جبلٌ بين مصر ومدين، ويقالُ: إنَّ اسمه الزُّبير، وذلك حين أقبل من مدين، ورأى النَّار، فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾، أي: مناجياً، والنجيُّ: المناجي؛ كما يقالُ: جليسٌ ونديمٌ، و «نجيًّا»: حالٌ من مفعول «قرَّبناهُ» وأصله «نجيواً» لأنه من نجا يَنْجو.

قال ابنُ عبَّاس[1] ـ رضي الله عنه ـ معناهُ: قرَّبه وكلَّمه.

وقيل: أنجيناه من أعدائه، ومعنى التقريب: إسماعه كلامهُ.

وقيل: رفعه على الحُجُب؛ حتَّى سمع صرير القلم؛ حيث تكتبُ التوراةُ في الألواح، وهو قولُ أبي العالية.

قال القاضي[2]: المرادُ بالقرب: أنَّه رفع قدره، وشرَّفه بالمُنَاجاة؛ لأنَّ استعمال القُرْب في الله، قد صار في التعارف لا يرادُ به إلا المنزلةُ؛ كما يقالُ في العبادة: تقرُّب، وفي الملائكة ـ عليهم السلام ـ: إنَّهم مقرَّبُون.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: في «مِنْ» هذه وجهان:

أحدهما: أنها تعليليةٌ، أي: من أجل رحمتنا، و «أخَاهُ» على هذا مفعولٌ به،

---

(١) ينظر: معالم التنزيل ١٩٨/٣.

(٢) ينظر: الفخر الرازي ١٩٨/٢١.

و «هَارُون» بدلٌ، أو عطف بيانٍ، أو منصوبٌ بإضمار أعني، و «نبيًّا» حالٌ.

والثاني: أنها تبعيضيةٌ، أي: بعض رحمتنا، قال الزمخشريُّ: «وأخاه» على هذا بدلٌ، و «هارُون» عطف بيان. قال أبو حيان: «الظاهرُ أنَّ «أخَاهُ» مفعولُ «وهَبْنَا» ولا ترادفُ «مِنْ» بعضاً، فتبدل «أخاه» منها».

فصل في نبوة هارون

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: كان هارونُ أكبر من موسى ـ صلوات الله عليه ـ وإنَّما وهب الله تعالى له نُبُوَّته، لا شخصه وأخُوَّته، وذلك إجابة لدعائه في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣١] فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] وقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾[1] [القصص: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾.

وهو إسماعيلُ بن إبراهيم جدُّ النبيِّ ﷺ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾.

قال مجاهدٌ[2] لم يعد شيئاً إلاَّ وفَّى به.

ورُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ أنه [واعد][3] صاحباً له أن ينتظره في مكانٍ، فانتظرهُ سنة[4]. وأيضاً: وعد من نفسه الصَّبْرَ على الذَّبح، فوفَّى حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ويُروى أنَّ عيسى ـ صلوات الله عليه ـ قال له رجلٌ: انتظرني؛ حتى آتيك، فقال عيسى: نعم، وانطلق الرجلُ، ونَسِيَ الميعاد، فجاء إلى حاجته إلى ذلك المكان، وعيسى ـ صلوات الله عليه ـ هناك للميعاد.

وعن رسول الله ﷺ أنَّه واعد رجُلاً، [ونَسِيَ ذلك الرَّجلُ][5]، فانتظرهُ من الضُّحى إلى قريبِ [مِنْ] غروب الشمس، وسُئِل الشعبيُّ عن الرجلِ يعدُ ميعاداً: إلى أيِّ وقتٍ ينتظرُ؟ قال: إن واعدهُ نهاراً، فكُلَّ النَّهارِ، وإن واعدهُ ليلاً، فكُلَّ اللَّيْلِ.

وسُئِلَ إبراهيمُ بنُ زيدٍ عن ذلك، فقال: إذا وعدتهُ في وقتِ الصَّلاةِ، فانتظرهُ إلى وقت صلاةٍ أخرى، ثم قال: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾، وقد مرَّ تفسيرهُ، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾، والمرادُ بالأهل: قومهُ.

وقيل: أهله جميع أمَّتِهِ.

قال المفسِّرون: إنه كان رسُولاً إلى «جُرْهُم».

والمراد بالصلاة هناك [قال] ابنُ عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد التي افترضها الله عليهم، وهي الحنيفيَّة التي افترضها علينا.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/١٩٨) عن ابن عباس.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٣/١٩٩.

(٣) في أ: وعد.

(٤) أخرجه الطبري (٨/٣٥٢) عن سهل بن سعد.

(٥) سقط من ب.

قيل: كان يبدأُ بأهله في الأمر للعبادة، ليجعلهم قُدوة لمن سواهُم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحريم: ٦]، وأمَّا الزكاةُ، فعن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنه ـ أنَّها طاعةُ الله، والإخلاصُ؛ فكأنَّه تأوَّله على ما يزكُو به الفاعلُ عند ربِّه، والظاهرُ: أنَّه إذا قُرنتِ الصَّلاة بالزَّكاة: أن يُرَادَ بها [الصدقات][1] الواجبةُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ قائماً بطاعته.

وقيل: رضيه لنبوته ورسالته.

والعامَّةُ على قراءته كذلك معتلاً وأصله مَرْضُووٌ، بواوين: الأولى زائدةٌ؛ كهي في مضروب، والثانية: لام الكلمة؛ لأنه من الرِّضوان، فأعلَّ بقلب الواو [ياءً، وأدغمت] الأخيرةُ ياءً، واجتمعت الياءُ والواو، فقلبت الواوُ ياءً، وأدغمت، ويجوز النطقُ بالأصلِ، وقد تقدَّم تحريرُ هذا.

وقرأ[2] ابن أبي عبلة بهذا الأصل، وهو الأكثرُ؛ ومن الإعلالِ قوله: [الطويل]

٣٦٠٩ ـ لقَدْ عَلِمَتْ عرسِي مُلَيكَةُ أنَّنِي أنَا المرءُ مَغدِيًّا عليهِ وعَادِيَا[3]

وقالوا: أرضٌ مسنيَّةٌ، ومسنُوَّةٌ، أي: مسقاةٌ بالسَّانيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ الآية إدريسُ هو جدُّ أبي نُوحٍ ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وهو نوحُ بنُ لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس ـ عليه السلام ـ.

قيل: سُمِّي «إدريسَ» لكثرة دراسة الكُتُب، وكان خيَّاطاً، وهو أوَّلُ من خطَّ بالقلم، وخاط الثِّياب، ولبس المخيطَ، وكان قبلهُ يلبسُون الجُلُود، وأوَّل من اتَّخذ السِّلاح، وقاتل الكُفَّار، وأوَّلُ من نظر في علم الحساب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

قيل: يعني في الجنَّةِ، وقيل: هي الرِّفعة بعُلُوِّ الرُّتْبَة في الدُّنيا؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] وقيل: إنَّه رفع إلى السماءِ؛ روى أنسُ بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن مالك بن صعصعة، عن النبي ﷺ أنَّه رأى إدريسَ ـ صلوات الله عليه ـ في السماءِ الرَّابعةِ، ليلة المعراج[4] وكان سببُ رفع إدريس على ما قاله «كَعْبٌ» وغيرُه ـ أنَّهُ

---

(١) في أ: الصلاة.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦/ ١٨٨، والدر المصون ٤/ ٥١١.

(٣) البيت لعبد يغوث بن وقاص ينظر: شواهد الكتاب ٤/ ٣٨٥، المقرب ٢/ ١٨٦، المحتسب ٢/ ٢٠٧، شرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٣٦، المنصف ١/ ١١٨، أمالي القالي ٣/ ١٣٢، مجاز القرآن ١/ ٢٥٧، الأشموني ٤/ ٣٢٦، اللسان «نظر»، الدر المصون ٤/ ٥١١.

(٤) تقدم في سورة الإسراء.

[سَارَ][١] ذات يوم في حاجةٍ، فأصابه وهج الشمس؛ فقال: يا ربِّ، أنا مشيتُ يوماً فيها؛ فأصابني المشقةُ الشديدة من وهجِ الشمس، وأضرَّني حرُّها ضرراً بليغاً ـ فكيف يحملُها مسيرة خمسمائةِ عامٍ في يومٍ واحدٍ؟! اللَّهُمَّ، خفِّف عنه من ثقلها، وحرِّها، فلمَّا أصبح الملكُ، وجد من خِفَّة الشَّمس، وحرها ما لا يعرف؛ فقال: يا ربِّ، ما الذي قضيت فيه؟ قال: إنَّ عبدي إدريس سألني أنَّ أخفِّف عنك حملها، وحرَّها؛ فأجبته، فقال: ربِّ، اجعل بيني وبينهُ خُلَّة، فأذن له؛ حتى أتى إدريسَ، فكان يسألُه إدريسُ، فقال له: إنِّي أخبرتُ أنَّك أكرمُ الملائكةِ، وأمكنُهم عند ملكِ الموتِ؛ فاشفعْ لي إليه؛ ليُؤخِّر أجلِي؛ فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملكُ: لا يُؤخِّرُ الله نفساً، إذا جاء أجلها، وأنا مُكَلِّمُهُ، فرفعهُ إلى السَّماءِ، ووضعهُ عند مطلع الشَّمس، ثُمَّ أتى ملك الموتِ، فقال: حاجةٌ لي إليك؛ صديقٌ لي مِنْ بني آدم، تشفَّع بي إليك؛ لتُؤخِّر أجله، قال: ليس ذلك إليّ، ولكن إن أحببت، أعلمته أجله؛ فيتقدَّمُ في نفسه، قال: نَعَم، فنظر في ديوانه، فقال: إنَّك كلَّمتني في إنسانٍ، ما أراه أن يموت أبداً، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموتُ إلا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتَيْتُكَ، وتركته هناك، قال: انطلقْ، فلا أرَاكَ تجده إلاَّ وقد مات؛ فواللَّهِ، ما بقي من أجلِ إدريسَ شيءٌ؛ فرجع الملكُ، فوجده ميتاً[٢].

واختلفُوا في أنَّه حيٌّ في السماء، أم مَيِّتٌ؛ فقيل: هو ميتٌ، وقيل: حيٌّ، وقيل: أربعةٌ من الأنبياء أحياءٌ، اثنان في الأرض؛ «الخَضِرُ، وإلياسُ» واثنان في السماءِ: «إدريسُ، وعيسَى» صلواتُ الله عليهم.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ۝٥٨﴾.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية.

«مِنْ» الأولى؛ للبيان؛ لأنَّ كلَّ الأنبياء مُنَعَّمٌ عليهم؛ فالتبعيضُ محالٌ، والثانية للتبعيض؛ فمجرورها بدلٌ مما قبله بإعادة العاملِ، بدلُ بعضٍ من كلٍّ.

وقوله: «وإسرائيلَ» عطفٌ على [«إبْراهيمَ»].

قوله: «وممَّنْ هدَيْنَا» يحتملُ أن يكون عطفاً على «مِنَ النبيِّينَ» وأنْ يكون عطفاً على][٣] «مِنْ ذرِّية آدمَ».

---

(١) في ب: سئل.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرّ المنثور» (٤/ ٤٩٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة في «المصنف» وابن أبي حاتم عن ابن عباس عن كعب.

(٣) سقط من ب.

فصل

اعلم أنَّه تعالى أثنى على كل واحدٍ ممَّن تقدم ذكرهُ [من الأنبياء][1]، بما يخُصُّهُ من الثناء، ثُمَّ جمعهم آخراً؛ فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ أي: بالنبوَّةِ، وغيرها، و «أولئِكَ»: إشارةٌ إلى المذكورين في هذه السورة من «زكريًّا» إلى «إدريس» ـ صلوات الله عليهم ـ ثُمَّ جمعهُم في كونهم من ذرية آدم.

ثُمَّ خصَّ بعضهم بأنهم من ذُرِّيَّةِ آدمَ، ممَّن حمله مع نُوحٍ، ومنهم من هو من ذرية آدم، دُون من حمله مع نُوحٍ؛ وهو إدريسُ ـ عليه السلام ـ فقد كان سابقاً على نُوحٍ.

والذين هم من ذُريَّة من حمل مع نُوحٍ، وهو «إبراهيمُ»؛ لأنَّه [ولدُ][2] سام بن نُوحٍ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ من ذريةِ إبراهيم.

ثم خصَّ بعضهم أنه من ولد إسرائيل، أي: يعقوب، وهم: مُوسَى، وهارونُ، وزكريًّا، ويحيى، وعيسى؛ من قبل الأمِّ.

فرتَّب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب؛ منبهاً بذلك على أنَّهم كما فُضِّلُوا بأعمالهم، فلهم منزلةٌ في الفضل بولادتهم من هؤلاء الأنبياء.

ثُمَّ بيَّن أنَّهم ممَّن هدينا، واجتبينا؛ مُنبِّهاً بذلك على أنَّهم خُصُّوا بهذه المنازِلِ؛ لهداية الله تعالى لهمُ، ولأنَّهم اختارهم للرسالةِ.

قوله: «إذا تُتْلَى» جملةٌ شرطيةٌ فيها قولان:

أظهرهما: أنها لا محلَّ لها؛ لاستئنافها.

والثاني: أنها خبرُ «أولئكَ» والموصولُ قبلها صفةٌ لاسم الإشارة، وعلى الأول؛ يكونُ الموصول نفس الخبر.

وقرأ العامَّةُ «تُتْلَى» بتاءين من فوق، وقرأ عبدُ الله، وشيبةُ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثير، وابن عامرٍ، وورشٌ عن نافعٍ في رواياتٍ شاذةٍ[3]: بالياء أوَّلاً من تحت، والتأنيثُ مجازيٌّ؛ فلذلك جاز في الفعلِ الوجهان.

قوله تعالى: «سُجَّداً» حالٌ مقدرةٌ؛ قال الزجاج[4]: «لأنهم وقت الخُرُورِ ليسُوا سُجَّداً».

و «بُكِيًّا» فيها وجهان:

أظهرهما: أنه جمعُ باكٍ، وليس بقياس، بل قياسُ جمعه على فعلة؛ كقاضٍ

---

(١) سقط من: أ. (٢) في ب: من ذرية.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٢٥، البحر ٦/ ١٨٩، الدر المصون ٤/ ٥١١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٥.

وقُضاة، ولم يسمع فيه هذا الأصلُ، وقد تقدَّم أنَّ الأخوين يكسران فاءهُ على الإتباع.

والثاني: أنه مصدرٌ على فعولٍ؛ نحو: جلس جُلُوساً، وقَعَد قُعُوداً؛ والأصلُ فيه على كلا القولين «بكُويٌ» بواوٍ وياء، فأعلَّ الإعلال المشهور في مثله، وقال ابن عطيَّة: «وبكيًّا بكسر الباء، وهو مصدرٌ لا يحتمل غير ذلك» قال أبو حيَّان: «وليس بسديدٍ، بل الإتباعُ جائزٌ فيه» وهو جمعٌ؛ كقولهم: عُصِيٌ ودُلِيٌّ، جمع عصاً ودلو، وعلى هذا؛ فيكون «بكيًّا»: إمَّا مصدراً مؤكِّداً لفعلٍ محذوفٍ، أي: وبكَوا بُكِيًّا، أي: بكاء، وإمَّا مصدراً واقعاً موقع الحال، أي: باكينَ، أو ذوي بكاء، أو جعلُوا نفس البكاءِ مبالغةً.

قال الزجاج: «بُكِيًّا» جمع باكٍ؛ مثل شاهدٍ وشُهودٍ، وقاعدٍ وقُعُودٍ، ثمَّ قال: الإنسانُ في حال خُرُوره لا يكون ساجداً، والمرادُ: خرُّوا مقدِّمين للسُّجُود، ومن قال في «بُكِيًّا»: إنَّه مصدرٌ، فقد أخطأ؛ لأنَّ سُجَّداً جمع ساجدٍ، وبكياً معطوف عليه.

فصل

قال المفسِّرون: إنَّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كانُوا إذا سمعُوا آيات الله؛ والمرادُ: الآياتُ التي تتضمَّن الوعد والوعيد، والتَّرغيبَ والتَّرهيبَ خروا سُجداً جمع ساجدٍ، وبكيًّا: جمع باكٍ خشُوعاً وخُضُوعاً، وحذراً وخوفاً.

قال بعضهم: المراد بالسُّجود: الصَّلاة.

وقال بعضهم: المراد: سجودُ التِّلاوة.

وقيل: المراد بالسُّجُود: الخضوعُ والخشُوع عند التِّلاوة.

قال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «اتلُوا القُرآنَ، وابْكُوا، فإنْ لَمْ تَبْكُوا، فتَبَاكَوْا»[1].

قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾﴾.

قوله تعالى[2]: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ الآية[3].

لما وصف الأنبياء[4] بالمدح ترغيباً لنا في[5] التأسي بهم ذكر بعدهم من بالضد

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٤) كتاب الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٣٧) قال البوصيري: في إسناده أبو رافع اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك.
(٢) تعالى: سقط من ب.
(٣) لفظ الآية سقط من ب، وكتب الآية كاملة.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٦ بتصرف.
(٥) في ب: بالتأسي.

منهم، فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[١] أي من بعد هؤلاء الأنبياء «خَلْفٌ» من أولادهم، يقال: خلفه إذا عقبه خلف سوء ـ بإسكان اللام ـ والخَلَف ـ بفتح اللام ـ الصالح[٢]، كما قالوا: وعد في ضمان الخير، ووعيد في ضمان الشر[٣]، وفي الحديث: «في الله خلفٌ من كل هالك»[٤]، وفي الشعر:

٣٦١٠ ـ ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ في أَكْنَافِهِمْ وبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[٥]

قال[٦] السديُّ[٧]: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم[٨]. وقال مجاهد[٩] وقتادة[١٠]: هم[١١] في هذه الأمة[١٢]. «أضاعُوا الصَّلاة» تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود[١٣] وإبراهيم[١٤]: أخروها عن وقتها. وقال سعيد بن المسيب[١٥]: هو أن لا[١٦] يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس[١٧]. «واتَّبعُوا الشَّهواتِ» قال ابن عباس[١٨]: هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمور، واستحلوا نكاح الأخت من الأب[١٩]. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو[٢٠] بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة[٢١]. «فَسَوْفَ يلقَوْنَ غيًّا» قال[٢٢] وهب[٢٣] وابن عباس وعطاء[٢٤]

---

(١) في ب: «فخلف من بعدهم خلفٌ».
(٢) انظر اللسان (خلف)، وفيه من الممكن استعمال كليهما في الخير والشر.
(٣) انظر اللسان (وعد)، وقال الجوهري: الوعد يستعمل في الخير والشر.
(٤) ذكره الفخر الرازي في تفسيره بدون سند ٢١/ ٢٣٦.
(٥) البيت من بحر الكامل، قاله لبيد. الكنف والكنفة: ناحية الشيء، وناحيتا كل شيء: كنفاه، والجمع أكناف.
والمقصود بقوله: في أكنافهم: في ظل خيرهم. الجرب: معروف، بثر يعلو أبدان الناس والإبل. كجلد الأجرب: كجلد الجمل الأجرب، وهو ما لا ينتفع به.
الخلف: الرديء، والبقية، وهو الشاهد وقد تقدم.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(٧) تقدم.
(٨) في ب: لحقهم.
(٩) تقدم.
(١٠) تقدم.
(١١) في ب: وهم.
(١٢) في ب: الآية. وهو تحريف.
(١٣) تقدم.
(١٤) تقدم.
(١٥) تقدم.
(١٦) لا: سقط من ب.
(١٧) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(١٨) تقدم.
(١٩) انظر: الكشاف ٢/ ٤١٥، الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٦.
(٢٠) في الأصل: ينزون. وفي ب: ينزوا. والصواب ما أثبتُّه.
(٢١) انظر البغوي ٥/ ٣٨٠..
(٢٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢.
(٢٣) تقدم.
(٢٤) تقدم.

وكعب[١]: هو وادٍ في جهنم بعيد قعره.

وقال أبو أمامة[٢]: مجازاة الآثام. وقال الضحاك[٣]: «غَيًّا»: خسراناً. وقيل: هلاكاً وقيل: عذاباً[٤]، ونقل الأخفش[٥] أنه قرىء «يُلَقَّوْنَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[٦] من لقَّاه مضاعفاً. وقوله: «يَلْقَوْنَ» ليس معناه «يرون» فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية[٧]. قوله: «إلاَّ من تَابَ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه استثناء متصل[٨]. وقال[٩] الزجاج[١٠]: هو منقطع[١١]. وهذا[١٢] بناء منه على أن المضيع للصلاة من الكفار.

وقرأ عبد الله والحسن[١٣] والضحاك وجماعة «الصلوات»[١٤] جمعاً[١٥].

وقرأ الحسن هنا وجميع ما في القرآن «يُدْخَلُونَ» مبنيًا للمفعول[١٦].

---

(١) تقدم. (٢) تقدم.

(٣) تقدم. (٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢.

(٥) تقدم.

(٦) المختصر (٨٥)، الكشاف ٢/ ٤١٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠١، ونسب صاحب الكشاف هذه القراءة إلى الأخفش حيث قال: (وقرأ الأخفش «يلقَّون»).

(٧) انظر البغوي ٥/ ٣٨٢.

(٨) انظر البحر المحيط: ٦/ ٢٠١، والاستثناء المتصل: هو ما يكون فيه المستثنى بعض المستثنى منه. شرح التصريح ١/ ٣٤٩.

(٩) في ب: قال. (١٠) تقدم.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٣٦. أجاز الزجاج الاتصال والانقطاع وعبارته: (وقوله عز وجل: ﴿**إلاَّ من تاب وآمن**﴾ «من» في موضع نصب، أي فسوف يلقون العذاب إلا التائبين، وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول، ويكون المعنى لكن من تاب وآمن). والاستثناء المنقطع: هو ما لا يكون المستثنى بعض المستثنى منه بشرط أن يكون ما قبل (إلاّ) دالاً على ما يستثنى فيجوز ما قام القوم إلاّ حماراً، ويمتنع قام القوم إلا ثعباناً. شرح التصريح ١/ ٣٥٢.

(١٢) في ب: وهو. (١٣) تقدم.

(١٤) في ب: الصلاة. وهو تحريف.

(١٥) المختصر (٨٥)، الكشاف ٢/ ٤١٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠١.

(١٦) في البحر المحيط قراءة الحسن «يدخلون» مبنيًا للفاعل، حيث قال أبو حيان: (وقرأ الحسن «يدخلون» مبنياً للفاعل، وكذا كل ما في القرآن من «يدخلون»).
البحر المحيط ٦/ ٢٠١. و «يُدْخَلون» بالبناء للمفعول قراءة سبعية قرآها ابن كثير وأبو عمرو هنا، وفي النساء: ﴿**فأولئك يدخلون الجنَّة ولا يظلمون نقيراً**﴾ الآية (١٢٤) وفي فاطر ﴿**جنَّات عدن يدخلونها**﴾ الآية (٣٣)، وفي غافر ﴿**فأولئك يدخلون الجنَّة يرزقون فيها بغير حساب**﴾ الآية (٤٠) وكذلك ﴿**إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ [غافر: ٦٠].
حجة من قرأ «يدخلون» بالبناء للمفعول: أنهما أضافوا الفعل إلى غيرهم، لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله ـ جل ذكره ـ إياها، فهم مفعولون في المعنى، فبنوا الفعل للمفعول على ما لم يسمّ فاعله، وقد أجمعوا على قوله: ﴿**وأدخل الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات**﴾ [إبراهيم: ٢٣]. =

فصل[١]

«احتجوا[٢]»[٣] بقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[٤] على أن الإيمان غير العمل، لأنه عطف العمل على الإيمان، والمعطوف غير[٥] المعطوف عليه.

أجاب الكعبي[٦]: بأنه تعالى فرق بين التوبة والإيمان، والتوبة من الإيمان فكذلك العمل الصالح يكون من الإيمان وإن فرق بينهما.

وهذا الجواب ضعيف، لأن عطف الإيمان على التوبة يقتضي المغايرة بينهما[٧]، لأن التوبة عزم على الترك، والإيمان إقرار بالله، وهما متغايران، فكذلك في هذه الصورة[٨].

ولما بيَّن[٩] وعيد من لم يتب بيَّن أن من تاب وآمن وعمل صالحاً فلهم الجنة ولا يلحقهم ظلم.

وهنا[١٠] سؤالان[١١]:

السؤال الأول: الاستثناء دل عل أنه لا بُدَّ من التوبة[١٢] والإيمان والعمل الصالح، وليس الأمر كذلك، لأن من تاب عن الكفر ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضاً فإن[١٣] الصلاة لا تجب عليه، وكذلك الصوم والزكاة فلو مات[١٤] في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر عنه عمل، فلم يجز توقف الأجر[١٥] على العمل الصالح.

والجواب[١٦]: أن هذه الصورة نادرة، والأحكام إنما تناط بالأعم[١٧] الأغلب.

السؤال الثاني: قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ يدل على أن الثواب مستحق بالعمل لا

= وحجة من قرأ «يدخلون» بالبناء للفاعل، أضافوا الفعل إلى الداخلين، لأنهم هم الداخلون بأمر الله تعالى لهم، دليله قوله: ﴿ادخلو الجنّة﴾ [الأعراف: ٤٩].
السبعة(٢٣٧ ـ ٢٣٨)، الحجة لابن خالويه (١٢٧)، الكشف ١/ ٣٩٧، ٣٩٨، النشر ٢/ ٢٥٢.

(١) فصل: سقط من ب.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٦.
(٣) ما بين القوسين في ب: فإن قيل: احتجوا.
(٤) وآمن سقط من ب.
(٥) المعطوف غير: سقط من ب.
(٦) في ب: فالجواب عنه ذكر الكعبي. والكعبي هو: سليمان بن يزيد بن قنفذ، أبو المثنى الخزاعي، روى عن سالم بن عبد الله بن عمرو، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهما، وروى عنه داود بن قيس الفراء، وعبد الله بن وهب، وغيرهما، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢١.
(٧) بينهما: سقط من ب.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٦.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٧.
(١٠) في ب: فإن قيل: وههنا.
(١١) في ب: سؤلان.
(١٢) في ب: دال على أن التوبة لا بد منها.
(١٣) إن: سقط من ب.
(١٤) في النسختين: تاب. والصواب ما أثبته.
(١٥) في الأصل: الأمر.
(١٦) في ب: فالجواب.
(١٧) في ب: بالأهم، وهو تحريف.

بالتفضّل، لأنه لو كان بالتفضل، لاستحال حصول الظلم، لكن من مذهبكم أنه لا استحقاق للعبد بعمله إلا بالوعد.

وأجيب بأنه لما أشبهه أجري على حكمه(١).

قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ العامة على كسر التاء نصباً على أنها بدل من «الجنة»(٢).

وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه اعتراض بين البدل والمبدل منه.

والثاني: أنه حال. كذا قال أبو حيان(٣).

وفيه نظر من حيث إن المضارع المنفي بـ «لا» كالمثبت في أنه لا تباشره واو الحال(٤).

وقرأ أبو حيوة(٥)، وعيسى بن عمر(٦)، والحسن(٧)، والأعمش(٨):

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٧.

(٢) من قوله تعالى: **﴿فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون شيئاً﴾** من الآية السابقة.
انظر تفسير ابن عطية ٩/ ٤٩٥، البيان ٢/ ١٢٨، التبيان ٢/ ٨٧٧، البحر المحيط ٦/ ٢٠١.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٠١، وأبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي، الغرناطي نحوي عصره، ولغويه، ومحدثه.
من مصنفاته: البحر المحيط، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وغير ذلك، مات سنة ٧٤٥ هـ.
طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩١.

(٤) نص النحويون على أنَّ هناك صوراً تمتنع واو الحال فيها، منها المضارع المثبت المجرد من (قد)، نحو قوله تعالى: **﴿ولا تمنن تستكثر﴾** الآية ٦ من سورة المدثر، وذلك لأنه يشبه اسم الفاعل في الزّنة والمعنى، والواو لا تدخل على اسم الفاعل، فكذلك ما أشبهه. ومنها المضارع المنفي بـ (لا) نحو قوله تعالى: **﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾** [المائدة: ٨٤]، لأن المضارع المنفي بـ (لا) في تأويل اسم الفاعل المضاف إليه (غير) فأجري مجراه في الاستغناء عن الواو. قاله ابن مالك في شرح الكافية ٢/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣: وابن الناظم جعل ترك الواو في المضارع المنفي بـ (لا) أكثر من اقترانه بالواو، وأنشد على مجيء الواو قول مالك بن رقية:

وكنت ولا ينهنهني الوعيد

وقول مسكين الدارمي:

أكسبته الورق البيض أبا ... ولقد كان ولا يدعى لأب

وعلى رأي ابن الناظم فلا محل للنظر.
شرح التصريح ١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢، شرح الأشموني ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٥) هو شريح بن يزيد، أبو حيوة، الحضرمي، الحمصي، صاحب القراءة الشاذة، ومقرىء الشام، له اختيار في القراءة، عن أبي البرهسم عمران بن عثمان، وعن الكسائي قراءته، روى عنه ابنه حيوة، مات سنة ٢٠٣ هـ. طبقات القراء ١/ ٣٢٥.

(٦) هو عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر مولى خالد بن الوليد، إمام في النحو والعربية، والقراءة، أخذ عن ابن أبي إسحاق، وغيره، وكان مشهوراً بالفصاحة، والغريب، وصنف في النحو: الإكمال، والجامع. مات سنة ١٤٩ هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٣٧ ـ ١٣٨.

(٧) في ب: والحسن. وعيسى بن عمر.

(٨) هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، أخذ القراءة عرضاً عن=

«جَنَّات»[١] بالرفع[٢] وفيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ مضمر، تقديره: تلك أو هي جنات عدن[٣].

والثاني: وبه قال الزمخشري[٤]: أنها مبتدأ[٥]، يعني ويكون خبرها «الَّتي وَعدَ».

وقرأ الحسن بن حيّ[٦]، وعلي بن صالح[٧]، والأعمش في رواية «جنَّة[٨] عدنٍ» نصباً مفرداً[٩]. واليماني[١٠]، والحسن، والأزرق[١١] عن حمزة[١٢]، «جَنَّةُ» رفعاً «مفرداً[١٣]»[١٤]. وتخريجها واضح مما تقدم[١٥].

قال الزمخشري: لما كانت الجنة[١٦] مشتملة على جنات عدن أبدلت منها، كقولك

= إبراهيم النخعي، وزر بن حبيش، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعا حمزة الزيات، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهما مات سنة ١٤٨ هـ. طبقات القراء ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦..

(١) «جنات» سقط من ب.

(٢) المختصر (٨٥)، الكشاف ٢/ ٤١٥، تفسير ابن عطية ٩/ ٤٩٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠١.

(٣) تفسير ابن عطية ٩/ ٤٩٥، التبيان ٢/ ٨٧٧، البحر المحيط ٦/ ٢٠١.

(٤) تقدم. (٥) انظر الكشاف ٢/ ٤١٥.

(٦) تقدم.

(٧) علي بن صالح بن صالح بن حي، أبو محمد البكالي، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم، وحمزة، وعرض عليه عبيد الله بن موسى، مات سنة ١٥٤ هـ.
طبقات القراء ١/ ٥٤٦.

(٨) في ب: جنات. وهو تحريف.

(٩) المختصر (٨٥)، البحر المحيط ٦/ ٢٠١.

(١٠) هو محمد بن عبد الرحمن السميفع ـ بفتح السين ـ أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه. طبقات القراء ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(١١) هو إسحاق بن يوسف بن يعقوب الأزرق، أبو محمد الواسطي، قرأ على حمزة، وروى القراءة عن أبي عمرو، وحروف عاصم عن أبي بكر بن عياش، وروى عن الأعمش، وغيره، وروى عنه القراءة إسماعيل بن إبراهيم بن هود، وغيره، مات سنة ١٩٥ هـ.
طبقات القراء ١/ ١٥٨.

(١٢) هو حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠ هـ، وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش، وغيره، وروى عن خلق أشهرهم الكسائي، مات سنة ١٥٦ هـ.
طبقات القراء ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(١٣) البحرالمحيط ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(١٤) ما بين القوسين مكرر في ب.

(١٥) أي أن تخريجها كتخريج قراءة «جنات» بالجمع رفعاً ونصباً.

(١٦) في ب: الآية. وسقطت من الأصل.

أبصرت دارك القاعة والعلالي[١]، و «عَدْن» معرفة بمعنى العدن، وهو الإقامة كما جعلوا فينة[٢]، وسحر، وأمس فيمن لم يصرفه أعلاماً لمعاني الفينة والسحر والأمس[٣]، فجرى مجرى العدن لذلك[٤]، أو هو علم لأرض الجنة، لكونها دار إقامة، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال، لأنَّ النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بـ «التي»[٥].

قال أبو حيان: وما ذكره متعقب، أما دعواه: إن عدناً علم لمعنى العدن[٦]. فيحتاج إلى توقيف وسماع من العرب، وكذا[٧] دعواه العلمية الشخصية فيه، وأما قوله: ولولا ذلك[٨] إلى قوله: موصوفة؛ فليس مذهب البصريين، لأن مذهبهم جواز إبدال النكرة من المعرفة وإن لم تكن موصوفة، وإنما ذلك شيء قاله البغداديون، وهم محجوجون بالسماع[٩] على ما بيناه، وملازمته فاسدة. وأما قوله: ولما ساغ وصفها بـ

---

(١) العلالي: جمع (علّيّة) بكسر العين وضمها مع تشديد اللام مكسورة والياء وهي الغرفة. انظر اللسان (علا).

(٢) الفينة: الحين، الكسائي، وغيره: الفينة: الوقت من الزمان. اللسان (فين).

(٣) ذلك أن (فينة) حين تجعل علماً على الوقت المعين من الزمان منعت من الصرف للعلمية والعدل.
و (سحر) إذا أريد به سحر يوم بعينه واستعمل ظرفاً مجرداً من (ال) والإضافة: كجئت يوم الجمعة سحر. فإنه ممنوع من الصرف للتعريف والعدل. فهو معرفة بالعلمية، لأنه جعل علماً لهذا الوقت، وهو معدول عن السحر المقترن بأل.
و (أمس) إذا كان مراداً به اليوم الذي يليه يومك، ولم يضف ولم يقرن بأل، ولم يصغّر، ولم يكسّر، ولم يقع ظرفاً، فإن بعض بني تميم يمنع صرفه مطلقاً رفعاً ونصباً وجراً، لأنه علم معدول عن الأمس المعرف بـ (ال)، فيقولون: مضى أمس بالرفع بلا تنوين، وشاهدت أمس، وما رأيت زيداً من أمس. بالفتح فيهما، وبعضهم يخص ذلك الإعراب بحالة الرفع خاصة دون حالتي النصب والجر فيبنيه على الكسر فيهما، والحجازيون يبنونه على الكسر مطلقاً في الرفع والنصب والجر على تقديره متضمناً معنى اللام المعرفة.
شرح التصريح ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٦.

(٤) في ب: و.

(٥) الكشاف ٢/ ٤١٥.

(٦) في ب: علماً لمعان أي المعنى العدن.

(٧) في ب: وكذلك.

(٨) في الأصل: ذاك.

(٩) إبدال النكرة من المعرفة من الأمور المختلف فيها بين البصريين، والكوفيين، والبغداديين، فذهب الكوفيون، والبغداديون إلى جواز إبدال النكرة من المعرفة بشرط كون النكرة موصوفة، ووافقهم في ذلك السهيلي وابن أبي الربيع نحو قوله: **﴿عن الشهر الحرام قتال فيه﴾** [البقرة: ٢١٧] لأن النكرة إذا لم تكن موصوفة لم تفد، إذ لا فائدة في قولك: مررت بزيد برجل.
وزاد البغداديون: أو يكون من لفظ الأول، كقوله: **﴿بالناصية ناصية كاذبة﴾** [العلق: ١٣، ١٤]. وذهب البصريون إلى جواز إبدال النكرة من المعرفة مطلقاً، لورودها غير موصوفة، وليست من لفظ الأول، كقوله:

فصدوا من خيارهن لقاحاً ... يتقاذفن كالغصون عزاز

فـ (عزاز) بدل من الضمير في (يتقاذفن). =

«التي»، فلا يتعين كون «التي» صفة، وقد ذكرنا أنه يجوز إعرابه بدلاً[١].

قال شهاب الدين[٢]: إن «التي» صفة، والتمسك بهذا الظاهر كافٍ وأيضاً: فإن الموصول[٣] في قوة المشتقات، وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف[٤]، فكذلك ما في معناه[٥].

قوله: «بِالغَيْبِ»[٦] فيه وجهان:

أحدهما: أن الباء حالية، وفي صاحب الحال احتمالان:

أحدهما: ضمير الجنة، وهو عائد الموصول، أي: وعدها وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها.

والثاني: أن يكون هو[٧] «عِبَادَهُ»[٨]، أي: وهم غائبون عنها لا يرونها، إنما آمنوا بها بمجرد الإخبار عنه.

والوجه الثاني: أن الباء سببية، أي: بسبب تصديقه الغيب، وبسبب الإيمان «به[٩]»[١٠].

قوله: «إِنَّهُ كَانَ». يجوز[١١] في هذا الضمير وجهان:

= وقوله:

فإلى ابن أمّ أناسٍ أرحل ناقتي ... عمرو فتبلغ حاجتي أو تزحف

ملكٍ إذا نزل الوفود ببابه ... عرفوا موارد مزبد لا ينزف

فـ (ملك) بدل من (عمرو). الهمع ٢/ ١٢٧.

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٠٢.

(٢) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين، المعروف بالسمين، كان فقيهاً بارعاً في النحو، والقراءات ويتكلم في الأصول، أديباً، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، أخذ القراءات عن التقي الصائغ، وسمع الحديث من يونس الدبوسي، وله تفسير القرآن (الدر المصون)، والإعراب، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية، وغير ذلك، مات سنة ٧٥٦ هـ. بغية الوعاة ١/ ٤٠٢.

(٣) في ب: الموصوف. وهو تحريف.

(٤) لأن الغالب في البدل أن يكون جامداً، بحيث لو حذفت الأول لاستقل الثاني، ولم يحتج إلى متبوع قبله في المعنى، فإن لم يكن جامداً كقوله:

فلا وأبيك خير منك أني ... ليؤذيني التحمحم والصهيل

قدر الموصوف أي: فلا وأبيك رجل خير منك. شرح الكافية ١/ ٣٣٨.

(٥) الدر المصون ٥/ ١٠ ميكرو فيلم (١٥٣٥٥) دار الكتب.

(٦) في ب: ﴿رجماً بالغيب﴾ [الكهف: ٢٢].

(٧) في النسختين: هي.

(٨) عباده: سقط من ب.

(٩) الكشاف ٢/ ٤١٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠٢.

(١٠) به: سقط من ب.

(١١) في ب: فإن قيل: إنه يجوز.

أحدهما: أنه ضمير الباري تعالى يعود على «الرحمن»، أي: إن الرحمن كان وعده مأتياً.

والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن، لأنه مقام تعظيم وتفخيم.

وعلى الأول يجوز أن يكون في «كان» ضمير هو اسمها يعود على الله ـ تعالى ـ و «وَعْدُهُ» بدل من ذلك الضمير بدل اشتمال، و «مَأْتِيًّا» خبرها.

ويجوز أن لا يكون فيها ضمير، بل هي رافعة لـ «وعده» و «مأتياً» الخبر أيضاً[١].

وهو نظير: إن زيداً كان أبوه منطلقاً.

و «مأتيًّا» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مفعول على بابه، والمراد بالوعد: الجنة، أطلق عليها المصدر، أي: موعود، نحو درهم ضرب الأمير[٢].

وقيل: الوعد مصدر على بابه، و «مأتياً» مفعول بمعنى فاعل[٣]. ولم يرتضه الزمخشري فإنه قال: قيل في «مأتياً» مفعول بمعنى فاعل، والوجه أن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً[٤].

وقال الزجاج: كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، وما أتاك فقد أتيته[٥].

والمقصود من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ بيان أن وعده تعالى ـ وإن كان بأمر غائب ـ فهو[٦] كأنه مشاهد حاصل، والمراد[٧] تقرير ذلك في القلوب.

قوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾. اللغو من[٨] الكلام: ما يلقى ويطرح، وهو المنكر من القول كقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾[٩]. وقال مقاتل[١٠]: هي اليمين الكاذبة[١١] وفيه دلالة على وجوب اجتناب اللغو، لأن الله ـ تعالى ـ نزه عنه الدار التي لا تكليف فيها، ولقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[١٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[١٣][١٤] الآية[١٥].

أبدى الزمخشري فيه ثلاثة أوجه:

---

(١) التبيان ٢/ ٨٧٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٤.
(٤) الكشاف ٢/ ٤١٥.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٣٦.
(٦) هو: سقط من ب.
(٧) المراد: سقط من ب.
(٨) في ب: في.
(٩) [الغاشية: ١١].
(١٠) تقدم.
(١١) تفسير البغوي ٥/ ٣٨٣.
(١٢) [الفرقان: ٧٢].
(١٣) من قوله تعالى: **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾** [القصص: ٥٥].
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) انظر الكشاف ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦، والفخر الرازي ٢١/ ٢٣٨.

أحدها: أن يكون[١] معناه: إن كان تسليم بعضهم على بعض، أو تسليم الملائكة عليهم لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك، فهو من وادي قوله:[٢]

٣٦١١ ـ **وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ**[٣]

الثاني: أنهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقصان على الاستثناء المنقطع.

الثالث: أن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، ودار السلامة هي دار السلامة، وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث، لولا ما فيه من فائدة الإكرام[٤].

وظاهر هذا أن الاستثناء على الأول والأخير متصل، فإنه صرح بالمنقطع في الثاني وأما اتصال الثالث فواضح، لأنه أطلق اللغو على السلام بالاعتبار الذي ذكره.

وأما الاتصال في الأول فعسر[٥]، إذ لا يعدّ ذلك عيباً، فليس من جنس الأول وسيأتي تحقيق هذا إن شاء الله ـ تعالى ـ عند قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٦].

قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فيه سؤالان[٧]:

السؤال الأول[٨]: أن المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بآيات مستعظمة ووصول الرزق إليهم بكرة وعشياً ليس من الأمور المستعظمة.

والجواب من وجهين:

الأول: قال الحسن: أراد تعالى أن يرغب كل قوم بما أحبوه في الدنيا، فلذلك ذكر أساور الذهب والفضة، ولبس الحرير التي كانت[٩] عادة العجم، والأرائك التي هي

---

(١) في ب: كان. (٢) كان: سقط من بَ.

(٣) البيت من بحر الطويل، قاله النابغة الذبياني، فلول جمع فلّ، وهو كسر في حد السيف، وسيف أفلّ: بين الفلل.

القراع والمقارعة: المضاربة بالسيوف. الكتائب: جمع كتيبة، وهي الطائفة المجتمعة من الجيش.

والشاهد فيه أن صاحب الكشاف أورده على أنّ الاستثناء فيه استثناء متصل، مبالغة في المدح، أي: إن كان ولا بدَّ من العيب ففيهم عيب، وهو فلول سيوفهم من مضاربة الأعداء. وأورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يشبه الذم. وقد تقدم.

(٤) انظر الكشاف ٢/٤١٦.

(٥) في ب: وأما الاتصال الأول فعسر أعني الاتصال في الأول عسر.

(٦) [الدخان: ٥٦].

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٣٨.

(٨) في ب: أحدهما.

(٩) في ب: الذي كان.

الحجال[١] المضروبة على الأسرّة، وكانت عادة أشراف اليمن، ولا شيء كان أحب إلى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك.

الثاني: المراد دوام الرزق، تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساء[٢]، تريد الدوام، ولا تقصد الوقتين المعلومين.

السؤال الثاني: قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[٣] وقال عليه السلام[٤]: «لا صباح عند ربك ولا مساء بل هم في نور أبداً»[٥].

والبكرة والعشيّ لا يوجدان[٦] إلا عند وجود الصباح والمساء.

والجواب: أنهم يأكلون على مقدار الغداة والعشي، لا أن في الجنة غدوة ولا عشياً، إذ لا ليل فيها[٧].

وقيل: إنهم يغرفون النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب[٨].

وقيل: المراد رفاهية العيش، وسعة الرزق[٩]، أي: لهم رزقهم متى شاءوا.

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾ صحت الإشارة بـ «تِلْكَ» إلى «الجنَّة» لأنها غائبة.

وقرأ الأعمش: «نورثها» بإبراز عائد الموصول[١٠].

وقرأ الحسن، والأعرج[١١]، وقتادة: «نُوَرِّثُ» بفتح الواو وتشديد الراء[١٢] من ورَّث مضعفاً، وقوله: «نُورث» استعارة، أي: نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث[١٣]، وقيل: معناه: ننقل تلك المنازل ممن لو أطاع لكانت له إلى عبادنا الذين اتقوا ربهم، فجعل هذا النقل إرثاً، قاله الحسن[١٤].

المتقي: هو من اتقى المعاصي؛ واتقى ترك الواجبات.

---

(١) الحجال: جمع حجلة مثل القبة، وحجلة العروس معروفة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور. اللسان (حجل).

(٢) في ب: صباحاً ومساء وبكرة وعشياً.

(٣) [الإنسان: ١٨].

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) في ب: دائماً.

(٦) في ب: لا يوجد. وهو تحريف.

(٧) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٨.

(٨) انظر البغوي ٥/ ٣٨٤.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٠٢.

(١١) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، تابعي جليل، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وروى القراءة عنه عرضاً نافع بن أبي نعيم، مات سنة ١١٩ هـ.
طبقات القراء ١/ ٣٨١.

(١٢) انظر تفسير ابن عطية ٩/ ٤٩٨، البحر المحيط ٦/ ٢٠٢.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٨.

(١٤) المرجع السابق.

قال[١] القاضي[٢]: هذه الآية دالة على أن الجنة يدخلها من كان تقياً، والفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك.

وأجيب بأن هذه الآية تدل على أن المتقي يدخلها، وليس فيها دلالة على أن غير المتقي لا يدخلها، وأيضاً: فصاحب الكبيرة متقٍ عن الكفر، ومن صدق عليه أنه متقٍ (عن الكفر، فقد صدق عليه أنه متقٍ)[٣]، لأن المتقي جزء مفهوم قولنا: المتقي عن الكفر، وإذا كان صاحب الكبيرة (يصدق عليه أنه متقٍ، وجب أن) يدخل الجنة، (فالآية بأن تدل على أن صاحب الكبيرة يدخل الجنة) أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية. قال ابن عطية[٥]: الواو عاطفة جملة كلام على أخرى، واصلة بين القولين، وإن لم يكن معناهما واحداً[٦].

وقد أغرب النقاش[٧] في حكاية قول: وهو أن قوله: «وما نَتَنَزَّلُ» متصل بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾[٨][٩].

وقال أبو البقاء[١٠]: «وما نَتَنَزَّلُ» أي: وتقول الملائكة[١١]. فجعله معمولاً لقول مضمر.

وقيل: هو من كلام أهل الجنة[١٢]. وهو أقرب مما قبله. و «نَتَنَزَّلُ» مطاوع[١٣]

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٩.

(٢) تقدم.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٩.

(٥) تقدم.

(٦) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٠٠.

(٧) تقدم.

(٨) [مريم: ١٩].

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٠٣.

(١٠) تقدم.

(١١) التبيان ٢/ ٨٧٧.

(١٢) وهو قول أبي مسلم. الفخرالرازي ٢١/ ٢٤٠.

(١٣) المطاوعة: التأثر وقبول أثر الفعل، سواه كان التأثر متعدياً نحو علَّمته الفقه فعلمه، أي: قبل التعليم، فالتعليم تأثير والتعلم تأثر وقبول ذلك الأثر، وهو متعدّ أو كان لازماً نحو كسرته فانكسر، أي: تأثر بالكسر، انظر شرح الشافية ٢/ ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧.

نزَّل ـ بالتشديد ـ ويقتضي العمل في مهلة وقد لا يقتضيها. قال الزمخشري: التنزل[١] على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على الإطلاق، كقوله:

٣٦١٢ ـ فَلَسْتُ لإنْسِيّ ولكن لملأكٍ تَنَزَّلَ من جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[٢]

لأنه مطاوع نزل، ونزل يكون بمعنى أنزل، ويكون بمعنى التدرج، واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل، والمراد: أن نزولنا في الأحايين وقتاً بعد وقت[٣].

قال شهاب الدين: وقد تقدم أنه يفرق بين نزَّل وأنزل في أول هذا الموضوع[٤].

وقرأ العامة «نَتَنَزَّلُ» بنون الجمع[٥]. وقرأ الأعرج[٦] «يَتَنَزَّلُ» بياء الغيبة[٧]، وفي الفاعل حينئذ قولان:

أحدهما: أنه ضمير جبريل ـ عليه السلام ـ[٨].

قال ابن عطية: ويرده قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا﴾، لأنه لا[٩] يطرد معه، وإنما يتجه أن يكون خبراً عن جبريل أي: القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها[١٠]. وقد يجاب ابن عطية بأنه على إضمار القول، أي: قائلاً له ما بين أيدينا[١١].

والثاني: أنه يعود على الوحي، وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل، والضمير للوحي[١٢]. ولا بد من إضمار هذا القول أيضاً[١٣].

قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾. استدل بعض النحاة على أن الأزمنة ثلاثة[١٤]: ماض، وحاضر، ومستقبل بهذه الآية[١٥] وهو كقول زهير[١٦]:

---

(١) في ب: التنزيل. وهو تحريف.

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله علقمة الفحل. ملأك أصلها ملك، نقلت حركة الهمزة إلى ما قبلها، ثم خففت الهمزة بحذفها، وقيل: ملأك أصلها مألك، قدمت اللام على الهمزة، ثم خففت الهمزة بحذفها فلما جمعوه ردوا الهمزة إلى أصلها، فقالوا: ملائكة، وملائك.
يصوب: ينزل والشاهد فيه أن التنزيل بمعنى النزول المطلق وقد تقدم.

(٣) الكشاف ٢/٤١٦.

(٤) الدر المصون ٥/١١.

(٥) تفسير ابن عطية ٩/٤٩٨، البحر المحيط ٦/٢٠٤.

(٦) في ب: الأعمش. وهو تحريف.

(٧) المختصر (٨٥)، الكشاف ٢/٤١٧، تفسير ابن عطية ٩/٤٩٨، البحر المحيط ٦/٢٠٤.

(٨) عليه السلام: سقط من ب.

(٩) لا: سقط من ب.

(١٠) تفسير ابن عطية ٩/٤٩٨.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٤.

(١٢) الكشاف: ٢/٤١٧.

(١٣) انظر البحرالمحيط ٦/٢٠٤.

(١٤) في ب: ثلاث.

(١٥) قال ابن الأنباري: (وله ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك في هذه الآية دلالة على أن الأزمنة ثلاثة: ماض، وحاضر، ومستقبل) البيان ٢/١٢٩.

(١٦) تقدم.

٣٦١٣ ـ وأعْلَمُ عِلْمَ اليَوْمِ والأمْسِ قَبْلَهُ ولكِنَّنِي عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ[١]

فصل[٢]

روى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا» فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية[٣]. وقال عكرمة[٤] والضحاك وقتادة ومقاتل، والكلبي[٥]: احتبس جبريل ـ عليه السلام[٦] ـ عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح فقال: «أخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله حتى شق على النبي ﷺ فقال المشركون ودَّعهُ ربه وقلاه، ثم نزل[٧] بعد أيام، فقال له رسول الله ﷺ «أبطأت علي حتى ساء ظني، واشتقت إليك» فقال له جبريل ـ عليه السلام[٨] ـ إني كنت إليك أشوق، ولكنني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست. فنزل قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٩] وسورة الضحى[١٠] وفي هذه الآية سؤال[١١]: وهو أن قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ كلام الله، وقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ كلام غير الله، فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل؟.

وأجيب: بأنه إذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١٢]، (وهذا كلام الله تعالى، ثم عطف عليه)[١٣] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾[١٤]. واعلم أنَّ ظاهر قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ خطاب جماعة لواحد، وذلك لا يليق بالذين ينزلون على الرسول، فلذلك ذكروا في سبب النزول ما تقدم[١٥].

ثم قال[١٦]: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي: علم ما بين أيدينا[١٧] قال سعيد بن

---

(١) البيت من بحر الطويل، قاله زهير، رجل عم في أمره: لا يبصره. وقد أورده ابن عادل شاهداً على أن الأزمنة ثلاثة ماضٍ، وحاضر، ومستقبل فقوله: (اليوم) يدل على الزمن الحاضر، و (الأمس) يدل على الماضي، و (غد) يدل على المستقبل. وقد تقدم.

(٢) فصل: سقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري (بدء الخلق) ٢/ ٢١٣، (كتاب التفسير) ٣/ ١٥٧، والترمذي (التفسير) ٤/ ٣٧٧، والإمام أحمد ١/ ٢٣١، ٢٣٤، ٣٥٧.

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) في: عليه الصلاة والسلام.

(٧) في ب: ثم نزل عليه.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) [الكهف: ٢٣، ٢٤].

(١٠) انظر البغوي ٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٩.

(١٢) [مريم: ٣٥].

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: وقوله.

(١٤) [مريم: ٣٦]، وفي ب بعد ذكر هذه الآية: عطف عليه.

(١٥) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٣٩.

(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

جبير[١]، وقتادة، ومقاتل: «ما بَيْنَ أيدِينَا» من أمر الآخرة، والثواب، والعقاب، «ومَا خَلْفَنَا» من أمر الدنيا، «ومَا بَيْنَ ذلِكَ» ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة. وقيل: «مَا بَيْنَ أيْدِينَا» من أمر الآخرة، «ومَا خَلْفَنَا» من أمر الدنيا، «ومَا بَيْنَ ذلِكَ» أي: بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

وقيل: «مَا بَيْنَ أيدينَا» ما بقي من أمر الدنيا، «ومَا خَلْفَنَا» ما مضى منها، «ومَا بَيْنَ ذَلِكَ» هذه حياتنا. وقيل: «مَا بَيْنَ أيدِينَا» بعد أن نموت، «ومَا خلفنا» قبل أن نخلق، «ومَا بَيْنَ ذلكَ» مدة الحياة. وقيل: «مَا بَيْنَ أيدِينَا» الأرض إذا أردنا النزول إليها، «ومَا خَلْفَنَا» السماء وما أنزل منها، «ومَا بَيْنَ ذلِكَ» الهواء، يريد أن ذلك كله لله ـ عز وجل ـ فلا يقدر على شيء إلاَّ بأمره. ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: ناسياً، أي: ما نسيك ربك بمعنى تركك، والناسي التارك[٢]، كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣] أي: ما كان امتناع النزول لترك الله لك وتوديعه إياك[٤].

قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه بدل من «ربُّكَ»[٦].

الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر، أي: هُو ربُّ[٧].

الثالث: كونه مبتدأ والخبر الجملة الأمرية بعده. وهذا ماشٍ على رأي الأخفش، إذ[٨] يجوِّز زيادة الفاء في خبر المبتدأ مطلقاً[٩].

---

(١) تقدم.

(٢) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) [الضحى: ٣].

(٤) الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٠.

(٥) في ب: **﴿رب السَّموات والأرض﴾**.

(٦) في قوله تعالى: **﴿وما كان ربُّك نسياً﴾** من الآية السابقة. الكشاف ٢/ ٤١٧، البيان ٢/ ١٢٩، البحر المحيط ٦/ ٢٠٤.

(٧) الكشاف ٢/ ٤١٧، البيان ٢/ ١٢٩، التبيان ٢/ ٨٧٧، البحر المحيط٦/ ٢٠٤.

(٨) إذ: سقط من ب.

(٩) خالف الأخفش كثيراً من النحويين حيث جوَّز زيادة الفاء في خبر المبتدأ مطلقاً، نحو: زيدٌ فوجد وقول الشاعر:

وقائلة: خولان فانكح فتاتهم ... وأكرومة الحيين خلوٌ كما هيا

والفراء، والأعلم، وجماعة قيدوا الجواز بكون الخبر أمراً، أو نهياً، فالأمر بالبيت السابق والنهي نحو: محمد فلا تضربه.

والأكثرون يجيزون دخول الفاء في خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ متضمناً معنى الشرط، بأن كان اسماً موصولاً بشرط أن يكون عاماً، وأن تكون صلته فعلاً أو ظرفاً نحو: الذي يأتيني أو في الدار فله درهمٌ واشترط هذا، لأنَّه إذا كان كذلك كان فيه معنى الشرط، فتدخل فيه الفاء كما تدخل في الشرط=

قوله: «لِعِبادَتِهِ» متعلق بـ «اصْطَبِرْ» فإن قيل: لِمَ لَمْ يقُلْ: واصطبر على عبادته، لأنها صلته، فكان[1] حقه تعديه بـ «على»؟.

فالجواب: أنَّه ضمن[2] معنى الثبات، لأنَّ العبادة ذات تكاليف قل من يصبر[3] لها، فكأنَّه قيل: واثبت لها مصطبراً[4]. واستدلوا بهذه الآية على أنَّ فعل العبد خلق الله ـ تعالى ـ، لأنَّ فعل العبدِ حاصل بين السموات والأرض، وهو رب لكل شيء حاصل بينهما[5].

قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أدغم الأخوان[6]، وهشام[7]، وجماعة لام «هَلْ» في «التاء»[8].

وأنشدوا[9] على ذلك بيت مُزاحِم العُقيليّ[10]:

٣٦١٤ ـ فَذَرْ ذَا[11] ولكِنْ هَتُّعِينُ مُتَيَّماً ... عَلى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ نَاصِبِ[12]

= المحض، نحو: من يأتني فله درهم أو كان المبتدأ نكرة عامة موصوفة بالفعل، أو الظرف أو الجار والمجرور، نحو: كلُّ رجلٍ يأتيني أو أمامك، أو في الدار فله درهمٌ، لأنَّ النكرة في إبهامها كالموصول إذا لم يرد به مخصوص، والصفة كالصلة، فإذا كانت بالفعل أو ما هو في تقديره من جار ومجرور كانت كالموصول في شبه الشرط والجزاء، فتدخل الفاء في خبرها كما تدخل في خبر الموصول.

وقد أوّل سيبويه وغيره ما أنشده الأخفش على تقدير مبتدأ، والفاء عاطفة من عطف جملة فعلية على جملة اسمية.

الكتاب ١/ ١٣٨ ـ ١٤١، البيان ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، التبيان ٢/ ٨٧٧ ابن يعيش ١/ ٩٩ ـ ١٠١، شرح الكافية ١/ ١٠١ ـ ١٠٢، المغني ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦.

(١) في ب: وكان.

(٢) التضمين: هو أن يؤدي اللفظ معنى الفظ فيعطى حكمه نحو قوله تعالى: **﴿الرَّفث إلى نسائكم﴾** [البقرة: ١٨٧]، ضمِّن الرفث معنى الإفضاء فعدي بـ (إلى) مثل: **﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾** [النساء: ٢١]، وإنَّما أصل الرفث أن يتعدى بالباء، ويقال: أرفث فلان بامرأته. المغني ٢/ ٦٨٥.

(٣) في ب: يثبت.

(٤) الكشاف ٢/ ٤١٧، البحر المحيط ٦/ ٢٠٤.

(٥) الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٦) حمزة والكسائي.

(٧) هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد، وغيرهما، وروى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن يزيد الحلواني، وغيرهما، مات سنة ٢٤٥ هـ. طبقات القراء ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦.

(٨) السبعة (١٢٢ ـ ١٢٣)، البحر المحيط ٦/ ٢٠٤، الإتحاف ٣٠٠.

(٩) في ب: وأنشد.

(١٠) هو مزاحم بن الحارث من بني عقيل، شاعر، بدوي، فصيح، إسلاميّ، كان في زمن جرير والفرزدق، وكان جرير يقرظه ويقدمه. الخزانة ٦/ ٢٠٤، الإتحاف ٣٠٠.

(١١) في ب: ها.

(١٢) البيت من بحر الطويل، قاله مزاحم العقيل«يّ»، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٩، الكتاب ٤/ ٤٥٩، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٠٣، ابن يعيش ١٠/ ١٤١، ١٤٢، البحر المحيط ٦/ ٢٠٤، المتيَّم: الذي تيَّمه الحب=

فصل

دلَّ ظاهر الآية على أنَّه ـ تعالى ـ رتب الأمر[١] بالعبادة والأمر بالمصابرة عليها أنه لا سميّ له[٢]، والأقرب أنه ذكر الاسم وأراد هل تعلم له نظيراً فيما يقتضي العبادة والتي[٣] يقتضيها كونه منعماً بأصول (النعم وفروعها، وهي خلق الأجسام، والحياة والعقل، وغيرها، فإنه لا يقدر على ذلك)[٤] أحد سواه ـ سبحانه وتعالى ـ وإذا كان قد أنعم عليك بغاية الإنعام، وجب أن تعظمه بغاية التعظيم، وهي العبادة[٥].

قال ابن عباس: هل تعلم له مثلاً[٦].

وقال الكلبي: ليس[٧] له شريك في اسمه[٨]. وذلك لأنهم[٩] وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله ـ تعالى ـ[١٠] على شيء. قال ابن عباس: لا يسمى بالرحمن غيره. وأيضاً: هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل، لأنَّ التسمية على الباطل كلا تسمية، لأنها غير معتد بها، والقول الأول أقرب[١١].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ الآية[١٢]. «إذَا» منصوب بفعل مقدر مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾[١٣]، تقديره: إذا مت أبعث أو[١٤] أحيا، ولا يجوز أن يكون العامل فيه «أُخْرَجُ» لأنَّ ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها[١٥] قال أبو البقاء: لأن ما بعد اللام وسوف لا يعمل فيما قبلها كـ «إنَّ»[١٦] قال شهاب الدين: قد جعل

= واستعبده. النَّاصب: المنصب والمتعب. وهو غير جار على فعله، لأنَّ الفعل (أنصب) فهو منصب، وإنما هو على النسب كتامر ولابن. والشاهد فيه إدغام اللام في التاء، أي: لام (هل) في تاء (تعين)، لأنَّهما متقاربان في المخرج، إذ هما من حروف طرف اللسان.

(١) في ب: على الأمر.
(٢) في ب: لا يسمى.
(٣) في ب: الذي.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٤١.
(٦) انظر البغوي ٥/ ٣٨٦.
(٧) في ب: هل تعلم.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٤١.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤١.
(١٠) تعالى: سقط من ب.
(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤١.
(١٢) الآية: سقط من ب، وكتبت الآية كاملة.
(١٣) في ب: لسوف أخرج حياً.
(١٤) في ب: و.
(١٥) (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، ولأنَّ «لسوف أخرج حيّاً» لا يصح أن يكون جواباً لـ «إذا»، لاقترانه بلام الابتداء، وهي لها الصدارة في جملتها، قدر لـ «إذا» جوابها، وهو الناصب لها على نحو ما قدر في الأصل. الكشاف ٢/ ٤١٧، البيان ٢/ ١٣٠.
(١٦) التبيان ٢/ ٨٧٧، والمقصود بالتنظير هنا أنَّ خبر (إنَّ) لا يتقدم عليها.

المانع مجموع الحرفين، أما اللام فمسلم وأما حرف التنفيس فلا مدخل له في المنع، لأن حرف التنفيس يعمل ما بعده فيما قبله، تقول: زَيْداً سأضْرِبُ وسوف أضرب، ولكن فيه خلاف ضعيف[١]، والصحيح الجواز، وأنشدوا عليه:

٣٦١٥ ـ فَلَمَّا رَأتْهُ آمِناً هَانَ وجْدُهَا وقَالَتْ أبُونَا هَكَذَا سَوْفَ يَفْعَلُ[٢]

فـ «هَكَذَا»[٣] منصوب بـ «يَفْعَلُ» بعد (حرف التنفيس[٤])[٥]، (وقال ابن عطية)[٦]: واللام في قوله: «لَسَوْفَ» مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم[٧] بهذا المعنى، كأن قائلاً قال للكافر: (إذَا متُّ)[٨] يا فلان لسوف تخرج[٩] حيًّا، فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد، وكرر اللام حكاية للقول الأول[١٠]. قال أبو حيان: ولا يحتاج إلى هذا التقدير، ولا أن[١١] هذا حكاية لكلام[١٢] تقدم بل هو من كلام الكافر، وهو استفهام فيه معنى الجحد والاستبعاد[١٣]. وقال الزمخشري[١٤]: فإن قيل: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلتُ: لم تجامعها إلاَّ مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض، واضْمَحَلَّ[١٥] عنها معنى التعريف[١٦].

---

(١) حيث منع ابن الطراوة، وتلميذه السهيلي أن يتقدم ما بعد السين وسوف عليهما، وعندهما أنهما حرفا مصدر، لأنهما من حروف المعاني الداخلة على الجمل، ومعناها في نفس المتكلم، وإليه يسند لا إلى الاسم المخبر عنه، فوجب أن يكون له صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والتمني، وغير ذلك، ولذلك قبح زيداً سأضرب، وزيدٌ سيقوم، مع أنَّ الخبر عن زيد إنَّما هو بالفعل لا بالمعنى الذي دلَّت عليه السين، فإن ذلك المعنى مسند إلى المتكلم لا إلى زيد، فلا يجوز أن يخلط بالخبر عن زيد فتقول: زيدٌ سيفعل.
نتائج الفكر ١٢١ ـ ١٢٢، حاشية يس على التصريح ١/ ١٦٠.

(٢) البيت من بحر الطويل قاله النمر بن تولب، وهو في البحر المحيط ٦/ ٢٠٦، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٥٥، حاشية يس ١/ ١٦٠.
هان: ضعف الوجد: الشَّوق. الشاهد فيه أن ما بعد حرف التنفيس يعمل فيما قبله، فـ (هكذا) منصوب بـ (يفعل) بعد سوف. وبهذا البيت ردّ على ابن الطراوة وتلميذه السهيلي حيث منعا أن يتقدم ما بعد السين وسوف عليهما.

(٣) في ب: فكذا. وهو تحريف.
(٤) الدر المصون ٥/ ١١.
(٥) ما بين القوسين في ب: حرف التعليل والتنفيس.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: مقدم.
(٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٩) في ب: أخرج.
(١٠) تفسير ابن عطيه ٩/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦.
(١١) في ب: ولا يحتاج هذا لأن.
(١٢) في ب: للقول لكلام.
(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٠٧.
(١٤) في ب: وقال الزمخشري: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي لام الحال كيفية فإن قيل.
(١٥) اضمحل السحاب: تقشع، واضمحل الشيء، أي: ذهب. اللسان (ضحل).
(١٦) الكشاف ٢/ ٤١٧.

قال أبو حيان: وما ذكر من أن اللام[١] تعطي «معنى»[٢] الحال مخالف فيه[٣]، فعلى مذهب من لا يرى ذلك[٤] يسقط[٥] السؤال، وأما قوله: كما أخلصت الهمزة. فليس ذلك إلاً على مذهب من يزعم أن أصله: إله[٦]، وأما من يزعم أن[٧] أصله: لاه. فلا تكون الهمزة فيه للتعويض «إذْ لم يحذف منه شيء، ولو قلنا: إنَّ أصله إله، وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض»[٨]، إذ لو كانت عوضاً من المحذوف لثبتت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النداء، قالوا: يا لله بحذفها[٩]، وقد نصوا على أن «قطع»[١٠] همزة الوصل في النداء شاذ[١١].

---

(١) في ب: من معنى اللام.

(٢) معنى: تكملة من البحر المحيط.

(٣) لام الابتداء الداخلة على الفعل المضارع من الأمور المختلف في دلالتها، فذهب الكوفيون إلى أنها تقصر الفعل على الحال بعد أن كان مبهماً، ولذلك لا يجوزون اجتماع لام الابتداء مع حرف التنفيس، للتناقض، فلا تقول: إن محمداً لسوف يقوم. وذهب البصريون إلى أنها لا تقصره على الحال، بل هو مبهم، لأنَّ اللام عندهم باقية على إفادة التوكيد، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وإنَّ ربَّك ليحكم بينهم**﴾ [النحل: ١٢٤]، فيجوزون اجتماع اللام مع سوف لقوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك**﴾ [الضحى: ٥]، فيجوز عندهم إن محمَّداً لسوف يقوم. ابن يعيش٩/ ٢٦، شرح الكافية ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٤) وهو مذهب البصريين.

(٥) في ب: لسقط.

(٦) أي أنَّ أصل لفظ الجلالة على هذا المذهب (إلاه) على وزن فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه، أي: معبود، ثم دخلت عله (ال)، فصار (الإلاه)، ثم حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام قبلها، فصار (اللاه) بكسر لام التعريف، ثم سكنت لام التعريف، وأدغمت في اللام الثانية، وفخمت تعظيماً.

فلما كثر استعمال لفظ الجلالة، وكانت (ال) عوضاً من المحذوف صارتا كحرف من حروفه، وجاز نداؤه، وإن كانت فيه (ال).

الكتاب ٢/ ١٩٥، ابن يعيش ٢/ ٩.

(٧) في ب: رغم أنه.

(٨) ما بين القوسين تكملة من البحر المحيط.

(٩) عند نداء لفظ الجلالة تقول: يا الله. باثبات الألفين، ألف (يا) وألف (الله)، ويلله، بحذفهما معاً، ويالله بحذف الثانية فقط وإبقاء الأولى.

والأكثر حذف حرف النداء (يا) وتعوض عنه الميم المشددة، فتقول: اللهم بحذف حرف النداء وزيادة الميم في آخره، ولم تزد مكان المعوض منه، لئلا يجتمع زيادتا الميم و (ال) في الأول، وخصَّت الميم بذلك، لأنَّ الميم عهدت زيادتها آخراً كميم زرقم.

شرح التصريح ١/ ١٧٢.

(١٠) قطع: تكملة من البحر المحيط.

(١١) البحر المحيط ٦/ ٢٠٧.

لم أجد من قال بشذوذ قطع همزة الوصل في النداء مطلقاً فيما وصلت إليه يدي من مراجع.

وقرأ الجمهور «أإِذَا» بالاستفهام[١]، وهو استبعاد كما تقدم[٢]. وقرأ ابن ذكوان[٣] بخلاف عنه، وجماعة «إِذَا» بهمزة واحدة[٤] على الخبر أو[٥] الاستفهام وحذف أداته للعلم بها، ولدلالة القراءة الأخرى عليها.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف[٦] «لسَأخرجُ» بالسين دون سوف. هذا نقل الزمخشري عنه[٧]. وغيره نقل «سَأُخْرَجُ» دون لام الابتداء[٨]، وعلى هذه القراءة يكون العامل[٩] في الظرف نفس «أُخْرَجُ»، ولا يمنع حرف التنفيس[١٠] على الصحيح[١١].

وقرأ العامة «أُخْرَجُ» مبنياً للمفعول[١٢]. والحسن، وأبو حيوة «أَخْرُجُ» مبنياً للفاعل[١٣]. و «حيًّا» حال مؤكدة[١٤]، لأنَّ من لازم خروجه أن يكون حيًّا، وهو كقوله: ﴿أُبْعَثُ حَيًّا﴾[١٥].

فصل

لما أمر بالعبادة[١٦] والمصابرة عليها، فكأنَّ سائلاً سأل وقال: هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا، وأمّا في[١٧] الآخرة فقد أنكرها قوم، فلا[١٨] بُدَّ من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى تظهر فائدة الاشتغال بالعبادة، فلهذا حكى الله ـ تعالى ـ قول منكري الحشر، فقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الآية، قالوا ذلك على سبيل الإنكار والاستبعاد وذكروا في الإنسان وجهين:

---

(١) انظر البحر المحيط: ٦/٢٠٦.
(٢) أي: هو استفهام فيه معنى الجحد والاستبعاد.
(٣) تقدم.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٦.
(٥) في ب: على جواز.
(٦) تقدم.
(٧) الكشاف ٢/٤١٨.
(٨) المختصر (٨٥).
(٩) في ب: العالم. وهو تحريف.
(١٠) التنفيس: مكرر في ب.
(١١) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٦.
(١٢) تفسير ابن عطية ٩/٥٠٦، البحر المحيط ٦/٢٠٧.
(١٣) المختصر (٨٥) تفسير ابن عطية ٩/٢٠٦، البحر المحيط ٦/٢٠٦.
(١٤) الحال المؤكدة هي التي يستفاد معناها بدون ذكرها، وتكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها نحو «زيد أبوك عطوفاً»، أو لعاملها كقوله تعالى: **﴿ويوم أبعث حياً﴾** [مريم: ٣٣] أو لصاحبها كقوله تعالى: **﴿لآمن من في الأرض كلُّهم جميعاً﴾** [يونس: ٩٩]. فإنَّ الأبوة من شأنها العطف، والبعث من لازمه الحياة، والعموم من مقتضياته الجمعية.
شرح التصريح ١/٣٦٧.
(١٥) من قوله تعالى: **﴿والسَّلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾** [مريم: ٣٣].
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٤١ ـ ٢٤٢.
(١٧) في: سقط من الأصل.
(١٨) في ب: ولا.

أحدهما: أن يكون المراد الجنس كقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾[١].

فإن قيل: كلهم غير قائلين بذلك، فكيف يصح هذا القول؟.

فالجواب من وجهين: **الأول**: أنَّ[٢] هذه المقولة لمَّا كانت موجودة في جنسهم صحَّ اسنادها إلى جميعهم، كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما القاتل رجل منهم[٣].

الثاني: أنَّ هذا الاستبعاد موجود ابتداء في طبع كل أحد إلاَّ أنَّ بعضهم تركه للدلالة القاطعة على صحة القول به.

القول الثاني[٤]: أنَّ المراد بالإنسان شخص معين، فقيل: أبيُّ بن خلف الجمحي.

وقيل: أبو جهل. وقيل: المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث[٥].

ثم إن الله ـ تعالى ـ أقام الدلالة على صحة البعث فقال: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الآية[٦] قرأ نافع[٧]، وابن عامر[٨]، وعاصم[٩]، وجماعة: «يَذْكُرُ» مضارع ذكر.

والباقون بالتشديد[١٠] مضارع تذكَّر. والأصل: يتذكر، فأدغمت التاء في الذال[١١].

---

(١) من قوله تعالى: **﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** [الإنسان: ١].

(٢) في ب: لما كانت.

(٣) في ب: بنوا فلان تغلبوا طبع كل أحد الأقوال وإنما قاله رجل منهم. وهو تحريف، وفي الأصل: بنوا. وهو تحريف.

(٤) في الأصل: الثالث. وهو تحريف.

(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٦) في ب: فقال أولاً قوله تعالى: **﴿أو لا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾**.

(٧) هو نافع بن عبد الرحمن بن نعيم أبو رويم، أحد القراء السبعة، وإليه انتهت رئاسة القراءة بالمدينة أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبي جعفر القارىء، وغيرهما، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً إسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان، وغيرهما. مات سنة ١٦٩ هـ.

طبقات القراء ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣٤.

(٨) هو عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، أحد القراء السبعة، وكان أسنهم وأعلاهم سنداً، قرأ على جماعة من الصحابة، وقيل: قرأ على عثمان بن عفان، مات سنة ١١٨ هـ. طبقات القراء ١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥.

(٩) تقدم.

(١٠) السبعة (٤١٠)، الحجة لابن خالويه (٢٣٨)، الكشف ٢/ ٩٠، النشر ٢/ ٣١٨، الإتحاف ٣٠٠. فمن قرأ بالتخفيف جعله من الذكر الذي يكون عقيب النسيان، ومن قرأ بالتشديد جعله من التذكر الذي هو بمعنى التدبر.

(١١) قال سيبويه: (ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يطَّوَّعون في يتطوَّعون، ويذَّكرون في يتذكرون، ويسَّمَّعون في يتسمّعون، الإدغام في هذا أقوى، إذ كان يكون في الانفصال، والبيان فيهما عربيّ حسن لأنهما متحركان، كما حسن في يختصمون ويهتدون. وتصديق الإدغام قوله تعالى: **﴿يطَّيَّروا بموسى﴾** و **﴿يذكرون﴾**) الكتاب ٤/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

وقد قرأ بهذا الأصل وهو «يتذكَّر» أبيٌّ[١].

والهمزة في قوله: «أو لا يذكُرُ» مؤخرة عن حرف العطف تقديراً كما هو قول الجمهور[٢] وقد رجع الزمخشري إلى قول[٣] الجمهور هنا فقال: الواو عطفت «لا يذكُرُ» على «يَقُولُ» ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف «عليه»[٤] وحرف العطف[٥].

ومذهبه: أن يقدر بين حرف العطف وهمزة الاستفهام جملة يعطف عليها ما بعدها[٦].

وقد فعل هذا أعني الرجوع إلى قول الجمهور في سورة الأعراف كما نبَّه عليه في موضعه[٧].

قوله: «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل بعثه[٨]، وقدره الزمخشري: من قبل الحالة التي هو فيها، «وهي حالة»[٩] بقائه[١٠].

فصل

قال بعض العلماء[١١]: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا

---

(١) المختصر (٨٦)، الكشاف ٢/٤١٨، تفسير ابن عطية ٩/٥٠٦، البحرالمحيط ٦/٢٠٧.

(٢) مذهب الجمهور أنَّ همزة الاستفهام إذا كانت في جملة معطوفة بـ (الواو) أو بـ (الفاء) أو بـ (ثم) قدمت على العاطف، تنبيهاً على أصالتها في التصدير، ويعطف ما بعدها على ما قبلها. والزمخشري خالف الجمهور في ذلك فهو يعتبر الهمزة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على إقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير. المغني ١/١٦، الهمع ٦٩.

(٣) في ب: لما رأى. وهو تحريف.

(٤) عليه: تكملة من الكشاف.

(٥) الكشاف ٢/٤١٨.

(٦) ويظهر ذلك في حديث الزمخشري عند قوله تعالى: **﴿أوكلَّما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾** [البقرة: ١٠٠] قال: («أوكلَّما» الواو للعطف على محذوف معناه: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهداً) الكشاف ١/٨٥. وعند الجمهور المعطوف عليه قوله تعالى: **﴿ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بيّناتٍ وما يكفر بها إلاّ الفاسقون﴾** [البقرة: ٩٩]. شرح الشافية ٢/٣٦٨. وضعف مذهب الزمخشري بما فيه من التكلف بتقدير المعطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف، وعدم اطراده في جميع المواضع فقد رجع إلى رأي الجمهور كما في الآية هنا، وفي قوله تعالى: **﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾** [الأعراف: ٩٧، ٩٨] حيث قال: (والفاء والواو في «أفأمن» و «أوأمن» حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار، فإن قلت: ما المعطوف عليه، ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله: «فأخذناهم بغتة»، وقوله «ولو أنَّ أهل القرى» إلى «يكسبون» وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء، لأنّ المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك من أهل القرى يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى) الكشاف ٢/٧٨.

(٧) ب: موضعين. وهو تحريف.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٧.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) الكشاف ٢/٤١٨.

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٢.

الاختصار ما قدروا عليه، إذ لا شك أنَّ الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً، ونظيره قوله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[١]، وقوله[٢]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٣] واحتجوا بهذه الآية على أنَّ المعدوم ليس بشيء، وهو ضعيف؛ لأن الإنسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة قامت بها أعراض، وهذا المجموع ما كان شيئاً، ولكن لم قلت: إن كل واحد من تلك الأجزاء ما كان شيئاً قبل[٤] كونه موجوداً فإن قيل: كيف أمر الله ـ تعالى ـ الإنسان بالتذكر مع أنَّ التذكر هو العلم بما علمه من قبل ثم تخللهما سهو؟.

فالجواب: المراد أو لا[٥] يتفكر فيعلم خصوصاً إذا قرىء[٦] «أو لا يذَّكَّرُ» مشدداً[٧]، أما إذا قرىء[٨] «أو لا يذكُرُ» مخففاً[٩]، فالمراد أو لا يعلم ذلك من حال نفسه لأنَّ كل أحد يعلم أنه لم يكن حيًّا في الدنيا ثم صار حيًّا[١٠].

ثم إنه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل[١١] أردفه بالتشديد[١٢] فقال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: لنجمعنهم في المعاد، يعنى المشركين المنكرين للبعث مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة.

وفائدة القسم أمران: **أحدهما**[١٣]: أنَّ العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين.

والثاني: أنَّ في إقسام الله ـ تعالى ـ باسمه[١٤] مضافاً إلى رسول الله ﷺ رفعاً[١٥] منه لشأنه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[١٦]. والواو في «والشَّياطين» يجوز أن تكون للعطف[١٧]، وبمعنى «مع» وهي بمعنى «مع»[١٨] أوقع[١٩]. والمعنى، أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغروهم. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ أي: نحضرهم على أذل صورة لقوله: «جِثِيًّا»، لأنَّ البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل، أو صورة العاجز[٢٠].

---

(١) [يس: ٧٩].
(٢) في ب: ومثله.
(٣) [الروم: ٢٧].
(٤) في ب: لم يكن.
(٥) في ب: منتقى. وهو تحريف.
(٦) في الأصل: أن لا. وهو تحريف.
(٧) في الأصل: قرأ.
(٨) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وسبق تخريجها.
(٩) وهي قراءة نافع وعاصم وابن عامر.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٢.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٢ ـ ٢٤٣.
(١٢) في ب: بالدليل بالتهديد.
(١٣) في ب: الأول.
(١٤) في الأصل: بنفسه.
(١٥) في الأصل: رفع.
(١٦) [الذاريات: ٢٣].
(١٧) في ب: للتعظيم. وهو تحريف.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٩) على العطف تكون «الشياطين» معطوفة على الضمير في «لنحشرنَّهم»، وعلى كونها بمعنى (مع) يكون ما بعد الواو منصوباً على المفعول معه، والمعنى: لنحشرنهم في صحبة الشياطين. الكشاف ٢/٤١٨.
(٢٠) في ب: لأن البارك على ركبته صورة الذليل أو صورة الفاجر.

فإن قيل: هذا المعنى حاصل للكل لقوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[(١)]، ولأنَّ العادة جارية بأنَّ الناس في مواقف[(٢)] مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من القلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معه[(٣)] القيام على أرجلهم وإذا[(٤)] كان هذا حاصلاً[(٥)] للكل، فكيف يدل على مزيد ذل الكفار.

فالجواب: لعل المراد أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه[(٦)] الحال، وذلك يوجب مزيد ذلهم[(٧)].

قوله: «جِثِيًّا» حال مقدرة[(٨)] من مفعول «لَنُحْضرنَّهُمْ»[(٩)]. و «جِثِيًّا» جمع جاثٍ جمع على فعول، نحو قَاعد وقُعُود، وجَالس وجُلوس، وفي لامه[(١٠)] لغتان:

أحدهما: الواو.

والأخرى: الياء.

يقال: جَثَا يَجْثُو جُثُوًّا، وجَثَا يَجْثِي جِثِيًّا[(١١)].

فعلى التقدير الأول: يكون أصله جُثُوو. بواوين الأولى زائدة علامة للجمع والثانية لام الكلمة، ثم أعلت إعلال عِصِيّ ودليّ، وتقدم تحقيقه في «عِتِيًّا»[(١٢)].

وعلى الثاني يكون الأصل: جُثُوياً، فأعل إعلال هيِّن وميِّت[(١٣)].

وعن ابن عباس: أنه بمعنى جماعات جماعات، جمع جثْوة، وهو المجموع من

---

(١) [الجاثية: ٢٨].
(٢) في ب: بمواقع.
(٣) في الأصل: معها.
(٤) في ب: ولما.
(٥) في الأصل: حاصل.
(٦) في ب: هذا.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.
(٨) الحال المقدرة: هي الحال المستقبلة، وهي ما لم تحدث بعد، ولكن يقدر وينتظر حدوثها مثل: مررت برجلٍ معه صقر صائداً به غداً، أي: مقدراً ذلك، وعليه فـ (جثيًّا) كوصف للكفار والشياطين لم يتحقق بعد، ولكنه سيتحقق يوم القيامة. انظر المغني ٢/ ٤٦٥، والأشموني ٢/ ١٩٣.
(٩) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٠، الكشاف ٢/ ٤١٩، البيان ٢/ ١٣٠.
(١٠) في ب: الآية. وهو تحريف.
(١١) قال ابن منظور: (جثا يجثو ويجثي جثوًّا وجثيًّا على فعول فيهما، جلس على ركبته للخصومة ونحوها) اللسان (جثا).
(١٢) عند قوله تعالى: **﴿قال ربِّ أنَّى يكون لي غلامٌ وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾** [مريم: ٨]. انظر اللباب ٥/ ٤٠١.
(١٣) تقلب الواو ياء إذا اجتمعت مع الياء في كلمة، وكان السابق منهما ساكنا، ثم تدغم الياء في الياء، فأصل: جثيّ (على أن لامه ياء) وهيّن وميّت، جثوي وهيون وميوت قلبت الواو للعلة السابقة وأدغمت الياء في الياء فصار: جثيا، وهيناً، وميتاً، ثم في (جثيًّا) تقلب ضمة الثاء كسرة لمناسبة الياء المشددة ثم يتبع كسر الثاء كسر الجيم. شرح الشافية ٣/ ١٣٩.

التراب والحجارة[١]، وفي صحته عنه نظر من حيث إنَّ فعلةُ لا يجمع على فعول. ويجوز في «جِثِيًّا» أن يكون مصدراً على فعول[٢]، وأصله كما تقدم في حال كونه جمعاً، إمَّا جُثُوو، وإمَّا جُثُوي[٣].

وقد تقدم أنَّ الأخوين[٤] يكسران فاءه، والباقون يضمونها[٥].

والجُثوّ: القعود على الركب[٦].

قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: ليخرجن من كل أمة وأهل دين[٧] من الكفار والشيعة[٨] فعلة كفرقة: ومنه الطائفة التي شاعت، أي: تبعت غاوياً من الغواة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾[٩][١٠]. والمعنى[١١]: أنه ـ تعالى ـ يحضرهم أولاً[١٢] حول جهنم، ثم يميز البعض من البعض، فمن كان منهم أشد[١٣] تمرداً في[١٤] كفره خص بعذاب عظيم، لأنَّ عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد، ومعنى الآية: أنه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتياً وتمرداً ليعلم[١٥] أنَّ عذابه أشد وفائدة هذا التمييز التخصيص «بشدة العذاب لا التخصيص»[١٦] بأصل العذاب، فلذلك قال في جميعهم: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾[١٧] ولا يقال[١٨]: «أَوْلَى» إلا مع اشتراكهم في العذاب[١٩].

قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ فيه أقوال كثيرة، أظهرها عند جمهور المعربين، وهو مذهب سيبويه[٢٠]: أنَّ «أَيُّهُمْ» موصولة بمعنى «الذي»، وأنَّ حركتها حركة بناء، بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظائر[٢١].

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٠٨.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٠، البيان ٢/ ١٣٠.

(٣) أي: أنه قد تكون لامه واواً أو ياءً، فاذا كانت لامه واوا جاز الإعلال والتصحيح، والغالب التصحيح لخفة المفرد. شرح الشافية ٣/ ١٧١، شرح الأشموني ٤/٣٢٧.

(٤) في الأصل: الأخوان. والأخوان هما: حمزة والكسائي.

(٥) السبعة: (٤٠٧). الحجة لابن خالويه (٢٣٥) الكشف ٢/ ٨٤، النشر ٢/٣١٧، الإتحاف (٢٩٨). فمن قرأ بكسر الجيم يتبع الكسر الكسر طلباً للمجانسة، والخفة، ومن قرأ بالضم فعلى الأصل الكشف ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، البيان ٢/ ١٣٠.

(٦) اللسان (جثا).

(٧) في ب: دار.

(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٣.

(٩) في ب: فارقوا. وهي قراءة حمزة والكسائي. السبعة (٢٧٤).

(١٠) [الأنعام: ١٥٩].

(١١) في ب: فصل والمعنى.

(١٢) أولا: سقط من ب.

(١٣) في ب: أشدهم.

(١٤) في ب: إلى. وهو تحريف.

(١٥) في ب: فيعلم.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) [مريم: ٧٠].

(١٨) في ب: أولى يقال. وهو تحريف.

(١٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٣.

(٢٠) تقدم.

(٢١) انظر الكتاب ٢/ ٤٠٠.

و «أَشَدُّ» خبر مبتدأ مضمر، والجملة صلة لـ «أَيُّهُمْ»، و «أَيُّهُمْ» وصلتها في محل نصب مفعولاً بها بقوله: «لَنَنْزِعَنَّ».

ولـ «أيّ» أحوال الأربعة: إحداها تبنى فيها، وهي كما في هذه الآية[1] أن[2] تضاف ويحذف صدر صلتها[3]، ومثله قول الآخر:

٣٦١٦ ـ إذَا مَا أَتَيْتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ[4]

بضم «أَيُّهُمْ». وتفاصيلها مقررة في كتب النحو[5].

وزعم الخليل[6] ـ رحمه الله[7] ـ أنَّ «أَيُّهُمْ» هنا مبتدأ، و «أشدُّ» خبره، وهي استفهامية، والجملة محكية بالقول مقدراً[8]، والتقدير: لَنَنْزِعَنَّ من كُل شيعةٍ المقول فيهم أيُّهم[9].

وقوى الخليل تخريجه بقول الشاعر:

٣٦١٧ ـ ولَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الفتاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحْرُومُ[10]

(١) في ب: وهي كهذه الآية.

(٢) في ب: وأن وهو تحريف.

(٣) (أي) إذا أضيفت وحذف صدر صلتها تكون مبنية عند البصريين معربة عند الكوفيين انظر الإنصاف (المسألة ١٠٢) ٢/٧٠٩ ـ ٧١٦.

(٤) البيت من بحر المتقارب، قاله غسان بن وعلة، وهو في الإنصاف ٢/٤١٥، ابن يعيش ٣/١٤٧، ٤/٢١، ٧/٨٧ المغني ١/٧٨، ٢/٤٠٩، ٥٥٢، التصريح ١/١٣٥ الهمع ١/١٤، ٩١، شرح شواهد المغني ١/٢٣٦، ٢/٨٣٠، الأشموني ١/١٦٦ حاشية يس ١/١٣٦، الخزانة ٦/٦١، الدرر ١/٦٠، والشاهد فيه بناء (أيّ) على الضم: حيث جاءت مضافة وحذف صدر صلتها، والتقدير: فسلِّم على أيّهم هو أفضل، وهو مذهب البصريين.

(٥) اكتفى ابن عادل بذكر حالة واحدة من أحوال (أيّ)، وأشار إلى بقية الأحوال بقوله: وتفاصيلها مقررة في كتب النحو. ونذكر أحوالها باختصار وهي أنّ (أيّ) لها أربعة أحوال:
الأولى: ذكرها ابن عادل، وهي أن تضاف لفظاً ويحذف صدر صلتها، وهي مبنية عند البصريين معربة عند الكوفيين.
الثانية: أن تضاف لفظاً ويذكر صدر صلتها مثل: يعجبني أيّهم هو قائم.
الثالثة: أن تقطع عن الإضافة ويذكر صدر صلتها مثل: يعجبني أيّ هو قائم. وهي معربة في هذين الحالين باجماع.
الرابعة: أن تقطع عن الإضافة ويحذف صدر صلتها مثل: يعجبني أيّ قائم. وهي معربة في هذه الحالة، قال ابن مالك: بلا خلاف. وذهب بعض النحويين إلى بنائها في هذه الحالة قياساً على بنائها في الحالة الأولى. الهمع ١/٩١.

(٦) تقدم.

(٧) في ب: الله تعالى.

(٨) في الأصل: مقدر.

(٩) في ب: أشد.

(١٠) البيت من بحر الكامل قاله الأخطل، وهو في شرح ديوانه (٦١٦)، الكتاب ٢/٨٤، ٣٩٩ أمالي ابن الشجري ٢/٢٩٧، الإنصاف ٢/٧١٠، ابن يعيش ٣/١٤٦، ٧/٨٧، الخزانة ٦/١٣٩. الفتاة: الجارية =

قال[١]: فأبيتُ يقالُ فيَّ: لا حرجٌ ولا محْرُومٌ[٢].

وذهب يونس[٣] إلى أنَّها استفهامية مبتدأ، وما بعدها خبرها كقول الخليل إلاَّ أنَّه زعم أنها معلقة[٤] لـ «نَنزِعَنَّ»، فهي في محل نصب[٥]، لأنَّه يجوز التعليق في سائر الأفعال[٦]، ولا يخصه «بأفعال القلوب كما يخصه»[٧] بها الجمهور[٨].

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون النزع واقعاً على[٩] ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ كقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾[١٠]، أي: لننزعنَّ بعض كل شيعة، فكأنَّ قائلاً قال: مَنْ هُمْ؟ فقيل: أيهم أشدّ عِتيًّا[١١].

فجعل «أيُّهُمْ» موصولة أيضاً، ولكن هي في قوله خبر مبتدأ محذوف أي: هم الذين هم أشد. قال أبو حيان: وهذا تكلف ما لا حاجة إليه، وادعاء إضمار غير محتاج إليه،

= الشابة. الحرج ـ بفتح الحاء وكسر الراء ـ: المضيق عليه. المحروم: الممنوع مما يريده.
والبيت أتى به الخليل لتقوية ما ذهب إليه في تخريج الآية، فإن قوله (لا حرج ولا محروم) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ليس ضمير المتكلم، والجملة محكية بقول محذوف، والتقدير: فأبيتُ مقولاً في شأني: هو لا حرج ولا محروم.

(١) في ب: قال تقديره.

(٢) قال سيبويه: وزعم الخليل أنَّ (أيهم) إنما وقع في: اضرب أيّهم أفضل على أنّه حكاية، كأنه قال: اضرب الذي يقال له أيّهم أفضل، وشبهه بقول الأخطل:

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

الكتاب ٢/ ٣٩٩. وانظر الإنصاف ٢/ ٧١٠ ـ ٧١١.

(٣) تقدم.

(٤) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً. شرح الأشموني ٢/ ٢٦.

(٥) قال سيبويه: (وأما يونس فيزعم أنه بمنزلة قولك: أشهد أنّك لرسول الله. واضرب معلقة) الكتاب ٢/ ٤٠٠، وانظر الإنصاف ٢/ ٧١١.

(٦) أي أنّ يونس يرى أنَّ التعليق غير مختص بأفعال القلوب فقط، بل يكون فيها وفي غيرها نحو أضرب أيّهم أفضل، على تعليق العامل. وما ذهب إليه يونس ضعيف. لأنّ التعليق ضرب من الإلغاء، ولا يجوز أن يعلق من الأفعال عن العمل إلاَّ ما يجوز إلغاؤه، والذي يجوز إلغاؤه أفعال القلب نحو ظننت، وعلمت. شرح المفصل ٣/ ١٤٦.

(٧) ما بين القوسين مكرر في ب.

(٨) ضعَّف سيبويه ما ذهب إليه الخليل ويونس، لأن القول بالحكاية ـ وهو ما ذهب إليه الخليل ـ بعيد في اختيار الكلام، وإنما يجوز مثله في الشعر، ألا ترى أنّه لو جاز مثل هذا لجاز أن يقال: اضرب الفاسق الخبيث بالرفع أي: اضرب الذي يقال له: الفاسق الخبيث، ولا خلاف أن هذا لا يقال بالإجماع. وأما القول بالتعليق وهو ما ذهب إليه يونس فضعيف، لأنّ تعليق اضرب ونحوه من الأفعال لا يجوز، لأنه فعل مؤثر فلا يجوز إلغاؤه، وإنما يجوز أن تعلق أفعال القلوب، الكتاب ٢/ ٤٠١، الإنصاف ٢/ ٧٠٦.

(٩) على: سقط من ب.

(١٠) [مريم: ٥٠].

(١١) الكشاف ٢/ ٤١٩.

وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين(١). وحكى أبو البقاء عن الأخفش والكسائي(٢) أن مفعول «نَنْزعنَّ»: «مِنْ كُلِّ شيعةٍ» و «مِنْ» مزيدة، قال: وهما يجيزان زيادة «مِنْ» «في الواجب(٣)»(٤)، و «أيُهُم» استفهام أي: لَنَنْزِعَنَّ كُلَّ شيعةٍ(٥).

وهذا مخالف في المعنى تخريج الجمهور، فإنَّ تخريجهم يؤدي إلى التبعيض، وهذا(٦) يؤدي إلى العموم، إلاَّ أن(٧) يجعل «مِنْ» لابتداء الغاية لا للتبعيض فيتفق التخريجان، وذهب الكسائي إلى أنَّ معنى «لَنَنْزِعَنَّ» لنُنَادِينَّ، فعومل معاملته، فلم يعمل في «أيّ»(٨). قال المهدوي(٩): «ونادى»(١٠) يعلق إذا كان بعده جملة نصب، فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ(١١). وقال المبرد(١٢): «أيُّهُمْ» متعلق بـ «شيعةٍ» فلذلك ارتفع(١٣)، والمعنى من الذين تشايعوا أيهم أشد، كأنهم يتبادرون إلى هذا(١٤). «ويلزمه على هذا»(١٥) أن يقدر مفعولاً لـ «ننزعنَّ» محذوفاً(١٦) وقدر بعضهم في قول المبرد: من الذين تعاونوا فنظروا(١٧) أيهم(١٨).

قال النحاس(١٩) وهذا قول حسن(٢٠). وقد حكى الكسائي تشايعوا بمعنى

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٠٨. (٢) تقدم.

(٣) جمهور النحويين على زيادة (منْ) بشرطين: أولهما: أن يكون مجرورها نكرة.
ثانيهما: أن يكون في سياق النفي. نحو قوله تعالى: **﴿ما يأتيهم من ذكر﴾** [مريم: ٩٨]، وقوله تعالى: **﴿هل من خالق غير اللَّهِ﴾** [فاطر: ٩٧]. وقد أجاز كل من الكسائي والأخفش زيادة (منْ) في الواجب وغيره والنكرة والمعرفة حيث قالا بزيادة (منْ) في قوله تعالى: **﴿فادع لنا ربَّك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها﴾** [البقرة: ٦١]، وفي قوله تعالى: **﴿ويغفر لكم من ذنوبكم﴾** [نوح: ٤] وفي قوله تعالى: **﴿يحلَّون فيها من أساور من ذهب﴾** [الحج: ٢٣]، وردّ الجمهور بأنه يمكن حمل (منْ) في الآيات ونحوها على أنها للتبعيض.
ابن يعيش ٨/ ١٢ ـ ١٤، شرح الكافية ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، المغني ١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥، الهمع ٢/ ٣٥.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) التبيان ٢/ ٨٧٨.

(٦) في ب: هذا. (٧) في ب: الآن. وهو تحريف.

(٨) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٠٩، البحر المحيط ٦/ ٢٠٨.

(٩) تقدم. (١٠) ما بين القوسين بياض في ب.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٠٨. (١٢) تقدم.

(١٣) في ب: رفع.

(١٤) لم أعثر على ما قاله المبرد في الكامل والمقتضب، وهو في تفسير ابن عطية ٩/ ٥٠٩، البحر المحيط ٦/ ٢٠٨.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) القائل بهذا ابن عطية. تفسير ابن عطية ٩/ ٥١٠.

(١٧) في ب: فنظروا في.

(١٨) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٢، البحر المحيط ٦/ ٢٠٧.

(١٩) تقدم. (٢٠) إعراب القرآن ٣/ ٢٥.

تعاونوا[١] قال شهاب الدين: وفي هذه العبارة المنسوبة[٢] للمبرد[٣] قلق، ولا بيَّن الناقل عنه وجه الرفع عن ماذا يكون، وبيَّنه أبو البقاء، لكن جعل «أيهم» فاعلاً لما تضمنه «شِيعَةٍ» «من معنى الفعل، قال: التقدير: لننزعن من كل»[٤] فريق يشيع أيهم. وهي[٥] على هذا بمعنى «الذي»[٦]. ونقل الكوفيون أنَّ «أَيُّهُم» في الآية بمعنى الشرط، والتقدير: إن اشتدَّ عتوهم أو لم يشتد، كما تقول: ضرب القوم أيهم غضب. المعنى: إن غضبوا أو لم يغضبوا[٧]. وقرأ طلحة بن مصرِّف «ومعاذ بن مسلم الهراء[٨] أستاذ الفراء[٩]، وزائدة»[١٠] عن الأعمش «أَيَّهُمْ» نصباً[١١].

فعلى هذه القراءة والتي قبلها ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها، وهو المشهور عند النقلة عنه، «وقد نقل عنه»[١٢] أنَّه يحتم بناءها[١٣].

قال النحاس: ما علمتُ أحداً من النحويين إلاَّ وقد خطَّأ سيبويه، «قال: وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: ما يبين لي أنَّ سيبويه»[١٤] غلط في كتابه إلاَّ في موضعين هذا أحدهما. قال: وقد أعرب[١٥] سيبويه «أيًا» وهي مفردة، لأنَّها تضاف[١٦] فكيف يبينها مضافة[١٧]. وقال الجرميّ[١٨]: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحداً يقول: لأضربن[١٩] أيُّهم قائم، بالضم بل ينصب[٢٠].

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) في ب: المنقولة.

(٣) للمبرد: سقط من الأصل.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) هي: سقط من ب.

(٦) التبيان ٢/ ٨٧٨. الدر المصون ٥/ ١٢.

(٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٣، البيان ٢/ ١٣٢، التبيان ٢/ ٨٧٩، البحر المحيط ٦/ ٢٠٩.

(٨) هو معاذ بن مسلم الهرّاء، أبو مسلم، كان من أعيان النُّحاة. أخذ عنه أبو الحسن الكسائي، وغيره، وصنف كتباً في النحو، وروى الحديث عن جعفر الصادق، وعطاء بن السائب، وروى عنه عبد الرحمن المحاربي، والحسن بن الحسين الكوفي، مات سنة ١٩٠هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣.

(٩) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي إمام العربية، المعروف بالفراء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، ومن مصنفاته: معاني القرآن، المصادر في القرآن، المذكر والمؤنث، وغير ذلك، مات سنة ٢٠٧هـ. بغية الوعاة ٢/ ٣٣٣.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) المختصر (٨٦)، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٠٨، البحر المحيط ٦/ ٢٠٩.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) انظر الكتاب ٢/ ٤٠٠.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) في ب: أثبت. وهو تحريف.

(١٦) في النسختين: مضافة.

(١٧) إعراب القرآن ٣/ ٢٤.

(١٨) تقدم.

(١٩) في ب: ضربت.

(٢٠) انظر الإنصاف ٢/ ٧١٢، والكوفيون أخذوا قول الجرميّ هذا دليلاً لمذهبهم في إعراب (أيّ) إذا أضيفت وحذف صدر صلتها، مع أنه لم يكن دليلاً قاطعاً، لجواز أن يكون قد سمع غيره الضم. الإنصاف ٢/ ٧١٥.

قوله: «على الرَّحمنِ» متعلق بـ «أشَدُّ»، و «عِتِيًّا» منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ[١]، «إذ التقدير»[٢]: أيُّهُم هو عتوه أشد[٣]. ولا بُدَّ من محذوف يتم به الكلام[٤]، التقدير: فيلقيه في العذاب، أو فنبدأ بعذابه[٥]. قال الزمخشري: فإن قلت[٦]: بم[٧] يتعلق «عَلَى»، و «البَاء»، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه.

قلتُ: هما للبيان لا للصلة، أو يتعلقان[٨] بأفعل، أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار، كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا[٩].

يعني بـ «عَلَى» قوله: «على الرَّحمنِ»، وبـ «الباء» قوله: «بالَّذينَ هُمْ[١٠]» وقوله: بالمصدرين. يعني بهما «عِتِيًّا» و «صِلِيًّا».

«وأما كونه لا سبيل إليه»[١١]، فلأنَّ المصدر في نية الموصول[١٢]، ولا يتقدم معمول الموصول عليه[١٣] «وجوَّز بعضهم»[١٤] أن يكون «عِتِيًّا»، و «صليًّا» في هذه الآية مصدرين كما تقدم[١٥] وجوَّز أن يكون جمع عاتٍ وصالٍ فانتصابهما على هذا على الحال. وعلى هذا يجوز أن يتعلق «عَلَى» و «الباء» بهما لزوال المحذوف المذكور[١٦].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي أحق بدخول النار[١٧]. يقال: صَلِيَ يَصْلَى صُلِيًّا مثل لَقِيَ يَلْقَى لُقِيًّا، وصَلَى يَصْلِي صُلِيًّا مثل مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا، إذا دخل النار، وقَاسَى حرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية[١٨]. الواو في «وإنْ» فيها وجهان:

أحدهما: أنها عاطفة لهذه الجملة[١٩] على ما قبلها[٢٠]. وقال ابن عطية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قسم، والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي ﷺ «من مات له ثلاث من

---

(١) في ب: الابتداء.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٩.
(٤) في ب: الكلام المحذوف. وهو تحريف.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/٢٠٩.
(٦) في ب: فإن قيل.
(٧) في ب: بما. وهو تحريف.
(٨) في ب: متعلقان.
(٩) الكشاف ٢/٤١٩.
(١٠) في ب: هم الذين أولى بها صليًّا.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) في ب: المعمول. وهو تحريف.
(١٣) أي: أنَّ الموصول لا تتقدم صلته عليه، لأنَّ الموصول والصلة كجزأي الكلمة، وكذلك المصدر لا يتقدم معموله عليه، إذ إن المصدر مقدر بـ (أنْ) والفعل، و (أن) صلة كالذي، فلا يتقدم عليه ما كان من صلته، فالمصدر ومعموله أيضا كجزأي الكلمة.
شرح المفصل ٦/٦٧، شرح الكافية ٢/٦٠، المقرب ١٤٥.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) وهو الزمخشري. الكشاف ٢/٤١٩.
(١٦) البحر المحيط ٦/٢٠٩.
(١٧) القرطبي ١١/١٣٥.
(١٨) الآية: سقط من ب، وكتبت الآية كاملة.
(١٩) في ب: للجملة.
(٢٠) البحر المحيط ٦/٢٠٩.

الولد لم تمسه النار إلاَّ تحلة القسم[١]»[٢]. وأراد بالقسم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. قال أبو حيان[٣]: «وذهل عن»[٤] قول النحويين: إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا[٥] كان الجواب باللام أو بـ «إنَّ»، والجواب هنا على زعمه بـ «إنْ» النافية، فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله: والواو تقتضيه. يدلُّ على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نَحْوِي[٦] إلى أنَّ مثل هذه الواو واو القسم، لأنَّه يلزم عن ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز بذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه، كما أولوا في قولهم: نِعْمَ السَّيْرُ على بِئْسَ العيرُ[٧]. أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر:

٣٦١٨ ـ واللَّهِ مَا لَيْلِي بِنَامَ صَاحِبُهْ[٨]

أي: بِلَيْل[٩] نام صاحبه، وهذه الآية ليست من هذا الضرب، إذ لم يحذف المقسم[١٠] «به»[١١] وقامت صفته مقامه[١٢]. و «إنْ» حرف نفي، «و «مِنْكُم» صفة لمحذوف تقديره: وإن أحد منكم[١٣]»[١٤] ويجوز أن يكون التقدير: وإن منكم إلاَّ من هو واردها وقد تقدم لذلك نظائر[١٥]. والخطاب في قوله: «مِنْكُمْ» يحتمل الالتفات وعدمه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ٢/ ٢٧٦.

(٢) تفسير ابن عطية ٩/ ٥١١.

(٣) في ب: فصل قال أبو حيان.

(٤) ما بين القوسين في ب: ودل.

(٥) إذا: سقط من ب.

(٦) نحويّ: سقط من ب.

(٧) احتج الكوفيون بهذا القول على اسمية (بِئْسَ) لدخول حرف الجر عليها، وأوله البصريون بأنّ حرف الجر داخل على محذوف، و(بئس العيرُ) مقول لقول محذوف وقع صفة لموصوف محذوف، والتقدير نعم السير على عير مقول فيه بئس العير. وهذا يدل على أنَّ حذف المجرور وإبقاء الجار لا يقع إلا في النادر من الكلام أو في الشعر كما سيأتي مع تحقق الشرط المذكور، وهو إقامة صفة الموصوف مقامه، الإنصاف ١/ ٩٨، ١١٢، ١١٣.

(٨) رجز قاله القناني، وتمامه:

ولا مخالط اللَّيان جانبه

وهو في الخصائص ٢/ ٣٦٦، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٤٨، الإنصاف ١/ ١١٢، ابن يعيش ٣/ ٦٢، شرح قطر الندى (٣٧) اللسان (نوم)، المقاصد النحوية ٤/ ٣ الهمع ١/ ٦، ٢/ ١٢٠، الخزانة ٩/ ٣٨٨، الدرر ١/ ٣، ٢/ ١٥٣.

(٩) في النسختين: برجل.

(١٠) في ب: القسم.

(١١) به: تكملة من البحر المحيط.

(١٢) انظر البحر المحيط: ٦/ ٢٠٩.

(١٣) وعلى هذا التقدير يكون (مِنكُمْ) صفة لـ (أحد) المقدر، وهو مبتدأ وقوله: (وَارِدُهَا) خبر، البيان ٢/ ١٣٣، التبيان ٢/ ٨٧٩.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) انظر التبيان ٢/ ٨٧٩.

قال الزمخشري: التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن مسعود وعكرمة «وإنْ مِنْهُمْ»(١) أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور(٢).

والحَتْمُ: القضاءُ، والوجوب حَتْم، أي: أوجبه حتماً(٣)، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾(٤)، وهذا درهمٌ ضرب الأمير. و «على ربِّك» متعلق بـ «حَتْم»، لأنَّه في معنى اسم المفعول(٥) ولذلك وصفه بـ «مَقْضِيًّا».

فصل

المعنى: وما منكم إلا واردها، والورود هو موافاة المكان(٦). وقيل القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها. واختلفوا في معنى الورود هنا(٧) فقال ابن عباس والأكثرون: الورود ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها، ويدلُّ على أنَّ الورود هو الدخول قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾(٨).

روى ابن عيينة(٩) عن عمرو بن دينار(١٠) أنَّ نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلى ابن عباس ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾(١١) أدخلها(١٢) هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله، وما أرى الله أن(١٣) يخرجك منها بتكذيبك(١٤).

ويدلُّ عليه أيضاً قوله تعالى(١٥) «ثُمَّ نُنَجِي(١٦) الذينَ اتَّقَوْا»(١٧)، أي: ننجي من الواردين من اتقى، ولا يجوز أن يقول «ثُمَّ نُنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً» إلاَّ

---

(١) المختصر (٨٦)، تفسير ابن عطية ٩/ ٥١١. (٢) الكشاف ٢/ ٤١٩.
(٣) اللسان (حتم). (٤) [لقمان: ١١].
(٥) لأن المصدر يستعمل بمعنى اسم الفاعل وبمعنى اسم المفعول نحو: ماء غور. أي: غائر. ورجل عدل، أي: عادل، وقالوا: درهم ضرب الأمير، أي: مضروبه، و «هذا خلق اللَّهِ»، والإشارة إلى المخلوق. ابن يعيش ٦/ ٥٠، شرح الكافية ٢/ ١٩٨.
(٦) في ب: المورود. (٧) هنا: سقط من ب.
(٨) [هود: ٩٨]. (٩) تقدم.
(١٠) هو عمرو بن دينار، أبو محمد المكي مولى باذام عالم مكة، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، روى القراءة عن ابن عباس، وروى القراءة عنه يحيى بن صبيح، مات سنة ١٢٦هـ. طبقات القراء ١/ ٦٠٠ ـ ٦٠١.
(١١) [الأنبياء: ٩٨]. (١٢) في ب: أدخل.
(١٣) أن: سقط من الأصل. (١٤) انظر البغوي ٥/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩.
(١٥) تعالى: سقط من ب. (١٦) في ب: ينجي الله.
(١٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٤ بتصرف.

والكل واردون. والأخبار المروية دل على هذا القول، وهو ما روي عن عبد الله بن رواحة[١] قال[٢]: أخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصد[٣]، فقال النبي ﷺ[٤] «يا ابن رواحة»[٥] اقرأ ما بعدها «ثُمَّ نُنَجِّي[٦] الذين اتقوا»[٧] فدلَّ على أنَّ ابن رواحة فهم من الورود الدخول، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك وعن جابر[٨] أنَّه سُئِلَ عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورودُ الدخولُ، ولا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، حتى إن للنار ضجيجاً من بردها[٩]»[١٠].

وقيل: المراد[١١] من تقدم ذكره من الكفار، فكنى عنهم أولاً كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة. قالوا: ولا يجوز أن يدخل النار مؤمن أبداً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾[١٢] والمبعد[١٣] عنها لا يوصف بأنه واردها، ولو وردوا[١٤] جهنم لسمعوا[١٥] حسيسها.

وقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[١٦]. والمراد في قوله[١٧]: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ الحضور والرؤية لا الدخول، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾[١٨] أراد به الحضور. وقال عكرمة: الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها.

وقال ابن مسعود: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ يعني القيامة والكناية راجعة إليها[١٩].

---

(١) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أخذ عنه أبو هريرة، وابن عباس، وأرسل عنه قيس بن أبي حازم، وجماعة، استشهد بمؤتة ـ رضي الله عنه ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) قال: سقط من الأصل.

(٣) في الأصل: عن الصدور.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في ب: ينجي الله.

(٧) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمي، أبو عبد الرحمن، صحابيّ مشهور، شهد العقبة، وغزا تسع عشرة غزوة، أخذ عنه بنوه، وطاوس، والشعبي، وعطاء، مات سنة (٧٨) هـ بالمدينة. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٩، وانظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٧) والدر المنثور ٤/ ٢٨٠.

(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٤. بتصرف.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٣.

(١١) [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

(١٢) في ب: والبعيد.

(١٣) في ب: ورد.

(١٤) في ب: يسمعوا.

(١٥) [النمل: ٨٩].

(١٦) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٣.

(١٧) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٣٨٩.

(١٨) [القصص: ٢٣].

(١٩) آخر ما نقله عن البغوي ٥/ ٣٨٩.

وقال البغوي[١]: والأول أصح[٢]، وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار، ثم يخرج الله منها أهل الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: الشرك، وهم المؤمنون، والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه[٣].

قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: كان[٤] ورودكم جهنم حتماً لازماً مقضياً قضاه الله عليكم[٥].

قوله: «ثُمَّ نُنَجِّي». قرأ العامة «ثُمَّ نُنَجِّي»[٦] بضم «ثُمَّ» على أنَّها العاطفة[٧].

وقرأ علي بن أبي طالب[٨] ـ رضي الله عنه ـ وابن مسعود، وابن عباس، وأبي[٩]، والجحدري[١٠] ويعقوب[١١] «ثَمَّ» بفتحها[١٢] على أنَّها الظرفية[١٣]، ويكون منصوباً بما بعده[١٤]، أي: هُناك نُنَجِّي الذين اتَّقوا.

وقرأ الجمهور «نُنَجِّي»[١٥] بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم من نجَّى مضعفاً[١٦]. وقرأ الكسائي والأعمش وابن محيصن[١٧] «نُنْجِي» من أنْجَى[١٨].

والفعل على هاتين القراءتين مضارع[١٩].

وقرأت فرقة[٢٠] «نُجِّي» بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة[٢١]، وهو على هذه

---

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي، يعرف بابن الفراء، ويلقب محيي السنة وركن الدين أيضا، كان إماما في التفسير، والحديث، والفقه، ومن مصنفاته: معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة والمصابيح، والجمع بين الصحيحين، والتهذيب في الفقه، مات سنة ٥١٦هـ. طبقات المفسرين للسيوطي ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) في ب: والأول أصح قال البغوي.

(٣) البغوي ٥/ ٤٨٩. وفيه: مما دخلت فيه لا ما وردت.

(٤) كان: سقط من ب.

(٥) انظر البغوي ٥/ ٣٩١.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٠٩.

(٨) تقدم.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس، وروى حروفاً عن أبي بكر عن النبي ـ ﷺ ـ قرأ عليه عرضاً أبو المنذر سلام بن سليمان، وغيره، مات سنة ١٢٨هـ. طبقات القراء ١/ ٣٤٩.

(١١) تقدم.

(١٢) المختصر (٨٦)، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(١٣) في ب: وهي الظوفية.

(١٤) في ب: بعدها.

(١٥) ننجي: سقط من ب.

(١٦) السبعة (٤١١) الحجة لابن خالويه (٢٣٩) الكشف ٢/ ٩١.

(١٧) تقدم.

(١٨) أي: بإسكان النون وتخفيف الجيم. السبعة ٤١١، المختصر ٨٦، الحجة لابن خالويه ٢٣٩، الكشف ٢/ ٩١، الإتحاف (٣٠٠).

(١٩) وكلا القراءتين بمعنى واحد، إلا أنه في التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنه نجاة بعد نجاة. الكشف ٢/ ٩١.

(٢٠) فرقة: سقط من ب.

(٢١) البحر المحيط ٦/ ١٢٠.

القراءة ماض مبني للمفعول، وكان من حق قارئها أن يفتح الياء، ولكنه سكنه تخفيفاً.

وتحتمل هذه القراءة توجيهاً آخر سيأتي في قراءة متواترة في آخر سورة الأنبياء[١].

وقرأ علي بن أبي طالب ـ أيضاً ـ «نُنَحّي» بحاء مهملة[٢] من التنحية[٣].

ومفعول «اتَّقَوْا»[٤] محذوف مراد للعلم به، أي: اتقوا الشرك والظلم[٥].

قوله: «جِثِيًّا» إمَّا مفعول ثان إن كان «نَذَرُ» يتعدى لاثنين بمعنى «نترك ونصير»[٦].

وإمَّا حال إن جعلت «نَذَرُ» بمعنى نخليهم. و «جِثِيًّا» على ما تقدم[٧].

و «فيها» يجوز أن يتعلق بـ «نَذَرُ»، وأن يتعلق بـ «جِثِيًّا» إن كان حالاً[٨] ولا يجوز ذلك فيه إن كان مصدراً[٩]، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال[١٠] من «جِثِيًّا»، لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم[١١] عليها فنصب حالاً[١٢].

فصل

اختلفوا في أنَّه كيف يندفع[١٣] عن المتقين ضرر النار إذا وردوها بأنَّ القول هو الدخول[١٤]. فقيل: «البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه، وإذا كان كذلك لا يمتنع»[١٥] أن يدخل[١٦] الكل في جهنم، ويكون المؤمنون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار في وسط النار، وعن جابر أنَّ رسول الله ﷺ قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول بعضهم لبعض: أليس[١٧] وعدنا ربنا[١٨] أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد دخلتموها[١٩] وهي خامدة»[٢٠].

وقيل: إنَّ الله ـ تعالى ـ يخمد النار فيعبرها المؤمنون، وتنهار بالكافرين. قال[٢١] ابن

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغمِّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾ الآية (٨٨)، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم وابن عامر. السبعة (٤٣٠)، الكشف ٢/ ١١٣، النشر ٢/ ٣٢٤.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٣) في ب: التنحي.

(٤) في ب: القول. وهو تحريف.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٦) ما بين القوسين في ب: ترك.

(٧) على ما تقدم من الإعلال.

(٨) ما بين القوسين في ب: إما مفعول وإن كان (نذر) يتعدى لاثنين بمعنى ترك وإما حال.

(٩) لأنّ المصدر في نية الموصول، ولا يتقدم معمول الموصول عليه، وكذلك المصدر لا يتقدم معموله عليه.

(١٠) حال: سقط من ب.

(١١) في ب: للنكرة وقدم.

(١٢) لأنّ صفة النكرة إذا قدمت عليها نصبت على الحال، لامتناع تقديم الصفة على الموصوف. انظر ابن يعيش ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(١٤) في ب: على القول بأن الورود هو الدخول.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) في الأصل: يدخلوا.

(١٧) في ب: ليس. وهو تحريف.

(١٨) ربنا: سقط من ب.

(١٩) في ب: وردتموها.

(٢٠) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٧).

(٢١) في ب: فصل قال.

عباس: يردونها كأنَّها إهالة[١]. وقيل: إنَّ الله ـ تعالى ـ يجعل النار الملاصقة لأبدان المؤمنين برداً وسلاماً كما جاء في الحديث المتقدم[٢]، وكما في حق إبراهيم ـ عليه السلام[٣] ـ، وكما في حق[٤] الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فيكون دماً، ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء عذباً، وفي الحديث: «تقول النار للمؤمن[٥] جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[٦]. وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: من حُمَّ من المسلمين فقد وردها. وفي الخبر «الحمى كنز من جهنم، وهي حظ المؤمن من النار»[٧] واعلم أنه لا بُدَّ من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين. فإن قيل: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول؟ فالجواب: أنَّ ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه. وأيضاً: فيه مزيد غم على[٨] أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه وأيضاً: إن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فيزداد غم[٩] الكفار وسرور المؤمنين. وأيضاً: فإن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر، ويستدلون على ذلك، فما كانوا يقبلون تلك الدلائل، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوه، وأنَّ المكذِّبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين. وأيضاً: إنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قيل: وبضدها تتبين الأشياء[١٠].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

قوله تعالى[١١]: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ الآية[١٢].

---

(١) الإهالة: ما أذبت من الشحم، وقيل الإهالة الشحم والزيت، وقيل كل دهن اؤتدم به إهالة، وقيل: الدسم الجامد. اللسان (أهل).

(٢) تقدم قريباً.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) حق: سقط من ب.

(٥) في الأصل: للمؤمنين.

(٦) أخرجه الحكيم الترمذي، وابن مردويه والخطيب والبيهقي عن يعلى بن أمية. الدر المنثور ٤/ ٢٨٢.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة ٥/ ٢٥٢، ٢٦٤، وانظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٧).

(٨) في ب: إذا على.

(٩) غم: مكرر في ب.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(١١) تعالى: سقط من ب.

(١٢) الآية: سقط من ب، وكتبت الآية إلى قوله: ﴿خيرٌ مقاماً﴾.

لما أقام الحجة[١] على مشركي قريش المنكرين للبعث، وأتبعه بالوعيد حكى عنهم أنهم عارضوا حجة الله بكلام، فقالوا: لو كنتم أنتم[٢] على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن من حالنا، لأنَّ الحكيمَ لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين[٣] في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته في العز والراحة، وإنما[٤] كان الأمر بالعكس، فإنَّ الكفار في النعمة والراحة[٥] والاستعلاء، والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة، فدل على أنَّ الحق[٦] ليس مع المؤمنين، هذا حاصل شبهتهم.

وقوله: ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات، وقيل: مرتلات، وقيل: ظاهرات الإعجاز[٧].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٨] يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة[٩]، وفي عيشهم خشونةٌ، وفي ثيابهم رثاثةٌ[١٠]، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾[١١] منزلاً ومسكناً[١٢]، وهو موضع الإقامة، «وأحْسَنُ نديًّا» أي مجلساً، ومثله[١٣] النادي[١٤].

قوله: «مَقَاماً». قرأ ابن كثير[١٥] «مُقَاماً» بالضم.

ورُوِيَتْ عن أبي عمرو[١٦]، وهي قراءة ابن محيصن وهو موضع الإقامة والمنزل.

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) أنتم: سقط من ب.

(٣) في ب: مخلصين.

(٤) في ب: إنما.

(٥) في ب: في الراحة والنعمة.

(٦) في ب: الخوف. وهو تحريف.

(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/٣٤٦ ـ ٢٤٧.

(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/٣٩١.

(٩) القشف: قذر الجلد. قشف يقشف قشفا وتقشّف: لم يتعهد الغسل والنظافة، فهو قشف ورجل متقشّف: تارك النظافة والترّفه. اللسان (قشف).

(١٠) الرَّثُّ والرِّثَّة والرَّثيث: الخلق الخسيس البالي من كل شيء، تقول: ثوب رثٌّ وحبل رثٌّ ورجل رثُّ الهيئة في لبسه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس، والجمع رثاثٌ. اللسان (رثث).

(١١) خير: سقط من ب.

(١٢) في ب: ومسكناً ومنزلاً.

(١٣) في ب: ومنه.

(١٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٣٩١.

(١٥) تقدم.

(١٦) هو أبو عمرو بن العلاء المازني النحويّ، المقرىء، أحد القراء السبعة، كان إمام أهل البصرة في القراءة، والنحو، واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، وروى عن أنس بن مالك، وأبي صالح السَّمّان، وعطاء، وطائفة، مات سنة ١٥٤هـ. بغية الوعاة ٢/٢٣١ ـ ٢٣٢.

والباقون بالفتح[١] وفي كلتا القراءتين[٢] يحتمل أن يكون اسم مكان[٣] «أو اسم مصدر من قَامَ ثلاثياً، أو من أقَامَ أي: خير مكان»[٤] قياماً[٥] أو إقَامَة[٦].

فصل

قالوا: زيْدٌ[٧] خيرٌ من عمرٍو، وشرٌّ من بكر، ولم يقولوا: أخير منه، ولا أشرّ منه، لأنَّ هاتين اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت[٨] همزتاهما، ولم يثبتا إلا في فعل التعجب، «فقالوا: أخير بزيدٍ وأشرر بعمرو، وما أخْيرَ زيْداً ومَا أشرَّ عَمْراً.

والعلة في إثباتها في فعلي التعجب أنَّ»[٩] استعمال هاتين اللفظتين اسماً أكثرُ من استعمالهما فعلاً، فحذفت الهمزةُ في موضع «الكثرة، وبقيتْ على أصلها في موضع»[١٠] القلة ثابتة[١٠]. والنَّديّ[١١] فعيل، أصله: نَدِيو[١٢]، لأنَّ لامه واو[١٣]، يقال: ندوتُهُمْ أندوهم، أي: أتَيْتُ نَاديَهُمْ[١٤] والنَّادِي، مثله، ومنه[١٥]: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[١٦] أي: أهل ناديه. والنَّدِيّ[١٧] والنَّادي مجلس القوم ومحدثهم.

وقيل: هو مشتق من النَّدى، وهو الكرم، لأنَّ الكرماء يجتمعون فيه. وانْتَدَيْتُ المكان والمنتدى كذلك، «وقال حاتم[١٨]»[١٩]:

---

(١) السبعة (٤١١)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩) الكشف ٢/ ٩١، البحر المحيط ٦/ ٤١٠، النشر ٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩، الإتحاف (٣٠٠).

(٢) في ب: القولين القراءتين. وهو تحريف. (٣) في ب: اسمها اسم مكان. وهو تحريف.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) في ب: قيامة. وهو تحريف.

(٦) لأنّ المصدر الميميّ من الثلاثي يكون على وزن (مفعل)، واسم المكان من الثلاثي الذي مضارعه (يفعل) يكون على وزن مفعل. والمصدر الميمي واسم المكان من أفعل يكونان على وزن اسم المفعول. أي: على وزن مفعل.
التبيان ٢/ ٨٧٩، شرح الشافية ١/ ١٦٨، ١٨١، ١٨٦.

(٧) في ب: ذلك. وهو تحريف. (٨) في ب: فحذف.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر شرح الكافية ٢/ ٢١٢، ٣٠٨، شرح التصريح ٢/ ١٠٠ ـ ٥١١ حاشية الصبان على الأشموني ٣/ ٤٣.

(١١) في ب: فصل. وهو تحريف.

(١٢) في الأصل: نديوي، وهو تحريف. و(نديو) اجتمعت فيه الواو والياء في كلمة والسابق منهما ساكن، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، فصار (نَدِيّ) شرح الشافية ٣/ ١٣٩.

(١٣) في ب: لام. وهو تحريف. (١٤) التبيان ٢/ ٨٧٩.

(١٥) في ب: ومثله. (١٦) [العلق: ١٧].

(١٧) والنَّدِيّ: سقط من ب.

(١٨) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، ويكنى أبا عدي أحد شعراء الجاهلية، وكان جواداً يشبه جوده شعره، ويصدق قوله فعله. الخزانة ٣/ ١٢٧ ـ ١٣٠.

(١٩) ما بين القوسين في ب: قال الشاعر.

٣٦١٩ ـ ودُعِيتُ في أولَى النَّديِّ ولَمْ يُنْظَر «إليّ بأ»[١] عينٍ خُزْرِ[٢]

والمصدر النَّدو[٣]. و «مَقَاماً» و «نَدِيًّا» منصوبان على التمييز من أفعل[٤].

وقرأ أبو حيوة والأعرج[٥] وابن محيصن «يُتْلَى»[٦] بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق[٧]. واللام في «للَّذينَ»[٨] يحتمل أن تكون للتبليغ[٩]، وهو الظاهر، وأن تكون للتعليل[١٠].

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾. «كَمْ»[١١] مفعول مقدم[١٢]، واجب التقديم، لأنَّ له مصدر الكلام، لأنها إمَّا استفهامية أو خبرية، وهي محمولة على الاستفهامية[١٣].

و «أَهْلَكْنَا» متسلط على «كَمْ»، أي: كثير من القرون أهلكنا.

و «مِنْ قَرْنٍ» تمييز لـ «كَمْ» مبين لها[١٤].

قوله: «هُم أَحْسَنُ» في هذه الجملة وجهان:

أحدهما[١٥]: وإليه ذهب الزمخشري وأبو البقاء: أنَّه[١٦] في محل نصب صفة لـ «كَمْ»[١٧] قال الزمخشري: ألا ترى أنك لو أسقطت «هُمْ» لم يكن لك بُدّ من نصب «أحْسَنُ» على الوصفية[١٨].

وفي هذا نظرٌ، لأنَّ النحويين نصوا على أنَّ «كَمْ» الاستفهامية والخبرية لا تُوصف ولا يُوصف بها[١٩].

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) البيت من بحر الكامل، قاله حاتم الطائي. اللسان (خزر).
النَّدي: المجلس ما دام القوم مجتمعين فيه، والجمع الأندية.
الخزر: جمع خزراء، وهو ضيق العين، وقيل: هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخرها. والشاهد فيه أن (النَّدي) هو المجلس فيه الجماعة.

(٣) انظر التبيان ٢/ ٨٧٩.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٥) الأعرج: سقط من ب.

(٦) في ب: نَدِيّ. وهو تحريف.

(٧) تفسير ابن عطية ٩/ ٥١٧، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٨) في ب: الذين. وهو تحريف.

(٩) لام التبليغ: هي الجارة لاسم السامع لقولٍ، أو ما في معناه، نحو: قلت له، وأذَّنت له، وفسرت له. المغني ١/ ٢١٣.

(١٠) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٠.

(١١) كم: سقط من ب.

(١٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٠، البيان ٢/ ١٣٣، التبيان ٢/ ٨٧٩، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(١٣) لزوم التصدير من الأمور التي تشترك فيها (كَمْ) الخبرية والاستفهامية. المغني ١/ ١٨٣.

(١٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(١٥) أحدهما: سقط من ب.

(١٦) في ب: في أنها.

(١٧) الكشاف ٢/ ٢٤٠، التبيان ٢/ ٨٧٩.

(١٨) الكشاف: ٢/ ٤٢٠.

(١٩) الأسماء التي لا تنعت ولا ينعت بها الضمير، أسماء الشرط، أسماء الاستفهام وكم الخبرية، وما=

الثاني: أنها في محل جرّ صفة لـ «قَرْن»، ولا محذور في هذا[١]. وإنما جمع في قوله «هُمْ»، لأنَّ «قَرْنٍ» «وإنْ كَانَ لَفظهُ»[٢] مفرداً فمعناه جمع[٣]، فـ «قَرْن» كلفظ «جَمِيع»، و «جَمِيع» يجوز مراعاة لفظه تارة فيفرد[٤] كقوله تعالى ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[٥]، ومراعاة معناه أخرى فيجمع كقوله: ﴿لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٦][٧].

فصل[٨]

لمَّا ذكروا شبهتهم أجاب الله[٩] عنها بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ أي: متاعاً وأموالاً.

قوله: «ورئياً»[١٠] الجمهور على «رِئْياً[١١]» بهمزة ساكنة بعدها ياء صريحة وصلاً ووقفاً[١٢]. وحمزة إذا وقف يبدل هذه الهمزة ياء[١٣] على أصله في تخفيف الهمز، ثم له بعد ذلك وجهان:[١٤] الإظهار اعتباراً بالأصل، والإدغام اعتباراً باللفظ[١٥].

وفي الإظهار صعوبة لا تَخْفَى، وفي الإدغام إيهام أنَّها مادة أخرى، وهو الريُّ الذي هو بمعنى الامتلاء والنضارة، ولذلك ترك أبو عمرو أصله[١٦] في تخفيف الهمزة[١٧].

وقرأ قالون[١٨] عن نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر «ورِيًّا» بياء مشددة بعد الراء[١٩].

فقيل: هي مهموزة الأصل، ثم أبدلتِ الهمزةُ ياء، وأدغمتْ[٢٠]. والرِئْيُ

= التعجيبية، وقبل وبعد. المقرب ٢٢٤. البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٢) ما بين القوسين مكرر في ب.

(٣) لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة، لأنه الأمة يجمعها العصر الواحد، واختلف في مدته فقيل: مائة سنة، وقيل: ثمانون، وقيل سبعون.

(٤) في ب: فيجمع ويفرد. وهو تحريف.

(٥) [القمر: ٤٤].

(٦) [يس: ٣٢].

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٨) في ب: قوله «أثاثا».

(٩) في ب: الله تعالى.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في ب: ريا. وهو تحريف.

(١٢) السبعة (٤١١)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩)، الكشف ٢/ ٩١. الإتحاف (٣٠٠).

(١٣) في ب: فاء. وهو تحريف.

(١٤) في ب: وجهان أحدهما.

(١٥) الكشف ٢/ ٩١، الإتحاف (/ ٦٥).

(١٦) في ب: مثله.

(١٧) قال ابن الأنباري: (وكان من مذهب أبي عمرو ترك الهمزة الساكنة إلا في هذا الموضع، وقال: خفت أن يلتبس بالري من الماء فهمزت لأنه أريد حسن المنظر والشارة) البيان ٢/ ١٣٣.

(١٨) هو عيسى بن مينا بن وردان، أبو موسى الملقب قالون، قارىء المدينة، ونحويها، قرأ على نافع، وأخذ القراءة عرضاً عن نافع، وأبي جعفر، وعرض على عيسى بن وردان، روى القراءة عنه إبراهيم، وأحمد ابناه، وإبراهيم بن الحسن الكسائي، وغيرهم. مات سنة ٢٢٠هـ. طبقات القراء ١/ ٦١٥ ـ ٦١٦.

(١٩) السبعة (٤١١ ـ ٤١٢)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩)، الكشف ٢/ ٩١، الإتحاف (٣٠٠).

(٢٠) أصل «وَرِيًّا» بياء مشددة بعد الراء «ورئياً» خففت الهمزة بإبدالها ياء، لسكونها وانكسار ما قبلها، =

بالهمز[١] قيل: من رؤية العين، وفعلٌ فيه بمعنى مفعول أي: مَرْئِيٌّ[٢]. وقيل: من الرواء وحسن المنظر[٣]. وقيل: بل هو من الريّ ضد العطش، وليس مهموز الأصل[٤]، والمعنى: أحسن منظراً، لأنَّ الريّ والامتلاء أحسن من ضديهما، ومعناه الارتواء من النعمة[٥]، فإنَّ المُنْعَم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر. وقرأ حميد[٦] وأبو بكر[٧] عن عاصم في رواية الأعمش «وَرِيْئًا» بياء ساكنة بعدها همزة[٨] وهو مقلوب[٩] من «رِئْياً» في قراءة العامة[١٠]، ووزنه «فِلْع»[١١]، وهو من راءه يراؤه كقول الشاعر:

٣٦٢٠ ـ وكُلُّ خَلِيلٍ رَاءَنِي فَهُوَ قَائِلٌ من أَجْلِكِ[١٢] هذا هامةُ[١٣] اليَوْمِ أَوْ غَدِ[١٤]

وفي القلب من القلب ما فيه. وروى اليزيدي[١٥] قراءة «ورَيَاء» بياء بعدها ألف «بعدها همزة»[١٦]، وهي من المراءاة، أي: يرى بعضهم حسن بعض[١٧]، ثم خفف

= وأدغمت الياء المبدلة من الهمزة في الياء الثانية التي هي لام، فصار «وريًّا»، لأنه في الأصل فِعْل من (رأيت). الكتاب ٣/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤، المحتسب ٢/ ٤٤، البيان ٢/ ١٣٤، التبيان ٢/ ٨٨٠.

(١) في ب: الراء بالهمز. وهو تحريف.

(٢) لأن المصدر قد يجيء ويراد به المفعول، كقولهم: ضرب الأمير، أي: مضروبه. شرح المفصل ٦/ ٥٠.

(٣) أي أنه يجوز أن يكون من الرواء، وهو ما يظهر من الزي في اللباس وغيره، فيكون أصله الهمز، ولكن خففت الهمزة، فأبدل منها ياء. الكشف ٢/ ٩١.

(٤) فيكون أصل «وَرِيًّا» (وَرِوْيًا) من رويت، فأبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهي مفردة، وأدغمت الياء في الياء. المحتسب ٢/ ٤٤، التبيان ٢/ ٨٨٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٥) في ب: النعم.

(٦) في ب: أبو حميد. وهو تحريف. وهو حميد بن قيس الأعرج، أبو سفيان المكي، القارىء. أخذ القراءة عن مجاهد بن جبير، وروى القراءة عنه سفيان بن عيينة، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهما، مات سنة ١٣٠هـ. طبقات القراء ١/ ٢٦٥.

(٧) تقدم.

(٨) السبعة (٤١١)، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٢٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٩) القلب المكاني: هو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، مع اتفاق المعنى في الحالين كما في كلمة (أوباش)، فإنها مقلوبة عن كلمة (أوشاب)، وهما بمعنى واحد، وهم الأخلاط من الناس، والقلب في (ريئا) من (رِئْيا) بتقديم اللام على العين. القلب المكاني في ضوء الفكر اللغوي (٤ ـ ٥).

(١٠) في ب: في قوله. وهو تحريف.

(١١) البيان ٢/ ١٣٤، التبيان ٢/ ٨٨٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(١٢) في ب: أجلد. وهو تحريف.

(١٣) في ب: عامة. وهو تحريف.

(١٤) البيت من بحر الطويل، قاله كثير عزة، اللسان (رأى، هوم).

(١٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد اليزيدي، النحوي، المقرىء، اللغوي، أخذ عن الخليل اللغة، والعروض، وكان أحد القراء الفصحاء العالمين بلغة العرب، والنحو، وصنف مختصرا في النحو، والمقصور والممدود، النقط والشكل، النوادر مات سنة ٢٠٢هـ. بغية الوعاة ٢/ ٣٤٠.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) المختصر (٨٦)، البحر المحيط ٦/ ٢١١.

الهمزة الأولى بقلبها ياء[١]، وهو تخفيف قياسي[٢]. «وقرأ ابنُ عباس أيضاً في رواية طلحة «وَرِياً» بياء فقط مخففة[٣]، ولها وجهان:

أحدهما: أن يكون»[٤] أصلها كقراءة قالون[٥]، ثم خففت الكلمة بحذف إحدى الياءين، وهي الثانية، لأنَّ بها حصل الثقل[٦]، ولأنها لام الكلمة، والأواخر أحرى بالتغيير[٧].

والثاني: أن يكون أصلها كقراءة حميد «وَرَيْئاً»[٨] بالقلب، ثم نقل حركة الهمزة[٩] إلى الياء قبلها، وحذف الهمزة على قاعدة تخفيف الهمزة بالنقل، فصار «وَرِياً» كما ترى[١٠]. وتجاسر[١١] بعضهم فجعل هذه القراءة لحناً، وليس اللاحن[١٢] غيره، لخفاء توجيهها عليه[١٣]. وقرأ ابن عباس ـ أيضاً ـ وابن جبير وجماعة «وَزِيًّا» بزاي وياء مشددة[١٤].

والزِّيّ: البِزَّةُ[١٥] الحسنة والآلات المجتمعة[١٦]، لأنه[١٧] من زَوَى كذا يَزْوِيهِ، أي: يجمعه، والمتزين يجمع الأشياء التي تزينه وتظهر زيَّه[١٨].

قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾[١٩]. «مَنْ» يجوز أن تكون شرطية[٢٠]، وهو الظاهر، وأن تكون موصولة، ودخلت الفاء في الخبر، لما تضمنه الموصول من معنى الشرط[٢١].

وقوله: «فَلْيَمْدُدْ» فيه وجهان:

---

(١) ياء: سقط من ب.

(٢) أي أنَّ أصل (وَرِيَاء) (وَرِئاء)، خففت الهمزة الأولى بإبدالها ياء، لأنَّ كل همزة مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور، فإنَّك تبدل مكانها ياء في التخفيف، وذلك قولك في المئر: مير، وفي يريد أن يقرئك: يقريك ومن ذلك: من غلام يبيك، إذا أردت من غلام أبيك. الكتاب ٣/ ٥٤٣.

(٣) المحتسب ٢/ ٤٣، البحر المحيط ٦/ ٢١١.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) «وَرِيًّا» بتشديد الياء.

(٦) في ب: حذف النقل. وهو تحريف.

(٧) في ب: بالتعيين. وهو تحريف.

(٨) في ب: وريا. وهو تحريف.

(٩) في ب: ثم سكن حركة الهمزة ونقلها. وهو تحريف.

(١٠) انظر المحتسب ٢/ ٤٤ ـ ٤٥، البحر المحيط ٦/ ٢١١.

(١١) جسر على كذا يجسر جسارةً وتجاسرعليه: أقدم، وتجاسر: تطاول. اللسان (جسر).

(١٢) في ب: الآخر. وهو تحريف.

(١٣) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١١.

(١٤) المحتسب ٢/ ٤٤، البحر المحيط ٦/ ٢١١. وأصلها «زِوْي»، قلبت الواو ياء، لسكونها، وهي مفردة وانكسر ما قبلها وأدغمت الياء في الياء فصار «وَزِيًّا» المحتسب ٢/ ٤٥، البيان ٢/ ١٣٤، التبيان ٢/ ٨٨٠.

(١٥) في ب: والزاي: العزة. وهو تحريف. والبِّزة: الهيئة والشارة واللِّبسة. اللسان (بزز).

(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١١.

(١٧) في ب: لأن.

(١٨) انظر اللسان (زوى).

(١٩) في الضلالة: سقط من ب.

(٢٠) انظر التبيان ٢/ ٨٨٠.

(٢١) تقدم.

أحدهما: أنه طلب على بابه، ومعناه الدعاء[١].

والثاني: لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر[٢]. قال الزمخشري: أي[٣]: مدَّ له الرحمن بمعنى أمهلهُ «وأمْلَى له في العمر»[٤] فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك... أو فيمد له في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته[٥].

قوله: «حتَّى إذَا» في «حتَّى» هذه ما تقدم في نظائرها من كونها حرف جر[٦] أو حرف ابتداء[٧]، وإنَّما الشأن فيما هي[٨] غاية له على كلا القولين.

فقال الزمخشري: وفي هذه الآية وجهان:

الأول: أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها، والآتيان اعتراض بينهما، أي: قالوا: «أي الفَريقَيْنِ خيرٌ مَقَاماً وأحْسَنُ نديًّا»، «حتَّى إذَا رَأوْا مَا يُوعَدُون»، أي: لا يبرحون[٩] يقولون هذا القول، ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعد رأي العين[١٠].

فقوله[١١]: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مذكور في مقابلة قوله[١٢] «خَيْرٌ مَقَاماً»، و «أضْعَفُ جُنْداً» في مقابلة قولهم: «وأحْسَنُ نَدِيًّا». فبين تعالى أنَّهم[١٣] إن[١٤] ظنوا في الحال أنَّ منزلتهم أفضل من حيث فضلهم الله بالمقام والندي، فسيعلمون من بعد أنَّ الأمر بالضد من ذلك وأنَّهم شر مكاناً، فإنَّه لا مكان شر من النار والمناقشة في الحساب، «وأضْعَفُ جُنْداً» فقد كانوا يظنون وهم في الدنيا أنَّ اجتماعهم ينفع، فإذا رأوا أن لا ناصر لهم في الآخرة عرفوا عند ذلك أنهم كانوا في الدنيا مبطلين فيما ادعوه[١٥][١٦].

«ثم قال[١٧]:»[١٨] **والثاني**: أن تتصل بما يليها، والمعنى أنَّ الذين في الضلالة[١٩]

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٢) انظر البيان ٢/ ١٣٥، التبيان ٢/ ٨٨٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٣) أي: سقط من ب.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٢١.

(٦) وهو رأي الأخفش وابن مالك، لأنَّ «حَتَّى» الداخلة على «إذا» عندهما هي الجارة، و«إذا» في موضع جرّ بها. المغني ١/ ١٢٩.

(٧) وهو رأي الجمهور في «حتَّى» الداخلة على «إذا» فهي عندهم حرف ابتداء، و «إذا» في موضع نصب بشرطها أو جوابها. المغني ١٢/ ١٢٩.

(٨) في ب: هو.

(٩) في ب: لا ينزحون.

(١٠) الكشاف ٢/ ٤٢١.

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٥٤٨.

(١٢) في ب: قولهم.

(١٣) أنَّهم: سقط من ب.

(١٤) في ب: فان.

(١٥) في ب: فيما ادعوه وفيما قالوه.

(١٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٨.

(١٧) أي الزمخشري.

(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٩) في ب: ضلالة.

ممدود لهم. ثم ذكر كلاماً كثيراً[١]، ثم قال[٢]: إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين، أو يشاهدوا[٣] الساعة ومقدماتها، فإن قلت[٤]: «حتَّى» هذه ما هي؟ قلتُ[٥]: هي التي تُحْكى بعدها الجمل، ألا ترى أنَّ الجملة الشرطية واقعة بعدها، وهي «إِذَا رَأَوْا ما يُوعَدُون فَسَيَعْلَمُونَ»[٦] قال أبو حيان: مستبعداً الوجه[٧] الأول، وهو في غاية البعد، لطول الفصل بين قوله[٨]: «أيُّ الفَرِيقَيْنِ» وبين الغاية، وفيه الفصل بجملتي اعتراض، ولا يجيزه أبو علي[٩]. وهذا[١٠] الاستبعاد قريب[١١].

وقال[١٢] أبو البقاء: «حتَّى» تَحكي ما بعدها ههنا، وليست متعلقة بفعل[١٣].

قوله: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ تقدم الكلام في «إمَّا» من كونها حرف عطف أو لا[١٤]، ولا خلاف أنَّ أحد معانيها التفصيل كما في الآية الكريمة.

و «العَذَابَ» و «السَّاعَةَ» بدلاً من قوله: «مَا يُوعَدُون» المنصوبة بـ «رَأَوْا»[١٥]، و «فَسَيَعْلَمُونَ» جواب الشرط[١٦]. «مَنْ هُو شرٌّ مكاناً» يجوز أن تكون «مَنْ» موصولة بمعنى «الَّذي»، ويكون مفعولاً لـ «يَعْلَمُونَ»[١٧] ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء، و «هُوَ» مبتدأ ثان، و «شرٌّ» خبره، والمبتدأ والخبر خبر الأول، ويجوز أن تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية، فالجملة في محل نصب على التعليق.

---

(١) في ب: طويلاً. وهو قوله: (في ضلالتهم، والخذلان لاصق بهم، لعلم الله بهم، وبأنَّ الألطاف لا تنفع فيهم، وليسوا من أهلها، والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه، ولا ينفكون عن ضلالتهم).

(٢) أي الزمخشري.

(٣) في ب: يشاهدون. وهو تحريف.

(٤) في ب: فإن قيل.

(٥) في ب: قلنا.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٢١.

(٧) في ب: القول.

(٨) في الأصل: قوله قالوا. وهو تحريف.

(٩) البحر المحيط ٦/ ٢١٢. وذلك أنّ أبا عليّ زعم أنه لا يعترض بأكثر من جملة وغيره يجوز الاعتراض بأكثر من جملتين. المغني ٢/ ٣٩٤.

(١٠) في ب: وعلى هذا.

(١١) في ب: فوجب. وهو تحريف.

(١٢) في ب: قال.

(١٣) التبيان ٢/ ٨٨٠.

(١٤) ذهب بعض النحويين إلى أنَّ (إمَّا) الثانية بمنزلة (أو) في العطف والمعنى، أمَّا(إمَّا) الأولى فلا يجوز أن تكون حرف عطف، لأن حرف العطف لا يبدأ به، ولمباشرتها للعامل نحو قام إمَّا زيد وإمَّا خالد.
وذهب يونس والفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن مالك إلى أنَّ (إمَّا) الثانية غير عاطفة كالأولى لملازمتها غالباً الواو العاطفة. وادعى ابن عصفور الإجماع على كونها غير عاطفة.
ولكن النحويين لمَّا رأوا إعراب ما بعدها كإعراب ما قبلها ذكروها مع حروف العطف تقريباً واتساعاً.
ابن يعيش ٨/ ١٠٣، المغني ١/ ٥٩ ـ ٦٠، الهمع ٢/ ١٣٥، شرح الأشموني ٣/ ١٠٩.

(١٥) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٣، البيان ٢/ ١٣٥، التبيان ٢/ ٨٨٠، البحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(١٦) البيان ٢/ ١٣٥، التبيان ٢/ ٨٨٠.

(١٧) التبيان ٢/ ٨٨٠.

فصل

قال المفسرون: مَدَّ له الرحمن، أي: أمهله، وأملى له في الأمر، فأخرج على لفظ الأمر ومعناه الخبر، أي: يدعه في طغيانه، ويمهله في كفره ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ وهو الأسر، والقتل في الدنيا، و «إمَّا السَّاعةَ» يعنى القيامة، فيدخلون النار[(١)].

وقوله[(٢)]: «وإمَّا[(٣)] السَّاعة»[(٤)] يدلُّ على أنَّ المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل[(٥)] يوم القيامة، فيحتمل أن يكون المراد به الأسر والقتل كما تقدم، ويحتمل أن يكون عذاب القبر، ويمكن أن يكون تغير أحوالهم من العز إلى الذُّل، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الصحة إلى المرض، ومن الأمن إلى الخوف[(٦)]. «فَسَيَعْلَمُونَ» عند ذلك «مَنْ هُو شرٌّ مكاناً» منزلاً، «وأضْعَفُ جُنْداً» أقل ناصراً، لأنَّهم في النار والمؤمنون في الجنة، وهذا ردٌّ عليهم في قولهم: «أيُّ الفريقَيْن خيرٌ مَقَاماً وأحْسَنُ نَدِيًّا».

قوله: «ويَزِيدُ الله»[(٧)] في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنَّها لا محل لها، لاستئنافها، فإنها سيقت للإخبار بذلك.

وقال[(٨)] الزمخشري: إنَّها معطوفة على موضع «فَلْيَمْدُدْ»، لأنه واقع موقع الخبر، تقديره من كل في الضلالة يمُدُّ له الرحمن مدًّا ويزيدُ، أي: في ضلالهم بذلك المَدّ[(٩)].

قال أبو حيان: ولا يصح أن يكون «ويزيد» معطوفاً على «فَليَمْدِدْ»[(١٠)] سواء كان دعاء أو خبراً بصورة الأمر؛ لأنه في موضع الخبر إن كانت «مَنْ» موصولة، أو في موضع الجواب إن كانت «مَنْ»[(١١)] شرطية، وعلى كلا التقديرين[(١٢)] فالجملةُ من قوله «ويزيدُ الله الذين اهتدوا هُدًى» عارية من ضميرٍ يعود على «مَنْ» يربط[(١٣)] جملة الخبر بالمبتدأ، أو[(١٤)] جملة الشرط بالجزاء، «الذي هو «فَلْيَمْدُدْ»، وما عطف عليه، لأن المعطوفَ على الخبر خبر، والمعطوف على جملة الجزاء»[(١٥)] جزاء، وإذا كانت أداةُ الشرط اسماً لا ظرفاً تعيَّن أن يكون في جملة الجزاء ضميره[(١٦)] أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة عليها[(١٧)].

---

(١) انظر البغوي ٥/٣٩٦.
(٢) في ب: وأما قوله.
(٣) في ب: إمَّا.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٨.
(٥) قبل: سقط من ب.
(٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/٢٤٨.
(٧) في ب: «ويزيد الله الَّذين اهتدوا هدى».
(٨) وقال: سقط من ب.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٢١.
(١٠) في ب: يمدُّ.
(١١) من: سقط من ب.
(١٢) في ب: القولين. وهو تحريف.
(١٣) في ب: يزيد. وهو تحريف.
(١٤) في ب: و.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: وضميره.
(١٧) البحر المحيط ٦/ ٢١٢.

وذكره أبو البقاء[١] ـ أيضاً ـ كما ذكر الزمخشري. قال شهاب الدين: وقد يجاب عمَّا قالاه بأنا نختار على هذا التقدير أن تكون «مَنْ»[٢] شرطية. وقوله: «ولا بد[٣] من ضمير يعود على اسم الشرط غير[٤] الظرف» ممنوع، لأن فيه خلافاً تقدَّم تحقيقه، ودليله في سورة البقرة فيكون الزمخشري وأبو البقاء من القائلين بأنه لا يشترط[٥].

فصل[٦]

اعلم أنه ـ تعالى ـ لمَّا بين أنه يعامل الكفار «بعد ذلك»[٧] بما ذكره، فكذلك يزيد المؤمنين المهتدين هدًى، أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم[٨].

ومن الناس من حمل زيادة الهدى على الثواب، أي: يزيدهم ثواباً على ذلك الاهتداء ومنهم من فسَّر الزيادة بالعبادة المرتبة[٩] على الإيمان.

ثم قال: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾. قال المحققون: هي الإيمان، والأعمال الصالحة تبقى لصاحبها[١٠] وبعضهم قال: الصَّلواتُ، وبعضهم قال: التسبيح وقد تقدم[١١]. ثم قال: «خَيْرٌ عند ربِّك ثواباً وخيرٌ مردًّا» عاقبة ومرجعاً. ولا يجوز أن يقال: هذا خيرٌ إلا والمراد أنه خيرٌ من غيره، فالمراد إذاً: أنه خيرٌ مما ظنَّه الكفار بقولهم: «خَيْرٌ مقاماً وأحسَنُ نديًّا».

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية[١٢].

«أفَرَأيْتَ» عطف بالفاء إيذاناً بإفادة التعقيب، كأنه قيل: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر

---

(١) قال أبو البقاء: («ويزيد» معطوف على معنى «فليمدد» أي فيمد ويزيد). التبيان ٢/ ٨٨٠.

(٢) في ب: من أن تكون.

(٣) في ب: لا بد.

(٤) في ب: عن. وهو تحريف.

(٥) الدر المصون: ٥/ ١٥.

(٦) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٧) ما بين القوسين مكرر في ب.

(٨) في ب: بعضهم. وهو تحريف.

(٩) المرتبة: سقط من ب.

(١٠) انظر البغوي ٥/ ٣٩٦.

(١١) في سورة الكهف، عند قوله تعالى: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدُّنيا والباقيات الصَّالحات خيرٌ عند ربِّك ثواباً وخير أملاً﴾** [الآية ٤٦].
انظر اللباب ٥/ ٣٥٧.

(١٢) الآية: سقط من ب، وكتبت الآية كاملة.

عقيب قصة أولئك[١]. وأرأيت بمعنى: أخبرني كما تقدم، والموصول[٢] هو المفعول الأول، والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله: «أَطَّلع الغَيْبَ»[٣].

و «لأوتَينَّ» جواب قسمٍ مضمر[٤]، والجملة القسمية كلها في محل نصب بالقول.

وقوله هنا «وولداً»، وفي آخر السورة: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[٥] موضعان[٦] وفي الزخرف ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾[٧]، وفي نوح ﴿مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾[٨].

وقرأ الأخوان[٩] الأربعة بضم الواو وسكون اللام، ووافقهما ابن كثير وأبو عمرو على الذي في نوح دون السورتين، والباقون وهم نافع وابن عامر وعاصم قرأوا ذلك كلَّه بفتح اللام والواو[١٠]. فأمَّا القراءةُ بفتحتين فواضحة، وهو اسم مفرد قائم مقام[١١] الجمع[١٢].

وأما قراءة الضم والإسكان، فقيل: هي كالتي قبلها في المعنى، يقال: وَلَدٌ ووُلْدٌ كما يقال: عَرَبٌ وعُرْبٌ، وعدمٌ وعُدْمَ[١٣].

وقيل: بل هي جمع لـ «ولد» نحو أَسَدٌ وأُسْدٌ[١٤]، «وأنشدوا على ذلك:

٣٦٢١ ـ ولــقَــدْ رَأيــتُ مَــعَــاشِــراً قَــدْ ثَــمَّــرُوا مــالاً ووُلــدا[١٥]»[١٦]

وأنشدوا[١٧] شاهداً على أن[١٨] الوَلَد والوُلْدَ مترادفان قول الآخر:

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٣.
(٢) في ب: المومنون. وهو تحريف.
(٣) انظر البيان ٢/ ١٣٥.
(٤) يحذف القسم ويغني عنه الجواب إن دل على دليل، وقيل وعليه ابن مالك: إن وقع بعد (لقد) نحو **﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾** [آل عمران: ١٥٢]، أو (لئن) نحو **﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم﴾** [الحشر: ١٢]، أو مصاحباً «لاماً» مفتوحة ونوناً للتوكيد نحو **﴿لأعذِّبنَّه عذاباً شديداً﴾** [النمل: ٢١]، وقيل وعليه أبو حيان: إن كان الجواب باللام وإنَّ المشددة، فإن كان بغيرها كـ (ما، ولا، وإن) فلا. المغني ٢/ ٦٤٥، الهمع ٢/ ٤٤.
(٥) [مريم: ٨٨]. ولداً: سقط من ب.
(٦) في ب: موضعين.
(٧) [الزخرف: ٨١].
(٨) [نوح: ٢١].
(٩) حمزة والكسائي.
(١٠) السبعة(٤١٢)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩)، الكشف ٢/ ٩٢، النشر ٢/ ٣١٩، الإتحاف(٣٠١).
(١١) مقام: سقط من ب.
(١٢) انظر التبيان ٢/ ٨٨١، اللسان (ولد).
(١٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٤٤.
(١٤) وذلك أن قيساً تجعل الوُلد جمعاً والوَلد واحداً. اللسان (ولد).
(١٥) البيت من بحر الكامل، قاله الحارث بن حلزة. وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٣، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٢٧، اللسان (ولد)، البحر المحيط ٦/ ٢١٣.
(١٦) أن: سقط من ب.
(١٧) في ب: وقد أنشدوا.
(١٨) أن: سقط من ب.

٣٦٢٢ ـ فَلَيْتَ فُلاناً كان في بَطْنِ أُمِّهِ وليتَ فُلاناً كانَ[١] وُلْدَ حمارِ[٢]

وقرأ عبد الله ويحيى بن يعمر[٣] «ووِلْدا» بكسر الواو[٤]، وهي لغة في الولد[٥]، ولا يبعد أن يكون هذا من باب الذبح والرئي، فيكون ولد بمعنى مولود، وكذلك في الذي بفتحتين[٦] نحو القبض بمعنى المقبوض.

قوله: «أطَّلَعَ» هذه همزة[٧] استفهام سقط من أجلها[٨] همزة الوصل[٩]، وقد قُرِىء بسقوطها درجاً، وكسرها ابتداء على أن همزة الاستفهام قد حذفت لدلالة «أمْ»[١٠] عليها[١١]، كقوله:

٣٦٢٣ ـ لَعمركَ مَا أدْرِي وإنْ كُنْتَ دَارِياً بِسَبْعٍ رمَيْنَ الجَمْرَ أمْ «بِثَمَانِ[١٢]»[١٣]

و «أطَّلعَ» من قولهم: اطلع[١٤] فلان الجبل، أي: ارتقى أعلاه[١٥].

قال جرير:[١٦]

٣٦٢٤ ـ لاقَيْتُ مُطَّلِعَ الجِبَالِ «وعُورَا[١٧]»[١٨]

---

(١) كان: سقط من ب.

(٢) البيت من بحر الطويل، لم يعزه أحد إلى قائل، اللسان (ولد) والبحر المحيط ٦/ ٢١٣، واستشهد به على أنَّ (ولداً) ـ بضم الواو وسكون اللام، و (ولداً) بفتحها ـ لغتان وهما بمعنى واحد. وقد تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) المختصر(٨٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٢، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٢٧، البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٥) انظر التبيان ٢/ ٨٨١، قال ابن منظور: (والولد ـ بالكسر ـ كالولد لغة، وليس بجمع، لأنَّ فعلاً ليس مما يكسر على فعل). اللسان (ولد).

(٦) في ب: سحنين. وهو تحريف.

(٧) همزة: سقط من ب.

(٨) في ب: أصلها. وهو تحريف.

(٩) لأن همزة الوصل المكسورة إذا دخلت عليها همزة الاستفهام تحذف همزة الوصل، وكذلك همزة الوصل المضمومة، بخلاف المفتوحة فإنها لا تحذف مع همزة الاستفهام، لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر. شرح التصريح ٢/ ٣٦٦.

(١٠) أم: سقط من ب.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٨٨١، البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(١٢) البيت من بحر الطويل قاله عمر بن أبي ربيعة، ورواية شرح الديوان:

فوالله ما أدري وإنّي لحاسب بسبع رميت الجمر أم بثمان

(١٣) في ب: بثمانيا.

(١٤) في ب: واطلع.

(١٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٢١.

(١٦) تقدم.

(١٧) عجز بيت من بحر الكامل، قاله جرير، وصدره:

إنّي إذا مضرٌ عليَّ تحدَّبت

وهو في ديوانه ١/ ٢٢٩، الكشاف ٢/ ٤٢١، اللسان (طلع).

(١٨) وعورا: سقط من ب.

و «الغَيْبَ[١]» مفعول به، لا على إسقاط حرف الجر، أي: على الغيب، كما زعم بعضهم.

فصل

لمَّا استدل على صحة البعث، وأورد شبهة المنكرين، وأجاب عنها ذكر عنهم ما قالوه استهزاء طعناً بالقول[٢] في الحشر فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾. قال الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها نزلت في العاص بن وائل، قال خباب بن الأرت: كان لي عليه دين، فأتيت أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمدٍ حيًّا ولا ميتاً. وفي رواية: حتى تموت ثم تبعث. فقال[٣]: وإنِّي لميتٌ ثم مبعوثٌ؟ قلت: نعم. قال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، فأنا أقضيك ثمَّ، فإنه سيكون لي مالٌ وولد[٤].

ثم قال تعالى[٥]: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾. «قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ[٦]»[٧].

وقال مجاهد: أعلمَ[٨] علم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟[٩].

والمعنى: أنَّ الذي ادعى حصوله لا يتوصل إليه إلاَّ بأحد هذين الطريقين[١٠]: إمَّا علم الغيب، وإمَّا عهدٌ من عالم الغيب، فبأيهما[١١] توصل إليه[١٢].

قيل: العهد كلمة الشهادة[١٣]. وقال قتادة: عملاً صالحاً قدَّمه، فهو يرجو بذلك ما يقول[١٤]. وقال الكلبي: عهد إليه أن يدخله الجنة[١٥].

«كَلاَّ» ردٌّ[١٦] عليه، أي: إنَّه لم يفعل ذلك.

قوله: «كَلاَّ» للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب:

أحدها[١٧]: وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش[١٨] وأبي العباس أنها حرف ردع وزجر[١٩].

---

(١) والغيب: سقط من ب. وفيه: فهو.
(٢) في ب: في القول.
(٣) في ب: قال.
(٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٢، الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٠.
(٥) تعالى: سقط من ب.
(٦) انظر البغوي ٥/ ٣٩٨.
(٧) ما بين القوسين في ب: انظر في اللوح المحفوظ قاله ابن عباس.
(٨) في ب: علم.
(٩) انظر البغوي ٥/ ٣٩٨.
(١٠) في ب: القولين.
(١١) في ب: فأيهما.
(١٢) الكشاف ٢/ ٤٢٢، الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٠.
(١٣) انظر البغوي ٥/ ٣٩٨.
(١٤) المرجع السابق.
(١٥) المرجع السابق.
(١٦) في النسختين: ردّاً.
(١٧) في ب: الأول.
(١٨) في ب: وأبي الحسن والأخفش. وهو تحريف.
(١٩) قال سيبويه: (وأمَّا كلا فردع وزجر) الكتاب ٤/ ٢٣٥.

وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن[١]، وما أحسن ما جاءت في هذه الآية حيث زجرت وردعت ذلك[٢] القائل.

والثاني: وهو مذهب النضر بن شميل[٣] أنها حرف تصديق بمعنى نعم[٤]، فيكون جواباً، ولا بد حينئذ من أن يتقدمها شيء لفظاً أو تقديراً، وقد تستعمل في القسم[٥].

والثالث[٦]: وهو مذهب الكسائي، وأبي بكر بن[٧] الأنباري[٨]، «ونصر بن يوسف[٩]»[١٠] وابن واصل[١١] أنها بمعنى حقًّا[١٢].

والرابع: وهو مذهب أبي عبد الله[١٣] محمد بن الباهلي[١٤] أنها رد لما قبلها. وهذا قريب من معنى الردع.

الخامس: أنها صلة في الكلام بمعنى «إي»[١٥] كذا قيل. وفيه نظر، فإن «إي» حرف جواب، ولكنه مختص بالقسم.

---

(١) لأن فيها معنى التهْديد والوعيد، ولذلك لم تقع في القرآن إلا في سورة مكية، لأن التهديد والوعيد أكثر ما نزل بمكة.

(٢) في ب: هذا.

(٣) تقدم.

(٤) انظر المغني ١/ ١٨٩.

(٥) ومما يشير إلى استعمالها للقسم بهذا قول الفراء في قوله تعالى: ﴿**كلا والقمر**﴾ كلا: صلة للقسم الذي بعدها، فلا يوقف عليها. كأنه قال: إي والقمر، كما تقول: كلا وربِّ الكعبة تريد: إي. وجعلها ابن هشام استفتاحية. انظر المغني ١/ ١٨٩.

(٦) والثالث: سقط من ب.

(٧) ابن: سقط من ب.

(٨) تقدم.

(٩) في بغية الوعاة ٢/ ٣٧٥: نصر بن يوسف صاحب الكسائي، قال ياقوت: كان نحوياً لغوياً وفي طبقات القراء ٢/ ٣٤٠: نصير بن يوسف أخذ القراءة عرضاً عن الكسائي، وهو من جلة أصحابه وعلمائهم، وكان ضابطاً، عالماً بمعنى القراءات ونحوها، ولغتها، مات في حدود ٢٤٠هـ.

(١٠) ما بين القوسين في ب: وأبي يوسف ونصر بن يوسف.

(١١) هو محمد بن أحمد بن واصل أبو العباس البغدادي، مقرىء جليل، إمام متقن ضابط أخذ القراءة سماعاً عن أبيه عن اليزيدي، والكسائي، مات سنة ٢٧٣هـ.
طبقات القراء ٢/ ٩١.

(١٢) فابتدأ بها لتأكيد ما بعدها، فتكون في موضع مصدر، ويكون موضعها نصباً على المصدر، والعامل محذوف والتقدير: أحق ذلك حقاً. انظر المغني ١/ ١٨٩، الهمع ٢/ ٧٤.

(١٣) في ب: عبد الله وأبي عبد الله.

(١٤) لعله أبو العلاء، أو أبو يعلى محمد بن أبي زرعة الباهلي من أصحاب المازني، صنف نكتاً على كتاب سيبويه، قيل عنه إنه كان أحذق من المبرد، وإنما قل عنه النقل، لأنه عوجل، مات سنة ٢٥٧هـ.
انظر طبقات الزبيدي (١١٠)، وبغية الوعاة ١/ ١٠٤، وفيه: ولد مكان مات.

(١٥) هذا الرأي أحد استعمالي الرأي الثاني وهو قوله: وقد يستعمل في القسم.

السادس: أنها حرف استفتاح، وهو قول «أبي حاتم[١] ولتقرير هذه المذاهب موضع يليق به.

وقد قرىء هنا بالفتح والتنوين في كَلاًّ»[٢] هذه، وتروى عن ابن نهيك[٣] وحكى الزمخشري هذه القراءة، وعزاها لابن نهيك في قوله: «﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾[٤] كما سيأتي[٥] ويحكى أيضاً قراءةً بضم الكاف والتنوين، ويعزيها لابن نهيك أيضاً»[٦].

فأما قولهم[٧]: ابن نهيك، فليس لهم ابن نهيك، إنما لهم أبو نهيك بالكنية[٨].

وفي قراءة الفتح «والتنوين أربعة أوجه:

أحدها: أنَّه منصوبٌ على المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره»[٩]: كَلُّوا[١٠] كَلاً[١١]، أي: أعيُوا عن الحقِّ إعياء، أو كلُّوا عن عبادة الله، لتهاونهم بها من قول العرب: كَلَّ السَّيْفُ، إذا نبا[١٢] عن الضرب، وكلَّ زيدٌ[١٣]، أي: تَعِبَ. وقيل: المعنى: كلُّوا في دعواهم وانقطعوا[١٤].

والثاني[١٥]: أنه مفعولٌ به بفعل مقدر من معنى الكلام، تقديره: حُمِّلوا كلاً. والكلُّ أيضاً: الثقل[١٦]، تقول: فلان كلٌّ على الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾[١٧].

والثالث: أن «[١٨] التنوين[١٩] بدل من ألف[٢٠]» «كلاً»، وهي التي يراد بها الردع والزجر، فتكون حرفاً أيضاً.

قال الزمخشري: ولقائل أن يقول: إن صحت هذه الرواية[٢١]، فهي «كلاً» التي

---

(١) وهي على هذا حرف لاستفتاح الكلام لا غير، ولا يستعمل على هذا المعنى إلا في الابتداء بها، ورجحه ابن هشام على رأي النضر بن شميل والفراء، المغني ١/١٨٩، الهمع ٢/٧٥.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) في ب: أبي نهيك.

(٤) [٨٢ من السورة نفسها].

(٥) الكشاف ٢/٤٢٢.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: قوله.

(٨) انظر المختصر (٨٦)، والمحتسب ٢/٤٥، تفسير ابن عطية ٩/٥٣١، البحر المحيط ٦/٢١٤.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) في ب: فلو. وهو تحريف.

(١١) المحتسب ٢/٤٥، التبيان ٢/١٨١، البحر المحيط ٦/٢١٣، المغني ١/١٩٠.

(١٢) نبا حدُّ السيف إذا لم يقطع.

(١٣) في ب: زيداً. وهو تحريف.

(١٤) انظر التبيان ٢/١٨١، المغني ١/١٩٠.

(١٥) في ب: الثاني.

(١٦) انظر التبيان ٢/١٨١، المغني ١/١٩٠.

(١٧) [النحل: ٧٦].

(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٩) في ب: وقيل التنوين.

(٢٠) في ب: الألف.

(٢١) وهي قول الزمخشري: (وفي محتسب ابن جنى «كلاً» بفتح الكاف والتنوين، وزعم أن معناه: كلَّ هذا الرأي والاعتقاد كلاً) الكشاف ٢/٤٢٢، والمحتسب ٢/٤٥.

للردع»[١] قلب[٢] الواقف عليها ألفها نوناً كما في قوله: «قواريرا[٣]»[٤].

قال أبو حيان: وهذا ليس بجيد، لأنه قال: التي للردع، «والتي للردع»[٥] حرف، ولا[٦] وجه لقلب ألفها نوناً، وتشبيهه[٧] بـ «قَوَارِيراً» ليس بجيد، لأنَّ «قَوَارِيرَ»[٨] اسم[٩] يرجع به إلى أصله، فالنون ليس بدلاً من ألف بل هو تنوين الصرف، وهذا الجمع مختلف فيه أيتحتَّمُ منع صرفه أم يجوز؟ قولان[١٠].

ومنقول أيضاً: أن[١١] بعض لغة العرب[١٢] يصرفون ما لا ينصرف[١٣]، فهذا القول، إما على قول من لا يرى بالتحتم، أو على تلك اللغة[١٤].

والرابع: أنه نعتٌ لـ «آلهة»، قاله[١٥] ابن عطية[١٦]. وفيه نظر، إذ ليس المعنى على ذلك، وقد يظهر له وجه، «أن يكون وصف»[١٧] الآلهة بالكلِّ الذي هو[١٨] المصدر بمعنى الإعياء والعجز، كأنه قيل: آلهةٌ كالِّين، أي: عاجزين منقطعين. ولمَّا وصفهم وصفهم بالمصدر وحده. وروى[١٩] ابن عطية والداني[٢٠] وغيره عن أبي نهيك أنه قرأ[٢١] «كُلاًّ» بضم الكاف[٢٢] والتنوين[٢٣]، وفيها تأويلان:

أحدهما: أن ينتصب على الحال، أي: سيكفرون جميعاً[٢٤]؛ كذا قدره أبو[٢٥] البقاء، واستبعده[٢٦].

والثاني: أنه منصوبٌ بفعلٍ مقدر، أي: يرفضون، أي: يجحدون، أو[٢٧] يتركون كلاً[٢٨]،

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) في ب: قلنا.
(٣) من قوله تعالى: ﴿ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضَّةٍ وأكوابٍ كانت قواريرا. قواريرا من فضة قدَّروها تقديراً﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].
(٤) الكشاف ٢/ ٤٢٢.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: فلا.
(٧) في الأصل: وتشبيهاً.
(٨) في ب: قوارير.
(٩) في الأصل: اسماً.
(١٠) أجاز قوم صرف الجمع الذي لا نظير له في الآحاد اختياراً وزعم قوم أن صرف ما لا ينصرف مطلقاً لغة. انظر الأشموني ٣/ ٢٧٥.
(١١) في ب: الأول أنه منقول أيضاً وإن.
(١٢) في ب: لغة بعض العرب.
(١٣) انظر شرح الكافية ١/ ٣٨ ـ ٣٩.
(١٤) البحر المحيط ٦/ ٢١٥.
(١٥) في ب: قال. وهو تحريف.
(١٦) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٣١.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٨) في ب: على. وهو تحريف.
(١٩) في ب: فصل روى.
(٢٠) تقدم.
(٢١) في ب: أنه قوى كلامه أي قرىء.
(٢٢) في ب: القاف. وهو تحريف.
(٢٣) المختصر (٨٦)، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٣١.
(٢٤) جميعاً: سقط من ب.
(٢٥) في ب: وأبو. وهو تحريف.
(٢٦) التبيان ٢/ ٨٨١.
(٢٧) في ب: و.
(٢٨) كلا: سقط من ب.

قاله[١] ابن عطية[٢]. وحكى[٣] ابن جرير[٤] أن أبا نهيك قرأ «كُلٌّ» بضم الكاف ورفع اللام منونة على أنه مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبره[٥].

وظاهر عبارة هؤلاء أنه لم يقرأ بذلك إلا في[٦] «كلاً» الثانية[٧]. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب «ونُمِدُّ»[٨] من أمدَّ، وقد تقدم القول في مدَّهُ وأمدَّهُ[٩].

قوله: «ونَرِثُهُ ما يقُولُ». يجوز في «مَا» وجهان:

أحدهما: أن يكون مفعولاً بها[١٠]، والضمير في «نَرِثُهُ» منصوب على إسقاط الخافض تقديره: ونرثُ منه «ما يقوله[١١]»[١٢].

والثاني: أن يكون بدلاً من الضمير في «نَرثُهُ» بدل اشتمال[١٣]. وقدَّر بعضهم مضافاً قبل الموصول، أي: نرثه معنى ما يقول، أو مسمًّى ما يقول، وهو المال والولد، لأن نفس القول لا يورث[١٤]. «و «فَرْداً» حال إمَّا مقدرة نحو ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[١٥]، أو مقارنة، وذلك مبنيٌّ على اختلاف معنى الآية[١٦]»[١٧].

قوله تعالى: «سَنَكْتبُ»[١٨] سنحفظ[١٩] «ما يقُولُ» فنُجازيه في الآخرة[٢٠].

وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيده عذاباً فوق العذاب، وقيل: نطيل عذابه[٢١]. و «نَرِثُهُ ما يقُولُ»[٢٢] «أي: ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال قوله، وقوله «مَا يَقُولُ»، لأنه زعم أنَّ له مالاً وولداً، أي: لا نعطيه ونعطي غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله «ونَرِثُهُ ما يقُولُ»[٢٣] أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به «ويَأْتِينَا فَرْداً» يوم القيامة بلا مالٍ ولا ولد»[٢٤].

---

(١) في ب: كذا قاله.
(٢) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٣١.
(٣) في ب: القول الثاني حكى.
(٤) تقدم.
(٥) جامع البيان ١٦/ ٩٤.
(٦) في ب: أن. وهو تحريف.
(٧) من قوله تعالى: **﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾** [الآية ٨٢ من السورة نفسها].
(٨) المختصر (٨٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٢، البحر المحيط ٦/ ٢١٤.
(٩) في ب: ومده.
(١٠) بها: سقط من ب.
(١١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٣، البيان ٢/ ١٣٥، التبيان ٢/ ٨٨٢.
(١٢) ما بين القوسين في ب: ما يقولونه.
(١٣) انظر التبيان ٢/ ٨٨٢.
(١٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٢.
(١٥) [الزمر: ٧٣].
(١٦) أي: إذا كان المراد: ويأتينا فرداً غداً بلا مالٍ ولا ولد، فـ «فرداً» حال مقدرة. ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حياً، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله. فـ «فرداً» حال مقارنة. الكشاف ٢/ ٤٢٢.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٨) في ب: قوله: «كلا سنكتب ما يقول».
(١٩) في ب: سنحفظه.
(٢٠) انظر القرطبي ١١/ ١٤٨.
(٢١) انظر البغوي ٥/ ٣٩٨.
(٢٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٣٩٩.
(٢٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٣٩٩.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية[١]. لمَّا تكلَّم في مسألة الحشر[٢] والنشر تكلَّم الآن في الرد على عُبَّاد[٣] الأصنام فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يعني كفار قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها «ليكُونُوا لَهُمْ عِزًّا» أي منعة بحيث يكونون[٤] لهم شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من الهلاك. ثم أجاب الله ـ تعالى[٥] ـ بقوله: «كَلاًّ» ليس الأمر كما زعموا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: «كُلُّهم سيكفُرُون بعبادِة»[٦] هذه الأوثان[٧].

قوله: «سَيَكْفُرُونَ» يجوز أن يعود الضمير[٨] على الآلهة، لأنه أقرب مذكور، ولأن الضمير في «يَكُونُونَ[٩]» أيضاً عائد عليهم فقط[١٠]، ومثله ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ ثم قال ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[١١].

قيل: أراد بذلك الملائكة، لأنهم يكفرون بعبادتهم «ويتبرءون منهم»[١٢] ويخاصمونهم وهو المراد بقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾[١٣].

وقيل: إن الله ـ تعالى ـ يحيي الأصنام يوم القيامة حتى يوبِّخُوا عبَّادها ويتبرءوا[١٤] منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم[١٥].

وقيل: الضمير يعود على المشركين، ومثله قوله[١٦]: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[١٧] إلا أنَّ فيه عدم توافق الضمائر، إذ الضمير في «يَكُونُونَ» عائد إلى الآلهة[١٨].

و[١٩] «بِعبَادَتِهِمْ» مصدر مضاف إلى فاعله، إن عاد[٢٠] الضمير في عبادتهم على

---

(١) الآية: سقط من ب وكتبت الآية كاملة.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١.
(٣) في ب: عبادة.
(٤) في ب: يكونوا. وهو تحريف.
(٥) تعالى: سقط من ب.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١.
(٨) في ب: أن يكون الضمير عائداً.
(٩) في ب: يكون. وهو تحريف.
(١٠) في ب: عائد عليه ثم فقط.
(١١) من قوله تعالى: **﴿وإذا رأى الَّذين أشركوا شركاءهم قالوا ربَّنا هؤلاء شركاؤنا الَّذين كنَّا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنَّكم لكاذبون﴾** [النحل: ٨٦]. انظر الكشاف ٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، البحر المحيط ٦/ ٢٢٥.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) من قوله تعالى: **﴿ويوم يحشرهم ثمَّ يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبدون﴾** [سبأ: ٤٠]. انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١.
(١٤) في الأصل: ويتبرؤون.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١.
(١٦) في ب: ومنه قولهم.
(١٧) من قوله تعالى: **﴿ثمَّ لم تكن فتنتهم إلاَّ أن قالوا والله ربَّنا ما كنَّا مشركين﴾** [الأنعام: ٢٣]. انظر الكشاف ٢/ ٤٢٢، الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١، البحر المحيط ٦/ ٢١٥.
(١٨) في ب: إذ الضمير يكون عائداً على الآلهة.
(١٩) و: سقط من ب.
(٢٠) في ب: وإن كان.

المشركين العابدين[١]، وإلى المفعول إن عاد على الآلهة[٢].

قوله: «ضِدًّا» إنما وحَّده وإن كان خبراً عن جمع لأحد وجهين[٣]: إما لأنه مصدر في الأصل[٤]، «والمصادر موحَّدة مذكَّرة، وإمَّا لأنه مفرد في معنى الجمع[٥].

قال الزمخشري»[٦]: والضِّدُّ: العَوْن، وحِّد توحيد قوله عليه السلام[٧]: «وهُم يَدٌ على مِنْ سِواهُم»[٨] لاتفاق كلمتهم، وأنَّهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم[٩]. والضِّدُّ: العونُ والمعاونة، ويقال[١٠]: من أضدادكم، أي: أعوانكم.

قيل: سمي[١١] العونُ ضدًّا، لأنه يضاد من يعاديك وينافيه بإعانته لك[١٢] عليه[١٣].

وفي التفسير: إن الضِّدَّ هنا الأعداء[١٤]. وقيل: القرن[١٥]. وقيل: البلاء[١٦]. وهذه تناسب معنى الآية.

قيل[١٧] ذكر ذلك في مقابلة قولهم «عِزّاً»، والمراد ضد العِزّ، وهو الذُّلُّ والهوان، أي: يكونون عليهم ضِدًّا لما قصدوه وأرادوه. كأنه قيل: ويكون عليهم ذلاً لهُم[١٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ

---

(١) ويكون التقدير: سيكفر المشركون بعبادتهم الأصنام. البيان ٢/ ١٣٦، التبيان ٢/ ٨٨١.

(٢) ويكون التقدير: سيكفر المشركون بعبادة الأصنام، أو ستكفر الأصنام بعبادتهم المشركين، البيان ٢/ ١٣٦، التبيان ٢/ ٨٨١.

(٣) في ب: الوجهين.

(٤) في ب: في الواحد أو في الأصل.

(٥) المصدر موحَّد لا يثنَّى ولا يجمع، لأنه جنس يدل بلفظه على القليل والكثير، فاستغني عن تثنيته وجمعه، فيخبر به عن المفرد والمثنى والجمع. شرح المفصل ٣/ ٥٠، شرح التصريح ١/ ١٥٧.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: لقوله عليه الصلاة والسلام.

(٨) أخرجه أبو داود (ديات) ٤/ ٦٦٦ ـ ٦٦٩، وابن ماجه (ديات) ٢/ ٨٩٥ وأحمد ١/ ١٢٢، ٢/ ١٨٠. ٢١١.

(٩) الكشاف ٢/ ٤٢٣.

(١٠) في ب: يقال.

(١١) في ب: وسمي.

(١٢) في ب: لأنه يضامن يعانيك وتعانيه بإعانتك له. وهو تحريف.

(١٣) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٣، الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(١٤) هذا المعنى للضحاك. القرطبي ١١/ ١٤٨، البحر المحيط ٢١٥٦.

(١٥) في ب: القران. وهذا المعنى لقتادة. البحر المحيط ٦/ ٢١٥.

(١٦) انظر القرطبي ١١/ ١٤٨، البحر المحيط ٦/ ٢١٥.

(١٧) في ب: وقيل.

(١٨) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٣، الفخر الرازي ٢١/ ٢٥١.

عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ
وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن
كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ الآية[١].

لمَّا ذكر حال هؤلاء الكفار[٢] مع الأصنام في الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا، وأنهم يتولونهم وينقادون لهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ احتج أهل السنة بهذه الآية على أنَّ الله ـ تعالى ـ سلَّطهم[٣] عليهم لإرادة أن يستولوا عليهم، ويتأكد هذا بقوله «تؤزُّهم أزًّا»، فإن معناه لتؤزُّهُمْ أزاً، ويتأكد بقوله[٤]: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[٥][٦].

قال القاضي: حقيقة اللفظ[٧] توجب أنه تعالى أرسل الشياطين إلى الكفار كما أرسل الأنبياء، بأن حملهم رسالة يؤدونها إليهم[٨]، ولا يجوز في تلك الرسالة إلا ما أرسل عليه الشياطين من الإغواء، فكان يجب في[٩] الكفار أن يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين، وذلك كفر من قائله، ولأن من[١٠] العجب تعلق المجبرة بذلك، لأن عندهم أن ضلالهم[١١] من قبله ـ تعالى ـ خلق فيهم الكفر وقدر الكفر، فلا تأثير لما لا يكون من الشياطين. وإذا بطل حمل اللفظ على ظاهره فلا بد من التأويل، فنحمله على أنه ـ تعالى ـ خلَّى بين الشياطين وبين الكفار، وما منعهم من إغوائهم[١٢]، وهذه التخلية تسمى إرسالاً في سعة اللغة، كما إذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال[١٣]: أرسل كلبه علينا، وإن لم يرد أذى الناس.

---

(١) الآية: سقط من ب، وكتبت الآية كاملة.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٢.

(٣) في ب: سلط.

(٤) بقوله: سقط من ب.

(٥) «واستفزز»: سقط من الأصل واستدرك بالهامش.

(٦) [الإسراء: ٦٤].

(٧) في ب: باللفظ.

(٨) إليهم: سقط من ب.

(٩) في ب: على.

(١٠) من: سقط من ب.

(١١) في ب: ضلاله. وهو تحريف.

(١٢) في ب: وما منع من أحوالهم. وهو تحريف.

(١٣) في ب: فيقال.

وهذه التخلية وإن لم يكن فيها تشديد[١] للمحنة عليهم[٢] فهم متمكنون[٣] بأن لا يقبلوا منهم، ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[٤].

قال ابن الخطيب[٥]: وهذا لا يمكن حمله على ظاهره، فإنَّ قوله: الشياطين لو أرسلهم الله ـ تعالى[٦] ـ إلى الكفار «لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين.

قلنا: الله[٧] ـ تعالى ـ ما أرسل الشياطين إلى الكفار»[٨] بل أرسلهم عليهم، والإرسال عليهم هو التسليط لإرادة أن يصير مستولياً عليه[٩]، فأين هذا من الإرسال إليهم[١٠].

وقوله: ضلال الكافر من قبل الله ـ تعالى ـ، فأي تأثير للشياطين فيه.

قلنا: لِمَ لا يجوز أن سماع[١١] الشياطين إياه تلك[١٢] الوسوسة يوجب في قلبه الضلال بشرط سلامة فهم السامع، لأن كلام الشياطين[١٣] «من خلق الله ـ تعالى ـ فيكون ذلك الضلال الحاصل في قلب الكافر منتسباً إلى الشيطان، وإلى الله ـ تعالى ـ من هذين الوجهين. وقوله: لِمَ لا يجوز أن يكون بالإرسال التخلية.

قلنا: كما خلَّى بين الشياطين والكفرة»[١٤] فقد خلَّى بينهم وبين الأنبياء، ثم إنه ـ تعالى ـ خص الكافر بأنه أرسل الشياطين عليه، فلا بد من فائدة زائدة ههنا.

ولأن قوله «تَؤُزُّهُمْ أَزّاً» أي: تحركهم تحريكاً شديداً، فالغرض[١٥] من ذلك الإرسال موجب[١٦] أن يكون ذلك الأزُّ مراداً لله ـ تعالى ـ إذ يحصل المقصود منه[١٧].

قوله[١٨]: «أَزّاً» مصدر مؤكد. والأزُّ، والأزيزُ، والاستفزاز. قال الزمخشري: أخوات وهو التهيج وشدة الإزعاج، أي[١٩]: تغريهم على المعاصي، وتهيجهم لها بالوساوس[٢٠].

قال ابن عباس: «تَؤُزُّهُمْ أَزّاً» أي: تزعجهم في المعاصي إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية[٢١].

---

(١) في النسختين: نسبة.
(٢) في ب: عليها. وهو تحريف.
(٣) في ب: متمسكون. وهو تحريف.
(٤) [إبراهيم: ٢٢]. آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢١/٢٥٢.
(٥) تقدم.
(٦) تعالى: سقط من ب.
(٧) في ب: قلنا: القول لله.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: عليهم لا عليه.
(١٠) في النسختين: إليه.
(١١) في ب: استماع.
(١٢) في ب: بتلك.
(١٣) في ب: الشياطين والكفرة.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) في ب: فإن قيل: إنَّ الغرض.
(١٦) في ب: يوجب.
(١٧) الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
(١٨) في ب: قلنا. وهو تحريف.
(١٩) في ب: أن. وهو تحريف.
(٢٠) الكشاف: ٢/ ٤٢٣.
(٢١) انظر القرطبي ١١/ ١٥٠.

والأزُّ أيضاً: شدة الصوت، ومنه: أزَّ المِرْجَلُ[١] أزًّا وأزيزاً، أي: غلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت[٢]، وفي الحديث «فكَانَ له أزيزٌ» أي للجذع حين فارقه النبي ﷺ.

قوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ﴾ أي: لا تعجل بطلب عقوبتهم، يقال: عجلت عليه[٣] بكذا إذا[٤] استعجلت منه «إنَّا نعدُّ لهُمْ عدًّا».

قال الكلبي: يعنى الليالي والأيام والشهور والأعوام[٥].

وقيل: الأنفاس التي يتنفّسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجِّل لعذابهم[٦].

وقيل: نَعُدُّ أنفاسهم وأعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها[٧].

وقيل: نَعُدُّ الأوقات، أي: الوقت[٨] الأجل المعين «لكل أحد»[٩] الذي لا يتطرق إليه الزيادة والنقصان[١٠].

قوله: «يَوْم نَحْشُرُ» منصوب بـ «سَيَكْفُرونَ»، أو بـ «يَكونُونَ «عليْهِمْ ضدًّا» أو بـ «نَعُد»[١١]»[١٢] لأن «نَعُدُّ» تضمن معنى المجازاة، أو بقوله: «لا يَمْلِكُونَ»[١٣] الذي بعده، أو بمضمر وهو «اذكُرْ»، أو «احْذَرْ»[١٤].

وقيل: هو معمول لجواب سؤال مقدر كأنه قيل: «متى يكون ذلك؟ فقيل»[١٥]: يكون يوم نحشر[١٦].

وقيل: تقديره: يوم نحشر ونسوق: نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف[١٧].

قوله[١٨]: «وفداً» نصب على الحال[١٩]، وكذا[٢٠] «ورْداً».

---

(١) المرجل: القدر من الحجارة والنحاس، وقيل: هو قدر النحاس خاصة، وقيل: هي كل ما طُبخ فيها من قدر وغيرها. اللسان (رجل).
(٢) انظر اللسان (أزز).
(٣) في ب: عليهم.
(٤) في ب: إذا ما.
(٥) انظر البغوي ٥/ ٤٠٠.
(٦) المرجع السابق.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٣.
(٨) في ب: وقت.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٣.
(١١) انظر البيان ٢/ ١٣٦، التبيان ٢/ ٨٨٢، البحر المحيط ٦/ ٢١٦.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) من الآية (٨٧). انظر الكشاف ٢/ ٤٣٤، البيان ٢/ ١٣٦، التبيان ٢/ ٨٨٢، البحر المحيط ٦/ ٢١٦.
(١٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٣، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤، التبيان ٢/ ٨٨٢، البحر المحيط ٦/ ٢١٦.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٦.
(١٧) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٣.
(١٨) قوله: سقط من ب.
(١٩) انظر البيان ٢/ ١٣٦.
(٢٠) في ب: وكذلك.

والوَفْدُ: الجماعة الوافدون، يقال: وَفَدَ يَفِدُ وَفْداً ووفوداً ووفَادَةً، أي: قدم على سبيل التكرمة[١]، فهو[٢] في الأصل مصدر ثم أطلق على الأشخاص كالضيف.

وقال أبو البقاء: وفد[٣] جمع وافد مثل راكب ورَكْب، وصاحب وصَحْب[٤].

وهذا الذي قاله ليس مذهب سيبويه، لأن فاعلاً لا يجمع على فعل عند سيبويه[٥]. وأجازه الأخفش[٦].

فأمَّا[٧] رَكْب وصَحْب فاسما جمع لا جمع بدليل تصغيرها على ألفاظها، قال:

٣٦٢٥ ـ أخْشَى رجَيلاً وَرُكَيباً[٨] عَادِيَا[٩]

فإن قيل: لعل أبا البقاء أراد الجمع اللغوي.

فالجواب: أنه قال بعد قوله هذا: والوِرْد اسم لجمع وارد[١٠]. فدل على أنه قصد الجمع صناعة المقابل لاسم الجمع. والوِرْد اسم للجماعة العطاش الواردين[١١] للماء، وهو أيضاً في الأصل[١٢] مصدر أطلق[١٣] على الأشخاص، يقال: وَرَد الماء يردهُ وِرْداً ووُرُوداً[١٤]، قال الشاعر:

٣٦٢٦ ـ رِدِي[١٥] رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا ... كُدريَّةٍ أعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا[١٦]

وقال أبو البقاء: هو اسم لجمع وارد، «وقيل: هو بمعنى وارد»[١٧]، وقيل: هو محذوف من وراد، وهو بعيد[١٨]. يعني أنه يجوز أن يكون صفة على فَعْل. وقرأ الحسن والجحدري «يُحْشَرُ المتَّقُونَ»[١٩] «ويُسَاقُ المُجْرِمُون» على ما لم يسم فاعله[٢٠].

---

(١) انظر اللسان (وفد).
(٢) في ب: هو.
(٣) في ب: قد. وهو تحريف.
(٤) التبيان ٢/ ٨٨٢.
(٥) انظر الكتاب ٣/ ٦٢٤.
(٦) لم أجده صريحاً في معاني القرآن للأخفش، وفي شرح المفصل لابن يعيش: (وذهب أبو الحسن إلى أنه تكسير) ٥/ ٧٧. وقريب منه في اللسان (رجل، ركب).
(٧) في ب: وأما.
(٨) في ب: أخص ركيباً وصحيباً.
(٩) تقدم.
(١٠) التبيان ٢/ ٨٨٢.
(١١) في ب: والواردين.
(١٢) في ب: في أصل أيضاً.
(١٣) في ب: وأطلق.
(١٤) اللسان (ورد).
(١٥) في ب: رد. وهو تحريف.
(١٦) رجز لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشاف ٢/ ٤٢٣، اللسان (صمم).
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٨) التبيان ٢/ ٨٨٢.
(١٩) في الأصل: المتقين.
(٢٠) المختصر(٨٦) الكشاف ٢/ ٤٢٣، البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

فصل

قال المفسرون: اذكر لهم يا محمد[١] اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن إلى جنته وفْداً، أي جماعات، جمع وافد مثل راكب ورَكْب وصاحب وصَحْب. وقال ابن عباس: رُكْبَاناً. وقال أبو هريرة: على الإبل.

وقال علي بن أبي طالب ـ «رضي الله عنه»[٢] ـ: ما يُحْشَرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رجالها الذهب، ونجائب سروجها ياقوت[٣] إن هموا بها سارت وإنْ همُّوا طارت. ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي: مُشاة، وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش[٤].

وقوله: «ونَسُوقُ المجرمينَ» يدل على أنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم عطاش تساق إلى الماء، والوِرْدُ للعطاش[٥] وحقيقة الوِرْد المسيرُ إلى الماء، فسمي به «الواردون[٦]»[٧].

فصل

طعن الملاحدة[٨] في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فقالوا: هذا إنما يستقيم أن لو كان الحشر عند غير الرحمن، أما إذا كان الحشر عند الرحمن، فهذا الكلام لا ينتظم. وأجاب المسلمون: بأنَّ التقدير: يوم نحشُر المتَّقين إلى محلِّ كرامةِ الرحمن[٩].

قوله: «لا يَمْلِكُونَ». في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها[١٠] مستأنفة سيقت للإخبار[١١] بذلك[١٢].

والثاني: أنَّها في محل نصب على الحال مما تقدم[١٣].

وفي هذه الواو[١٤] قولان:

أحدهما: أنها علامة للجمع ليست ضميراً ألبتة[١٥]، وإنما هي علامة، كهي في لغة[١٦]

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: يواقيت.
(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢.
(٥) في ب: والوارد للعطش.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٣.
(٧) ما بين القوسين في ب: الواردين.
(٨) في ب: الملحدون.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٣.
(١٠) أنها: سقط من ب.
(١١) في ب: بالإخبار.
(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٧.
(١٣) انظر التبيان ٢/ ٨٨٢.
(١٤) أي: الواو في قوله: «يملكون».
(١٥) ألبتة: سقط من ب.
(١٦) في ب: قوله. وهو تحريف.

أكلُوني البراغيثُ[١] والفاعل «من اتَّخَذَ» لأنه[٢] في معنى الجمع قاله[٣] الزمخشري[٤] وفيه بعدٌ، وكأنه قيل: لا يملكُون الشفاعةَ إلاَّ المتَّخِذُون عَهْداً[٥].

قال أبو حيَّان: ولا ينبغي[٦] حملُ القرآن على هذه اللغة القليلة، مع وضوح جعل الواو ضميراً. وقد قال الأستاذ أبو الحسن بن[٧] عصفور[٨]: إنَّها لغةٌ ضعيفة[٩].

قال شهابُ الدين: قد قالوا[١٠] ذلك في قوله: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[١١] ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[١٢] فلهذا الموضع بهما أسوة[١٣]. ثم قال أبو حيان: وأيضاً فالألف، والواو، والنون التي تكون[١٤] علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلا بصريح الجمع، وصريح[١٥] التثنية، «أو العطف»[١٦]، أما أن يأتي بلفظ مفرد ويطلق على جمع أو مثنى[١٧]، فيحتاج في إثبات مثل ذلك إلى نقل[١٨]، وأما عودُ الضمائر مثناة أو مجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب، على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحوط أن لا يقال إلا بسماع[١٩].

---

(١) هي لغة طيىء، أو أزد شنؤة، أو بلحارث، والمقصود بهذه اللغة أن بعض العرب تلحق الفعل علامة تدل على تثنية الفاعل أو جمعه نحو: قاما المحمدان، وقاموا المحمدون، وقمن الهندات، فالألف والواو والنون حروف تدل على تثنية الفاعل وجمعه وليست ضمائر، كما كانت التاء في (قامت هند) حرفاً تدل على التأنيث عند جميع العرب وهذه اللغة يسميها النحويون لغة (أكلوني البراغيث). المغني ٢/ ٣٦٥، الهمع ١/ ١٦٠.

(٢) في ب: لأن.

(٣) في ب: قال.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٥) في ب: لا يملك الشفاعة إلاَّ من أي إلاَّ المتَّخذ عهداً.

(٦) ولا ينبغي: سقط من ب.

(٧) بن: سقط من ب.

(٨) تقدم.

(٩) قال ابن عصفور: (وبعض العرب يلحق الفعل علامةً تدل على تثنية الفاعل وجمعه، وهي لغة ضعيفة) شرح جمل الزجاجي ١/ ١٦٧. وانظر البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(١٠) في ب: قال.

(١١) [المائدة: ٧١].

(١٢) [الأنبياء: ٣].

(١٣) الدر المصون: ٥/ ١٦.

(١٤) في ب: فالألف واللام والواو تكونون. وهو تحريف.

(١٥) في ب: أو بصريح. وهو تحريف.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) في ب: أو لمثنى. وهو تحريف.

(١٨) قال ابن هشام رداً على منع أبي حيان أن يقال على هذه اللغة: جاءوني من جاءك لأنها لم تسمع إلا مع ما لفظه جمع: (وأقول: إذا كان سبب دخولها بيان أن الفاعل الآتي جمع كان لحاقها هنا أولى، لأن الجمعية خفية) المغني ٢/ ٣٧٦.

(١٩) البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

والثاني: أن الواو ضميرٌ، وفيما يعود عليه حينئذ أربعة أوجه:

أحدها[١]: أنها تعود على الخلق جميعهم، لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين عليهم، إذ هما قسماه[٢].

والثاني: أنه[٣] يعود على المتقين والمجرمين[٤]، وهذا لا يظهر مخالفته للأول أصلاً. لأن هذين القسمين هما[٥] الخلقُ كلُّه.

والثالث: أنَّه يعود على المتقين فقط، أو المجرمين فقط، وهو تحكُّم.

قوله: «إلاَّ من اتَّخَذَ» هذا الاستثناء يترتب على عود الواو[٦] على ماذا[٧]؟ فإن قيل بأنها تعود على الخلق، أو على الفريقين المذكورين «أو على المتقين فقط»[٨].

فالاستثناء حينئذ متصل، وفي محل المستثنى الوجهان المشهوران إما الرفع على البدل، وإما النصب على أصل[٩] الاستثناء[١٠]. وإن[١١] قيل: إنه يعود على المجرمين فقط كان استثناء منقطعاً، وفيه حينئذ[١٢] اللغتان المشهورتان: لغةُ الحجاز التزام النصب، ولغةُ تميم جوازه مع جواز البدل «كالمتصل[١٣]». وجعل[١٤] الزمخشري هذا الاستثناء

---

(١) في ب: الأول.
(٢) انظر البحر المحيط ٦/٢١٧.
(٣) في ب: أنها.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/٢١٧.
(٥) في ب: هو. وهو تحريف.
(٦) في ب: هذا الاستثناء يعود على الواو.
(٧) يريد على أي شيء يكون مرجع الضمير، وهذا أحد أوجه استعمال (ماذا)، وتكون كلها مركبة وهي اسم جنس بمعنى شيء، أو اسم موصول بمعنى (الذي) على الخلاف في تخريج قول الشاعر:

دعي ماذا علمت سأتقيه ... ولكن بالمغيَّب نبِّئيني

فالجمهور على أنَّ (ماذا) كله مفعول (دعي) ثم اختلف، فقال السيرافي وابن خروف (ما) موصول بمعنى (الذي)، وقال الفارسي نكرة بمعنى شيء قال: لأن التركيب ثبت في الأجناس دون الموصولات، انظر المغني ١/٣٠١.
(٨) أصل: سقط من ب.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) وذلك أن المستثنى في الاستثناء المتصل إذا كان الكلام تاماً غير موجب جاز فيه إتباعه للمستثنى منه في إعرابه على أنه بدل بعض من كل عند البصريين، وعطف نسق عند الكوفيين لأن (إلاَّ) عندهم من حروف العطف في باب الاستثناء، وهي عندهم بمنزلة (لا) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها، والنصب على أصل الاستثناء. التبيان ٢/٢٨٨، البحر المحيط ٦/٢١٧، شرح التصريح ١/٣٤٩، ٣٥٠.
(١١) في ب: وأن.
(١٢) حينئذ: سقط من ب.
(١٣) وذلك أن المستثنى في الاستثناء المنقطع إن أمكن تسليط العامل عليه فالحجازيون يوجبون النصب، لأنه لا يصح فيه الإبدال حقيقة من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، والتميميون يرجحون النصب، ويجوزون الإتباع.
التبيان ٢/٢٨٨، البحر المحيط ٦/٢١٧، شرح التصريح ١/٣٥٢ ـ ٣٥٣.
(١٤) في ب: جعل.

من الشفاعة على وجهي البدل وأصل[١] الاستثناء نحو: ما رأيت أحداً إلا زَيْداً[٢].

وقال بعضهم: إن المستثنى منه[٣] محذوف، والتقدير: لا يملكون الشفاعة لأحدٍ إلاَّ من اتَّخذ عند الرحمن عهداً، فحذف المستثنى «منه للعلم»[٤] به، فهو كقول الآخر:

٣٦٢٧ ـ نَجَا سَالِمٌ والنَّفْسُ مِنْهُ بِشدقهِ   ولَـمْ يَـنْـجُ إلاَّ جَـفْـنَ سَـيْـفٍ ومِـئْـزَرا[٥]

أي: ولَمْ يَنْجُ بشَيْءٍ.

وجعل[٦] ابنُ عطية الاستثناء متصلاً، وإن عاد الضمير في «لا يَمْلِكُونَ» على المجرمين فقط[٧] على أن يراد بالمجرمين الكفرة والعصاة من المسلمين[٨]. قال أبو حيان: وحمل المجرمين على الكفار والعصاة بعيد[٩]. قال شهاب الدين: ولا[١٠] بعد فيه، وكما استبعد إطلاق المجرمين على العصاة كذلك يستبعد غيره إطلاق المتقين على العصاة، بل إطلاق المجرم على العاصي أشهر من إطلاق المتقي عليه[١١].

فصل[١٢]

قال بعضهم: لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون[١٣].

وقال آخرون: لا يملك غيرهم أن يشفع لهم. وهذا أولى، لأن الأول يجري مجرى إيضاح الواضح[١٤]. وإذا ثبت ذلك دلت الآية على حصول الشفاعة لأهل الكبائر. لأنه قال عقيبه «إلاَّ من اتَّخذَ عندَ الرَّحمنِ عَهْداً»، والتقدير: لا يشفع الشافعون إلا لمن اتَّخذَ عند الرَّحمن عهداً، يعني للمؤمنين»[١٥]، كقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[١٦] فكل من اتخذ عند الرحمن عهداً وجب دخوله فيه، وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً، وهو التوحيد، فوجب دخوله تحته، ويؤكده ما روى ابن مسعود أنه ـ عليه السلام ـ[١٧] قال لأصحابه يوماً:[١٨] «أيَعْجَزُ أحدكُمْ أن يتَّخذ عندَ كُلِّ صباح ومساء «عند الرَّحمن عهداً» قالوا: وكيف ذلك؟. قال: «يقُولُ عِنْدَ كُلِّ صباحٍ ومسَاء»[١٩]: اللَّهُمَّ فاطرَ

---

(١) في ب: ووجه.

(٢) والاستثناء على هذا التقدير متصل. انظر الكشاف ٢/ ٤٢٤.

(٣) في ب: الاستثناء.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) تقدم.

(٦) في ب: وقال.

(٧) فقط: سقط من ب.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ٩/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢١٨.

(١٠) في ب: لا.

(١١) الدر المصون ٥/ ١٧.

(١٢) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٤.

(١٣) في ب: الموصوف. وهو تحريف.

(١٤) في ب: الواصل. وهو تحريف.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) [الأنبياء: ٢٨].

(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٨) في ب: ذات يوم.

(١٩) ما بين القوسين سقط من ب.

السَّمواتِ والأرضِ عالم الغَيْبِ والشَّهادة إنِّي أعْهَدُ إليكَ بأنِّي[١] أشْهَدُ أنَّ لا إله إلاَّ أنْتَ وحْدَكَ لا شريكَ لَكَ[٢] وأنَّ مُحَمَّداً عبدُكَ ورسُولُكَ، فإنَّكَ[٣] إنْ تكلني إلى نفسِي تُقرِّبْنِي من الشَّر، وتُباعدني من الخَيْر، وإنِّي لا أثِقُ إلاَّ برحْمتك، فاجْعَلْ لي عهداً تُوفنيه يَوْمَ القيامة إنَّك لا تُخْلِفُ الميعَاد. فإذا قال ذلِكَ طُبِعَ عليه بطابعٍ وَوُضع[٤] تحت العرش، فإذا كان يومُ القيامةِ نادَى مُنَادٍ: أيْنَ الذين لهُم عِنْدَ الرَّحمن عَهد؟ فيَدْخُلونَ الجنَّة»[٥]. فظهر أن المراد من العهد كلمة[٦] الشهادة، وظهر[٧] وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ تقدم خلافُ القراء في قوله «ولداً» بفتح اللام وسكونها، وأنهما لغتان[٨] مثل العَرَب والعُرْب والعَجَم والعُجْم[٩].

واعلم أنه لمَّا ردَّ على عبدة الأوثان عاد إلى الردِّ على من أثبت له ولداً[١٠].

فقالت اليهود: عزيزٌ ابنُ الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابن الله[١١]، وقالت العرب: الملائكةُ بناتُ الله. وههنا الرد على الذين قالوا: الملائكة بنات الله، وهم العرب الذين يعبدون الأوثان، لأن الرد على النصارى تقدم أول السورة[١٢].

قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾. العامة على كسر الهمزة من «إدًّا»[١٣]، وهو الأمر العظيم المنكر المتعجب منه. قاله ابن عباس[١٤]. «وقال مجاهد: عظيماً[١٥]»[١٦] وقرأ أمير المؤمنين[١٧] والسلمي[١٨] بفتحها[١٩]. وخرَّجُوه على حذف مضاف، أي شيئاً ذا أَدّ[٢٠] «لأنَّ

---

(١) في ب: أني.
(٢) لك: سقط من الأصل.
(٣) في ب: فإني.
(٤) ووضع: سقط من الأصل.
(٥) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٩).
(٦) في الأصل: كلمتي.
(٧) في ب: وظهور وظهور.
(٨) عند قوله تعالى: **﴿أفرأيت الَّذي كفر بآياتنا وقال لأوتينَّ مالاً وولدي﴾** [٧٧ من السورة نفسها].
(٩) في ب: والعجز والعجز. وهو تحريف.
(١٠) في ب: ولد.
(١١) قال الله تعالى: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الَّذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾** [التوبة: ٣٠].
(١٢) وتقدم الرَّد على كل من اليهود والنصارى في قوله تعالى: **﴿وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾** [التوبة: ٣٠].
(١٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٧٣، البحر المحيط ٦/٢١٨.
(١٤) انظر القرطبي ١١/١٥٦.
(١٥) المرجع السابق.
(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٧) هو عليُّ بن أبي طالب.
(١٨) تقدم.
(١٩) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٣، المختصر (٨٦)، المحتسب ٢/٤٥، البحر المحيط ٦/٢١٨.
(٢٠) أي: أنه وصف بالمصدر على حذف مضاف مثل رجل عدلٍ، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن تجعله نفس المصدر مبالغة، وذلك أنه يكثر الوصف بالمصدر قصداً للمبالغة أو توسعاً بحذف مضاف، ويلزم=

الأَدّ ـ بالفتح ـ مصدر، يقال: أدَّ الأمر وأدَّني يؤدُّنِي أدًّا. أي: أثقلني.

وكان أبو حيان ذكر: أنَّ الأدَّ والإدّ ـ بفتح الهمزة وكسرها ـ هو العجب، وقيل: »[١]. هو العظيم[٢] المنكر، والإدَّة: الشدَّة[٣]. وعلى قوله: إنَّ الأدّ والإدّ بمعنى واحد ينبغي أن لا يحتاج إلى حذف مضاف «إلا أن يريد أنَّه أراد بكونهما بمعنى العجب في المعنى لا في المصدرية وعدمها، والإدَد في كلام العرب الدواهي[٤].

قوله: «تَكَادُ». قرأ نافع والكسائي بالياء من تحت. والباقون بالتاء من فوق[٥] وهما واضحتان، إذ التأنيث مجازي[٦]. وكذا[٧] في سورة الشورى[٨].

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر[٩] عن عاصم، وحمزة «يَنْفَطِرن» مضارع انفطرَ، لقوله[١٠] تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[١١]. والباقون: «يتَفطّرْن» «مضارع تفطَّر»[١٢] بالتشديد في هذه السورة[١٣]، وأما التي في الشورى فقرأها حمزة وابن عامر بالياء والتاء[١٤] وتشديد الطاء. والباقون على أصولهم في هذه السورة[١٥]. فتلخص من ذلك أن أبا بكر وأبا عمرو[١٦] يقرآن بالياء والنون في السورتين. وأن نافعاً وابن كثير والكسائي وحفصاً[١٧] عن عاصم يقرءون بالياء والتاء وتشديد الطاء فيهما، وأن حمزة وابن عامر في هذه السورة بالياء والنون، وفي الشورى بالياء والتاء وتشديد الطاء»[١٨] فالانفطار[١٩] من فطرهُ إذا شقه، «والتفطُّر من فطَّره إذا شقَّقهُ»[٢٠]، وكرر فيه الفعل[٢١].

= المصدر حينئذ الإفراد والتذكير. المحتسب ٢/ ٤٦، التبيان ٢/ ٢٨٨، الأشموني ٣/ ٦٤.

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) في ب: وهو الأمر العظيم.
(٣) البحر المحيط ٦/ ١٩٧.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) السبعة (٤١٢ ـ ٤١٣)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩)، الكشف ٢/ ٩٣، النشر ٢/ ٣١٩.
(٦) أي أن الفاعل إذا كان مؤنثاً مجازياً جاز تأنيث الفعل وتذكيره، والكوفيون أجازوا في الفعل مع كل من جمعي التصحيح التذكير والتأنيث. شرح التصريح ١/ ٢٨٠.
(٧) في ب: وكذلك.
(٨) من قوله تعالى: ﴿تكاد السَّموات يتفطَّرن من فوقهنَّ﴾ [الشورى: ٥].
(٩) في ب: وأبو بكر وابن عامر.
(١٠) في ب: كقوله.
(١١) [الانفطار: ١].
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) السبعة (٤١٢ ـ ٤١٣)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩)، الكشف ٢/ ٩٣، النشر ٢/ ٣١٩.
(١٤) في الأصل: والطاء. وهو تحريف.
(١٥) السبعة (٤١٢ ـ ٤١٣، ٥٨٠)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩، ٣١٨)، الكشف ٢/ ٩٣، ٢٥٠، النشر ٢/ ٣١٩.
(١٦) في ب: أبا عمرو وأبا بكر.
(١٧) تقدم.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٩) في ب: والانفطار.
(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢١) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٤.

قال أبو البقاء: وهو هنا أشبه بالمعنى[١]، أي[٢]: التشديد.

و «يَتَفَطَّرْنَ»[٣] في محل نصب «خبراً لـ «كَانَ»»[٤] وزعم الأخفش أنها هنا بمعنى الإرادة[٥]، وأنشد:

٣٦٢٨ ـ كَادَتْ وكِدْتُ وتِلْكَ خَيْرُ إرَادةٍ لَوْ عَادَ مِنْ زمنِ الصَّبابةِ مَا مَضَى[٦]

فصل[٧]

يقال[٨]: انفطر الشيء وتفطَّر أي تشقَّق[٩]. وقرأ ابن مسعود «يتَصدَّعْنَ»[١٠].

و «تَنْشَقُّ[١١] الأرْضُ» أي تخسفُ بهم، والانفطار في السماء، أي: تسقط عليهم.

«وتخُرُّ الجِبَالُ هدّاً» أي: تُهَدَّ هَداً، بمعنى: تنطبق عليهم. فإن قيل من أين يؤثر القول بإثبات الولد للَّه في انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور[١٢] الجبال؟ فالجوابُ من وجوه:

«**الأول**: أنَّ الله ـ تعالى ـ يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود»[١٣] هذه[١٤] الكلمة غضباً منِّي على من تفوَّه بها، لولا حلمي، وإني لا أعجِّل بالعقوبة، كقوله ـ تعالى[١٥] ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١٦].

الثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وهدمها لأركان الدين وقواعده.

الثالث: أنَّ السمواتِ والأرضِ والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل[١٧] من

---

(١) التبيان ٢/ ٨٨٣.
(٢) في ب: أن.
(٣) في ب: وينفطر. وهو تحريف.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) قال الأخفش: (وزعموا أن تفسير «أكاد» أريد وأنها لغة، لأن أريد قد تجعل مكان «أكاد» مثل «جداراً يريد أن ينقض» أي يكاد أن ينقض، فكذلك أكاد إنما هي أريد). معاني القرآن ٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.
(٦) البيت من بحر الكامل، لم أهتد إلى قائله، وهو في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٩٦، المحتسب ٢/ ٣١، ٤٨، اللسان (كود، كيد). واستشهد به على أن (كاد) تكون بمعنى طلب وأراد.
(٧) فصل: سقط من ب.
(٨) في ب: فقال.
(٩) وقال ابن خالويه: (وهما لغتان فصيحتان، معناهما التشقق). الحجة (٢٣٩).
(١٠) المختصر (٨٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٤، البحر المحيط ٦/ ٢١٨، قال أبو حيان (وقرأ ابن مسعود «يتصدَّعن» وينبغي أن يجعل تفسيراً لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه، ولرواية الثقات عنه كقراءة الجمهور).
(١١) في ب: ونشق. وهو تحريف.
(١٢) في ب: وخروا. وهو تحريف.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) في ب: وهذه. وهو تحريف.
(١٥) تعالى: سقط من ب.
(١٦) [فاطر: ٤١].
(١٧) في ب: تفعل. وهو تحريف.

غلط هذا القول، وهذا تأويل أبي[١] مسلم[٢].

الرابع: أنَّ السموات والأرض والجبال كانت سليمة من كل العيوب، فلما تكلم بنو آدم[٣] بهذا القول ظهرت العيوب[٤] فيها[٥].

قوله: «هدًّا» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّه مصدر وفي مضع الحال[٦]، أي: مهدودة[٧]، وذلك على أن يكون هذا المصدر من هدَّ زيدٌ الحائط يهدُّه هدًّا، أي: «هدمهُ[٨]»[٩].

والثاني: وهو قول أبي جعفر[١٠]: أنه مصدر على غير المصدر[١١] لما كان في معناه[١٢]، لأن الخرور: السقوطُ والهدمُ، وهذا على أن يكون من هدَّ الحائطُ يَهِدُّ ـ بالكسر ـ انهدم، فيكون لازماً.

الثالث: أن يكون مفعولاً من أجله، قال الزمخشري: أي: لأنها تهد[١٣].

قوله: «أنْ دَعَوْا»[١٤] في محله[١٥] خمسة أوجه:

أحدها[١٦]: أنه في محل نصب على المفعول من أجله، قاله أبو البقاء[١٧]،

---

(١) في ب: أبو. وهو تحريف.
(٢) تقدم.
(٣) في الأصل: بنوا. وهو تحريف.
(٤) في ب: الغيوب. وهو تصحيف.
(٥) الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٥.
(٦) الحال: سقط من ب.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٢٤، التبيان ٢/ ٨٨٣، البحر المحيط ٦/ ٢١٩. يكثر وقوع المصدر حالاً، وهو عند سيبويه والجمهور على التأويل بالوصف مثل طلع زيد بغتةً وقتلت زيداً صبراً، أي: باغتاً ومصبوراً. وذهب الأخفش والمبرد إلى أن المصدر في نحو ذلك منصوب على المصدرية، والعامل فيه محذوف، والتقدير: طلع زيد يبغت بغتة، وقتلت زيداً يصبر صبراً، فالحال عندهما الجملة لا المصدر.
وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على المصدرية، والعامل فيه الفعل المذكور، لتأوله بفعل من لفظ المصدر فطلع زيد بغتة عندهم في تأويل بغت زيداً بغتة، وقتلت زيداً صبراً، في تأويل صبرته صبراً.
وقيل: هي مصادر على حذف مصادر نابت المذكورات عنها في المفعولية المطلقة، والتقدير: طلع زيد طلوع بغتة، وقتلته قتل صبر. وقيل: هي مصادر على حذف مضاف غير مصدر، وذلك المضاف هو الحال، فلما حذف المضاف ناب عنه المضاف إله في الحالية، والتقدير طلع زيد ذا بغتة، وقتلته ذا صبر. الهمع ١/ ٢٣٨، شرح الأشموني ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٨) فهو فعل متعد. البحر المحيط ٦/ ٢١٩.
(٩) ما بين القوسين في ب: هده. وهو تحريف.
(١٠) قال النحاس: («وتخرُّ الجبال هدًّا» مصدر، لأن معنى تخر تهد) إعراب القرآن ٣/ ٢٩.
(١١) في الأصل: الصدر.
(١٢) يريد مجيء المصدر من غير لفظ الفعل. ولكن مما يرادفه في المعنى كقولهم: قمت وقوفاً، وفرحت جزلاً، وشنأته بغضاً وأحببته مقتاً. انظر الأشموني ٢/ ١١٣، ١١٥.
(١٣) الكشاف ٢/ ٤٢٤.
(١٤) في ب: «أن دعوا للرَّحمن».
(١٥) في ب: في محل نصب من. وهو تحريف.
(١٦) في ب: الأول.
(١٧) التبيان ٢/ ٨٨٣، وانظر أيضاً مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٣، البيان ٢/ ١٧٣.

والحوفي[١]، ولم يُبيِّنَا ما العامل فيه، ويجوز أن يكون العامل «تَكَادُ»، أو «تَخِرُّ»، أو «هَدًّا»، أي: تَهُدُّ لأن دعوا، ولكن شرطُ النصب هنا[٢] مفقود، وهو اتحاد[٣] «الفاعل في المفعول له والعامل فيه[٤]، فإن عنيا على أنه على إسقاط اللام مطرد في «أنْ» فقريب»[٥]. وقال الزمخشري: وأن يكون منصوباً بتقدير سقوط اللام[٦] «وإفضاء الفعل، أي هدًّا لأن دعوا»[٧]، علل الخرور بالهدِّ، والهدُّ[٨] بدعاء الولد للرحمن[٩].

فهذا تصريح منه على أنه بإسقاط[١٠] الخافض. «وليس مفعولاً له صريحاً[١١].

الوجه الثاني: أن يكون مجروراً بعد إسقاط الخافض»[١٢] كما هو مذهب الخليل[١٣] والكسائي[١٤].

والثالث: أنه بدل من الضمير في «مِنْهُ»[١٥] كقوله:

٣٦٢٩ ـ عَلَى حَالةٍ لوْ أنَّ في القَوْمِ حَاتِماً ... عَلى جُودِهِ لضَن[١٦] بالمَاءِ حاتِمِ[١٧]

---

(١) تقدم.
(٢) هنا: سقط من ب.
(٣) في ب: وهو اتحاد الثاني.
(٤) هذا الشرط ـ وهو اتحاد المفعول له بالمعلل به فاعلاً، بأن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحداً ـ اشترطه المتأخرون، وخالفهم ابن خروف فأجاز النصب مع اختلاف الفاعل محتجاً بنحو قوله تعالى: **﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾** [الرعد: ١٢]، ففاعل الإراءة هو الله، وفاعل الخوف والطمع المخاطبون.
وأجاب عنه ابن مالك في شرح التسهيل فقال: معنى «يريكم» يجعلكم ترون، ففاعل الرؤية على هذا هو فاعل الخوف والطمع، فمعنى ذلك أن الاتحاد في الفاعل قد يكون تقديرياً. وأيضاً فقد اشترط الأعلم والمتأخرون: اتحاد المفعول له بالعامل وقتاً، بأن يكون زمن الفعل المعلّل ـ بفتح اللام الأولى ـ والمصدر المعلّل ـ بكسرها ـ واحداً نحو جئتك رغبة فيك ولم يشترط ذلك سيبويه ولا أحد من المتقدمين، فيجوز عندهم النصب مع اختلاف الوقت نحو أكرمتك أمس طمعاً غداً في معروفك، واختلاف الفاعل نحو جئتك محبتك إياي. شرح التصريح ١/ ٣٣٥، الهمع ١/ ١٩٤.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: وجود اللام وإبقاء الفعل. وهو تحريف.
(٧) ما بين القوسين تكملة من الكشاف.
(٨) في ب: علل الوجود بالخرور وبالهد والهدود. وهو تحريف.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٢٥.
(١٠) في ب: على إسقاط.
(١١) وأبو حيان ضعّف ما قاله الزمخشري هنا بقوله: (وهذا فيه بعد، لأن الظاهر أن (هدًّا) لا يكون مفعولاً بل مصدراً من معنى «وتخر» أو في موضع الحال) البحر المحيط ٦/ ٢١٩.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) انظر الكتاب ٣/ ١٢٦، ١٢٧.
(١٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٣.
(١٥) الكشاف ٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥.
(١٦) في ب: لنص. وهو تحريف.
(١٧) البيت من بحر الطويل، قاله الفرزدق، وهو في ديوانه (٢/ ٣٩٧) برواية:

على ساعة لو كان في القوم حاتم ... على جوده ضنّت به نفس حاتم

«بجر «حاتم»[١] الأخير بدلاً من الهاء في «جوده».

قال أبو حيان: وهو بعيد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين[٢].

الوجه[٣] **الرابع**: أن يكون مرفوعاً بـ «هَدًّا». قال الزمخشري: أي هدَّهَا دعاءُ الولدِ للرحمن[٤]. قال أبو حيان: وفيه بعدٌ، لأن الظاهر في «هَدًّا» أن يكون مصدراً توكيدياً، والمصدر التوكيدي لا يعمل[٥]، ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس إلا إذا كان أمراً، أو مستفهماً عنه نحو ضرباً زيداً، وأضربا[٦] زيداً؟ على خلاف فيه[٧]، وأما إن كان خبراً كما قدَّره الزمخشري، أي: هدَّها دعاء الولد للرحمن[٨]. فلا ينقاس[٩]، بل ما جاء من ذلك هو نادر كقول امرىء القيس:[١٠]

٣٦٣٠ ـ وقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ   يـقُـولُـونَ لا تَـهْـلَـكْ أَسًـى وتـجـمَّـلِ[١١]

أي: وقَفَ صَحْبِي[١٢].

الخامس: أنَّه خبر مبتدأ محذوفٍ، تقديره: الموجب لذلك دعاؤهم. كذا قدره أبو البقاء[١٣]. و «دَعَا» يجوز أن يكون بمعنى سمَّى، فيتعدى لاثنين، ويجوز جر ثانيهما بالباء[١٤]، قال الشاعر:

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿**وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا**﴾ البحر المحيط ٦/ ٢١٩.

(٣) الوجه: سقط من ب.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٢٥.

(٥) لأن من شروط عمل المصدر عمل الفعل أن يحل محله (أن والفعل، أو ما والفعل)، والمصدر المؤكد ليس كذلك، شرح الكافية ٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥، شرح التصريح ٢/ ٦٢.

(٦) في الأصل: أضربن. وهو تحريف.

(٧) أي أن المصدر النائب عن فعله اختلف فيه هل يعمل أم لا؟ فذهب ابن مالك إلى جواز إعماله، فـ (زيداً) في ضرباً زيد منصوب بالمصدر عنده. وبالفعل المحذوف النائب عنه المصدر عند غير ابن مالك، لأن المصدر هنا إنما يحل محله الفعل وحده دون (أن) و(ما)، فتقدير المثال: اضرب زيداً. شرح التصريح ٢/ ٦٢.

(٨) في ب: دعاء الرحمن للولد.

(٩) في ب: فلا قياس.

(١٠) تقدم.

(١١) البيت من بحر الطويل وهو من معلقة امرىء القيس، وهو في ديوانه (٩) والبحر المحيط ٦/ ٢١٩. المطيّ: الإبل، والواحدة مطيّة، وانتصب بقوله (وقوفاً) وعمل مثل هذا المصدر نادر، وهو الشاهد.

(١٢) البحر المحيط ٦/ ٢١٩.

(١٣) التبيان ٢/ ٨٨٣.

(١٤) (دعا) إذا كانت بمعنى سمّى، فهي من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين أولهما بنفسهما، والثاني بحرف الجر، مثل دعوته بزيدٍ، ويجوز حذف حرف الجر، ووصل الفعل إلى المفعول الثاني بنفسه، فتقول: دعوته زيداً، وهذه الأفعال هي: دعا، أمر، استغفر، اختار، كنى ـ بتخفيف النون ـ سمّى، صدق ـ بتخفيف الدال ـ زوج، كال، وزن. شرح جمل الزجاجي ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦، شذور الذهب ٣٦٩ ـ ٣٧٦.

٣٦٣١ ـ دَعَتْنِي أخَاهَا أمُّ عَمْرٍو ولَمْ أكُنْ أخَاهَا ولَمْ أرْضَعْ لَهَا بِلِبَانِ
دَعَتْنِي أخَاهَا «بَعْدَمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنَ الفِعْلِ ما لا يفعلُ الأخوانِ[1]»[2]

وقول الآخر:

٣٦٣٢ ـ ألا رُبَّ مَنْ يُدْعَى نَصِيحاً وإن تَغِبْ تَجِدْهُ بِغَيْبٍ مِنْكَ غَيْرَ نَصِيحِ[3]

وأولهما في الآية محذوف، قال الزمخشري: طلباً للعموم والإحاطة بكل ما يدعى له ولد، ويجوز أن يكون من «دَعَا» بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله ـ عليه السلام ـ: «مَنِ ادَّعى إلى غَيْرِ مواليهِ»[4]، وقول الشاعر:

٣٦٣٣ ـ إنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لا نَدَّعِي لأبٍ عَنْهُ ولا هُوَ بالأبْنَاءِ يَشْرِينَا[5]

أي: لا ننتَسِبُ إليه[6].

«يَنْبَغي»[7] مضارع انْبَغَى، وانْبَغَى مطاوعُ لبغى، أي: طلب، و «أنْ يتَّخِذَ» فاعله[8]. وقد عد ابن مالك[9] «يَنْبَغِي» في الأفعال التي لا تتصرف[10].

وهو مردودٌ عليه، لأنه قد سُمِع فيه الماضي قالوا: انْبَغَى[11]. وكرَّر لفظ «الرَّحْمَنِ» تنبيهاً على أنه ـ تعالى ـ هو الرحمنُ وحدهُ، لأن أصول النعم وفروعها ليست إلا منه[12].

---

(١) ما بين قوسين سقط من الأصل واستدرك بالهامش.

(٢) البيتان من بحر الطويل، قالهما عبد الرحمن بن الحكم. وقد تقدما.

(٣) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله وهو في مجاز القرآن (٢/١٢). واللسان (دعا) برواية:

ألا ربّ من تدعو نصيحاً وإن تغب تجده بغيب غير منتصح الصّدر

وهو في الطبري ١٦/٩٩، البحر المحيط ٦/٢١٩. والشاهد فيه تعدّي (دعا) بمعنى (سمّى) إلى مفعولين أولهما النائب عن الفاعل، والثاني (نصيحاً).

(٤) أخرجه مسلم (حج) ٢/٩٩٨، (عتق) ٢/١١٤٧، بلفظ: (ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) وأبو داود (أدب) ٥/٣٣٧، ٣٣٩، الدارمي (سير) ٢/٢٤٤ أحمد ١/١٧٤، ٤/١٨٧، ٢٣٨، ٥/٢٦٧.

(٥) البيت من بحر البسيط قاله بشامة بن حزن النهشلي. وقد تقدم.

(٦) الكشاف ٢/٤٢٥.

(٧) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

(٨) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/٦٣.

(٩) تقدم.

(١٠) انظر التسهيل (٢٤٧).

(١١) قال أبو حيان: (وينبغي ليس من الأفعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا: انبغى) البحر المحيط ٦/٢١٩.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢١/٢٥٥.

فصل[١]

قال ابن عباس[٢] وكعب: فَزِعَت السَّموات والأرضُ والجبالُ وجميعُ الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول، وغضبت الملائكةُ، واستعرت جهنم حين قالوا: للَّه ولدٌ، ثم نفى الله ـ تعالى[٣] ـ عن نفسه فقال: «وما يَنْبَغِي للرَّحمنِ أنْ يتَّخذَ ولداً» أي: ما يليق به «اتِّخَاذُ الولد[٤]»[٥]، لأن ذلك محال[٦]؛ أما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها، وأما التبني، فلأن[٧] الولد لا بد وأن يكون شبيهاً بالوالد، ولا شبيه لله ـ تعالى ـ، ولأن اتخاذ الولد إنَّما يكون لأغراض إما لسرور[٨]، أو استعانةٍ، أو ذكرٍ جميلٍ، وكلُّ[٩] ذلك لا يصح في الله ـ تعالى ـ[١٠].

قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. يجوز في «مَنْ» أن تكون نكرة موصوفة، وصفتها[١١] الجار بعدها، ولم يذكر أبو[١٢] البقاء غير ذلك، وكذا[١٣] الزمخشري إلا أن[١٤] ظاهر عبارته[١٥] تقتضي أنه لا يجوز غير ذلك[١٦]، فإنه[١٧] قال: «مَنْ» موصوفة فإنها وقعت بعد «كُل» «نكرة أشبهت وقوعها بعد «رُبَّ» في قوله:

٣٦٣٤ ـ ربَّ مَنْ أنضَجتْ غيظاً صَدْرَهُ[١٨]

انتهى[١٩]»[٢٠].

ويجوز أن تكون موصولة. قال أبو حيان: أي: ما كُل الذي في السموات، و «كلُّ» تدخل على الذي، لأنها تأتي للجنس كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[٢١] ونحوه:

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٠٤.

(٣) تعالى: سقط من ب.

(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٠٤.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٥.

(٧) في ب: فإنّ.

(٨) في ب: إما من. ثم بياض يبدو أنه مكان السرور.

(٩) وكل: سقط من ب.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٥.

(١١) في ب: ووصفها.

(١٢) في ب: أبي. وهو تحريف.

(١٣) انظر التبيان ٢/ ٨٨٣.

(١٤) في ب: وكذلك.

(١٥) في ب: الآن.

(١٦) في ب: عبارتها.

(١٧) في الأصل: فإنها. وهو تحريف.

(١٨) صدر بيت من بحر الرمل، قاله سويد بن أبي كاهل بن حارثة اليشكري، وعجزه:

قـد تـمـنّـى لـي مـوتـاً لـم يـطـع

والشاهد فيه أن (ربَّ) نكرة موصوفة، وصفتها جملة (أنضجت) بدليل دخول (ربَّ) عليها، وهي لا تدخل إلا على النكرات. وقد تقدم.

(١٩) الكشاف ٢/ ٤٢٥.

(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢١) من قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصِّدق وصدَّق به أولئك هم المتَّقون﴾ [الزمر: ٣٣]. والاستشهاد بالآية على أن (الذي) يراد به الجنس بدليل وقوع خبره جمعاً وهو «أولئك». انظر البيان ٢/ ٣٢٣.

٣٦٣٥ ـ «وكُلُّ الذي»[١] حَمَّلْتَنِي أتحَمَّلُ[٢][٣]

يعني[٤] أنه لا بد «من تأويل»[٥] الموصول[٦] بالعموم حتى تصح إضافة «كُل» إليه، ومتى أريد به معهود بعينه لشخص[٧] استحال[٨] إضافة «كُلّ» إليه[٩].

و «آتِ الرَّحْمَنِ»[١٠] خبر «كل» جعل مفرداً حملاً على لفظها[١١]، ولو جمع لجاز[١٢]، وقد تقدم أول الكتاب: أنها متى أضيفت لمعرفة جاز الوجهان[١٣]. وقد تكلم السهيلي[١٤] في ذلك فقال: «كُلُّ» إذا ابتدئت وكانت مضافة لفظاً يعني[١٥] لمعرفة[١٦] فلا يحسن إلا إفراد الخبر حملاً على المعنى، تقول: كُلكم ذاهب، أي: كل واحد «منكم ذاهب، هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث والكلام الفصيح. فإن قلت في قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ[١٧] ءَاتِيهِ﴾[١٨]: إنما هو حمل على اللفظ، لأنه اسم مفرد. قلنا: بل هو اسم للجمع، واسم الجمع لا يخبر عنه بإفراد، تقول: القوم ذاهِبُون، ولا تقول[١٩]: ذاهب، وإن كان لفظ «القَوْم» لفظ المفرد، وإنما حسن «كُلكُم ذاهِبٌ» لأنهم يقولون: كل واحد منكم ذاهب[٢٠]، فكان الإفراد مراعاة لهذا المعنى[٢١].

قال أبو حيان: ويحتاج «كُلكُمْ[٢٢] ذاهِبُون» ونحوه إلى سماع ونقل عن العرب[٢٣].

قال شهاب الدين: وتسمية الإفراد حملاً على المعنى غير الاصطلاح[٢٤] بل ذلك

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) شطر بيت من الطويل، ويبدو أنه العجز ولم أجده في غير البحر المحيط ٦/ ٢١٩.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٩.

(٤) في ب: أي.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في ب: للموصول.

(٧) في الأصل: تشخص.

(٨) في النسختين: واستحال.

(٩) في ب: كل إضافة ذلك إليه.

(١٠) في ب: قوله: «الرّحمن».

(١١) انظر البيان ٢/ ١٣٧، التبيان ٢/ ٨٨٣.

(١٢) حملاً على المعنى، فتقول: كلُّ القوم ضربته، بالإفراد حملاً على اللفظ، وكل القوم ضربتهم، بالجمع حملاً على المعنى. انظر البيان ٢/ ١٣٧.

(١٣) أي أن (كل) إذا أضيفت إلى معرفة يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، نحو كلكم ذاهب حملاً على اللفظ، وكلكم ذاهبون حملاً على المعنى.
البحر المحيط ٦/ ٢٢٠، المغني ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(١٤) تقدم.

(١٥) في ب: المعنى.

(١٦) في ب: كمعرفة.

(١٧) «وكلّهم»: سقط من ب.

(١٨) من قوله تعالى: **﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾** [مريم: ٩٥].

(١٩) في ب: يقال.

(٢٠) ذاهب: سقط من ب.

(٢١) نتائج الفكر (٢٧٩ ـ ٢٨٠) وانظر أيضاً البحر المحيط ٦/ ٢٢٠.

(٢٢) كلكم: سقط من ب.

(٢٣) البحر المحيط ٦/ ٢٢٠.

(٢٤) في ب: الإيضاح. وهو تحريف.

حمل على اللفظ والجمع هو الحمل على المعنى[١].

وقال أبو البقاء: ووحد «آتِي» حملاً على لفظ «كُل»، وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها[٢].

قال شهاب الدين: قوله: في موضع آخر. إن عنى في القرآن فلم[٣] يأت الجمع إلا و «كُل» مقطوعة عن الإضافة نحو ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤] ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[٥]، وإن عنى في[٦] غيره فيحتاج[٧] إلى سماع عن العرب كما تقدم[٨].

والجمهور على إضافة «آتي» إلى[٩] «الرَّحْمَن»[١٠].

وقرأ عبد الله بن الزبير وأبو حيوة وطلحة وجماعة بتنوينه ونصب «الرَّحْمَن»[١١] وانتصب «عَبْداً»، و «فَرْداً» على الحال[١٢].

فصل[١٣]

المعنى: أن كل معبود[١٤] من الملائكة في السموات وفي الأرض من الناس إلا يأتي[١٥] الرحمن يلتجىء إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً ذليلاً خاضعاً كما يفعل[١٦] العبيد. ومنهم من حمله على[١٧] يوم القيامة خاصة.

والأول أولى، لأنه لا تخصيص فيه.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي: عدَّ أنفاسهم وأيامهم وآثارهم[١٨]، فكلهم[١٩] تحت تدبيره وقهره محيط بهم لا يخفى عليه شيء من أمورهم، ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ أي: كل واحد منهم يأتيه[٢٠] ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ وحيداً ليس معه من الدنيا شيء «ويبرأ المشركون منهم»[٢١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى آخر السورة[٢٢].

---

(١) الدر المصون: ٥/ ١٨.
(٢) التبيان ٢/ ٨٨٣.
(٣) في ب: فلا.
(٤) [الأنبياء: ٣٣].
(٥) [النمل: ٨٧].
(٦) في ب: على. وهو تحريف.
(٧) في ب: فكل يحتاج.
(٨) الدر المصون: ٥/ ١٨.
(٩) في ب: على. وهو تحريف.
(١٠) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٤٢، البحر المحيط ٦/ ٢٢٠.
(١١) المختصر (٨٦)، البحر المحيط ٦/ ٢٢٠.
(١٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٤، البيان ٢/ ١٣٧، البحر المحيط ٦/ ٢٢٠.
(١٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦. بتصرف.
(١٤) في ب: أن كلا.
(١٥) في ب: آتي.
(١٦) في ب: يأتي.
(١٧) في ب: إلى. وهو تحريف.
(١٨) في ب: آثارهم وأيامهم.
(١٩) في ب: فكل. وهو تحريف.
(٢٠) في ب: آتيه.
(٢١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٢) إلى آخر السورة: سقط من ب، وكتبت الآية كاملة.

لمَّا ردَّ على الكفرة، وشرح أقوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين. قوله: «وُدًّا» العامة على ضم الواو[١]. وقرأ أبو الحارث الحنفي[٢] بفتحها[٣]، وجناح بن حبيش[٤] بكسرها[٥]. فيحتمل[٦] أن يكون المفتوح مصدراً، والمكسور والمضموم[٧] اسمين.

قال المفسرون: سَيَجْعَلُ[٨] لهُم الرَّحمنُ محبةً، قال مجاهد: يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين[٩]. قال رسول الله ﷺ: «إذَا أحبَّ اللَّهُ العبد قال لجبريل ـ عليه السلام[١٠] ـ: «قَدْ[١١] أحببتُ فلاناً فأحِبَّه، فيُحبُّهُ جبريلُ، ثم ينادي في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ الله ـ تعالى ـ قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبه أهلُ السَّماء، ثُمَّ يوضعُ لهُ القبُولُ في الأرضِ[١٢]، وإذا أبغضَ العبد» قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك[١٣]. والسِّين في «سَيَجْعلُ» إما لأن السورة مكية، وكان المؤمنون[١٤] حينئذ ممقوتين بين[١٥] الكفرة، فوعدهم الله ذلك إذا جاء الإسلام.

والمعنى: سَيُحْدِثُ لهم في القلوب مودة. وإمَّا أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يظهر من حسناتهم[١٦]. روي[١٧] عن كعب[١٨] قال: مكتوب في التوراة لا

---

(١) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٥٤، والبحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٢) هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي عرض على الكسائي، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، واليزيدي، وروى عنه عرضاً وسماعاً سلمة بن عاصم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وغيرهما، مات سنة ٢٤٠هـ. طبقات القراء ٢/ ٣٤.

(٣) تفسير ابن عطية ٩/ ٥٤٥، البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) المختصر (٨٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٥، البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٦) في ب: فيحمل.

(٧) في ب: والمكسور والمضموم.

(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٩) المؤمنين: سقط من ب.

(١٠) عليه السلام: سقط من ب.

(١١) في ب: إني.

(١٢) أخرجه البخاري (بدء الخلق) ٢/ ٢١٢ (توحيد) ٤/ ٢٩٥، ومالك في الموطأ (شعر) ٢/ ٩٥٣، أحمد ٢/ ٢٦٧، ٥٠٩.

(١٣) الموطأ (شعر) ٢/ ٩٥٣، آخر ما نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(١٤) في الأصل: المؤمنين.

(١٥) في ب: مقيمين يلي. وهو تحريف.

(١٦) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٥ بتصرف، والفخر الرازي ٢١/ ٢٥٦.

(١٧) في ب: وروى.

(١٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، بتصرف.

محبَّة في الأرض حتى يكون ابتداؤها من الله ـ تعالى ـ ينزلها على أهل السماء، ثم على أهل الأرض. وتصديق ذلك[١] في القرآن قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾. وقال أبو مسلم: معناه يهبُ لهم ما يحبون. والوُدُّ والمحبَّةُ سواء، يقال: آتيتُ فلاناً محبته، وجعلت له ودَّه[٢]، ومن كلامهم: يوَدُّ لو كان كذا، «وودِدتُ أن لو كان كذا أي أحببتُ»[٣]، فالمعنى[٤]: سيعطيهم الرحمن ودَّهم، أي: محبوبهم في الجنة.

والقول الأول أولى، لتفسير الرسول ـ عليه السلام[٥] ـ، ولأن حمل المحبة على المحبوب مجاز، «ولأن رسول الله قرأ هذه الآية وفسَّرها بذلك فكانت أولى»[٦].

قال أبو مسلم: القول الثاني أولى لوجوه:

أحدها: كيف يصح القول الأول مع علمنا بأن المسلم التقي[٧] يبغضه الكفار، وقد يبغضه كثير من المسلمين.

وثانيها: أنَّ مثل هذه المحبة قد تحصل للكفار والفساق أكثر، فكيف يمكن جعله إنعاماً في حق المؤمنين؟.

وثالثها: أن محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا أنَّ[٨] الله ـ تعالى ـ فعله، فكان حمل الآية على إعطاء المنافع الأخروية أولى.

وأجيب عن الأول: بأن المراد يجعل له محبة عند الملائكة والأنبياء.

وعن الثاني: ما روي عنه ـ عليه السلام[٩] ـ: أنه حكى عن ربه ـ سبحانه وتعالى[١٠] ـ أنه قال: «وإذا ذكرني عَبْدي[١١] في نفسه ذكرتُهُ (في نَفْسِي، وإنْ ذَكرنِي)[١٢] في ملأ ذكرتهُ في ملأ أطيب منهم وأفضل»[١٣] والكافر[١٤] والفاسق ليسا[١٥] كذلك.

وعن الثالث: أنه محمول على فعل الألطاف، وخلق داعية إكرامه[١٦] في قلوبهم[١٧].

---

(١) في ب: وتصديقه.

(٢) في ب: ود.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في ب: والمعنى.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: المتقي.

(٨) في النسختين: لأن.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) وتعالى: سقط من ب.

(١١) في ب: عبد.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) أخرجه مسلم (الذكر) ٤/٢٠٦٨، الترمذي (دعوات) ٥/٢٣٨، ابن ماجة (أدب) ٢/١٢٥٥، ١٢٥٦، أحمد ٢/١٢٥١، ٤٠٥، ٤٨٠، ٤٨٢.

(١٤) والكافر: سقط من ب.

(١٥) في ب: ليس. وهو تحريف.

(١٦) في ب: الإكرام.

(١٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/٢٥٦ ـ ٢٥٧. بتصرف.

قوله: «بِلسَانِكَ» يجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه حال[١]، واللسان هنا[٢] اللغة[٣]، أي: أنزلناه كائناً بلسانِكَ.

وقيل: هي[٤] بمعنى «على[٥]»[٦]، وهذا لا حاجة إليه، بل لا يظهر له معنى، «و «لُدًّا» جمع «أَلَدّ»، وهو الشديد الخصومة كالحُمْر جمع أحْمَرٍ[٧].

قال أهل اللغة: اللُدُّ جمع الألَدّ، وهو المعوج في المناظرة الرواغ من الحق الميال عنه، وفي الحديث «إنَّ أبغضَ الرِّجال إلى الله الخَصْمُ الألَدُّ»[٨] أي المعوج[٩]»[١٠] قوله: «يَسَّرْنَاهُ» سهلناهُ يعني القرآن «بلسانِكَ»[١١] يا محمد «لِنُبشِّر به المُتَّقين» يعني المؤمنين، وهذا كلام مستأنف[١٢] «بيِّن به عظيم»[١٣] موقع[١٤] هذه السورة لما فيها من ذكر التوحيد والنبوة والحشر، والرد على فرق المبطلين، فبين[١٥] ـ تعالى ـ أنَّه يسَّر ذلك بلسانه، ليبشر وينذر، ولولا أنه ـ تعالى ـ نقل قصصهم إلى اللغة العربية لما تيسَّر ذلك على الرسول. وكما ذكر أنه يبشر به المتقين[١٦] ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى أبلغ[١٧]، وهو الألد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه[١٨] فقال: «ويُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا»، وهو جمع الألد، «وهو الشديد الخصومة. وقال مجاهد: هو الظالم الذي لا يستقيم[١٩]. وقال أبو عبيدة[٢٠] الألد»[٢١] الذي لا يقبل الحقَّ ويدَّعي الباطل[٢٢]. وقال الحسن: الألد الأصم عن الحق[٢٣].

---

(١) التبيان ٢/ ٨٨٣.
(٢) في ب: هو. وهو تحريف.
(٣) تفسير غريب القرآن (٢٧٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٥.
(٤) في ب: هو. والمراد الباء.
(٥) في ب: إلى. وهو تحريف.
(٦) التبيان ٢/ ٨٨٣.
(٧) وذلك أن ما كان على (أفعل) صفة مؤنثه (فعلاء) يطرد جمعه على (فعل) نحو أحمر فإنه يجمع على حمر، لأن مؤنثه حمراء. شرح الأشموني ٤/ ١٢٧.
(٨) أخرجه البخاري (تفسير) ٣/ ١٠٦، (الأحكام) ٤/ ٢٤٢، مسلم (العلم) ٤/ ٢٠٥٤، الترمذي (تفسير) ٤/ ٢٨٢، النسائي (قضاة) ٨/ ٢٤٨، أحمد ٦/ ٥٥، ٦٣، ٢٠٥، الألد: شديد الخصومة. الخصم: الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في دفع حق أو إثبات باطل.
(٩) اللسان (لدد).
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) بلسانك: سقط من ب.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٧. بتصرف.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) في ب: لوقوع.
(١٥) فبين: مكتوب في ذيل الصفحة من (ب) لبيان بداية الصفحة الأخرى، وهو ساقط منها.
(١٦) في ب: المؤمنين والمتقين.
(١٧) أبلغ: سقط من ب.
(١٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١/ ٢٥٧.
(١٩) البغوي ٥/ ٤٠٧.
(٢٠) هو معمر بن المثنى اللغوي البصري، أبو عبيدة، من مصنفاته: المجاز في غريب القرآن، الأمثال في غريب الحديث، معاني القرآن، وغير ذلك. مات سنة ٢١٠هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦.
(٢١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٢) مجاز القرآن ٢/ ١٣.
(٢٣) انظر البغوي ٥/ ٤٠٧.

ثم ختم السورة بموعظةٍ بليغة فقال: «وكَمْ أَهْلكْنَا قبلهُمْ مِنْ قرنٍ»، لأنهم إذا تأملوا وعلموا أنه لا بد من زوال الدنيا، وأنه لا بد فيها من الموت خافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا إلى الحذر من المعاصي أقرب، ثم أكد تعالى ذلك فقال[١]: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[٢]. قرأ الناس[٣] بضم التاء وكسر الحاء من أحسَّ[٤].

وقرأ أبو حيوة، وأبو جعفر[٥]، وابن أبي عبلة[٦] «تَحُسُّ» «بفتح التاء وضم الحاء[٧]»[٨] وقرأ بعضهم: «تَحِس» بالفتح والكسر، من حسَّه: أي شعر به، ومنه الحواس الخمس[٩]. و «مِنْهُم»[١٠] حال من «أحَد»، إذ هو في الأصل صفة له. و «مِنْ أحَد» مفعول زيدت فيه «مِنْ. وقرأ حنظلة[١١] «تُسْمَعُ» بضم التاء وفتح الميم مبنياً للمفعول[١٢]. و «رِكْزاً» مفعول على كلتا القراءتين، إلا أنه مفعول ثان في القراءة «الشاذة»[١٣]. والرِّكْزُ: الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم[١٤]، «ومنه ركز الرمح»[١٣] أي غيب طرفه في الأرض وأخفاه، ومنه الرِّكاز، وهو المال المدفون لخفائه واستتاره[١٥]، وأنشدوا:

٣٦٣٦ ـ فَتَوجَّسَتْ رِكْزَ الأنيسِ فَراعهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ، والأنيسُ سَقامُهَا[١٦]

---

(١) في ب: بقوله.

(٢) الفخر الرازي ٢١/٢٥٧.

(٣) في ب: العامة.

(٤) البحر المحيط ٦/٢٢١.

(٥) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي، المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، عرض القراءة على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وابن عباس، وأبي هريرة. وروى عنهم، وروى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، وغيره، مات سنة ١٣٠هـ. طبقات القراء ٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤.

(٦) تقدم.

(٧) المختصر (٨٦)، البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٨) ما بين القوسين في ب: بضم التاء وفتح الحاء. وهو تحريف.

(٩) الكشاف ٢/ ٤٢٦، البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(١٠) في ب: قوله: أحد. وهو تحريف.

(١١) في ب: حنظل. وهو حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية المكي، أخذ عن طاوس، وسالم، والقاسم، ومجاهد، وأخذ عنه الثوري، ويحيى القطان ووكيع، مات سنة ١٥١هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٦٣.

(١٢) المختصر (٨٦)، الكشاف ٢/ ٤٢٦، البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٤) لعله على حذف مضاف أي: ولا تحريك فم.

(١٥) اللسان (ركز).

(١٦) البيت من بحر الكامل من معلقة لبيد وهو في ديوانه (١٧٣)، ومجاز القرآن ٢/ ١٤، الطبري ١٦/ ١٠٢، تفسير ابن عطية ٩/ ٥٤٧، القرطبي ١١/ ١٦٢، البحر المحيط ٦/ ١٩٨.
التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي، الركز: الصوت الخفي، وهو محل الشاهد. عن ظهر غيب: من وراء حجاب. سقامها: هلاكها.

فصل[١]

قال المفسرون: «هَلْ تُحِسُّ» هل ترى، وقيل: هل تجد[٢].

«مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ»، لأنَّ الرسول ـ عليه السلام[٣] ـ إذا لم يحسّ منهم أحداً برؤية وإدراك ووجدان، ولا يسمع لهم ركزا، أي: صوتاً خفياً دلَّ ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية[٤].

قال الحسن: بادوا جميعاً، فلم[٥] يبق عين ولا أثر[٦].

روى الثعلبي[٧] عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدق بزكريا، ويحيى، وعيسى، وموسى، وهارون، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل عشر حسنات، وبعدد من دعا لله ولداً، وبعدد من لم يدع له ولداً[٨]»[٩].

(١) فصل: سقط من ب.
(٢) البغوي: ٥/٤٠٧.
(٣) في ب: عليه الصلاة.
(٤) الفخر الرازي ٢١/٢٥٧.
(٥) في ب: ولم.
(٦) البغوي ٥/٤٠٧.
(٧) تقدم.
(٨) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٨).
(٩) في «ب» زيادة قوله «تمت وبالخير عمت. آمين» وهو نهاية الجزء الخامس من تقسيمها.

سورة طه[1]

(مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية، وعدد كلماتها ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون كلمة، وعدد حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً)[2].

عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيت السُّورةَ التي ذُكِرَت فيها البَقَرةُ مِنَ الذِّكر الأوَّل[3]، وأُعْطِيتُ طَهَ والطَّوَاسِين (مِنْ أَلْوَاح مُوسَى، وأُعْطِيتُ فَوَاتِحَ القُرآن وَخَوَاتِمَ السُّورَةِ التي ذُكِرَتْ فيهَا البقَرَةُ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ، وأُعْطِيتُ المُفَصَّلَ نافِلَةً»)[4].

قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

(بِسْم اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم)[5]. قوله تعالى[6]: «طَهَ» قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء[7]، وكسرهما[8] جميعاً حمزة والكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما[9]. قال الزجاج: وتقرأ: «طَهْ» بفتح الطاء وسكون الهاء[10]، وكلها لغات. قال الزجاج: من فتح

(١) في ب: تفسيره سورة طه عليه السلام.
(٢) ما بين القوسين سقط في ب. وفيه: بسم اللَّهِ الرَّحمن الرَّحيم.
(٣) الأول: سقط في ب.
(٤) انظر البغوي ٥/٤٠٨.
(٥) ما بين القوسين سقط في ب، وفيه: والطواسين الحديث.
(٦) تعالى: سقط في ب.
(٧) في غير رواية عباس، وروى عباس عن أبي عمرو «طهِ» بكسر الطاء والهاء مثل حمزة. انظر السبعة: ٤١٦.
(٨) في ب: وكسرها. وهو تحريف.
(٩) السبعة (٤١٦)، الحجة لابن خالويه (٢٤٠)، الكشف ١/١٨٧. النشر ٢/٦٨، الاتحاف (٣٠٢).
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٤٩، وهي قراءة الحسن، وعكرمة وأبي حنيفة وورش في اختياره. المختصر (٨٧)، البحر المحيط ٦/٢٢٤ وسيأتي توجيه هذه القراءة.

الطاء والهاء[١]، فلأن ما قبل الألف مفتوح. ومن كسر الطاء والهاء أمال إلى الكسر[٢]، لأن الحرف[٣] مقصور، والمقصور يغلب عليه الإمالة إلى الكسر[٤].

فصل

قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة أول الكتاب، وفي هذه، وفي هنا[٥] قولان، الصحيح أنها من ذاك[٦].

وقيل: إنه مفيد. فقال الثعلبي: (طَا) شجرة طوبى (والهاء)[٧] الهاوية. فكأنه أقسم بالجنة والنار[٨]. وقال سعيد بن جبير: هو افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي[٨]. وقيل: يا مطمع الشفاعة للأمة، ويا هادي الخلق إلى الملة.

وقيل: (الطاء) تسعة في الحساب، و (الهاء) خمسة يكون أربعة عشر، ومعناه يا أيها البدر[٨]، وقيل غير ذلك.

فصل

قيل: معنى (طَهَ) يا رَجُل، وهو مرويّ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد ابن جبير، وقتادة، وعكرمة، والكلبي، ثم قال سعيد بن جبير: بالنبطية، وقال قتادة: بالسريانية، (وقال عكرمة)[٩]: بالحبشية[١٠]، وقال الكلبي: بلغة عك[١١]، وقيل: عُكْلٌ، وهي[١٢] لغة يمانية[١٣].

وقال[١٤] الكلبي: إنك لو قلت في عَك: يا رَجُل لم تجب حتى تقول: طَهَ[١٥].

وقال الطَّبَري: طَهَ في عَك بمعنى يا رجل، وأنشد قولَ شاعرهم:

٣٦٣٧ ـ دَعَوْتُ بِطَهَ في القِتَالِ[١٦] فَلَمْ يُجِبْ فَخِفْتُ[١٧] عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَوَائِلا[١٨]

---

(١) والهاء: سقط في ب.
(٢) في ب: أمالي الحرف. وهو تحريف.
(٣) في ب: الكسر. وهو تحريف.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٤٩.
(٥) في ب: ها هنا.
(٦) أي: أنها من حروف التهجي ولا محل لها من الإعراب والإشارة هنا راجعة إلى إعراب حروف التهجي الموجود في أول البقرة.
(٧) الهاء: سقط في ب.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣.
(٩) ما بين القوسين سقط في ب.
(١٠) في ب: أو بالحبشية. وهو تحريف.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣.
(١٢) في ب: وقيل.
(١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٤.
(١٤) في ب: وحكى.
(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٤.
(١٦) في ب: العقال. وهو تحريف.
(١٧) في ب: لحفت. وهو تحريف.
(١٨) البيت من بحر الطويل، قاله متمِّم بن نويرة، وهو في الطبري ١٦/ ١٠٣، وتفسير ابن عطية ١٠/ ٢، القرطبي ١١/ ١٦٥، البحر المحيط ٦/ ٢٢٤، الموائل: طالب النجاة الذي يلجأ إلى الشيء لينجو بنفسه. والشاهد أنَّ (طه) هنا بمعنى: يا رجل.

وقول الآخر:

٣٦٣٨ ـ إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ فِي خَلاَئِقِكُمْ لاَ قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ المَلاَعِينِ[١][٢]

قال الزمخشري: وأثر الصنعة ظاهر في البيت المستشهد به[٣].

وقال السُّدِّي: معناه يا فلان[٤]. وقال الزمخشري أيضاً: ولعل عكًّا[٥] تصرفوا في «يَا هَذَا» كأنهم في لغتهم قالبون[٦] الياء طاء، فقالوا في[٧] (يَا هَذَا): طَا هَذَا، واختصروا (هذا)[٨] (فاقْتَصَرُوا عَلَى هَا)[٩][١٠].

فكأنَّه[١١] قيل في الآية الكريمة: يَا هَذَا، وفيه بُعْدٌ كبير. واعترض عليه بعضهم فقال: لو كان كذلك لوجب أن يكتب أربعة أحرف طَاهَا[١٢].

قال أبُو حيَّان: ثم تخرص وحرز على عَكّ ما لم يقله نحوي، وهو أنهم يقلبون «ياء» التي للنداء (طاء)[١٣]، ويحذفون اسم الإشارة ويقتصرون منه[١٤] على (ها) التي للتنبيه[١٥] وقيل: (طَهَ أصله)[١٦]: طأها بهمزة، (طَأْ)[١٧] أمر، من وطىء يطأ، و (ها) ضمير مفعول يعود على الأرض، ثم أبدل الهمزة لسكونها ألفاً[١٨] ولم يحذفها في الأمر نظراً إلى أصلها، أي: طأ الأرض بقدميْكَ[١٩]، وقد جاء في الحديث: «أَنَّه قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاه»[٢٠]. وقرأ الحسن، وعكرمة، وأبو حنيفة[٢١]، وورش في اختياره[٢٢]

---

(١) البيت من بحر البسيط قاله يزيد بن المهلهل، وهو في الطبري ١٦/١٠٣، الكشاف ٢/٤٢٦، تفسير ابن عطية ١٠/٢، القرطبي ١١/١٦٦، البحر المحيط ٦/٢٢٤ السفاهة: الجهل والخفة. الخلائق: الطبائع والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.

(٢) جامع البيان ١٦/١٠٣.

(٣) الكشاف ٢/٤٢٦.

(٤) البحر المحيط ٦/٢٢٤.

(٥) عك: قبيلة. اللسان (عَكَكَ).

(٦) في ب: يقلبون.

(٧) في: سقط في ب.

(٨) في ب: في هذا.

(٩) الكشاف ٢/٤٢٦.

(١٠) ما بين القوسين سقط في ب.

(١١) في ب: يعني فكأنه.

(١٢) الفخر الرازي ٢٢/٣.

(١٣) ما بين القوسين سقط في ب.

(١٤) في ب: عنه. وهو تحريف.

(١٥) البحر المحيط ٦/٢٢٤.

(١٦) ما بين القوسين على هامش الأصل.

(١٧) في ب: طأها.

(١٨) قال سيبويه: (وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في رأس وبأس وقرأت راس، باس، قرات) الكتاب: ٣/٥٤٣.

(١٩) انظر التبيان ٢/٨٨٤، والبحر المحيط ٦/٢٢٤.

(٢٠) أخرجه النسائي (قيام الليل) ٣/٢١٩، ابن ماجه (إقامة) ١/٤٥٦، أحمد ٤/٢٥١.

(٢١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان، الكوفي فقيه العراق، روى القراءة عرضاً عن الأعمش وعاصم، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، رأى أنس بن مالك وحدث عن عطاء والأعرج ونافع. مات سنة ١٥٠ هـ طبقات القراء ٢/٢٤٢.

(٢٢) في الأصل: باختياره.

«طه»[١] بإسقاط الألف بعد الطاء، و (هاء) ساكنة[٢] وفيها وجهان:

أحدهما: أن الأصل (طأ) بالهمزة، أمراً أيضاً من وَطِىء يَطَأ، ثم أبدلت الهمزة هاء[٣] كإبدالهم لها[٤] في[٥]: هرقت، وهرحت، وهنرت، والأصل: أرقت، وأرحت، وأنرت[٦].

والثاني: أنه أبدل الهمزة ألفاً، كأنه أخذه[٧] من وطىء يطأ بالبدل كقوله:

٣٦٣٩ ـ ....**لاَ هَنَاكِ المَرْتَعُ**[٨]

ثم حذف[٩] الألف حملاً للأمر على المجزوم، وتناسباً لأصل الهمز[١٠] ثم ألحق هاء السكت، وأجرى الوصل مجرى الوقف[١١] وقد تقدم في أول يونس الكلام على إمالة «طا»و «ها». قوله: «أَنْزَلْنَا» هذه قراءة العامة[١٢][١٣].

وقرأ طلحة: «مَا نُزِّلَ»[١٤] مبنياً للمفعول «القُرْآن» رفع لقيامه مقام فاعله[١٥].

وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة إن جعلت «طَهَ» تعديداً لأسماء الحروف. ويجوز أن تكون خبراً لـ (طَهَ) إن جعلتها اسماً للسورة، ويكون القرآن ظاهراً[١٦] واقعاً[١٧] موقع المضمر؛ لأنَّ (طه) قرآن أيضاً، ويجوز أن تكون (جواب قسم)[١٨] إنْ جعلت (طَهَ) مقسماً به[١٩]. وقد تقدَّم تفصيل ذلك.

---

(١) في ب: طاها.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(٣) في ب: ثم أبدل الهمزة با.

(٤) تبدل الهمزة هاء على سبيل التخفيف، إذ الهمزة حرف شديد مستفل، والهاء حرف مهموس خفيف، ومخرجهما متقاربان إلا أن الهمزة أدخل منها في الحلق. قالوا: (هرقتُ الماء) أي أرقته، فأبدلوا الهاء من الهمزة الزائدة. وقالوا: (هرحت الدابة) أي أرحتها، و(هنرت الثوب) أي أنرته. انظر شرح المفصل ١٠/ ٤٢.

(٥) ما بين القوسين في ب: كإبدال همزتها.

(٦) انظر التبيان ٢/ ٨٨٤، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(٧) في ب: أخذ.

(٨) جزء بيت من بحر الكامل قاله الفرزدق وتمامه:

راحتْ بمسلمة البغالُ عشيةً ... فارعَي فزارةَ لاَ هناكِ المرتعُ

(٩) في ب: ثم حذفت.

(١٠) في ب: الهمزة.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٨٨٤، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(١٢) البحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(١٣) ما بين القوسين سقط في ب.

(١٤) في ب: نزّلنا.

(١٥) المختصر: (٨٧)، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(١٦) في ب: وطاوها. وهو تحريف.

(١٧) في ب: واقع. وهو تحريف.

(١٨) في ب: جواباً.

(١٩) قال الزمخشري: (ما أنزلنا إن جعلت «طه» تعديداً لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء=

فصل

قال الكلبي[(١)]: لمَّا أنزل على النبي ﷺ الوحي بمكة[(٢)] اجتهد في العبادة حتى كان[(٣)] يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف على نفسه فقال: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢].

وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا: إنَّك لتشقى حين تركت دين آبائك أي: لتتعنَّى وتَتْعَب وما أنزل عليك القرآن يا محمد لشقائك، فنزلت: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى». وأصلُ الشقاء في اللغة العناء[(٤)].

وقيل المعنى[(٥)]: إنَّك لاَ تلام على كفر قومك كقوله: «لَسْت عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ»[(٦)] وقوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، أي: إنك لا تؤاخذ بذنبهم.

وقيل: إنَّ هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، وكان عليه السلام في ذلك الوقت مقهوراً[(٧)] تحت ذل الأعداء، فكأنه تعالى قال: لا تظن أنَّك تبقى أبداً على هذه الحالة، بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقيًّا فيما بينهم بل لتصير معظماً مكرماً[(٨)].

قوله: «إلاَّ تَذْكِرَةً» في نصبه أوجه:

أحدها: أن يكون مفعولاً من أجله، والعامل فيه فعل الإنزال، وكذلك «لِتَشْقَى» علة له أيضاً، ووجب مجيء الأول مع اللام، لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاته شريطة الانتصاب على المفعولية[(٩)].

والثاني: جاز قطع اللام عنه ونصبه، لاستجماعه الشرائط[(١٠)] هذا كلام

= كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها، وهي في موضع المبتدأ و«القرآن» ظاهر أوقع موقع الضمير، لأنها قرآن، وأن يكون جواباً لها وهي قسم) الكشاف ٢/ ٤٢٦.

(١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٢) بمكة: سقط في الأصل. (٣) كان: سقط في ب.

(٤) آخر ما نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٤.

(٦) الآية: (٢٢) من سورة الغاشية. (٧) في الأصل: كان مقهوراً.

(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٤.

(٩) لأن من شروط المفعول من أجله: اتحاده بالمعلل به فاعلاً وذلك بأن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحداً. وهنا فاعل «أنزلنا» هو الله تعالى، وفاعل لِتشقَى هو الرسول، فقد شرط انتصابه على المفعول لأجله وهو اتحاده بالمعلل به فاعلاً، فوجب جره باللام. انظر شرح التصريح ١/ ٣٣٥.

(١٠) شروط المفعول من أجله خمسة أمور: الأول: كونه مصدراً. الثاني: كونه قلبياً. الثالث: كونه علة. الرابع: اتحاده بالمعلل به وقتاً. الخامس: اتحاده بالمعلل به فاعلاً. فهذه الشروط متحققة في «تذكرةً» فنصب على المفعول من أجله. انظر شرح التصريح ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

الزمخشري[١]، ثم قال[٢]: فإن قلت[٣]: هل يجوز أن تقول: «مَا أَنْزَلْنَا أَنْ تَشْقَى»، كقوله: «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُم»[٤] قلت[٥]: بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة[٦] في «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَه»[٧]، وأما النصبةُ[٨] في «تَذْكِرَةً» فهي كالتي في ضربتُ زيداً[٩]، لأنه[١٠] أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها[١١].

قال شهاب الدين: قد منع أبو البقاء أن يكون «تَذْكِرَةً»، مفعولاً له لـ «أَنْزَلْنَا» المذكورة لأنها قد تعدت إلى مفعول له وهو[١٢] «لِتَشْقَى» فلا تتعدى إلى آخر من جنسه[١٣].

وهذا المنع ليس بشيء، لأنه يجوز أن يعلل الفعل بعلتين فأكثر، وإنما هذا بناءً منه على أنه لا يقتضي[١٤] العامل من هذه الفضلات إلا شيئاً[١٥] واحداً إلا بالبدلية أو[١٦] العطف[١٧].

الثاني: أن تكون «تَذْكِرَةً» بدلاً من محل «لِتَشْقَى» وهو رأي الزجاج[١٨]، وتبعه ابن عطية[١٩]، واستبعده أبو جعفر[٢٠]، ورده الفارسي[٢١] بأن التذكرة ليست بشقاء وهو

---

(١) الكشاف ٢/٤٢٦.
(٢) أي الزمخشري.
(٣) في ب: فإن قيل.
(٤) من قوله تعالى: **﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لاَ تَرْفعوا أَصواتَكُمْ فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهرِ بعضكم لبعضٍ أنْ تحبَطَ أَعمالُكم وأَنتمْ لا تشعُرون﴾** [الحجرات: ٢].
(٥) في ب: قيل.
(٦) في ب: ولكن نصبه طارىء كالنصب.
(٧) من قوله تعالى: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾** [الأعراف: ١٥٥]. والاستشهاد بالآيتين على أن النصب في قوله: **﴿أن تحبط﴾** وقوله: **﴿قومه﴾** نصب طارىء، وذلك لأن قوله: **﴿أن تحبط﴾** في موضع نصب بتقدير حذف حرف الجر والتقدير: لأن تحبط. وقوله: اختار يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر وقد حذف ههنا والتقدير: من قومه. انظر البيان ١/٣٧٥ ـ ٣٧٦، ٢/٣٨٢، التبيان ١/٥٩٧، ٢/١١٧٠.
(٨) في ب: النصب.
(٩) أي نصب أصلي.
(١٠) في ب: لأنَّ.
(١١) الكشاف ٢/٤٢٦. والمفاعيل الخمسة هي: المفعولُ به، المفعولُ المطلق، المفعول له، المفعول فيه، المفعول معه.
فالمفعول له أحد هذه المفاعيل فالنصب فيه أصلي.
(١٢) وهو: سقط في ب.
(١٣) التبيان ٢/٨٨٤.
(١٤) في ب: لا يقضى.
(١٥) في ب: للأشياء. وهو تحريف.
(١٦) في ب: و.
(١٧) الدر المصون ٥/١٩.
(١٨) لم أعثر على هذا الوجه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وفي إعراب القرآن للنحاس (قال أبو إسحاق: هو بدل من «تشقى» أي: ما أنزلناه إلا تذكرة) ٣/٣٢.
(١٩) قال ابن عطية: وقوله تعالى: **﴿إلاَّ تذكرةً لمنْ يخشَى﴾** يصح أن ينصب على البدل من موضع «لتشقى» تفسير ابن عطية ١٠/٤.
(٢٠) هو النحاس. فإنه قال رداً على ما قال الزجاج (وهذا وجه بعيد، والقريب أنه منصوب على المصدر أو مفعول من أجله) إعراب القرآن: ٣/٣٢.
(٢١) البحر المحيط ٦/٢٢٥.

رد[١] واضح. وقد أوضح الزمخشري هذا فقال: فإن قلت[٢] هل يجوز أن تكون «تَذْكِرَةً» بدلاً من محل «لِتَشْقَى»[٣]؟ قلت[٤]: لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب[٥] على الاستثناء المنقطع الذي (إلاَّ) فيه بمعنى (لكن)[٦].

قال أبو حيان: يعني باختلاف الجنسين أن نصبه «تَذْكِرَةً» نصبة صحيحة ليست بعارضة[٧]، والنصبة التي تكون في «لِتَشْقَى»[٨] بعد نزع الخافض نصبة عارضة، والذي نقول إنه ليس له محل ألبتة فيتوهم البدل منه[٩].

قال شهاب الدين: ليس مراد الزمخشري باختلاف الجنسين إلا ما نقل عن الفارسي رداً على الزجاج، وأي أثر لاختلاف النصبتين في ذلك[١٠].

الثالث: أن يكون نصباً على الاستثناء المنقطع أي: لَكِنْ أَنْزَلْنَا تَذْكِرَةً[١١].

الرابع: أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر، أي: لكن ذكرنا، أو: تذكرتَه أنت تذكرةً[١٢].

وقيل التقدير: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتحملَ متاعبِ التبليغ إلا ليكون تذكرة، كما يقال: (مَا شَافَهْنَاكَ بِهَذَا الكلامَ لِتَتَأَذَّى إِلاَّ لِيَعْتَبِر بكَ غَيْركَ)[١٣][١٤].

الخامس: أنه مصدر في موضع الحال، أي إلا مُذَكِّراً[١٥].

السادس: أنه بدل من القرآن، ويكون القرآن هو التذكرة. قاله الحوفي[١٦].

السابع: أنه مفعول له أيضاً، ولكن العامل فيه «لِتَشْقَى»، ويكون المعنى[١٧] كما قال[١٨]

---

(١) رد: سقط في ب.
(٢) في ب: فإن قيل.
(٣) في ب: «تشقَى».
(٤) في ب: قلنا.
(٥) في ب: نصبت.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٢٧. وبهذا رد الزمخشري تخريج الزجاج وابن عطية في أنه يجوز أن تكون «تذكرة» بدلاً من محل «لتشقى»، وجعل «تذكرة» منصوبة على الاستثناء المنقطع.
(٧) في ب: معارضة. وهو تحريف.
(٨) في ب: تشقى.
(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٢٥. منهم أبو حيان مراد الزمخشري من قوله: لاختلاف الجنسين. أنه اختلاف النصبتين، وقد رد شهاب الدين هذا وقال: مراد الزمخشري باختلاف الجنسين أن التذكرة ليست بشقاء. كما يتضح من النص الآتي لشهاب الدين. وأرى أن القول ما قال شهاب الدين.
(١٠) الدر المصون ٥/ ١٩.
(١١) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٧، البيان ٢/ ١٣٥، التبيان ٢/ ٨٨٤.
(١٢) أي أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله. التبيان ٢/ ٨٨٤.
(١٣) الفخر الرازي ٢٢/ ٤.
(١٤) ما بين القوسين في ب: ما شاهداك فهذا الكلام للتتأذى إلا ليعتبر.
(١٥) انظر التبيان ٢/ ٨٨٤.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٥.
(١٧) في ب: العامل. وهو تحريف.
(١٨) في ب: قاله. وهو تحريف.

الزمخشري: إنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القرآنَ لِتتحمَّلَ متاعب التبليغ، ومقاومة[١] العتاة من أعداء الإسلام ومقابلتهم، وغير ذلك من أنواع المشاق، وتكاليف النبوة وما أنزلنا هذا المُتعِب[٢] الشاق إلاَّ ليكون تَذْكِرَةً. وعلى هذا الوجه يجوز أن تكون تَذْكِرَةً حالاً ومفعولاً له[٣]. انتهى.

فإن قيل: من أين أخذت[٤] أنه لمَّا جعله حالاً ومفعولاً له أن العامل فيه «لِتَشْقَى»، وما[٥] المانع أن يريد بالعامل فيه فعل الإنزال؟

فالجواب[٦]: أن هذا الوجه قد تقدَّم له[٧] في قوله: وكل واحد من «لِتَشْقَى» و «تَذْكِرَةً»، علة للفعل، وأيضاً فإن تفسيره للمعنى المذكور منصَبٌّ[٨] على تسلط «لِتَشْقَى» على «تَذْكِرَةً» إلا أنَّ أبا البقاء لما لم يظهر له هذا المعنى الذي ظهر للزمخشري منع من عمل «لِتَشْقَى» في «تَذْكِرَةً»، فقال: ولا يصح أن يعمل فيها «لِتَشْقَى» لفساد المعنى[٩] وجوابه: ما تقدَّم[١٠].

(ولا غرو في تسمية التعب شقاءً)[١١]، قال الزمخشري[١٢]: والشقاء يجيء في معنى التعب، ومنه المثل: أَتْعَبُ مِنْ رَائِضِ مُهْرٍ، وأشْقَى من رائضِ مُهْرٍ[١٣].

و «لِمَنْ يَخْشَى» متصل بـ «تَذْكِرَةً» وزيدت اللام في المفعول، تقوية للعامل لكونه فرعاً[١٤]. ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه صفة لـ «تَذْكِرة».

---

(١) في الأصل: مقاولة.
(٢) في ب: التعب.
(٣) الكشاف: ٢/ ٤٢٧.
(٤) في ب: يحدث. وهو تحريف.
(٥) في ب: وأما. وهو تحريف.
(٦) في ب: الجواب.
(٧) كرر في ب بعد (قد تقدم له) قوله: إذا جعله حالاً ومفعولاً له أن العامل فيه لتشقى، وأما المانع أن يريد بالعامل فيه فعل الإنزال.
(٨) في ب: ومنتصب.
(٩) التبيان ٢/ ٨٨٤. وكرر في ب بعد (لفساد المعنى) قوله: الذي ظهر للزمخشري منع من عمل «لتشقى» في «تذكرةً».
(١٠) في ب: وجوابه ما تقدم قال الزمخشري: منع من عمل لتشقى في تذكرة وجوابه ما تقدم. وانظر كلام الزمخشري في الوجه الأول، وهذا الوجه أيضاً.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) الكشاف ٢/ ٤٢٦.
(١٣) هذا كقولهم: (لا يعدم شقي مهراً) يعني أن معالجة المهارة شقاوة لما فيها من تعب انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٦٠.
(١٤) وهذه اللام تسمى لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخير نحو: ﴿**هدى ورحمةً للذين هم لربهم يرهبون**﴾ [الأعراف: ١٥٤] ونحو: ﴿**إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾ [يوسف: ٤٣]، أو بكونه فرعاً في العمل، كما في الآية ﴿**إلاَّ تذكرةً لمن يخشى**﴾ وذلك لأن «تذكرةً» مصدر والمصدر فرع في العمل. ونحو ﴿**مصدقاً لما معهم**﴾ [البقرة: ٩١] ونحو ﴿**فعَّال لما يريد**﴾ [هود: ١٠٧] [البروج: ١٦] ونحو: ضربي لزيد حسنٌ. وقد اجتمع التأخير والفرعية في قوله: ﴿**وكنَّا لحكمهم شاهدين**﴾ [الأنبياء: ٧٨]، المغني ١/ ٢١٧.

وخصَّ مَنْ يَخْشَى بالتذكر، لأنهم المنتفعون بها، كقوله: «هُدًى لِلْمُتَّقِين»[١].

قوله: «تَنْزِيلاً» في نصبه أوجه:

أحدها: أن يكون بدلاً من «تَذْكِرَةً» إذا جعل حالاً لا إذا[٢] كان مفعولاً، لأن الشيء لا يعلَّلُ بنفسه، لأنه يصير التقدير: مَا أَنْزَلْنَا القرآنَ إلاَّ لِلتَّنْزِيل.

الثاني: أن ينتصب بـ «نزل» مضمراً.

الثالث: أن ينتصب بـ «أَنْزَلْنَا»، لأن معنى ما أَنْزَلْنَا إلاَّ تذكرة: أَنْزَلْنَاهُ تَذْكِرَةً.

الرابع: أن ينتصب على المدح والاختصاص.

الخامس: أن ينتصب بـ «يَخْشَى» مفعولاً به، أي أنزله للتذكرة لِمَنْ يَخْشَى تنزيلَ الله، وهو معنى حسن وإعراب بيِّن[٣]. قال أبو حيان: والأحسن ما قدَّمناه أولاً من أنَّه منصوب بـ «نَزَل» مضمرةً[٤]، وما ذكره الزمخشري من نصبه على غيره[٥] فمتكلف: أما الأول ففيه جعل «تَذْكِرَةً» و «تَنْزِيلاً»[٦] حالين وهما مصدران، وجعل المصدر حالاً لا ينقاس[٧]. وأيضاً فمدلول «تَذْكِرَةً» ليس مدلول «تَنْزِيلاً»، ولا «تَنْزِيلاً»[٨] بعض «تَذْكِرَةً» فإن كان بدلاً فيكون بدلَ

---

(١) من قوله تعالى: ﴿ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه هُدًى للمُتقين﴾ [البقرة: ٢].

(٢) في ب: لاذا.

(٣) ذكر الزمخشري هذه الأوجه في الكشاف ٢/٤٢٧.

(٤) فإنه قال: (وانتصب «تنزيلاً» على أنه مصدر لفعل محذوف أي نزل تنزيلاً ممن خلق) البحر المحيط ٦/٢٢٥. أي أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله.

(٥) في ب: خبره. وهو تحريف.

(٦) في ب: تنزيل.

(٧) يكثر مجيء المصدر المنكر حالاً مثل طلع زيد بغتةً، وجاء ركضاً وقتلته صبراً، وذلك على التأويل بالوصف، فيؤول بغتة بوصف أي مباغتاً، وركضاً أي راكضاً، وصبراً أي: مصبوراً. قال ابن مالك:

ومصدرٌ منكَّرٌ حالاً يقع ... بكثرةٍ كبغتةٍ زيدٌ طلع

ومع كثرته فقال سيبويه والجمهور لا ينقاس مطلقاً سواء أكان نوعاً من العامل أم لا، كما لا ينقاس المصدر الواقع نعتاً أو خبراً بجامع الصفة المعنوية. وقاسه المبرد فيما كان نوعاً من العامل فيه لأنه حينئذ يدل على الهيئة بنفسه، فأجاز قياساً: جاء زيد سرعةً، لأن السرعة نوع من المجيء. ومنع: جاء ضَحِكاً، لأن الضحك ليس نوعاً من المجيء. وقاسه الناظم في التسهيل وابنه في شرح النظم بعد (أمَّا) بفتح الهمزة وتشديد الميم نحو: أَمَّا علماً فعالِم، أي مهما يُذكر شخص في حال علم فالمذكور عالم وأيضاً: بعد خبر شبِّه به مبتدؤه مثل: زيدٌ زهيرٌ شعراً. والعامل فيها ما في زهير من معنى الفعل إذ معناه مجيد، وصاحب الحال ضمير مستتر في زهير لما تقرر من أن الجامد المؤول بالمشتق يتحمل الضمير. وأيضاً: إذا كان الخبر مقروناً بـ (أل) الدالة على الكمال، مثل: أنت الرجل علماً. فعلماً حال والعامل فيها ما في الرجل من معنى الفعل إذ معناه الكامل. وذهب الكوفيون إلى أن المصدر منصوب بفعل محذوف أي أنه مفعول مطلق. انظر شرح التصريح ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥، شرح الأشموني ٢/ ١٧٢، ١٧٤.

(٨) في ب: تنزيل.

اشتمال على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل على الأول؛ لأن التنزيل مشتمل على التذكرة، وغيرها[١]. وأما قوله: لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرةً أَنْزَلناهُ تَذْكِرةً، فليس كذلك، لأن معنى الحصر يفوت في قوله: أنزلناه تذكرةً. وأما[٢] نصبه على المدح فبعيد.

وأمَّا نصبه على «يَخْشَى» ففي غاية البُعد، لأن «يَخْشَى» رأس آية وفاصلة فلا يناسب أن يكون «تَنْزِيلاً» منصوباً بـ «يَخْشَى»، وقوله: وهو معنى حسن وإعراب بيِّن عجمة وبُعْدٌ عن إدراك الفصاحة[٣]. قال شهاب الدين: ويكفيه رده الشيء الواضح من غير دليل ونسبة هذا الرجل إلى عدم الفصاحة ووجود العجمة[٤].

قوله: «مِمَّنْ خَلَقَ»[٥]. يجوز في (مِنْ) أن يتعلق بـ «تَنْزِيلاً»[٦]، وأن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ «تَنْزِيلاً»[٧].

وفي «خَلَقَ» (التفات)[٨] من تكلُّم في قوله: «مَا أَنْزَلْنَا»[٩] إلى الغيبة[١٠] وجوز الزمخشري أن يكون «مَا أَنْزَلْنَا» حكاية لكلام جبريل عليه السلام[١١] وبعض الملائكة فلا التفات على[١٢] هذا[١٣].

قوله[١٤] «العُلَى» جمع عُلْيَا، نحو دُنْيَا ودُنَى، ونظيره في الصحيح[١٥] كُبْرَى وَكُبَر،

---

(١) اختلف في المشتمل في بدل الاشتمال هل هو الأول، أو الثاني، أو العامل؟ فقال الرماني هو الأول واختاره في التسهيل، وعلله الجزولي بأن الثاني إما صفة للأول كأعجبتني الجارية حسنها، أو مكتسب من صفة نحو سُلِبَ زيدٍ مالُه فإن الأول اكتسب من الثاني كونه مالكاً. ورد بأنه يلزم منه أن يجيز ضربت زيداً عبده على الاشتمال، وهم قد منعوا ذلك. وقال الفارسي في الحجة المشتمل هو الثاني، قال: بدليل سرق زيدٌ ثوبه، ورد بسرق زيدٌ فرسه. وقيل المشتمل هو المسند، قال ذلك المبرد والسيرافي وابن جني وابن الباذش وابن أبي العافية وابن الأبرش، بمعنى أن الفعل يستدعيهما، أحدهما على سبيل الحقيقة والقصد والآخر على سبيل المجاز والتبع، فنحو سُلب زيد ثوبُه الإسناد فيه حقيقة إلى الثاني مجازاً في الأول إذ المسلوب هو الثوب. وقيل بمعنى أنه اشتمل عى التابع والمتبوع معاً، إذ الإعجاب في: أعجبتني الجارية حسنها مشتمل على الجارية وعلى حسنها. انظر شرح التصريح ٢/١٥٧، والهمع ٢/١٢٦.

(٢) في ب: وهما. وهو تحريف.

(٣) البحر المحيط ٦/٢٢٥.

(٤) الدر المصون ٥/٢٠.

(٥) في ب: ممَّن خلق الأرض والسموات.

(٦) انظر التبيان ٢/٨٨٤، والكشاف ٢/٤٢٧، والمحيط ٦/٢٢٥.

(٧) انظر الكشاف ٢/٤٢٧، البحر المحيط ٦/٢٢٥.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) في ب: أنا أنزلنا. وهو تحريف.

(١٠) انظر الكشاف ٢/٤٢٧، البحر المحيط ٦/٢٢٥، ٢٢٦.

(١١) عليه السلام: سقط من ب.

(١٢) في ب: إلى وهو تحريف.

(١٣) قال الزمخشري (ويجوز أن يكون «أنزلنا» حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه) الكشاف ٢/٤٢٧. وقد استبعد أبو حيان ما جوزه الزمخشري فإنه قال: (وهذا تجويز بعيد بل الظاهر أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه) البحر المحيط ٦/٢٢٦.

(١٤) في الأصل: و.

(١٥) في ب: الفصيح. وهو تحريف.

وفُضْلَى وفُضَل، يقال سماء عُلْيَا وسموات عُلَى[١].

ومعنى الآية: «تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ»[٢] أي: (مِنَ اللَّه الذي خلق الأرضَ والسَّمَواتِ العُلَى)[٣] يعني العالية[٤] الرفيعة[٥].

وفائدة وصف السَّموات بالعُلَى: الدلالة[٦] على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها (وبعد مرتقاها)[٧][٨].

قوله: «الرَّحْمٰنُ» العامة على رفعه، وفيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من الضمير المستكن في «خَلَقَ» ذكره ابن عطية[٩]، ورده أبو حيان بأن البدل يحل محل المبدل منه، ولو حل محله لم يجز لخلو الجملة الموصولة بها من رابط يربطها به[١٠].

الثاني: أن يرتفع على خبر مبتدأ مضمر تقديره: هُوَ الرَّحمنُ[١١].

الثالث: أن يرتفع على الابتداء مشاراً بلامه إلى «مَنْ خَلَقَ» والجملة بعده خبر. وقرأ جناح بن حُبَيْش: «الرَّحْمَنِ» مجروراً[١٢]، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه بدل من الموصول. لا يقال: إنه يؤدي إلى البدل بالمشتق وهو قليل، لأن (الرحمن) يجري مجرى الجوامد لكثرة إيلائه العوامل[١٣].

---

(١) لأن ما كان على وزن (فُعلَى) أنثى (أَفْعَل) صفة يجمع على (فُعَل) كالكبرى أنثى الأكبر، والوسطى أنثى الأوسط والصغرى أنثى الأصغر، فتقول في الجمع كبر ـ وُسط ـ صُغر. انظر شرح التصريح ٢/ ٣٠٦.

(٢) في ب: تَنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى.

(٣) ما بين القوسين سقط في ب.

(٤) في ب: العاليات.

(٥) انظر البغوي ٥/ ٤١٠.

(٦) في ب: للدلالة. وهو تحريف.

(٧) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٧، والفخر الرازي ٢٢/ ٥.

(٨) ما بين القوسين في ب: وارتفاعها.

(٩) تفسير ابن عطية ١٠/ ٤.

(١٠) قال أبو حيان: (وأرى أن مثل هذا لا يجوز، لأن البدل يحل محل المبدل منه و(الرَّحمن) لا يمكن أن يحل محل الضمير، لأن الضمير عائد على (من) الموصولة، و (خَلَق) صلة، والرابط هو الضمير فلا محل محله الظاهر لعدم الرابط). البحر المحيط ٦/ ٢٢٦.

(١١) قال الزمخشري: والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعاً على المدح على تقدير هو الرحمنُ، وإما أنْ يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى «من خلق» الكشاف ٢/ ٤٢٧.

(١٢) المختصر (٨٧)، البحر المحيط ٦/ ٢٢٦.

(١٣) أي أنه بدل من الموصول في قوله ﴿مِمَّنْ خلق﴾ في الآية السابقة. قاله الزجاج. معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٥٠، وانظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٦.

والثاني: أن يكون صفة للموصول أيضاً[١].

قال أبو حيان: ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص كـ (مَنْ) و (مَا) لا يوصف منها إلاَّ الذي وحده، فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون صفة[٢]. قال ذلك كالراد على الزمخشري.

والجملة في قوله[٣]: «عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى» خَبَر لقوله «الرَّحْمَنُ» على القول: بأنه مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر، إن قيل: إنه مرفوع على خبر مبتدأ مضمر[٤]، وكذلك في قراءة مَنْ جرَّه[٥]. وفاعل «اسْتَوَى» ضمير يعود على «الرَّحْمٰنُ».

وقيل: بل فاعله «مَا» الموصولة[٦] بعده[٧]، أي: استوى الذي له ما في السموات قال أبو البقاء: وقال بعضُ الغلاةِ[٨]: «مَا»[٩] فاعل «اسْتَوَى»، وهذا بعيد، ثم هو غير نافع له في التأويل، إذ يبقى قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى» كلاماً تامّاً ومنه هرب[١٠].

قال شهابُ الدين: هذا يُروى[١١] عن ابن عبَّاس، وأنَّه كان يقفُ على لفظ «العَرْشِ» ثم يبتدىء بـ[١٢] «اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ»، وهذا لا يصح عنه[١٣].

قوله: الثَّرَى: هو التراب النَّدِي[١٤]، ولامه ياء بدليل تثنيته على ثَرَيَيْن، وقولهم: ثَرِيَتْ الأرضُ تَثْرَى ثَرًى[١٥]. والثَّرَى يستعمل في انقطاع المودة، قال جرير:

٣٦٤٠ ـ فَلاَ تَنْبِشُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ الثَّرَى ... فَإنَّ[١٦] الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مُثْرِي[١٧]

---

(١) أي أنه صفة للموصول في قوله ﴿مِمَّن خَلَق﴾ في الآية السابقة. قاله الزمخشري. الكشاف ٢/٤٢٧.

(٢) وهو كما في البحر المحيط (ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص التي لا تتم إلا بصلاتها نحن (من) و(ما) لا يجوز نعتها إلا (الذي) و(التي) فيجوز نعتها فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون «الرحمن» صفة لـ «من») ٦/٢٢٦.

بناء منه على أن الموصول لا ينعت، لأنه كجزء الكلمة ولا يتم إلاَّ بصلته وجزء الكلمة لا ينعت، إلا المقرون بألْ منه كالذي والتي، لأنه يوصف به ويصغر ويثنى ويجمع، وقد جوز السيوطي أيضاً نعت (من) و(ما) تقول: جاءني من في الدار العاقل، ونظرت إلى ما اشتريت الحسن. انظر الهمع ٢/١١٨.

(٣) في ب: قولك. وهو تحريف.

(٤) في ب: أو مضمر. وهو تحريف.

(٥) انظر الكشاف ٢/٤٢٧.

(٦) في ب: وقيل بل لا فاعله الموصول. وهو تحريف.

(٧) من قوله تعالى: «له ما في السموات وما في الأرض» من الآية التي بعدها.

(٨) في ب: الغلا. وهو تحريف.

(٩) ما: سقط من ب.

(١٠) التبيان ٢/٨٨٥.

(١١) في ب: مروى.

(١٢) بـ: سقط في ب.

(١٣) الدر المصون ٥/٢٠.

(١٤) الندى: سقط في ب.

(١٥) اللسان (ثرا).

(١٦) في ب: وإن.

(١٧) البيت من بحر الطويل قاله جرير، وهو في ديوانه ١/٤٢١ واللسان (ثرا) والبحر المحيط ٦/٢٢٢.
ورواية الديوان: فلا توبسوا.

=

والثَّراء بِالمَد: كثرة المال[١]، قال:

٣٦٤١ ـ أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى إِذَا حَشْرجَتْ يَوْماً وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[٢]

وَما أَحسن قولَ ابن دُرَيد[٣] في قصيدته التي جمع فيها بين الممدود والمقصور باختلاف معنى[٤].

فصل[٥]

قال المفسرون: معنى[٦] «لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ» لما شرح ملكه بقوله: «الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى»، والملك لا ينتظم إلا بالقدرة والعلم لا جرم عقبه بالقدرة[٧] ثم بالعلم. أما القدرة فهي هذه الآية، والمعنى: أنه تعالى مالك لهذه الأقسام الأربعة فهو مالك لما في السموات من مَلَكٍ ونَجْم وغيرهما، ومالك لما في الأرض من المعادن والفلزات[٨]، ومالك لما بينهما[٩] من الهَواء، ومالك لما تحت الثرى[١٠]. قال الضحاك:

= فلا توبسوا: أي لا تجعلوه يابساً.

لا توبس بيني وبينك الثرى: أي لا تذهب المودة بيني وبينك والشاهد فيه استعمال (الثرى) في انقطاع المودة.

(١) في ب: والثرى بالمد ذكر المال. وهو تحريف.

(٢) البيت من بحر الطويل قاله حاتم الطائي برواية: أماويَّ ما يغني الثراءُ عن الفتى: إذا حشرجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصَّدرُ. اللسان (حشرَ ـ قرنَ).

أماويَّ: الهمزة للنداء، وماوي: منادى مرخم ماوية، وهي زوجة حاتم، والماوية في اللغة: المرآة التي يرى فيها الوجه، كأنها منسوبة إلى الماء، فإن النسبة إلى الماء مائي وماوي. الحَشْرجة: الغرغرة عند الموت وتردد الصوت.

والشاهد فيه أن (الثراء) بالمد كثرة المال. وقد أتى به بعض النحويين شاهداً على أن ضمير الغائب فاعل (حشرجت) يعود على النفس التي هي بعض (الفتى). وعلى رواية الديوان ففاعل (حشرجت) (نفس) وليس ضميراً. وقد تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) وهو قوله:

يوماً تصيرُ إلى الثَّرى ويفوزُ غيرك بالثَّراء

وهو البيت الثاني من قصيدته في المقصور والممدود يعني ما يفتح أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف، ومطلع القصيدة:

لا تركننّ إلى الهوى واذكر مفارقهِ الهواءِ

ديوان ابن دريد (١٣٨).

(٥) فصل: سقط من ب.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٨/٢٢.

(٧) بالقدرة: سقط في ب.

(٨) كذا في الفخر الرازي وفي الأصل: الفلوات، وفي ب: الحيوانات. وهو تحريف. وفي هامش الفخر الرازي: في الأصل الأميري: والفلوات جمع فلاة وهي الخلاء والفضاء في الأرض كالصحاري لا نبات بها. وهي محرفة عن الفلزات وهي جواهر الأرض وعناصرها المكونة منها.

(٩) في ب: فيها.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٨/٢٢.

يعني ما روى الثرى من شيء[١].

وقال ابن عباس: إن الأَرضينَ على ظهر النون، والنون[٢] على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء اخضرت السموات[٣] منها. وهي الصخرة التي ذكر الله تعالى[٤] في قصة لقمان «فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ»[٥]، والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، و «مَا تَحْتَ الثَّرَىٰ» لا يعلمه إلا الله تعالى[٦]. وذلك الثور فاتح فاه، فإذا جعل الله البحار بحراً واحداً سالت في جوف الثور فإذا وقعت في جوفه يبست[٧].

وأما العلم فقوله: «وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى» قال الحسن[٨] السر[٩]: ما أسر الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما تسر في نفسك، وأخفى من السر: ما يلقيه الله في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسَك لأنك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا، واللَّه يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدا.

وقال عليّ بن أبي طلحة[١٠] عن ابن عباس: السِّرُّ ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه.

وقال مجاهد: السِّرُّ العمل الذي يُسَرُّ من الناس وأخفى: الوسوسة وقيل: السِّرُّ هو العزيمة (وأخفى: ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: «يَعْلَمُ السِّرَّ)[١١] وأَخفَى» أي: يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من[١٢] عباده فلا يعلمه أحد[١٣].

قوله: «وَأَخْفَى» جوزوا فيه وجهين:

أحدهما: أنه أفعل تفضيل، أي: وأخفى من السر[١٤].

---

(١) انظر البغوي ٥/ ٤١٠.

(٢) في ب: على ظهر الثور والثور.

(٣) في ب: السماء.

(٤) تعالى: سقط من ب.

(٥) من قوله تعالى: **﴿يا بنيَّ إنَّها إن تكُ مثقال حبّة من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السَّموات أو في الأرض يأت بها اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لطيفٌ خبير﴾** [لقمان: ١٦].

(٦) في ب: إلا الله عز وجل.

(٧) انظر البغوي ٥/ ٤١٠ ـ ٤١١.

(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(٩) السر: سقط في الأصل.

(١٠) هو علي بن أبي طلحة سالم الهاشمي. مولاهم أبو الحسن الجزري ثم الحمصي، أخذ عن ابن عباس، وعن مجاهد والقاسم، وأخذ عنه ثور بن يزيد، ومعمر والثوري. مات سنة ١٤٣ هـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٢٥.

(١١) ما بين القوسين سقط في ب.

(١٢) في ب: عن.

(١٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(١٤) انظر البيان ٢/ ١٣٨، التبيان ٢/ ٨٨٥، البحر المحيط ٢/ ٢٢٦.

والثاني: أنه فعل ماض، أي: وأخفى الله عن[(١)] عباده غيبه كقوله: «وَلاَ يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً»[(٢)].

قوله: «اللَّهُ لاَ إلَٰهَ إلاَّ هُوَ»[(٣)] الجلالة إما مبتدأ والجملة المنفية خبرها، وإما خبر[(٤)] لمبتدأ محذوف، أي هو الله. والحسنى تأنيثُ الأحسنِ، وقد تقدم أن جمع التكسير في غير[(٥)] العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة[(٦)].

ولما ذكر صفاته وحَّدَ نَفْسَه فقال: «اللَّهُ لاَ إلَٰهَ إلاَّ هوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى».

فصل

قالوا[(٧)]: كلمة «لا» ههنا دخلت على الماهية، فانتفت الماهية، وإذا انتفت الماهية تنتفي كل أفرادها. وإنما «اللَّهُ» اسم علم للذات المعينة، إذ لو كان اسم معنى لكان كلها محتملاً للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة للتوحيد.

وقالوا: «لاَ» استحقت عمل «إنَّ»[(٨)] لمشابهتها لها من وجهين:

الأول: ملازمة الأسماء[(٩)].

والآخر: تناقضهما. فإن أحدهما لتأكيد الثبوت[(١٠)]، والآخر لتأكيد النفي، ومن عادتهم تشبيه أحد الضدين بالآخر في الحكم[(١١)]، وإذا كان كذلك، فنقول: لمَّا قالوا: إنَّ زيداً ذاهبٌ كان يجب أن يقولوا: (لا رجلاً ذاهب)[(١٢)] إلاَّ أنهم بنوا «لا» مع ما دخل عليه من الاسم المفرد على الفتح: أما البناء فلشدة اتصال حرف النفي بما[(١٣)] دخل عليه كأنهما صارا مفرداً واحداً[(١٤)] وأما الفتح فلأنهم قصدوا البناء على الحركة المستحقة توفيقاً

---

(١) في ب: من.

(٢) من قوله تعالى: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**﴾ [طه: ١١٠]. انظر التبيان ٢/ ٨٨٥ ـ البحر المحيط ٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣) في ب: «اللَّهُ لا إلٰه إلاَّ هو له الأسماء الحسنَى».

(٤) في ب: خبر. وهو تحريف.

(٥) في ب: عن. وهو تحريف.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٧.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١.

(٨) في ب: استحقت عملاً. وهو تحريف.

(٩) في ب: الأول عمل الأسماء وملازمتها.

(١٠) في ب: النبوة. وهو تحريف.

(١١) في شرح التصريح: (قال أبو البقاء: وإنما عملت (لا) عمل (إنَّ) لمشابهتها من أربعة أوجه: أحدها: أن كلاً منهما يدخل على الجملة الاسمية. الثاني: أن كلاً منهما للتأكيد فـ (لا) لتأكيد النفي و (إنَّ) لتأكيد الإثبات. والثالث: أن (لا) نقيضة (إنَّ) والشيء يحمل على نقيضه كما يحمل على نظيره. والرابع: أن كلًّا منهما له صدر الكلام. ١/ ٢٣٥.

(١٢) ما بين القوسين سقط في ب.

(١٣) في ب: ما. وهو تحريف.

(١٤) في ب: كأنما مما دخلا مفرداً. وهو تحريف.

بين الدليل الموجب للإعراب، والدليل الموجب للبناء[١]. وخبره محذوف[٢] تقديره: لاَ إِلٰه في الوجود، ولا حول ولا قوةَ لنا، وهذا يدل على أن الوجود زائد على الماهية. فإن قيل: تصور الثبوت مقدم[٣] على تصور السلب، فإنَّ السلب ما لم يضف إلى الثبوت لا يمكن تصوره، فكيف قدم هنا السلب على الثبوت؟

فالجواب[٤]: لما كان هذا السلب من مؤكدات الثبوت لا جرم قدم عليه[٥].

فصل[٦]

ينبغي لأهل لاَ إِلٰه إلاَّ اللَّه أنْ يحصلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا إِلٰهَ إلا الله: التصديق، والتعظيم والحلاوة والحرية[٧]، فمن ليس له التصديق فهو منافق، ومَن

---

(١) والمراد بالمفرد هنا ما ليس مضافاً ولا شبيهاً به فيشمل المفرد والمثنى وجمع المذكر السالم، والمؤنث السالم، وجمع التكسير. واختلف في علة البناء: فقيل: لتضمنه معنى (من) كأن قائلاً قال هل من رجلٍ في الدار، فقال مجيبه: لا رجل في الدار. لأن نفي (لا) عام، بدليل ظهورها في قوله:

فقام يذود الناس عنها بسيفه ... وقال ألا لا من سبيل إلى هند

واختار هذا القول ابن عصفور وعلله بأن تركيب الاسم مع الحرف قليل والبناء للتضمن كثير. وقيل: تركيب الاسم مع الحرف تركيب خمسة عشر، هذا قول سيبويه والجماعة ويؤيده أنهم إذا فصلوا أعربوا فقالوا: لا فيها رجلٌ ولا امرأة. والمفرد وجمع التكسير يبنيان على الفتح لخفته، وجمع المؤنث السالم يبنى على الكسر، وقيل على الفتح كقول الشاعر:

إنَّ الشبابَ الذي مجد عواقبه ... فيه نلذُّ ولا لذَّات للشِّيب

والمثنى وجمع المذكر السالم يبنيان على ما ينصبان به وهو الياء كقول الشاعر:

تَعَزَّ فلا إلفين بالعيش متعا ... ولكن لورَّاد المنون تتابع

وقول الآخر:

يحشر النَّاس لا بنين ولا آ ... باء إلا وقد عنتهم شؤون

وذهب المبرد إلى أنهما معربان.

انظر شرح التصريح ١/٣٣٨ ـ ٢٤٠، الهمع ١/١٤٥ ـ ١٤٦، شرح الأشموني ٢/٦ ـ ٨.

(٢) خبر (لا) النافية للجنس يحذف عند العلم به، وهذا الحذف غالب في لغة الحجاز ملتزم في لغة تميم وطيىء فلم يلفظوا به أصلاً نحو: لا ضَيْر فلا فوت ولا ضرر، لا عدوى ولا طيرة لا بأس. وإنما كثر أو وجب، لأن (لا) وما دخلت عليه جواب استفهام عام، والأجوبة يقع فيها الحذف والاختصار كثيراً، ولهذا يكتفون فيها بـ (لا) و(نعم) ويحذفون الجملة بعدها رأساً. وأكثر ما يحذفه الحجازيون مع (إلا) نحو لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه. وإن لم يعلم بقرينة قالية أو حالية لم يجز الحذف عند أحد. انظر الهمع ١/١٤٦.

(٣) في ب: يقدم.

(٤) في ب: الجواب.

(٥) آخر ما نقله ابن عادل هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١١.

(٦) هذه الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٠ ـ ١١.

(٧) في النسختين: الجلالة والحرمة.

ليس له التعظيم فهو مبتدع، ومَن ليس له الحلاوة[١] فهو مراء ومَنْ ليس له الحرية[٢] فهو فاجر.

فصل

(قال بعضهم[٣])[٤] قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ»[٥] أنَّه لا إلٰه إلاَّ اللَّه. «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ»[٦] لا إلٰه إلاَّ اللَّه «وَتَوَاصَوْا بالحَقِّ»[٧] لا إلٰه إلاَّ اللَّه. «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ»[٨] بلا[٩] إلٰه إلاَّ اللَّه. «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون»[١٠] عن قول لا إلٰه إلاَّ الله. «بَلْ جَاءَ بالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِين»[١١] هو لا إلٰه إلاَّ اللَّه. «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»[١٢] هو لاَ إلٰه إلاَّ اللَّه. «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمينَ»[١٢] عن قول: لا إلٰه إلاَّ اللَّه[١٣].

فصل[١٤]

قال عليه السلام[١٥]: «أفضل الذكر لاَ إلٰه إلاَّ اللَّه، وأفضل الدعاء أستغفر الله»، ثمّ تلا رسول الله ﷺ: «فاعْلَم أنّه لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ»[١٦] وقال عليه السلام[١٧]: «إِنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ مَلَكاً من الملائكة قبل أن خلق[١٨] السموات والأرض وهو يقول: أشهد[١٩] أن لا إلٰه إلاَّ الله مادًّا بها صوته لا يقطعها، ولا يتنفس

(١) في النسختين: الجلالة.
(٢) في النسختين: الحرمة.
(٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) وتكملة الآية: ﴿أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء﴾ [إبراهيم: ٢٤].
(٦) من قوله تعالى: ﴿من كانَ يريدُ العزَّة فَلِلَّه العِزَّة جميعاً إليه يصعدُ الكلم الطَّيب والعملُ الصالحُ يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].
(٧) من قوله تعالى: ﴿إلا الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبر﴾ [العصر: ٣].
(٨) من قوله تعالى: ﴿قل إنَّما أعظكم بواحدةٍ أنْ تقوموا للَّه مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكُم من جنَّة إن هو إلا نذيرٌ لكمْ بين يدي عذابٍ شديدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].
(٩) في ب: لا.
(١٠) [الصافات: ٢٤].
(١١) [الصافات: ٣٧].
(١٢) من قوله تعالى: ﴿يثبت اللَّهُ الَّذين آمنوا بالقول الثَّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة ويضلُّ اللَّهُ الظَّالمينَ ويفعلُ اللَّهُ ما يشاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١.
(١٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠ ـ ١١.
(١٥) في ب: قال ﷺ.
(١٦) من الآية [١٩] من سورة محمد. أخرجه ابن ماجه (أدب) ٢/ ١٢٤٩ والترمذي (دعوات) ٥/ ١٣٠.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) في ب: يخلق.
(١٩) أشهد: سقط من ب.

فيها، ولا يتمها، فإذَا أتمَّها أمر[١] إسرافيل بالنفخ في الصور وقامت[٢] القيامة تعظيماً لله تعالى»[٣].

وعن[٤] أنس قال عليه السلام[٥]: «ما زلت أشفع إلى ربي ويشفعني، وأشفع إليه ويشفعني، حتى قلت: يا رب فيمن قال: لا إله إلا الله. قال[٦]: يا محمد هذه ليست لك ولا لأحد وعزتي وجلالي، لا أدع أحداً في النار قال لا إله إلا الله» وقال سفيان الثوري: سألت جعفر بن محمد عن «حمٓ عسقٓ»[٧] فقال: الحاء حُكمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسين سناؤه والقاف قدرتُه، يقول الله عز وجل: بحكمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي لا أعذب بالنار من قال: لاَ إلٰه إلاَّ الله محمد رسول الله.

وعن ابن عمر[٨] قال عليه السلام[٩]: «من قال في الشوق: لا إلٰه إلاَّ اللَّه وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَمُوتُ بيدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قدِير، كَتَبَ اللَّه لهُ أَلفَ حَسَنةٍ ومَحَا عَنْهُ ألفَ سيئةٍ وبَنَى لَهُ بيتاً في الجَنَّةِ»[١٠]

وروي عن موسى بن عمران عليه السلام[١١] قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك به قال: قل: لا إلٰه إلاَّ اللَّه، قال: كل عبادك يقول[١٢]: لا إلٰه إلاَّ اللَّه. فقال[١٣]: قل: لا إلٰه إلاَّ اللَّه. قال: إنما أردت شيئاً تخصني به. قال يا موسى: لو أن السموات السبع ومن فوقهن في كفة[١٤] ولا إله إلاَّ اللَّه في كفة لمالتْ بهِنَّ لاَ إلٰه إلاَّ اللَّه.

فصل[١٥]

قيل: إنَّ لله تعالى أربعة آلاف اسم لا يعلمها إلا الله والأنبياء[١٦] أما الألف الرابعة فإن المؤمنين يعلمونها، فثلثمائة في التوراة، وثلثمائة في الإنجيل، وثلثمائة في الزبور ومائة في القرآنه تسعة[١٧] وتسعون ظاهرة وواحد مكنون[١٨] فمن[١٩] أحصاها دخل الجنة.

---

(١) في ب: أمر الله.
(٢) في ب: وقامة. وهو تحريف.
(٣) تعالى سقط في ب.
(٤) في ب: عن.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في الأصل: قالت. وهو تحريف.
(٧) [الشورى: ١، ٢].
(٨) في الفخر الرازي: قال عمر.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) أخرجه الترمذي (دعوات) ٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦، وابن ماجه (تجارات) ٢/ ٧٥٢، والدارمي (استئذان) ٢/ ٢٩٣، وأحمد ١/ ٤٧.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: يقولوا.
(١٣) في الأصل: قال.
(١٤) في كفة: سقط في ب.
(١٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢ ـ ١٣.
(١٦) في الفخر الرازي: يقال: إن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف لا يعلمها إلا الله تعالى وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة والأنبياء.
(١٧) في ب: وتسعة.
(١٨) في الأصل: وواحدة مكنونة.
(١٩) في الأصل: من.

واعلم أن الأسماء الواردة في القرآن منها ما ليس بانفراده ثناءً ومدحاً[١]، كقوله: جاعل، وفالق[٢]، وصانع. فإذا قيل: «فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً»[٣] صار[٤] مدحاً[٥] وأما الاسم الذي يكون مدحاً فمنه ما إذا قُرِنَ بغيره صار أبلغ نحو قولنا: حيّ، فإذا قيل: الحَيُّ القَيُّومُ، أو الحَيُّ[٦] الَّذِي لا يَمُوتُ. كان أبلغ. وأيضاً بديع. فإذا قلت: بَديعُ السَّمٰواتِ والأرضِ، ازداد المدح.

ومن هذا الباب ما كان اسم مدح ولكن لا يجوز إفراده، كقولنا: دَلِيلٌ، وكَاشِفٌ، فإذا قيل: يا دليلَ المتحيرين، يا كاشفَ الضُرِّ والبلوى جاز.

ومنه ما يكون اسم مدح مفرداً ومقروناً كقولنا: الرَّحيمُ الكريمُ[٧] (ومن الأسماء ما يكون تقارنُها أحسنَ كقولك: الأول الآخر، المبدىء المعيد، الظاهر الباطن، العزيز الحكيم)[٨].

قوله تعالى[٩]: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾.

قوله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إذْ رَأَى نَاراً»[١٠]... الآية: لما عظم حال القرآن، وحال الرسول عليه السلام[١١] بما كلَّفه أتبع ذلك بما يقوي قلبَ رسوله من ذكر أحوال الأنبياء تقوية لقلبه في الإبلاغ[١٢]، كقوله تعالى[١٣]: «وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّت به فُؤادَكَ»[١٤]. وبدأ بموسى لأن فتنته كانت أعظم (ليتسَلَّى قلبُ الرسول عليه السلام بذلك، ويصبر على تحمل المكاره. قوله: «وَهَلْ أَتَاكَ» يحتمل أن يكون هذا أول ما أخبر به من أمر موسى فقال: «وَهَلْ أَتَاكَ» أي لم يأتك إلى الآن)[١٥] وقد أتاك الآن فتنبه له، وهذا قول الكلبي. ويحتمل أن يكون قد[١٦] أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكأنه قال: أليس قد أتاك، وهذا قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس، وهذا وإن كان

(١) في ب: ومدح.
(٢) في ب: فالق وجاعل.
(٣) [الأنعام: ٩٦] و«جاعل» قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، و«جعل» قراءة عاصم وحمزة والكسائي. السبعة ٢٦٣.
(٤) صار: سقط من ب.
(٥) في ب: ثناء ومدح.
(٦) أو الحي: مكرر في الأصل.
(٧) في ب: الرحيم العزيز الحكيم.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤ ـ ١٥.
(١٠) «إذ رأى ناراً»: سقط في ب.
(١١) عليه السلام: سقط من ب.
(١٢) في ب: البلاغ.
(١٣) تعالى: سقط من ب.
(١٤) [هود: ١٢٠].
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب وفيه: أتاك لم يأتك ألما لأن وهو تحريف.
(١٦) قد: سقط في ب.

على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه، وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك: هَلْ بلغكَ عني كذا[١]؟ فيتطلع السامع إلى معرفة ما يرمي إليه، ولو[٢] كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من قِبَل[٣] موسى لا من قِبَل الله (تعالى)[٤][٥].

قوله: «إذْ رَأَى» يجوز أن يكون منصوباً بالحديث وهو الظاهر[٦] ويجوز أن ينتصب بـ (اذكر) مقدراً[٧] قاله أبو البقاء[٨]. أو بمحذوف بعده، أي إذ رأى ناراً[٩] كان كيت وكيت كما[١٠] قاله الزمخشري[١١]. و «هَلْ» على بابها من كونها استفهام تقرير[١٢]. وقيل: بمعنى قد. وقيل: بمعنى النفي[١٣]. وقرأ «لِإهْلِهُ امْكُثُوا» بضم الهاء حمزة، وقد تقدم أنه الأصل وهو لغة الحجاز[١٤].

وقال أبو البقاء: إن الضم (للإتباع)[١٥][١٦].

قوله: «آنَسْتُ» أي أبصرت، والإيناس: الإبصار والتبيُّن ومنه إنسان[١٧] العين، لأنه يبصر به الأشياء، والإنس لظهورهم كما قيل: الجن لاستتارهم. وقيل: هو الوجدان. وقيل: هو[١٨] الإحساس فهو أعم من الإبصار. وأنشدوا للحارث بن حلزة:

---

(١) في ب: هل بلغت عن هذا أو عن كذا. وهو تحريف.
(٢) في ب: وإن. (٣) قبل: سقط من ب.
(٤) آخر من نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤ ـ ١٥.
(٥) في ب: عز وجل.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٢٨، التبيان ٢/ ٨٨٥، البحر المحيط ٦/ ٢٣٠.
(٧) في ب: مقدم ما. وهو تحريف. (٨) انظر التبيان ٢/ ٨٨٥.
(٩) ناراً سقط من ب. (١٠) كما: سقط من ب.
(١١) قال الزمخشري: أو المضمر، أي: حين (رأى ناراً) كان كيت وكيت الكشاف ٢/ ٤٢٨.
(١٢) في ب: استفهام تقديره. وهو تحريف.
(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٢٩. قال أبو حيان بعد قوله: وقيل هل بمعنى قد: (والظاهر خلاف هذا، لأن السورة مكية، والظاهر أنه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا) وفي ب: وقيل بمعنى بعد، وقيل بمعنى قد أو النفي.
(١٤) قرأ حمزة وابن سعدان عن إسحاق المسيبي «لأهلهُ امكثوا» بضم الهاء والباقون يكسرون الهاء فيهما. انظر السبعة: ٤١٧ وحجة من ضم الهاء أنه أتى بالهاء على أصلها موصولة بالواو للتقوية، فلقيت الواو وهي ساكنة الميم من «امكثوا» وهي ساكنة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة تدل عليها. وحجة من كسر الهاء أنه أبدل من ضمة الهاء كسرة للكسرة التي قبلها، فانقلبت الواو ياء ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الميم بعدها، وبقيت الكسرة تدل عليها. انظر الكشف ٢/ ٩٥.
(١٥) قال أبو البقاء: (لأهله بكسر الهاء وضمها، وقد ذكر، ومن ضم أتبعه ما بعده) التبيان ٢/ ٨٨٥.
(١٦) في ب: لاتباع. وهو تحريف. (١٧) في ب: إيناس. وهو تحريف.
(١٨) هو سقط من ب.

٣٦٤٢ ـ آنَسْتُ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القُنْـ ـنَاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[١]

والقَبَس: الجَذْوَةُ[٢] من النار، وهي الشعلة في رأس عود أو قصبة و[٣] نحوهما وهو فعلٌ بمعنى مفعول كالقَبَض[٤] والنَّفَض[٥] بمعنى المقبوض والمنفوض. ويقال: أَقْبَسْتُ[٦] الرجلَ علماً، وَقَبَسْتُه ناراً، ففرقوا بينهما، هذا قول المبرد[٧]. وقال الكسائي: إن فعل وأَفْعَل يقالان في المعنيين فيقال: قَبَسْتُه ناراً وعِلماً وأَقْبَستُهُ أيضاً (ناراً وعلماً)[٨][٩]. وقوله: «مِنْهَا» يجوز أن يتعلق (بـ «آتِيكُمْ» أو)[١٠] بمحذوف على أنه حال من «قَبَس»[١١] وأمال بعضهم ألف «هُدًى» وقفاً، والجيد أن لا تُمال، لأن الأشهر أنها بدل[١٢] من التنوين[١٣].

فصل

قال المفسرون[١٤]: استأذن موسى شعيباً[١٥] في الرجوع من مَدْيَنَ إلى مصر لزيارة

---

(١) في الأصل: آنستُ نبأةً وقد روَّعها القُنَّاص وقدَّد بالإمساءِ. وفي ب: آنست نبأةً وقد ردعها القنَّاص وقد بالإمساء. وما أثبته هو الصواب. والبيت من بحر الخفيف من معلقته.
آنست: أحسَّت. وهو موطن الشاهد
النبأة: الصوتُ الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله. الإفزاع: الإخافة. القُنّاص: جمع قانص، وهو الصياد، العصر: العشيّ.

(٢) في ب: الجذو. (٣) في ب: أو.

(٤) القَبَض: ما قُبِضَ من الأموال.

(٥) النقض ـ بالتحريك: ما تساقط من الورق والثمر، وهو فعل بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض.

(٦) في ب: أقبس.

(٧) لم أعثر على هذا القول فيها رجعت إليه من كتب المبرد، وهو في البحر المحيط ٦/ ٢٢٢. والمبرد هو محمد بن يزيد الأزدي البصري أبو العباس المبرد، إمام العربية ببغداد في زمانه، أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني ومن مصنفاته معاني القرآن، الكامل، والمقتضب وغير ذلك. مات سنة ٢٨٥ هـ ببغداد. بغية الوعاة ١/ ٢٦٩ ـ ٢٧١.

(٨) اللسان (قَبس). (٩) ما بين القوسين في ب: عالماً وناراً.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب. (١١) انظر التبيان ٢/ ٨٨٥.

(١٢) في ب: بدلاً. وهو تحريف.

(١٣) قال أبو البقاء: (والجيد في هدًى هنا أن يكتب بالألف، ولا تمال: لأن الألف بدلٌ من التنوين في القول المحقق. وقد أمالها قوم، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون شبه ألف التنوين بلام الكلمة إذ اللفظ بهما في المقصور واحد.
والثاني: أن تكون لام الكلمة، ولم تبدل من التنوين شيئاً في النصب كما جاء: وآخذ من كلِّ حيّ عَصُمْ.
والثالث: أن تكون على رأي من وقف في الأحوال الثلاثة من غير إبدال) التبيان ٢/ ٨٨٥.

(١٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٥ ـ ١٦.

(١٥) في الأصل: شعيب.

والدته وأخته، فأذن له، فخرج بأهله، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام. فولدت امرأته في ليلة شاتية، وكانت ليلة الجمعة فألجأه السير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، فقدح زنده فلم يورِهِ، فبينما[١] هو في مزاولة[٢] ذلك إذ أبصر ناراً من بعيد على[٣] يسار الطريق من جانب الطور[٤].

قال السُّدي: فظن أنها نارٌ من نيران[٥] الرعاة.

وقال آخرون[٦]: إنه عليه السلام[٧] رآها في شجرة وليس في القرآن ما يدل على ذلك. وقال بعضهم: الذي رآه لم يكن ناراً[٨] (بل تخيله ناراً)[٩] والصحيح أنه رأى ناراً ليكون صادقاً في خبره، إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء[١٠]. قيل: النار أربعة أقسام:

نارٌ[١١] تأكل ولا تشرب، وهي نار الدنيا. ونارٌ تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر لقوله تعالى[١٢]: «جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً»[١٣].

ونار تأكل وتشرب وهي نار[١٤] المعدة. ونارٌ لا تأكل ولا تشرب، وهي نار موسى عليه السلام[١٥].

وقيل أيضاً: النار أربعة: أحدها: نارٌ لها نور بلا حرقة، وهي نار موسى عليه السلام[١٦].

ونارٌ لها حرقة بلا نور، وهي نار جهنم. ونارٌ لها حرقة ونور، وهي نار الدنيا. ونار لا حرقة لها ولا نور وهي نار الأشجار. فلما أبصر النار «قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا» يجوز أن يكون هذا الخطاب للمرأة[١٧] وولدها والخادم.

ويجوز أن يكون للمرأة وحدها خرج على ظاهر لفظ الأهل فإن الأهل يقع على الجمع وأيضاً فقد يخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيماً، أي: أقيموا في مكانكم. «إنِّي آنَسْتُ نَاراً». أي أبصرتُ ناراً، والإيناس: الإبصار وقيل: إبصار[١٨] ما يُؤنَسُ بِهِ ولما وجد الإيناس ـ وكان منتفياً ـ حقيقة لهم أتى بكلمة «إنِّي» ليوطن أنفسهم[١٩]. ولما كان

---

(١) في ب: فبينا. وهو تحريف.
(٢) المزاولة: معالجة الشيء، يقال: فلان يزاول حاجة له. اللسان (زَوَلَ).
(٣) في ب: عن.
(٤) انظر البغوي ٥/٤١٣.
(٥) في الأصل: نار. وهو تحريف.
(٦) في ب: وقيل.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: نار. وهو تحريف.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) في ب: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٣) من قوله تعالى: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾ [يس: ٨٠].
(١٤) في الأصل: النار. وهو تحريف.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) في ب: إلى المرأة.
(١٨) في ب: أيضاً. وهو تحريف.
(١٩) في ب: أهله.

الإتيان بالقَبَس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى[١] الأمر فيهما على الرجاء والطمع، فقال: «لَعَلِّي» ولم يقطع فيقول: إنِّي آتيكُمْ، لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به، والنكتة فيه أن قوماً قالوا: كَذَبَ إبراهيمُ للمصلحة وهو[٢] محال، لأن موسى عليه السلام[٣] قبل نبوته احترز فلم يقل: إنِّي آتِيكُمْ، بل قال «لَعَلِّي آتِيكُمْ». والقَبَسُ: النارُ المقتبسةُ في رأس عودٍ أو فتيلةٍ أو غيرهما. «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» أي ما يهتدى به وهو اسم مصدر[٤]، فكأنه قال: أجِدُ على النار ما أهتدي به من دليل أو علامة.

ومعنى الاستعلاء على[٥] النار: (أَنَّ أهلَ النارِ)[٦] يستعلون المكان القريب منها، ولأن المصطلين بها[٧] إذا أحاطوا بها كأنهم مشرفين عليها[٨]، فكأنه[٩] قال: أُجِدُ على النارِ مَنْ يَدُلُّنِي. «فَلَمَّا أَتَاهَا» أي النار، قال ابن عباس: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها[١٠] أطافت بها نار بيضاء تتّقد[١١] كأضوأ ما يكون فوقف متعجباً من شدة ضوء تلك[١٢] النار وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا النار تغير خضرتها، ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء[١٣] النار[١٤].

قال ابن مسعود[١٥]: كانت الشجرة سمرة خضراء.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت من العَوْسَج[١٦].

وقال وهب: كانت من العُلَّيْق[١٧]. وقيل: كانت من العِنَّاب[١٨][١٩].

قال أكثر المفسرين: إنَّ الذي رآه موسى[٢٠] لم يكن ناراً بل كان نورَ الربِّ (تبارك

---

(١) في ب: بين. وهو تحريف.
(٢) في ب: وهي. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) اسم المصدر: هو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه لفظاً وتقديراً دون عوض من بعض ما فعله، مثل توضأ وضوءاً وتكلم كلاماً. انظر شرح الأشموني ٢/ ٢٨٧.
(٥) في الأصل: في. وهو تحريف.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في الأصل لها. وهو تحريف.
(٨) في ب: إذا أشرفوا بها كأنهم أحاطوا بها.
(٩) في ب: كأنه.
(١٠) في ب: من أعلاها إلى أسفلها.
(١١) في ب: متعد. وهو تحريف.
(١٢) ضوء سقط من ب.
(١٣) في ب: لون.
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٥ ـ ١٦ بتصرف.
(١٥) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١٣.
(١٦) العَوْسَج: شجر من شجر الشوك. وله ثمر أحمر مدوَّر كأنه خرز العقيق. اللسان (عسج).
(١٧) العُلَيق: شجر من شجر الشوك لا يعظم، وإذا نشب فيه شيء لم يكد يتخلص من كثرة شوكه، وشوكه حجزٌ شداد. اللسان (علق).
(١٨) العنَّاب: من الثمر معروف الواحدة عنابة، وربما سمي ثمر الأراك عنَّاباً. اللسان (عنب).
(١٩) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤١٣.
(٢٠) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.

وَتَعالى)[1] ذُكِرَ[2] بلفظ النار، لأن موسى عليه السلام[3] حسبه ناراً فلما دَنَا مِنْها سمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً[4].

قال وهب[5]: ظن موسى أنها[6] نار[7] أوقدت[8]، فأخذ من دقاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت إليه كأنها تريده، فتأخر عنها وهابَها، ثم لم تزل تطمعه[9]، ويطمع[10] فيها، ثم لم يكن بأسرع من خمودها كأنها لم تكن ثم رمى موسى ببصره إلى فروعها، فإذا[11] خضرتها ساطعة في السماء، وإذا[12] نور بين السماء والأرض له شعاع تكل عنه الأبصار، فلما رأى موسى[13] ذلك وضع يديه على عينيه، فنودي يا موسى.

قال القاضي: الذي يروى من أن الزند ما كان يورى فجائز، وما رُوِي من[14] أن النار كانت تتأخر عنه، فإن كانت النبوة قد تقدمت له جاز ذلك وإلا فهو ممنوع إلاَّ أن يكون معجزة لغيره من الأنبياء، لأن[15] قوله: «وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ»[16] دليل على أنه إنما أوحي إليه في هذه الحالة[17]، وجعلة نبيًا. وعلى هذا يبعدُ ما ذكروه من تأخر النار عنه وبيَّنَ فسادَ ذلك، قوله تعالى: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ» ولو[18] كانت تتأخر عنه حالاً بعد حالٍ لَمَا صحَّ ذلك، ولَمَا بقي لفاء التعقيب فائدة.

والجواب: أنَّ القاضي بَنَى هذا الاعتراضَ على مذهبه في أنَّ الإرهاص غير جائز. وذلك باطل، فبطلَ قوله[19]، وأمَّا التمسُّك بفاء التعقيب فقريب، لأنَّ تخللَ الزمان القليل بين المجيء والنداء لا يقدح في فاء التعقيب[20].

قوله: «نودي» القائم مقام الفاعل ضمير موسى.

وقيل: ضميرُ المصدر، أي نُودِي النداء، وهو ضعيف. ومنعُوا أنْ يكون القائم مقامه الجملة من «يا مُوسَى»، لأن الجملةَ لا تكونُ فاعلاً[21].

---

(١) ما بين القوسين سقط في ب.
(٢) في ب: ذكر موسى.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) انظر البغوي ٥/٤١٣. وهو تحريف.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٦.
(٦) في ب: أنه. وهو تحريف.
(٧) في النسختين: ناراً. والصواب ما أثبته.
(٨) في ب: وقدت.
(٩) في ب: قطعه، وهو تحريف.
(١٠) في ب: وطمع.
(١١) في ب: فإذا هي.
(١٢) في ب: إذا.
(١٣) موسى: سقط في ب.
(١٤) من: سقط في ب.
(١٥) في ب: إلا أن.
(١٦) الآية: [١٣] من سورة طه.
(١٧) في ب: الحال.
(١٨) في ب: وإن.
(١٩) قوله: سقط من ب.
(٢٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٦.
(٢١) انظر التبيان ٢/٨٨٦. اختلف في الفاعل ونائبه هل يكونان جملة أم لا؟ فالمشهور المنع مطلقاً وهو=

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾

قوله: «إنِّي» قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء أي: بأنِّي[(١)]، لأن[(٢)] النداء[(٣)] يوصل بها. تقول[(٤)]: ناديتُه بكذا، وأنشد الفارسيُّ[(٥)] قول الشاعر:

٣٦٤٣ ـ نَادَيْتُ باسْمِ رَبيعَةَ بنِ مُكَدَّمِ ... إنَّ المُنَوَّهَ باسْمِهِ المَوْثُوقُ[(٦)]

وجوز ابن عطية أن تكون بمعنى: لأجل[(٧)]، وليس بظاهر. والباقون بالكسر[(٨)] إمَّا على إضمار القول كما هو رأي البصريين (أي فقيل)[(٩)(١٠)]. وإمَّا[(١١)] لأن النداء في معنى القول عند الكوفيين[(١٢)]. وقوله: «أَنَا» يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر (إنَّ) ويجوز أن يكون توكيداً للضمير المنصوب[(١٣)]. ويجوز أن يكون (فصلاً)[(١٤)(١٥)].

= مذهب البصريين وأجازه هشام وثعلب مطلقاً نحو (يعجبني قام زيدٌ). وفصل الفراء وجماعة ونسبوه لسيبويه فقالوا: إن كان الفعل قلبياً ووجد معلّق عن العمل نحو: (ظهر لي أقام زيد) صح، وإلا فلا، وحملوا عليه ﴿ثمَّ بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننَّه حتى حين﴾ [يوسف: ٣٥] ومنعوا (يعجبني يقوم زيد)، وأجازهما هشام وثعلب واحتجا بقوله:

وما راعني إلاّ يسير بشرطة ... وعهدي به قيناً يسير بكير

ومنع الأكثرون ذلك كله، وأوّلوا ما ورد مما يوهمه، فقالوا: في بدا ضمير البداء، ويسير على إضمار (أن) المغني ٢/٤٢٨، الهمع ١/١٦٤، حاشية الصبان ٢/٤٣.

(١) انظر السبعة ٣١٧، الحجة لابن خالويه (٢٤٠)، الكشف ٢/٩٦، النشر ٢/٣١٩ الاتحاف (٣٠٢).

(٢) في ب: أي لأنَّ البنا.

(٣) في ب: والنداء.

(٤) في ب: فيقال.

(٥) انظر إيضاح الشعر ٤٣٩.

(٦) البيت من بحر الكامل ولم ينسبه أبو علي إلى قائل. وهو في إيضاح الشعر ٤٥٩، تفسير ابن عطية: ١٠/٩، البحر المحيط ٦/ ٢٣٠، الخزانة ٦/٥٧، المنوه: ناه الشيء ينوه ارتفع وعلا، يقال: نوَّه فلان باسمه، ونوَّه فلان بفلان إذا رفعه وطير به وقوّاه. الموثوقُ: يريد الموثوق به. والشاهد فيه قوله (ناديت باسم) حيث وصل الفعل (نادى) بحرف الجر. وفيه شاهد آخر وهو أن الحذف من الصلات قد جاء في الشعر والتقدير: الموثوق به.

(٧) تفسير ابن عطية ١٠/٩.

(٨) انظر السبعة (٤١٧)، الحجة لابن خالويه (٢٤٠)، الكشف ٢/٩٦، النشر ٢/٣١٩ الإتحاف (٣٠٢).

(٩) الكشاف ٢/٤٢٨، التبيان ٢/٨٨٦، البحر المحيط ٦/ ٢٣٠.

(١٠) ما بين القوسين في ب: أو فعيل. وهو تحريف.

(١١) وأما: سقط في ب.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٠.

(١٣) لأن الضمير المرفوع المنفصل يؤكد به كل ضمير متصل مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً، قال السيوطي: (ويؤكد بالضمير المرفوع المنفصل كل ضمير متصل مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً مع مطابقته البدل له في التكلم والإفراد والتذكير وأضدادها نحو قمت أنا، وأكرمتني أنا، ومررت بك أنت، وأكرمته هو وهكذا) همع الهوامع ٢/ ١٢٥.

(١٤) انظر التبيان ٢/٨٨٦، البحر المحيط ٦/ ٢٣٠.

(١٥) في ب: فعلاً. وهو تحريف.

فصل

قال المفسرون: لمَّا نُودِي يَا مُوسَى[١] أجاب سريعاً ما يدري[٢] من دعاه، فقال: إنِّي أسمع[٣] صوتك ولا أرَى مكانَك، فأين أنت؟ فقال: أنا فوقَكَ، ومعَكَ، وأمامَكَ، وخلفَكَ، وأقربُ إليكَ منْ نفسِك. فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا للَّه عزّ وجلّ فأيقن به.

«فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» روى ابن مسعود مرفوعاً في قوله: «اخْلَعْ نَعْلَيْكَ» قيل: كانَتَا[٤] من جلد حمار ميت. ويروى غير مدبوغ.

وقال عكرمة ومجاهد: ليباشر بقَدَمَيْه[٥] تراب[٦] الأرض المقدسة، فيناله بركتها، لأنه قُدِّسَتْ مرتين، فخلعهما وألقاهُما من وراء الوادي[٧].

قيل: إنه عرف أن المنادي هو الله تعالى، لأنه رأى النار في الشجرة الخضراء[٨] بحيث إن تلك الخُضْرة[٩] ما كانت تطفيء تلك النار، وتلك النار ما كانت تنضر بتلك الخُضْرة، وهذا لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى[١٠].

قوله: «طُوَى» قرأ الكوفيون[١١] وابنُ عامر «طُوًى» بضم الطاء والتنوين.

وقرأ الباقون[١٢]: بضمها من غير تنوين[١٣].

وقرأ الأعمش والحسن وأبو حيوة[١٤] وابن محيصن بكسر الطاء منوناً[١٥]، وأبو[١٦] زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منون[١٧].

فمن ضمَّ ونوَّنَ فإنه صرفه: لأنَّه أوّله بالمكان[١٨]. ومن منعه فيحتمل أوجهاً[١٩]:

أحدها[٢٠]: أنه منعه للتأنيث باعتبار البقعة والعلمية[٢١].

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١٤. بتصرف يسير.

(٢) في ب: لا.

(٣) في ب: سمعت.

(٤) في النسختين: كانت، وما أثبته هو الصواب.

(٥) في الأصل: برجليه.

(٦) في ب: تراب الوادي أغنى.

(٧) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤١٤ بتصرف يسير.

(٨) في ب: الخضرة. وهو تحريف.

(٩) في ب: الشجرة وهو تحريف.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧.

(١١) وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي.

(١٢) وهم: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو.

(١٣) انظر السبعة: ٤١٧، الحجة لابن خالويه (٣٤٠)، الكشف ٢/ ٩٦ النشر ٢/ ٣١٩، الإتحاف (٣٠٢).

(١٤) في ب: أبو حيان. وهو تحريف.

(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣١. والإتحاف: ٣٠٢.

(١٦) في الأصل: أبي. وهو تحريف.

(١٧) انظر السبعة: ١٤٧. والبحر المحيط ٦/ ٢٣١.

(١٨) انظر البيان ٢/ ١٣٩، والتبيان ٢/ ٨٨٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٣١.

(١٩) في ب: وجهان. وهو تحريف.

(٢٠) في ب: الأول.

(٢١) انظر البيان ٢/ ١٣٩، والتبيان ٢/ ٨٨٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٣١.

الثاني[١]: أنَّه منعه للعدل إلى فُعَل، وإن لم يعرف اللفظ المعدول[٢] عنه وجعله كُعَمر وزُفَر[٣].

الثالث: أنه اسم أعجميٌّ فمَنْعُهُ للعلميةِ والعجمة[٤]. ومن كَسَر ولم يُنوِّن فباعتبار البقعة أيضاً[٥]. فإن كان اسماً فهو نظير عِنَب، وإن كان صفة فهو نظير عِدَى وسِوَى[٦]. ومن نَوَّنه فباعتبار المكان[٧].

وعن الحسن البصري: أنه بمعنى الثناء بالكسر والقصر، والثناء المكرر مرتين فيكون معنى هذه القراءة: أنه طهر مرتين، فيكون مصدراً منصوباً بلفظ (المقدس)، لأنه بمعناه، كأنه قيل: المقدس مرتين من التقديس[٨].

وقرأ عيسى بن عمر والضَّحَّاك «طَاوِيْ اذْهَب»[٩]. وطُوَى[١٠]: إما بدل من

---

(١) في ب: والثاني. (٢) في ب: للعدول. وهو تحريف.

(٣) البيان ٢/١٣٩، التبيان ٢/٨٨٦، البحر المحيط ٦/٢٣١.

العدل: هو صرفك لفظاً أولى بالمسمى إلى آخر، وهو فرع عن غيره، لأن أصل الاسم أن لا يكون محرفاً عما يستحقة بالوضع لفظاً أو تقديراً، ويمنع من الصرف مع الوصفية والعلمية، فالأول مقصور على شيئين: أحدهما: أخر جمع أخرى تأنيث آخر. والثاني: ألفاظ العدد المعدولة على وزن فعال ومفعل، والمسموع من ذلك أحاد وموحد، وثنى ومثنى، وثلاث ومثلث، ورباع ومربع، وخماس ومخمس وعشار ومعشر. ويمنع مع العلمية في خمسة أشياء: أحدها: ما جاء على فعل موضوعاً علماً، وهو معدول عن صيغة فاعل، والمسموع من ذلك: عمر، زفر، مضر، ثعل، هبل، زحل، عُصَم، قُزَح، جشم، جمح، جُحَا، دلف، بلع، بطن، وذكر الأخفش أن طوى من هذا النوع. الثاني: فعل المختص بالنداء كفسق، غدر، لكع، فإنها معدولة عن فاسق، غادر، ألكع. الثالث: فعل المؤكد به، وهو جمع كتع، بصع، بتع، جمع جمعاء، كتعاء بصعاء بتعاء. الرابع: سحر الملازم الظرفية، وهو المعين، أي المراد به وقت بعينه. الخامس: فعال علم المؤنث، كحذام، قطام، رقاش، غلاب سجاح أعلام لنسوة، وسكاب لفرس، وعرار لبقرة، وظفار لبلدة. الهمع ١/٢٥ ـ ٢٩.

(٤) البحر المحيط ٦/٢٣١. المراد بالعجمي: كل ما نقل إلى اللسان العربي من لسان غيرها سواء كان من لغة الفرس أم الروم أم الحبشة أم الهند أم البربر أم الإفرنج أم غير ذلك، وتعرف عجمة الاسم بوجوه، أحدها: أن تنقل ذلك الأئمة. الثاني: خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو: إبريسم، فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي. الثالث: أن يكون في أوله نون بعدها راء نحو: نَرجس، أو آخره زاي بعد دال نحو مهندزه فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية. الرابع: أن يجتمع في الكلمة من الحروف ما لا يجتمع في كلام العرب كالجيم والصاد نحو: صولجان، أو والقاف نحو منجنيق، أو الكاف نحو: أسرجة الخامس: أن يكون عارياً من حروف الذلاقة، وهو خماسي، أو رباعي، وحروف الذلاقة ستة يجمعها قولك (مر بنفل) الهمع ١/٣٢ ـ ٣٣.

(٥) البحر المحيط ٦/٢٣١. (٦) التبيان ٢/٨٨٦.

(٧) الكشف ٢/٩٦، البيان ٢/١٣٩، التبيان ٢/٨٨٦.

(٨) البحر المحيط ٦/٢٣١.

(٩) المختصر (٨٧)، المحتسب ٤٧٢، البحر المحيط ٦/٢٣١.

(١٠) طُوَى: سقط في ب.

الوادي[١] أو عطف[٢] بيان له[٣]. أو مرفوع على إضمار مبتدأ[٤]، أو منصوب على إضمار أعْنِي.

فصل[٥]

استدلت المعتزلة بقوله: «اخْلَعْ نَعْلَيْكَ» على أن كلام الله تعالى ليس[٦] بقديم، إذ لو كان قديماً لكان الله قائلاً قبل وجود موسى: اخْلَعْ نَعْلَيْكَ يَا مُوسَى، ومعلوم أن ذلك سفه، فإن الرجل في الدار الخالية إذا قال يا يزيد افعل، ويا عمرو لا تفعل مع أن زيداً وعمراً[٧] لا[٨] يكونان حاضرين[٩] يعد ذلك جنوناً وسفهاً. فكيف يليق ذلك[١٠] بالإله سبحانه وتعالى؟ وأجيب عن ذلك بوجهين:

الأول: أن كلامه تعالى وإن كان قديماً إلا أنه في الأزل لم يكن أمراً ولا نهياً.

الثاني: أنه كان أمراً بمعنى أنه وجد في الأزل شيء لما استمر إلى ما لا يزال صار الشخص به مأموراً من غير وقوع التغير في ذلك الشيء، كما أن القدرة تقتضي صحة الفعل، ثم إنها كانت موجودة في الأزل من غير هذه الصحة، فلما استمرت إلى ما لا يزال حصلت الصحة، فكذا ههنا، وهذا كلام فيه غموض وبحث دقيق.

فصل[١١]

قال بعضهم: في الآية دلالة على كراهة الصلاة والطواف في النعل، والصحيح عدم الكراهة، لأنا إن عللنا الأمر بخلع النعلين لتعظيم الوادي، وتعظيم كلام[١٢] الله تعالى كان الأمر مقصوراً على تلك الصورة.

وإن عللناه بأن النعليْن كانتا من جلد حمار ميِّت، فجائز أن يكون محظوراً لبس جلد الحمار الميت، وإن كان مدبوغاً، فإنْ كان ذلك فهو منسوخ بقوله عليه السلام: «أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ»[١٣] وقد صلى النبي ـ ﷺ ـ في نعليْه ثم خلعهما في الصلاة،

---

(١) البيان ٢/ ١٣٩، التبيان ٢/ ٨٨٦، البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٢) عطف: سقط من ب.
(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٤) أي: هو طوى. التبيان ٢/ ٨٨٦.
(٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧ ـ ١٨.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في الأصل: مع أن زيد وعمرو. وهو تحريف.
(٨) في الأصل: لم. وهو تحريف.
(٩) في الأصل: حاضرون. وهو تحريف.
(١٠) في ب: ذلك يليق.
(١١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨.
(١٢) كلام: سقط في ب.
(١٣) أخرجه مسلم (حيض) ١/ ٢٧٧، وأبو داود (لباس) ٤/ ٣٦٧، والترمذي (لباس) ٣/ ١٣٥، والنسائي (فرع) ٧/ ١٧٣، ومالك (صيد) ٢/ ٤٩٨ وأحمد ١/ ٢١١، ٢٧٠، ٣٤٣. الإهابُ: الجلدُ من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ. اللسان (أهب).

فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال: ما لكم خلعتم نعالكم؟ قالوا: خلعتَ فخلعنا قال: «فإنَّ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ[١] أخبرَنِي أنَّ فيهِمَا قذراً»[٢]. فلم يكره النبي ﷺ الصلاة في النعل[٣]، وأنكر على الخالعين خلعها، وأخبرهم أنه إنما خلعهما لما فيهما من القذر.

فصل

قال عكرمة وابن زيد: طُوَى: اسم للوادي[٤].

قال الضَّحاك: طُوَى: واد[٥] مستدير عميق مثل الطويّ في استدارته[٦].

وقيل: طُوَى معناه مرتين نحو ثنى. أي: قدِّس الوادي مرتين أي: نُودِيَ[٧] موسَى نِدَاءَيْن[٨] يقال: ناديته طُوًى أي: مثنى[٩]. وقيل: طُوى أي؛ طيًّا. قال ابن عباس: إنه مرَّ بذلك الوادي ليلاً[١٠] فطواه[١١]، فكان المعنى بالوادي الذي طويته طيًّا أي: قطعته حتى ارتفعت إلى أعلاه، ومن ذهب إلى هذا قال: طُوًى مصدر أخرج عن لفظه، كأنه قال: طويتُه أطوِي طُوًى كما يقال: هدى يهدي هُدًى[١٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾.

قوله تعالى[١٣]: «وَأَنَا اخْتَرْتُكَ»[١٤] أي للرسالة والكلام.

قرأ حمزة «وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ» بفتح الهمزة فضمير المتكلم المعظم نفسه[١٥].

وقرأ السلمي والأعمش وابن هرمز كذلك إلا أنهم كسروا الهمزة[١٦].

والباقون: «وَأَنَا اخْتَرْتُكَ» بضمير المتكلم وحده[١٧]. وقرىء «وأَنِّي اخْتَرْتُكَ» بفتح الهمزة[١٨].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) أخرجه أبو داود (صلاة) ١/٤٢٦ ـ ٤٢٧، والدارمي (صلاة) ١/ ٣٢٠، أحمد ٣/٢٠، ٩٢.
(٣) في ب: فلم يره النبي ﷺ ولم يكره الصلاة في النعل.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٨.
(٥) واد: سقط في ب.
(٦) انظر البغوي ٥/ ٤١٤ ـ ٤١٥.
(٧) في ب: نادى.
(٨) في ب: للمرائين. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٨.
(١٠) ليلاً: سقط في ب.
(١١) في ب: وطواه.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٨.
(١٣) تعالى: سقط من ب.
(١٤) في ب: «وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى».
(١٥) السبعة (٣١٧). الحجة لابن خالويه (٢٤٠)، الكشف ٢/٩٧، النشر ٢/ ٣٢٠، الإتحاف (٣٠٢).
(١٦) البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(١٧) السبعة (٤١٧)، الحجة لابن خالويه (٢٤٠)، الكشف ٢/ ٩٧، النشر ٢/ ٣٢٠، الإتحاف (٣٠٢).
(١٨) وهي قراءة أبيّ انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣١.

فأما قراءة حمزة فعطف على قوله «أَنِّي أَنَا رَبُّكَ» وذلك أنه يفتح الهمزة هناك ففعل ذلك لما عطف غيرها عليها[١]. وجوز أبو البقاء أن يكون الفتح على تقدير: وَلأنّا اخْتَرْنَاكَ فَاسْتَمِعْ، فعلقه باسْتَمِعْ[٢]. والأول أولى.

ومن كسرها فلأنه يقرأ «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» بالكسر[٣]. وقراءة أُبي كقراءة حمزة بالنسبة للعطف[٤]. ومفعول «اخْتَرْتُكَ» الثاني محذوف، أي اخترتك من قومك[٥].

قوله: «لِمَا يُوحَىٰ» الظاهر تعلقه بـ «اسْتَمِع» ويجوز أن تكونَ اللام مزيدة في المفعول على حد قوله تعالى «رَدِفَ لَكُمْ»[٦] وجوز الزمخشري وغيره أن تكون المسألة من باب التنازع بين «اخْتَرْتُكَ» وبين «اسْتَمِعْ» كأنه قيل: «اخْتَرْتُكَ لِمَا يُوحَى فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ». قال الزمخشري: فعلق اللام باسْتَمِعْ أو باخْتَرْتُكَ[٧] وقد رد أبو حيان هذا بأن قال: ولا يجوز التعليق باخْتَرْتُكَ لأنه من باب الإعمال فكان يجب[٨] أو يختار إعادة الضمير مع الثاني، فكان يكون: فاسْتَمِعْ لَهُ لِمَا يُوحَىٰ، فدل على أنه من باب إعمال الثاني[٩].

قال شهاب الدين: والزمخشري عنى التعليق المعنوي من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم يَعْنِهِ[١٠].

(و«ما»)[١١] يجوز أن تكون مصدرية وبمعنى الذي، أي فاسْتَمِعْ للوحي أو للذي يوحى[١٢])[١٣].

فصل[١٤]

هذه الآية تدل على أن النبوة لا تحصل بالاستحقاق، لأن قوله: «وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ» يدل

---

(١) قال أبو البقاء: (ويجوز أن يكون معطوفاً على «أنّي» أي بأنّي أنا ربك وبأنا اخترناك) التبيان ٢/ ٨٨٦.
(٢) قال أبو البقاء: (ويقرأ وأنا اخترناك على الجمع، والتقدير: لأنَّا اخترناكَ فاستمِع فاللام تتعلق باستمع) التبيان ٢/ ٨٨٦.
(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٤) قال أبو حيان: (وقرأ أبي وأنّي بفتح الهمزة وياء المتكلم «اخترتُكَ» بالتاء عطفاً) البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٦) من قوله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الّذي تستعجلون﴾ [النمل: ٧٢].
والاستشهاد بالآية على أن اللام من (لكم) زائدة والتقدير ردفكم. ويجوز ألا تكون اللام زائدة، ويحمل الفعل على معنى دنا لكم، أو قرب من أجلكم. انظر التبيان ٢/ ١٠١٣.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(٨) في البحر المحيط: فيجب.
(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(١٠) انظر الدر المصون ٥/ ٢١.
(١١) في النسختين: «وأنا»، والصوات ما أثبته، ولعله سهو من الناسخ.
(١٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩.

على أن ذلك المنصب[١] العالي إنما حَصَل لأنه تعالى اختاره له ابتداء لا أنه يستحقه على الله تعالى.

وقوله[٢]: «فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ» أي: إليك فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه قال: لَقَدْ جَاءَكَ أَمْرٌ عظيمٌ فتأهَّبْ له، واجعَلْ كلَّ عقلك[٣] وخاطرك مصروفاً إليه.

ثم قال: «إِنَّنِي[٤] أَنَا اللَّهُ لاَ إِلٰه إلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي» ولا تعبد غيري، وهذا يدل على أن علم الأصول مقدم على علم الفروع: لأن التوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع.

وأيضاً فالفاء في قوله: «فَاعْبُدْنِي» تدل على أن عبادته إنما لزمت لإلٰهِيَّتِهِ.

فصل[٥]

احتجُّوا بهذه الآية على أنه يجوز تأخير البيانِ عن وقت الحاجة من وجهين:

الأول: أنه تعالى بعد أن أمره بالتوحيد أمره بالعبادة، ولم يذكر كيفية العبادة فثبت أنه[٦] يجوز ورود المجمل منفكاً عن البيان.

الثاني: أنه قال: «أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي» ولم يبين كيفية الصلاة.

قال القاضي: لا يمتنع أن موسى عليه السلام[٧] ـ قد عرف الصلاة التي تعبَّدَ الله تعالى[٨] ـ بها شُعَيْباً ـ عليه السلام[٩] ـ وغيره من الأنبياء، فتوجه[١٠] الخطاب إلى ذلك، ويحتمل[١١] أنه تعالى بيَّن له في الحال، وإن كان المنقول في القرآن لم يذكر فيه[١٢] إلا هذا القول.

وأجيب عن الأول: بأنه لا يتوجه في قوله تعالى: «فَاعْبُدْنِي» وأيضاً[١٣] فحَمْلُ[١٤] مثل هذا الخطاب العظيم على فائدة جديدة أولى من حمله على أمر معلوم، لأن موسى ـ عليه السلام[١٥] ـ ما كان يشك في وجوب الصلاة التي جاء بها شعيب ـ عليه السلام ـ[١٦]، فلو حملنا قوله: «وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي» على ذلك لم يحصل من هذا الخطاب العظيم فائدة زائدة، أما لو حملناه عى صلاة أخرى لحصلت فائدة زائدة. وقوله: لعلَّ

---

(١) في ب: النصيب.
(٢) وقوله: سقط من ب.
(٣) في ب: فعلك.
(٤) في ب: إني. وهو تحريف.
(٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩.
(٦) أنه: سقط من الأصل.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) تعالى: سقط من ب.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: فيخرج. وهو تحريف.
(١١) في ب: ويجعل. وهو تحريف.
(١٢) فيه: تكملة من الفخر الرازي.
(١٣) وأيضاً: سقط من ب.
(١٤) في ب: وحمل.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: شعيباً عليه الصلاة والسلام.

اللَّهَ بيَّنه في ذلك الموضع[١]، وإن[٢] لم يحكه في القرآن قلنا: لا شك أن البيان (أكثر فائدة)[٣] من المجمل، فلو[٤] كان مذكوراً لكان أولى بالحكاية.

قوله: «لِذِكْرِي» يجوز أن يكون المصدرُ مضافاً لفاعله، أي: لأنِّي ذكرتُها في الكتب، أو لأني أذكرك. (ويجوز أن يكون مضافاً لمفعوله، أي: لأَنْ تَذْكُرَنِي[٥])[٦] وقيل: معناه ذكر الصَّلاة بعد نسيانها، لقوله ـ عليه السلام[٧] ـ: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إذَا ذَكَرَها»[٨].

قال الزمخشري: وكان حق العبارة لِذِكْرِهَا[٩] ثم قال: ومَنْ يَتمحّل[١٠] له أن يقول إذا ذكر الصلاة[١١] فقد ذكر الله أو على حذف مضاف أي لِذِكْر صلاتي، أو لأن الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة[١٢] وقرأ أبو رجاء[١٣] والسلمي «لِلْذِكْرَى» بلام التعريف وألف التأنيث[١٤]. وبعضهم: «لِذِكْرِي» منكَّرة[١٥] وبعضهم: «لِلذِّكْرِ» بالتعريف والتذكير[١٦].

فصل[١٧]

ذكرُوا في قوله تعالى[١٨]: «لِذِكْرِي» وجوهاً:

أحدها[١٩]: لِذِكْرِي بمعنى[٢٠] لِتَذْكُرَنِي، فإنَّ ذِكْرِي أنْ أُعْبَدَ ويُصَلَّى لِي.

والثاني[٢١]: لتَذْكُرني منها لاشتمال الصلاة على الأذكار؛ عن مجاهد.

---

(١) الموضع: سقط من ب.
(٢) أن: سقط من ب.
(٣) ما بين القوسين في ب: أفضل.
(٤) في ب: ولو.
(٥) انظر البيان ٢/ ١٣٩، التبيان ٢/ ٨٨٧، والبحر المحيط ٦/ ٢٣١.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) أخرجه الترمذي (صلاة) ١/ ١١٤، النسائي ١/ ٢٩٦، ٢٩٧، ابن ماجه (صلاة) ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، أحمد ٣/ ٢٤٣.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(١٠) في ب: يتحمل. وهي مكررة في ب.
(١١) في ب: الصلاة إذا ذكر الصلاة.
(١٢) الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(١٣) هو عمران بن تيم أبو رجاء العطاردي، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة، أسلم في حياة النبي ـ ﷺ ـ ولم يره عرض القرآن على ابن عباس، وتلقنه من أبي موسى، ولقي أبا بكر الصديق، وحدث عن عمر، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم روى القراءة عنه عرضاً أبو الأشهب العطاردي مات سنة ١٠٥ هـ طبقات القراء ١/ ٦٠٤.
(١٤) المختصر (٨٧)، البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(١٥) في ب: مؤنثة، وبعضهم منكره.
(١٦) البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(١٧) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩ ـ ٢٠.
(١٨) تعالى: سقط من ب.
(١٩) في ب: الأول.
(٢٠) في ب: يعني.
(٢١) في ب: وثانيها.

وثالثها: لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها.

ورابعها: لأن أَذكُرَك بالمدح والثناء.

وخامسها: لِذِكْرِي خاصة لا يشوبه ذكرُ غيري.

وسادسها: لتكون لي ذاكراً[1] غير ناس فعل المخلصين، كقوله: «لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه»[2].

وسابعها: لأوقات ذِكْري، وهي مواقيت الصلاة، لقوله: «إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً»[3].

وثامنها: أَقِم الصَّلاة[4] حين تذكرها أي: إنَّكَ إِذَا نسيتَ صلاةً فاقْضها إذا ذكرتَها، قال عليه السلام[5]: «مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَها لاَ كَفَّارَةَ لهَا إلاَّ ذَلِكَ» ثم قرأ «أَقِم الصَّلاَةَ (لِذِكْرِي»[6])[7]. قال الخطَّابي[8] هذا الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يكفرها غير قضائها.

والآخر: أنه لا يلزمه في نسيانها غرامة، ولا كفارة، كما تلزم الكفارة في ترك صوم رمضان من غير عذر، وكما يلزم المحرم إذا ترك شيئاً فدية من دم أو طعام[9] إنما يصلّي ما ترك فقط. فإن قيل[10]: حق العبادة أن يقول: صَلِّ الصَّلاةَ لذكرِها، كما قال عليه السلام[11]: «إذَا ذَكَرَها».

فالجواب[12]: قوله: «لِذِكْرِي» معناه: للذِّكْر[13] الحاصل بخَلْقِي. أو بتقدير حذف مضاف أي: لذكر صلاتي.

(فصل[14])[15]

لو فاتته صلاة[16] يستحب أن يقضيها على ترتيب الأداء، فلو ترك الترتيب في

---

(١) في ب: ذاكر.

(٢) من قوله تعالى: **﴿رجال لا تُلهيهمْ تجَارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر اللَّه وإقام الصَّلاة وإيتاء الزكاة يخافونَ يوماً تتقلَّب فيه القلوب والأبصار﴾** [النور: ٣٧].

(٣) [النساء: ١٠٣].

(٤) في ب: أقم الصَّلاة لذكرِي.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) هو عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن الخطابي أبو محمد البصري، روى عن يزيد بن زريع ومعمر بن سليمان وغيرهما، وعنه بكر الأثرم والعباس بن عبد العظيم وغيرهما مات بالبصرة سنة ٢٣٠ هـ. تهذيب التهذيب ٥/ ٣٣١.

(٩) في الأصل: طعامه. وهو تحريف.

(١٠) في ب: فصل.

(١١) في ب: علية الصلاة والسلام.

(١٢) فالجواب: سقط من ب.

(١٣) في ب: الذكر.

(١٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠ ـ ٢١.

(١٥) ما بين القوسين في ب: وقال بعضهم.

(١٦) في ب: الصلاة. وهو تحريف.

قضائها جاز عند الشافعي[١] - رحمه الله -[٢]، ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر[٣] فائتة، فإن كان في الوقت سعة استحب أن يبدأ بالفائتة، ولو بدأ بصلاة الوقت جاز، وإن ضاق الوقت بحيث لو بدأ بالفائتة فاتت صلاة الوقت فيجب البداءة[٤] بصلاة الوقت لئلا تفوت الأخرى. ولو تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت[٥] أتمّها ثم قضى الفائتة. ويستحبّ أن يعيد صلاة الوقت بعدها، ولا يجب. وقال أبو حنيفة رحمه الله: يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم الجمعة حتى قال: ولو[٦] تذكر في خلال صلاة الوقت فائتة تركها اليوم يبطل فرض الوقت، فيقضي الفائتة، ثم يعيد صلاة الوقت إلا أن يكون الوقت ضيّقاً فلا يبطل، واستدل بالآية والخبر والقياس والأثر. أما الآية فقوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي» أي لتذكرها و «اللام» بمعنى «عِنْدَ» كقوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ»[٧] أي عند دلوك الشمس[٨]، فالمعنى: أَقِمِ الصَّلاةَ عِنْدَ تَذَكرها، وذلك يقتضي وجوب الترتيب. وأما الخبر فقوله عليه السلام[٩]: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إذَا ذَكَرَها»[١٠] والفاء للتعقيب. وروي في الصحيحين أنَّ عُمَرَ بن الخطاب جاء إلى النَّبيِّ - ﷺ - يومَ الخندق فجعَلَ يَسُبُّ كفارَ قريش ويقول: والله يا رسول الله[١١] ما صلَّيْتُ العصرَ حتَّى كادَت الشَّمْسُ أن تغربَ. فقال النبي[١٢] ﷺ: «وَأَنَا[١٣] واللَّه ما صلَّيْتُها بعد» قال: فنزل إلى بُطْحَان[١٤] فَصلى العصرَ (بَعْدَ ما غَرَبَت الشمسُ)[١٥] ثم صلى بعدها المغرب[١٦]. والاستدلال به من وجهين:

أحدهما: أنه قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[١٧] وقد صلى الفوائت على الولاء فيجب علينا اتباعه[١٨].

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله الشافعي - رضي الله عنه - أحد أئمة الإسلام، أخذ القراءة عرضاً عن إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المكي. روى القراءة عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم. توفي سنة ٢٠٤ هـ. طبقات القراء ٢/ ٩٥ - ٩٧.

(٢) في ب: الله تعالى.

(٣) في ب: وتذكرها. وهو تحريف.

(٤) في ب: البداء.

(٥) في ب: بعد ما شرع في الصلاة.

(٦) في ب: لو.

(٧) [الإسراء: ٧٨] والاستشهاد بالآية على أن اللام بمعنى عند انظر المغني ١/ ٢١٣.

(٨) في ب: دلوكها.

(٩) في ب: فقوله عليه الصلاة والسلام.

(١٠) تقدم تخريجه.

(١١) في ب: يا رسول الله والله.

(١٢) في ب: رسول الله.

(١٣) في الأصل أنا.

(١٤) بطحان: موضع بالمدينة.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) أخرجه البخاري (مواقيت) ١/ ١١٢، ومسلم (مساجد) ١/ ٤٣٨، الترمذي (صلاة) ١/ ١١٦، والنسائي (أدب) ٣/ ٨٤، ٨٥.

(١٧) أخرجه البخاري (أذان) ١/ ١١٧، (أدب) ٤/ ٥٢، الدارمي (صلاة) ١/ ٢٨٦، أحمد ٥/ ٥٣.

(١٨) في ب: اثبات اتباعه.

والثاني: أن فعلَ النبي ـ ﷺ ـ إذا خرج مخرج البيان للمجمل[١] كان حجة، وهذا[٢] الفعل خرج بياناً لمجمل قوله: «أَقِيمُوا الصَّلاَةَ»[٣] ولهذا قالوا: إن الفوائت إذا كانت قليلة يجب مراعاة الترتيب فيها، فإذا كثرت سقط الترتيب للمشقة. وأما الأثر: فرُوِي عن ابن عمر أنه قال: «مَنْ فاتَهُ صلاةٌ فَلَمْ يَذْكُرْها إلا في صَلاَةَ الإمام فليمض في صلاته، فإِذَا قَضَى صلاتَه مع الإمَام يُصَلِّي ما فاته، ثم ليُعد[٤] التي صلاها مع الإمام»[٥] وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وأما القياس: فإنهما[٦] صلاتا فرض جمعهما وقت واحد[٧] في اليوم والليلة، فأشبهتا صلاتي[٨] عرفةِ والمزدلفة، فلما لم يجب إسقاط الترتيب فيهما، وجب أن يكون حكم الفوائت فيما[٩] دون اليوم والليلة كذلك. واحتج الشافعي رحمه الله[١٠] بما روى أبو قتادة[١١]: «أَنَّهُمْ لَمَّا نَامُوا عَنْ صَلاَةِ الفَجْرِ ثُمَّ انْتَبَهُوا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَمَرَهُمْ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يقُودُوا رَوَاحِلَهُم[١٢] ثُمَّ صَلاَّهَا». ولو كان وقت التذكير[١٣] معيناً للصلاة لما جاز ذلك، فعلمنا أن ذلك الوقت وقت[١٤] لتقرر الوجوب عليه، لكن لا على سبيل التضييق بل على سبيل التوسع، وإذا ثبت هذا فنقول: إيجاب قضاء الفوائت، وإيجاب أداء[١٥] فرض الوقت الحاضر يجري مجرى التخيير[١٦] بين الواجبين، فوجب أن يكون المكلف مخيراً في تقديم أيهما شاء، ولأنه لو كان الترتيب واجباً في الفوائت لما سقط بالنسيان، ألا ترى أنه إذا صلى الظهر والعصر بعرفة في[١٧] يوم غيْم، ثم تبين أنه صلى الظهر قبل الزوال (والعصر بعد الزوال)[١٨] فإنه يعيدهما جميعاً، ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما

---

(١) في ب: المجمل. وهو تحريف.
(٢) في ب: وكان. وهو تحريف.
(٣) قوله: ﴿أقيمُوا الصَّلاة﴾ ورد في القرآن إحدى عشرة مرة أولها: **﴿وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة واركعوا مع الرَّاكعين﴾** [البقرة: ٤٣].
(٤) في ب: ليعيد.
(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (قصر الصلاة في السفر) ١/١٦٨.
(٦) في ب: فلأنها.
(٧) في ب: وقتاً واحداً.
(٨) في ب: فأشبها صلاة. وهو تحريف.
(٩) في ب: فيهما. وهو تحريف.
(١٠) في ب: الله تعالى.
(١١) هو أبو قتادة الأنصاري السلمي، فارس رسول الله ـ ﷺ ـ اسمه الحارث بن ربعي، شهد أحداً والمشاهد، أخذ عنه ابنه عبد الله، وابن المسيب ومولاه نافع وخلق. مات سنة ٥٤ هـ بالمدينة. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(١٢) في ب: أن يعودوا أرواحهم. وهو تحريف.
(١٣) في النسختين: الصلاة. وما أثبتناه هو الصواب.
(١٤) في ب: ورما. وهو تحريف.
(١٥) في ب: قضاء. وهو تحريف.
(١٦) في ب: التخير.
(١٧) في: سقط من ب.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.

كان شرطاً فيهما، فهاهنا أيضاً لو كان الترتيب شرطاً فيهما لما كان[١] يسقط[٢] بالنسيان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

قوله تعالى[٣]: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

(لمَّا خاطب موسى عليه السلام بقوله: «فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي» أتبعَه بقوله: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا»)[٤]، وما أليق هذا بتأويل من تأوّل[٥] قوله: «لِذِكْرِي» أي لأذكرك بالإثابة والكرامة فقال عقيب ذلك «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» لأنها وقت الإثابة ووقت المجازاة، ثم قال «أَكَادُ أُخْفِيهَا»[٦]. العامة على ضم الهمزة من «أُخْفِيهَا»[٧].

وفيها تأويلات:

أحدها: أن الهمزة في «أُخْفِيهَا» للسلب والإزالة، أي: أزيل خفاءها نحو: أَعْجَمْتُ الكتابَ أي: أزلت عجمتَه، وأشكيتُه أي أزلت شكواه[٨]، ثم في ذلك معنيان:

أحدهما: أن الخفاءَ بمعنى (الستر[٩])[١٠]، ومتى أزال سترها فقد أظهرها، والمعنى: أنها لتحقّق وقوعها وقربها[١١] أكاد أظهرها لولا ما تقتضيه الحكمة من التأخير.

والثاني: أن الخفاءَ هو الظهور[١٢] كما سيأتي، والمعنى: أزيل ظهورها، وإذا[١٣] أزال ظهورها فقد استترت، والمعنى: أن[١٤] لشدّة إبهامها أكادُ أخفيهَا فلا أظهرها ألبتة وإن كان لا بد من إظهارها، ولذلك[١٥] يوجد في بعض المصاحف كمصحف أُبَيّ: «أَكَادُ أُخْفِيهَا من[١٦] نفسي فكيف أظهركم عليها»[١٧] وهو على عادة العرب في المبالغة في الإخفاء، قال الشاعر:

٣٦٤٤ ـ أَيَّامَ تَصْحَبُنِي هِنْدٌ وَأُخْبِرُهَا ... مَا كِدْتُ أَكْتُمُه عَنِّي مِنَ الخَبَرِ[١٨]

---

(١) كان: سقط من ب.
(٢) في ب: سقط. وهو تحريف.
(٣) تعالى: سقط من ب.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: بتأويل من تأويل.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١.
(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(٨) البيان ٢/ ١٣٩، التبيان ٢/ ٨٨٧، البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(١٠) ما بين القوسين في الأصل: السر.
(١١) وقربها: سقط من ب.
(١٢) وهو من الأضداد. انظر مجاز القرآن ٢/ ١٦، التبيان ٢/ ٨٨٧ والبحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(١٣) في ب: إذا.
(١٤) في الأصل: أني.
(١٥) في ب: وكذلك.
(١٦) في ب: في.
(١٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٦، المختصر (٨٧)، البحر المحيط ٦/ ٢٣٣.
(١٨) البيت من بحر البسيط لم أهتد إلى قائله وهو في القرطبي ١١/ ١٨٥، البحر المحيط ٦/ ٢٣٣. وروي الشطر الثاني في تفسير القرطبي: مَا أكتم النفس من حاجي وأسراري.

وكيف يتصوّر كتمانه من نفسه؟ قال القاضي: هذا بعيد، لأن الإخفاء إنما يصح ممن يصح له الإظهار[١]، وذلك[٢] مستحيل عليه تعالى، لأن كلَّ معلوم معلومٌ له، فالإظهار والإسرار فيه مستحيل. ويمكن أن يُجاب بأن ذلك واقع على التقدير، بمعنى لو صح مني[٣] إخفاؤه عن[٤] نفس لأخفيته[٥] عني، والإخفاء وإن كان محالاً في نفسه إلا أنه يمتنع أن يذكر على هذا التقدير، مبالغة في عدم إطلاع الغير عليه[٦].

والتأويل الثاني: أن (كَادَ)[٧] زائدة[٨] قاله ابن جبير[٩]، وأنشد غيره[١٠] شاهداً عليه قول زيد الخيل[١١]:

٣٦٤٥ ـ سَرِيعٌ إلَى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلاَحَهُ ... فَمَا إنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ[١٢]

وقول الآخر:

٣٦٤٦ ـ وَأَنْ لاَ أَلُومُ النَّفْسَ مِمَّا[١٣] أَصَابَنِي ... وَأَنْ لاَ أَكَادُ بالَّذِي نِلْتُ أَنْجَحُ[١٤]

ولا حجة في شيء منه[١٥].

---

(١) في ب: لأن الانتقال إنما يحصل له الإظهار. وهو تحريف.
(٢) في ب: هذا.
(٣) في الأصل: عني.
(٤) في الأصل: من.
(٥) في ب: وأخفيته. وهو تحريف.
(٦) الفخر الرازي: ٢٢/ ٢٢.
(٧) في الأصل: كان. وهو تحريف.
(٨) البحر المحيط ٦/ ٢٣٣.
(٩) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي كان فقيهاً، ورعاً، وكان من سادات التابعين علماً وفضلاً، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ طيه أبو عمرو قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ. طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٨٨، طبقات القراء ١/ ٣٠٥.
(١٠) قطرب. قال ابن منظور: (واحتج قطرب بقول الشاعر: البيت) اللسان (كيد).
(١١) زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيِّ سنة تسع، فأسلم وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقال له: «ما وصف لي أحدٌ في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيتهُ دون الصِّفة غيرك». وكان زيد الخيل شاعراً محسناً خطيباً شجاعاً.
انظر الشعر والشعراء ١/ ٢٩٢ والخزانة ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(١٢) البيت من بحر الطويل، وهو في الطبري ١٦/ ١١٥، الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢، والقرطبي ١١/ ١٨٤، اللسان (كيد)، البحر المحيط ٦/ ٢٣٣. الهيجاء: الحرب. القِرْن ـ بكسر القاف ـ الكفؤ والنظير في الشجاعة والحرب واستشهد به على زيادة (كاد) لأن المراد: فما يتنفس.
(١٣) في ب: فيما.
(١٤) البيت من بحر الطويل. لم أهتد إلى قائله، وهو في القرطبي ١١/ ١٨٤، البحر المحيط ٦/ ٢٣٣. واستشهد به على زيادة (كاد)، فالمعنى: وألا أنجح بالذي نلت.
(١٥) فـ (كاد) على بابها بمعنى أنها لمقاربة ما لم يقع، لأن المعنى في البيتين على وجود (كاد)، لأنه بالنسبة للبيت الأول، كان يتنفس فعلاً ولكن بصعوبة، وبالنسبة للبيت الثاني، وصل إلى النجاح بالذي نال، وإنْ كان في الوصول إليه صعوبة حتى كاد لا يصل. وفي الآية عبارة عن شدة خفاء أمر القيامة ووقتها، ولما كان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس، بالغ تعالى في إعتام وقتها فقال: =

والتأويل الثالث: أنَّ الكيدَ ورد بمعنى الإرادة، قاله الأخفش[(١)] وجماعة، وهو قول أبي مسلم[(٢)]، فهو[(٣)] كقوله: («كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ»[(٤)] ومن أمثالهم المتداولة: لا أفعَلُ ذَلِكَ وَلاَ أَكادُ[(٥)].

أي: لا أُريد أنْ[(٦)] أفعله[(٧)]، وهذا)[(٨)] لا ينفع فيما قصدوه.

التأويل[(٩)] الرابع: أنَّ خبرها محذوف، تقديره: أكادُ آتِي بها لقُرْبِها[(١٠)]، وأنشدوا[(١١)] قول ضابىء[(١٢)] البرجمي[(١٣)]:

٣٦٤٧ـ هَمَسْتُ وَلَمْ[(١٤)] أَفعَلْ وَكِدْتُ[(١٥)] وَلَيْتَنِي ... تَرَكْتُ عَلى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلائِلُهْ[(١٦)]

أي: وكدت أفعل. فالوقف على «أَكَادُ» والابتداء بـ «أُخْفِيهَا»، واستحسنه أبو جعفر[(١٧)].

= «أكادُ أخفيها» حتى لا تظهر ألبتة، ولكن ذلك لا يقع، ولا بد من ظهورها.
انظر تفسير ابن عطية ١٠/ ١٥ ـ ١٦.

(١) قال الأخفش: (وزعموا أن تفسير «أكاد»: أريد، وأنها لغة لأن(أريد) قد تجعل مكان (أكادُ) مثل: جداراً يريد أن ينقضَّ [الكهف: ٧٧] أي: يكاد أن ينقض فكذلك (أكاد) إنما هي: أريد وقال الشاعر: (من الكامل)

كادت وكدت وتلك خير إرادةٍ ... لو عادَ من لهوِ الصَّبابة ما مضى)

معاني القرآن ٢/ ٥٩٥، ٥٩٦.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢، البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.

(٣) في ب: وهو.

(٤) [يوسف: ٨٦].

(٥) لا يوجد في كتب الأمثال مثلٌ بهذه الصيغة وفيها أمثال كثيرة تتصل بأيمانهم على عدم الفعل، وما في معنى لا أفعل كذا أبداً. وأقرب الأمثال إلى هذه الصيغة: لا أفعل ذلك ما جَبَحَ ابن أتان. قاله ابن عدي، يقال: جَبَحَ وجبخ بالحاء والخاء. وابن أتان: الجحش، أي: لا أفعل كذا أبداً.
مجمع الأمثال للميداني ٣/ ١٧٣.

(٦) أن: زيادة يقتضيها السياق.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢. والبحر المحيط ٦/ ٢٣٢.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) التأويل: سقط من ب.

(١٠) البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.

(١١) في ب: وأنشد.

(١٢) في ب: صاحب. وهو تحريف.

(١٣) هو ضابىء بن الحارث بن أرطاة من بني غالب بن حنظلة التميمي البرجمي، أدرك النبي ﷺ، وكان يقنص الوحش. الخزانة ٩/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧.

(١٤) في ب: لعممت لم. وهو تحريف.

(١٥) ف ب: وكبن. وهو تحريف.

(١٦) البيت من بحر الطويل قاله ضابىء البرجمي وهو في الكامل ٢/ ٤٩٦، ٥٠٣، إيضاح الشعر ٢٢٩، ٥٨٦، الشعر والشعراء ١/ ٣٥٨، الطبري ١٦/ ١١٥، القرطبي ١١/ ١٨٣، اللسان (قير) البحر المحيط ٦/ ٢٣٣، والخزانة ٩/ ٣٢٣.
والشاهد فيه حذف خبر (كاد) والتقدير: وكدت أفعل، وخبر أفعال المقاربة يحذف إن علم.

(١٧) أي النحاس. فإنه قال: (معنى الضم أولى، ويكون التقدير: إنَّ السَّاعة آتيةٌ أكاد آتي بها، ودل (آتية) على (آتي بها)، ثم قال جل وعز: «أخفيها» على الابتداء. وهذا معنى صحيح، لأن الله جل وعز قد=

وذكر ابن الخطيب هنا سؤالاً: فقال: إنَّ (كادَ) نفيه إثبات وإثباته نفي[١]، قال تعالى: «وَمَا كَادُوا[٢] يَفْعَلُون»[٣]، أي: ففعلوا ذلك[٤]، فقوله[٥]: «أَكَادُ أُخْفِيهَا» يقتضي أنه ما أخفاها.

وذلك باطل لوجهين:

أحدهما: لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»[٦].

الثاني: إنَّ قوله[٧]: «لِتُجْزَى[٨] كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار. ثم أجاب بوجوه:

الأول: أنَّ «كَادَ» موضوع للمقاربة فقط من غير بيان النفي والإثبات، فقوله: «أَكَادُ أُخْفِيهَا» معناه: قرب الأمر فيه من الإخفاء. وأَمَّا أنَّه هل[٩] حصل ذلك الإخفاء أو ما حصل فهو غير مستفاد من اللفظ بل بقرينة قوله: «لتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» فإن ذلك إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار.

الثاني: أنَّ (كَادَ) من الله: وجب، فمعنى قوله: أَكَادُ أُخْفِيهَا» أي: أنا أُخْفِيها عن الخلق، كقوله: «عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً»[١٠] أي هو[١١] قريبٌ قاله الحسن[١٢]. وذكر باقي[١٣] التأويلات المتقدمة[١٤].

وقرأ أبو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد: «أَخْفِيهَا» بفتح الهمزة[١٥]

= أخفى الساعة التي هي يوم القيامة، والساعة التي يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل، والأمر عنده مهم ولا يؤخر التوبة) إعراب القرآن ٢/ ٣٥ ـ ٣٦.

(١) قال ابن مالك عن ذلك في شرح الكافية: (ومن زعم هذا فليس بمصيب، بل حكم (كادَ) حكم سائر الأفعال في أنَّ معناها منفي إذا صحبها حرف نفي، وثابت إذا لم يصحبها.
فإذا قال قائل: كاد زيد يبكي. فمعناه: قارب زيد البكاء، المقاربة ثابتة، ونفس البكاء منتف.
فإذا قال: لم يكد يبكي، فمعناه لم يقارب البكاء، فمقاربة البكاء منتفية، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة).
شرح الكافية ١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩.

(٢) في ب: ومادوا. وهو تحريف.

(٣) [البقرة: ٢١].

(٤) قال ابن مالك في شرح الكافية عند تعليقه على هذا الآية (فكلامٌ يتضمن كلامين مضمون كل واحد منهما في وقت غير وقت الآخر. والتقدير: فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها غير مقاربين له. وهذا واضح ـ والله أعلم ـ) ١/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

(٥) في ب: فقال. وهو تحريف.

(٦) [لقمان: ٣٤].

(٧) في ب: قوله تعالى.

(٨) في ب: ولتجزى. وهو تحريف.

(٩) في ب: قد.

(١٠) [الإسراء: ٥١].

(١١) هو: سقط من ب.

(١٢) الفخر الرازي ٢٢/ ٢١ ـ ٢٢.

(١٣) في ب: ذكرنا في. وهو تحريف.

(١٤) تقدمت قبل صفحات.

(١٥) انظر المختصر: (٨٧)، البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.

والمعنى: أظهرها بالتأويل المتقدم[١]، يقال: خَفَيْتُ الشيء[٢]: أظهرتُه وأخفيتُه سترتُه[٣] هذا هو المشهور وقد نقل عن أبي الخطاب أَنَّ خَفَيْتُ وأَخْفَيْتُ بمعنى[٤]. وحكي عن أبي عبيد[٥] أَنَّ أَخْفَى من الأضداد يكون بمعنى أَظْهَر[٦] وبمعنى سَتَر. وعلى هذا تتحد (القراءتان)[٧][٨]. ومن مجيء خَفَيْتُ بمعنى أظهرت قول امرىء القيس:

٣٦٤٨ ـ خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ[٩] كَأَنَّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عِشِيٍّ[١٠] مُجَلِّبِ[١١]

(وقول الآخر:

٣٦٤٩ ـ فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وَإِنْ تُوقِدُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ[١٢])[١٣]

قال الزجاج: وهذه القراءة أَبْيَنُ، لأن معناها: أكادُ أَظْهِرُها[١٤] (فيفيد أنه قد أخفاها)[١٥]. والحكمة في إخفاء الساعة وإخفاء وقت الموت: أَنَّ الله تعالى وعد قبولها التوبة عند قربهما[١٦]، فلو عرف وقت الموت لاشتغل بالمعصية إلى وقت[١٧] قرب ذلك الوقت[١٨] ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية، فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل معصية وهو لا يجوز[١٩]. قوله: «لِتُجْزَى» هذه لام كي[٢٠]، وليست بمعنى[٢١]

---

(١) وهو المعنى الثاني من التأويل الأول.
(٢) في ب: أخفيته.
(٣) اللسان (خفا).
(٤) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٦. والبحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(٥) هو القاسم بن سلام أبو عبيد كان إمام أهل عصره في كل فن من العلم، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم من مصنفاته الغريب المصنف، غريب القرآن غريب الحديث معاني القرآن وغير ذلك. مات سنة ٢٣٠ هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٥٣ ـ ٣٥٤.
(٦) في ب: ظهر.
(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
(٨) ما بين القوسين في ب: القرائتين. وهو تحريف.
(٩) في ب: انعائهن. وهو تحريف.
(١٠) في ب: خشي. وهو تحريف.
(١١) البيت من بحر الطويل قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (٥١) ومجاز القرآن ٢/ ١٧، والمحتسب ٢/ ٤٨، والقرطبي ١١/ ١٨٣، اللسان (جلب ـ خفا ـ نفق)، البحر المحيط ٦/ ٢٣٢. خفاهنَّ: أظهرهنَّ. وهو موطن الشاهد هنا. الأنفاق: أسراب تحت الأرض جمع نفق. الودق: المطر. المجلِّب: الذي له جلبة أي صوت.
(١٢) البيت من بحر المتقارب قاله امرؤ القيس وهو في ديوانه (١٨٦) ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٧، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٩٥ ومجاز القرآن ٢/ ١٧، والطبري ١٦/ ١١٤، والكشاف ٢/ ٤٣٠، والقرطبي ١١/ ١٨٣، واللسان (خفا) والبحر المحيط ٦/ ٢٨٢. والشاهد فيه أن قوله (لا نخفه) بمعنى لا نظهره.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) انظر معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٥٣.
(١٥) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١٦) في ب: قربها. وهو تحريف.
(١٧) وقت: سقط من الأصل.
(١٨) في الأصل: الموت.
(١٩) الفخر الرازي: ٢٢/ ١١.
(٢٠) هي لام التعليل.
(٢١) وليست بمعنى: مكرر في الأصل.

القسم[١] أي: لِتُجْزَيَّن كما نقله أبو البقاء عن بعضهم[٢]، وتتعلق هذه اللام بأُخْفِيها[٣]. وجعلها[٤] بعضهم متعلقة بـ (آتِيَةٌ)[٥]، وهذا لا يتم إلا إذا قدرت أن «أَكَادُ أُخْفِيهَا» معترضة بين المتعلق والمتعلق به، أما إذا جعلتها صفة (آتِيَةٌ) فلا يتم على مذهب البصريين، لأن اسم[٦] الفاعل متى[٧] وصف لم يعمل فإن عمل ثم وصف جاز[٨].

وقال أبو البقاء: وقيل: بـ (آتِيَةٌ)، ولذلك[٩] وقف بعضهم على ذلك[١٠] وقفة يسيرة[١١] إيذاناً بانفصالها عن (أخفيها)[١٢][١٣].

قوله: «بِمَا تَسْعَى» متعلق بـ «لِتُجْزَى»[١٤]. و «مَا» يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة اسمية[١٥]، ولا بد من مضاف، أي: لِتُجْزَى بعقاب سعيها، أو: بعقاب ما سعته.

فصل

لمَّا حكم بمجيء الساعة ذكرَ الدليلَ عليه، وهو أنه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي، وهو المعنيُّ بقوله: «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ[١٦]»[١٧].

واحتجت المعتزلة بهذه الآية[١٨] على أن الثواب مستحق على العمل، لأن (الباءَ) للإلصاق، فقوله: «بِمَا تَسْعَى» يدل على أن المؤثر في ذلك الجزاء[١٩] هو ذلك السعي[٢٠] واحتجوا بها أيضاً على أن فعل العبد غير مخلوق لله تعالى، لأن الآية صريحة[٢١] في إثبات

---

(١) قال ابن الأنباري: (وكان أبو حاتم السجستاني يجعل هذه اللام لام القسم) البيان ٢/ ١٤٠.
(٢) قال أبو البقاء: (وقيل لفظه لفظ كي وتقديره القسم، أي: لتجزينَّ) التبيان ٢/ ٨٨٧.
(٣) انظر البيان ٢٠/ ١٣٩، التبيان ٢/ ٨٨٧.
(٤) في الأصل: وجمل ما. وهو تحريف.
(٥) قال أبو حيان: (واللام على قراءة الجمهور. قال صاحب اللوائح: متعلقة بآتية، كأنه قال: إنَّ الساعة آتية لتجزى) البحر المحيط ٦/ ٢٣٢.
وانظر الكشاف ٢/ ٤٣٠، التبيان ٢/ ٨٨٧.
(٦) اسم: سقط من ب.
(٧) في ب: إذا.
(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٢، شرح الأشموني ٢/ ٢٩٢.
(٩) في الأصل: وذلك.
(١٠) في ب: عليه.
(١١) في ب: بسيرة كما. وهو تحريف.
(١٢) في ب: بأخفيها. وهو تحريف.
(١٣) التبيان ٢/ ٨٨٧.
(١٤) في الأصل: تجزى.
(١٥) التبيان ٢/ ٨٨٧.
(١٦) من قوله تعالى: **﴿أم نجعلُ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات كالمفسدينَ في الأَرض أم نجعل المتَّقين كالفجّار﴾** [ص: ٢٨].
(١٧) انظر الفخر الرازي: ٢٢/ ٢٢.
(١٨) المقصود بالآية قوله تعالى: **﴿إنَّ السَّاعة آتيةٌ أكادُ أخفيها لتجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى﴾**.
(١٩) في ب: القضاء والجزاء. وهو تحريف.
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢.
(٢١) في ب: لأن الله تعالى صرح.

سعي العبد، ولو[١] كان الفعل مخلوقاً لله تعالى لم يكن للعبد سعي ألبتة[٢].

قوله: «فَلاَ يَصُدَّنَكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا» من لا يؤمن هو المنهي صورة، والمراد غيره، فهو من باب: لا أَرَيَنَّك هَهُنا[٣]. وقيل: إن صدَّ الكافرين[٤] عن التصديق بها سبب للتكذيب، فذكر السبب ليدل على المسبب[٥]. والضميران في «عَنْهَا» و«بِهَا» للسَّاعة[٦] قاله ابن عباس[٧]، وذلك لأنه يجب عود الضمير إلى أقرب مذكور وهو هنا الساعة[٨]. وقيل: للصلاة[٩].

وقال أبو مسلم: الضمير في (عَنْهَا) للصَّلاة، وفي (بِهَا) للسَّاعة، قال: وهذا جائز في اللغة[١٠]، فالعرب[١١] تلف الخبرين ثم[١٢] ترمي بجوابهما جملة ليرد السامع إلى كل خبر[١٣] حقه[١٤].

وأجيب[١٥] بأنَّ هذا إنما يصار إليه عند الضرورة ولا ضرورة (ههنا[١٦])[١٧].

قوله[١٨]: «فَتَرْدَى» يجوز فيه أن ينتصب في جواب النهي بإضمار (أَنْ)[١٩] وأن يرتفع[٢٠] على خبر ابتداء مضمر تقديره: فَأَنْتَ تَرْدَى[٢١].

وقرأ يحيى: «تِرْدَى» بكسر التاء[٢٢]، وقد تقدم أنها لغة والرَّدَى الهلاك يقال: رَدِيَ يَرْدَى رَدًى[٢٣]، قال دُرَيْد (بن الصمة)[٢٤][٢٥]:

---

(١) في ب: فلو.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(٣) قال سيبويه في هذا: (باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي: ومثله من النهي لا يرينك ههنا، ولا أرينك ههنا) الكتاب ٣/ ١٠١، وقد تكلم العلماء في إمكان النهي لغير المخاطبة فقالوا إنه من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية، من إطلاق المسبب وإرادة السبب، أي لا يمكن منك وجود حتى لا يراك أو لا أراك، فصد الكافر مسبب عن رخاوة الرَّجل في الدِّين، فذكر المسبب ليدل على السبب).
انظر الكشاف ٢/ ٤٣٠، البحر المحيط ٦/ ٣٣٣.
(٤) في ب: الكافر.
(٥) انظر: الكشاف ٢/ ٤٣٠.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٣.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(٨) هذا التعليل من كلام القاضي. انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٣.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: والعرب.
(١٢) في ب: لم. وهو تحريف.
(١٣) في ب: ليرمي السامع وليرد إلى كل. وهو تحريف.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(١٥) هذا جواب القاضي عما قاله أبو موسى.
(١٦) الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(١٧) ههنا: سقط من ب.
(١٨) قوله: سقط من ب.
(١٩) في ب: أنه. وهو تحريف.
(٢٠) في ب: يرفع.
(٢١) انظر التبيان ٢/ ٨٨٧، البيان ٢/ ١٤٠، البحر المحيط ٦/ ٢٣٣.
(٢٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٣.
(٢٣) اللسان (ردى).
(٢٤) هو دريد بن الصمة الجشمي شجاع شاعر، جعله محمد بن سلام أول الشعراء الفرسان عاش نحواً من مائتي سنة حتى سقط حاجباه على عينه، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل يوم حنين كافراً. الخزانة ١١/ ١١٨ ـ ١٢١.
(٢٥) ابن الصمة: سقط من ب.

٣٦٥٠ ـ تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ الخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ أَعَبْدَ[١] اللَّهِ ذلِكُمُ الرَّدِي[٢]

فصل[٣]

الخطابُ في قوله: «فَلاَ يَصُدَّنَّكَ» يحتمل أن يكون مع موسى، وأن يكون مع محمد ـ عليهما السلام ـ[٤]. والأقرب أنه مع موسى ـ عليه السلام ـ[٥]، لأنَّ جميع الكلام خطاب له. وعلى كلا[٦] الوجهين فلا معنى لقول الزجاج: إنَّه ليس بمراد وإنما أريد[٧] به غيره، وذلك[٨] لأنه ظن أن النبيَّ ـ عليه السلام ـ[٩] لما لم يجز عليه مع النُّبَوَّة أن يصده[١٠] أحد عن الإيمان بالساعة لم يجز أن يكون مخاطَباً بذلك[١١]، وليس الأمر كما ظن، لأنه إذا كانَ مكلَّفاً بأنْ لا يقبلَ الكفر بالساعة من أحد وكان قادراً على ذلك جاز أن يخاطب به، (ويكون المراد)[١٢] هو وغيره. ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله: «فَلا[١٣] يَصُدنَّكَ عَنْهَا» النهي عن الميل إليهم ومقاربتهم.

فصل[١٤]

المقصودُ نَهْيُ موسى ـ عليه السلام[١٥] ـ عن التكذيب بالبعث، ولكن الظاهر اللفظ يقتضي نهيَ[١٦] منْ لم يؤمن عن صدِّ موسَى ـ عليه السلام[١٧] ـ وفيه وجهان:

أحدهما: أن صدَّ الكافر عن التصديق بها[١٨] سببٌ للتكذيب، فذكر السبب ليدل على المسبب. (ذلك أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرَّجُل في الدِّين، فذكر المسبب ليدل حمله على السبب)[١٩] كقولهم[٢٠]: لاَ أَرَيَنَّكَ هَهُنا. المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته فهكذا ههنا، كأنه قيل: لا تكن رخواً بل[٢١] كن في الدين شديداً.

---

(١) في ب: يا عبد. وهو تحريف.
(٢) البيت من بحر الطويل قاله دريد بن الصمة، وهو في ديوانه (٤٩) ومجاز القرآن ٢/١٧، والجمهرة ٣/٣٤١، وتفسير ابن عطية ١٠/١٧، البحر المحيط ٦/٢٢٢. أردت: أهلكت. الرَّدي: الهالك. وهو موطن الشاهد.
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٣.
(٤) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في ب: كل. وهو تحريف.
(٧) في ب: أراد.
(٨) وذلك سقط من ب.
(٩) في ب: ﷺ.
(١٠) في ب: أنه لم يصده.
(١١) في ب: بذلك الشيء.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) في ب: لا.
(١٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٣.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: نفي. وهو تحريف.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) بها: سقط من ب.
(١٩) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٢٠) في ب: كقوله.
(٢١) في النسختين: رخاوتك. والصواب ما أثبته.

فصل[1]

دلَّت الآية على وجوب تعلم علم[2] الأصول، لأن قوله: «فَلاَ يَصُدّنَّكَ» يرجع معناه إلى صلابته في الدين، وتلك الصلابة إن كان المراد بها[3] التقليد لم يتميز المبطل فيه عن المحق، فلا بد وأن يكون المراد بهذه الصلابة كونه قوياً في تقرير الدلائل، وإزالة الشبهات حتى لا يتمكن الخصم[4] من إزالته عن الدين بل يكون هو متمكناً من إزالة المبطل عن بطلانِه.

(فصل[5])[6]

قوله: «فَلاَ يَصُدنَّكَ» يدل على أن العبادَ هُمُ الذين يصدون[7]، ولو كان تعالى هو الخالق لأفعالهم لكان هو الصَّادُّ دونهم، فدل ذلك على بطلان القول بالجبر[8]. وأجيب بالمعارضة بمسألة[9] العلم (والداعي)[10][11]. ثم[12] قال تعالى: «واتَّبَعَ هَوَاهُ» والمعنى أن منكر البعث إنَّما أنكره اتباعاً للهوى لا للدليل، وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد[13]، لأن المقلّد متبعٌ للهوى (لا للحجة)[14][15] ثم قال: «فَتَرْدَى» أي: فتهلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ (٢١)﴾.

قوله تعالى[16]: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ الآية[17]. (مَا) مبتدأة[18] استفهامية و (تِلْكَ) خبره، و «بِيَمِينِكَ» متعلق بمحذوف، لأنه حال كقوله: «وَهَذَا بَعْلِي شَيْخَاً»[19]، والعامل

---

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣.
(٢) علم: سقط من ب.
(٣) بها: سقط من ب.
(٤) في ب: الشخص. وهو تحريف.
(٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣ ـ ٢٤.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: هم المصدون.
(٨) قاله القاضي.
(٩) في ب: بمنزلة.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣. والمراد بمسألة العلم ما عارض به أهلُ السنة المعتزلة وهو العلم الإلهي الأزلي. والمراد بمسألة الداعي ما يخلق في القلب من توجه نحو أحد المختارين. انظر شرح المقاصد ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٦، شرح المواقف ٢٨٨ ـ ٢٩٩.
(١١) في ب: والداعي منه.
(١٢) ثم: سقط من ب.
(١٣) في ب: المقلد. وهو تحريف.
(١٤) لا للحجة: سقط من ب.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣ ـ ٢٤.
(١٦) تعالى: سقط من ب.
(١٧) الآية: سقط من ب.
(١٨) في ب: مبتدأ.
(١٩) [هود: ٧٢].

في الحال المقدرة معنى الإشارة[١] وجوَّز الزمخشري أن تكون (تِلْكَ) موصولة بمعنى (التي) و (بِيَمِينِكَ) صلتها[٢]. ولم يذكر ابنُ عطية غيره[٣]. وهذا ليس مذهب البصريين لأنهم لم يجعلوا (من أسماء)[٤] الإشارة موصولاً إلا (ذَا) بشروط تقدمت. وأما الكوفيون فيجيزون ذلك في جميعها[٥]، ومنه هذه الآية عندهم أي: وَمَا التي بيمينك وأنشدوا[٦]:

٣٦٥١ ـ نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[٧]

أي والذي تحملين.

وقال الفراء معناه: وَمَا هِذهِ التي فِي يمينِكَ[٨].

(فصل[٩])[١٠]

السؤال إنما يكون لطلب العلم، وهو على الله تعالى محال. فما فائدة قوله: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينكَ»؟

---

(١) انظر البيان ٢/ ١٤٠، التبيان ٢/ ٨٨٧، البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٠.

(٣) انظر تفسير ابن عطية ١٠/ ١٧.

(٤) ما بين القوسين في ب: اسم.

(٥) هذه المسألة من الأمور المختلف فيها بين البصريين والكوفيين.
فالبصريون لا يجوز عندهم أن يستعمل من أسماء الإشارة اسماً موصولاً إلا (ذلك) بشروط وهي: أن لا تكون للإشارة لأنها لو كانت كذلك لدخلت على المفرد نحو: من ذا الذاهب والمفرد لا يصلح أن يكون صلة لغير (أل). وأن لا تكون (ذا) ملغاة، بأن تكون مركبة مع (ما) اسماً واحداً، أو يحكم بزيادة (ذا)، وأن يتقدمها استفهام بـ (ما) باتفاق أو بـ (مَن) على الأصح. وذهب الكوفيون إلى أن (ذا) وجميع أسماء الإشارة تستعمل موصولة سواء تقدمت عليها (ما) الاستفهامية أم لا، استدلالاً بقوله تعالى: **﴿ثمَّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾** [البقرة: ٨٥] أي: أنتم الذين، وبقول الشاعر الآتي، وقوله تعالى: **﴿وما تلك بيمينكَ يا موسى﴾** أي: ما التي بيمينك. والصواب ما ذهب إليه البصريون بأن (هؤلاء، وتلك وهذا) أسماء إشارة وليست موصولة، ورد ابن الأنباري وابن يعيش ما احتج به الكوفيون. الإنصاف ٢/ ٧١٧ ـ ٧٢٢، شرح المفصل ٤/ ٢٣ ـ ٢٥، شرح الكافية ٢/ ٤٢ شرح التصريح ١/ ١٣٨، ١٣٩.

(٦) في ب: وأنشدوا أيضاً.

(٧) عجز بيت من بحر الطويل قاله يزيد بن مفرغ الحميري، وصدره: عدس ما لعبَّاد عليك إمارةٌ. اللسان (عدس). عَدَسْ: اسم زجر للبغل ليسرع. عباد: هو عبادُ بن زياد والي سجستان في عهد معاوية بن أبي سفيان. والشاهد فيه أنَّ الكوفيين ينشدون هذا البيت استدلالاً على أن (هذا) اسم موصول بمعنى (الذي)، وجملة (تَحملين) صلة الموصول، والعائد محذوف، والتقدير: تحملينه، و (طليق) خبر المبتدأ. وقد رد البصريون احتجاج الكوفيين على أن (هذا) اسم الإشارة، لأن (ها) التنبيه لا تدخل على الموصولات، وهو مبتدأ و (طليق) خبره، وجملة (تحملين) حال من فاعل (طليق) المستتر فيه متقدمة على عاملها، أي: وهذا طليق محمولاً لك. وقد تقدم.

(٨) فإنه قال: (وقوله: **﴿وما تلك بيمينكَ يا مُوسى﴾** يعني: عصاه، ومعنى «تِلك» هذه، وقوله: **﴿بيمينك﴾** في مذهب صلة لـ (تلك)، لأن تلكَ، وهذه توصلان كما توصل الذي) معاني القرآن ٢/ ١٧٧.

(٩) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٥.

(١٠) ما بين القوسين في ب: فإن قيل.

والجواب(١) فيه فوائد، **الأُولَى**(٢): حكمةُ هذا السؤال تنبيهُهُ وتَوْقيفُه على أنها عصا، حتى إذا(٣) قلبها حية عَلِم أنها معجزةٌ عظيمةٌ، وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره: هَلْ تَعْرِف هَذا؟(٤) وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه(٥).

الثانية: أن يقرِّرُ عنده(٦) أنها خشبة حتى إذا قلبها ثعباناً لا يخافُها(٧).

الثالثة: أنه تعالى لمَّا أراه الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء، وأسْمَعَهُ كلام نفسه، ثم أورد عليه التكليف الشاق، وذكر له المعاد، وختم ذلك بالتهديد العظيم، فتحيَّر موسى ـ عليه السلام ـ(٨) ودُهِش، (فقيل له: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ»، وتكلم معه بكلام البشر إزالةً لتلك الدهشة والحيرة)(٩).

(فصل(١٠))(١١)

هذا خطاب من الله مع موسى بلا واسطة، ولم يحصل ذلك لمحمد عليه السلام(١٢) فيلزم أن يكون موسى أفضلَ من محمد عليهما السلام(١٣).

فالجوابُ: أنَّه تعالى كما(١٤) خاطبَ موسَى فقد(١٥) خاطب محمداً في قوله: «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى»(١٦) إلا أن الفرق أنَّ الذي ذكره مع موسى عليه السلام(١٧) أفشاه إلى الخلق، والذي ذكره مع محمد كان سراً لم يستأهل له أحداً من الخلق. وأيضاً إن كان موسى تكلم معه فأمةُ محمد يخاطبون الله تعالى في كل يوم مرات على ما(١٨) قاله عليه السلام: «المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ»(١٩) والرَّبُ يتكلم مع آحاد أمة محمد(٢٠) يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله: «سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ»(٢١).

قوله: «هِيَ عَصَايَ» هِيَ يعودُ على المستفهم عنه.

---

(١) في ب: فالجواب.
(٢) في ب: الأول.
(٣) إذا سقط من ب.
(٤) في ب: قد عرفت هل عرفت هذا؟ وهو تحريف.
(٥) في ب: على معرفته بلسانه. وهو تحريف.
(٦) في ب: بقلبه.
(٧) في الأصل: لا يخاف منها.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٦.
(١١) ما بين القوسين في ب: فإن قيل.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) عليهما السلام: سقط من ب.
(١٤) في ب: لما.
(١٥) فقد: سقط من ب.
(١٦) [النجم: ١٠].
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) في ب: كما.
(١٩) أخرجه الإمام مالك (نداء) ١/٣، وأحمد ٢/٦٧.
(٢٠) في ب: محمد ﷺ.
(٢١) [يس: ٥٨].

وقرأ العامة «عَصَايَ» بفتح الياء. والجَعْفري وابنُ أبي إسحاق «عَصَيَّ» بالقلب والإدغام(١). وقد تقدَّم توجيه ذلك أوّل البقرة، ولِمَنْ تنسب هذه اللغة(٢) والشعر المروي في ذلك(٣).

وروي عن أبي عمرو وابن(٤) أبي إسحاق أيضاً (والحسن «عِصَايِ» بكسر الياء لالتقاء الساكنين(٥)، وعن أبي إسحاق)(٦) «عِصَايْ» بسكونها وصلاً(٧) وقد فعل ذلك نافع مثل ذلك في «مَحْيَايْ»(٨) فجمع بين ساكنين وصلاً، وقد(٩) تقدم الكلام هناك(١٠).

قوله: «أَتَوَكَّأُ»(١١) يجوز أن يكون خبراً ثانياً لـ «هِيَ»(١٢) ويجوز أنْ يكونَ حالاً إمَّا مِنْ «عَصَايَ» وإمَّا مِنْ «الياء»(١٣) وفيه بُعدٌ، لأن مجيء(١٤) الحال من المضاف إليه قليل، وله مع ذلك شروط ليس فيه شيء منها هنا(١٥).

---

(١) انظر المختصر ٨٧، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.

(٢) في ب: الآية. وهو تحريف.

(٣) عند قوله تعالى: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينَّكم منِّي هدًى فمن اتَّبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [البقرة: ٣٨].

ذكر ابن عادل هناك: قرىء بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلم وهي لغة هذيل، قال شاعرهم:

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهم ... فتخرَّموا ولكلِّ جنبٍ مصرع

فكأنهم لما لم يصلوا إلى ما تستحقه ياء المتكلم فمن كسر ما قبلها لكونه ألفاً أتوا بما يناسب الكسرة فقلبوا الألف ياء.

انظر اللباب ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٤) في ب: ابن.

(٥) انظر المحتسب ٢/ ٤٨، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٤.

(٦) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٧) انظر المحتسب ٢/ ٤٩، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(٨) من قوله تعالى: **﴿قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه ربِّ العالمين﴾** [الأنعام: ١٦٢].

(٩) قد: سقط من الأصل.

(١٠) قرأ نافع ومحياي بسكون ياء المتكلم، وفيها الجمع بين ساكنين قال الفارسي: كقولهم: التقت حلقتا البطان، ولفلان ثلثا المال بثبوت الألفين وقد طعن بعض الناس على هذه القراءة بما ذكر من الجمع بين الساكنين، وتعجب من كون هذا القارىء يحرك ياء «مماتي» ويسكن ياء «محياي» وقد نقل بعضهم عن نافع الرجوع عن ذلك. انظر اللباب ٣/ ٥٥٦.

(١١) في ب: «أتوكأ عليها».

(١٢) انظر التبيان ٢/ ٨٨٨.

(١٣) انظر المرجع السابق.

(١٤) في ب: المجيء.

(١٥) لا يجوز مجيء الحال من المضاف إليه إلا إذا توافر له واحد من أمور ثلاثة:

أ ـ أن يكون المضاف مما يصح عمله في الحال، كاسم الفاعل والمصدر ونحوهما مما تضمن معنى الفعل نحو: هذا ضاربُ هندٍ مجردةً، وأعجبني قيامُ زيدٍ مسرعاً، ومنه قوله تعالى: **﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾** [يونس: ٤٠]، ومنه قول الشاعر:

تقول ابنتي إنَّ انطلاقك واحداً ... إلى الروع يوماً تاركي لا أبا ليا

=

ويجوز أن تكونَ مستأنفة[١]. وجوَّز أبو البقاء نقلاً عن غيره: أن يكون «عَصَايَ» منصوبة بفعل[٢] مقدر، و «أَتَوكَّأُ» هو الخبر[٣]. ولا ينبغي أن يقال ذلك.

والتَّوكّؤُ: التحامُلُ على الشيء، وهو بمعنى الاتِّكاء، وقد تقدم تفسيره في يوسف[٤] فهما من مادة واحدة، وذكر هنا، لاختلاف وزنيهما[٥].

والهَشُّ بالمعجمة: الخَبْطُ[٦]، يقال: هَشَشْتُ الوَرَقَ أَهُشُّهُ أَيْ: خبطته ليسقط، والمعنى: أَخْبِطُ بِهَا وَأَضْرِبُ أغصانَ الشجر ليسقط ورقُهَا على غنمي لتأكله[٧] وأما هَشَّ يَهِشُّ ـ بكسر العين في المضارع ـ فبمعنى البشاشة وقد قرأ النخعي[٨] بذلك[٩]، فقيل:

= ب ـ أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه، نحو قوله تعالى: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً**﴾ [الحجر: ٤٧].

فـ «إخواناً» حال من الضمير المضاف إليه «صدور»، والصدور جزء من المضاف إليه.

جـ ـ أنْ يكون المضاف مثلَ جزء المضاف إليه ـ في صحة الاستغناء عنه بالمضاف إليه ـ نحو قوله تعالى: ﴿**ثمَّ أوحينا إليك أن اتَّبع ملَّة إبراهيم حنيفاً**﴾ [النحل: ١٢٣] فـ (حنيفاً) حال من (إبراهيم) والملة كالجزء من المضاف إليه إذ يصحّ الاستغناء بالمضاف إليه عنها. فلو قيل في غير القرآن: أن اتبع إبراهيم حنيفاً، لصحَّ.

وادعى المصنف في شرح التسهيل الاتفاق على منع مجيء الحال من المضاف إليه فيما عدا المسائل الثلاث المستثناة نحو: ضربت غلام هندٍ جالسةً وتابعه على ذلك ولده في شرحه، وفيما ادعياه نظر فإن مذهب الفارسي الجواز مطلقاً.

قال السيوطي في الهمع: (وجوز بعضُ البصريين، وصاحبُ البسيط مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً وخرَّجوا عليه ﴿**أن دابر هؤلاءِ مقطوعٌ مصبحين**﴾ [الحجر: ٦٦] ١/ ٢٤٠. وعلى ذلك فكون أتوكّأ حالاً من الياء ـ المضاف إليه ـ يجوز على مذهب من جوز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً.

انظر الأشموني ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

(١) انظر التبيان ٢/ ٨٨٨.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) حيث قال أبو البقاء: (وقيل: هو خبر «هي» و«عصاي» مفعول لفعل محذوف) التبيان ٢/ ٨٨.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿**فلمّا سمعت بمكرهنَّ أرسلت إليهنَّ واعتدتْ لهنَّ متّكأً**﴾ [يوسف: ٣١] انظر اللباب ٥/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٥) يريد أنَّ وزن (متكأ) من سورة يوسف (مُفْتَعَل) فهو اسم مفعول من (اتَّكَأَ) بخلاف (أتوكأ) هنا فهي على وزن (أَتَفَعَّلُ) مضارع (تَفَعَّلَ).

(٦) انظر تفسير غريب القرآن ٢٧٨.

(٧) قال أبو عبيدة: («وأهش بها على غنمي» أي أخبط بها فأضرب بها ليسقط ورقها على غنمي فتأكله). مجاز القرآن ٢/ ١٧.

(٨) هو إبراهيم بن يزيد أبو عمران النخعي، الكوفي، الإمام المشهور الصالح، العالم، الزاهد، قرأ على الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، قرأ عليه الأعمش، وطلحة بن مصرف، مات سنة ٩٦ هـ طبقات القراء ١/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٩) أي بكسر الهاء. انظر المحتسب ٢/ ٥٠، والقرطبي ١١/ ١٨٦، والبحر المحيط ٦/ ٤.

هو بمعنى: أَهُشُّ ـ بالضم ـ والمفعول محذوف في القراءتين[١] أي: أَهُشُّ الورقَ أو الشجرَ[٢] وقيل: هو في هذه القراءة من هَشَّ هشاشَةً إذا مال[٣]. وقرأ الحسن وعكرمة: «وأَهُسُّ» بضم الهاء والسين المهملة[٤] وهو السَّوْقُ، ومنه الهَسُّ (والهَسَّاسُ)[٥][٦] وعلى هذا فكان[٧] ينبغي أن يتعدى بنفسه، ولكنه ضمِّن معنى[٨] ما يتعدى بعلى وهو أقوم (وَأَهْوَنُ)[٩][١٠].

ونقل ابن خالويه عن النخعي أنه قرأ «وأُهِسُّ» بضم الهمزة وكسر الهاء من (أَهَسَّ) رباعياً بالمهملة[١١]. ونقلها عنه الزمخشري بالمعجمة[١٢]، فيكون عنه قراءتان[١٣] ونقل صاحب اللوائح[١٤] عن مجاهد وعكرمة «وأهُشُ» بضم الهاء وتخفيف الشين، قال ولا أعرف لها وجهاً إلا أن يكون قد استثقل التضعيف مع تفشي الشين فخفف[١٥]، وهي بمعنى قراءة العامة[١٦].

وقرأ بعضهم: «غَنْمِي» (بسكون النون[١٧])[١٨]، وقرىء «عَلَيَّ» بتشديد الياء[١٩] والمَآرِبُ: جمع مَأْرُبَة، وهي الحاجة وكذلك الإِرْبَة[٢٠] أيضاً[٢١]. وفي (راء) المَأْرُبَة الحركات الثلاث[٢٢].

---

(١) في الأصل: القراءة. وهو تحريف.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(٣) انظر المحتسب ٢/ ٥٠، البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(٤) انظر المختصر (٨٧)، المحتسب ٢/ ٥٠، البحر المحيط ٦/ ٢٢٤.

(٥) الهَسُّ: زجر الغنم، فمعنى أهُسّ: أسوق، ورجل هسّاس: أي سوَّاق، انظر: المحتسب ٢/ ٥١.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: كان.

(٨) معنى: سقط من ب.

(٩) المحتسب ٢/ ٥١.

(١٠) ما بين القوسين في الأصل: أَهوَلُ.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(١٢) قال الزمخشري: (وفي قراءة النخعي: «أَهِشُّ» وكلاهما من هَشَّ الخبز: إذا كان ينكسر لهشاشته) الكشاف ٢/ ٤٣٠.

(١٣) أهسُّ بضم الهمزة وكسر الهاء وبالمهملة، أَهِشُّ بالمعجمة وضم الهمزة وكسر الهاء من أهسَّ أو أهشَّ رباعياً، وهناك قراءة ثالثة معزوة إلى النخعي أيضاً وهي: وأَهِش بفتح الهمزة وكسر الهاء وبالمعجمة من هشَّ ثلاثياً. انظر المحتسب ٢/ ٥٠ والبحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(١٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرىء وشيخ الإسلام الثقة الورع. ومن مؤلفاته جامع الوقوف واللوامح وغيرهما، قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي، وأحمد بن يحيى، وغيرهما، مات سنة ٤٥٤ هـ طبقات القراء ١/ ٣٦١ ـ ٣٦٣.

(١٥) في ب: قد استعمل الضعيف مع الشين فخفف وهو تحريف.

(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.

(١٧) البحر المحيط ٦/ ٢٣٥.

(١٨) ما بين القوسين في ب: بسكون النون ولا ينفاين. وهو تحريف.

(١٩) أي: بإيقاع الفعل على الغنم. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٥.

(٢٠) في ب: اربة.

(٢١) الإربة والإربُ: الحاجة، وفيه لغات: إربٌ وإِربةٌ وأربٌ ومأرُبَةٌ ومأرَبَةٌ اللسان (أرب).

(٢٢) انظر القرطبي ١١/ ١٨٧.

وإنما قال: «مَآرِب»، لأن «مَآرِب» في معنى جماعة، فكأنه قال جماعة من الحاجات أخرى، ولم يقل أخر لرؤوس الآي[١] (و «أُخْرَى»)[٢] كقوله: «الأَسْمَاءُ الحُسْنَى»[٣] وقد تقدَّم قريباً[٤].

قال أبو البقاء: ولو قال[٥]: أخر لكان[٦] على اللفظ[٧]. يعني أُخَر كقوله: «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر»[٨] بضم[٩] الهمزة وفتح الخاء واللفظ[١٠] لفظ الجمع. ونقل[١١] الأهوازيّ[١٢] عن شيبة[١٣] والزهري[١٤]: مَارِبُ» قال: بغير همز كذا أطلق والمراد بغير همز محقق بل مسهل بَيْنَ بَيْن وإلا فالحذف بالكلية شاذ[١٥].

فصل

قيل[١٦]: كما قال: «هِيَ عَصَايَ» فقد تم الجواب إلا أنه عليه السلام[١٧] ذكر الوجوه الأخر، لأنه[١٨] كان يحب المكالمة مع ربه تعالى[١٩]، فجعل ذلك كوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض[٢٠].

---

(١) قال الزجاج: (وجاء «أخرى» على لفظ الواحدة، لأن مآرب في معنى جماعة فكأنها جماعات من الحاجات أخرى، فلو جاءت أخر كان صواباً) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٥٥. وقال أبو حيان: (وعامل المآرب وإن كان جمعاً معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله: «أخرى» ولم يقل أخر رعياً للفواصل، وهو جائز في غير الفواصل، وكان أجود وأحسن في الفواصل) البحر المحيط ٦/ ٢٣٥.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) من قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلاَّ هو له الأسماءُ الحُسنى﴾ [طه: ٨].

(٤) قبل صفحات.

(٥) في الأصل: قيل.

(٦) في ب: كان.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٨٨٨.

(٨) من الآية: (١٨٤، ١٨٥) من سورة البقرة.

(٩) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(١٠) في الأصل: وباللفظ وهو تحريف.

(١١) ونقل: سقط من ب.

(١٢) هو الحسن بن علي بن إبراهيم الأستاذ أبو علي الأهوازي صاحب المؤلفات شيخ القراء في عصره، قرأ على إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبري وقرأ عليه أبو علي الحسن بن قاسم الهذلي وغيرهما مات سنة ٤٤٦ هـ طبقات القراء ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

(١٣) هو شيبة بن عمرو بن ميمون المصيصي، روى القراءة عن حماد بن سلمة عن عاصم، روى القراءة عنه عيسى بن مهران القومسي. طبقات القراء ١/ ٣٢٩.

(١٤) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أبو بكر الزهري، المدني، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ على أنس بن مالك، روى عن عبد الله بن عمر، وعن أنس بن مالك، وعرض عليه نافع بن أبي نعيم، وروى عنه مالك بن أنس وغيره مات سنة ١٠٥ هـ طبقات القراء ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(١٥) لأن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها مخففة، غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف الكتاب ٣/ ٤١ هـ ٥٤٢، البحر المحيط ٦/ ٢٣٥.

(١٦) قيل: سقط من ب.

(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٨) في ب: إلا أنه.

(١٩) تعالى: سقط من ب.

(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٦.

«أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا» التوَكُّؤُ والاتِّكَاءُ واحد كالتوقي والاتقاء. أي أعتمد عليها إذا عييت، أو وقفت على رأس القطيع[١] «وأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي» أي: أضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها على الغنم (فتأكله)[١][٢].

«وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى» أي حوائج ومنافع، وإنما أجمل في المآرب رجاء أن يسأله ربه عن تلك[٣] المآرب، فيسمع كلامَ الله مرة أخرى، ويطول أمر المكالمة بسبب (ذلك)[٤][٥].

قال[٦] وهب[٧]: كانت ذات شعبتين (ومحجن، فإذا طلبَ ثمرَ الشجرة جناه بالمحجن، فإذا حاول كسره لواه بالشعبتين)[٨]. فإذا سارَ وضعهَا على عاتقه يعلق عليها أداته من القوس والكنانة والثياب، وإذا كان في البرية ركزها[٩] وألقى عليها كساء[١٠] فكان ظلاً.

وقيل: كانَ فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطولُ طولَ البئر، وتصير شعبتاها دلواً، ويصيران شمعتين[١١] في الليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، وكان يحمل عليها زاده وماءه[١٢] وكانت يابسة[١٣] ويركزها فينبع الماء، وإذا رفعها نضب[١٤]، وكانت تقيه الهوام[١٥][١٦] قال مقاتل: كان اسمها نبعة[١٧].

وروي عن ابن عبَّاس: أنها كانت تماشيه وتحدثه[١٨].

قال الله تعالى: «أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ» أي انبذها.

قال وهب: ظن موسى أنه يقول أرفُضْهَا «فَأَلْقَاهَا» على وجه الأرض ثم نظر إليها «فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» صفراء أعظم ما تكون من الحيات تمشي بسرعة[١٩] لها عرف

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢٦.
(٢) ما بين القوسين في ب: فتأكل.
(٣) في ب: ذلك.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢٧.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: فصل وقال.
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٢.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) الركز: غرزك شيئاً منتصباً كالرُّمح ونحوه، تركزه ركزاً في مركزه، وقد ركزه يركُزه ويركِزه ركزاً وركّزه: غرزه في الأرض. اللسان (ركز).
(١٠) في ب: شعبتاها. وهو تحريف.
(١١) في ب: شمعتان. وهو تحريف.
(١٢) في ب: وكان يحمل زاده وماؤه.
(١٣) في ب: بالية. وهو تحريف.
(١٤) في ب: نصب. وهو تصحيف.
(١٥) الهوامّ: ما كان من خشاش الأرض نحو العقارب وما أشبهها الواحدة هامة لأنها تهمُّ، أي: تدب، وهميمها دبيبها. والهوامُّ: الحيَّات وكل ذي سم يقتل سمُّه. اللسان (همم).
(١٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٢٧.
(١٧) انظر البغوي: ٥/٤١٦.
(١٨) المرجع السابق.
(١٩) انظر البغوي ٥/٤١٧.

كعرف الفرَس، وكان بين لحييها أربعون ذراعاً، صارت شعبتاها شدقين لها والمِحجن عنقاً[١] يهتز، وعيناها متقدان كالنار، وتمر بالصخرة[٢] العظيمة مثل الخلفة[٣] من الإبل فتلتقمها[٤]، وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها (صريف[٥] عظيم)[٦][٧].

وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كُنْ فيكون.

فصل

والحكمة[٨] في قلب العصا حيَّةً في ذلك الوقت من وجوه:

أحدها[٩]: لتكون معجزةً لموسى ـ عليه السلام ـ يعرف بها نبوة نفسه، لأنه عليه السلام[١٠] ـ إلى هذا الوقت ما سمع إلا النداء. والنداء[١١] وإن كان مخالفاً للعادات إلا أنه لم يكن معجزاً، لاحتمال أن يكون ذلك من عادات[١٢] الملائكة أو الجن، فقلب العصا حيَّةً ليكون دليلاً قاهِراً[١٣] على المعجزة.

الثاني: أنه تعالى عرضَها عليه[١٤] ليشاهدها أولاً، فإذا شاهدها عند فرعون لا يخافها.

وثالثها[١٥]: أنه كان راعياً فقيراً ثم نُصِّب للمنِصبِ العظيم فلعله بقي يتعجب[١٦] من ذلك، فقلب العصا حيَّة تنبيًّا على أني لما قدرت على ذلك، فكيف يستبعد مني نصرة مثلك في إظهار الدين[١٧].

فإنْ قيل: كيف قال ههنا «حَيَّة» وفي موضع آخر «جَان»[١٨] وهو الحية الخفية الصغيرة، وقال في موضع[١٩] «ثُعْبَانٌ»[٢٠] وهو أكبر ما يكون من الحيات؟.

فالجواب: أن الحيَّة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير[٢١] وأما

---

(١) في ب: عنقاً وعرفاً.
(٢) في ب: بالهجوة. وهو تحريف.
(٣) الخلفة: ما علق خلف الراكب.
(٤) في ب: فتلفها. وهو تحريف.
(٥) الصريفُ: صوت الأنياب والأبواب. اللسان (صرف).
(٦) البغوي ٥/٤١٧.
(٧) في النسختين: صريفاً عظيماً.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٨.
(٩) في ب: الأول.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) والنداء: سقط من الأصل.
(١٢) في ب: عادة.
(١٣) في ب: قاطعاً.
(١٤) في ب: عرض عليها. وهو تحريف.
(١٥) في ب: الثالث.
(١٦) في ب: متعجب.
(١٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٢٨.
(١٨) في قوله تعالى: ﴿**كأنَّها جان**﴾ [النمل: ١٠]، [القصص: ٣١].
(١٩) في ب: في آخر.
(٢٠) في قوله تعالى: ﴿**فالقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين**﴾ [الأعراف: ١٠٧] [الشعراء: ٣٢].
(٢١) في ب: الصغيرة والكبيرة. وهو تحريف.

الجَانُّ[١] فقيل: عبارة عن ابتداء حالها فإنها[٢] كانت حيَّةً على قدر العصا ثم تورمت وتزايدت وانتفخت حتى صارت ثعباناً.

وقيل: كانت في عظم الثعبان[٣] وسرعة الجانّ لقوله تعالى: «فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ»[٤][٥].

(و «تَسْعَى»)[٦] يجوز أن تكون خبراً ثانياً[٧] عند من يجوز ذلك ويجوز أن تكون صفة لـ «حَيَّةٌ» فلما عاين موسى ذلك «وَلَّى مُدْبِراً»[٨]، وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياءً فنودي: «خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَها» (وهيئتها)[٩] «الأُولَى» أي نردها عصا كما كانت. قوله: «سِيرَتَهَا» في نصبها[١٠] أوجه:

أحدها: أن تكون منصوبةً على الظرف، أي في سيرتها أي: طريقتها[١١].

الثاني: أن تكونَ[١٢] منصوبة على البدل من «ها»[١٣]، «سَنُعِيدُهَا» بدل اشتمال لأن السيرة الصفة، أي سنعيدها صفتها وشكلها[١٤].

الثالث: أنها منصوبةٌ على إسقاط الخافض أي: إلى سيرتها[١٥].

قال الزمخشري[١٦]: ويجوز أن يكون مفعولاً من عَادَ أي عادَ إليه، فيتعدى لمفعولين، ومنه بيت زهير:

٣٦٥٢ ـ وَعَادَكَ أَنْ تُلاَقِيهَا عَدَاءُ[١٧]

---

(١) الجانُّ: سقط من ب.
(٢) في الأصل: فإنه. وهو تحريف.
(٣) في ب: كانت من أعظم الحيات أو في أعظم الثعبان. وهو تحريف.
(٤) [النمل: ١٠]، [القصص: ٣١].
(٥) انظر البغوي ٥/٤١٧، الفخر الرازي ٢٢/٢٨.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) انظر التبيان ٢/٨٨٨.
(٨) من قوله تعالى: ﴿**فلما رآها تهتزُّ كأنّها جانٌ ولّى مدبراً**﴾ [النمل: ١٠] [القصص: ٣١].
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) في ب: نصبه.
(١١) انظر الكشاف ٢/٤٣١.
ورده أبو حيان فقال في البحر المحيط بعد ما ذكر قول الزمخشري في جواز نصب (سيرتها) على الظرف: (وسيرتها وطريقتها ظرف مختص فلا يتعدى إليه الفصل على طريقة الظرفية إلا بواسطة (في) ولا يجوز الحذف إلا في ضرورة أو فيما شذت فيه العرب) ٦/٢٣٦.
(١٢) في ب أنها.
(١٣) في ب: قوله. وهو تحريف.
(١٤) ذكر هذا الوجه أبو البقاء. انظر التبيان ٢/٨٨٨، البحر المحيط ٦/٢٣٦.
(١٥) قاله الحوفي. قال أبو حيان (واختلفوا في إعراب سيرتها. فقال الحوفي: مفعول ثان لـ (سنعيدها) على حذف الجار مثل «واختار موسى قومه» يعني: إلى سيرتها) البحر المحيط ٦/٢٣٥، ٢٣٦. وانظر التبيان ٢/١٤١.
(١٦) الكشاف ٢/٤٣١. بتصرف، وهو بلفظه في البحر المحيط ٦/٢٣٦.
(١٧) هذا عجز بيت من بحر الوافر قاله زهير، وصدره: فصرم حبلها إذ صرفته وهو في شرح الديوان (٦٢)، الكشاف ٢/٤٣١، اللسان (عدا) والبحر المحيط ٦/٢٣٦. ورواية شرح الديوان: العداء والشاهد فيه تعدي (عاد) إلى مفعولين وهما ضمير المخاطب و (أن تلاقيها).

وهذا هو (معنى قول من قال: إنه على إسقاط (إلى) و)[1] كان قد جوَّز أن يكون ظرفاً كما تقدَّم[2]، إلا أن أبا حيَّان ردَّه بأنّه ظرف مختص فلا يصل إليه الفعل إلا بواسطة (في)[3] إلا فيما (شذ[4]. والسيرَةُ)[5] فِعْلَة تدل على الهيئة من السَّيْر كالركبة من الركُوب[6]، ثم اتسع فعبر بها عن المذهب والطريقة، قال خالد الهذلي[7]:

٣٦٥٣ ـ فَلاَ تَغْضَبَنْ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سِيرَةً مَنْ يَسِيرُهَا[8]

وجوَّز[9] أيضاً أن ينتصب بفعل مضمر، أي: يسير سيرتها الأولى، وتكون هذه الجملة المقدرة في محل نصب على الحال؛ أي: سَنعيدُها[10] سائرةً سيرتَهَا[11].

فإن قيل[12]: لمَّا نوديَ يا مُوسى، وخصَّ بتلك الكرامات العظيمة وعلم أنه مبعوث من عند الله تعالى إلى الخلق فلماذا[13] خاف؟ فالجواب من وجوه:

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: الذي.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٣١. قال الزمخشري: (فيجوز أن ينتصب على الظرف، أي سنعيدها في طريقتها الأولى، أي في حال ما كانت عصا).

(٣) في: سقط من الأصل.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) اسم الهيئة: اسم يدل على نوع من الحدث، وضرب منه له صفة خاصة، وقياسه من الثلاثي على (فعلة) بكسر الفاء وسكون العين نحو جلسة.
فإذا كان المصدر العام على (فعلة) بكسر الفاء دلَّ على الهيئة بالوصف. نحو نشدة عظيمة. ومن غير الثلاثي يؤتى بالمصدر العام موصوفاً نحو: أسرع إسراعاً شديداً. انظر التبيان في تصريف الأسماء ٥٥ ـ ٥٦.

(٧) هو خالد بن زهير الهذلي، أحد بني مازن بن معاوية (سعد بن هذيل) عارض زواج ابن عمه أبي ذؤيب الهذلي، فوقع في معركة بالهجاء معه، ومع معقل بن خويلد الهذلي، التقى خالد بالرسول ﷺ، وكان عند وفاته مقيماً بالمدينة، رثاه أبو خراش بقصيدة. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين ٢/ ٢٦٥.

(٨) البيت من بحر الطويل قاله خالد الهذلي، اللسان (سير)، والشاهد فيه أنه عبر عن المذهب والطريقة بالسيرة اتساعاً، لأن (سيرة) على فعلة تدل على الهيئة.
ورواية الديوان:

فلا تجزعن من سنةٍ أنت سرتها وأول راضي سنةٍ من يسيرها

وقد تقدم.

(٩) أي الزمخشري.

(١٠) في ب: نعيدها.

(١١) قال الزمخشري: (ووجه ثالث حسن، أن يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى: أنها أنشئت أول ما انشئت عصاً، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية، فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً، ونصب (سيرتها) بفعل مضمر أي: تسير سيرتها الأولى أي سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها، ولك فيها المآرب التي عرفتها) الكشاف ٢/ ٤٣١.

(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٨ ـ ٢٩.

(١٣) في ب: فلما.

أحدها: أن ذلك الخوف كان من نفرة(١) الطبع لأنه ـ عليه السلام(٢) ـ ما شاهد مثل ذلك قط، وهذا معلوم بدلائل العقول. قال أبو القاسم الأنصاري(٣): وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه في النبوة، لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به تمويه فلا يخافه البتة.

وثانيها(٤): خاف لأنه عليه السلام(٥) عرف ما لقي آدم منها.

وثالثها: أن مجرد قوله: «وَلاَ تَخَفْ» لا يدل على حصول الخوف كقوله: «وَلاَ تُطِعِ الكافرينَ»(٦) لا يدل على وجود تلك الطاعة، لكن قوله: «فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً»(٧) يدل عليه(٨).

فصل

قال المفسرون: كانَ علَى(٩) موسى(١٠) مَدْرَعة من صوف قد خللها(١١) بعيدان(١٢). فلما قال له: «خُذْهَا» لف طرف المَدْرَعةِ على يده، فأمره الله أن يكشف يده، فكشف. وقيل: إن مَلَكاً قال: أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدْرعة تغني عنك شيئاً؟ فقال: لا ولكني ضعيف، ومِنْ ضَعْفِ خُلِقْتُ(١٣)، فكشف(١٤) يده، ثم وضعَها في فم الحية فإذا هي عصا كما كانت، ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها إذا تَوَكَّأَ(١٥). واعلم إن إدخاله يده في فم الحية من غير ضرر معجزة وانقلابها خشباً معجز آخر، وانقلاب العصا حيَّة معجز آخر، ففيها توالي معجزات مع المآرب(١٦) التي تقدمت.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ لا بد هنا من حذف والتقدير: واضمم يَدَك تنضم

---

(١) في ب: نفر. وهو تحريف.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) سلمان بن ناصر بن عمران أبو القاسم الأنصاري النيسابوري، الفقيه الصوفي إمام الحرمين، كان بارعاً في الأصول، وصنف في التفسير، وشرح الإرشاد لشيخه سمع الحديث من عبد الغفار الفارسي وكريمة المروذية وغيرهما مات سنة ٥١٢ هـ. طبقات المفسرين للسيوطي ٥٢، طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٤) في ب: والثاني.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) [الأحزاب: ١، ٤٨].
(٧) [النمل: ١٠]، [القصص: ٣١].
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٨ ـ ٢٩.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١٨.
(١٠) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١١) في الأصل: فدخلها، وفي ب: قد خلها. وهو تحريف.
(١٢) بعيدان: سقط من ب.
(١٣) في ب: خفت. وهو تحريف.
(١٤) في ب: ثم كشف.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤١٨.
(١٦) في ب: والمآرب.

وأخرجها تخرج، فحذف من الأول والثاني وأبقى مقابليهما ليدلان على ذلك[١] إيجازاً واختصاراً وإنما احتيج إلى هذا، لأنه لا[٢] يترتب على مجرد الضم الخروج[٣]. وقوله: «بَيْضَاءَ» حال من فاعل تخرج[٤].

قوله: «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يجوز أن يكون متعلقاً بـ «تَخْرُجْ»[٥] وأن يكون متعلقاً بـ «بَيْضَاءَ» لما فيها من معنى الفعل نحو ابيضت من غير سوء[٦]. (ويجوز)[٧] أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الضمير في «بَيْضَاء»[٨].

وقوله: «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يسمى عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم مَنْ يتوهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البَرَص[٩] والبَهَق[١٠] فأتى بقوله: «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» نفياً لذلك[١١].

قوله: «آيَةً» فيها أوجه:

أحدها: أن يكون حالاً، أعني أنها بدل من «بَيْضَاءَ» الواقعة حالاً[١٢].

الثاني: أنها حالٌ من الضمير في «بَيْضَاء»[١٣].

الثالث: أنها حالٌ من (الضمير في)[١٤] الجار والمجرور[١٥].

والرابع: أنها منصوبة بفعل محذوف[١٦]، فقدره أبو البقاء: جعلناها آيةً، (أو آتيناك)[١٧] آيةً[١٨]. وقدره الزمخشري: خُذْ آيَةً، وقدر أيضاً: دونك آيةً[١٩]. ورد أبو

---

(١) في ب: تلك. (٢) في ب: لما. وهو تحريف.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦، البيان ٢/ ١٤١، التبيان ٢/ ٨٨٩.

(٥) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩.

(٦) انظر الكشاف ١/ ٤٣١، القرطبي ١١/ ١٩١، البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩، وجوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون (من غير سوء) نعتاً لـ (بيضاء) والعامل فيه الاستقراء. التبيان ٢/ ٨٨٩، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٦.

(٩) البرص: داء معروف، وهو بياض يقع في الجسد. اللسان (برص).

(١٠) البهق: بياض دون البرص. اللسان (بهق).

(١١) انظر الإيضاح (٢٠٣).

(١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٦ البيان ٢/ ١٤١، التبيان ٢/ ٨٨٩.

(١٣) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩. (١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩.

(١٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٦ الكشاف ٢/ ٤٣١، البيان ٢/ ١٤١، التبيان ٢/ ٨٨٩.

(١٧) ما بين القوسين في ب: وقدرناها آيةً وأتيناها. وهو تحريف.

(١٨) التبيان ٢/ ٨٨٩.

(١٩) قال الزمخشري: (وفي نصب (آية) وجه آخر، وهو أن يكون بإضمار نحو: خذ، دونك، وما أشبه ذلك، حذف لدلالة الكلام) الكشاف ٢/ ٤٣١.

حيان هذا، لأن ذلك من باب الإغراء[١]، ولا يجوز إضمار الظروف في الإغراء[٢]. قال: لأن العامل حُذِف وناب هذا مكانه، فلا[٣] يجوز أن[٤] يحذف النائب أيضاً[٥]، وأيضاً فإن أحكامها تخالف العامل الصريح، فلا يجوز إضمارها وإن جاز إضمار الأفعال[٦].

فصل

يقال[٧] لكل ناحيتين: جَنَاحان[٨] كجناحي[٩] العسكر لطرفيه، وجناحا[١٠] الإنسان جانباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر، لأنه يجنحها عند الطيران.

وجناحا الإنسان عَضُدَاه[١١] أي: اضمم يدَكَ إلى إبطِكَ تخرج بيضاء نيرة مشرقة من غير سوء وعن ابن عباس: «إلى جَنَاحِكَ» أي إلى صدرك.

والأول أولى، لأن يدي[١٢] الإنسان يشبهان جناحي الطائر، ولأنه قال: «تَخْرُجْ بَيْضَاءَ» ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله «تَخْرُج» معنى. ومعنى ضم اليد إلى الجناح ما قاله[١٣] في آية أخرى «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ»[١٤]، لأنه إذا أدخل يده في جيبه كان كأنه قد ضم[١٥] يده إلى جناحه.

والسوءُ: الرداءة والقبح[١٦] في كل شيء، وكنّى به عن البَرَص كما كنّى عن العورة

---

(١) الإغراء: تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله. شرح الأشموني ٣/ ١٨٨.

(٢) في ب: ولا يجوز الظرف أن يكون مضمراً في الإغراء.

(٣) في ب: ولا.

(٤) أن: مكررة في الأصل.

(٥) أيضاً: سقط من ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٦. ورد أبو حيان على التقدير الثاني وهو (دونك آيةً)، فنص كلام أبي حيان (فأما تقدير (خذ) فسائغ، وأما (دونك) فلا يجوز، لأنه اسم فعل من باب الإغراء، فلا يجوز أن يحذف النائب والمنوب عنه، ولذلك لم يجر مجراه في جميع أحكامه) البحر المحيط ٦/ ٢٣٦ وابن مالك في شرح الكافية جوز إعمال أسماء الأفعال مضمرة وخرج عليه قول الشاعر:

يـــا أيُّـــهـــا الـــمـــائـــحُ دلـــوي دونـــكـــا

فجعل (دلوي) مفعولاً بدونك مضمراً لدلالة ما بعده عليه، فإن إضمار اسم الفعل متقدّماً ما عليه جائز عند سيبويه. شرح الكافية ٣/ ١٣٩٤ ـ ١٣٩٥.

قال سيبويه: (واعلم أنه يقبح: زيداً عليك، وزيداً حذرك، لأنه ليس من أمثلة الفعل، فقبح أن يجري ما ليس من الأمثلة مجراها، إلا أن تقول: زيداً، فتنصب بإضمار الفعل ثم يذكر عليك بعد ذلك) الكتاب ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٣٠.

(٨) في ب: جناحين وهو تحريف.

(٩) في ب: كجناح. وهو تحريف.

(١٠) في ب: وجناح. وهو تحريف.

(١١) في ب: وجناح الإنسان عضده.

(١٢) في ب: لا بد أن. وهو تحريف.

(١٣) في ب: كما قال. وهو تحريف.

(١٤) [النمل: ١٢].

(١٥) في ب: في جيبه يكون قد ضم.

(١٦) القبح: على هامش الأصل.

بالسَّوْأَة[١]، والبَرَص أبغضُ شيء إلى العرب، فكان جديراً بأن[٢] يُكْنَى عنه بالسُّوء، وكان عليه السلام[٣] شديد الأدمة[٤] فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه، وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق، وقيل: مثل الشمس، من غير برص، ثم إذا ردَّها عادت[٥] إلى لونها الأول[٦].

«آيَةً أُخْرَى» دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

قوله: «لِنُرِيَكَ» متعلق بما دلَّت عليه «آيَةً» أي: دللنا بها لِنُرِيَكَ، أو بـ (جَعَلْنَاهَا)، أو بـ (آتَيْنَاكَ) المقدر[٧]. وقدره الزمخشري: لِنُرِيَكَ فِعْلَنا ذلك[٨]، وجوَّز[٩] الحوفي أن يتعلق بـ (اضْمُمْ)[١٠]. وجوَّز غيرُه أن يتعلق (بتَخْرُج)[١١][١٢]. ولا يجوز أن يتعلق بلفظ آية، لأنها قد وصفت[١٣]. وقدره الزمخشري أيضاً: لِنُرِيَكَ خُذْ هذه الآيَةَ أيضاً[١٤].

قوله: «مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى».

يجوز أن يتعلق «مِنْ آيَاتِنَا» بمحذوف على أنه[١٥] حال من «الكُبْرَى» ويكون «الكُبْرَى» على هذا مفعولاً ثانياً[١٦] «لِنُرِيَكَ» والتقدير: «لِنُرِيَكَ الكُبْرَى»[١٧] حال كونها من آياتنا، أي: بعض آياتنا ويجوز أن يكون المفعول الثاني نفس[١٨] «مِنْ آيَاتِنَا» فيتعلق بمحذوف أيضاً، و «الكُبْرَى»[١٩] على هذا صفة لـ «آيَاتِنَا» ووصف الجمع المؤنث غير العاقل وصف الواحد[٢٠] على حد «مَآرِبَ أُخْرَى»[٢١] و «الأَسْمَاءُ الحُسْنَى»[٢٢].

وهذان الوجهان قد نقلهما الزمخشري[٢٣] والحوفي[٢٤] (وأبو البقاء[٢٥])[٢٦] واختار

---

(١) في ب: عن العوق بالسوأة. وهو تحريف.
(٢) في ب: ن. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) الأدمة: السمرة.
(٥) في ب: عادها ردت.
(٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٣٠.
(٧) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٣١.
(٩) في ب: وذكر.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.
(١١) البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.
(١٢) في ب: بأخرج. وهو تحريف.
(١٣) انظر التبيان ٢/ ٨٨٩.
(١٤) الكشاف ٢/ ٤٣١.
(١٥) في ب: أنها.
(١٦) ثانياً: سقط من ب.
(١٧) الكبرى: سقط من ب.
(١٨) من: سقط من الأصل.
(١٩) في ب: ويكون الكبرى.
(٢٠) في الأصل: وصفاً لجمع المؤنث غير العاقلة وصف الواحدة.
(٢١) [طه: ١٨].
(٢٢) [طه: ٨].
(٢٣) قال الزمخشري: («لنريك» أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو: لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو: لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك) الكشاف ٢/ ٤٣١.
(٢٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٧.
(٢٥) قال أبو البقاء: (والكبرى صفة لآيات: وحكمها حكم مآرب، ولو قال: الكبر لجاز، ويجوز أن تكون الكبرى نصباً بـ «نريك» و«من أياتنا» حال منها، أي: لنريك الآية الكبرى من آياتنا) التبيان ٢/ ٨٨٩.
(٢٦) ما بين القوسين في ب: وأبو البقاء وابن عطية. أي: لنريك من آياتنا الآية الكبرى. قال: وقال: من آياتنا الكبرى. ولم يقل الكبر لرؤوس الآي.

أبو حيَّان الثاني قال: لأنه يلزم من ذلك أن تكون آياته كلها هي الكبرى، لأن ما كان بعض[١] الآيات الكُبَر صدق عليه آية[٢] الكبرى، لأنها هي المتصفة[٣] بأفْعَل التفضيل، وأيضاً إذا جُعِلت «الكبرى» مفعولاً فلا يمكن[٤] أن يكون صفة للعصا[٥] واليد معاً، إذ كان يلزم التثنية، ولا جائز أن يخصَّ أحدهما بالوصف دون الأخرى[٦]، لأن التفضيل في كل منهما[٧].

فصل

قال المفسرون: قال: «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى» ولم يقل: الكُبَر لرؤوس الآي[٨].

وقيل[٩]: فيه إضمار معناه: لِنُرِيَكَ من آياتنا الآية الكبرى ويدل عليه قول ابن عباس[١٠]: كانت يد موسى أكبر آياته[١١] وهو قول الحسن قال: اليد أعظم في الإعجاز من العصا، فإنه جعل «الكُبْرَى» مفعولاً ثانياً[١٢] لنريك وجعل ذلك (راجعاً للآية القريبة، وقد)[١٣] ضُعِّفَ ذلك بأنه ليس في اليد إلا تغير اللون، (وأما العصا ففيها تغير اللون)[١٤] وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة، وابتلاع الشجر والحجر، ثم عادت عصا بعد ذلك، فقد وقع التغير مرة أخرى في كل هذه الأمور فكانت العصا أعظم[١٥].

وأما قوله: «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى» فقد ثبت أنه عائد إلى الكلام، وأنه غير مختص باليد[١٦].

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

قوله تعالى[١٧]: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ لما أظهر له الآيات عقبها بأنْ أمره بالذهاب إلى فرعون، وبيَّن العلة في ذلك، وهو أنه طغى، وإنما خص فرعون بالذكر مع

---

(١) في ب: من.
(٢) في ب: آيات. وهو تحريف.
(٣) في ب: المتصلة وهو تحريف.
(٤) في ب: فلا يلزم. وهو تحريف.
(٥) في ب: العصا.
(٦) في ب: الآخر.
(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٣٧. بتصرف يسير.
(٨) انظر القرطبي ١١/ ١٩١.
(٩) وقيل: سقط من ب.
(١٠) في ب: ابن عباس رضي الله عنه.
(١١) انظر القرطبي ١١/ ١٩١.
(١٢) في ب: بآياتنا. وهو تحريف.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: وجعل ذلك قريباً.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣٠، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٧.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣٠.
(١٧) تعالى: سقط من ب.

أنه بُعِثَ موسى إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبَّر، وكان متبوعاً فكان ذكره أولى[١]. ومعنى «طَغَى»[٢] جاوز الحد في العصيان والتمرد، فبلِّغْهُ رسالتي وادْعُهُ إلى عبادتي وحذِّرْهُ نِقمتي.

قال موسى: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» وسّعه للحقّ.

(قال ابن عباس)[٣]: يريد حتى لا أخاف غيرك[٤]. والسبب في هذا السؤال ما حكى الله تعالى[٥] عنه في موضع آخر «وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي»[٦][٧] وذلك[٨] أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً، لشدة شوكته وكثرة جنوده[٩]، وكان يضيق صدراً (بما كُلِّفَ)[١٠] من مقاومة فرعون[١١] فسأل[١٢] الله تعالى أن يوسع قلبه حتى يعلم أن أحداً لا يقدر[١٣] على مضرته إلا بإذن الله تعالى[١٤]، وإذا علم ذلك لم يَخَفْ فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده[١٥].

(قوله: «لِي)[١٦] صَدْرِي» متعلق بـ «اشْرَحْ»، قال الزمخشري: فإن قلت[١٧]: (لي)[١٨] في قوله: «اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي» ما جدواه والأمر مستتب بدونه. قلت[١٩]: قد أبهم الكلام أولاً فقال: «اشْرَحْ لِي» «وَيَسِّرْ لِي»[٢٠] فعلم أن ثَمَّ مشروحاً وميسراً، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد لطلب الشرح لصدره، والتيسير لأمره[٢١].

ويقال: يَسَّرْتُهُ لكذا، ومنه «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى»[٢٢] ويسرت له كذا، ومنه هذه الآية[٢٣].

قوله: «وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي» أي سَهِّل عليَّ[٢٤] ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون[٢٥]. وذلك[٢٦] لأن كل ما يصدر من العبد من الأفعال، والأقوال[٢٧] والحركات،

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣٠.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١٩.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤١٩.
(٥) تعالى: سقط من ب.
(٦) [الشعراء: ١٣].
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٣١.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠.
(٩) في ب: جنوده قوله. وهو تحريف.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: فرعون وحده.
(١٢) في ب: فكان يسأل.
(١٣) في ب: أن لا أحد يقدر.
(١٤) تعالى: سقط من ب.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن البغوى ٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠.
(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٧) في ب: فإن قيل.
(١٨) لي: سقط من ب.
(١٩) في ب: والجواب.
(٢٠) في ب: اشرح لي صدري ويسّر لي أمري.
(٢١) الكشاف ٢/ ٤٣٢.
(٢٢) [الليل: ٧].
(٢٣) أي أن (يسّر) يجوز أن يتعدى إلى المفعول به بنفسه أو بحرف الجر.
(٢٤) عليّ: سقط من ب.
(٢٥) انظر البغوي ٥/ ٤٢٠.
(٢٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٣٤.
(٢٧) في ب: الأقوال والأفعال.

والسكنات فما لم يصر العبد مريداً له استحال أن يصير[١] فاعلاً له، فهذه الإرادة[٢] صفة محدثة، ولا[٣] بد لها من فاعل، وفاعلها إن كان[٤] هو العبد افتقر في تحصيل تلك[٥] الإرادة إلى إرادة أخرى ولزم[٦] التسلسل بل لا بد من الانتهاء إلى[٧] إرادة يخلقها مدبر العالم ففي الحقيقة هو الميسر للأمور[٨].

قوله: «واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي»، وذلك أن[٩] موسى[١٠] كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمةً، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوّي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يَعْقِل ولا يميز جَرِّبْه إن شئت، فجاء بطشتين في أحدهما جمر، والآخر جوهر، فوضعهما بين يدي موسى، فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل عليه السلام[١١] يد موسى[١٢] فوضعها على النار، فأخذ جمرة فوضعها في فيه، فاحترق لسانه، (وصارت عليه عقدة)[١٣].

وقيل: قرَّبا إليه ثمرةً وجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه[١٤].

[قالوا][١٥]: ولم تحترق اليد، لأنها آلة أخذ العصا[١٤].

وقيل: كان ذلك التعقد[١٦] خلقة فسأل الله تعالى إزالته[١٤]. واختلفوا في أنه لِمَ طلب حل العقدة؟ فقيل: لئلا يقع خلل في أداء[١٧] الوحي. وقيل: لئلا يستخف بكلامه[١٨] فينفروا عنه ولا يلتفتوا إليه. وقيل: لإظهار المعجزة كما أن حبس لسان[١٩] زكريا عن الكلام كان معجزاً في حقه، فكذا إطلاق لسان موسى ـ عليه السلام ـ[٢٠] معجز في حقه[٢١].

فصل[٢٢]

قال الحسن[٢٣]: إن تلك العقدة زالت بالكلية، لقوله تعالى[٢٤]: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ

---

(١) في ب: يكون.
(٢) في ب: الآية. وهو تحريف.
(٣) في ب: فلا.
(٤) في ب: فإن كان الفاعل.
(٥) في ب: ذلك. وهو تحريف.
(٦) في ب: ويلزم.
(٧) في ب: من.
(٨) آخر من نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٣٤.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.
(١٠) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١٣) آخر ما نقله عن البغوي ٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٤٧.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: العقد. وهو تحريف.
(١٧) في ب: أدائه. وهو تحريف.
(١٨) في الأصل: في كلامه. وهو تحريف.
(١٩) لسان على هامش الأصل، وسقط من ب.
(٢٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٤٨.
(٢٢) في ب: فإن قيل.
(٢٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٤٨. بتصرف يسير.
(٢٤) تعالى: سقط من ب.

يَا مُوسَى»[١]، وقيل: هذا ضعيف[٢]، لأنه عليه السلام[٣] لم يقل: واحْلُلْ العقدة من لساني بل قال: «واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي»، فإذا حل عقدة واحدة فقد آتاه الله[٤] سؤله، والحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شيء لقوله حكاية عن فرعون «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ»[٥] مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه وأجيب[٦] عنه بوجهين:

أحدهما: أن المراد بقوله: «وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ» أي لا يأتي ببيان وحجة.

والثاني: أن (كَادَ) بمعنى قَرُبَ. فلو كان المراد هو البيان اللساني، لكان معناه: أنه لا يقارب البيان، فكان فيه نفي البيان بالكلية، وذلك باطل، لأنه خاطب فرعون وقومه، وكانوا يفهمون، فكيف يمكن نفي البيان، بل إنما قالوا ذلك تمويهاً ليصرفوا الوجوه عنه[٧]. واعلم[٨] أن[٩] النطق فضيلة عظيمة، ويدل عليه وجوه[١٠]:

الأول: قوله تعالى: «خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ»[١١]، ولهذا قيل للإنسان: هو الحيوان الناطق.

الثاني: اتفاق العقلاء[١٢] على تعظيم أمر[١٣] اللسان قال زهير:

٣٦٥٤ ـ لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ[١٤] فؤاده فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ[١٥]

وقالوا[١٦]: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مرسلة[١٧]. أي لو ذهب النطق اللساني لم يبق من الإنسان إلا القدر الحاصل في البهائم.

وقالوا: المَرءُ[١٨] بأصغريه أي قلبه ولسانه.

وقالوا[١٩]: «المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه».

---

(١) [طه: ٣٦].
(٢) ضعيف: سقط من الأصل.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: الله تعالى.
(٥) [الزخرف: ٥٢].
(٦) في ب: فالجواب.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٤٨. بتصرف يسير.
(٨) في ب: فصل واعلم.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٤٦.
(١٠) في ب: وجه. وهو تحريف.
(١١) [الرحمن: ٣، ٤].
(١٢) في ب: العلماء العقلاء.
(١٣) أمر: سقط من ب.
(١٤) ونصف: سقط من ب.
(١٥) البيت من بحر الطويل قاله زهير وهو في جمهرة أشعار العرب ١/٣٠٠، والبيان والتبيين ١/١٧١ ونسبه الجاحظ إلى الأعور الشني، والفخر الرازي ٢٢/٤٦.
واستشهد به على عظم أمر اللسان.
(١٦) في الفخر الرازي: وقال علي.
(١٧) في ب: مرسل. وهو تحريف.
(١٨) في الأصل: الإنسان.
(١٩) في الفخر الرازي: وقال ﷺ.

الثالث: أن في مناظرة آدم ـ عليه السلام[(١)] ـ مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة إلا بالنطق حيث قال: «يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِم قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ»[(٢)(٣)].

قوله: «مِنْ لِسَانِي» يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ «عُقْدَة» أي: من عقد لساني، ولم يذكر الزمخشري غيره[(٤)]. ويجوز أن يتعلق بنفس «احلُلْ»[(٥)]، والأول أولى. قوله: «واجْعَلْ لِي وَزِيراً» يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً مقدَّماً و «وَزِيراً» هو المفعول الأول[(٦)]، و «مِنْ أَهْلِي» على هذا يجوز أن يكون صفة لـ «وَزِيراً»، ويجوز أن يكون متعلقاً بالجعل[(٧)]، و «هَارونَ» بدل[(٨)] من «وَزِيراً» وجوَّز أبو البقاء أن يكون «هَارُونَ» عطف بيان لـ «وَزِيراً»[(٩)]. ولم يذكرالزمخشري غيره[(١٠)]. ولما حكى أبو حيان هذا لم يعقبه بنكير، وهو عجب منه فإنَّ عطفَ البيان يُشترط فيه التوافق تعريفاً وتنكيراً[(١١)]، وقد عرفت أن وزيراً نكرة، وهارون معرفة.

والزمخشري قد تقدَّم له مثل ذلك في قوله تعالى: «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ»[(١٢)]، وتقدَّم الكلام معه هناك، وهو عائد هنا[(١٣)].

ويجوز أن يكون «هارون» منصوباً بفعل محذوف كأنه قال: أخصُّ من بينهم هارون

---

(١) عليه السلام: سقط من ب.
(٢) [البقرة: ٣٣].
(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٤٦. بتصرف.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٣٢.
(٥) ونسبه أبو حيان إلى الحوفي البحر المحيط ٦/ ٣٣٩، وجوز أبو البقاء الوجهين التبيان ٢/ ٨٨٩.
(٦) في ب: الأولى.
(٧) في ب: قوله.
(٨) في ب: بدلاً.
(٩) التبيان ٢/ ٨٩٠.
(١٠) الكشاف ٢/ ٤٣٢.
(١١) وذلك لأن عطف البيان كالنعت يوافق متبوعه في الإعراب، والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير. انظر شرح التصريح ٢/ ١٣١.
(١٢) [آل عمران: ٩٧].
وقول الزمخشري إن «مقام إبراهيم» عطف بيان لقوله: «آيات بينات» مخالف للبصرين والكوفيين، لأنهم أجمعوا على أن النكرة لا تبين بالمعرفة، وجمع المؤنث لا يبين بالمفرد المذكر، ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأنهم نصوا على أن البدل منه إذا كان متعدداً وكان البدل غير واف بالعدة تعين القطع وإنما التقدير منها مقام إبراهيم أو بعضها مقام إبراهيم فهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ.
وقد ذكر الزمخشري توجيهاً لصحة كون (مقام إبراهيم) عطف بيان لآيات بينات فقال: (فإن قلت: كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت: فيه وجهان أحدهما: أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه، وقوة دلالته على قدرة الله، ونبوة إبراهيم... والثاني اشتماله على آيات، لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية..) الكشاف ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، شرح التصريح ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢.
(١٣) انظر اللباب ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

من بين أهلي[١] ويجوز أن يكون «وَزيراً» مفعولاً ثانياً و «هارُونَ» هو الأول[٢]، وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر[٣] الوزارة[٤]. وعلى هذا فقوله: «لِي» يجوز أن يتعلق بنفس الجعل، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «وَزيراً»[٥] إذ هو في الأصل صفة[٦] له[٧]، و «مِنْ أَهْلِي» على ما تقدم من وجهيه[٨] ويجوز أن يكون «وَزِيراً» مفعولاً[٩] أول، و «مِنْ[١٠] أَهْلِي» هو الثاني. وقوله: «لِي» مثل قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد»[١١]. يعنون أنه به يتم المعنى. ذكر ذلك أبو البقاء[١٢].

ولما حكاه[١٣] أبو حيان لم يعقبه بنكير، وهو عجب، لأن شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية، وأنت لو ابتدأت بوزير[١٤] وأخبرت عنه بـ (مِنْ أَهْلِي)[١٥] لم يجز، إذ[١٦] لا مسوِّغ للابتداء به[١٧]. و «أَخِي» بدل أو عطف بيان لـ «هَارُونَ»[١٨].

وقال[١٩] الزمخشري: وإن جعل[٢٠] عطف بيان آخر جازَ وحَسُن[٢١].

قال أبو حيَّان: ويبعُدُ فيه عطفُ البيان، لأن عطف البيانِ الأكثر فيه أن[٢٢] يكون الأول دونه في الشهرة، وهذا بالعكس[٢٣].

قال شهاب الدين: لم يُرِد الزمخشري أنَّ «أَخِي» عطفُ بيان لـ «هَارُونَ» حتى يقول الشيخ[٢٤]: إن الأول وهو «هَارُونَ» أشهر من الثاني وهو «أَخِي»، إنما[٢٥] عنى الزمخشري أنه عطفُ بيان أيضاً لـ «وزيراً»[٢٦]، ولذلك[٢٧] قال[٢٨]: آخر، ولا[٢٩] بد

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٨٩٠. وبعد أن حكى أبو حيان هذا الوجه قال: (وهذا لا حاجة إليه، لأن الكلام تام بدون هذا المحذوف) البحر المحيط ٦/ ٢٤٠.

(٢) في ب: هو الأول مقدماً. وهو تحريف.

(٣) في ب: اعتبار أمر. وهو تحريف.

(٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٢، التبيان ٢/ ٨٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(٥) في ب: وزير.

(٦) صفة: سقط من ب.

(٧) انظر البيان ٢/ ١٤١، التبيان ٢/ ٨٩٠.

(٨) من كونه صفة لـ «وزيراً» أو متعلقاً بالجعل.

(٩) في النسختين: مفعول.

(١٠) من: سقط من ب.

(١١) [الإخلاص: ٤].

(١٢) التبيان ٢/ ٨٩٠.

(١٣) ف ب: حكى. وهو تحريف.

(١٤) في ب: وزيراً.

(١٥) في ب: وأخبرت أهلي. وهو تحريف.

(١٦) في ب: لأنه.

(١٧) وذلك لأن وزيراً نكرة ولا يجوز الابتداء بالنكرة، لأن النكرة مجهولة والحكم على المجهول لا يفيد. ولكن يبتدأ بها إذا وجد مسوغ من مسوغات الابتداء بالنكرة، وهنا لا يوجد مسوغ للابتداء بـ «وزيراً».

(١٨) انظر البيان ٢/ ١٤١، والتبيان ٢/ ٨٩٠.

(١٩) في ب: قال.

(٢٠) في ب: جعلا. وهو تحريف.

(٢١) الكشاف ٢/ ٤٣٢.

(٢٢) أي: سقط من ب.

(٢٣) البحر المحيط ٦/ ٢٤٠.

(٢٤) الشيخ: سقط من ب.

(٢٥) في ب: وإنما.

(٢٦) في ب: الوزير.

(٢٧) في النسختين: وكذلك. والصواب ما أثبته.

(٢٨) قال: سقط من ب. أي قال الزمخشري.

(٢٩) في ب: فلا.

من الإتيان بلفظه ليعرف أنه لم يرد إلا ما ذكرته[١].

قال[٢]: «وَزِيراً» و «هَارُونَ» مفعولا[٣] قوله: «اجْعَلْ»، أَوْ «لِي وَزِيراً» مفعولاه[٤]، و «هَارُونَ» عطفُ بيان للوزير، و «أَخِي» في الوجهين بدل من «هَارُونَ»، وإن جعل[٥] عطف بيان آخر جازَ وحَسُن[٦] فقوله: (آخر) يُعَينُ أن يكون عطفَ بيان لما جُعِل عنه عطف بيان قبل ذلك.

وجوَّز الزمخشري (في «أَخِي»)[٧] أن يرتفع بالابتداء، ويكون خبره الجملة من قوله: «اشْدُدْ بِهِ»، وذلك على قراءة الجمهور له بصيغة الدعاء، وعلى هذا فالوقف على «هَارُونَ»[٨]. وقرأ ابن عامر «أَشْدُد» للمضارعة[٩]، وجزم الفعل جواباً للأمر، «وَأُشْرِكْهُ» بضم الهمزة للمضارعة، وجزم الفعل نسقاً على ما قبله حكاية عن موسى: أنا أفعل[١٠] ذلك[١١]. وقرأ الباقون بحذف همزة الوصل من الأول وفتح[١٢] همزة القطع في الثاني على أنهما دعاء من موسى لربه بذلك[١٣]، وعلى هذه الجملة قد ترك فيها العطف خاصة دون ما تقدمها من جمل الدعاء وقرأ الحسن «أُشَدِّدُ» مضارع شدد بالتشديد[١٤].

والوزير[١٥]: قيل: مشتق من الوِزْر، وهو الثقل[١٦]. وسمي به[١٧] لأنه تحمل أعباء الملك ومؤنه، فهو معين عَلَى أمْر المُلك وقائم بأمره.

وقيل: هو[١٨] من الوَزر، وهو الحبل[١٩] الذي يتحصن به وهو الملجأ[٢٠] لقوله

---

(١) الدر المصون ٥/ ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) أي الزمخشري.
(٣) في ب: مفعول. وهو تحريف.
(٤) في ب: مفعول. وهو تحريف.
(٥) في ب: جعلا. وهو تحريف.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٣٢.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) قال الزمخشري: ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل «أخي» مرفوعاً على الابتداء و «اشدد به» خبره ويوقف على «هارون» الكشاف ٢/ ٤٣٢. وقال أبو حيان رداً على ما جوزه الزمخشري (وهو خلاف الظاهر فلا يصار إليه لغير حاجة) البحر المحيط ٦/ ٢٤٠.
(٩) في ب: للمضارعة وجزم الفعل نسقاً على ما قبله حكاية عن موسى أني أفعل ذلكِ وقرأ أيضاً أشدد للمضارعة.
(١٠) يريد أن الكلام لموسى حكاه الله عز وجل.
(١١) انظر السبعة ٤١٨، الحجة لابن خالويه (٢٤١)، الكشف ٢/ ٩٧، النشر ٢/ ٣٢٠، الإتحاف (٣٠٣).
(١٢) في ب: وحذف. وهو تحريف.
(١٣) انظر السبعة ٤١٨، الحجة لابن خالويه (٣٤١). الكشف ٢/ ٩٧، النشر ٢/ ٣٢٠، الإتحاف (٣٠٣).
(١٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٠، وقد نقل أبو حيان هذه القراءة عن صاحب اللوامح فإنه قال: (وقال صاحب اللوامح عن الحسن إنه «أشدد به» مضارع شدَّد للتكثير والتكرير، أي: كلما حزبني أمر شدد به أزري).
(١٥) في ب: فصل قوله: وزيراً.
(١٦) الوزر: الحمل الثقيل.
(١٧) في ب: وسمي بذلك.
(١٨) في ب: بل هو.
(١٩) في ب: وهو من الجبل.
(٢٠) وهو الملجأ: سقط من ب.

تعالى: «كَلاَّ[١] لاَ وَزَرَ»[٢][٣] قال:

٣٦٥٥ ـ مِنَ السِّبَاعِ الضَّوَارِي دُونَهَا وَزَرٌ وَالنَّاسُ شَرُّهُمُ مَا دُونَهُ وَزَرُ
كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ وَلاَ تَرَى بَشَراً لَمْ يُؤْذِهِمِ بَشَرُ[٤]

وقيل[٥]: من المُؤَازَرة، وهي المعاونة، نقله الزمخشري عن الأصمعي قال: وكان القياس أزيراً[٦] يعني بالهمزة، لأن المادة كذلك، قال الزمخشري: (فقلبت)[٧] الهمزة إلى الواو، ووجه قلبها إليها أنَّ فَعِيلاً جاء بمعنى مُفَاعِل مجيئاً صالحاً كقولهم: عَشِيرِ، وجَلِيس، وخَلِيط وصَدِيق، وخَلِيل، ونَدِيم فلما قلبت في أخيه قلبت فيه، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز، ونظر إلى يُؤَازِر[٨] وإخوته وإلى المؤازرة[٩]. يعني أن وزيراً بمعنى مُؤَازِر، ومُؤَازِر تقلب فيه الهمزة واواً[١٠] قليلة قياساً، لأنها همزة مفتوحة بعد ضمة[١١][١٢] فهو نظير مُؤَجل ويُؤَاخذكم وشبهه، فَحُمِل أَزير عليه في القلب، وإنْ لم يكن فيه سبب القلب. والمُؤَازرة مأخوذةٌ من إزار الرجل، وهو الموضع الذي يشده الرجل إذا استعد لعمل متعب[١٣].

فصل

اعلم[١٤] أن طلبَ الوزير إما أنه خاف على نفسه العجزَ عن القيام بذلك الأمر فطلب المُعين، أو لأنه رأى أنَّ التعاونَ على الدين والتظاهرَ عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة قربةٌ عظيمة في الدعاء إلى الله تعالى، ولذلك قال عيسى ابن مريم[١٥]: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّه»[١٦]، وقال لمحمد عليه السلام[١٧] «يَا

(١) كلا: سقط من الأصل.
(٢) [القيامة: ١١].
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٥٧.
(٤) البيتان من بحر البسيط للخطابي. وهو في البحر المحيط ٦/٢٣٩ والخزانة ٢/١٢٤.
(٥) في ب: وهي. وهو تحريف.
(٦) الكشاف ٢/٤٣٢.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه: وقلبت.
(٨) في النسختين الوازر. والصواب ما أثبته.
(٩) الكشاف ٢/٤٣٢.
(١٠) في ب: واو. وهو تحريف.
(١١) ضمة: سقط من ب.
(١٢) قال سيبويه: (وإذا كانت الهمزة مفتوحةً وقبلها ضمة، وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واواً كما أبدلت مكانها ياء حيث كان ما قبلها مكسوراً، وذلك قولك في التؤدة تودة، وفي الجؤن جون، وتقول: غلام وبيك إذا أردت غلام أبيك) الكتاب ٣/٥٤٣.
(١٣) في ب: إذا أراد العمل المتعب.
(١٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٤٨ ـ ٤٩.
(١٥) في ب: عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام.
(١٦) [آل عمران: ٥٢].
(١٧) في ب: وقال لمحمد ﷺ وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

أَيُّهَا النَّبِيُّ[١] حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[٢] وقال عليه السلام[٣]: «إنَّ لِي فِي السَّمَاءِ وَزِيرَيْن، وَفِي الأَرْضِ وَزِيرَيْن فاللَّذانَ فِي السَّماءِ جِبْرِيلُ وميكائِيلُ (عليهما السلام)[٤] وَاللَّذانِ في الأرض أبو[٥] بكرٍ وَعمَرُ (رضي الله عنهما»[٦])[٧].

وقال عليه السلام[٨]: «إذَا أَرادَ اللَّهُ بِمَلِكٍ خيراً قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ وَزِيراً صَالِحاً إنْ نَسِيَ ذكَّره، وإنْ نَوَى خَيْراً أعانَه، وإنْ أرادَ شَرّاً كَفَّهُ»[٩] وقال أنوشروان: لاَ يَسْتَغْنِي أجودُ السيوف عن الصقل، ولا أكرمُ الدوابِّ عن السَّوْط (ولا أعلمُ الملوك عن الوزير)[١٠][١١]. وأراد موسى ـ عليه السلام[١٢] ـ أن يكون ذلك الوزير من أهله أي من أقاربه، وأن يكون أخاه هارون، والسببُ فيه إما لأن التعاونَ على الدين[١٣] منفعة عظيمة فأراد[١٤] أن لا تحصل هذه[١٥] الدرجة إلا لأهله، أو لأن كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه[١٦].

وكان هارونُ أكبرَ سناً من موسى بأربع سنين، وكان أفصحَ منه لساناً، وأجملَ، وأوسمَ أبيض اللون، وكان موسى آدم اللون أَقْنَى جَعْداً[١٧].

و «اشْدُدْ بِهِ (أزري» قَوِّ)[١٨] ظَهْرِي، «وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» في النبوة. والأَزْرُ القوة، وَآزَرَهُ: قَوَّاهُ. وقال أبو عبيدة[١٩]: أَزْرِي: ظَهْرِي[٢٠]. وفي كتاب الخليل: الأَزْرُ الظَّهرُ[٢١].

ثم إنه تعالى حكى عنه ما لأجله دعا بهذا الدعاء فقال: «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً» قال الكلبي: نُصَلِّي لكَ كثيراً، ونحمدُك، ونثني عليك[٢٢].

والتَّسبيحُ: تنزيهُ اللَّهِ تعالى في ذاته وصفاته عمَّا لا يليق به[٢٣]. «وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً» أي: نصفُك بصفاتِ الجَلالِ والكِبْرِيَاء.

---

(١) «يا أيُّها النبيُّ»: سقط من ب.
(٢) [الأنفال: ٦٤].
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في الأصل: أبي. وهو تحريف.
(٦) أخرجه الترمذي (مناقب) ٥/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: وقال ﷺ.
(٩) أخرجه أبو داود (إمارة) ٣/ ٣٤٥.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٤٨ ـ ٤٩.
(١١) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) على الدين: سقط من ب.
(١٤) في ب: أراد.
(١٥) في ب: هذه المنفعة.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٤٩.
(١٧) انظر البغوي ٥/ ٤٢١.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٩) في ب: أبو عبيد. وهو تحريف.
(٢٠) مجاز القرآن ٢/ ١٨.
(٢١) العين (أزر).
(٢٢) انظر البغوي ٥/ ٢٤٢.
(٢٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٥٠.

قوله: «كَثِيراً» نعت لمصدر محذوف[١]، أو حال من ضمير المصدر كما هو رأي سيبويه[٢].

وجوَّز أبو البقاء: أن يكون نعتاً لزمان محذوف، أي: زماناً كثيراً[٣].

قوله: «إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً» أي عالِماً بأنَّا لا نريد بهذه الطاعات[٤] إلا وجهَك ورضاك، أو بصيراً بأنَّ الاستعانَة بهذه الأشياء لأجل حاجتي في النبوة إليها، أو بصيراً بوجوه مصالحنا فَأَعْطِنَا ما هو أصلح لنا[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾.

قوله تعالى: «قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى» فُعْل بمعنى مَفْعُول كقولك[٦]: خُبْزٌ بمعنى مَخْبُوز وأُكْلٌ بمعنى مَأكُول، ولا ينقاس[٧] و «مَرَّةً» مصدر، و «أُخْرَى» تأنيث آخر بمعنى: غير، وزعم بعضهم أنها بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى[٨]، وتخيَّلَ لذلك بأن قال سمّاها أخرَى وهي أولَىٰ، لأنها أخرى في الذكر[٩].

فصل

إن موسى[١٠] عليه السلام[١١] لما سأل[١٢] ربه تلك[١٣] الأمور الثمانية، وكان في المعلوم أن قيامه بما كلفه[١٤] (لا يتم إلا بإجابته إليها، لا جرم أجابه الله تعالى إليها ليكون أقدر على إبلاغ ما كلف به)[١٥] فقال: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى» فنبه بذلك على أمور:

---

(١) تقديره: تسبيحاً كثيراً. انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦. تفسير ابن عطية ١٠/ ٢٥، البيان ٢/ ٨٩٠، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٠.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٠.

(٣) التبيان ٢/ ٨٩٠، وانظر أيضاً مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦ ـ ٦٧.

(٤) في ب: الطاعة.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٥٠ بتصرف.

(٦) في ب: كقوله.

(٧) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٣.

(٨) وقد نفاه أبو حيان في البحر المحيط فقال: (وليست أخرى بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى) ٦/ ٢٤٠.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٠.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥١.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: لما ذكر لما سأل.

(١٣) في ب: في هذه. وهو تحريف.

(١٤) في ب: كلف به.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

أحدها[١]: كأنه تعالى قال: إني رَاعَيْتُ مَصْلحتَكَ قبل سؤالك[٢] فكيف لا أُعطيك مرادك بعد السؤال.

وثانيها[٣]: إني[٤] كنت ربيتُك فلو منعتك الآن كان ذلك رداً بعد القبول وإساءة بعد الإحسان، فكيف يليق بكرمي.

وثالثها[٥]: إنا أعطيناك في الأزمنةِ السالفةِ كلَّ ما احتجتَ إليه، ورقَّيْنَاكَ إلى الدرجة العالية، وهي درجة[٦] النبوة، فكيف يليق بمثل هذه الرتبة[٧] المنع عن المطلوب. ومعنى «مَنَنَّا عَلَيْكَ» أَنعَمْنَا عَلَيْكَ «مَرَّةً أُخْرَى» فإن قيل: لِمَ ذكر تلك[٨] النِّعَم بلفظ المنّة مع أن هذه اللفظة مؤذية والمقامُ مقامُ التلطف؟

فالجواب: إنما ذكر ذلك ليعرف موسى عليه السلام[٩] أن هذه النعم التي وصل إليها ما كان مستحقاً لشيء منها، بل إنما خصَّه الله بها لمحض التفضل[١٠] والإحسان.

فإن قيل: لم قال: «مَرَّةً أُخْرَى» مع أنه تعالى ذكر «مِنَناً» كثيرة؟

فالجواب: لَمْ[١١] يُعْن بـ «مَرَّةً أُخْرَى» مرة[١٢] واحدة من المنن، لأن ذلك قد[١٣] يقال في القليل والكثير[١٤].

قوله: «إِذْ أَوْحَيْنَا» العامل في «إِذْ مَنَنا»[١٥] أي مننا عليك في وقت إيحائنا إلى أمك، وأبهَمَ في قوله: «مَا يُوحَى» للتعظيم كقوله تعالى: «فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم»[١٦] وهذا وحي إلهام، لأن الأكثرين على أن أم موسى ـ عليه السلام[١٧] ـ ما كانت من الأنبياء، وذلك[١٨] لأن المرأة لا تصلح للقضاء والإمامة، ولا تمكن عند أكثر العلماء من تزويج نفسها، ويدل على ذلك[١٩] قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ»[٢٠].

---

(١) في ب: الأول.
(٢) في ب: سؤلك.
(٣) في ب: والثاني.
(٤) في ب: إن.
(٥) في ب: والثالث.
(٦) في ب: منصب.
(٧) في النسختين: التربية. والصواب ما أثبته.
(٨) في ب: لفظ. وهو تحريف.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: لمن. وهو تحريف.
(١١) في ب: لمن. وهو تحريف.
(١٢) مرة: سقط من ب.
(١٣) مد: سقط من ب.
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥١.
(١٥) في قوله تعالى: ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى**﴾ الآية [٣٧] من السورة نفسها وانظر التبيان ٢/ ٨٩١.
(١٦) [طه: ٧٨] والاستشهاد بالآية على أن حق الكلام كان: فغشيهم من ماء اليم شدته، فعدل إلى لفظة (ما) لما فيها من الإبهام تهويلاً للأمر، وتعظيماً للشأن، لأنه أبلغ من التعيين لأن الوهم يقف في التعيين على الشيء المعين، ولا يقف عند الإبهام، بل يتردد في الأشياء المختلفة، فيكون أبلغ تخويفاً وتهديداً. انظر البيان ٢/ ١٥١.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) ذلك: سقط من ب.
(١٩) في ب: عليه.
(٢٠) [الأنبياء: ٧].

والوحي قد[١] جاء في القرآن لا بمعنى النبوة قال تعالى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ»[٢] «وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيينَ»[٣] ثم[٤] اختلفوا في المراد بهذا الوحي على وجوه[٥]:

الأول[٦]: أنه رؤيا رأتها[٧] أم موسى[٨]، وكان تأويلها وضع موسى عليه السلام[٩] في التابوت، وقذفه في البحر، وأن الله تعالى يرده إليها[١٠].

الثاني[١١]: أنه عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة.

الثالث[١٢]: المراد منه[١٣] خطور البال وغلبته على القلب.

فإن قيل: الإلقاء في البحر قريب من الإهلاك، وهو مساوٍ للخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعونَ، فكيف يجوز الإقدام على أحدهما لأجل الصيانَة عن الثاني؟ فالجواب لعلَّها عرفت بالاستقراء صدقَ رؤياها، فكان الإلقاء في البحر إلى السلامة أغلب على ظنها من وقوع الولد في يد فرعون، أو لعله[١٤] أَوْحَى إلى بعض الأنبياء في ذلك الزمان كشُعَيْب[١٥] أو غيره[١٦]، ثم إن ذلك النبي عرفها إمّا مشافهة، أو مراسلة.

واعترض عليه[١٧] بأن[١٨] الأمر لو كان كذلك لما لحقها الخوف. وأجيب[١٩]: ذلك الخوف كان من لوازم البشرية، كما أن موسى ـ عليه السلام[٢٠] ـ كان يخاف من فرعون مع أن الله ـ تعالى ـ كان أمره بالذهاب إليه مراراً.

الرابع من الأوجه[٢١]: لعل بعض الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام[٢٢] ـ أخبروا بذلك الخبر، وانتهى ذلك الخبر إلى أمه. أو لعل[٢٣] الله بعثَ إليها مَلَكاً لا[٢٤] على وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله: «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا»[٢٥].

---

(١) قد: سقط من ب.
(٢) [النحل: ٦٨].
(٣) [المائدة: ١١١].
(٤) في ب: فصل.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٠ ـ ٥٢.
(٦) في ب: أحدها.
(٧) في ب: أنها. وهو تحريف.
(٨) في ب: أم موسى عليه السلام.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في الأصل: عليها.
(١١) في ب: ثانيها.
(١٢) في ب: ثالثها.
(١٣) في ب: بذلك.
(١٤) في ب: أو لأنه.
(١٥) في ب: إلى شعيب عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في الأصل: وغيره.
(١٧) في ب: فإن قيل: واعترض عليه.
(١٨) في الأصل: أن.
(١٩) في ب: فالجواب.
(٢٠) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٢١) في الأصل: الثالث.
(٢٢) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٢٣) في ب: أو لأن.
(٢٤) لا: سقط من الأصل.
(٢٥) [مريم: ١٧].

وأما قوله: «مَا يُوحَى»[١] معناه: أوحينا إلى أمِّكَ ما يجب أن يُوحَى، وإنما وجب ذلك الوحي، لأن الواقعة عظيمة، ولا سبيل إلى معرفة المصلحة فيها إلا بالوحي، فكان الوحي فيها واجباً[٢].

قوله: «أَن اقْذِفِيهِ»[٣] يجوز أن تكون «أَنْ» مفسِّرة، لأن الوحي[٤] بمعنى القول، ولم يذكر الزمخشري غيره[٥]. وجوز غيره أن تكون مصدرية، ومحلها حينئذ النصب بدلاً من «مَا يُوحَى»[٦] والضمائر في (قوله: «أن)[٧] اقْذِفِيهِ» إلى آخرِها[٨] عائدة[٩] على موسى ـ عليه السلام[١٠] ـ لأنه المحدَّث عنه[١١].

وجوَّز بعضهم أن يعود الضمير في قوله: «فَاقْذِفِيهِ[١٢] فِي اليَمِّ» للتابوت، وما بعده وما قبله لموسى[١٣] ـ عليه السلام[١٤] ـ وعَابَه الزمخشري وجعله تنافراً ومُخْرِجاً للقرآن عن إعجازه فإنه[١٥] قال: والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع[١٦] بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة[١٧] لما يؤدي إليه من تنافر النظم، فإن قلت[١٨]: المقذوفُ في البحر هو التابوتُ، وكذلك الملقى إلى الساحل قلت[١٩]: ما ضرك لو جعلت المقذوف والملقى إلى الساحل هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك[٢٠] النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون[٢١] الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسِّر[٢٢].

قال أبو حيَّان: ولقائلٍ أن يقول: إن الضمير إذا كانَ صالحاً لأن يعود على[٢٣]

---

(١) في الأصل: «ما أوحى».
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥١ ـ ٥٢ بتصرف.
(٣) في الأصل: فاقذفيه.
(٤) في ب: لأن معنى الوحي.
(٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٣.
(٦) ذكر هذا الرأي مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧، وابن الأنباري في البيان ٢/ ١٤٢ والعكبري في التبيان ٢/ ٨٩١، وزاد العكبري وجهاً آخر: وهو أن تكون على تقدير: هو أن اقذفيه أي خبر المبتدأ محذوف، ويجوز أن تكون بمعنى أي.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) وهي في قوله: **﴿فاقذفيه في اليمِّ فليلقه اليم﴾**.
(٩) في الأصل: عائد. وهو تحريف.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) انظر الكشاف: ٢/ ٤٣٣.
(١٢) في ب: «أن اقذفيه».
(١٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧، البيان ٢/ ١٤٢.
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في ب: فإن وهو تحريف.
(١٦) في ب: ورجع. وهو تحريف.
(١٧) الهجنة من الكلام: ما يعيبك.
(١٨) في ب: فإن قيل.
(١٩) في ب: فالجواب.
(٢٠) عليك: سقط من الأصل.
(٢١) في ب: والتابوت. وهو تحريف.
(٢٢) الكشاف ٢/ ٤٣٣.
(٢٣) في ب: إلى.

الأقرب وعلى الأبعد، كان[١] عوده على[٢] الأقرب راجحاً[٣]، وقد[٤] نص النحويون على هذا، فعوده على التابوت في قوله: «فَاقْذِفيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ»[٥] راجح، والجواب[٦]: أن أحدهما إذا كان محدَّثاً عنه[٧] والآخر فضلة كان عوده على المحدَّث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب ولهذا رددنا[٨] على[٩] أبي[١٠] محمد بن حزم[١١] في دعواه أن الضمير في قوله تعالى: «فَإنَّه[١٢] رِجْسٌ»[١٣] عائد على (خِنْزِير) لا على (لَحْم)، لكونه[١٤] أقرب مذكور، فيحرم بذلك شحمه، وغضروفه[١٥] وعظمه وجلده، فإن المحدَّث عنه هو[١٦] لحم خنزير[١٧] لا[١٨] خنزير[١٩]. وقد تقدمت هذه المسألة في الأنعام[٢٠].

قوله: «فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ» هذا أمر معناه الخبر، ولكونه أمراً لفظاً جُزم جوابُه في قوله «يَأْخُذْهُ»، وإنما خرج بصيغة الأمر مبالغة إذ الأمر أقطعُ الأفعال وآكدها، قال الزمخشري: لما كانت مشيئةُ الله وإرادته أن يجرى ماءُ اليَمِّ، ويلقي بذلك التابوت إلى الساحل سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليَمَّ كأنَّه ذو تمييزِ أمر بذلك ليطيع الأمر، ويمتثل رسمه فقيل: «فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالسَّاحِلِ»[٢١]. و «بالسَّاحِلِ» يحتمل أن يتعلق بمحذوف على أن الباء للحال. أي: ملتبساً بالسَّاحل. وأن يتعلق بنفس الفعل على أن الباء ظرفية بمعنى

---

(١) في ب: وكان.
(٢) في ب: إلى.
(٣) في ب: راجعاً إليه مرجحاً فإن قيل. وهو تحريف.
(٤) في ب: قد.
(٥) في ب: «اليم بالساحل».
(٦) في ب: فالجواب.
(٧) عنه: سقط من ب.
(٨) في ب: وعلى هذا أردنا. وهو تحريف.
(٩) في ب: إلى. وهو تحريف.
(١٠) أبي: سقط من ب.
(١١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، من مصنفاته الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، المحلَّى في الفقه، جمهرة الأنساب، الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، مات سنة ٤٥٦ هـ. الأعلام ٥/ ٥٩.
(١٢) في ب: إنه.
(١٣) من قوله تعالى: **﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلاَّ أن يكون ميتةً أوْ دماً مسفوحاً أو لحم حنزير فإنّه رجسٌ أو فسقاً أهلَّ لغير اللَّهِ به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإنَّ ربَّك غفورٌ رحيمٌ﴾** [الأنعام: ١٤٥].
(١٤) في ب: لأنه.
(١٥) في ب: وغضروفه.
(١٦) هو: سقط من الأصل.
(١٧) في ب: الخنزير.
(١٨) في ب: ولا.
(١٩) البحر المحيط ٦/ ٢٤١.
(٢٠) انظر اللباب ٣/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩.
(٢١) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٣، وقال الفراء: (ثم قال: «فليلقه اليم بالساحل» هو جزاء أخرج مخرج الأمر كأن البحر أمر. وهو مثل قوله: **﴿اتّبعوا سبيلنا ولنحمل﴾** [العنكبوت: ١٢] المعنى والله أعلم: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم. وكذلك وعدها الله: ألقيه في البحر يلقيه اليمُّ بالساحل). معاني القرآن: ٢/ ١٧٩.

(في)[١] والقذفُ يستعمل[٢] بمعنى الإلقاء والوضع، ومنه قوله: «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ»[٣] واليَمُّ[٤] البحر، والمراد[٥] به ههنا نيلُ مصرَ (في قول الجميع)[٦] واليَمُّ: اسم يقع على النهر والبحر[٧] العظيم.

قال الكسائي: والسَّاحِلُ فاعل[٨] بمعنى مَفْعُول، سمي بذلك لأن الماءَ يسحله أي: يغمره[٩] إلى أعلاه[١٠].

فصل

روي[١١] أنها اتخذت[١٢] تابوتاً.

قال مقاتل: إن الذي صنع التابوت حُزَيْقِيل مؤمن آل فرعون وجَعَلت في التابوت قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى، وقيرت رأسه وشقوقه بالقير[١٣]، ثم ألقته[١٤] في النيل، وكان يشرع منه نهر[١٥] كبير في[١٦] دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسيةَ إذا بتابوت يجيء به الماء، فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه، وفتحوا رأسَه، فإذا صبيٌّ من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك، فذلك[١٧] قوله: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي»[١٨] قال ابن عباس: أَحَبَّه وحبَّبَهُ[١٩] إلى خَلْقِه[٢٠].

وقال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه[٢٠].

فإن قيل: قوله: «يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ» ولم يكن موسى في ذلك الوقت معادياً له.

فالجواب من وجهين:

---

(١) كما في قوله: ﴿ولقد نصركم اللَّهُ ببدر﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقوله تعالى ﴿نجيناهم بسحر﴾ [القمر: ٣٤] انظر المغني ١/ ١٠٤.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٢.
(٣) [الأحزاب: ٢٦].
(٤) في ب: فصل.
(٥) في ب: المراد.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: البحر والنهر.
(٨) في ب: اسم فاعل.
(٩) في الأصل: يعمره.
(١٠) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٢.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٥٢.
(١٢) في ب: أخذت.
(١٣) القير والقار: لغتان، وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل. اللسان (قير).
(١٤) في ب: وألقته.
(١٥) في ب: تفر. وهو تحريف.
(١٦) في ب: من. وهو تحريف.
(١٧) في ب: بذلك.
(١٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٢. وانظر البغوي ٥/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦.
(١٩) في ب: وأحبه.
(٢٠) البغوي ٥/ ٤٢٦.

الأول: كونه كافراً عدواً لله[١]، وكونه عدواً لموسى ـ عليه السلام[٢] ـ، فإنه بحيث لو ظهر له[٣] حاله لقتله.

والثاني: عدواً بحيث[٤] يؤول أمره إلى عداوته[٥].

قوله[٦]: «مِنِّي» فيه[٧] وجهان: قال الزمخشري: «مِنِّي»[٨] لا يخلو[٩] إما أن يتعلق بـ «أَلْقَيْتُ» فيكون المعنى: على أني أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب.

وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـ «مَحَبَّةً»[١٠] أي: محبة حاصلة وواقعة مِني[١١] قد ركزتها أنا[١٢] في القلوب، وزرعتها فيها، فلذلك أحبتك امرأة فرعون حتى قالت: «قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ»[١٣]. روي أنه كان على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحة، لا يكاد يصبر عنه من رآه[١٤]، وهو كقوله ـ تعالى[١٥] ـ: «سَيَجْعَلُ لَهُمُ[١٦] الرَّحْمٰنُ وُدًّا»[١٧] قال القاضي[١٨]: هذا الوجه أقرب، لأنه حال صغره لا يكاد يوصف بمحبة الله تعالى التي ظاهرها من جهة الدين؛ لأن[١٩] ذلك إنما[٢٠] يستعمل في المكلف من حيث استحقاق الثواب.

فالمراد أول ما ذكر في كيفيته في الخلقة[٢١] يستحلى ويغتبط به، وكذلك كانت حاله[٢٢] مع فرعون وامرأته. (ويمكن أن يقال)[٢٣] بل[٢٤] الاحتمال الأول أرجح لأن[٢٥] الاحتمال الثاني يحوج إلى الإضمار، وهو أن يقال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً حاصلةً مِنِّي وواقعة[٢٦] بتخليقي، وعلى الأول لا حاجة إلى الإضمار[٢٧].

---

(١) في الأصل: كافر عدو. وهو تحريف.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) له: سقط من ب.
(٤) في ب: من حيث.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/٥٣.
(٦) قوله: سقط من ب.
(٧) في ب: يجوز فيها.
(٨) مني: سقط من ب.
(٩) في النسختين: لا يخلوا.
(١٠) في ب: بمحبة. وهو تحريف. وقد أجاز الوجهين أبو البقاء حيث قال: (ومنّي تتعلق بـ «ألقيت» ويجوز أن تكون نعتاً لـ «محبة») التبيان ٢/٨٩١.
(١١) وجوز أبو البقاء الوجهين. التبيان ٢/٨٩١.
(١٢) أنا: سقط من ب.
(١٣) [القصص: ٩].
(١٤) الكشاف ٢/٤٣٣.
(١٥) تعالى: سقط من ب.
(١٦) في ب: له. وهو تحريف.
(١٧) [مريم: ٩٦].
(١٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٥٣. بتصرف يسير.
(١٩) في ب: لا. وهو تحريف.
(٢٠) في ب: فإنما. وهو تحريف.
(٢١) في ب: الخطبة. وهو تحريف.
(٢٢) في ب: حالته. وهو تحريف.
(٢٣) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: بل يحتمل.
(٢٤) في ب: لأن. وهو تحريف.
(٢٥) في ب: و. وهو تحريف.
(٢٦) في ب: وواقعت. وهو تحريف.
(٢٧) لأن ما لا يحتاج إلى إضمار أولى مما يحتاج إليه.

وأما قوله: إنه حال صباه لا يحصل له محبة الله. فممنوع، لأن معنى محبة الله هو اتصال النفع إلى عباده، وهذا المعنى كان حاصلاً في حقه في زمان صباه، وعلم الله أن ذلك يستمر إلى آخر عمره، فلا جرم أطلق عليه لفظ المحبة[١]. قوله: «وَلِتُصْنَعَ» قرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون[٢] على البناء للمفعول، ونصب الفعل بإضمار (أنْ) بعد لام (كي)[٣]، وفيه وجهان:

أحدهما: أن هذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها.

والتقدير: ليتلطف بك ولتصنع[٤]، (أو ليعطف عليك)[٥] وترأم[٦] ولتصنع، وتلك[٧] العلة المقدرة متعلقة بقوله: «وَأَلْقَيْتُ» أي: ألقيت عليك المحبة (ليعطف عليك ولتصنع، ففي الحقيقة هو متعلق بما قبله من إلقاء المَحَبَّة[٨])[٩].

والثاني: أن هذه اللام تتعلق بمضمر بعدها، تقديره: ولتصنع على عيني فعلت ذلك، أي: ألقيت عليكَ محبةً مِنِّي، أو كان كيت وكيت[١٠].

ومعنى «وَلِتُصْنَعَ»[١١] أي لِتُرَبَّى ويُحْسَن إلَيْكَ، وأنا مراعيك، ومراقبك كما يراعي الإنسان الشيء بعينه إذا اعتنى به. قاله الزمخشري[١٢].

ومجاز هذا[١٣] أنَّ مَنْ صنعَ للإنسان شيئاً وهو حاضر ينظر إليه صنعه كما يُحِبُّ، ولا يمكنه أن يخالف غرضه فكذا هنا[١٤]. وفي كيفية المجاز قولان:

الأول: المراد من العَيْن العلم، أي تُرَبَّى على علم مِنِّي، ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات أطلق لفظ العَيْن على العلم (لاشتباههما)[١٥] من هذا الوجه[١٦].

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٣. بتصرف يسير.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.

(٣) وإضمار «أن» هنا جائز، لأن اللام لم تسبق بكون ناقص منفي، فيجب الإضمار نحو قوله تعالى: **﴿لم يكن اللَّهُ ليغفر لهم﴾** [النساء: ١٦٨] ولم يقترن الفعل بـ (لا) فيجب الإظهار نحو قوله تعالى: **﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾** [البقرة: ١٥٠] الأشموني ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٤) في ب: ولتصنع عليك. وهو تحريف.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) ترأم: تعطف.

(٧) في ب: وذلك. وهو تحريف.

(٨) ولم يذكر أبو البقاء غير هذا الوجه، قال: («ولتصنع»: أي: لتحب ولتصنع) التبيان ٢/ ٨٩١.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) وجوز الزمخشري الوجهين قال: («ولتصنع» معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه، أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك) الكشاف ٢/ ٤٣٣.

(١١) في ب: لتصنع.

(١٢) الكشاف ٢/ ٤٣٣.

(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٣ ـ ٥٤.

(١٤) في ب: هذا.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) على سبيل الاستعارة.

الثاني: المراد من العَيْن الحراسة، لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما لا يريده، فالعين[١] كأنها سبب الحراسة، فأطلق اسم[٢] السبب على المسبب مجازاً[٣] وهو كقوله تعالى: «إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى»[٤]. ويقال: عَيْنُ الله عليك، إذا دعا له بالحفظ (والحياطة[٥])[٦])[٧].

وقرأ الحسن وأبو نهيك[٨]: «وَلِتَصْنَعَ» بفتح التاء[٩].

(قال ثعلب)[١٠]: معناه لتكون حركتك وتصرفك على عينٍ مني[١١].

وقال قريباً منه الزمخشري[١٢].

وقال أبو البقاء: أي: لتفعل ما آمرك بمرأى مني[١٣]. وقرأ أبو جعفر وشيبة «وَلْتُصْنَعْ» بسكون[١٤] اللام والعين وضم التاء[١٥]، (وهو أمر معناه: لتُربَّ وليُحْسَن إليك[١٦])[١٧]. وروي عن أبي جعفر في هذه القراءة كسر لام الأمر[١٨].

ويحتمل مع كسر اللام أو[١٩] سكونها حالة تسكين العين أن[٢٠] تكون لام كي، وإنما سكنت تشبيهاً بكَتْف وكَبد[٢١]، والفعل منصوب، والتسكين في العين[٢٢] لأجل

---

(١) في ب: والعين. (٢) في ب: لفظ. وهو تحريف.
(٣) مجاز مرسل علاقته السببية.
(٤) من قوله تعالى: ﴿قال لا تخافا إنَّني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦].
(٥) حاطه يحوطه حوطاً وحيطةً وحياطة: حفظه وتعهده. اللسان (حوط).
(٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٥٣ ـ ٥٤.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب. (٨) وأبو نهيك: سقط من ب.
(٩) انظر المحتسب ٢/٥١، تفسير ابن عطية ١٠/٣٠، البحر المحيط ٦/٢٤٢.
(١٠) ما بين القوسين في ب: قال الحسن. وهو تحريف.
(١١) انظر المحتسب ٢/٥٢، تفسير ابن عطية ١٠/٣٠، البحر المحيط ٦/٢٤٢.
(١٢) قال الزمخشري: (وقرىء «ولتصنع» بفتح التاء والنصب، أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني) الكشاف ٢/٤٣٣.
(١٣) التبيان ٢/٨٩١. (١٤) في ب: بإسكان.
(١٥) المختصر (٨٧)، والمحتسب ٢/٥١، والبحر المحيط ٦/٢٤٢.
(١٦) الكشاف ٢/٤٣٣، البحر المحيط ٦/٢٤٢.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٨) انظر تفسير ابن عطية ١٠/٣٠ والبحر ٦/٢٤٢، والإتحاف (٣٠٣).
(١٩) في ب: أوجه. وهو تحريف. (٢٠) في ب: أي، وهو تحريف.
(٢١) في لغة بني تميم الذين يخففون الاسم الثلاثي الذي على وزن فعل ـ بفتح الفاء وكسر العين ـ على فعل ـ بفتح الفاء وسكون العين ـ وعلى فعل ـ بكسر العين وسكون الفاء ـ فيقولون في كبِد وكتِف كبْد وكتْف. ثم يعاملون ما كان من كلمتين فأكثر معاملة الكلمة الواحدة كما هنا.
انظر شرح الشافية ١/٤١ ـ ٤٢.
(٢٢) في ب الفعل.

الإدغام لأنه(١) لا يقرأ في الوصل إلا بإدغام فقط.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيَ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

قوله: «إِذْ تَمْشِي»(٢) (في عامل هذا الظرف أوجه:

أحدها: أنَّ العامل فيه «أَلْقَيْتُ»، أي: ألقيتُ عليكَ محبَّةً منِّي وقت مشي أختِك.

الثاني: أنه منصوب بقوله: «وَلِتُصْنَعَ»، أي: لتربَّى ويُحْسَن إليك في هذا الوقت.

قال الزمخشري: والعامل في «إذ تَمْشِي» «أَلْقَيْتُ» أو «لِتُصْنَع»(٣) وقال أبو البقاء: «إِذْ تَمْشِي» يجوز أن يتعلق بأحد الفعلين(٤). يعني بالفعلين ما تقدم من «أَلْقَيْتُ» أو «لِتُصْنَعَ»)(٥). وعلى هذا فيجوز أن تكون المسألة من باب التنازع(٦) لأن كلاً من هذين العاملين يطلب هذا الظرف من حيث المعنى، ويكون من إعمال الثاني للحذف من الأول(٧)، وهذا إنما يتجه كل(٨) الاتجاه إذا جعلت «وَلِتُصْنَعَ» معطوفاً على علة محذوفة متعلقة بـ «أَلْقَيْتُ».

أما إذا جعلته متعلقاً(٩) بفعلٍ مضمرٍ بعده فيبعد ذلك، أو يمتنع لكون الثاني صار من جملة أخرى.

الثالث: أن يكون «إِذْ تَمْشِي» بدلاً من «إِذْ أَوْحَيْنَا»(١٠).

قال الزمخشري: فإن قلت(١١): كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان؟ قلت(١٢): كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل: لَقِيتُ فَلاَناً سَنَةَ كذا، فتقول: وَأَنَا لَقِيتهُ إِذْ ذاكَ، وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها(١٣). قال أبو

---

(١) في ب: ولأنه.

(٢) في ب: قوله: «إذ تمشي» متعلق بألقيت أو لتصنع.

(٣) الكشاف ٢/٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٤) التبيان ٢/٨٩١.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) التنازع هو أن يتقدم عاملان على معمول كل منهما طالب له من جهة المعنى ويعمل أحدهما في المعمول الظاهر، ويقدر للآخر معمول آخر، فأهل البصرة يعملون الثاني، ويقدرون للأول معمولاً، وحجتهم أنه أقرب العاملين إلى المعمول، فلا يلغى لما قبله. وأهل الكوفة يعملون الأول وحجتهم أنه أسبق العاملين والثاني طارىء عليه فهو أحق بالعمل منه.
وقول البصريين أوسع في كلام العرب، والثاني موجود إلا أنه دونه، وأكثر ما يستعمل في الشعر. كشف المشكل في النحو ٢/١٢٧ ـ ١٢٨.

(٧) وهو اختيار البصريين.

(٨) في ب: على. وهو تحريف.

(٩) في ب: متعلق. وهو تحريف.

(١٠) ذكره الزمخشري. الكشاف ٢/٤٣٤.

(١١) قلت: سقط من الأصل.

(١٢) في ب: فالجواب.

(١٣) الكشاف ٢/٤٣٤.

حيان: وليس كما ذكره، لأن السنة تقبل الاتساع، فإذا[1] وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الطرفين، فإن[2] كل واحد منهما ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما أضيفا إليه، فلا[3] يمكن أن يقع الثاني في الطرف الذي وقع فيه الأول، إذ الأول ليس متسعاً لوقوع الوحي فيه ووقع مشي الأخت، فليس وقت وقوع الوحي[4] مشتملاً على أجزاء[5] وقع[6] في بعضها المشي بخلاف السنة[7].

قال شهاب الدين: وهذا تحامل منه عليه، فإن[8] زمن اللقاء[9] أيضاً ضيق لا[10] يسع فعليهما، وإنما ذلك مبني على التساهل، إذ المراد أن الزمان مشتملٌ على فعليهما[11].

وقال[12] أبو البقاء: ويجوز أن يكون بدلاً من (إذ) الأولى: لأنَّ مشيْ أختِه كان مِنَّةً عليه[13].

يعني أن قوله: «إذْ أَوْحَيْنَا» منصوب بقوله: («مَنَنَّا»[14])[15] فإذا جُعِل «إذْ تَمْشِي» بدلاً منه كان أيضاً ممتناً به عليه.

الرابع: أن يكون العامل فيه مضمراً تقديره: اذكر إذ تَمْشِي[16]، وهو على هذا مفعول به (لفساد المعنى على الظرفية)[17].

قوله: «إذْ تَمْشِي أُخْتُكَ» (اسمها مريم)[18].

يروى[19] أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل، وكان لا يرتضع من ثدي كل امرأة يؤتى بها؛ لأن الله ـ تعالى[20] ـ حرَّم عليه المراضع غير أمه[21]

---

(١) في الأصل: فإذن. وهو تحريف.
(٢) في ب: لأن.
(٣) في ب: ولا.
(٤) في النسختين: الفعل. والصواب ما أثبته.
(٥) في ب: أخر. وهو تحريف.
(٦) في ب: وقوع. وهو تحريف.
(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.
(٨) في ب: فإذن. وهو تحريف.
(٩) في ب: التلقي. وهو تحريف.
(١٠) في ب: ولا. وهو تحريف.
(١١) الدر المصون ٥/ ٢٥.
(١٢) في ب: قال.
(١٣) التبيان ٢/ ٨٩١.
(١٤) من قوله تعالى: ﴿ولقد مننَّا عليك مرَّة أخرى﴾ [طه: ٣٧].
(١٥) ما بين القوسين في ب: إذ.
(١٦) ذكره الحوفي وأبو البقاء. التبيان ٢/ ٨٩١، البحر المحيط ٦/ ٢٤٢ وقدره ابن عطية بـ «مننا». تفسير ابن عطية ١٠/ ٣٠.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: إذ المراد به ذلك.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٤.
(٢٠) تعالى: سقط من ب.
(٢١) حيث قال الله تعالى: ﴿وحرَّمنا عليه المراضع من قبل﴾ [القصص: ١٢].

واضطروا إلى تتبع النساء، فخرجت أخته[١] متعرفة خبره، فجاءت إليهم متنكرة فقالت: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُه» أي على امرأة ترضعه؟ قالوا نعم، فجاءت بالأم، فَقَبِل ثديها، فذلك قوله: «فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» بلقائك[٢]. قوله: «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا». قرأ العامة «تَقَرَّ» بفتح التاء والقاف[٣] وقرأت فرقة: «تَقِرَّ» بكسر القاف[٤]، وقد تقدم في سورة مريم أنهما لغتان[٥].

وقرأ جناح بن حبيش «تُقَرَّ» بضم التاء وفتح القاف على البناء للمفعول[٦] «عَيْنُها» رفعاً لما لم يسم فاعله.

فإن قيل: (لو قال)[٧]: كي لا تحزن وتقرَّ عينُها كان الكلام مفيداً لأنه لا يلزم من عدم حصول الحزن حصول السرور لها، فلما قال أولاً «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» كان قوله «وَلاَ تَحزَن» فضلا[٨]، لأنه متى حصل السرور وجب زوالُ الغمِّ لا محالة.

فالجواب: المراد تقرَّ عينُها بسبب وصولك إليها، ويزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها إلى باطنك[٩]. قوله: «وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ»، وهذه المنّة الخامسة. قال ابن عباس: هو الرجل القبطي[١٠] الذي قتله خطأ بأن (وكزه[١١])[١٢] حيث استغاثه الإسرائيلي إليه، فحصل له الغم[١٣] من وجهين:

الأول: من[١٤] عقاب الدنيا، وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكى الله تعالى[١٥] عنه «فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ»[١٦].

والثاني: من عقاب الله حيث قتله لا بأمر الله. فنجاه الله ـ تعالى[١٧] ـ من الغمين، أما من فرعون فوفق له المهاجرة[١٨] إلى مدين، وأما من عقاب الآخرة (فلأن الله تعالى

---

(١) في الأصل: أمه. وهو تحريف.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٤.
(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.
(٤) المرجع السابق.
(٥) عند قوله تعالى: ﴿فكلي واشربي وقرّي عيناً﴾ [مريم ٢٦]. وذكر ابن عادل هناك: (والعامة على فتح القاف من قري، أمر من قرت عينه تقرُّ بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، وقرىء بكسر القاف، وهي لغة نجد، يقولون: قرت عينه تقرّ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع) انظر اللباب ٥/ ٤١٢.
(٦) المختصر (٨٧)، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٢.
(٧) لو قال: سقط من ب.
(٨) في ب: فصلاً. وهو تصحيف.
(٩) الفخر الرازي ٢٢/ ٥٤.
(١٠) انظر القرطبي ١١/ ١٩٧.
(١١) والوكز: وكزه وكزاً: دفعه وضربه. والوكز: الطعن وقيل: وكزه أي ضربه بجمع يده على ذقنه. اللسان (وكز).
(١٢) ما بين القوسين في ب: ذكره. وهو تحريف.
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٤ ـ ٥٥.
(١٤) في ب: على. وهو تحريف.
(١٥) تعالى: سقط من ب.
(١٦) [القصص: ١١].
(١٧) تعالى: سقط من ب.
(١٨) في ب: الهاجرة. وهو تحريف.

غفر له[١] ذلك)[٢]. (قال[٣] كعب الأحبار: كان عمره إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة[٤])[٥].

قوله: «فُتُوناً» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدر على فُعُول كالقُعُود والجُلُوس، إلا أنَّ فُعُولاً قليل في المتعدي[٦] ومنه الشُّكُور والكُفُور والثُّبُور واللُّزُوم قال تعالى: «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً»[٧] وهذا على مذهبهم في تأكيد الأخبار بالمصادر[٨]، كقوله تعالى: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً»[٩].

والثاني[١٠]: أنه جمع فِتْن أو فِتْنَة على ترك الاعتداد[١١] بتاء التأنيث[١٢] كحُجُوزِ

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) ما بين القوسين في ب: فإنه تعالى غفر له بذلك أعني أن الله تعالى غفر له ذلك.

(٣) في ب: فصل قال.

(٤) القرطبي ١١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) وذلك أن مصدر فعل في الغالب الأكثر ـ في غير الأفعال التي على حرفة، أو صوت، أو داء، أو هياج وشراد، أو لون، أو تنقل وتقلب ـ أن يكون على فعل بسكون العين إذا كان متعدياً نحو ضرب ضرباً، وعلى فعول إذا كان لازماً نحو خرج خروجاً. وقد يجيء فعول في المتعدي نحو دبلت الأرض دبولاً والقياس دبلاً وفعل في اللازم نحو ذَبل البقل ذَبلاً، والقياس ذُبُولاً، وقد يشتركان في مصدر واحد نحو عثرت على الشيء عثراً وعثوراً، وعبرت النهر عبراً وعبوراً. انظر نزهة الطرف في علم الصرف ١٦٠ ـ ١٦١ وشرح الشافية ١/ ١٥٣ ـ ١٥٦.

(٧) [الفرقان: ٦٢].

(٨) في ب: بالمضادة. وهو تحريف.

(٩) [النساء: ١٦٤]. أي أن المصدر منصوب على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله. انظر الكشاف ٢/ ٤٣٤، البيان ٢/ ١٤٢، التبيان ٢/ ٩١ البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.

(١٠) في ب: الثاني.

(١١) في ب الاعتقاد. وهو تحريف.

(١٢) وذلك أن ما كان على وزن (فَعْل وفِعْل وفُعْل) يطرد جمعه على فعول نحو كعب وكعوب وحمل وحمول، وجند وجنود. و (فتنة) تجمع على (فعول) على الاعتدادِ بتاء التأنيث لأنها بدون التاء تكون على فعل وهو يجمع على فعول.

وأما هذه الأوزان مع تاء التأنيث فـ (فعلة) جمعها بالتاء الأدنى العدد وتفتح العين نحو جفنة جفنات، فإذا جاوزت أدنى العدد جمع على فعال نحو قصاع.

وقد جاء على (فعول)، وهو قليل نحو: مأنة مؤون، و(فعلة) جمعها بالتاء لأدنى العدد، وتكسر العين، ومن العرب من يفتحها نحو سدرة سدرات فإذا أردت الكثير قلت سدر. و(فعلة) تجمع على (فعلات) بضم العين نحو غرفة غرفات، فإذا أردت الكثير كسرته على (فعل) قلت: غرف. انظر الأصول ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٩ ـ ٤٤١.

وبُدُور في حُجْزَةٍ[١] وبَدْرَة[٢]، أي: فَتناكَ ضروباً من الفتن[٣]. عن[٤] ابن عباس أنه وُلِد في عام يُقْتَل فيه الولدان، وألقته أمه في البحر، وقَتَل القبطيَّ، وأَجَّرَ نفسه عشر سنين، وضلَّ عن الطريق وتفرقت غنمه[٥] في ليلة مظلمة. ولما سأل سعيد بن جبير عن ذلك أجاب بما تقدم، وصار يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبير، قال معناه الزمخشري[٦].

وقال غيره: بفُتُونٍ من الفِتَن أي المِحَن مختبر بها[٧].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها، أولها أنَّ أمه حملت[٨] في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم مَنْعُه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أَخْذُه بلحيةِ فرعونَ حتى همَّ بقتلِه، ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قَتْلُه القبطيَّ، وخروجُه إلى مدين خائفاً. فعلى هذا معنى: فتناك أخلصناك من تلك المِحَن كما يُفْتَن الذهب بالنار فيتخلص من كل خبث فيه[٩].

فإن قيل[١٠]: إنه تعالى عدَّد أنواع مِنَنِهِ على موسى في هذا المقام، فكيف يليق بهذا قوله: «وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً»؟

فالجواب[١١] من وجهين:

الأول: ما تقدم من أنَّ «فَتَنَّاكَ» بمعنى خلصناك[١٢] تخليصاً.

والثاني: أن الفتنة تشديد المحنة يقال: فُتِن فلانٌ[١٣] عن دينه إذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه. قال تعالى: «فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ»[١٤]، وقال: «أَحسب[١٥] النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ»[١٦]،

---

(١) أصل الحجزة: موضع شدِّ الأزار، ثم قيل للإزار: حجزة للمجاورة، اللسان (حجز).
(٢) البدرةُ: جلد السخلة إذا فطم، والجمع بدور، وبدر، والبدرة، أيضاً: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، سميت ببدرة السخلة، والجمع البدور، وثلاث بدرات. اللسان (بدر).
(٣) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٤، البيان ٢/ ١٤٢، التبيان ٢/ ٨٩١، البحر المحيط ٢/ ٢٤٢.
(٤) في ب: فصل عن.
(٥) غنمه: سقط من ب.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٣٤.
(٧) ابن الأنباري وأبو البقاء حيث جوزا أن يكون منصوباً يحذف حرف الجر، وتقديره: فتناك بفتون. انظر البيان ٢/ ١٤٢، التبيان ٢/ ٨٩١.
(٨) في ب: جملته.
(٩) انظر البغوي ٥/ ٤٢٩ ـ ٤٣١.
(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٥.
(١١) من ب: والجواب.
(١٢) في ب: أخلصناك.
(١٣) في ب: فلاناً. وهو تحريف.
(١٤) [العنكبوت: ١٠].
(١٥) في ب: الَمّ أحسب.
(١٦) [العنكبوت: ٢].

وقال[١]: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ»[٢]، ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب عدَّه الله من جملة النِّعَم[٣].

فإن قيل: هل يصح إطلاق الفَتَّان عليه سبحانه اشتقاقاً[٤] من قوله: «وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً»؟

فالجواب: لا لأنه صفة ذمٍّ في العرب، وأسماء الله تعالى توقيفية[٥] لا سيما فيما يوهم[٦] ما لا ينبغي[٧].

قوله: «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْين» والتقدير: «وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً» فخرجت خائفاً إلى أهل مدين فلبثت سنين فيهم[٨] وهي إمَّا عشراً وَثَمان[٩] لقوله تعالى: «عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِك»[١٠] وقال وهب: لَبِثَ مُوسَى عند شعيب عليهما السلاَم[١١] ثمانياً[١٢] وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امرأته[١٣].

ويرده قوله تعالى: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ (وسَارَ بِأَهْلِهِ»[١٤] أي)[١٥] الأجل المشروط عليه في تزويجه.

ومَدْيَن: بَلْدَةُ[١٦] شُعَيْبِ على ثَمَان مراحل من مصر[١٧].

قوله: «ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى» هذا الجار متعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل «جِئْتَ» أي جئت موافقاً لما قُدِّر لك، كذا قدره أبو البقاء[١٨]، وهو تفسير معنى، والتفسير الصناعي: ثم جئت مستقراً أو كائناً على مقدار معين، كقول الآخر:

٣٦٥٦ ـ نَالَ الخِلاَفَةَ أَوْ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ[١٩]

---

(١) وقال: سقط من ب.
(٢) [العنكبوت: ٣].
(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٥.
(٤) في ب: إشفاق. وهو تحريف.
(٥) في ب بوصفيه. وهو تحريف.
(٦) في ب: يفهم هو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٥٥.
(٨) على أن في الكلام حذفاً وهو حذف المعطوف عليه، وذلك لأنَّ الفاء والواو تختصان بجواز حذفهما مع معطوفهما للدليل، مثال الفاء قوله تعالى: **﴿أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست﴾** [الأعراف: ١٦٠] أي فضرب فانبجست وهذا الفعل المحذوف معطوف على «أوحينا» من قوله تعالى: **﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾**. ومثال الواو قول الشاعر:

فما كان بين الخير لو جاء سالماً ... أبو حجرٍ إلاَّ ليالٍ قلائل

أي بين الخير وبيني. وقولهم: راكب الناقة طليحان. أي والناقة انظر شرح التصريح ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٩) في ب: وهي اثنا عشر أو ثمان.
(١٠) [القصص: ٢٧].
(١١) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(١٢) في النسختين: ثمانية، والصواب ما أثبته.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٥٥ ـ ٥٦. والقرطبي ١١/ ١٩٨.
(١٤) [القصص: ٢٩].
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: لمد.
(١٧) انظر البغوي ٥/ ٤٣١.
(١٨) انظر التبيان ٢/ ٨٩١.
(١٩) البيت من بحر البسيط قاله جرير ورواية الديوان:

=

ولا بد من حذف في الكلام، أي: على قدر أمر[١] من الأمور.

وقال محمد بن كعب: جئتَ على القدر الذي قدرت أنك تجيء فيه[٢] وقال مقاتل: كان موعداً (في تقدير الله[٣].

وقال عبد الرحمن بن كيسان[٤]: كان على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي)[٥] يوحى فيه إلى الأنبياء. وهذا قول أكثر المفسرين، أي على الوعد الذي وعده الله وقدَّر أنه يوحي إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾.

قوله: «وَاصْطَنَعْتُكَ[٧] لِنَفْسِي» (أي اخترتُك واصطفيتُك افتعال من الصنع لوحيي ورسالتي. وأبدلت التاء طاء)[٨]، لأجل حرف الاستعلاء[٩].

وهذا مجازٌ عن قرب منزلته، ودنوه من ربه، لأن أحداً لا يصطنع إلا من يختاره.

قال القفال: واصطنعتُكَ أصله من قولهم: اصطنع فلانٌ فلاناً إذا أحسن إليه حتى

= نال الخلافة إذ كانت له قدراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدر

والشاهد فيه أن قوله (على قدر) متعلق بمحذوف على أنه حال من موسى، أي مستقراً أو كائناً على مقدار معين. وفيه شاهد آخر حيث احتج به الكوفيون على أنَّ (أو) بمعنى الواو واستشهد به أيضاً على جواز توسط المفعول المشتمل على ضمير الفاعل بين العامل والفاعل، لأن الضمير وإن عاد على متأخر في اللفظ فهو متقدم في الرتبة فـ (ربَّه) مفعول توسط بين العامل (أتى) والفاعل (موسى) لاشتماله على ضمير يعود على (موسى) وقد تقدم.

(١) في ب: وأمر. وهو تحريف.

(٢) انظر البغوي ٥/ ٤٣١، والقرطبي ١١/١٩٨.

(٣) انظر البغوي ٥/ ٤٣١.

(٤) هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول له تفسير عجيب، ومن تلامذته إبراهيم بن إسماعيل بن عبلة. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٦٩، والفهرست ٣٤.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) انظر البغوي ٥/ ٤٣١.

(٧) في ب: واصطفيتك. وهو تحريف.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) التاء تبدل طاءً باطراد في (افتعل)، إذا كانت الفاء صاداً، أو ضاداً، أو طاءً، أو ظاءً، وذلك للتباعد بين التاء وبين هذه الحروف، إذ التاء منفتحة منسفلة وهذه الحروف مطبقة مستعلية فأبدلوا من التاء أختها في المخرج، وأخت هذه الحروف في الاستعلاء والإطباق وهي الطاء. فتقول في (افتعل) من الصَّبر: اصطبر ومن الضَّرب: اضطرب ومن الظهر: اظطهر، ومن الطرد: اطَّرد. فتدغم لأنك لما أبدلت التاء طاء اجتمع لك مثلان، الأول منهما ساكن، فأدغمت ولم تبدل التاء لأجل الإدغام، بل للتباعد الذي بين الطاء والتاء كما فعلت ذلك مع الحروف الأخرى. انظر سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٧ ـ ٢١٩، شرح الشافية ٣/ ٢٢٦ الممتع ١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

يضاف إليه، فيقال: هذا صنيعُ فلانٍ وجريحُ فلانٍ. وقوله: «لِنَفْسِي» أي: لأصرفك[١] في أوامري لئلا تشتغل إلا بما أمرتك به، وهو إقامة حجتي وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك[٢].

وقال الزجاج: اخترتُكَ لأمري[٣]، وجعلتك القائم بحجتي، والمخاطب بيني وبين خلقي: كأني الذي أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم[٤].

قوله: «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي»[٥] لما قال: «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي» عقبه بذكر ما له اصطنعه، وهو الإبلاغ والأداء. و «الباء» في «بِآيَاتِي» بمعنى (مع)[٦]، لأنهما لو ذهبا إليه بدون آيةٍ معهما لم يلزمه الإيمان، وذلك من أقوى الدلائل على فساد التقليد[٧].

قال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث الله بها موسى[٨]. وقيل[٩]: إنها[١٠] العصا واليد، لأنهما[١١] اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع، ولم يذكر أنه ـ عليه السلام[١٢] ـ أوتي قبل مجيئه إلى فرعون، لا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتمس منه آية غير هاتين الآيتين، قال تعالى حكاية عن فرعون «إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ»[١٣]، وقال: «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعونَ ومَلَئِهِ»[١٤].

فإن قيل: كيف يطلق لفظ الجمع على الاثنين؟

فالجواب من وجوه:

أحدها[١٥]: أن العصا كانت آيات، انقلابُها[١٦] حيواناً، ثم إنها كانت في أول الأمر[١٧] صغيرة، لقوله[١٨] تعالى: «تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ»[١٩] ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى، ثم إنه كان عليه السلام يدخل يده في فمها فلم تضره وهذه آية أخرى[٢٠]، ثم

---

(١) في الأصل: لأصرفنك.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/٥٦.
(٣) في ب: لنفسي وأمري.
(٤) لم أعثر على ما قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، وهو في البغوي ٥/٤٣١، ٤٣٢.
(٥) في ب: قوله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا﴾.
(٦) وهي التي تكون بمعنى المصاحبة انظر المغني ١/١٠٣.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/٥٦.
(٨) انظر البغوي ٥/٤٣٢.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٥٦ ـ ٥٧.
(١٠) في ب: هما.
(١١) في ب: ولأنهما.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) [الأعراف: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨].
(١٤) [القصص: ٣٢].
(١٥) في ب: الأول.
(١٦) في ب: لانقلابها. وهو تحريف.
(١٧) في ب: في أول الأمر كانت.
(١٨) في ب: بقوله. وهو تحريف.
(١٩) [النمل: ١٠] [القصص: ٣١].
(٢٠) في ب: أخرى ثم إنها كانت تصير ثعباناً وهذه آية أخرى.

كانت تنقلب[١] عصا وهذه آية أخرى، وكذلك اليد فإن بياضها آية، وشُعَاعَها آية أخرى، ثم زوالهما بعد ذلك آية أخرى، فدل ذلك على أنهما كانتا[٢] آيات كثيرة.

وثانيها[٣]: هَبْ أن العصا أمرٌ واحدٌ ولكن فيها آيات، لأن[٤] انقلابها حيةً يدل على وجود إله[٥] قادر على الكل عالم بالكل حكيم، ويدل على نبوة موسى، ويدل على جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيواناً، فهذه آيات كثيرة، ولذلك قال[٦]: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً»[٧]... إلى قوله... «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً»[٨] فهاهنا أولى.

وثالثها[٩]: قال بعضهم: أقل الجمع اثنان[١٠].

وقيل: معنى قوله: «بِآيَاتِي» أمُدكُما بآياتي، وأظهر على أيديكما من الآيات ما تزاح به العلل من فرعون وقومه، والمعنى: فإن آياتي معكما كما يقال: اذهب فإن[١١] جندي معك[١٢] أي: إنِّي أمدك بهم متى احتجت[١٣].

وقيل: الآيات: العصا، واليد، وحل العقدة من لسانه، وذلك أيضاً معجزة[٨].

قوله: «وَلاَ تَنِيَا» يقال: «وَنَى يَنِي وَنْياً كَوَعَد يَعِدُ وَعْداً، إذا فترَ[١٤]».

والوَنْيُ[١٥] الفُتُور، ومنه: امرَأَةٌ أَنَاةٌ[١٦]، وصفوها بفتور القيام كناية عن ضخامتها. قال زهير[١٧]:

٣٦٥٧ ـ مِنَّا الأَنَاةُ وَبَعْضُ القَوْمِ يَحْسِبُنَا ... أَنَّـا بِـطَـاءٌ وفـي إبْـطَـائِـنَـا سِـرَعُ[١٨]

---

(١) في ب: تقلب.
(٢) في ب: أنها كانت. وهو تحريف.
(٣) في ب: والثاني.
(٤) لأن: سقط من ب.
(٥) في ب: إله موجود.
(٦) في ب: أيضاً.
(٧) [آل عمران: ٩٦].
(٨) [آل عمران: ٩٧].
(٩) في ب: والثالث.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٥٦ ـ ٥٧ بتصرف.
(١١) في الأصل: فإنِّي. وهو تحريف.
(١٢) معك: سقط من ب.
(١٣) الفخر الرازي: ٢٢/٥٧.
(١٤) في ب: افتر وهو تحريف. وانظر اللسان (ونى).
(١٥) الوني الضعف والفتور والكلال والإعياء. اللسان (ونى).
(١٦) هي التي فيها فتورٌ عند القيام، وقيل: عند القيام والقعود والمشي. اللسان (ونى).
(١٧) زهير: سقط من ب.
(١٨) البيت من بحر البسيط، وليس في ديوان زهير، ولم أجده فيما رجعت إليه من مصادر. أناةٌ: الأصل: وناةٌ، أبدلت الواو المفتوحة همزة، وامرأة وناة وأناة: حليمة بطيئة القيام. وهو موطن الشاهد. بطاء: البطء والإبطاء: نقيض الإسراع، تقول منه: بطؤ مجيئك، وبطؤ في مشيه يبطؤ، بطأً وبطاءً، وأبطأ، وتباطأ وهو بطيءٌ، ولا تقل: أبطيتُ والجمع بطاء. =

بكسر السين وفتح الراء مصدر (سَرُع) بفتح السين وضم الراء.

تقول: سَرُعَ سِرَعاً[١] كصَغُرَ صِغَراً.

والأصل: ونَاةٌ، فأبدلوا الهمزة[٢] من الواو كأحَد في وَحَد وليس بالقياس[٣]، وفي الحديث: «إنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الحِلْمُ والأَنَاةُ»[٤].

والوَانِي: المقصِّر في أمره، قال الشاعر:

٣٦٥٨ ـ فَمَا أَنَا بالوَانِي وَلاَ الضَّرْعِ الغُمْرِ[٥]

ووَنَى[٦] فعلٌ لازم لا يتَعَدى[٧] وزعم بعضهم[٨] أنه يكون من أخوات (زال

= السُّرعة: نقيض البطء. سرع يسرع سراعةً وسِرْعاً وسَرْعاً وسِرَعاً وسَرَعاً وسُرعةً، فهو سرعٌ وسريع وسراعٌ، والأنثى بالهاء. وقد تقدم.

(١) في ب: يقال سرعاً سرع.

(٢) الهمزة: سقط من ب.

(٣) إذا وقعت الواو في أول الكلمة مفتوحةً لم تبدل همزة إلا فيما سمع لأن الفتحة بمنزلة الألف، فكما لا تستثقل الألف والواو في (عاود) وأمثاله فكذلك لا تستثقل الواو المفتوحة. والذي سمع في ذلك (أجم) في (وجم) و (أناةٌ) في (وناةٌ) و (أحد) في (وحد) و (أسماء) في (وسماء) اسم امرأة على فعلاء وليس بجمع.

قال سيبويه: (وقالوا: وجم وأجم، ووناةٌ وأناةٌ، وقالوا: أحدٌ وأصله وحدٌ، لأنه واحد، فأبدلوا الهمزة لضعف الواو عوضاً لما يدخلها من الحذف والبدل وليس ذلك مطرداً في المفتوحة) الكتاب ٤/ ٣٣١.

انظر سر صناعة الإعراب ١/ ٩٢، الممتع ١/ ٣٣٥.

(٤) أخرجه مسلم (الإيمان) ١/ ٤٨، ٤٩، أبو داود (أدب) ٥/ ٣٩٥ ـ ٣٩١ الترمذي (البر والصلة) ٣/ ٢٤٧، ابن ماجة ٢/ ١٤٠١، أحمد ٣/ ٢٣، ٤/ ٢٠٦.

(٥) عجز بيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، وصدره:

أنـاةً وحـلـمـاً وانـتـظـاراً بـهـم غـداً

وهو تفسير ابن عطية ١/ ٣٢، واللسان (ضرع)، البحر المحيط ٦/ ٢٤٤ الضَّرع: هو الغمر الضعيف من الرجال، رجل ضارع بين الضروع والضَّراعة: ناحلٌ ضعيف. الغمر: الذي لم يجرب الأمور، ولا خبرة له بحرب ولا أمر، ولم تحكنه التجارب. والشاهد في البيت هو أنَّ الواني بمعنى الضعيف المتباطىء في الأمر بسبب ضعفه وعجزه.

(٦) في ب: ونى.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٤٣، وقال أبو حيان: (وإذا عدِّي فبـ (عن) وبـ (في)).

(٨) وهو ابن مالك، فإنه قال: وقيدت: ونى ورام الملحقتان بهن (يريد يزال وأخوتها) بمرادفتهما لهن، احترازاً من ونى بمعنى فتر، ومن رام بمعنى حاول وبمعنى تحول، ومضارع التي بمعنى حاول يروم، ومضارع التي بمعنى تحول يريم، وهكذا مضارع المرادفة زال، وهي وونى بمعنى زال غريبتان، ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلا من عنى باستقرار الغريب، ومن شواهد استعمالهما قول الشاعر:

لا يـنـي الـخـبُّ شـيـمـة الـخـبِّ مـا دا ... مَ فـلا يـحـسـبـنَّـه ذا ارعـواء

شرح التسهيل ١/ ٣٣٤.

وانفك)، فيعمل بشرط النفي[١] أو شبهه[٢] عمل (كان)، فيقال[٣]: «مَا وَنِيَ زيدٌ قائماً»، وأنشد ابن مالك[٤] شاهداً على ذلك قوله:

٣٦٥٩ ـ لاَ يَنِي الحُبُّ[٥] شِيمَةَ الحُبِّ مَا دَا مَ فَــلاَ يَــحْــسَــبَــنَّــهُ ذَا ارْعِــوَاءِ[٦]

أي: لا يزال الحُبُّ[٧] بضم الحاء شيمةَ الحِبِّ[٨] أي: بكسرها وهو المحب[٩]. ومن منع ذلك يتأول[١٠] البيت على حذف حرف الجر[١١]، لأنَّ[١٢] هذا الفعل[١٣] يتعدى تارة بـ (عَنْ) وتارة بـ (فِي)[١٤] يقال: ما ونَيْتُ عن حاجتك، أو: في حاجتك فالتقدير: لا يفتر الحب في شيمة المحب، وفيه مجاز بليغ وقد عدي في الآية الكريمة بـ (فِي).

قرأ يحيى بن وثَّاب «وَلاَ تِنِيَا» بكسر التاء[١٥] إتباعاً لحركة النون، وسكن الياء في «ذِكْرِي»[١٦].

وقرأ أهل الحجاز[١٧] وأبو عمرو «لِنَفْسِيَ اذْهَبْ»[١٨] و «ذِكْرِيَ اذْهَبَا»[١٩] و «إنَّ قَومِيَ اتَّخَذُوا»[٢٠] و[٢١] «مِنْ بَعْدِيَ اسْمُهُ»[٢٢] بفتح الياء فيهن وافقهم[٢٣] أبو بكر في «مِنْ بَعْدِيَ اسْمُهُ».

---

(١) في ب: بنفي الشرط. وهو تحريف.
(٢) في ب: و. وهو تحريف.
(٣) في ب: فيقول.
(٤) انظر شرح التسهيل ١/ ٣٣٤.
(٥) في ب: الخير. وهو تحريف.
(٦) البيت من بحر الخفيف لم أهتد لقائله. شرح التسهيل ١/ ٣٣٤، البحر المحيط ٦/ ٢٥٣، الهمع ١/ ١١٢، الدرر ١/ ٨٢.
الحُبُّ بضم الحاء: الوداد والمحبة. الحِبُّ: بكسر الحاء: الحبيب.
وروي: (لا يني الخبُّ شيمه الخبُّ) فالخِبُّ بالكسر: الخداع والغش، والخَبُّ: بالفتح الذي يخدع.
الشاهد فيه أن ابن مالك استشهد به على أنَّ (ونى) من أخوات (زال وانفك) فيعمل بشرط النفي أو شبهه والتقدير: لا يزال الحبُّ.
(٧) في ب: والحرب. وهو تحريف.
(٨) في ب: و. وهو تحريف.
(٩) في ب: المحبة. وهو تحريف.
(١٠) في ب: تأول.
(١١) قال السيوطي: (وقال أبو حيان: ذكر أصحابنا أن «ونى» زادها بعض البغداديين في أفعال هذا الباب لأن معناها معنى (ما زال) نحو ما ونى زيدٌ قائماً ورد بأنه لا يلزم من كونها بمعناها مساواتها لها في العمل، ألا ترى أن (ظلَّ زيدٌ قائماً) معناه: أقام زيدٌ قائماً النهار، ولم يجعل العرب لـ (أقام) اسماً ولا خبراً كما فعلت ذلك بـ (ظلَّ)، قالوا والتزام التنكير في المنصوب بها دليل على أنه حال. . . . فالمنصوب في (البيت) على إسقاط الخافض، أي: لا يني عن شيمة الحب) الهمع ١/ ١١٢.
(١٢) في ب: فإن.
(١٣) في ب: البيت. وهو تحريف.
(١٤) في ب: تارةً بفي وتارةً بعن.
(١٥) في ب: بكسر النون وكسر التاء.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٥.
(١٧) نافع وابن كثير.
(١٨) نهاية الآية (٤١) وبداية الآية (٤٢).
(١٩) نهاية الآية (٤٢) وبداية الآية (٤٣) من سورة طه.
(٢٠) من قوله تعالى: ﴿**وقال الرسول يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾ [الفرقان: ٣٠].
(٢١) و: سقط من ب.
(٢٢) [الصف: ٦].
(٢٣) في ب: وأهمز. وهو تحريف.

وقرأ الآخرون بإسكانها[١].

والمراد بالذكر تبليغ الرسالة. وقيل: لا تفترا عن ذكر الله. (والحكمة فيه[٢])[٣] أنَّ مَنْ ذكر جلالَ الله استخف غيره، فلا يخاف أحداً، ويقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في[٤] مقصوده، ومن ذكر الله فلا بد وأن يكون ذاكراً إحسانه (وذاكرُ إحسانه)[٥] لا يفتر في أداء أوامره.

وقيل: لاَ تَنِيَا في ذِكْري عند فرعون، وكيفية الذكر أن يذكرا[٦] لفرعون وقومه أنَّ الله تعالى لا يرضى منهم[٧] الكفر، ويذكرا[٨] لهم أمر الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب[٩].

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

قوله: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّه طَغَى» ذكر المذهوب إليه في قوله: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَونَ»[١٠] وحذفه في الأول في قوله: «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ» اختصاراً في الكلام.

وقال القفال: فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ»[١١] يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأموراً بالذهاب على الانفراد، فقيل[١٢] مرة أخرى: «اذْهَبَا» ليعرفا أن المراد منه أن يشتغلا بذلك[١٣] جميعاً لا أن ينفرد به أحدهما دون الآخر.

---

(١) السبعة (٤٢٦، ٤٦٨، ٦٣٥)، الكشف ٢/١٠٩، النشر ٢/٣٢٣ الإتحاف (٣٠٣) وذلك أنه يجوز إسكان ياء الإضافة وفتحها مع المضاف الواجب كسر آخره، وهو ما سوى المنقوص والمقصور، والمثنى، وجمع المذكر السالم، وذلك أربعة أشياء المفرد الصحيح نحو غلامي وفرسي، والمعل الجاري مجراه نحو ظبيي ودلوي، وجمع التكسير نحو رجالي وهنودي، وجمع المؤنث السالم نحو مسلماتي.

واختلف في الأصل منهما فقيل الإسكان، وقيل: الفتح، وجمع بينهما بأن الإسكان أصل أول إذ هو الأصل في كل مبني، والفتح أصل ثان، إذ هو الأصل فيما هو على حرف واحد. انظر شرح الأشموني ٢/٢٨١ ـ ٢٨٢، والكشف ١/٣٢٤.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٥٧. بتصرف.

(٣) ما بين القوسين في ب: والمعنى.

(٤) في ب: عن.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في ب: يذكر. وهو تحريف.

(٧) في ب: منهما وهو تحريف.

(٨) في ب: ويذكر. وهو تحريف.

(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٥٧ بتصرف.

(١٠) فرعون: سقط من ب، وفيه: قوله.

(١١) في ب: **﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾**.

(١٢) في ب: فقال.

(١٣) في ب: بالذهاب.

والثاني[(١)] أن قوله: «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي»[(٢)] أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون، ثم قوله: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَونَ» أمر بالذهاب إلى فرعون وحده[(٣)].

قيل: وهذا فيه بُعْدٌ، بل الذهابان متوجهان[(٤)] لشيء واحد وهو فرعون، وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبته في الآخر، وذلك أنه حذف المذهوب إليه من الأول وأثبته في الثاني، وحذف المذهوب به، وهو «بِآيَاتِي» من الثاني وأثبته في الأول.

فإن قيل[(٥)]: قوله: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَونَ»[(٦)] خطاب مع موسى وهارون[(٧)]، (وهارون عليه السلام)[(٨)] لم يكن حاضراً هناك[(٩)]، وكذا في قوله تعالى[(١٠)]: «قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى»[(١١)] وأجاب القفال بوجوه[(١٢)]:

أحدها[(١٣)]: أن الكلام كان مع موسى إلا أنه كان متبوع هارون، فجعل الخطاب معه خطاباً مع هارون، (وكلام هارون)[(١٤)] على سبيل التقدير بالخطاب في تلك[(١٥)] الحالة، وإن كان مع موسى ـ عليه السلام[(١٦)] ـ وحده، إلا أنه تعالى أضافه إليهما كما في قوله تعالى[(١٧)]: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا»[(١٨)] وقوله: «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ»[(١٩)] روي أن القائل هو عبد الله ابن أُبَيٍّ[(٢٠)] وحده.

وثانيها[(٢١)]: يحتمل أن الله[(٢٢)] تعالى لمَّا قال: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى»[(٢٣)] سكت حتى لقي أخاه، ثم إن الله ـ تعالى ـ خاطبهما بقوله: «اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ».

وثالثها[(٢٤)]: حكي في مصحف ابن مسعود «قال[(٢٥)] رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ» أي أنا وأخي[(٢٦)].

---

(١) في ب: الثاني.
(٢) بآياتي: سقط من ب.
(٣) الفخر الرازي ٢٢/٥٧ ـ ٥٨.
(٤) في ب: لأن الذهاب متوجه..
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٥٨.
(٦) في ب: «اذهبا إلى فرعون إنّه طغى».
(٧) في ب: وهارون عليهما الصلاة والسلام.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: ولم يكن هناك حاضراً.
(١٠) تعالى: سقط من ب.
(١١) [طه: ٤٥].
(١٢) في ب: فالجواب من وجوه.
(١٣) في ب: الأول.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) في ب: كل. وهو تحريف.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) تعالى: سقط من ب.
(١٨) [البقرة: ٧٢].
(١٩) [المنافقون: ٨].
(٢٠) في ب: أُبيُّ بن عبد الله وهو تحريف.
(٢١) في ب: الثاني.
(٢٢) في ب: أنه.
(٢٣) [طه: ٣٦].
(٢٤) في ب: الثالث.
(٢٥) في ب: قالا. وهو تحريف.
(٢٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٥٨.

قوله: «فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً» قرأ أبو معاذ[١]: «قَوْلاً لَيْناً» وهو تخفيف من لَيِّن كمَيْت في ميِّت[٢].

وقوله: «لَعَلَّهُ» فيه أوجه:

أحدها: أن «لَعَلَّ» على بابها للترجي، وذلك بالنسبة إلى المرسل وهو موسى وهارون، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما في إيمانه أي[٣] اذهبا مترجَيْن طامعَيْن، وهذا معنى قول الزمخشري[٤] ولا يستقيم أن يرد ذلك في حق الله[٥] تعالى، إذ هو[٦] عالم بعواقب الأمور. وعن سيبويه: كل ما ورد في القرآن من (لَعَلَّ، وَعَسَى) فهو من الله واجب. يعني أنه يستحيل بقاء[٧] معناه في حق الله تعالى.

والثاني: أنَّ «لَعَلَّ» بمعنى (كَيْ) فتفيد العلية، وهذا قول الفراء قال: كما تقول: اعْمَلْ لَعَلَّكَ تأخذُ أجرَكَ، أي: كي تأخذَ[٨].

والثالث: أنها استفهامية، أي: هل يتذكر أو يخشى[٩]؟

وهذا قول ساقط، وذلك أنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي، فإذا كان لا بد من التأويل فجَعْلُ اللفظ على مدلوله باقياً أولى من إخراجه عنه.

فإن قيل: لِمَ أمر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما[١٠]: أنه قد ربَّى موسى ـ عليه السلام[١١] ـ فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق، وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الأبوين.

---

(١) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، روى القراءة عن خارجة بن مصعب، روى عنه القراءة محمد بن هارون النيسابوري ومحمد بن عبد الحكم والليث بن مقاتل بن الليث المرسي مات قريباً من سنة ٢١١ هـ. طبقات القراء ٢/٩.

(٢) المختصر (٨٨)، الكشاف ٣/ ٤٣٤، البحر المحيط ٦/٢٤٦.

(٣) أي: سقط من ب.

(٤) أي: أنه يصرف الرجاء للمخاطبين. الكشاف ٢/ ٤٣٤.

(٥) في ب: في قوله. وهو تحريف. (٦) في ب: لأنه.

(٧) في الأصل: إبقاء.

(٨) انظر قول الفراء في البحر المحيط ٦/٢٤٦. وممن أثبت هذا المعنى أيضاً الكسائي والأخفش، فقال الأخفش (وقال: «لعلّه يتذكّر» نحو قول الرجل لصاحبه: افرغ لعلّنا نتغدّى والمعنى: لنتغدّى وحتى نتغدّى. وتقول للرجل: اعمل عملكَ لعلّك تأخذ أجرك أي لتأخذه) معاني القرآن ٢/ ٦٣١، وانظر المغني ١/٢٨٨.

(٩) أثبته الكوفيون قال ابن هشام: ولهذا علّق بها الفعل في نحو: **﴿لا تدري لعلَّ اللّه يحدثُ بعد ذلك أمراً﴾** [الطلاق: ١] ونحو **﴿وما يدريك لعله يزَّكَّى﴾** [عبس: ٣] المغني ١/ ٢٨٨ وهذان المعنيان (التعليل والاستفهام) لا يثبتهما البصريون ورجعوا هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق انظر شرح التصريح ١/٢١٣، والهمع ١/ ١٣٤.

(١٠) في ب: الأول. (١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

والثاني: أنَّ من عادة الجبابرة إذا غُلِّظ[(١)] لهم[(٢)] في الوعظ[(٣)] أن يزدادوا عتواً وتكبُّراً.

والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر، فلهذا أمر الله تعالى بالرفق[(٤)].

قوله: «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» أي يتعظ ويخاف.

فصل

اختلفوا في ذلك القول اللين[(٥)]، فقال ابن عباس: لا تعنِّفا في قولكما[(٦)].

وقال السُّدِّي وعكرمة: كَنِّياه، فقولا: يا أبا العباس. وقيل: يا أبا الوليد[(٧)].

وقال مقاتل: القول الليِّن: «هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى[(٨)]»[(٩)]، وقولهما[(١٠)]: «إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ»[(١١)] إلى قوله: «وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى»[(١٢)].

وقال السدي[(١٣)]: القول الليِّن أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شباباً لا يهرم، ومُلْكاً لا ينزعُ منه إلا بالموت، وتبقى عليه لذة المطعم[(١٤)] والمشرب، والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة. فأعجبه[(١٥)] ذلك، وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً، فلما قَدِم أخبره بالذي[(١٦)] دعاه إليه موسى، قال: اردتُ أنْ أقبل مِنْه. فقال له هامان: كنت أرى لك عقلاً ورأياً، أنت ربٌّ تريد أن تكون مربوباً، وأنت تُعْبَدُ تريدُ[(١٧)] أن تَعْبُدَ، فقلبه عن رأيه[(١٨)].

فصل

قال ابن الخطيب: هذا التكليف لا يعلم سره إلا الله تعالى، لأنه تعالى لما[(١٩)] علم أنه لا يؤمن قط كان[(٢٠)] إيمانه ضداً لذلك العلم الذي يمتنع زواله، فيكون سبحانه عالماً بامتناع ذلك الإيمان، وإذا كان عالماً بذلك، فكيف أمر موسى بذلك الرفق، وكيف بالغ

---

(١) في الأصل: أغلظ.
(٢) في ب: عليهم.
(٣) في ب: في اللفظ والوعظ.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/٥٨.
(٥) قوله: سقط من ب.
(٦) في ب: واللين. وهو تحريف.
(٧) انظر البغوي ٥/ ٤٣٢.
(٨) المرجع السابق.
(٩) [النازعات: ١٨ ـ ١٩].
(١٠) البغوي ٥/ ٤٣٢.
(١١) في ب: وقوله.
(١٢) [طه: ٤٧].
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣.
(١٤) في ب: الطعم.
(١٥) في ب: وأعجبه.
(١٦) في ب: بالأمر الذي.
(١٧) في ب: وتريد.
(١٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣.
(١٩) لما: سقط من ب.
(٢٠) في ب: وكان.

في الأمر بتلطف دعوته[١] إلى الله ـ تعالى ـ مع علمه باستحالة حصول[٢] ذلك منه؟ ثم هَبْ أن المعتزلة ينازعون[٣] في هذا الامتناع من غير أن يذكروا شبهة قادحة في[٤] هذا السؤال، ولكنهم سلموا أنه كان عالماً بأنه لا يحصل ذلك الإيمان، وسلموا أن فرعون لا يستفيد ببعثة موسى ـ عليه السلام[٥] ـ إلا استحقاق العذاب، والرحيم الكريم كيف يليق به أن يدفع سكيناً إلى من عَلِمَ قَطعاً أنه يمزق به بطن نفسه[٦]، ثم يقول: إني ما أردت بدفع السكين إليه[٧] إلا الإحسان إليه؟ يا أخي: العقولُ قاصرةٌ عن معرفة هذه الأسرار، ولا سبيل فيها إلا التسليم، وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان، ويروى عن كعب أنه قال: والذي يحلف به كعب إنه لمكتوب[٨] في التوراة «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً وسَأُقسي قلبَه فلا يؤمن»[٩].

قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

قوله: «قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى» قد تقدم أن هارون لم يكن حاضراً هناك، فكيف قال: «قَالاَ رَبَّنَا» وتقدم جوابه[١٠].

فإن قيل: إن موسى ـ عليه السلام[١١] ـ قال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي»[١٢] وأجابه (الله تعالى)[١٣] بقوله: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى»[١٤] وهذا يدل أنه قد شرح صدره، ويسر[١٥]، وعيّن له ذلك الأمر، فكيف قال بعده: «إِنَّنَا[١٦] نَخَافُ»، فإن حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر، فالجواب: أن[١٧] شرح الصدر عبارة عن قوته على ضبط تلك الأوامر والنواهي وحفظ تلك الشرائع على وجه لا يتطرق إليها السَّهو والتحريف[١٨]، وذلك شيء آخر غير زوال[١٩] الخوف[٢٠]. فإن قيل: أما علم موسى وهارون ـ عليهما السلام[٢١] ـ وقد حمَّلهما الله تعالى الرسالة أنه تعالى يؤمنهما من القتل.

---

(١) في ب: دعواه.
(٢) في ب: حصوله. وهو تحريف.
(٣) في ب: تنازعوا. وهو تحريف.
(٤) في ب: شبه ما وجه. وهو تحريف.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في ب: حتف أنفه. وهو تحريف.
(٧) إليه: سقط من ب.
(٨) في ب: المكتوب. وهو تحريف.
(٩) الفخر الرازي ٢٢/٥٩.
(١٠) عند قوله تعالى: **﴿اذهبا إلى فرعون إنَّه طغى﴾**.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) [طه: ٢٥].
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) [طه: ٣٦].
(١٥) ويسَّر: سقط من ب.
(١٦) في ب: أنا. وهو تحريف.
(١٧) أن: سقط من ب.
(١٨) في ب: التحريف والسهو.
(١٩) زوال: سقط من ب.
(٢٠) الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٢١) في ب: عليهما الصلاة والسلام.

فالجواب: قد أمِنا ذلك وإن جوزا أن ينالهما السوء من قبل تمام الأداء أو بعده، وأيضاً فإنهما استظهرا بأن سألا[١] ربهما ما يزيد في ثبات قلبهما[٢] على دعائه، وذلك بأن ينضاف الدليل النقلي إلى العقلي زيادة في الطمأنينة كما في قوله تعالى[٣]: «وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي[٤]»[٥].

فإن قيل: لمَّا تكرر الأمر من الله ـ تعالى ـ بالذهاب، فعدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على المعصية؟

فالجواب: إن اقتضى الأمر الفور كان ذلك من أقوى الدلائل على المعصية، لا سيما وقد أكثر الله ـ تعالى ـ من أنواع التشريف، وتقوية القلب، وإزالة الغم، ولكن الأمر ليس على الفور[٦]، فزال السؤال، وهذا من أقوى الدلائل على أن الأمر لا يقتضي الفور[١٠] إذا ضممت إليه ما يدل على أن المعصية غير جائزة على الرسل[٧].

قوله: «أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا» مفعول «يَخَافُ»، ويقال: فَرَطَ يَفْرُط سبق وتقدم، ومنه الفارط[٨] وهو الذي يتقدم الواردة إلى الماء، وفرس فرط تسبق الخيل، أي: نَخَاف[٩] أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها. قاله الزمخشري[١٠]. ومن ورود الفارط بمعنى المتقدم على الواردة قول الشاعر:

٣٦٦٠ ـ وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا ... كَمَا تَقَدَّم فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[١١]

وفي الحديث: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»[١٢] أي سابقكم ومتقدمكم.

وقرأ يحيى بن وثاب وابن محيصن وأبو نوفل[١٣] «يُفْرَط» بضم حرف المضارعة

---

(١) في ب: مثلاً. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: قلوبهما.
(٣) تعالى: سقط من ب.
(٤) [البقرة: ٢٦٠].
(٥) الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٦) في ب: الفوز. وهو تصحيف.
(٧) الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٨) الفارط: الذي يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يردوا. الكامل ٣/ ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥ اللسان (فرط).
(٩) أي نخاف: مكررة في الأصل.
(١٠) الكشاف ٢/ ٤٣٥.
(١١) البيت من بحر البسيط قاله القطامي. تفسير ابن عطية ١٠/ ٣٤، اللسان (فرط) والبحر المحيط ٦/ ٢٤٦.
(١٢) أخرجه البخاري (الرقاق) ٤/ ١٤١، (الفتن) ٤/ ٢٢١ ومسلم (طهارة) ١/ ٢١٨، (فضائل) ٤/ ١٧٩٢، ١٧٩٣ وابن ماجة (مناسك) ٢/ ١٠١٦، (فتن) ٢/ ١٣٠٠، ١٣٠١ (زهد) ٢/ ٤١٣٩ ـ ٦٤٤٠ والنسائي (طهارة) ١/ ٩٣ ـ ٩٥، وأحمد ١/ ٤٢٥، ٢/ ٤٠٨، ٤/ ٣١٣، ٥/ ٤١، ٨٦، ٨٨، ٨٩.
(١٣) هو أبو نوفل العرنجي، اسمه مسلم، أو عمرو بن مسلم، أخذ عن عائشة وابن عمر، وأخذ عنه عبد الملك بن عمير، وابن جدعان. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ٢٥١.

وفتح الراء على البناء للمفعول[١]، والمعنى: خافًا أن يسبق في العقوبة أي يحمله حامل عليها وعلى المعاجلة بها إما قومه وإما الشيطان وإما حبه الرياسة، وإما ادعاؤه الإلهية.

وقرأ ابن محيصن في رواية الزعفراني[٢]: «أن يُفرِط» بضم حرف المضارعة وكسر الراء من أفرط[٣].

قال الزمخشري: من أفرَطَهُ غيره، إذا حمله على العجلة خَافًا[٤] أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب[٥].

وقال كعب بن زهير[٦]:

٣٦٦١ - تَنْفِي[٧] الرِّيَاحُ القَذَىٰ عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ ... مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ[٨]

أي سبقت هذه البيض لتملاه.

وفاعل[٩] يفرط ضمير فرعون، وهذا هو الظاهر الذي ينبغي أن لا يعدل عنه، وجعله أبو البقاء مضمراً لدلالة الكلام عليه، فقال: فيجوز أن يكون التقدير: أن يَفْرُط[١٠] علينا[١١] منه قولٌ فأضمر القول لدلالة الحال عليه كما تقول: فَرَط منِّي قول، وأن يكون الفاعل ضمير فرعون كما كان في «يَطْغَى»[١٢].

فصل

قال ابن عباس: «يَفْرُطَ عَلَيْنَا» يعجل علينا بالقتل والعقوبة. يقال: فَرَطَ عَلَيْنَا فلان إذا عجل بمكروه، وفَرَط منه أمر أي بدر وسبق[١٣] «أَوْ أَنْ يَطْغَى» يجاوز الحد بالتخطي[١٤] إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك. واعلم أن من أمر بشيء فحاول دفعه لأعذار يذكرها فلا بد أن يختم كلامه بما هو الأقوى، كما أن الهُدْهُدَ ختم عذره

---

(١) انظر المختصر (٨٧)، والمحتسب ٢/ ٥٢، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٦، والإتحاف ٣٠٣.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن هشام أبو محمد الزعفراني، روى القراءة عرضاً عن خلف ودحيم الدمشقي، والدوري وغيرهم، وروى القراءة عنه عرضاً علي بن الحسين الغضائري طبقات القراء ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) انظر المختصر (٨٧)، الكشاف ٢/ ٤٣٥، البحر المحيط ٦/ ٢٤٦.

(٤) في ب: خاف.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٥.

(٦) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، صحابي، كان شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبقته. الخزانة ٩/ ١٥٣ - ١٥٥.

(٧) في ب: تبقى وهو تصحيف.

(٨) البيت من بحر البسيط قاله كعب بن زهير، وهو في ديوانه (٧) واللسان (فرط) (علل).

(٩) في ب: وفا. وهو تحريف.

(١٠) في ب: فيفرط. وهو تحريف.

(١١) علينا: سقط من ب.

(١٢) انظر التبيان ٢/ ٨٩١ - ٨٩٢.

(١٣) انظر البغوي ٥/ ٤٣٤، وفي اللسان (فرط): الفرط: العجلة، وقال الفراء في قوله تعالى: «إنَّا نخاف أن يفرط علينا» قال: يعجل إلى عقوبتنا، والعرب تقول: فرط منه أمر، أي: بدر وسبق.

(١٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.

بقوله: «وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّه»[١]، فكذا هاهنا بدأ موسى بقوله «أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا»، وختم بقوله «أَوْ أَنْ يَطْغَى» لما كان طغيانه في حق الله ـ تعالى ـ أعظم من إفراطه في حق موسى وهارون[٢].

قوله: «قَال لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى» لا تخافا مما عرض في قلبكما[٣] من الإفراط والطغيان، لأن ذلك هو المفهوم من الكلام، لأنه ـ تعالى ـ لم يؤمنهما من الرد، ولا من التكذيب بالآيات ومعارضة السحرة[٤] وقوله: «إِنَّنِي مَعَكُمَا» أي: بالحراسة والحفظ وقوله: «أَسْمَعُ وَأَرَى» قال ابن عباس: اسمع دعاءكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما[٥].

وقال القفال: (قوله: أَسْمَعُ وَأَرَى» يحتمل أن يكون مقابلاً لقوله «يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى» «يَفْرُطَ عَلَيْنَا» بأن لا يسمع منّا «أَوْ أَنْ يَطْغَى» بأن يقتلنا، فقال الله تعالى: «إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ» كلامكما فأسخّره للاستماع منكما، «وَأَرَى» أفعاله فلا أتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه[٦] واعلم أن مفعول)[٧] (أَسْمَعُ وَأَرَى) محذوف[٨]، فقيل: تقديره: أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما.

وعن ابن عباس: أسمع جوابه لكما (وَأَرَى مَا يُفْعَل بِكُمَا[٩])[١٠].

أو[١١] يكون من حذف الاقتصار، نحو «يحيي ويُميت»[١٢].

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

قوله: «فَأْتِيَاهُ» أعاد التكليف المتقدم فقال: «فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ لَهُ»[١٣] وذلك أنه[١٤] تعالى قال[١٥] أولاً «اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ»[١٦] وثانياً قال[١٧]: «اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ»[١٨]

---

(١) [النمل: ٢٤].
(٢) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٣) في الأصل: قلوبكما.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٥) انظر البغوي ٥/ ٤٣٤.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٠.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: هناك محذوف.
(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٤٦.
(١٠) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(١١) في ب: و.
(١٢) قوله: ﴿يحيي ويميت﴾ ورد في القرآن تسع مرات، بداية من الآية (٢٥٨) من سورة البقرة انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٢٢٣).
وحذف الاقتصار هو أن لا يكون في الكلام دليل على الحذف، انظر الهمع ١/ ١٥٢.
(١٣) له: سقط من الأصل.
(١٤) في ب: لأنه.
(١٥) قال: سقط من ب.
(١٦) [طه: ٢٤].
(١٧) قال: سقط من ب.
(١٨) [طه: ٤٢].

وقال ثالثاً[١]: «اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ»[٢]. ورابعاً (قال هاهنا «فَأْتِيَاهُ»[٣])[٤].

فإن قيل: إنه تعالى أمرهما بأن يقولا له «قَوْلاً لَيِّناً»[٥]، وهاهنا أمرهما[٦] بأن[٧] يقولا «إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ» وفي هذا تغليظ من وجوه:

الأول: «إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ»)[٨] وهذا يقتضي انقياده لهما والتزامه لطاعتهما، وذلك يعظم على الملك المتبوع.

والثاني[٩]: قوله: «فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» فيه إدخال النقص على ملكه، لأنه كان محتاجاً إليهم فيما يريده من الأعمال وأيضاً: أمرهم له بالإرسال يقتضي وجوب الطاعة والانقياد فيصير تحت أمرهم.

والثالث[١٠]: نهيهم له بقولهم: «وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ».

والرابع: قوله[١١]: «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ».

فما الفائدة في القول اللين أولاً والتغليظ ثانياً؟

فالجواب: أن الإنسان إذا أظهر[١٢] اللجاجة[١٣] فلا بد له من التغليظ.

فإن قيل: أليس أن الأولى أن يقولا إنا رَسُولاَ رَبِّكَ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ فأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسرائيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُم، فإن ذكر المعجز مقروناً بادعاء الرسالة أولى من تأخيره عنه؟

فالجواب: بل هذا أولى، لأنهم ذكروا مجموع الدعاوى ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز[١٤].

قوله: «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ» قال الزمخشري: هذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي: «إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ» مجرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتهما التي هي مجيء[١٥] الآية[١٦].

فإن قيل: إن الله تعالى أعطاه آيتين، وهما العصا واليد ثم قال: «اذْهَبْ أَنْتَ

---

(١) في ب: وثالثاً قال: وفي الأصل: وقال ثالثاً قال.
(٢) [طه: ٤٣].
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/٦٠.
(٤) ما بين القوسين في ب: قال أتياه.
(٥) من قوله تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ [طه: ٤٤].
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٦١، بتصرف يسير.
(٧) في ب: أن.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: الثاني.
(١٠) في ب: الثالث.
(١١) قوله: سقط من ب.
(١٢) في ب: ظهر.
(١٣) لج في الأمر: تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه.
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٦١. بتصرف يسير.
(١٥) في الأصل: مجرى. وهو تحريف.
(١٦) الكشاف ٢/٤٣٥.

وَأَخُوكَ بآيَاتِي»[١]، وذلك يدل على ثلاث[٢] آيات وقال[٣] هاهنا «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ»، وذلك يدل على أنها كانت واحدة (فكيف الجمع)[٤]؟

أجاب القفال[٥]: بأن معنى[٦] الآية هاهنا الإشارة[٧] إلى جنس الآيات كأنه قال: جِئْنَاكَ ببيان من عند الله. ثم يجوز أن يكون ذلك حجة واحدة أو حججاً كثيرة[٨].

وقال غيره[٩]: المراد في هذا الموضوع[١٠] تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال[١١]:

قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعينا من الرسالة كقوله: «قد جئتكم ببينة مِنْ رَبِّكُمْ»[١٢]، وقوله: «فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين»[١٣] وقوله: «أَوَ لَوْ[١٤] جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبينٍ[١٥]»[١٦].

وتقدم الجواب عن التثنية والجمع، وأن في العصا واليد آيات[١٧].

قوله: «وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى» يحتمل أن يكون تسليماً منهما ولم يؤمرا به، فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب[١٨] قال بعضهم: إنَّ (عَلَى) بمعنى (اللام) أي والسلام لمن اتبع الهدى[١٩] كقوله تعالى[٢٠]: «لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٢١] أي: عليهم اللعنة[٢٢]، وقال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»[٢٣] وقال[٢٤]: «إِنْ[٢٥] أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا»[٢٦].

---

(١) [طه: ٤٢].
(٢) في الأصل: الثلاث.
(٣) قال: سقط من ب.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: فالجواب قال القفال.
(٦) في ب: على معنى. وهو تحريف.
(٧) في الأصل: إشارة.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦١.
(٩) هو الزمخشري. الكشاف ٢/ ٤٣٥.
(١٠) في ب: المعنى.
(١١) في النسختين: قيل.
(١٢) [الأعراف: ١٠٥].
(١٣) من قوله تعالى: ﴿ما أنت إلاَّ بشرٌ مثلنا فأت بآية إن كنت من الصَّادقين﴾ [الشعراء: ١٥٤] وفي ب: ﴿فأت بها إن كنت من الصَّادقين﴾ [الأعراف: ١٠٦].
(١٤) في الأصل: ولو. وهو تحريف.
(١٥) من قوله تعالى: ﴿قال أو لو جئتك بشيء مبين﴾ [الشعراء: ٣٠].
(١٦) الكشاف ٢/ ٤٣٥.
(١٧) تقدم قبل صفحات.
(١٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(١٩) قال الفراء: (وقوله: «والسَّلام على من اتبع الهدى» يريد: والسلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع الهدى سواه) معاني القرآن ٢/ ١٨٠.
(٢٠) تعالى: سقط من الأصل.
(٢١) [الرعد: ٢٥].
(٢٢) اللعنة: سقط من ب.
(٢٣) من قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦].
(٢٤) في ب: وقوله.
(٢٥) في ب: فإن.
(٢٦) [الإسرا: ٧].

وهذا وعد منهما لمن آمن وصدق بالسلامة له[١] من عقوبات الدنيا والآخرة والسلام بمعنى السلامة، كما يقال: رضاع ورضاعة.

وقيل: هذا من كلام الله تعالى كأنه قال: «فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ وَقُولاَ لَهُ[٢] والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى»[٣]، وليس المراد منه التحية إنما معناه سَلِم من عذاب الله من أسلم[٤].

قوله[٥]: «أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» خلِّ عنهم وأطلقهم عن أعمالك «وَلاَ تُعَذِّبهُمْ» لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة.

قوله تعالى[٦]: «إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى» هذه الآية من أقوى الدلائل على أن عقاب المؤمن لا يدوم، لأن الألف واللام[٧] للاستغراق، أو الإفادة (الماهية، وعلى)[٨] التقديرين يقتضي انحصار[٩] هذا الجنس في «من كذب وتولى» فوجب أن لا تحصل لغير[١٠] المكذب المتولي.

وظاهر هذه الآية يقتضي القطع بأنه لا يعاقب أحداً من المؤمنين بترك العمل به[١١] في بعض الأوقات، فوجب أن يبقى على أصله في نفي[١٢] الدوام، ولأن العقاب المتناهي[١٣] إذا حصل بعده السلامة مدة غير متناهية صار ذلك العقاب كأنه لا عقاب، فلذلك يحسن مع حصول[١٤] ذلك القدر أن يقال: إنه لا عقاب.

وأيضاً فقوله: «وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى» يقتضي حصول السلامة لكل من اتبع الهدى، إذا فسَّرنا السلام بالسلامة. والعارف بالله قد اتبع الهدى، فوجب أن يكون صاحب السلامة[١٥]. ومعنى الآية: إنما يعذب الله من كذب بما جئنا[١٦] به وأعرض عنه.

قوله: «أَنَّ العَذَابَ» «أَنَّ» وما في خبرها في محل رفع لقيامه[١٧] مقام الفاعل الذي

---

(١) له: سقط من الأصل.
(٢) في ب: ولا إله. وهو تحريف.
(٣) قال الفراء: (قال أمر موسى أن يقول لفرعون والسلام على من اتبع الهدى) معاني القرآن ٢/ ١٨٠.
(٤) قال الزجاج: (وقوله: ﴿**والسَّلام على من اتَّبع الهدى**﴾ ليس يعني به التحية، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٥٨.
(٥) في ب: وقوله.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٢.
(٧) في ب: لأن الألف واللام في العذاب.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: وعلى هذا يقتضي.
(١٠) لغير: سقط من ب.
(١١) به: سقط من ب.
(١٢) في ب: على أصله بقي. وهو تحريف.
(١٣) في ب: وأم لأن العقاب المناهي. وهو تحريف.
(١٤) في ب: حصوله.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٢.
(١٦) في ب: جئت.
(١٧) كذا في ب، وفي الأصل في محل الرفع لقيامها.

حذف في[1] «أُوْحِيَ إِلَيْنَا» وسبب[2] بنائه للمفعول (خوفاً أن يبدر من فرعون بادرة لمن أوحي لو سمياه فطويا ذكره تعظيماً له واستهانةً بالمخاطب[3])[4].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

قوله: «قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى» وحده بعد مخاطبته لهما معاً[5] إمَّا لأنَّ موسى هو الأصل في الرسالة وهارون تبع ورِدء ووزير[6] وإما لأن فرعون كان[7] لخبثه يعلم الرُّتَّة[8] التي في لسان موسى، ويعلم فصاحة هارون بدليل قوله: «وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً»[9] وقوله: «وَلاَ[10] يَكَادُ يُبِينُ»[11] فأراد استنطاقه دون أخيه[12].

وإما لأنه حذف المعطوف للعلم به أي: يا موسى وهارون قاله أبو البقاء[13] وبدأ به. وقد يقال: حَسَّنَ الحذف كون موسى فاصلة، لا يقال: كان يغني[14] في ذلك أن يقدم هارون ويؤخر موسى فيقال: يا هارون وموسى[15] فتحصل مجانسة الفواصل من غير حذف، لأن نداء موسى أهم فهو المبدوء به[16]. واعلم أن في الكلام حذف، لأنه لما قال: «فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّك أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» إلى قوله: «أنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى» أمر من الله تعالى لموسى بأن يقول لفرعون ذلك الكلام والتقدير: فذَهَبا إلى فرعون فقالا له ذلك فقال مجيباً لهما من رَبُّكما[17]؟

قوله: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه»[18] في هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن يكون «كُلَّ شَيْءٍ» مفعولاً أول و «خَلْقَهُ» مفعولاً ثانياً[19] على معنى أعطى كل شيء شكله وصورتَه[20] التي تطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة

(١) حذف في: سقط من ب.
(٢) سبب: سقط من ب.
(٣) البحر المحيط ٦/٢٤٧.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه: وهو واضح.
(٥) في ب: نادى موسى وحده بعد مخاطبتهما معاً.
(٦) في ب: تبعاً له في الرسالة.
(٧) كان: سقط من ب.
(٨) الرُّتة: عجلة في الكلام، وقلة أناة، الأرتُّ: الذي في لسانه عقدة وحبسة، ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه. اللسان (رتت).
(٩) [القصص: ٣٤].
(١٠) ولا: سقط من ب.
(١١) من قوله تعالى: ﴿أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكاد يبين﴾ [الزخرف: ٥٢].
(١٢) انظر الكشاف ٢/٤٣٥.
(١٣) انظر التبيان ٢/٨٩٢.
(١٤) في ب: ينبغي.
(١٥) في ب: يا هارون ويا موسى.
(١٦) في ب: فهو المبدأ به.
(١٧) انظر البحر المحيط ٦/٢٤٧.
(١٨) في ب: «أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثمَّ هدى».
(١٩) الكشاف ٢/٤٣٥، التبيان ٢/٨٩٢.
(٢٠) في ب: صوته. وهو تحريف.

التي تطابق الإبصار، والأذن الهيئة التي تطابق الاستماع وتوافقه[١]، وكذلك اليد والرجل واللسان[٢]. قاله مجاهد[٣]. أو[٤] أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحَجْر[٥] زوجين، والناقة والبعير، والرجل والمرأة، ولم يزاوج شيئاً منها[٦] غير جنسه، ولا ما هو مخالف لخلقه.

(وقيل: المعنى أَعْطَى كلَّ شيءٍ مخلوقٍ خلقهُ، أي هو الذي ابتدعه[٧])[٨].

وقيل: المعنى أعطى كُلَّ شيءٍ مما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان، لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا بالعكس، بل خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً[٩].

الثاني: أن يكون «كُلَّ شَيْءٍ» مفعولاً ثانياً و «خَلْقَه» هو الأول[١٠] فقدَّم[١١] الثاني عليه، والمعنى: أعطى خليقَته كلَّ شيء يحتاجُون إليه ويرتفقون[١٢] به.

وقرأ عبد الله والحسن والأعمش وأبو نُهَيْك وابن أبي إسحاق[١٣] ونصرٌ[١٤] عن الكسائيِّ وجماعةٌ من أصحاب رسول الله[١٥] «خَلَقَهُ» بفتح اللام فعلاً ماضياً[١٦]، وهذه الجملة في هذه القراءة تحتمل أن تكون منصوبة المحلِّ لكلّ أو في محل جرّ صفة لشيء. وهذا معنى قول ٱلزمخشري: صفة المضاف يعني «كُلّ»[١٧] (أو للمضاف إليه يعني «شَيْء»[١٨])[١٩]، والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، فيحتمل أن يكون حذفه حذف اختصار[٢٠] للدلالة عليه[٢١]. أي: أعطى كل شيء خلقه ما يحتاج إليه ويصلحه أو كماله، ويحتمل أن يكون حذفه حذف اقتصار)[٢٢]، والمعنى أنَّ كلَّ شيءٍ خلقه الله

---

(١) في ب: الشكل الذي يطابق الاستماع ويوافقه.
(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٥، القرطبي ١١/ ١٠٤. (٣) في ب: قال مجاهد.
(٤) في ب: و.
(٥) الحجر: الفرس الأنثى. لم يدخلوا فيه الهاء، لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر، والجمع أحجار وحجورة وحجور. اللسان (حجر).
(٦) منها: سقط من ب.
(٧) التبيان ٢/ ٨٩٢.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) انظر القرطبي ١١/ ٢٠٤.
(١٠) في ب: الأولى. وهو تحريف.
(١١) في ب: تقدم.
(١٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٥، والتبيان ٢/ ٨٩٢، والقرطبي ١١/ ١٠٤.
(١٣) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، النحوي، البصري، أخذ القراءة عرضاً عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وروى القراءة عنه عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء وغيرهما. مات سنة ١١٧ هـ طبقات القراء ١/ ٤١٠.
(١٤) هو نصر بن يوسف صاحب الكسائي.
(١٥) في ب: رسول الله ﷺ.
(١٦) انظر المختصر (٨٧)، الكشاف ٢/ ٤٣٥، البحر المحيط ٦/ ٢٤٧.
(١٧) في ب: أعني كل شي.
(١٨) الكشاف ٢/ ٤٣٥.
(١٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٠) في ب: حذفه اختصاراً. وحذف الاختصار هو أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف.
(٢١) التبيان ٢/ ٨٩٢.
(٢٢) ما بين القوسين سقط من ب.

تعالى[١] لم يُخْلِهِ من إنعامه وعطائه[٢].

فصل[٣]

اعلم أن فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر، ثم إن موسى لما دعاه إلى ربه[٤] لم يبطش به، ولم يؤذه، بل خرج معه في المناظرة، لأنه لو أذاه لنُسِبَ إلى الجَهْل والسفاهة، فاستنكف من[٥] ذلك وشرع في المناظرة، وذلك يدل أن السفاهة من غير حجة شيء لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الإسلام والعلم؟ ثم إن فرعون لما سأل موسى ـ عليه السلام[٦] ـ عن ذلك قبل موسى ذلك السؤال، واشتغل بإقامة الدلالة على وجود الصانع، وذلك يدل على فساد التقليد، ويدل أيضاً على قول التعليمية[٧] الذين يقولون: نستفيد معرفة الإله من قول الرسول، لأن موسى ـ عليه السلام[٨] ـ اعترف هاهنا بأن معرفة الله تجب أن تكون مقدمة على معرفة الرسول. ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز حكاية كلام المبطِل، لأنه تعالى حكى كلام فرعون في إنكاره الإله، وحكى شبهات منكري النبوة، وشبهات منكري الحشر[٩] إلا أنه يجب أن يذكر الجواب مقروناً بالسؤال[١٠] (كما فعل الله[١١] تعالى في هذه المواضع لئلا يبقى الشك)[١٢].

ودلت الآية على أن المحق يجب عليه استماع كلام المبطِل ويجيب عنه من غير إيذاء ولا إيحاش، كما فعل موسى عليه السلام[١٣] بفرعون هاهنا، ولقوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ»[١٤]، وقال: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ»[١٥].

فصل[١٦]

قال بعضهم: إنَّ فرعون كان عارفاً بالله تعالى إلا أنه كانَ يُظْهِرُ الإنكار[١٧] تكبراً

---

(١) تعالى: سقط من ب.
(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٥، البحر المحيط ٦/ ٢٤٧.
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٢ ـ ٦٣.
(٤) في ب: الله.
(٥) في ب: عن.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) التعليمية: سقط من ب.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: البعث.
(١٠) في ب: لأنه يجب أن يذكر السؤال مقروناً بالجواب.
(١١) لفظ الجلالة مكرر في الأصل.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) [النحل: ٢٥].
(١٥) [التوبة: ٦].
(١٦) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٣ ـ ٦٤ بتصرف يسير.
(١٧) في ب: ينكر الإظهار. وهو تحريف.

وتجبراً، لقوله تعالى[١]: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ»[٢] فيمن نصب التاء في «عَلِمْتَ»[٣] كان ذلك خطاباً لموسى ـ عليه السلام[٤] ـ مع فرعون، وذلك يدل على أن فرعون كان عالماً[٥] بذلك، وقوله: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلماً وَعُلُوًّا»[٦]. ولأنه لو لم يكن عاقلاً لم يجز تكليفه، والعاقل يعلم بالضرورة أنه وجد بعد العدم، ويعلم أن من كان كذلك افتقر إلى مدبِّر، وهذان العلمان الضروريان يستلزمان[٧] العلم بوجود المدبِّر، ولأن قول موسى ـ عليه السلام[٨] ـ «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُم هَدَى» يقتضي ذلك[٩]، لأن كلمة «الَّذِي» تقضي وصف المعرفة بجملةٍ[١٠] معلومةٍ عند المخاطب. وأيضاً فإن مُلْك فرعون[١١] لم يتجاوز القبطَ، ولم يبلغ الشام، ولما هرب موسى إلى مَدْيَنَ قال له شعيبٌ: «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ»[١٢]، فمع هذا كيف يعتقد أنّه إله العالم؟

وقال آخرون: إنَّه كانَ جاهلاً بربِّه.

واتفقوا على أنَّ العاقل لا يَجُوزُ أن يعتقد في نفسه أنه خالق هذه السموات والأرض والشمس والقمر، وأنه خالقُ نفسه، لأنه يعلم بالضرورة عجزه عنها، ويعلم بالضرورة أنها كانت موجودة قبله، فَحَصَلَ له العلم الضروري بأنه ليس موجداً لها ولا خالقاً لها.

واختلفوا في كيفية جَهْلِه بالله تعالى، فيحتمل أنه كان دهرياً نافياً للمدبِّر، ويحتمل[١٣] أنه كان فلسفياً قائلاً بالعلة الموجبة[١٤]، ويحتمل أنه كان من عبدة الكواكب، ويحتمل أنه كان من الحلوليَّة، وأما ادعاؤه الربوبية لنفسه فبمعنى أنه يجب عليهم طاعته والانقياد له.

فصل[١٥]

قال هاهنا: «فَمَنْ رَبُّكُمَا يا مُوسَى»، وقال في سورة الشعراء: «وَمَا رَبُّ

(١) تعالى: سقط من الأصل.
(٢) [الإسراء: ١٠٢].
(٣) ونصب التاء في «علمت» قراءة غير الكسائي، أما هو فقد قرأ بضم التاء. انظر السبعة ٣٨٥ ـ ٣٨٦.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) في ب: كان عارفاً عالماً.
(٦) [النمل: ١٤].
(٧) في ب: يلتزمان.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: مقتضى ذلك.
(١٠) في الأصل جملة.
(١١) في ب: وأيضاً فإن ذلك أعني ملك فرعون.
(١٢) [القصص: ٣١]، وليس هذا قول شعيب وإنما قول شعيب له هو: ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [القصص: ٢٥] وذلك كما في الفخر الرازي.
(١٣) يحتمل: سقط من ب.
(١٤) في ب: بالعلة الموجبة. ويحتمل أنه كان جاهلاً بربّه واتفق جماعة منهم على ذلك.
(١٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢ ـ ٦٤ بتصرف يسير.

العَالَمِينَ»[١]، وهو سؤال عن الماهية، فهما سؤالان مختلفان، والواقعة واحدة، والأقرب أن يقال[٢]: سؤال «مَنْ» كان مقدماً على سؤال «مَا»[٣]، لأنه كان يقول: أنَا اللَّهُ والرَّبُّ[٤]، فقال: «فَمَنْ رَبُّكُمَا»، فلما أقام موسى الدلالة على الوجود، وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه[٥] في هذا المقام، لظهوره وجلائه، عدل إلى طلب الماهية، وهذا ينبه[٦] على أنه كان عالماً بالله، لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره؛ وشرع في المقام الصعب، لأن العلم بماهية الله تعالى[٧] غير حاصل للبشر.

قوله[٨]: «قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا» ولم يقل: «فَمَن إلَهُكُمَا» لأنه أثبت نفسه ربًّا في قوله: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً»[٩]، فذكر ذلك على سبيل التعجب كأنه قال: أنَا رَبُّكَ فَلِمَ تدعي رَبًّا آخر، وهذا يشبه[١٠] كلام نمروذ حين قال له إبراهيم «رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ»[١١] قال نمروذ: «أنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ»[١٤] ولم يكن الإحياء والإماتة التي ذكرها إبراهيم هي[١٢] التي عارضه نمروذ بها إلا في اللفظ، فكذا هاهنا لما ادعى[١٣] موسى ـ عليه السلام[١٤] ـ ربوبية الله تعالى ذكر فرعون هذا الكلام، أي: أنا الرَّبُّ الذي ربيتك، ومعلوم أن الربوبية التي ادعاها موسى[١٥] لله تعالى غير هذه الربوبية في المعنى وأنه لا مشاركة بينهما[١٦] إلا في اللفظ[١٧].

فصل

استدل موسى[١٨] عليه السلام[١٩] ـ على[٢٠] إثبات الصانع بأحوال المخلوقات، وهو قوله: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»، وهذه الدلالة هي التي ذكرها الله تعالى لمحمد ـ عليه السلام[٢١] ـ في قوله: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى»[٢٢] وقال إبراهيم ـ عليه السلام[٢٣] ـ: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاَّ رَبَّ

---

(١) من قوله تعالى: **﴿قال فرعون وما ربُّ العالمين﴾** [الشعراء: ٢٣].

(٢) في ب: والأقرب واحد. وهو تحريف.

(٣) ما: سقط من ب.

(٤) في ب: إني أنا اللَّهُ والرَّب. وهو تحريف.

(٥) في ب: أن يقال وأن يقاومه. وهو تحريف.

(٦) في ب: وذلك يدل.

(٧) تعالى: سقط من ب.

(٨) في ب: فإن قيل.

(٩) [الشعراء: ١٨].

(١٠) في ب: شبه. وهو تحريف.

(١١) [البقرة: ٢٥٨].

(١٢) في ب: على. وهو تحريف.

(١٣) في ب: فصل لما ادعى.

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٥) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.

(١٦) في ب: فيها. وهو تحريف.

(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٤.

(١٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٤ ـ ٦٦.

(١٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢٠) في الأصل: في. وهو تحريف.

(٢١) في ب: ﷺ.

(٢٢) [الأعلى: ١، ٢، ٣].

(٢٣) في ب: وقال عليه السلام.

العَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ»[١].

واعلم أن الخلق عبارة عن تركيب القوالب والأبدان، والهدايةُ عبارة عن إيداع القُوَى المدركة والحركة في تلك الأجسام، فالخلق مقدم على الهداية كما قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ»[٢] إلى أن قال: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ»[٣].

واعلم[٤] أن عجائب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية بحر لا ساحل له ولنذكر منه أمثلة[٥]:

أحدها[٦]: أنَّ الطبيعي يقول[٧]: الثقيل هابط، والخفيف صاعد، وأثقل الأشياء الأرض ثم الماء، وأخفها النار ثم الهواء، فلذلك وجب أن تكون النار أعلى العنصريات والأرض أسفلها، ثم إنه تعالى قلب هذا[٨] في خلقة الإنسان؛ فجعل أعلى الأشياء منه العظم والشعر[٩]، وهما[١٠] أيْبَسُ ما في البدن، وهما بمنزلة الأرض، ثم جعل تحته الدماغ الذي هو[١١] بمنزلة الماء، وجعل تحته النفس الذي هو[١٢] بمنزلة الهواء، وجعل تحته الحرارة الغريزية التي في القلب، وهي بمنزلة النار، فجعل مكان الأرض من البدن الأعلى، وجعل مكان النار من البدن الأسفل ليعلم أن ذلك بتدبير[١٣] القادر الحكيم لا باقتضاء العلة والطبيعة.

وثانيها[١٤]: أنَّك إذا نظرت إلى عجائب النحل في تركيب البيوت المسدسة وقسمتها، وعجائب أحوال البق والبعوض والنمل في اهتدائها[١٥] إلى مصالح أنفسها لعرفت أن ذلك لا يمكن إلا بإلهام مدبر عالم بجميع المعلومات.

وثالثها[١٦]: أنه تعالى هو الذي أنعم على الخلائق[١٧] بما به قوامهم من المطعوم، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، ثم هداهم إلى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون المعادن من الجبال، واللآلىء من البحار، ويركبون الأدوية[١٨] والدرياقات النافعة، ويجمعون بين الأشياء المختلفة، ويستخرجون لذائذ الأطعمة، فدل ذلك على أنه تعالى هو الذي خلق الأشياء[١٩] ثم أعطاهم العقول التي بها يتوصلون إلى كيفية الانتفاع بها،

---

(١) [الشعراء: ٧٧، ٧٨].
(٢) [المؤمنون: ١٢].
(٣) [المؤمنون: ١٤].
(٤) في ب: فصل واعلم.
(٥) في ب: مثلة. وهو تحريف.
(٦) في ب: الأول.
(٧) في ب: يقول الطبيعي إن.
(٨) في ب: خلق قلب ذلك. وهو تحريف.
(٩) في ب: الشعر والعظم.
(١٠) في ب: ومنه. وهو تحريف.
(١١) هو: سقط من ب.
(١٢) هو: سقط من ب.
(١٣) في ب: بتقدير وهو تحريف.
(١٤) في ب: الثاني.
(١٥) في ب: البعوض في ابتدائها، وهو تحريف.
(١٦) في ب: الثالث.
(١٧) في الأصل: الخلق.
(١٨) في الأصل: الأودية. وهو تحريف.
(١٩) في ب: الإنسان. وهو تحريف.

وليس هذا مختص بالإنسان بل عام في جميع الحيوان، فأعطى الإنسان إنسانةً، والحمار حمارةً، والبعير ناقةً هداه لها ليدوم التناسل(١)، وهدى الأولاد لثدي الأمهات، بل هذا غير مختص بالحيوانات(٢)، بل هو حاصل في أعضائها، فخلق اليد على تركيب خاص، وأودع فيها قوة الأخذ، وخلق الرِّجل على تركيب خاص، وأودع فيها قُوَّة المشي، وكذا العين، والأذن، وجميع الأعضاء، ثم ربط البعض بالبعض على وجه يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الإنسان.

وإنما دلت هذه الأشياء على وجود الصانع، لأن اتصاف كلِّ جسم من هذه الأجسام بتلك الصفة أعني التركيب والقوة الهادية إما أن يكون واجباً أو جائزاً، والأول باطل لأنا نشاهد تلك الأجسام بعد الموت منفكة عن ذلك التركيب والقوى، فدل على أن ذلك جائز، والجائز لا بد له من مرجِّح، وليس ذلك المرجِّح هو الإنسان، ولا قواه، لأنَّ فعل ذلك يستدعي قدرةً عليه، وعلماً بما فيه من المصالح والمفاسد، والأمران نائيان عن الإنسان، لأنه(٣) بعد كمال عقله يعجز عن تغيير شعرة واحدة، وبعد(٤) البحث الشديد عن(٥) كتب التشريح لا يعرف من منافع الأعضاء ومصالحها إلا القدر القليل؛ فلا بد وأن(٦) يكون المتولي(٧) لتدبيرها وترتيبها موجوداً آخر، وذلك الموجود لا يجوز أن يكون جسماً، لأن الأجسام متساوية في الجسمية، واختصاص ذلك الجسم بتلك المؤثرية(٨) لا بد وأن يكون جائزاً فيفتقر إلى سبب آخر، والدور والتسلسل محالان، فلا بد من الانتهاء في سلسلة الحاجة(٩) إلى مدبر ليس بجسم ولا جسماني، ثم تأثير ذلك المؤثر(١٠) إما أن يكون بالذات أو بالاختيار، والأول محال لأن الموجب لا يميز(١١) مثلاً عن مثل، وهذه الأجسام متساوية في الجسمية فَلِمَ(١٢) اختص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية، وبعضها بالحيوانية؟

فثبت أن المؤثر والمدبر قادر، والقادر لا يمكنه مثل هذه الأفعال العجيبة إلا إذا كان عالماً، ثم إن هذا(١٣) المدبر الذي ليس بجسم ولا جسماني لا بد وأن(١٤) يكون واجب الوجود في ذاته(١٥) وصفاته، وإلا لافتقر إلى مدبر آخر، ولزم التسلسل، وهو محال، وإذا كان واجب الوجود في قادريته وعالميته، والواجب لذاته لا يتخصص ببعض

---

(١) في ب: التسلسل. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: الحيوان.
(٣) في ب: لأن. وهو تحريف.
(٤) في ب: بعد.
(٥) في ب: من.
(٦) في ب: أن.
(٧) في ب: للتولي. وهو تحريف.
(٨) في ب: المؤثر.
(٩) في ب: تسلسلة الحال. وهو تحريف.
(١٠) في ب: المدبر وهو تحريف.
(١١) لا غير: سقط من ب.
(١٢) في ب: علم. وهو تحريف.
(١٣) هذا: سقط من ب.
(١٤) في ب: أن.
(١٥) في ب: نفسه. وهو تحريف.

الممكنات دون البعض، فوجب أن يكون عالماً بكل ما صح أن يكون معلوماً، وقادراً على كل ما صح أن يكون مقدوراً، فظهر[١] بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى[٢] وقررها[٣] احتياج العالم إلى مدبر ليس بجسم ولا جسماني، وهو واجب الوجود في ذاته وصفاته عالم بكل المعلومات، قادر على كل المقدورات، وذلك هو الله سبحانه وتعالى[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

قوله: «قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى» البال: الفكر، يقال: خطر بباله كذا، ولا يثنى ولا يجمع، وشذ جمعه على بالات، ويقال للحال المكترث بها، وكذلك يقال: ما بَالَيتُ بالة، والأصل بالية كعافية فحذف لامه تخفيفاً[٥].

فصل

قال المفسرون: البَالُ: الحالُ، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود[٦].

وفي ارتباط هذا الكلام بما قبله وجوه[٧]:

الأول: أنَّ موسى ـ عليه السلام[٨] ـ لمَّا قرر عليه أمر المبدأ قال فرعون: إن كان إثبات المبدأ ظاهراً[٩] إلى هذا الحد «فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى»[١٠]؟ ما أثبتوه بل تركوه، فكأن موسى ـ عليه السلام[٨] ـ لما استدل على إثبات الصانع[١١] بالدلالة القاطعة قَدَح فرعونُ في تلك الدلالة بقوله: إنْ كانَ الأمرُ على ما ذكرت من قوة[١٢] الدلالة وجب على أهل القرون الماضية أن لا يغفلوا عنها[١٣]. فعارض الحجة بالتقليد.

---

(١) في ب: وظهر. (٢) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(٣) في ب: وقرر. وهو تحريف.
(٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٤ ـ ٦٦ بتصرف يسير.
(٥) اللسان (بول). (٦) انظر البغوي ٥/٤٣٦.
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٦ ـ ٦٧ بتصرف يسير.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٩) في ب: ظاهر. وهو تحريف.
(١٠) الأولى: سقط من ب.
(١١) في ب: لما استدل بوجود الصانع أعني على إثبات الصانع والزيادة تبدو من كلام الناسخ.
(١٢) في ب: بقوة. وهو تحريف. (١٣) في الأصل: عنه وهو تحريف.

الثاني: أنَّ موسى ـ عليه السلام[١] ـ لما هدده بالعذاب[٢] في قوله: «أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى» قال فرعون: «فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى» فإنها كذبت ولم يعذبوا؟

الثالث: وهو الأظهر، أنَّ فرعون لما قال: «فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى»[٣] فذكر موسى ـ عليه السلام ـ دليلاً ظاهراً على صحة دعواه فقال: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» خاف فرعون أن يزيد في تلك الحجة، فيظهر للناس صدقه، وفساد طريق[٤] فرعون، فأراد أن يصرفه عن ذلك الكلام، ويشغله بالحكايات فقال: «فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولى» فلم يلتفت موسى ـ عليه السلام[٥] ـ إلى ذلك الحديث وقال: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ» ولا يتعلق غرضي بأحوالهم، ولا أشتغل بها، ثم عاد إلى تتميم[٦] كلامه الأول، وإبراز الدلائل الظاهرة[٧] على الوحدانية فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً»، وهذا الوجه هو المعتمد في صحة النظم[٨].

فإن قيل: العلمُ الذي عند الرب، كيف يكون في الكتاب؟ وذلك أن علم الله صفة قائمة به، فكون صفة الشيء حاصلة في كتاب[٩] غير معقول، فذكروا في الجواب وجهين[١٠]:

الأول: معناه: أنه تعالى[١١] أثبت تلك[١٢] الأحكام في كتابٍ عنده ليكون ما كتبه فيه ظاهراً للملائكة، فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على أنه تعالى عالم بكل المعلومات ينزه عن السهو والغفلة، ولقائل أن يقول: قوله: «فِي كِتَابٍ» يوهم احتياجه سبحانه في العلم إلى ذلك الكتاب، وهذا وإن كان غير واجب لا محالة ولكنه لا أقل من أن يوهمه في أول الأمر لا سيما للكافر، فكيف يحسن ذكره مع معاندٍ مثل فرعون في وقت الدعوة؟

الوجه الثاني: أن يفسَّر ذلك بأن بقاء تلك المعلومات في علمه سبحانه كبقاء المكتوب في الكتاب، فيكون[١٣] الغرض من هذا الكلام تأكيد القول بأن أسرارها معلومة لله تعالى بحيث لا يزول منها شيء[١٤] عن علمه، ويؤكد هذا التفسير قوله بعد ذلك: «لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى»[١٥].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في ب: في العذاب. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) طريق: سقط من ب.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) تتميم: سقط من ب.
(٧) في ب: وإيراد الدلائل الباهرة. وهو تحريف.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٦٦ ـ ٦٧ بتصرف يسير.
(٩) في ب: فيكون صفة الشيء في كتاب. وهو تحريف.
(١٠) في ب: فالجواب من وجهين.
(١١) في ب: الأول: أنه.
(١٢) في ب: ذلك. وهو تحريف.
(١٣) في ب: فيبقى.
(١٤) في ب: شيئاً. وهو تحريف.
(١٥) الفخر الرازي ٢٢/٦٧.

وقيل: إنما ردَّ موسى علم ذلك إلى الله، لأنه لم يعلم ذلك فإن[1] التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون[2] والمراد بالكتاب: اللوحُ المحفوظ.

قوله: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي» في خبر[3] هذا المبتدأ وجوه:

أحدها[4]: أنَّه «عِنْدَ رَبِّي» وعلى هذا فقوله: «فِي كِتَابٍ» متعلق بما تعلق به الظرف من الاستقرار، أو[5] متعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير المستتر في الظرف، أو خبر ثان[6].

الثاني: أن الخبر قوله: «فِي كِتَابٍ»، فَعَلَى هذا قوله: «عِنْدَ رَبِّي» معمول للاستقرار الذي تعلق به «في كتاب» كما تقدم في عكسه، أو يكون حالاً من الضمير المستتر في الجار الواقع خبراً[7]، وفيه خلاف أعني تقديم الحال على عاملها المعنوي[8]، والأخفش يجيزه ويستدل بقراءة[9]: «والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّات بِيَمِينِهِ»[10]، وقوله:

٣٦٦٢ ـ رَهْطُ ابْنِ كُوزٍ مُحْقَبِي أَدْرَاعِهِمْ[11] فِـيـهِـمْ وَرَهْـطُ رَبِـيـعَـةَ بْـنِ حُـذَارِ[12]

---

(١) في ب: لأن.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٤٨.

(٣) في ب: في تفسير وهو تحريف.

(٤) في ب: الأول.

(٥) في ب: و. وهو تحريف.

(٦) انظر التبيان ٢/ ٨٩٢.

(٧) انظر البيان ٢/ ١٤٢، التبيان ٢/ ٨٩٢.

(٨) تقديم الحال على عاملها المعنوي فيه خلاف بين النحويين: فذهب البصريون إلى منع تقديم الحال على عاملها المعنوي لضعفه نحو: سعيدٌ مستقرًا عندك أو في الدار، وما ورد من ذلك مسموعاً يحفظ ولا يقاس عليه. وذهب الفراء والأخفش إلى جواز ذلك مطلقاً، واستدل على ذلك بقراءة عيسى بن عمر: «والسموات مطويَّات بيمينه» بنصب «مطويَّات» على الحال، وهي متقدمة على عاملها المعنوي، وقول الشاعر:

رهـط ابـن كـوز مـحـقـبـي أدراعـهـم فـيـهـم ورهـط وبـيـعـة بـن حـذار

فـ (محقبي أدراعهم) وقع حالاً من (فيهم).

وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك إذا كانت الحال فيه من مضمر نحو أنت قائماً في الدار وقيل: يجوز إن كان الحال ظرفاً أو جاراً ومجروراً. صرح بذلك ابن برهان كما في شرح الكافية، لتوسعهم في الظروف نحو زيدٌ عندك أمامك، أو في الدار أمامك شرح الكافية ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، الأشموني ٢/ ١٨١.

(٩) عيسى بن عمر، وهي نصب «مطويَّات». المختصر (١٣١).

(١٠) [الزمر: ٦٧]. والاستشهاد بالقراءة على تقديم الحال على عاملها المعنوي وتأويل المانع بأن «السَّموات» عطف على الضمير المستتر في «قبضته» من قوله تعالى **﴿والأرض جميعاً قبضته﴾** لأنها بمعنى مقبوضة و «مطويَّات» حال من «السَّموات» و«بيمينه» ظرف لغو متعلق بـ «مطويّاتٌ» انظر حاشية الصبان ٢/ ١٨٢.

(١١) في ب: أذراعهم. وهو تصحيف.

(١٢) البيت من بحر الكامل، قاله النابغة الذبياني. رهط الرجل: قومه وقبيلته، ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. وقد تقدم.

وقال بعض النحويين: إنه[١] إذا كان العامل معنوياً والحال ظرف[٢] أو عديله حَسُنَ التقديم عند الأخفش وغيره، وهذا منه[٣]، أو يكون ظرفاً للعلم نفسه، أو يكون حالاً من المضاف إليه، وهو الضمير في «عِلْمُهَا»[٤] ولا يجوز أن يكون «في كِتَابٍ» متعلقاً بـ «عِلْمُهَا» على قولنا: إنَّ «عِنْدَ رَبِّي» الخبر، كما جاز تعلق «عِنْدَ» بِهِ، لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي[٥] وقد تقدم أنه لا يخبر عن الموصول إلا بعد تمام صلته.

الثالث: أن يكون الظرف وحرف الجر معاً خبراً واحداً في المعنى فيكون بمنزلة: هذا حلوٌ حامضٌ، قاله أبو البقاء[٦]. وفيه نظر إذ كل منهما يستقل بفائدة الخبرية بخلاف هذا حُلْوٌ حامِضٌ. والضمير في «عِلْمُهَا» فيه وجهان: أظهرهما: عوده على «القُرُونِ»[٧] والثاني: عوده على القيامة لدلالة ذكر «القُرُونِ» على ذلك لأنه سأله[٨] عن بعث الأمم، والبعث يدل على القيامة[٩].

قوله: «لاَ يَضِلُّ رَبِّي» في هذه الجملة وجهان:

أحدهما[١٠]: أنَّها في محل جر صفة لـ «كِتَاب»، والعائد محذوف تقديره: في كَتَابٍ لا يَضِلُّه رَبِّي، أو[١١] لا يضل حفظَه رَبِّي، فـ «رَبِّي»، فاعل «يَضِلُّ» على هذا التقدير.

وقيل: تقديره: لا يَضِلُّ[١٢] الكتابُ رَبِّي، فيكون في «يَضِلُّ» ضمير يعود على الكتاب، و «رَبِّي» منصوب على التعظيم[١٣]، وكان الأصل عن ربي، فحذف الحرف اتساعاً.

---

(١) أنه: سقط من ب. (٢) في ب: والظرف حال.

(٣) ذكر الرضي أن الأخفش يجوز تقديم الحال على عاملها المعنوي مطلقاً، وأن ابن برهان صرح بجواز تقديم الحال على عاملها المعنوي الذي هو ظرف أو جار ومجرور، وذلك لتوسعهم في الظرف حتى جاز أن يقع موضعاً لا يقع غيرها فيه نحو قوله تعالى: ﴿**إنَّ إلينا إيابهم**﴾ [الغاشية: ٢٥] فقوله تعالى ﴿**علمها عند ربي في كتاب**﴾ نرى أن «عند» ظرف وقع حالاً وهو متقدم على عامله النحوي وهو جار ومجرور. شرح الكافية ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٨٩٢.

(٥) وذلك أن المصدر لا يفصل بينه وبين ما عمل فيه بأجنبي، والمراد بالأجنبي أن لا يكون للمصدر فيه عمل، فلو قلت: أعجب ركوب الدابة زيداً عمرو. لم يجز، لأن زيداً أجنبي من المصدر الذي هو الركوب، إذ لم يكن فيه تعلق، وقد فصلت بين المصدر وما عمل فيه. التبيان ٢/ ٨٩٢، شرح المفصل ٦/ ٦٧.

(٦) التبيان ٢/ ٨٩٢ أي من تعدد الخبر في اللفظ دون المعنى، إذ معنى حلو حامض: مزٌّ، وضابطه أن لا يصدق الإخبار ببعضه عن المبتدأ البيان ٢/ ١٤٣، شرح الأشموني ١/ ٢٢٢.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٨. (٨) في ب: سأل.

(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٤٨. (١٠) في ب: الأول.

(١١) في ب: و. وهو تحريف. (١٢) لا يضل: سقط من ب.

(١٣) التبيان ٢/ ٨٩٢.

يقال: ضَلِلْتُ كذا وضَلِلْتُه بفتح اللام وكسرها لغتان مشهورتان وأشهرهما الفتح[١].

والثاني: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ـ ساقها الله ـ تعالى[٢] ـ لمجرد الإخبار بذلك حكاية عن موسى[٣].

وقرأ الحسن وقتادة والجحدري وعيسى الثقفي وابن محيصن وحماد بن سلمة[٤] «لاَ يُضِلُّ» بضم الياء[٥]، أي لا يُضِلُّ رَبِّي الكِتَابَ، أي: لا يضيعُه، يقال: أضْلَلْتُ الشيء أي أضعته و «رَبِّي» فاعل على هذا التقدير[٦].

وقيل: تقديره: لا يُضِلُّ أحدٌ رَبِّي عن علمه، أي من علم الكتاب، فيكون الربُّ منصوباً على التعظيم[٦]. وفرَّق بعضهم بين ضَلَلْت وأضْلَلْتُ، فقال[٧]: ضَلَلْتُ منزلي بغير ألف، وأضْلَلْتُ بعيري ونحوه من الحيوان بالألف، نثل ذلك الرماني[٨] عن العرب[٩].

وقال الفراء: يقال: ضَلَلْتُ الشيْءَ إذا أخطأت[١٠] في مكانه، وَضَلِلْتُ لغتان، فلم تهتد له[١١] كقوله[١٢]: ضَلَلْتُ الطريقَ والمنزلَ، ولا يقال: أَضْلَلْتُه إلا إذا ضاع منك كالدابة انفلتت وشبهها[١٣].

قوله: «وَلاَ يَنْسَى» في فاعل «يَنْسَى» قولان:

---

(١) في اللسان (ضلل): ضللت تضلُّ هذه اللغة الفصيحة، وضللت تضل ضلالاً وضلالة، وبنو تميم يقولون: ضللت أضلُّ، وضللت أضلُّ وأهل الحجاز يقولون: ضللتُ أضلُّ، وأهل نجد يقولون: ضللت أضلُّ، وقال الجوهري: لغة نجد هي الفصيحة.

(٢) في ب: ساقها تبارك وتعالى.

(٣) القرطبي: ١١/٢٠٨.

(٤) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري، روى القراءة عرضاً عن عاصم وابن كثير، روى عنه الحروف حرميّ بن عمارة وحجاج بن المنهال وشيبة بن عمرو المصيصي. مات سنة ١٦٧ هـ. طبقات القراء ١/٢٥٨.

(٥) انظر المختصر (٨٧) والبحر المحيط ٦/٢٤٨.

(٦) التبيان ٢/٨٩٣.

(٧) في ب: ويقال.

(٨) هو علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، كان إماماً في العربية في طبقة الفارسي، والسيرافي، أخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد، صنف التفسير، شرح أصول ابن السراج، شرح سيبويه، شرح المقتصب، معاني الحروف وغير ذلك مات سنة ٣٨٤ هـ. البغية ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٩) البحر المحيط ٦/٢٤٨.

(١٠) في ب: إذا خطأت.

(١١) في ب: لذلك.

(١٢) في ب: كما تقول.

(١٣) يبدو أن ابن عادل نقل ما قاله الفراء من البحر المحيط ٦/٢٤٨. دون الرجوع إلى كتاب معاني القرآن للفراء، ونص كلام الفراء: (وتقول: أضللت الشيء إذا ضاع، مثل الناقة والفرس وما انفلت منك وإذا أخطأت الشيء الثابت موضعه مثل الدار والمكان قلت: ضلَلته وضلِلته لغتان، ولا تقل: أضللت ولا أضللته) معاني القرآن ٢/ ١٨١.

أحدهما: أنه عائد على «رَبِّي» أي: ولا يَنْسَى رَبِّي ما أثبته في الكتاب.

والثاني: أن الفاعل ضمير عائد على «الكِتَاب» على سبيل المجاز[١] كما أسند إليه الاحصاء مجازاً[٢] في قوله: «إلا أَحْصَاهَا»[٣] لما كان محلاً للإحصاء[٤].

فصل

قال مجاهد[٥] في قوله: «لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى»: إن معنى اللفظين واحد أي: لا يذهب عليه شيء ولا يخفى عنه. وفرق الأكثرون بينهما، فقال القفال[٦]: لا يَضِلُّ عن الأشياء ومعرفتها، وما عُلِم من ذلك لم ينسه، فاللفظ الأول إشارة[٧] إلى كونه عالماً بكل المعلومات، وقوله: «وَلاَ يَنْسَى» دليلٌ على بقاء ذلك العلم أبد الآباد، وهو إشارة إلى نفي التغير.

وقال مقاتل: لا يخطىء ذلك الكتاب رَبِّي، ولا يَنْسَى ما فيه.

(وقال الحسن: لا يخطىء وقت البعث ولا ينساه. وقال أبو عمرو: وأصل الضلال الغيبوبة، والمعنى: لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء.

وقال ابن جرير: لا يُخطىء في التدبير، فيعتقد فيما ليس بصواب كونه صواباً، وإذا عرفه لا ينساه[٨])[٩]. وكلها متقاربة، والتحقيق هو الأول[١٠]. واعلم[١١] أن فرعون لمَّا سأل موسى عن الإله فقال: «فَمَنْ[١٢] رَبُّكُمَا» وكان ذلك ممّا سبيله الاستدلال، أجاب بالصواب بأوجز عبارة، وأحسن معنى، ولما سأله عن القُرون الأولى، وكان ذلك مما سبيله الإخبار لم يأته خبر من ذلك، وكلها إلى عالم الغُيوب[١٣].

قوله: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ» في هذا الموصول وجهان:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ مضمر[١٤]، أو منصوب بإضمار أمدح[١٥]، وهو[١٦] على هذين التقديرين من كلام الله تعالى لا من كلام موسى، وإنما احتجنا إلى ذلك، لأن

---

(١) فإسناد عدم النسيان إلى الكتاب استعارة.

(٢) كذا في ب، وفي الأصل: مجاز.

(٣) من قوله تعالى: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممَّا فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاَّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً﴾** [الكهف: ٤٩].

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٤٩.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٧.

(٦) في ب: فقال الفراء، وهو تحريف.

(٧) إشارة: سقط من ب.

(٨) انظر جامع البيان.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٦٧.

(١١) في ب: فصل واعلم.

(١٢) في ب: من.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٧.

(١٤) في ب: مضمراً. وهو تحريف.

(١٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٦، والقرطبي ١١/ ٢٠٩.

(١٦) في ب: فهو.

قوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ»[١] وقوله: «كُلُوا وَارْعَوا أَنْعَامَكُمْ» وقوله: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» إلى قوله: «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ» لا يتأتى[٢] أن يكون من كلام موسى، فلذلك[٣] جعلناه من كلام الباري تعالى[٤]، ويكون فيه التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه. فإن قلت[٥]: أجَعَلَهُ من كلام موسى يعني[٦]: أنه وصف ربَّه تعالى بذلك، ثم التفت إلى الإخبار عن الله ـ تعالى ـ بلفظ التكلم؟

قيل[٧]: إنما جعلناه التفاتاً في الوجه الأول، لأن المتكلم واحد بخلاف هذا فإنه لا يتأتى فيه[٨] الالتفات المذكور وأخواته من كلام الله[٩].

والثاني: أن «الَّذِي» صفة لـ «رَبِّي»[١٠]، فيكون في محل رفع أو نصب على حسب ما تقدم من إعراب «رَبِّي»[١١]. وفيه ما تقدم من الإشكال في نظم الكلام من قوله: «فَأَخْرَجْنَا» وأخواته من عدم جواز الالتفات[١٢]، وإن كان قد قال بذلك الزمخشري[١٣] والحوفي[١٤]. وقال ابن عطية: إن كلام موسى تم عند قوله: «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»[١٥] وأن قوله: «فَأَخْرَجْنَا» إلى آخره من كلام الله تعالى[١٦]. وفيه بعد[١٧] وقرأ الكوفيون[١٨]

---

(١) في ب: فأخرجنا به جناتٍ وهو تحريف.

(٢) في ب: لا ينافي. وهو تحريف.

(٣) في ب: فكذلك. وهو تحريف.

(٤) تعالى: سقط من ب.

(٥) في ب: فإن قيل.

(٦) في ب: بمعنى. وهو تحريف.

(٧) في ب: فالجواب.

(٨) في ب: لا ينافي. وهو تحريف.

(٩) ذهب أبو حيان إلى أن هذا من كلام الله تعالى، لأنه لو كان من كلام موسى لا يكون فيه إلا الالتفات المذكور لأن الالتفات لا يكون من قائلين، قال أبو حيان: (وإنما ذهبنا إلى أن هذا من كلام الله تعالى لقوله تعالى: ﴿**فأخرجنا**﴾ وقوله: ﴿**كلوا وارعوا أنعامكم**﴾ وقوله: ﴿**ولقد أريناه**﴾ فيكون قوله: ﴿**فأخرجنا**﴾ و ﴿**أريناه**﴾ التفاتاً من الضمير الغائب في «جعل» و «سلك» إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قائلين) البحر المحيط ٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(١٠) في قوله تعالى: ﴿**لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى**﴾ من الآية السابقة.

(١١) وقد تقدم إن «ربِّي» فاعل «يضلُّ» على تقدير: في كتابٍ لا يضلُّ ربِّي أو لا يضلُّ حفظه ربِّي. فيكون «الَّذي» في محل رفع. أو أن «ربِّي» منصوب على التعظيم وذلك إذا كان التقدير: لا يضلُّ الكتابَ ربي. فيكون الذي في محل نصب.

(١٢) لأن هذا الوجه من الإعراب يجعل قوله ﴿**الَّذي جعل لكم**﴾ من كلام موسى وقد تقدم أن قوله: ﴿**فأخرجنا به**﴾ وقوله: ﴿**كلوا وارعوا أنعامكم**﴾ و«منها خلقناكم» و«ولقد أريناه» لا يتأتى أن يكون من كلام موسى، وأن الالتفات لا يكون من قائلين.

(١٣) أي أن الزمخشري ذكر أن «جعل» صفة لـ «ربِّي» انظر الكشاف ٢/ ٤٣٦.

(١٤) البحر المحيط ٦/ ٢٥١.

(١٥) ماء: سقط من ب.

(١٦) تفسير ابن عطية ١٠/ ٤٠.

(١٧) لما ذكر في جواب الاعتراض السابق حيث قال: (إنما جعلناه التفاتاً في الوجه الأول لأن المتكلم واحد بخلاف هذا فإنه لا يتأتى فيه الالتفات المذكور وأخواته من كلام الله).

(١٨) وهم عاصم وحمزة والكسائي.

«مَهْداً» بفتح الميم وسكون الهاء من غير ألف. والباقون[١]: «مِهَاداً» بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[٢]. وفيه وجهان:

أحدهما: قال المفضل[٣]: إنَّهما مصدران بمعنى واحد يقال: مَهَّدتُهُ مَهْداً ومِهَاداً[٤].

والثاني: أنهما مختلفان، فالمِهَادُ هو الاسم، والمَهْد هو الفعل كالفرش والفراش، فالفَرْش المصدر[٥]، والفراش اسم لما يُفْرَش. أو أن مِهَاداً[٦] جمع مَهْد نحو فَرْخ وفِرَاخ[٧] وكَعْب وكِعَاب[٨]. ووصف الأرضَ بالمَهْد إما مبالغة، وإما على حذف مضاف أي ذات مَهْدِ[٩].

قال أبو عبيد: الذي أختاره مِهَاداً وهو اسم والمَهْد الفعل[١٠].

وقال غيره: المَهْد الاسم والمِهَادُ الجمع كالفَرْش والفِرَاش[١١].

أجاب أبو عبيد[١٢]: بأن الفَرْشَ والفِرَاشَ[١٣] فعل[١٤].

قوله: «شَتَّى» فَعْلَى[١٥]، وألفه للتأنيث، وهو جمع الشَّتيت[١٦] نحو مَرْضَى في جمع مَرِيض، وجَرْحَى في جمع جَرِيح، وقتلى في جمع قتيل[١٧].

---

(١) وهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) السبعة (٤١٨) الحجة لابن خالويه (٢٤١)، الكشف ٢/٩٧، النشر ٢/٣٢٠، الإتحاف (٣٠٣).

(٣) المفضل بن محمد بن يعلى الضبيّ النحوي، الأديب أبو العباس، وقيل أبو عبد الرحمن، كان عالماً بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس، وكان يكتب المصاحف ويقفها في المساجد تكفيراً لما كتبه بيده من أهاجي الناس. بغية الوعاة ٢/٢٩٧.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/٢٥١.

(٥) في ب: مصدر.

(٦) في ب: أو المهاد.

(٧) في ب: وأفراخ. وهو تحريف.

(٨) انظر الكشف ٢/٩٧ ـ ٩٨.

(٩) وذلك على مذهب البصريين في الوصف بالمصدر، فعندهم إما أن يكون على تقدير مضاف أو جعل العين نفس المعنى مبالغة مجازاً وادعاءً. وعند الكوفيين على التأويل بالمشتق. انظر شرح التصريح ٢/١١٣.

(١٠) انظر البحر المحيط ٦/٢٥١.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) في الأصل: أبو عبيدة.

(١٣) في ب: بأن الفراش والفرش.

(١٤) في الفخر الرازي: (أجاب أبو عبيدة: بأن الفراش اسم، والفرش فعل) ٢٢/٦٨ وفي اللسان (فرش): فرش الشيء يفرشه ويفرشه فرشاً، فانفرش وافترشه: بسطه. الليث: الفرش مصدر فرش يفرش ويفرش، وهو بسط الفراش.

(١٥) في ب: فعل. وهو تحريف.

(١٦) في ب: شتيت.

(١٧) وذلك أن (فعلى) من أمثلة جمع الكثرة وهو مطردٌ في وصفٍ على فعيل بمعنى مفعول دال على هلكٍ أو توجُّع أو تشتت نحو قتيل وقتلى وأسيرٌ وأسرى، وجريحٌ وجرحى، ويحمل عليه ما أشبهه في المعنى من فعل: كزمن وزمنى، وفاعل كهالك وهلكى، وفيعل كميت وموتى، وفعيل بمعنى فاعل كمريض=

يقال: شَتَّ الأمرُ يَشِتُّ شَتًّا[١] وَشَتَاتاً فهو شَتٌّ[٢] أي[٣] تفرق، وشَتَّان اسم فعل ماض بمعنى: افْتَرَقَ، ولذلك لا يكتفى بواحد[٤]. وفي «شَتَّى» أوجه[٥]:

أحدها[٦]: أنَّها منصوبةٌ نعتاً لأزواج، أي أزواجاً متفرقة، بمعنى مختلفة الألوان (والطعوم[٧])[٨].

والثاني: أنَّها منصوبةٌ على الحال من أزواج، وجاز[٩] مجيء الحال من النكرة لتخصصها بالصفة[١٠]، وهي «مِنْ نَبَاتٍ»[١١].

الثالث: أن تنتصب على الحال أيضاً من فاعل الجار، لأنه لما وقع وصفاً وقع ضميراً[١٢] فاعلاً.

الرابع: أنه في محل جر نعتاً لنبات، قال الزمخشري: يجوز[١٣] أن يكون صفة لنبات، ونبات مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت، واستوى فيه الواحد والجمع، يعني: أنها شَتَّى مختلفة النفع والطعم[١٤] واللون والرائحة والشكل، بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم[١٥]. ووافقه أبو البقاء أيضاً[١٦]، والظاهر الأول.

قوله: «كُلُوا» منصوب بقول محذوف، وذلك القول منصوب على الحال من فاعل «أَخْرَجْنَا» تقديره: فأخرَجْنَا كَذَا قائلينَ كُلُوا[١٧].

وترك مفعول الأكل على حد تركه في قوله تعالى: «وكُلُوا وَاشْرَبُوا»[١٨] «وَارْعُوا»

= ومرضى، وأفعل كأحمق وحمقى، وفعلان كسكران وسكرى. وما سوى ذلك محفوظ كقولهم كيس وكيسى، فإنه ليس فيه ذلك المعنى، وسنانٌ ذرب وأسنّة ذربَى. انظر شرح الأشموني ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١) شتا: سقط من ب.
(٢) في ب: فهو شتيت.
(٣) أي: سقط من الأصل.
(٤) اللسان (شتت).
(٥) في ب: نحو شتى وفيها أوجه. وهو تحريف.
(٦) في ب: الأول.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٣٦، التبيان ٢/ ٨٩٣.
(٨) ما بين القوسين في ب: الفهوم. وهو تحريف.
(٩) في ب: وجاء. وهو تحريف.
(١٠) في ب: لتخصها فالصفة. وهو تحريف.
(١١) وذلك أن الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، لأنه محكوم عليه وحق المحكوم عليه أن يكون معرفة. وقد يقع صاحب الحال نكرة بمسوّغ يقويه من المعرفة، ومن هذه المسوغات أن يكون صاحب الحال مخصوصاً بوصف كقراءة إبراهيم بن أبي عبلة **﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند اللّه مصدِّقاً﴾** [البقرة: ٨٩]. بنصب «مصدّق» وقول الشاعر:

نجيت يا ربِّ نوحاً واستجبت له ... في فلك ماخر في اليمِّ مشحونا

انظر شرح التصريح ١/ ٣٧٦، وشرح الأشموني ٢/ ١٧٥.
(١٢) في ب: مضمراً.
(١٣) في ب: ويجوز.
(١٤) في ب: مختلفة الطعم.
(١٥) الكشاف ٢/ ٤٣٦.
(١٦) التبيان ٢/ ٨٩٣.
(١٧) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٥١.
(١٨) قوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا﴾** ورد في القرآن ست مرات [البقرة: ٦٠، ١٨٧]، [الأعراف: ٣١]، [الطور: ١٩]، [الحاقة: ٢٤] [المرسلات: ٤٣]. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٣٧٧.

(رَعَى) يكون لازماً ومتعدياً، يقال: رَعَى دابَّته رعياً فهو راعٍ، ورعت الدابة تَرْعَى رعياً فهي راعية[١]، وَجَاء في الآية متعدياً[٢]، و «النُّهَى»[٣] فيه قولان: **أحدهما** أنه جمع نُهْيَة كغُرَف جمع غرفة[٤].

والثاني: أنَّها اسمٌ مفرد، وهو مصدر كالهُدَى والسُّرى، قاله أبو عليّ[٥] وقد تقدم أول الكتاب أنهم قالوا لم يأت مصدر على «فُعَلٍ» من المعتل اللام إلا سُرَى وهُدَى وبُكَى، وأن بعضتم زاد لُقَى، وأنشد عليه بيتاً[٦]. وهذا لفظ آخر فيكون خامساً. والنُّهَى: العقل سُمِّي العقل به، لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح[٧].

فصل

لما ذكر موسى ـ عليه السلام[٨] ـ الدلالة الأولى، وهي (دِلاَلَةٌ عامَّة)[٩] تتناول جميع المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد ذكر بعده دلائل خاصة فقال: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَاداً» أي جعلها بحيث يتصرف العباد، وغيرهم عليها من النوم[١٠]، والقُعُود، والقِيَام، والزراعة، وجميع المنافع المذكورة في تفسير قوله تعالى[١١]: «الَّذَي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً»[١٢].

«وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً» السَّلْكُ: إدخال الشيء في الشيء، أي: أَدْخَلَ في الأَرْضِ لأجلكم طُرُقاً تسلكونها[١٣].

قال ابن عباسٍ: سَهَّل لكم فيها طرقاً[١٤]. «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» تقدم الكلام فيه في البقرة[١٥] «فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً» تقدَّم أنّ هذا من كلام موسى تقديره: يقول ربِّي الذي

---

(١) في ب: متعدية. وهو تحريف.
(٢) اللسان (رعى)، البحر المحيط ٦/ ٢٥١.
(٣) في ب: قوله: النهى.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٥١.
(٥) قال أبو عليّ: (وقد يجوز أن يكون (فعل) مصدراً اختص به المعتل وإن لم يكن في الصحيح، كما كان كينونة ونحوه مصادر) الحجة ١/ ١٣٤ وانظر البحر المحيط ٦/ ٢٥١.
(٦) ذكر ابن عادل هناك: أن الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الشاطبي ذكر أن العرب قالت لقيته لقى، وأنشدنا لبعض الرجاز:

وقد زعموا علماً ولم أزد ... بحمد الذي أعطاك حلماً ولا عقلا

انظر اللباب ١/ ٤٢ ـ ٤٣.
(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٥١.
(٨) في ب: لما سأل موسى.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) في ب: بالنوم.
(١١) تعالى: سقط من ب.
(١٢) [البقرة: ٢٢].
(١٣) في ب: أي أدخل لكم في الأرض لأجلكم طرق تسلكونها.
(١٤) انظر البغوي ٥/ ٤٣٧.
(١٥) عند قوله تعالى: **﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسَّماء بناءً وأنزل من السَّماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾** [البقرة: ٢٢] وذكر ابن عادل هناك: من السماء =

جعل كذا وكذا «فَأَخْرَجْنَا» نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراسة «أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ».

وتقدم[١] أنَّ الصحيح أنه من كلام الله تعالى[٢]، لأنَّ ما بعده لا يليق بموسى ـ عليه السلام[٣] ـ، ولأن أكثر ما في قدرته صرف المياه إلى سَقْي الأراضي[٤] والحراسة، فأما إخراج النبات على أصناف طبائعه وألوانه وأشكاله فليس من موسى عليه السلام[٥]، فثبت أنه كلام الله تعالى[٦].

وقوله: «أَزْوَاجاً» أي أصنافاً سميت بذلك، لأنها مزدوجة[٧] مقترنة بعضها ببعض. «شَتَّى» مختلفة الألوان والطعوم والمنافع بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم.

«كُلُوا» أمر إباحة[٨]. «وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ» تقول العرب: رَعَيْتُ الغنم فَرَعَت أي أَسِيموا أَنْعَامَكُمْ تَرْعَى. «إنَّ في ذَلِكَ» أي فيما أنزلت لكم من هذه النعم «لآيَاتٍ» لعبرة ودلالات[٩]. «لأُولِي النُّهَى» لذوي العقول.

(قال الضحَّاك)[١٠] «لأُولي النُّهَى»[١١] الذي ينتهون عما حرم الله عليهم[١٢].

وقال قتادة: لِذَوِي الورع[١٢].

قوله تعالى: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» الآية، لما ذكر منافع الأرض السماء بيَّن أنَّها غير مخلوقة لذاتها، بل لكونها وسائل إلى منافع الآخرة، فقال: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» أي من الأرض.

فإن قيل: إنَّما خَلَقَنَا[١٣] من النُّطفَةِ على ما بَيَّنَ في سائر الآيات[١٤].

فالجواب من وجوه:

الأول: أنَّه لـمَّا خَلَق[١٥] أصلنا وهو آدم ـ عليه السلام[١٦] ـ من تُرابٍ كما قال تعالى: «كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرَابٍ»[١٧] حسن إطلاق ذلك علينا[١٨].

الثاني: أنَّ تَوَلُّدَ الإنسان إنَّما هو من النطفة ودم الطمث، وهما يتولَّدان من

= ابتداء الغاية، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أن تكون حالاً من ماء، لأن صفة النكرة إذا قدمت عليها نصبت حالاً، وحينئذ فمعناها التبعيض، وثمَّ مضاف محذوف، أي: من مياه السماء ماء، وأصل «ماء» موه بدليل تصغيره على مويه وجمعه على مياه وأمواه. انظر اللباب ١/ ٨٢ بتصرف.

(١) في ب: وقد تقدم.
(٢) تعالى: سقط من ب.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: سقي الأراضي والزراعة.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٨، ٦٩ بتصرف.
(٧) في ب: مزوجة. وهو تحريف.
(٨) في ب: بإباحة.
(٩) في ب: أو لآيات. وهو تحريف.
(١٠) ما بين القوسين: سقط من ب.
(١١) في ب: لذي النهى. وهو تحريف.
(١٢) البغوي: ٥/ ٤٣٧.
(١٣) في ب: إنَّا خلقناكم. وهو تحريف.
(١٤) في ب: المخلوقات. وهو تحريف.
(١٥) في ب: ذكر. وهو تحريف.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) [آل عمران: ٥٩].
(١٨) في الأصل: عليه. وهو تحريف.

الأغذية، والغذاء إما حيواني أو نباتي، والحيواني ينتهي إلى النباتي، والنبات إنما يحدث[١] من امتزاج الماء والتراب، فصح أنه سبحانه خَلَقْنا مِنْهَا، وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة.

الثالث: روى ابن مسعود أن مَلَكَ الأرحام يأتي إلى الرَّحيم حين يكتب أجل المولود ورزقَه، والأرض التي يُدْفَن فيها، وأنه يأخذ من تراب تلك البقعة وينثره على النطفة، ثم يدخلها في الرحم[٢]. ثم قال: «وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» أي عند الموت[٣]، «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» عند[٤] البعث.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا» الآية. هذه الرؤية[٥] بصرية فلما دخلت همزة النقل تعدت بها إلى اثنين أولهما الهاء[٦] والثاني «آيَاتِنَا»[٧]. والمعنى: أبْصَرْنَاه[٨]، والإضافة هنا[٩] قائمة مقام التعريف العهدي، أي[١٠]: الآيات المعروفة كالعصا[١١] واليد ونحوهما[١٢]. وإلا فَلَم يُرِ[١٣] الله تعالى فرعون جميع آياته.

وجوَّز الزمخشري أن يراد بها الآيات على العموم[١٤]، بمعنى أن موسى ـ عليه السلام[١٥] ـ أراه الآية[١٦] التي بعث بها وعدد عليه الآيات التي جاءت بها الرسل قبله عليهم السلام[١٧] وهو نبيٌّ[١٨] صادق لا فرق[١٩] بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به[٢٠].

قال أبو حيان: وفيه بُعد، لأن الإخبار بالشيء لا يسمَّى رؤية له إلا بمجاز بعيد[٢١]

---

(١) في ب: ينتهي. وهو تحريف.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) في ب: عند الموت والدفن.
(٤) في ب: يوم وهو تحريف.
(٥) في الأصل: الآرائه. وهو تحريف.
(٦) في ب: النهى. وهو تحريف.
(٧) في ب: آيات. وهو تحريف.
(٨) في ب: أبصرنا. وهو تحريف.
(٩) في ب: ههنا.
(١٠) في ب: في. وهو تحريف.
(١١) في ب: في العصا. وهو تحريف.
(١٢) الكشاف ٢/ ٤٣٧.
(١٣) في الأصل: يرى.
(١٤) ف ب: أن يراد بها العموم على الإطلاق. وهو تحريف.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: الآيات. وهو تحريف.
(١٧) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(١٨) في ب: بين. وهو تحريف.
(١٩) في ب: لا جرم فرق. وهو تحريف.
(٢٠) قال الزمخشري: (والثاني أن يكون موسى قد أراهُ آياته، وعدَّد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم، وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به) الكشاف ٢/ ٤٣٧.
(٢١) البحر المحيط ٦/ ٢٥٢.

وقيل: بل الرؤية هنا[١] قلبية، فالمعنى: أَعْلَمْنَاه، وأيّد ذلك أنه لم يُرِه إلا[٢] العصا واليد فقط[٣].

ومن جوّز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، أو إعمال المشترك في معنييه يجيز أن يراد[٤] المعنيان جميعاً.

وتأكيد الآيات بـ «كُلَّها» يدل على إرادة العموم، لأنهم قالوا: فائدة التوكيد بكلٍّ[٥] وأخواتها رفع[٦] توهم وضع الأخص موضع الأعم فلا يُدَّعى أنه أراد بالآيات آيات مخصوصة، وهذا يتمشى على أن الرؤية قلبية.

ويراد بالآيات[٧] ما يدل على وحدانية الله تعالى وصدق المبلِّغ، فأما الآيات الدالة على الوحدانية فقوله: «الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»[٨]، وقوله: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَاداً»[٩] إلى آخره. وما ذكره في سورة الشعراء: «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»[١٠] الآيات. وأما الآيات الدالة على صدق المبلِّغ فهي الآيات التسع المختصة بموسى ـ عليه السلام[١١] ـ، وهي العَصَا، واليَد، وفلقُ البحر، والحجرُ، والجرَادُ، والقملُ، والضَّفَادِع، والدَّم، ونَتْقُ الجَبَلِ. ومعنى[١٢] «أَرَيْنَاهُ» عرَّفناه صحتها، وأوضحنا له وجه الدلالة فيها. وإنما أضاف الآيات إلى نفسه سبحانه وتعالى مع أنَّ المظهر لها موسى، لأنه أجراها على يديه، كما أضاف نفخَ الروح إلى نفسه فقال: «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا»[١٣] مع أن النفخَ كان من جبريل (عليه السلام[١٤])[١٥] ـ ولم يذكر مفعول التكذيب والإباء[١٦] تعظيماً له، وهو معلوم[١٧].

قوله[١٨]: «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا» يعني الآيات التسع «فَكَذَّب» بها وزعم أنها سِحْرٌ «وَأَبَى» أن يسلم.

فإن قيل[١٩] قوله[٢٠]: «كُلَّهَا» يفيد العموم، والله ـ تعالى[٢١] ـ ما أراه جميع

---

(١) في ب: ها هنا.
(٢) في ب: فالمعنى: أيدناه وأنه لم يرد اللفظ أعني. وهو تحريف.
(٣) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٢.
(٤) في ب: يريد.
(٥) بكل: سقط من ب.
(٦) في ب: ودفع وهو تحريف.
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٧٠ ـ ٧١ بتصرف.
(٨) [طه: ٥٠].
(٩) [طه: ٥٢].
(١٠) [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٤].
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: والمعنى.
(١٣) [الأنبياء: ٩١].
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٧١. بتصرف.
(١٥) ما بين القوسين في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: والآية. وهو تحريف.
(١٧) في ب: فقال ذلك وهو معلوم.
(١٨) في ب: فصل قيل. وهو تحريف.
(١٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٧١.
(٢٠) في ب: إن قوله.
(٢١) في ب: والله سبحانه وتعالى.

الآيات، لأن[١] من جملة الآيات ما أظهرها على أيدي الأنبياء قبل موسى ـ عليه السلام[٢] وبعده.

فالجواب: لفظ الكُلِّ وإنْ كانَ للعموم لكن[٣] قد يستعمل في الخصوص مع القرينة، كما يقال: دَخَلْتُ السوق فاشتريت كلَّ شيء، أو يقال إن موسى ـ عليه السلام[٤] ـ أراه[٥] آياته، وعدد عليه آيات غيره من الأنبياء، فكذَّب فرعونُ بالكُلِّ، أو يقال: تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل، فحكى الله ـ تعالى ـ ذلك على الوجه الذي يلزم. قال القاضي: الإباء الامتناع، وإنه لا يوصف به إلا من كذَّبَ بتمكنٍ من الفعل والترك، ولأنه تعالى ذمَّه بأنه كذَّب، وبأنه أبَى، وإن لم يقدر على ما هو فيه لم يصح. وهذا السؤال وجوابه تقدم في سورة البقرة في «إبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ[٦]»[٧].

قوله: «أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا» يعني مصر «بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى» وتركيب هذه الشبهة عجيب[٨]، وذلك لأنه ألقى في مسامعهم ما يصيرون مبغضين له جداً بقوله: «أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا»، لأن هذا مما يشق على الإنسان في النهاية، ولذلك جعله الله تعالى[٩] مساوياً للقتل في قوله[١٠] «اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ»[١١]، ثم لما صاروا في نهاية البغض له أورد الشبهة الطاعنة في نبوته ـ عليه السلام[١٢] ـ وهي إنَّ ما جئتنا به سِحْرٌ لا معجز، ولمَّا علم أنَّ المعجز إنما يتميز عن السحر، لكون المعجز مما يتعذر بمعارضته قال: «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِه»[١٣].

قوله: «فَلَنَأْتِيَنَّكَ» جواب قسم محذوف تقديره: والله لنأتينَّكَ. وقوله «بِسِحْرٍ» يجوز أن يتعلق بالإتيان[١٤] وهذا[١٥] هو الظاهر. ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنَّه حال من فاعل الإتيان أي ملتبسين[١٦] بسحرٍ[١٧].

قوله: «مَوْعِداً» يجوز أن يكون زماناً كقوله: «إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ»[١٨] ويرجحه قوله: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ»، (والمعنى: عَيِّن لنا وَقْتَ اجتماعنا، ولذلك أجابهم بقوله: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ»)[١٩] وضعَّفوا هذا بأنه ينبو عنه قوله: «مَوْعِدُكُم يَوْمَ الزِّينَةِ».

---

(١) في ب: لأن جملة أي لأن. وهو تحريف.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) لكن: سقط من ب.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) في ب: أراد. وهو تحريف.
(٦) [البقرة: ٣٤].
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧١.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧١.
(٩) تعالى: سقط من ب.
(١٠) في ب: أي. وهو تحريف.
(١١) [النساء: ٦٦].
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧١.
(١٤) التبيان ٢/ ٨٩٣.
(١٥) هذا: سقط من ب.
(١٦) في ب: مكتسبين. وهو تحريف.
(١٧) التبيان ٢/ ٨٩٣.
(١٨) [هود: ٨١].
(١٩) ما بين القوسين سقط من ب.

وبقوله: «لاَ نُخْلِفُه». وأجاب[١] عن قوله: «لاَ نُخْلِفُهُ» بأن المعنى: لا نخلف الوقت في الاجتماع فيه[٢]. ويجوز أن يكون مكاناً. والمعنى: بَيِّنْ لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فنأتيه، ويؤيد[٣] بقوله: «مَكَاناً سُوًى». قال[٤] فهذا يدل على أنه مكان، وهذا يَنْبُو عنه قوله: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينةِ»، ويجوز أن يكون مصدراً أي اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلِفه، ويؤيد هذا قوله[٥]: لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ»، لأن الموعد هو الذي يصح وصفه بالخلف وعدمه[٦]، وإلى هذا نحا جماعة مختارين له[٧] ويُرَدُّ عليهم بقوله: «مَوْعِدكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ» (فإنه لا يطابقه)[٨].

وقال الزمخشري: إن جعلته زماناً نظراً في أن قوله: «مَوْعِدكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ»[٩] مطابق[١٠] له، لزمك شيئان: أن تجعل الزمان مخلفاً[١١]، وأن يعضل[١٢] عليك ناصب مكاناً، (وإن جعلته مكاناً)[١٣] لقوله: «مَكَاناً سُوى» لزمك أيضاً أن توقع الإخلاف على المكان، وأن لا يطابق[١٤] قوله: «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ»، وقراءة الحسن غير مطابقة له زماناً ومكاناً جميعاً[١٥]، لأنه قرأ «يَوْمَ الزِّينَةِ» بالنصب، فبقي أن يُجْعَل[١٦] مصدراً يعني الوعد، ويقدَّر مضاف محذوف أي[١٧]: مكان الوعد، ويجعل الضمير في «تُخْلِفُه» للموعد، و «مكاناً» بدل من المكان[١٨] المحذوف. فإن قلت[١٩]: فكيف طابقه[٢٠] قوله: «مَوْعِدكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ» ولا بد من أن تجعله زماناً والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان؟ قلت[٢١]: هو مطابق معنى وإن لم يطابقه لفظاً، لأنهم لا بدَّ لهم أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك الزمان، فبذكر الزمان علم المكان

---

(١) في ب: أجاب.

(٢) في ب: لا نخلف الموعد المؤقَّت للاجتماع فيه. وهو تحريف.

(٣) في ب: وتأيد. وهو تحريف.

(٤) في ب: والمعنى وهو تحريف.

(٥) قوله: سقط من ب.

(٦) في ب: لأن المعنى الذي يصح الحلف وعدمه.

(٧) منهم الزمخشري وأبو البقاء كما هو واضح من النَّصين المنقولين عنهما الآتيين ومنهم أيضاً ابن الخطيب فاختار في تفسيره أن الموعد في هذه الآية مصدر، فبعد أن جوَّز أن يكون الموعد مصدراً أو اسماً لزمان الوعد، أو اسماً لمكان الوعد قال: (والذي في هذه الآية بمعنى المصدر أي اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه، لأن الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف، أما الزمان والمكان فلا يصح وصفهما بذلك، ومما يؤكد ذلك أن الحسن قرأ «يوم الزينة» بالنصب، وذلك لا يطابق الزمان والمكان) الفخر الرازي ٢٢/٧١.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) في ب: مطابقاً. وهو تحريف.

(١١) في ب: مختلفاً.

(١٢) في ب: وأن يفصل. وهو تصحيف.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٤) في ب: ولا يطابق.

(١٥) في ب: غير مطابق لزمان ومكان معاً.

(١٦) في ب: أن يكون.

(١٧) أي: سقط من ب.

(١٨) في ب: الضمير. وهو تحريف.

(١٩) في ب: فإن قيل.

(٢٠) في ب: يطابقه.

(٢١) في ب: فالجواب.

وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر[(١)] لا غير، والمعنى: إنجاز وَعْدِكم يوم الزينة، وطابق هذا أيضاً من طريق المعنى، ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى: اجْعَلْ بيننا وبينك وَعْداً لا نُخْلِفه[(٢)].

وقال أبو البقاء: هو هنا مصدر لقوله: «لاَ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ»[(٣)] والجعل هنا بمعنى التصيير و «مَوْعِداً» مفعول أول، والظرف هو الثاني، والجملة من قوله: «لاَ نُخْلِفُهُ» صفة لموعد، و «نَحْنُ» توكيدٌ مصحِّحٌ للعطف على الضمير المرفوع[(٤)] المستتر في «نُخْلِفُه»[(٥)] و[(٦)] «مكاناً» بدل من المكان المحذوف كما قدره الزمخشري[(٧)]. وجوز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب «مَكَاناً» على المفعول الثاني لـ «اجْعَلْ» قال: و «مَوْعِداً» على هذا مكان أيضاً، ولا ينتصب بموعد لأنه مصدر قد وصف[(٨)].

يعني[(٩)] أنه يصح (نصبه مفعولاً ثانياً، ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق المبتدأ الخبر)[(١٠)] في الأصل. وقوله: ولا ينتصب بالمصدر يعني أنه لا يجوز أن يدعى انتصاب «مَكَاناً» بموعد، والمراد بالموعد المصدر، وإن كان جائزاً من جهة المعنى، لأن الصناعة تأباه (وهو وصف المصدر. والمصدر شرط إعماله: عدم وصفه قبل العمل عند الجمهور[(١١)])[(١٢)].

---

(١) في ب: فالمصدر فيها موعد.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٣) التبيان ٢/ ٨٩٣.

(٤) المرفوع: سقط من ب.

(٥) لأنه لا يحسن العطف على الضمير المرفوع المتصل بارزاً كان أو مستتراً إلا بعد توكيده بضمير منفصل نحو قوله تعالى: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ [الأنبياء: ٥٤] أو بتوكيد معنوي كقول الشاعر:

ذعرتم أجمعون ومن يليكم ... برؤيتنا وكنا الظافرينا

أو بعد وجود فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو قوله تعالى: يدخلونها ومن صلح من آبائهم [الرعد: ٢٣] أو وجد فصل بـ «لا» النافية بين حرف العطف والمعطوف نحو قوله تعالى: **﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾** [الأنعام: ١٤٨] وفي ذلك يقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما. . . . .

انظر شرح التصريح ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١.

(٦) في ب: أو. وهو تحريف.

(٧) عند اختياره أن «موعداً» مصدر بمعنى الوعد، وقدَّر محذوفاً أي مكان الوعد عندما قال: (فيبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد، ويقدر مضاف، أي مكان الوعد، ويجعل الضمير في «نخلفه» للموعد، و «مكاناً» بدل من المكان المحذوف) الكشاف ٢/ ٤٣٨.

(٨) التبيان ٢/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٣.

(٩) في ب: بمعنى.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) أي أن من شروط إعمال المصدر على الفعل أن يكون غير منعوت قبل تمام عمله، فلا يجوز أعجبني ضربك المبرِّح زيداً، لأن معمول المصدر بمنزلة الصلة من الموصول فلا يفصل بينهما فإن ورد ما يوهم ذلك قدّر فعل بعد النعت يتعلق به المعمول المتأخر وبقية التوابع كالنعت في ذلك الهمع ٢/ ٩٣ شرح الأشموني ٢/ ٢٨٦.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

وهذا الذي منعه الفارسي وأبو البقاء جوزه الزمخشري وبدأ به فقال: فإن قلت: فيم ينتصب «مكاناً»؟ قلت: بالمصدر أو بما[١] يدل عليه المصدر. فإن قلت[٢]: كيف يطابقه (فالجواب)[٣]: قلت[٤]: أما على قراءة[٥] الحسن فظاهر، وأما على قراءة العامة فعلى تقدير: (وَعْدكم وَعْدُ يوم زينة[٦].

قال أبو حيان: وقوله: إنَّ «مكاناً» ينتصب بالمصدر)[٧] ليس بجائز، لأنه قد وصف[٨] قبل العمل بقوله: «لاَ نُخْلِفُه»، وهو موصول، والمصدر إذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم[٩]. قال شهاب[١٠] الدين: الظروف والمجرورات يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها، وفي المسألة خلاف مشهور. وأبو القاسم[١١] نحا إلى جواز ذلك[١٢].

وجعل الحوفيُّ انتصاب «مكاناً» على الظرف وانتصابه بـ «اجْعَل»[١٣] فتحصل في نصب «مكاناً» خمسة أوجه:

أحدها: أنه[١٤] بدلٌ من (مكاناً) المحذوف.

الثاني: أنَّه مفعول ثانٍ[١٥] للجَعْل.

الثالث: أنَّه نُصبَ بإضمار فعل.

الرابع: أنَّه منصوبٌ بنفس المصدر.

الخامس: أنَّه منصوبٌ على الظرف بنفس «اجْعَل»[١٦].

وقرأ أبو جعفر وشيبة: «لا نُخْلِفْه» بالجزم على جواب الأمر والعامة بالرفع على الصفة لموعدكم[١٧] كما تقدم[١٨].

وقرأ ابن[١٩] عامر وحمزة وعاصم والحسن[٢٠]: «سُوًى» بضم السين منوناً وصلاً. والباقون: بكسرها[٢١]. وهما لغتان مثل: عِدًى وعُدًى وطِوًى وطُوًى[٢٢]،

---

(١) في الأصل وإنما وهو تحريف.
(٢) في ب: فإن قيل.
(٣) الجواب: سقط من ب.
(٤) في ب: فالجواب.
(٥) في ب: قول. وهو تحريف.
(٦) الكشاف ٢/٤٣٨.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) في ب: لأنه وصف.
(٩) البحر المحيط ٦/٢٥٣.
(١٠) في ب: فصل قال شهاب الدين.
(١١) الزمخشري.
(١٢) حيث جعل الناصب لـ «مكاناً» هو المصدر أو ما يدل عليه المصدر. انظر قول الزمخشري السابق.
(١٣) البحر المحيط ٦/٢٥٣.
(١٤) في ب: أنَّها. وهو تحريف.
(١٥) في ب: ثاني.
(١٦) الدر المصون ٥/٢٩.
(١٧) في ب: على صفة. وهو تحريف.
(١٨) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٣.
(١٩) في ب: أبو وهو تحريف.
(٢٠) في ب: والحسن وعاصم والحسن.
(٢١) السبعة (٤١٨)، الحجة لابن خالويه (٢٤١)، الكشف ٢/٩٨، البحر المحيط ٦/٢٥٣، النشر ٢/٣٢٠، الإتحاف (٣٠٤).
(٢٢) في ب: مثل طوى وهدًى. وهو تحريف.

فالكسر[١] والضم على أنها صفة بمعنى مكان عدلٍ إلاَّ أنَّ الصفة على فُعَل كثيرة[٢] نحو لُبَد وحُطَم[٣] (وقليلة على فِعَل[٤].

ولم ينوِّن الحسن «سُوَى»[٥] أجرى الوصل مجرى الوقف ولا جائز أن يكون منع صرفه للعدل على فُعَل كعُمَر، لأن ذلك في الأعلام، وأما فُعَل في الصفات فمصروفة نحو حُطَم، ولُبد[٦])[٧].

وقرأ عيسى بن عمر «سِوَى» بالكسر من غير تنوين[٨] وهي كقراءة الحسن في التأويل[٩]. (وسوى معناه: عدلاً ونصفة. قال الفارسي: كأنه قال قربةُ منكُم قِربَةً منّا[١٠].

قال الأخفش)[١١]: «سوى» مقصور إن كسرت سينه أو ضممت، وممدود إن فتحتها، ثلاث لغات، ويكون فيها جميعها بمعنى غَيْر[١٢]، وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين، قال الشاعر:

٣٦٦٣ ـ وَإِنَّ أَبَانَا[١٣] كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ ... سِوَى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزَرْ[١٤]

---

(١) في ب: والكسر.

(٢) في ب: كثير.

(٣) رجل حطم وحطمة: إذا كان قليل الرحمة للماشية يهشم بعضها ببعض.

(٤) قال مكي: (وفعل قليل في الصفات نحو: عدى، وفعل كثير في الصفات نحو قولك لبد وحطم) الكشف ٢/٩٨.

(٥) انظر المختصر (٨٨)، والمحتسب ٢/٥٢، البحر المحيط ٦/٢٥٣.

(٦) قال ابن جني عند توجيهه قراءة الحسن: (ترك صرف «سوى» ها هنا مشكل، وذلك أنه وصف على فعل، وذلك مصروف عندهم: كمال لبد ورجل حطم ودليل ختع وشكع إلا أنه ينبغي أن يحمل عليه أنه محمول على الوقف عليه، فجاء بترك التنوين فإن وصل على ذلك فعلى نحو من قولهم: سبسباً وكلكلاً، فجرى في الوصل مجراه في الوقف) المحتسب ٢/٥٢. وانظر التبيان ٢/٨٩٤. وشرح التصريح ٢/٢٢٤.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) انظر المختصر (٨٨)، والبحر المحيط ٦/٢٥٣.

(٩) أي أنه أجرى الوصل مجرى الوقف. وانظر البحر المحيط ٦/٢٥٣.

(١٠) تفسير ابن عطية ١٠/٤٣، البحر المحيط ٦/٢٥٣.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) في ب: مقصوراً إن ضممت سينه أو كسرت وممدوداً إن فتحتها وفيها ثلاث لغات ويكون فيها بمعنى عن. وهو تحريف.

(١٣) في ب: وإن كان أبانا.

(١٤) البيت من بحر الطويل قاله موسى بن جابر الحنفي أحد شعراء بني حنيفة الكثرين ويقال: كان نصرانياً. الخزانة ١/٣٠٢، وهو في مجاز القرآن ٢/٢٠، الطبري ١٦/١٣٤، الجمهرة ٢/٣٢٣ تفسير ابن عطية ١٠/٤٣، القرطبي ١١/٢١٢، ٢١٣، اللسان (سوا) البحر المحيط ٦/٢٥٣.

قال: وتقول: مررتُ برجل سِواك وسُواك وسَوائِك[١] أي غيرك، ويكون للجميع وأعلى هذه اللغات الكسر. قاله النحاس[٢].

وزعم بعض أهل اللغة والتفسير أنَّ معنى: «مَكاناً سوًى» مستوٍ من الأرض لا وعر فيه ولا جبل[٣].

فصل

قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك[٤]. وعن ابن عباس نصفاً[٥] أي: يستوي مسافة الفريقين إليه. وقال مجاهد: منصفاً بيننا. قال الكلبي: مكاناً سوى هذا المكان الذي نحن فيه.

وقال[٦] ابن زيد: مستوٍ لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض حتى يشاهد كل الحاضرين كل[٧] ما يجري[٨].

وقيل: «سِوًى» أي يستوي حالنا في الرضا به.

قوله: «مَوْعِدُكُمْ يَوْم الزِّينَةِ» العامة على رفع «يَوْمُ الزِّينَةِ» خبراً لـ «مَوْعِدكُمْ»، فإن جعلت «مَوْعِدُكُم» زماناً لم يحتج إلى حذف مضاف، إذ التقدير: زمانُ الوعدِ[٩] يَوْمُ الزينة. (وإنْ جعلتَه مصدراً احتجت إلى حذف مضاف تقديره: وَعْدُكُمْ وَعْدُ يومِ الزينة[١٠])[١١].

وقرأ الحسن والأعمش وعيسى وعاصم[١٢] في بعض طرقه[١٣] وأبو[١٤] حيوة وابن أبي عبلة وقتادة والجحدري (وهبيرة[١٥])[١٦] «يَوْمَ» بالنصب[١٧]، وفيه أوجه:

أحدها: أن[١٨] يكون خبراً لمَوْعِدُكم على أن المراد بالموعد[١٩] المصدر، أي

---

(١) وسوائك: سقط من ب.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢ حيث قال (والكسر أشهر وأعرف) واللسان (سوا)، البحر المحيط ٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٥٤.

(٤) انظر البغوي ٥/ ٤٣٨.

(٥) في ب: سوى. وهو تحريف.

(٦) في ب: فقال.

(٧) في ب: من كل. وهو تحريف.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٧٢.

(٩) في ب: فإن الموعد. وهو تحريف.

(١٠) التبيان ٢/ ٨٩٤.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) في الأصل: أبو عاصم. وهو تحريف.

(١٣) في ب: طرق. وهو تحريف.

(١٤) في ب: وأبوا. وهو تحريف.

(١٥) هو هبيرة بن محمد التمار، أبو عمر الأبرش البغدادي، أخذ القراءة عرضاً عن حفص بن سليمان عن عاصم، قرأ عليه ممنون بن الهيثم، وأحمد بن علي بن الفضل الجزار، والخضر بن الهيثم الطوسي عرضاً وسماعاً. طبقات القراء ٢/ ٣٥٣.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) انظر المحتسب ٢/ ٥٣، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٤.

(١٨) في ب: على أن. وهو تحريف.

(١٩) الموعد: سقط من ب.

وَعْدُكُم[١] كائنٌ في يوم الزِّينَة كقولك: القتال يوم كذا والسفر غداً[٢].

الثاني: أن يكون[٣] «مَوْعِدُكم» مبتدأ، والمراد به الزمان، و «ضُحى» خبره على نية التعريف فيه، لأنه ضحى ذلك اليوم[٤] بعينه. قاله الزمخشري[٥] ولم يبين ما الناصب لـ «يومَ الزِّينَةِ» ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ «مَوْعِدُكم» على هذا التقدير، لأن مَفْعِلاً مراداً به الزمان أو المكان لا يعمل وإن كان مشتقاً، فيكون الناصب له فعلاً مقدراً.

وواخذه أبو حيان في قوله: على نية التعريف. قال: لأنه وإن كان[٦] ضُحَى ذلك اليوم بعينه فليس على نية التعريف بل هو نكرة، وإن كان من يوم بعينه، لأنه ليس معدولاً[٧] عن الألف واللام كسَحَر، ولا هو معرف[٨] بالإضافة، ولو قلت: جئت يوم الجمعة بَكراً[٩]، لم ندع أن بكراً[١٠] معرفة وإن كنت تعلم أنه من يوم بعينه[١١].

الثالث: أن يكون «مَوْعِدُكُم» مبتدأ، والمراد به المصدر، و «يَوْمَ الزِّينَةِ» (ظرف له، و «ضُحَى» منصوب على الظرف خبراً للموعد كما أخبر عنه في الوجه الأول بـ «يَوْمَ الزِّينَةِ»)[١٢] نحو: القتال يوم كذا[١٣].

قوله: «وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ» في محله وجهان:

أحدهما: الجر نسقاً (على الزينة أي: مَوْعِدُكُم يومَ الزِّينةِ ويوم أن يُحْشَرَ أي ويوم حَشْر النَّاس)[١٤].

والثاني: الرفع نسقاً[١٥] على «يوم». التقدير: موعدكم يوم كذا وموعدكم أن يُحشَرَ الناس أي حشرهم[١٦].

وقرأ ابن مسعود والجحدري وأبو نهيك وعمرو بن فائد «وَأَنْ تَحْشر الناسَ» بتاء

---

(١) في ب: موعدكم. وهو تحريف.

(٢) وذلك لأنه لا يخبر بالزمان إلا عن أسماء المعاني إذا كان الحدث غير مستمر نحو الصوم اليوم والسفر غداً. التبيان ٢/ ٨٩٤، المحتسب ٢/ ٥٤.

(٣) في ب: أن يكون المراد.

(٤) في الأصل: لليوم. وهو تحريف.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٨.

(٦) وإن كان: سقط من ب.

(٧) في ب: فعلا ولا. وهو تحريف.

(٨) في ب: معرفه. وهو تحريف.

(٩) بكراً: سقط من ب، وفي الأصل: بكر.

(١٠) في ب: وإن بكر، وفي الأصل: بكر.

(١١) البحر المحيط ٦/ ٢٥٣.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) قال مكي: (وقد قرأ الحسن بنصب «يوم الزينة» على أنه ظرف، مفعول فيه) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧.

(١٤) انظر المحتسب ٢/ ٥٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨، البيان ٢/ ١٤٤، التبيان ٢/ ٨٩٤ والبحر المحيط ٦/ ٢٥٤.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨، التبيان ٢/ ٨٩٤ البحر المحيط ٦/ ٢٥٤، على قراءة نصب (يوم) يجوز أن يكون «وأن يحشر» في موضع نصب عطفاً على «يوم». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨.

الخطاب في «تَحْشرَ» وروي عنهم «يَحشر» بياء الغيبة، و «الناسَ» نصب في كلتا القراءتين (على المفعولية[١])[٢] والضمير في القراءتين[٣] لفرعون أي وأن[٤] تَحْشرَ أنتَ يا فرعونُ (أوْ وأنْ يَحْشُرَ فرعون[٥])[٦].

وجوز بعضهم أن يكون الفاعل ضمير اليوم في قراءة الغيبة[٧]، وذلك مجاز لما كان الحشر واقعاً فيه نشب[٨] إليه نحو: نهاره صائم، وليله قائم.

و «ضُحًى» نصب[٩] على الظرف العامل فيه «يُحْشَر» ويذكر ويؤنث «والضَّحاء» بالمد وفتح الضاد فوق الضحى، لأن الضُّحى ارتفاع النهار والضَّحاءُ بعد ذلك، وهو مذكر لا غير[١٠].

فصل

قال مجاهد وقتادة والسدي: «يَوْمُ الزِّينَةِ» كان يوم عيد لهم[١١] يتزيَّنُون فيه، ويجتمعون في كل سنة[١٢]. وقيل: هو يوم النيروز، قاله مقاتل[١٢].

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء[١٢].

واختلفوا في القائل[١٣] «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ» فقيل: هو فرعون بيَّن الوقت. قال القاضي: لأن المطالب بالاجتماع هو فرعون.

والظاهر أنه من كلام موسى[١٤] لأنه جواب لقول فرعون «فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوعِداً» وأيضاً: إن تعيين يوم الزينة يقتضي[١٥] اطلاع الكل على ما سيقع فيه، فتعيينه إنما يليق بالمحق الذي يعرف[١٦] أن اليد له لا بالمبطل الذي يعرف أنه[١٧] لس معه إلا التلبيس.

وأيضاً: فقوله: «مَوْعِدُكُمْ» خطاب للجميع، فلو جعلناه من فرعون لموسى وهارون لزم إما حمله على التعظيم وذلك لا يليق بحال فرعون[١٨] معهما، أو على أن أقل الجمع

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٥٤.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: في أنت. وهو تحريف.
(٤) في ب: أو أن.
(٥) البحر المحيط ٦/ ٢٥٤.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) منهم الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٣٨، والفخر الرازي في تفسيره ٢٢/ ٧٣.
(٨) في ب: انتسب.
(٩) في ب: ينتصب.
(١٠) البحر المحيط ٦/ ٢٥٤.
(١١) لهم: سقط من ب.
(١٢) انظر: البغوي ٥/ ٤٣٨.
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٢.
(١٤) وقد استظهره أيضاً أبو حيان ٦/ ٢٥٤.
(١٥) في ب: اقتضى.
(١٦) في ب: إنما يليق بالذي يعرف.
(١٧) في الأصل: الذي. وهو تحريف.
(١٨) في ب: وذلك لا يليق به لا يليق بحال فرعون. وهو تحريف.

اثنان وهو غير جائز، أما لو جعلناه من موسى إلى فرعون وقومه استقام الكلام[١].

وإنما أوعدهم[٢] ذلك اليوم، ليكون علو كلمة الله، وظهور[٣] دينه وكبت الكافرين، وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع العام[٤] ليكثر المحدث بذلك الأمر العجيب في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر. قال القاضي: إنه[٥] عين[٦] اليوم بقوله «يَوْمِ الزِّينَةِ»، ثم عين من اليوم وقتاً معيناً بقوله: «وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى»[٧] أي: وقت الضحوة نهاراً جهاراً.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾.

قوله: «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى» التَّوَلِّي[٨]: قد يكون إعراضاً وقد يكون انصرافاً، والظاهر أنه هنا بمعنى الانصراف، وهو مفارقة موسى عن الحق «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» مكره، وقومه، وحيله، وسحرته، وآلاته «ثُمَّ أَتَى» الموضع بما جمعه.

قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين[٩] ساحراً مع كل واحد منهم حبل وعصا[١٠].

وقيل: كانوا أربعمائة[١٠]. وقال كعب: اثني عشر ألفاً[١١]. وقيل: أكثر من ذلك[١٠]. ثم ضربت[١٢] لفرعون قبة فجلس فيها ينظر إليها، وكان طول القبة[١٣] سبعون ذراعاً. فقال لهم موسى عند ذلك يعني للسحرة[١٤] الذين[١٥] جمعهم فرعون «وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ» أي لا تزعموا أن الذي جئت به ليس بحق، وأنه سحر، وأنكم متمكنون من معارضتي، فيُسْحِتَكم الله بعذاب أي: فيهلككم، قاله مقاتل والكلبي[١٦].

وقال قتادة: فيستأصلكم[١٦] «وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى».

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٢.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣.
(٣) في الأصل: وإظهار.
(٤) في الأصل: الغاص. وفي ب: الخاص. والصواب ما أثبته.
(٥) أنه: مكرر في ب.
(٦) في ب: غير. وهو تحريف.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣.
(٩) في ب: اثنين وعشرين. وهو تحريف.
(١٠) البغوي ٥/ ٤٣٩.
(١١) ألفاً: سقط من ب.
(١٢) في ب: ضرب.
(١٣) في ب: البقعة. وهو تحريف.
(١٤) في ب: السحرة. وهو تحريف.
(١٥) في ب: التي. وهو تحريف.
(١٦) انظر البغوي ٥/ ٤٣٩.

الخيبة: الحرمان والخسران[(١)(٢)].

قوله: «وَيْلَكُمْ» قال الزجاج: يجوز في انتصاب «وَيْلَكُمْ» أن يكون المعنى ألزمهم الله وَيْلاً إن افتروا على الله، ويجوز على[(٣)] النداء كقوله: «يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ»[(٤)] و «يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنَا»[(٥)(٦)].

قوله: «فَيُسْحِتَكُمْ» قرأ الأخوان[(٧)] وحفص عن (عاصم «فَيُسْحِتَكُم» بضم الياء وكسر الحاء. والباقون بفتحهما[(٨)].

فقراءة الأخوين من أَسْحَتَ رباعياً وهي لغة نجد وتميم[(٩)].

قال[(١٠)] الفرزدق التميمي[(١١)]:

٣٦٦٤ ـ وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[(١٢)]

وقراءة الباقين من سحته ثلاثياً وهي لغة الحجاز[(١٣)]، وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد، ومنه سحت الحالق الشعر أي استقصاه، فلم يترك منه شيئاً، ويستعمل في الإهلاك والإذهاب، ونصبه بإضمار أنْ في جواب النهي[(١٤)].

ولمَّا أنشد الزمخشري قول الفرزدق:

.... (إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ)[(١٥)]

قال بعد ذلك[(١٦)]: في بيت لم تزل الرُّكَبُ تصطك[(١٧)] في تسوية إعرابه[(١٨)].

---

(١) في ب: الخسران والحرمان.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣.
(٣) على: سقط من ب.
(٤) [هود: ٧٢].
(٥) [يس: ٥٢].
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٠.
(٧) حمزة والكسائي.
(٨) السبعة (٤١٩) الحجة لابن خالويه (٢٤٢)، الكشف ٢/ ٩٨، النشر ٢/ ٣٢٠ الاتحاف (٣٠٤).
(٩) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٨، القرطبي ١١/ ٢١٥. البحر المحيط ٦/ ٢٤٤.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) تقدم.
(١٢) البيت من الطويل قاله الفرزدق، اللسان (جلف، سحت).
(١٣) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٨، القرطبي ١١/ ٢١٥. والبحر المحيط ٦/ ٢٤٤.
(١٤) وذلك أن الفعل المضارع ينصب بـ (أن) مضمرة وجوباً بعد فاء جواب نفي أو جواب طلب، وهو إما أمر أو نهيٌ أو دعاء أو استفهام، أو عرض أو تحضيض، أو تمن، وفي ذلك يقول ابن مالك:

وبعدها جواب نفيٍ أو طلب محضين أن وسترها حتمٌ نصب

انظر شرح الأشموني ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.
(١٥) ما بني القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: قال بعده.
(١٧) في ب: لم تزل العرب تصطك في الركب.
(١٨) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٨.

قال شهاب الدين: يعني[(١)]: أن هذا البيتَ صعبُ الإعراب، وإذ[(٢)] قد ذكر ذلك فلنذكر ما ورد في هذا البيت من الروايات، وما قاله[(٣)] الناس في ذلك على حسب ما يليق بهذا الموضوع[(٤)]، فأقول وبالله الحول[(٥)]: روي هذا البيت بثلاث روايات كل واحدة لا تخلو[(٦)] من ضرورة. الأولى: (لَمْ يَدَع)[(٧)] بفتح الياء والدال، ونصب مُسْحَت وفي هذه خمسة أوجه:

الأول:[(٨)] أن معنى (لَمْ يَدَع مِنَ المَال إلاَّ مُسْحَتاً) لم يبق إلا مُسْحَتٌ، فلما كان هذا في قوة الفاعل عطف عليه قوله: (أو مُجَلَّفُ)[(٩)] (بالرفع[(١٠)])[(١١)]، وبهذا البيت استشهد الزمخشري على قراءة أُبَيّ والأعمش «فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلٌ»[(١٢)] (برفع قليل[(١٣)])[(١٤)] وقد تقدم.

الثاني: أنه مرفوع بفعل مقدر دل عليه (لَمْ يَدَع) والتقدير: أو بقي مُجَلَّف[(١٥)].

الثالث: أن (مُجَلَّف)[(١٦)] مبتدأ وخبره مضمر، تقديره: أو مُجَلَّفٌ كذلك وهو تخريج الفراء.

---

(١) يعني: سقط من ب.
(٢) في ب: وإن.
(٣) في ب: وما قال.
(٤) في ب: الموضع.
(٥) في ب: الحول والقوة.
(٦) في ب: لا تخلوا.
(٧) في ب: الأول: يدع. وهو تحريف.
(٨) في ب: الأولى. وهو تحريف.
(٩) في ب: أو مختلف. وهو تحريف.
(١٠) هذا الوجه ذكره أبو علي في (إيضاح الشعر) قال: (فمن نصبه كان (يدع) من التَّرك. و (مسحت) مفعول، وحمل (مجلَّف) بعده على المعنى، لأن معنى (لم يدع من المال إلا مسحتاً) تقديره: لم يبق من المال إلا مسحت، فحمل (مجلف) على ذلك) إيضاح الشعر (٥٧٧) ونسبه إلى الخليل حيث قال بعد ذلك: (فكذلك قوله: (لم يدع من المال إلا مسحتاً) معناه بقي مسحت، قال أبو عمر: وهذا قول الخليل) إيضاح الشعر (٥٧٨ ـ ٥٧٩).
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) [البقرة: ٢٤٩].
(١٣) قال الزمخشري: (وقرأ أبيٌّ والأعمش «إلاَّ قليل» بالرفع، وهذا من ميلهم من المعنى وإعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى «فشربوا منه» في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل: فلم يطيعوه إلاَّ قليلٌ منهم، ونحوه قول الفرزدق:

.... لم يدع   من المال إلاَّ مسحت أو مجلف

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف) الكشاف ١/ ١٥٠. انظر اللباب ٢/ ٨٤ ـ ٨٥.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) وإليه ذهب ابن جني في المحتسب في سورة والضحى ٢/ ٣٦٥.
وقد ذكر ابن عصفور في شرح جمل الزجاجي هذا الوجه، والوجه الذي بعده، ثم قال بعدهما: (وكلاهما حسنٌ) ٢/ ١٨٤.
(١٦) في ب: مخلف. وهو تصحيف.

الرابع: أنه معطوف على الضمير المستتر في (مُسْحَتاً)، وكان من حق هذا أن يفصل بينهما بتأكيد ما إلا أنَّ القائل[١] بذلك وهو الكسائي لا يشترط[٢]، وأيضاً: فهو جائز (في الضرورة)[٣] عند الكل[٤].

الخامس: أن يكون (مُجَلَّفُ)[٥] مصدراً بزنة اسم المفعول، كقوله تعالى: «كُلَّ مُمَزَّقٍ»[٦] أي تجليف وتمزيق، وعلى هذا فهو نسق على[٧] (عَضُّ زَمَانٍ) إذ التقدير: رَمَتْ بِنَا هُمُومُ المُنَى[٨] وَعَضُّ زَمَانٍ أو تجليفٌ فهو فاعل لعطفه على الفاعل، وهو قول الفارسي، وهو أحسنها[٩].

الرواية الثانية: فتح الياء وكسر الدال ورفع مُسْحَت، وتخريجها واضح، وهو أن يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق، فيرتفع «مُسْحَتٌ» بالفاعلية، ويرفع (مُجَلَّفٌ) بالعطف عليه[١٠] ولا بد حينئذ من ضمير محذوف[١١] تقديره: من أجله أو بسببه ليرتبط الكلام.

---

(١) في ب: أن يفصل بينهما تأكيداً أو فاصلاً إما لأن القائل.

(٢) وذلك لأن الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المرفوع المتصل بدون فاصل، حكي: مررت برجل سواءٍ والعدم برفع العدم عطفاً على الضمير المستتر في سواء، لأنه مؤول بمشتق أي مستو هو والعدم، وليس بينهما فاصل، انظر الهمع ٢/ ١٣٨، وشرح الأشموني وحاشية الصبان ٣/ ١١٤.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) وذلك أن العطف على الضمير المرفوع المتصل بلا فصل كثير في الشعر عند البصريين والكوفيين من ذلك قول جرير:

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... ما لم يكن وأبٌ له لينالا

وقول الآخر:

قلت إذ أقبلت وزهرٌ تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا

وفي ذلك يقول ابن مالك:

وبلا فصل يرد ... في النظم فاشياً وضعفه اعتقد

انظر شرح التصريح ٢/ ١٥١، وشرح الأشموني ٣/ ١١٤.

(٥) في ب: مختلفاً. وهو تحريف.

(٦) من قوله: ﴿وقال الذين كفروا هل ندلُّكم على رجلٍ ينبِّئكم إذا مزقتم كل ممزَّقٍ إنَّكم لفي خلقٍ جديد﴾ [سبأ: ٧].

(٧) في ب: كل.

(٨) في البيت الذي قبله:

إليك أمير المؤمنين رمت بنا ... هموم المنى والهوجل المتعسف

الخزانة ٥/ ١٥٢.

(٩) انظر الخزانة ٥/ ١٤٧.

(١٠) في ب: بالفتح والعطف عليه. وهو تحريف.

(١١) في ب: من ضمير مرفوع محذوف. وهو تحريف.

الرواية الثالثة: (يُدَع) بضم الياء وفتح الدال[١] على ما لم يسمَّ فاعله و (مُسْحَتٌ) بالرفع لقيامه مقام الفاعل و (مُجَلَّف)[٢] عطف عليه، وكان من حق الواو أن لا تحذف بل تثبت، لأنها لم تقع بين ياء وكسرة، وإنما حذفت حملاً للمبني للمفعول على المبني للفاعل.

وفي البيت كلام أطول من هذا تركته اختصاراً، وهذا لبُّه، وقد ذكرته في البقرة، وفسرت معناه ولغته، وصلته[٣] بما قبله فعليك بالالتفات إليه[٤].

قوله: «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُم»[٥] أي[٦]: تفاوَضُوا وتشاوَرُوا واستقروا على شيء واحد.

وقال مقاتل: اختلفوا فيما بينهم.

قال محمد[٧] بن إسحاق ووهب[٨]: لما قال لهم موسى «لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً» قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

قال بعض المفسرين إن فرعون وقومه دخلوا مع السحرة[٩] في التنازع.

وقال آخرون: إنما تنازع السحرة وحدهم، أي تناظروا[١٠] وتشاوروا في أمر موسى سرًّا من فرعون.

قال الكلبي: قالوا سرًّا إن غَلَبَنَا موسى اتبعناه. وهو قول ابن عباس.

قوله: «وَأَسَرُّوا النَّجْوَى» أي المناجاة يكون مصدراً واسماً، أي: أسروا النجوى من فرعون.

قال ابن عباس: إنَّ نجواهُم[١١] إن غلبنا موسى اتبعناه.

وقال قتادة: إنْ كانَ ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر.

وقال السدي: نجواهم هو قولهم: «إنْ هَذَانِ[١٢] لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ»[١٣][١٤].

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾.

قوله: «إنْ هَذَانِ» اختلف القراء في هذه الآية الكريمة فقرأ ابن كثير وحده: «إنْ

---

(١) في ب: الرواية الثالثة فتح الياء وكسر الدال. وهو تحريف.
(٢) في ب: مختلف وهو تحريف.
(٣) في ب: ووصلته ولغته.
(٤) الدر المصون: ٥/ ٣٠.
(٥) في الأصل: فتنازعوا بينهم أمرهم.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣ ـ ٧٤ بتصرف.
(٧) ابن سقط من الأصل.
(٨) وهب سقط من ب.
(٩) في ب: أن بعض السحرة تعلق مع فرعون وقومه. وهو تحريف.
(١٠) في ب: تنازعوا وهو تحريف.
(١١) في ب: أن نجواهم قالوا.
(١٢) في الأصل: هذين. وهو تحريف.
(١٣) [طه: ٦٣].
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٣ ـ ٧٤.

هَذَانِّ» بتخفيف «إنْ» والألف وتشديد النون. وحفص[١] كذلك إلا أنه خفف نون «هذانِ». وقرأ أبو عمرو «إنَّ»[٢] بالتشديد «هَذيْنِ» بالياء وتخفيف النون. والباقون كذلك إلا أنهم قرءوا «هذانِ» بالألف[٣].

فأما القراءة الأولى، وهي قراءة ابن كثير وحفص فأوضح[٤] القراءات معنًى ولفظاً وخطاً، وذلك أنهما جعلا (إن) المخففة من الثقيلة فأهملت، ولما أهملت كما هو الأفصح من وجهها خيف التباسها بالنافية فجيء باللام فارقةً في الخبر[٥]، فـ «هَذَانِ» مبتدأ، و «لَسَاحِرَانِ» خبره، ووافقت خط المصحف، فإن الرسم «هَذَانِ» دون ألف ولا[٦] ياء (وسيأتي بيان ذلك)[٧].

وأما تشديد نون «هَذَانِّ» فعلى ما تقدم في سورة النساء[٨] متقناً، وأما الكوفيون فيزعمون أنَّ «أنْ» نافية (بمعنى (ما))[٩] واللام (بمعنى)[٩] (إلا)[١٠] وهو خلاف مشهور[١١]، وقد وافق تخريجهم هنا قراءة بعضهم «مَا هَذَانِ إلاَّ سَاحِرَانِ»[١٢].

وأما قراءة أبي عمرو فواضحة من حيث الإعراب والمعنى، أما الإعراب فـ «هَذَيْنِ» اسم «إنَّ» وعلامة نصبه[١٣] الياء، و «لَسَاحِرَانِ» خبرها، ودخلت اللام توكيداً، وأما من حيث المعنى فإنهم أثبتوا لهما السحر بطريق تأكيدي من طرفيه[١٤]، ولكنهم استشكلوها

---

(١) في روايته عن عاصم. (٢) إن: سقط من ب.

(٣) السبعة (٤١٩)، الحجة لابن خالويه (٢٤٢)، الكشف ٢/ ٩٩، النشر ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ الإتحاف (٣٠٤).

(٤) في ب: فهي أوضح.

(٥) وذلك لأن (إن) المكسورة إذا خففت جاز إهمالها نحو إنْ زيدٌ لقائمٌ وإعمالها نحو أنْ زيداً قائم. والإهمال أكثر من الإعمال لزوال اختصاصها بالأسماء، وجاز إعمالها استصحاباً بالأصل، وإذا أهملت لزمها اللام لتفرق بينها وبين (إنْ) النافية، وإذا أعملت لم تلزمها اللام، لأن الغرض من اللام الفصل بين (إنْ) النافية وبين التي للإيجاب، وبالإعمال يحصل الفرق وإن شئت أدخلت اللام مع الإعمال فقلت: إن زيداً لقائم. انظر شرح المفصل ٨/ ٧١، ٧٢ ـ شرح الأشموني ١/ ٢٨٨.

(٦) لا: سقط من ب. (٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) عند قوله تعالى: ﴿**واللذانِّ يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إنَّ اللَّه كان تواباً رحيماً**﴾ [النساء: ١٦] انظر اللباب ٣/ ٣٧.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر مشكل إعراب القرآن ١٧١، البيان ٢/ ١٤٦، شرح المفصل ٨/ ٧٢.

(١١) والصواب مذهب البصريين، لأنه وإن ساعدهم المعنى في أنَّ «إن» نافية واللام بمعنى (إلا) فإنه لا عهد لنا باللام تكون بمعنى إلا، ولو ساغ ذلك لجاز أن يقال: نام القوم لزيداً على معنى إلا زيداً وذلك غير صحيح، فاللام هنا المؤكدة دخلت لمعنى التأكيد ولزمت للفصل بين «إن» المخففة وبين النافية، والذي يدل على ذلك أنها تدخل مع الإعمال في نحو إن زيداً لقائم. انظر شرح المفصل ٨/ ٧٢.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٥٥. (١٣) في ب: وعلامتها نصب. وهو تحريف.

(١٤) في ب: ظرفية. وهو تحريف.

من حيث[١] خط المصحف، وذلك أنه رسم «هَذَانِ» بدون ألف ولا ياء، فَإِتيانه بالياء زيادة على خط المصحف.

قال أبو إسحاق[٢]: لا أجيز قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف[٣].

وقال أبو عبيد: رأيتها في الإمام مصحف عثمان[٤] «هَذَانِ» ليس فيها ألف وهكذا رأيت رفع الاثنين في ذلك المصحف بإسقاط الألف، وإذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها[٥].

قال[٦] شهاب الدين: وهذا لا ينبغي أن يرد به على أبي عمرو، وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس، وقد نَصُّوا على أنه لا يجوز القراءة بها، فليكن هذا منها[٧] أعني: مما خرج عن القياس، فإن قلت[٨] ما نقلته عن أبي عبيد مشترك الإلزام بين أبي عمرو وغيره، فإنهم كما اعترضوا عليه بزيادة الياء يعترض عليهم بزيادة الألف، فإن الألف ثابتة في قراءتهم ساقطة[٩] من خط المصحف.

فالجواب ما تقدم من قول أبي عبيد إنه رآهم يسقطون الألف من رفع الاثنين فإذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء، وذهب جماعة منهم عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأبو عمرو إلى أن هذا مما لَحَن فيه الكاتب وأفهم بالصواب[١٠] يعنون أنه كان من حقه أن يكتبه بالياء فلم[١١] يفعل، فلم يقرأه الناس إلا بالياء على الصواب[١٢]. وأما قراءة الباقين ففيها أوجه:

أحدها[١٣]: أنَّ «إنَّ» بمعنى نَعَمْ، و «هَذَانِ»[١٤] مبتدأ، و «لَسَاحِرَانِ» خبره، ومن ورود «إنَّ» بمعنى نَعَم قوله:

٣٦٦٥ ـ بَكَرَ العَوَاذِلُ في المَشِيـ ـبِ يَلُمْنَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاَ كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّهْ[١٥]

---

(١) في ب: ولكنهم ظنوا ذلك واستشكلوه على. وهو تحريف.
(٢) في ب: قال أبو زيد. وهو تحريف.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٤.
(٤) في ب: في مصحف الإمام عثمان.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.
(٦) في ب: فصل قال.
(٧) في ب: فنذكر منها. وهو تحريف.
(٨) في ب: فإن قيل.
(٩) ساقطة: سقط من ب.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.
(١١) في ب: على. وهو تحريف.
(١٢) الدر المصون: ٥/ ٣٠ ـ ٣١.
(١٣) في ب: الأول.
(١٤) في ب: وهذا. وهو تحريف.
(١٥) البيتان من مجزوء الكامل قالهما عبيد الله بن قيس الرقيات وهما في اللسان (أنس). بكر: أصل معناه جاء بكرةً، ثم استعمل في كل وقت. العواذل: جمع عاذلة. والشاهد فيهما ورود (إنَّ) بمعنى نعم، أي فقلت: نعم، والهاء للسكت وقد تقدم.

أي فقلت: نعم، والهاء للسكت، وقال رجل لابن الزبير: لعن الله ناقةً حَمَلَتْنِي[١] إليك. فقال: إنَّ صاحِبَها. أي نَعَم ولعَنَ صاحبَها[٢].

وهذا رأي المبرد[٣] وعلي بن سليمان.

وهو مردود من وجهين:

أحدهما[٤]: عدم ثبوت «إنَّ» بمعنى «نَعَمْ»[٥] وما أوردوه[٦] يؤول، أما البيت فإن الهاء اسمها، والخبر محذوف لفهم المعنى تقديره: إنَّه[٧] كذلك، وأما قول ابن الزبير فذاك[٨] من حذف المعطوف عليه وإبقاء المعطوف، وحذف خبر «إنَّ» للدلالة عليه تقديره: إنها وصاحبها ملعونان وفيه تكلف لا يخفى.

والثاني: دخول اللام على خبر المبتدأ دون المؤكد بإنَّ المكسورة، لأن مثله لا يقع إلا ضرورة، كقوله:

٣٦٦٦ ـ أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ[٩]

وقد يجاب عنه بأنَّ «لَسَاحِرَانِ» يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف دخلت عليه هذه اللام تقديره لَهُمَا ساحران، وقد فعل ذلك الزجاج كما[١٠] سيأتي حكايته عنه[١١].

الثاني: أنَّ اسمها ضمير القصة وهو «ها» التي قبل «ذَانِ»، وليست بـ «ها» التي[١٢] للتنبيه الداخلة على أسماء الإشارة، والتقدير: إنها[١٣] القصة ذَانِ لسَاحِرَانِ[١٤].

---

(١) في ب: ناقتي. وهو تحريف.

(٢) انظر كشف المشكل ١/ ٢٢٠، البيان ٢/ ١٤٥، المغني ١/ ٣٨، شذور الذهب ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) لم أعثر على هذا الرأي للمبرد في المقتضب أو الكامل. ووجد هذا منسوباً إليه في المغني ١/ ٣٨، البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.

(٤) في ب: الأول.

(٥) انظر المغني ١/ ٣٨.

(٦) في ب: وإنما أورده. وهو تحريف.

(٧) في ب: إن. وهو تحريف.

(٨) في ب: فذلك.

(٩) من الرجز نسب إلى عنترة بن عروس مولى ثقيف، وقيل لرؤبة وهما في ملحقات ديوانه (١٧٠)، مجاز القرآن ٢/ ٢٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٣، سر صناعة الإعراب ١/ ٣٧٨، ٣٨١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠ البيان ٢/ ١٤٥، ابن يعيش ٣/ ١٣٠، ٧/ ٥٧، ٨/ ٢٣، المغني ١/ ٢٣٠، ٢٣٣ اللسان (شهرب)، القرطبي ١١/ ٢١٩، شرح التصريح ١/ ١٧٤، الهمع ١/ ١٤٠، الخزانة ١٠/ ٣٢٢، ٣٦٣، الدرر ١/ ١١٧.

أم الحليس: كنية امرأة، الشهربة: العجوز الكبيرة. والشاهد دخول اللام على خبر المبتدأ، وهو ضرورة، لأن لام الابتداء لها الصدارة.

وقيل: اللام زائدة، أو داخلة على مبتدأ محذوف والتقدير: لهي عجوز.

(١٠) في ب: مما. وهو تحريف.

(١١) بعد قليل.

(١٢) التي: سقط من ب.

(١٣) في ب: إن.

(١٤) في ب: الساحران. وهو تحريف.

وقد ردوا[١] هذا من وجهين:

أحدهما: من جهة الخط (وهو أنه)[٢] لو[٣] كان كذلك لكان ينبغي أن يكتب إنها، فيصلوا الضمير بالحرف قبله كقوله تعالى: «فإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ»[٤] فكتبهم إياها مفصولة من «إنَّ»[٥] متصلة باسم الإشارة يمنع كونها ضميراً وهو أوضح.

الثاني: أنه يؤدي[٦] إلى دخول لام الابتداء في الخبر غير[٧] المنسوخ وقد يجاب عنه بما تقدم[٨].

الثالث: أن اسمها[٩] ضمير الشأن محذوف والجملة من المبتدأ والخبر بعده في محل رفع[١٠] خبر[١١] لأن التقدير: إنه أي: الأمر والشأن. وقد ضعف هذا بوجهين:

أحدهما: حذف اسم «إنَّ» وهو غير جائز إلا في شعرٍ بشرط أن لا تباشر «إنَّ» فعلاً، كقوله:

٣٦٦٧ - إنَّ[١٢] مَنْ يَدْخُلِ الكَنِيسَةَ يَوْماً يَلْقَ فِيهَا جَآذِراً وَظِبَاءا[١٣]

والثاني: دخول اللام في الخبر، وقد أجاب الزجاج بأنها داخلة على مبتدأ محذوف تقديره: لَهُمَا سَاحِرَانِ، وهذا قد استحسنه شيخه المبرد أعني جوابه بذلك[١٤].

---

(١) في ب: وردوا.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: فلو. وهو تحريف.
(٤) [الحج: ٤٦]. والاستشهاد بها على أن (ها) في «أنّها» ضمير القصة. انظر التبيان ٢/ ٩٤٥.
(٥) في ب: وكتبها إياها متصلة من أنها. وهو تحريف.
(٦) في ب: إنها تودي. وهو تحريف.
(٧) في: عن وهو تحريف.
(٨) وذلك لأن اللام لا تدخل على خبر المبتدأ غير المنسوخ إلا ضرورة وقيل: إن اللام داخلة على مبتدأ محذوف التقدير لهما ساحران.
(٩) في ب: إنها. وهو تحريف.
(١٠)رفع: على هامش الأصل.
(١١) في الأصل: خبراً.
(١٢) في ب: بإن. وهو تحريف.
(١٣) البيت من بحر الخفيف قاله الأخطل التغلبي النصراني وقد تقدم.
(١٤) حيث قال الزجاج: (والذي عندي - والله أعلم - وكنت عرضته على عالمينا محمد بن يزيد، وعليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا، وهو «إنَّ» قد وقعت موقع «نعم» وأنَّ اللام وقعت موقعها، وأن المعنى هذان لهما ساحران) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٣. والذي ذهب إليه الزجاج لم يرتضه ابن جني ففي كتابه: سر صناعة الإعراب (١/ ٣٨٠ - ٣٨١) أخذ يرد كلامه بأنَّ حذف المبتدأ وهو (هما) لا يحذف إلا بعد العلم به والمعرفة بموضعه، وإذا كان كذلك استغني بمعرفته عن تأكيده باللام. وبأنَّ أصحابنا يمنعون تأكيد المضمر المحذوف العائد على المبتدأ، فلا يجيزون زيدٌ ضربت نفسه، على أن تجعل النفس توكيداً للهاء المرادة في ضربته وإذا كان كذلك استغني عن تأكيده.
وأنَّ أبا عثمان وغيره من النحويين حملوا قول الشاعر: أمُّ الحليس لعجوزٌ شهربة على أن الشاعر أدخل اللام على الخبر ضرورة، فلو كان ما ذهب إليه أبو إسحاق وجهاً جائزاً لما عدل عنه النحويون، ولا حملوا الكلام على الإضرار إذا وجدوا له وجهاً ظاهراً قوياً.

الرابع: أنَّ «هَذَانِ» اسمها و «لَسَاحِرَانِ» خبرها.

وقد رد هذا بأنه كان ينبغي أن يكون «هَذَيْنِ» بالياء كقراءة أبي عمرو، وقد أجيب عن ذلك بأنه على لغة[1] بني الحرث وبني الصَّخم وبني العنبر وزبيد وعذرة وسراة وخثعم وكِنَانَة[2]، وحكى هذه اللغة[3] الأئمة الكبار كأبي الخطاب[4] وأبي زيد الأنصاري (والكسائي[5])[6].

قال أبو زيد: سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح[7] ما قبلها ألفاً، يجعلون المثنى كالمقصور، فيثبتون ألفاً في جميع أحواله، ويقدرون إعرابه بالحركات[8]، وأنشدوا قوله:

٣٦٦٨ ـ فَأَطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[9]

أي لنابيْه.

وقوله:

٣٦٦٩ ـ إنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايَتَاهَا[10]

أي غايتيها.

---

(١) وهي لزوم المثنى الألف رفعاً ونصباً وجراً. الأشموني ١٠/ ٧٩.

(٢) في ب: بني الحرث وبني العنبر وزبيد وعذرة ومراد وخثعم وكنانة.

(٣) في ب: الرواية. وهو تحريف.

(٤) قال أبو عبيدة: (وزعم أمير الخطاب أنّه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب) مجاز القرآن ٢/ ٢١.

(٥) البحر المحيط: ٦/ ٢٥٥.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: وبفتح. وهو تحريف.

(٨) قال أبو زيد: (ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً، يقولون: أخذت الدرهمان واشتريت الثوبان والسلام علاكم) النوادر (٢٥٩).

(٩) البيت من بحر الطويل قاله المتلمس، وهو في ديوانه (٣٤)، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٦٢، سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤، تفسير ابن عطية ١٠/ ٥٠، ابن يعيش ٣/ ١٢٨، القرطبي ١١/ ٢١٧ اللسان (صمم) الأشموني ١/ ٧٩.

(١٠) بيتان من مشطور الرجز ينسبهما قوم إلى أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي، ونسبهما آخرون إلى رؤبة بن العجاج. وهما في سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٥، الإنصاف ١/ ١٨، ابن يعيش ١/ ٥٣، ٣/ ١٢٩، المغني ١/ ٣٨، ١٢٢، ٢١٦، المقرب ٤٠٠، القرطبي ١١/ ٢١٧، المقاصد النحوية ١/ ١٣٣، ٣٤٦، التصريح ١/ ٦٥، الهمع ١/ ٣٩، شرح شواهد المغني ١/ ١٢٧، ٢/ ٥٨٥، شرح الأشموني ١/ ٧٠، الدرر ١/ ١٢ والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق حيث قال: غايتاها. على لغة بعض العرب، وكان من حق الكلام أن يقول: غايتيها لأنه مفعول به لـ «بلغا» وفيه شاهد آخر وهو إعراب الأسماء الستة إعراب المقصور حيث قال إن أباها وأبا أباها.

قال الفراء[١]: وحكى بعض بني أسد[٢] قال: هذا خطُّ يدَا أخي أعرفه[٣] وقال قطرب: هؤلاء يقولون: رأيتُ رجلاَنِ، واشتريت ثوبَانِ قال: وقال رجل من بني ضبة جاهليّ:

٣٦٧٠ ـ (أعْرِفُ مِنْهَا الأَنْفَ وَالعَيْنَانَا   وَمَنْخِرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا[٤])[٥]

وقال آخر:

٣٦٧١ ـ كَأَنَّ صَرِيفَ نَابَاهُ إذَا مَا   أَمَرَّهُمَا قَدِيمُ الخَطْبَانِ[٦]

(الخطبان: ذكر الصِّرْدَان)[٧].

وروى ابن جني عن قطرب[٨]:

٣٦٧٢ ـ هِيَّاكَ أَنْ تَبْكِي بِشَعْشَعَانِ   خَبِّ الفُؤَادِ[٩] مَائِلِ اليَدَانِ[١٠]

قال الفراء: وذلك ـ وإن كان قليلاً ـ أقيس[١١]. لأن ما قبل حرف التثنية مفتوح فينبغي أن يكون ما بعده ألفاً[١٢] لانفتاح ما قبلها. وذكر[١٣] قطرب أنهم يفعلون ذلك فراراً[١٤] إلى الألف التي هي أخف حروف المد[١٥] ويقولون: كسرتُ يداه، وركبتُ علاه، يعني يديه[١٦] وعليه، وقال شاعرهم[١٧]:

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٥.

(٢) في ب: وحكى الفراء عن بعض بني أسد.

(٣) انظر معاني القرآن ٢/ ١٨٤.

(٤) رجز لرجلٍ من بين ضبة وقيل لرؤبة، وهو في النوادر (١٦٨) سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٨٩، ٧٠٥، ابن يعيش ٣/ ١٢٩، ٤/ ٦٧، ١٤٣، شرح الملوكي ١٧٦، المقرب ٤٠٠، المقاصد النحوية ١/ ١٨٤، شرح التصريح ١/ ٧٨، الهمع ١/ ٤٩، الأشموني ١/ ٩، الخزانة ٧/ ٤٥٢، الدرر ١/ ٢١.

(٥) ما بين القوسين في ب: أعرف منها الجيد والعينان. وقال آخر:

رأيت منها غايتا بناها   ومنخرين أشبها ظبيانا

آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٥.

(٦) البيت من بحر الوافر قاله زهير، وهو في شرح الديوان (٣٥٤)، ومجاز القرآن ٢/ ٢٢ ورواية شرح الديوان:

كأنَّ صريف نابيه إذا ما   أمرهما ترنُّم أخطبان

وعلى هذه الرواية فلا شاهد حيث جر (نابيه) بالياء.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) انظر سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٥٢، ٧٠٥.

(٩) في ب: خب بذي الفؤاد. وهو تحريف.

(١٠) من الرجز لم أهتد إلى قائله، وهو في سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٥٢، ٧٠٥، والإيضاح ٣٧٧ الشعشعان: الطويل الحسن الخفيف اللحم شبه بالخمر المشعشعة لرقتها الخب: الخبيث الماكر. والشاهد فيهما كالشاهد فيما سبق حيث جر (اليدان) بالألف وعلى اللغة الفاشية (مائل اليدين).

(١١) معاني القرآن ٢/ ١٨٤.

(١٢) في ب: أن يكون ما قبله ألفاً أو ما بعده. وهو تحريف.

(١٣) في ب: وذهب. وهو تحريف.

(١٤) في ب: إقراراً. وهو تحريف.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٧٦.

(١٦) يديه: مكرر في ب.

(١٧) انظر القرطبي ١١/ ٢١٧.

٣٦٧٣ ـ تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً دَعَتْهُ إلى هَابِي[١] التُّرَابِ عَقِيمِ[٢]

إلى غير ذلك من الشواهد[٣].

واستدل[٤] لقراءة أبي عمرو بأنها قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير، روى هشام بن عروة[٥] عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سئلت عن قوله تعالى: «إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ» وعن قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِين هَادُوا (والصَّابِئُون والنَّصَارَى»[٦])[٧] (في المائدة)[٨]، وعن[٩] قوله: «لَكِنِ[١٠] الرَّاسِخُونَ في العِلْم مِنْهُم»[١١] إلى قوله: «والمُقِيمينَ الصَّلاَةَ[١٢] والمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»[١٣]، فقالت: يا ابن أخي هذا خطأ من الكاتب[١٤]. وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف، فقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها[١٥].

---

(١) في ب: هان. وهو تحريف.

(٢) البيت من بحر الطويل، لهوبر الحارثي كما في اللسان، ومعجم شواهد العربية، وهو في اللسان برواية: (بين أذنيه) وهذه لا شاهد فيها.
وهو في سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤، الإفصاح ٣٧٧، وشرح المفصل ٣/ ١٢٨، ١٠/ ١٩، القرطبي ١١/ ٢١٧، اللسان (شظى ـ صرع ـ هبا)، شذور الذهب ٤٧، الهمع ١/ ٤٠، الدرر ١/ ١٤.

(٣) وهذا الوجه من أحسن ما حملت عليه هذه الآية، فهذه اللغة معروفة، وقد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانته، منهم أبو زيد الأنصاري، وأبو الخطاب الأخفش، وهو رأس من رؤساء أهل اللغة، روى عنه سيبويه وغيره.

(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٤. بتصرف يسير.

(٥) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر، أحد الأعلام، أخذ عن أبيه، وزوجته فاطمة بنت المنذر، وأبي سلمة، وغيرهم، وأخذ عنه أيوب، وابن جريج، وشعبة، ومعمر، وغيرهم، مات سنة ١٤٥ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ١١٥.

(٦) [المائدة: ٦٩].

(٧) ما بين القوسين في ب: والنصارى والصائبون. وهو تحريف.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) عن: سقط من ب.

(١٠) لكن: سقط من ب.

(١١) منهم: سقط من ب.

(١٢) الصلاة: سقط من الأصل.

(١٣) من قوله تعالى: **﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾** [النساء: ١٦٢]. والسؤال عن الآية في قوله: **﴿والمقيمين﴾** وفي إعرابه وجهان النصب والجر، فالنصب على المدح بتقدير أعني وأمدح. وأما الجر يجوز أن يكون معطوفاً على «ما» أو على الكاف في «قبلك» أو على الكاف في «إليك» أو على «هم» في «منهم».
انظر توضيح هذه التخريجات بإطناب في البيان ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ والتبيان ١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(١٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٣. والقرطبي ١١/ ٢١٦.

(١٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٣. والقرطبي ١١/ ٢١٦.

وعن أبي عمرو أنه قال: إنِّي لأَسْتَحي أن أقرأ «إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ»(١).

وقرأ ابن مسعود: «وَأَسَرُّوا النَّجْوَى أنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ» بفتح «أن» وإسقاط اللام على أنها وما في خبرها بدل من «النَّجْوَى» كذا قاله الزمخشري(٢)، وتبعه أبو حيان ولم ينكره(٣)، وفيه نظر، لأن الاعتراض(٤) بالجملة القولية بين البدل والمبدل منه لا يصح.

وأيضاً: فإن الجملة القولية مفسرة للنجوى في قراءة العامة. وكذا قاله الزمخشري أولاً(٥) فكيف يصح أن يجعل «أنْ هَذَان سَاحِرَانِ» بدلاً من النجوى؟

وقرأ(٦) حفص عن عاصم بتخفيف النونين(٧).

وعن الأخفش: «إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» خفيفة بمعنى ثقيلة(٨) وهي لغة لقوم(٩) يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى (ما)(١٠).

وروي عن(١١) أبي بن كعب «مَا هَذَانِ إلاَّ سَاحِرَانِ»، وروي عنه أيضاً «إنْ هَذَانِ إلاَّ سَاحِرَانِ»، وعن الخليل بمثل(١٢) ذلك(١٣).

وعن أُبَيٍّ أيضاً: «إنْ ذَانِ لَسَاحِرَانِ»(١٤).

فصل(١٥)

قال المحققون: هذه القراءات لا يجوز تصحيحها، لأنها منقولة(١٦) بطريق الآحاد، والقرآن يجب أن يكون منقولاً بالتواتر، ولو جوزنا إثبات زيادة(١٧) في القرآن بطريق

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٤. بتصرف يسير.
وفي الفصل الآتي يذكر ابن عادل موقفه فيمن طعن في القراءة المشهورة ناقلاً ذلك عن ابن الخطيب.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٣٩.

(٣) قال أبو حيان: (وقال ابن مسعود: «أن هذان ساحران» بفتح «أن» وبغير لام بدلٌ من النجوى) البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.

(٤) في ب: الإعراض. وهو تحريف.

(٥) قال الزمخشري: (والظاهر أنّهم تشاوروا في السِّر وتجاذبوا أهداب القول، ثم قالوا إن هذان لساحران) الكشاف ٢/ ٤٣٨.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٤ ـ ٧٥ بتصرف يسير.

(٧) السبعة ٤١٩. الكشف ٢/ ٩٩، النشر ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٨) في ب: خفيفة لثقيلة. وهو تحريف.

(٩) في ب: قوم.

(١٠) معاني القرآن: ٢/ ٢٦٩.

(١١) في ب: روى.

(١٢) في ب: مثل.

(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٦١.

(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٤ ـ ٧٥ بتصرف يسير. وفي الفصل الآتي يذكر ابن عادل ما قاله المحققون في القراءات الشاذة في هذه الآية ناقلاً ذلك عن ابن الخطيب.

(١٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٧٥.

(١٦) منقولة: سقط من ب.

(١٧) في ب: إثبات قراءة زيادة. وهو تحريف.

الآحاد لما أمكننا القطع بأن هذا الذي هو عندنا كل القرآن، لأنه لما جاز في هذه[١] القراءات أنها من القرآن مع كونها ما نقلت بالتواتر جاز في غيرها ذلك. فثبت أن تجويز كون هذه القراءات من القرآن يطرق[٢] جواز الزيادة والنقصان والتغيير في القرآن، وذلك يُخرج القرآن عن كونه حجة، ولما كان ذلك باطلاً فكذلك[٣] ما قرئ[٤].

وأما الطعن في القراءة المشهورة[٥] فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القرآن، وذلك يُفضِي إلى القدح في التواتر، وإلى القدح في كل القرآن، وهو باطل، وإذا ثبت ذلك امتنع صيرورته معارضاً بخبر الواحد المنقول عن بعض الصحابة.

وأيضاً: فإن المسلمين أجمعوا على أنَّ ما بين الدفتين كلامُ الله، وكلام الله لا يجوز أن يكون لحناً وغلطاً[٦] ولذلك ذكر النحويون وجه تصحيح[٧] القراءة المشهورة كما تقدم[٨].

فصل

اعلم أنه تعالى[٩] لما ذكر ما أسروه من النجوى حكى عنهم ما أظهروه بما يدل على التنفير[١٠] عن متابعة موسى، وهو أمور:

أحدها: قولهم «إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ» وهذا طعن منهم في معجزات[١١] موسى ومبالغة في التنفير عنه، لأن كل طبع سليم ينفر عن السحر وعن رؤية الساحر[١٢] لأنَّ الإنسان يعلم أن السِّحْر لا بقاء له، فإذا اعتقدوا فيه السحر قالوا: كيف نتبعه، وهو لا بقاء له ولا لدينه؟

وثانيها[١٣]: قوله: «يُرِيدان أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» وهذا نهاية التنفير، لأن مفارقة الوطن والمنشأ شديدة على القلب. وهذا كقول فرعون: تُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يا مُوسَى، فكأنَّ السحرة تلقفوا[١٤] هذه الشبهة من فرعون ثم أعادوها.

---

(١) هذه: سقط من ب.
(٢) في ب: وبطريق. وهو تحريف.
(٣) في ب: فذلك.
(٤) في الفخر الرازي: ما أدى إليه.
(٥) المشهورة: سقط من ب.
(٦) وذكر ابن الخطيب أيضاً ما قاله ابن الأنباري فإنه قال: (قال ابن الأنباري إن الصحابة هم الأئمة والقدوة فلو وجدوا في المصحف لحناً لما فوَّضوا إصلاحه إلى غيرهم من بعدهم مع تحذيرهم من الابتداع وترغيبهم في الاتباع، حتى قال بعضهم: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) الفخر الرازي ٢٢/ ٧٥.
(٧) تصحيح سقط من ب.
(٨) قبل صفحات.
(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٠.
(١٠) في ب: التغيير. وهو تحريف.
(١١) في ب: معجزة.
(١٢) في ب: وعن متابعة الساحر ورؤيته.
(١٣) في ب: وثالثها. وهو تحريف.
(١٤) في ب: يلقوا. وهو تحريف.

وثالثها: قوله: «وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى»، وهذا أيضاً له تأثير شديد في القلب، فإن العدو إذا استولى على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها فذلك يكون في نهاية[١] المشقة على القلب[٢]. قال[٣] ابن عباس: يَعْني براءة قومِكم وأشْرَافِهم يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي: أَشْرَافُهُمْ[٤].

والمُثْلَى تأنيثُ الأَمْثَلِ (وهو الأفضل[٥]. وسمي الأفضل بالأمثل)[٦]، لأن الأمثل هو الأشبه بالحق وقيل[٧]: الأَمْثَلُ: الأوضح الأظهر[٨] وحدث الشعبي[٩] عن عليٍّ قال: يصرفان وجوه الناس إليهما[١٠].

وقال قتادة: «طَرِيقَتُكُمْ المُثْلَى» يومئذ بنو إسرائيل[١١]، كانوا[١٢] أكثر القوم عدداً (وأموالاً)[١٣]، فقال عدو الله يريد أن يذهبا بهم لأنفسهم[٩].

وقيل: بطريقتكم أي بسنتكم ودينكم[١٤] الذي أنتم عليه[٩]. والمُثْلَى: نعت الطريقة، تقول العرب: فلان على الطريقة المُثْلَى يعني على الهدى المستقيم[٩].

وقيل: الطريقة المُثْلى الجاه والمنصب والرياسة.

قوله: «بِطَرِيقَتِكُمْ» الياء مُعَدِّية كالهمزة، والمعنى بأهل طريقتكم. قال الزجاج: هذا من باب حذف المضاف[١٥]. وإذا كانت الطريقة عبارة عن العادة فلا حذف.

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

قوله: «فَأَجْمِعُوا» قرأ أبو عمرو «فَاجْمَعُوا» بوصل الألف وفتح الميم. والباقون: بقطعها مفتوحة وكسر[١٦] الميم[١٧]، وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة يونس[١٨].

---

(١) في ب: وكان ذلك غاية.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٠.
(٣) في ب: فقال.
(٤) البغوي ٥/ ٤٤٠.
(٥) انظر البغوي ٥/ ٤٤٠.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في الأصل: أو.
(٨) الفخر الرازي ٢٢/ ٨٠ ـ ٨١.
(٩) هو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي، أبو عمرو السكوني، روى عن عمر، وعليّ، وابن مسعود، وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وروى عنه ابن سيرين والأعمش وغيرهما، مات سنة ١٠٣ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٢٢.
(١٠) انظر البغوي ٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.
(١١) في ب: كانوا بنوا إسرائيل. وهو تحريف.
(١٢) في ب: وكانوا.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه: وهوالاً. وهو تحريف.
(١٤) في ب: دينكم.
(١٥) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥.
(١٦) في ب: والباقون بكسرها مقطوعة فاجمعوا كسر.
(١٧) السبعة (٤١٩ ـ ٤٢٠) الحجة لابن خالويه (٢٤٤)، الكشف ٢/ ١٠٠، النشر ٢/ ٣٢١، الإتحاف (٣٠٤).
(١٨) عند قوله تعالى: ﴿**فأجمعوا أمركم وشركاءكم**﴾ [يونس: ٧١]. وذكر ابن عادل هناك: أن قراءة أبي عمرو بوصل الألف من (جمع) الثلاثي، وقراءة الباقين بقطع الهمزة من (أجمع). انظر اللباب ٤/ ٣٠٩.

و «كَيْدَكُم» مفعول به، وقيل: هو على إسقاط الخافض أي: على كَيْدِكم وليس بشيء[١]. فأما قراءة أبي عمرو فهي من الجمع[٢] أي لا تدعوا شيئاً من كَيْدِكُمْ إلا جئتم به بدليل قوله «فَجَمَعَ كَيْدَهُ»[٣].

ومعنى قراءة الباقين قيل: معناه الجمع أيضاً تقول العرب: أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد[٤].

والصحيح أن معناه العزم والإحكام قال الفراء: الإجماع[٥] الإحكام والعزيمة على الشيء[٦]. أي أجمعُوا كُلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم[٧].

«ثمَّ[٨] ائتُوا صَفًّا» أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي[٩].

وقيل: أي: مُصْطَفِّين مجتمعين، ليكون أنظم لأمركم وأشد لهيبتكم[١٠].

وقال أبو عبيدة، والزجاج[١١]: الصَّف موضع الجمع، ويسمى المصلى صفاً، أي: ائتوا المكانَ الموعودَ الذي تجتمعون فيه لعيدكم[١٢].

قوله: «صَفًّا» يجوز أن يكون حالاً من فاعل «ائْتوا» أي ائْتُوا مصطفين[١٣] أي ذوي صَفٍّ فهو[١٤] مصدر في الأصل[١٥].

وقيل: هو مفعول به أي: ائْتُوا قوماً صفًّا[١٦]، وفيه التسمية بالمصدر. أو هو[١٧]

---

(١) وذلك أنَّ من قرأ بوصل الهمزة فـ «كيدكم» مفعول به لأن «فاجمعوا» من جمع، وهو يتعدى بنفسه فلم يفتقر إلى تقدير حذف حرف الجر. ومن قرأ بقطعها نصب «كيدكم» بـ «أجمعوا» على تقدير حذف حرف الجر، وتقديره: فأجمعوا على كيدكم فحذف الجر فاتصل الفعل به فنصبه، لأنه من أجمع رباعياً ومعناه العزم يقال: أجمع على كذا: إذا عزم عليه. البيان ٢/١٤٦ ـ ١٤٧، التبيان ٢/٨٩٥.

(٢) في ب: الجميع.

(٣) [طه: ٦٠].

(٤) انظر البغوي ٥/٤٤١ والقرطبي ١١/٢٢.

(٥) كذا في ب، وفي الأصل: الجمع.

(٦) معاني القرآن ٢/١٨٥.

(٧) انظر البغوي ٥٠/٤٤١.

(٨) في ب: قوله لم. وهو تحريف. انظر القرطبي ١١/٢٢١.

(٩) انظر البغوي ٥/٤٤١، والقرطبي ١١/٢٢١.

(١٠) انظر البغوي ٥/٤٤١.

(١١) في ب: وأبو عبيدة والزجاج قالا.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٢/٢٣، معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٥.

(١٣) في ب: مطيعين مصطفين.

(١٤) فهو: سقط من ب.

(١٥) انظر البيان ٢/١٤٧، التبيان ٢/٨٩٥، البحر المحيط ٦/٢٥٦.

(١٦) انظر التبيان ٢/٨٩٥، البحر المحيط ٦/٢٥٦، إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم. وابن الأنباري قدّر كون «صفاً» مفعولاً به على حذف حرف الجر، وتقديره: ائتوا إلى صفٍّ، فحذف حرف الجر فاتصل الفعل به فنصبه، ولذلك نجده يرجح أن يكون «صفاً» مصدراً في موضع الحال. انظر البيان ٢/١٤٧.

(١٧) في ب: أي وهو.

على حذف مضاف أي ذوي صف.

قوله: «وَقَدْ أَفْلَحَ» قال الزمخشري: اعتراض بمعنى: وقد[١] فاز من غلب[٢].

يعني بالاعتراض: أنه جيء بهذه الجملة (أجنبية من كلامهم ومقولهم، لأن من جملة قولهم:

«قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ»[٣]، وهذه الجملة)[٤] أعني: قوله: «وَقَدْ أَفْلَحَ» من كلام الله تعالى، فهي اعتراض بهذا الاعتبار. وفيه نظر، لأن الظاهر أنها من (مقولاتهم قالوا ذلك تحريضاً لقومهم على القتال وحينئذ فلا اعتراض.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)﴾.

قوله تعالى: «قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» الآية، وهنا حذف والتقدير: فحضروا الموضع قالوا السحرة يا موسى.

قوله: «إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» فيه أوجه)[٥]:

أحدها[٦]: أنه منصوب بإضمار فعل تقديره: اختر أحد الأمرين. كذا قدره[٧] الزمخشري[٨].

قال أبو حيان: وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب، وتفسير الإعراب إما[٩] أن تختار الإلقاء[١٠].

والثاني: أنه مرفوع[١١] على خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر إما إلقاؤك أو إلقاؤنا. كذا قدره[١٢] الزمخشري[١٣].

الثالث: أن يكون مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: إلقاؤك أول، ويدل عليه قوله[١٤]: «وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى»، واختار هذا أبو حيان، وقال: فتحسن[١٥]

---

(١) في ب: قد.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٩.
(٣) [طه: ٦٥].
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: أحدهما. وهو تحريف.
(٧) في ب: قاله وهو تحريف.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٣٩.
(٩) في ب: إنما. وهو تحريف.
(١٠) البحر المحيط ٦/ ٢٥٨، وفيه: إما أن تختار أن تلقي.
(١١) في ب: أنه منصوب أو مرفوع. وهو تحريف.
(١٢) في ب: قاله. وهو تحريف.
(١٣) الكشاف ٢/ ٤٣٩.
(١٤) قوله: سقط من ب.
(١٥) في ب: قد تحسن.

المقابلة من حيث المعنى، وإن لم تحسن المقابلة[١] من حيث التركيب اللفظي[٢]. قال: وفي تقدير الزمخشري الأمر إلقاؤك لا مقابلة فيه[٣]. وتقدم نظير هذا في الأعراف[٤].

فصل[٥]

معنى الكلام: إما أن تلقي ما معك قَبْلنا (وإما أنْ نلقي ما معنا قبلك)[٦] وهذا التخيير مع تقديمه[٧] في الذكر حسن أدب منهم وتواضع، فلا جرم رزقهم الله[٨] الإيمان ببركته، ثم إن موسى ـ عليه السلام[٩] ـ قابل أدبهم بأدب فقال: «بَلْ أَلْقُوا».

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول موسى «بَلْ أَلْقُوا» فيأمرهم بما هو سحر وكفر لأنهم إذا قصدوا بذلك تكذيب موسى ـ عليه السلام[١٠] ـ كان كفراً؟

فالجواب من وجوه:

الأول: لا نسلم أن نفس الإلقاء كفر، لأنهم إذا ألقوا وكان غرضهم أن يظهروا[١١] الفرق بين ذلك[١٢] الإلقاء وبين معجزة موسى ـ عليه السلام[١٣] ـ (كان ذلك الإلقاء إيماناً إنما الكفر هو القصد إلى تكذيب موسى ـ عليه السلام ـ، وهو عليه السلام)[١٤] إنما أمر بالإلقاء لا بالقصد إلى التكذيب[١٥] فزال السؤال.

والثاني: ذلك الأمر كان مشروطاً، والتقدير: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين، كقوله تعالى[١٦]: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ»[١٧] (أي: إن كنتم قادرين)[١٨].

الثالث: أنه لما تعيَّن ذلك[١٩] طريقاً إلى كشف الشبهة صار ذلك جائزاً، وهذا

---

(١) في الأصل: مقابلة.
(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٥٨. وفيه: وإن كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة، وقال بعد ذلك: (لأنا قدرنا إلقاؤك أول، ومقابلة كونهم يكونون أول من يلقي، لكنه يلزم من ذلك أن يكون القاؤهم أول فهي مقابلة معنوية).
(٣) البحر المحيط ٦/٢٥٨.
(٤) عند قوله تعالى: ﴿**قالوا يا موسى إمَّا أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين**﴾ [الأعراف: ١١٥]. انظر اللباب ٤/ ٨٢ ـ ٨٣.
(٥) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨١ ـ ٨٢.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: مع تقديم. وهو تحريف.
(٨) لفظ الجلالة سقط من الأصل.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: عليه الصلاة السلام.
(١١) في الأصل: يظهر.
(١٢) ذلك: سقط من ب.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) في ب: لا يقصد التكذيب.
(١٦) تعالى: سقط من ب.
(١٧) [البقرة: ٢٣].
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: إن كنتم صادقين.
(١٩) ذلك: سقط من ب.

كالمحق إذا علم أن في قلب واحد شبهة، وأنه لو لم يطالبه[١] بذكرها وتقريرها[٢] بأقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة في قلبه[٣] ويخرج بسببها عن الدين، فإن للمحق أن يطالبه بتقريرها على أقصى الوجوه، ويكون غرضه من ذلك أن يجيب عنها، ويزيل أثرها عن قلبه، فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض جائز فكذا ههنا.

الرابع: أن لا يكون ذلك أمراً بل معناه: إنكم إن أردتم فعله فلا مانع منه حسًّا[٤] لكي ينكشف الحق[٥].

الخامس: أن موسى ـ عليه السلام[٦] ـ لا شك أنه كان كارهاً لذلك ولا شك أنه نهاهم عن ذلك بقوله: «وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ»[٧] وإذا كان كذلك استحال أن يأمرهم بذلك، لأن الجمع بين كونه ناهياً آمراً بالفعل الواحد محال، فعلمنا أن أمره غير محمول على ظاهره، وحينئذ يزول الإشكال. فإن قيل: لم قدمهم في الإلقاء على نفسه مع أن تقديم إسماع الشبهة على إسماع الحجة غير جائز، فكذا تقديم إراءة الشبهة على إراءة الحجة[٨] يجب أن لا يجوز، لاحتمال أنه ربما أدرك الشبهة[٩] ثم لا يتفرغ لإدراك[١٠] الحجة بعده، فيبقى حينئذ في الكفر والضلال، وليس لأحد أن يقول: إن ذلك كان[١١] بسبب أنهم لما قدموه على أنفسهم فهو ـ عليه السلام[١٢] ـ قابل ذلك بأن قدمهم، لأن أمثال ذلك إنما يحسن فيما يرجع إلى حظ النفس فأما ما يرجع إلى الدليل والشبهة فغير جائز.

فالجواب أنه ـ عليه السلام[١٣] ـ كان قد أظهر المعجزة مرةً واحدةً فما كان به حاجة إلى إظهارها مرة أخرى، والقوم[١٤] إنما جاءوا لمعارضته، فقال ـ عليه السلام[١٥] ـ لو أظهرت[١٦] المعجزة أولاً لكنت كالسبب في إقدامهم على إظهار السحر وقصد إبطال المعجزة وهو لا يجوز، ولكنني[١٧] أفوض الأمر إليهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر، ثم أظهر أنا[١٨] ذلك المعجز الذي يبطل سحرهم، فيكون هذا التقديم[١٩] سبباً لدفع الشبهة فكان أولى[٢٠].

---

(١) في ب: فإنه لو لم يطابقه. وهو تحريف.
(٢) في ب: وتقريره. وهو تحريف.
(٣) في ب: بقلبه.
(٤) حسًّا: سقط من ب.
(٥) في ب: من الحق. وهو تحريف.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) [طه: ٦١].
(٨) في ب: أداة الشبهة على أداة الحجة. وهو تحريف.
(٩) في ب: أنه أراد الشبهة. وهو تحريف.
(١٠) لإدراك: سقط من ب.
(١١) كان سقط من ب.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: وإن كان به حاجة إلى مرة أخرى فالقوم. وهو تحريف.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: لو كنت أظهرت.
(١٧) في ب: ولكني.
(١٨) في ب: أن. وهو تحريف.
(١٩) في ب: التقدير. وهو تحريف.
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٨٢.

قوله: «فَإِذَا حِبَالُهُمْ» هذه الفاء عاطفة على (جملة محذوفة دل عليها السياق، والتقدير: فَأَلْقُوا فَإِذَا[1]، وإذا هذه هي التي للمفاجأة وفيها ثلاثة أقوال تقدمت:

أحدها: أنها باقية على ظرفية الزمان[2].

الثاني: أنها ظرف مكان[3].

الثالث: أنها حرف[4].

قال الزمخشري: والتحقيق فيها أنها الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها، وجملة تضاف إليها، خصت في بعض المواضع بأن يكون الناصب لها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة، والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله: «فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ» ففَاجأ موسى وقتَ تخييل سَعْي حِبَالهم وعصيّهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم وعصيّهم مخيِّلةً إليه السعي[5].

قال أبو حيان: قوله: إنها زمانية قول مرجوح، وهو مذهب الرياشي.

وقوله: الطالبة ناصباً لها صحيح. وقوله: وجملة تضاف إليها ليس صحيحاً عند

---

(١) اختلف العلماء في (الفاء) الداخلة على (إذا) الفجائية فذهب أبو بكر إلى أنها عاطفة، كأنه حمل ذلك على المعنى، لأن معنى خرجت فإذا زيد: خرجت فقد جاءني زيد، وهذا القول هو أقرب الأقوال إلى السداد، لأن الحمل على المعنى كثير في كلامهم. وذهب الزيادي إلى أنها داخلة على جواب شرط مقدر، وهو ضعيف، لأنه لا معنى للشرط هنا، ولو كان فيه معنى الشرط لأغنت (إذا) في الجواب عن الفاء، كما أغنت في قوله تعالى: **﴿وإن تصبهم سيئةٌ بما قدَّمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾** [الروم: ٣٦]. وذهب أبو عثمان إلى أنها زائدة، وهو ضعيف، لأنه لا يجوز حذفها، فلا يقال: خرجت إذا زيد، لأن الزائد حكمه أن يجوز طرحه ولا يختل الكلام ـ انظر شرح المفصل ٣/٩، ٤، شرح الكافية ١/١٠٤.

(٢) هذا قول الزجاج واختاره الزمخشري كما يتضح من النص المنقول عنه من الكشاف، وعلى هذا يجوز أن تكون «إذا» في قولهم خرجت فإذا السبع خبراً عما بعدها بتقدير مضاف أي: ففي ذلك الوقت حصول السبع، لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة. ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً و «إذا» ظرف لذلك الخبر غير ساد مسده أي: ففي ذلك الوقت السبع بالباب، فحذف بالباب لدلالة قرينة خرجت عليه. ويجوز أن يكون ظرف الزمان مضافاً إلى الجملة الاسمية وعامله محذوفاً أي ففاجأت وقت وجود السبع بالباب، إلا أنه إخراج لإذا عن الظرفية إذ هو إذن مفعول به لفاجأت، ولا حاجة إلى هذه الكلفة فإن «إذا» الظرفية غير متصرفة. انظر شرح الكافية ١/١٠٣، ١٠٤، المغني ١/٨٧.

(٣) وهذا قول المبرد حيث قال: (فأما (إذا) التي تقع للمفاجأة فهي تسدّ مسدّ الخبر، والاسم بعدها مبتدأ، وذلك قولك: جئتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك، وتأويل هذا: جئت ففاجأني زيد، وكلمتك ففاجأني أخوك) المقتضب ٣/١٧٨.

فعلى قوله يجوز أن تكون خبراً للمبتدأ الذي بعدها، ولا يجوز على قوله أن يكون (إذا) مضافاً إلى الجملة الاسمية المحذوفة الخبر إذ لا يضاف من ظروف المكان إلى الجمل إلا حيث. انظر شرح الكافية ١/١٠٣، المغني ١/٨٧.

(٤) هذا قول الأخفش وعلى ذلك فالخبر محذوف انظر المغني ١/٨٧.

(٥) الكشاف ٢/٤٣٩.

بعض أصحابنا، لأنها إما أن تكون هي خبراً لمبتدأ، وإما أن تكون معمولة لخبر المبتدأ، وإذا كان كذلك استحال أن تضاف إلى الجملة، لأنها إما أن تكون بعض الجملة أو معمولة لبعضها، فلا يمكن الإضافة.

وقوله: خصت في بعض المواضع إلى آخره. قد بيَّنا الناصبَ لها. وقوله: والجملة بعدها ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح، بل قد جوَّز الأخفش على أن الجملة الفعلية المقترنة بقد تقع بعدها نحو خرجت فإذا قد ضرب زيد عمراً وبنى على ذلك مسألة الاشتغال نحو: خرجتُ فإذا زيدٌ قد ضربه عمرو، برفع زيد ونصبه على الاشتغال[١].

وقوله: والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيِّلةً إليه السعي، فهذا عكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيِّهم إياه. فإذا قلت: خرجت فإذا السبع، فالمعنى: أنه فاجأني وهجم ظهوره[٢]. انتهى.

قال شهاب الدين: وما ردَّ به غير لازم له، لأنه ردَّ عليه بقول بعض النحاة، وهو لا يلزم ذلك القول حتى يرد به عليه لا سيما إذا كان المشهور غيره ومقصوده تفسير المعنى[٣]. وقال أبو البقاء: الفاء جواب ما حذف وتقديره: فألقوا فإذا، فـ «إذا» في هذا ظرف مكان العامل فيه «أَلْقُوا»[٤]. وفي هذا نظر، لأن «أَلْقُوا» هذا المقدر لا يطلب جواباً حتى يقول: الفاء جوابه، بل كان ينبغي أن يقول: الفاء عاطفة هذه الجملة الفجائية على جملة أخرى مقدرة، وقوله: ظرف مكان هذا مذهب المبرد، وظاهر قول سيبويه أيضاً وإن كان المشهور بقاؤها على الزمان وقوله: إن العامل فيها «فَأَلْقُوا» لا يجوز لأن الفاء تمنع من ذلك. هذا كلام أبي حيان[٥]. ثم قال بعده: ولأن «إذا» هذه إنما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو حبالهم وعصيهم إن لم يجعلها هي في موضع الخبر، لأنه يجوز أن يكون)[٦] الخبر «يُخَيَّل»، ويجوز أن تكون «إذا» و «يُخَيَّلُ» في موضع الحال، وهذا نظير: خرجت فإذا الأسد رابضٌ ورابضاً[٧]، وإذا رفعت رابضاً[٨] كانت إذا معمولة[٩] له والتقدير: فبالحضرة الأسد رابض، أو في المكان، وإذا نصبت كانت «إذا» خبراً، ولذلك

---

(١) لأن «إذا» الفجائية على مذهب الأخفش يجوز دخولها على الجملة الفعلية فيجوز رفع الاسم الواقع بعدها ونصبه في المثال المذكور ويكون المثال من باب الاشتغال. وذلك أن صاحب شرح التصريح ذكر أن «إذا» الفجائية فيها ثلاثة أقوال: الأول: أنها تختص بالابتداء على الأصح. والثاني: جواز دخولها على الفعل مطلقاً. والثالث التفرقة بين أن يقترن الفعل بقد فيجوز، وأن لا يقترن فيمتنع.
فعلى الرأي الأول يجب الرفع في المثال، ويجوز النصب على الثاني وعلى الثالث أيضاً لوجود (قد)، أما إذا كان المثال خالياً من (قد) فيمتنع النصب على الثالث لفقدان (قد) انظر شرح التصريح ١/ ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٥٩.
(٣) الدر المصون ٥/ ٣٢.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٥٨.
(٥) البحر المحيط ٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: وأيضاً. وهو تحريف.
(٨) في ب: فإذا ربعت رابض. وهو تحريف.
(٩) في ب: معمولاً.

يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاماً نحو خرجت فإذا الأسد[(١)].

قوله: «يُخَيَّل إِلَيْهِ»[(٢)] قرأ[(٣)] العامة «يُخَيَّل» بضم الياء الأولى وفتح الثانية مبنيًّا للمفعول، و «أَنَّهَا تَسْعَى» مرفوع[(٤)] بالفعل قبله لقيامه مقام الفاعل تقديره: يُخَيَّل إليه سعيُهَا[(٥)].

وجوز أبو البقاء فيه[(٦)] وجهين[(٧)]:

أحدهما[(٨)]: (أن يكون القائم مقام الفاعل ضمير الحِبَال والعِصِيّ وإنما ذكَّر ولم يقل «تُخَيَّلُ» بالتاء من فوق، لأن تأنيث الحبال غير حقيقي.

الثاني: أن القائم مقام الفاعل ضمير يعود على الملقي، فلذلك ذكر. وعلى الوجهين: ففي قوله: «أَنَّهَا تَسْعَى» وجهان أحدهما)[(٩)]: أنه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر في «يُخَيَّل» والثاني: أنه مصدر في موضع نصب[(١٠)] على الحال من الضمير المستتر أيضاً، والمعنى: يُخَيَّل إليه هي أنها ذات سعي[(١١)]. ولا حاجة إلى هذا، وأيضاً فقد نصوا على أنْ المصدر المؤول لا يقع موقع الحال، لو قلت: جاء زيد أن رَكَض، تريد ركضاً بمعنى ذا ركض لم يجز[(١٢)].

وقرأ ابن ذكوان: «تُخَيَّلُ» بالتاء من فوق[(١٣)]، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الفعل مسند لضمير الحِبَال والعِصِيّ، أي: تُخَيَّل الحبال (والعصي، و)[(١٤)] «أَنَّهَا تَسْعَى» بدل اشتمال من ذلك الضمير[(١٥)].

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(٢) إليه: سقط من ب.
(٣) في ب: قراءة.
(٤) في ب: يرفع. وهو تحريف.
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٦٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧١، البيان ٢/١٤٧، التبيان ٢/٨٩٦.
(٦) فيه سقط من ب.
(٧) في ب: وجهين آخرين.
(٨) في ب: الأول.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) في ب: النصب.
(١١) انظر التبيان ٢/٨٩٦.
(١٢) منع سيبويه وقوع المصدر المؤول حالاً فإنه قال: (ولا تقع (أم) وصلتها حالاً يكون الأول في حال وقوعه، لأنها إنما تذكر لما لم يقع بعده) الكتاب ١/٣٩٠ وجوزه الزمخشري والعكبري في آيات من القرآن الكريم، فقد جوزه الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**ودية مسلَّمةٌ إلى أهله إلاّ أن يصدقوا**﴾ [النساء: ٩٢] وردّه أبو حيان. انظر الكشاف ١/٢٩٠، البحر المحيط ٣/٣٢٣ ـ ٣٢٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم قسم (٣) جـ ٣/٢٥.
(١٣) الكشف ٢/١٠١، النشر ٢/٣٢١، الإتحاف ٣٠٥.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٦٦، مشكل إعراب القرآن ٢/٧١، الكشف ٢/١٠١ الكشاف ٢/٤٣٩، البيان ٢/١٤٧، التبيان ٢/٩٦، البحر المحيط ٦/٢٥٩.

الثاني: كذلك إلا «أَنَّهَا تَسْعَى»[١] حال، أي: ذات سَعْي كما تقدم تقريره قبل ذلك[٢].

الثالث: أن الفعل مسند[٣] لقوله: «أَنَّهَا[٤] تَسْعَى» كقراءة العامة في أحد الأوجه[٥] وإنما أنَّثَ الفعل لاكتساب المرفوع التأنيث[٦] بالإضافة، إذ التقدير: تُخَيَّلُ إِلَيْه سَعْيُها، فهو[٧] كقوله:

٣٦٧٤ ـ شَـرِقَـتْ صَـدْرُ الـقَـنَـاةِ مِـنَ الـدَّمِ[٨]

(«فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»[٩])[١٠].

وقرأ أبو[١١] السمال[١٢]: «تَخَيَّلُ» بفتح التاء والياء مبنياً للفاعل، والأصل: تَتَخَيَّلُ، فحذف إحدى التاءين نحو «تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ»[١٣]، و «أَنَّهَا تَسْعَى» بدل اشتمال أيضاً من ذلك الضمير[١٤]. وجوَّز ابن عطية أيضاً أنه مفعول من أجله[١٥]. ونقل ابن جبارة[١٦] الهذلي: قراءة أبي السمال: «تُخَيِّل»[١٧] بضم التاء من فوق وكسر الياء[١٨]، فالفعل مسند لضمير الحبال، و «أَنَّهَا تَسْعَى» مفعول، أي: تُخَيِّل الحبال سعيها[١٩].

---

(١) في ب: كذلك إلا أنَّها تسعى الثاني: كذلك إلا أنها.

(٢) وذلك في تجويز أبي البقاء في قراءة العامة. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٦٦، التبيان ٢/٨٩٦.

(٣) في ب: مسنداً. وهو تحريف.

(٤) أنها: سقط من ب.

(٥) في ب: في قراءة العامة كأحد الأوجه. وهو تحريف.

(٦) التأنيث: سقط من ب.

(٧) فهو: سقط من ب.

(٨) هذا جزء بيت من الطويل، قاله الأعشى، وتمامه:

وتَـشْـرَق بـالـقـول الـذي قـد أذعـتـه ... كـمـا شـرقـت صـدر الـقـنـاة مـن الـدم

وقد تقدم.

(٩) من قوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها وهم لا يظلمون﴾** [الأنعام: ١٦٠]. والاستشهاد بالآية في قراءة العامة وهي إضافة (عشر) إلى (أمثالها) وحينئذ يكون في حذف التاء من (عشر) وجوه منها: أن (المضاف) المذكر وهو (أمثال) اكتسب التأنيث من المؤنث، وهو (ها) فحذفت التاء من (عشر) لذلك. وهو المطلوب من الاستشهاد بالآية هنا.

وانظر الوجوه في البيان ٢/٣٥٠ ـ ٣٥١.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في الأصل: أبو. وهو تحريف.

(١٢) في النسختين: السماك، وكذا في البحر المحيط ولعله السمال. وهو قعنب بن أبي قعنب أبو السمال العدوى البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن الجماعة، رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس. طبقات القراء ٢/٢٧.

(١٣) [القدر: ٤].

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٩.

(١٥) تفسير ابن عطية ١٠/٥٣.

(١٦) في ب: أبو حيان. وهو تحريف.

(١٧) تخيل: سقط من ب.

(١٨) المختصر (٨٨).

(١٩) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٩.

ونسب ابن عطية هذه القراءة للحسن وعيسى الثقفي[١].

وقرأ أبو حيوة: «نُخَيِّل» بنون العظمة، و «أَنَّها تَسْعَى» مفعول به أيضاً على هذه القراءة[٢].

وقرأ الحسن والثقفي «عُصيِّهم» بضم العين حيث وقع، وهو الأصل[٣]، وإنما كسرت العين إتباعاً (للصاد، وكسرت الصاد إتباعاً)[٤] للياء نحو دَلْو ودِلِيّ، وقوس وقِسِيّ، والأصل: عُصُوو، بواوين فأُعِلَّ كما ترى بقلب[٥] الواوين ياءين استثقالاً لهما، فكسرت الصاد لتصح[٦] الياء، وكسرت العين إتباعاً[٧].

ونقل صاحب اللوامح: أنَّ قراءة الحسن «عُصْيُهُمْ» بضم العين وسكون الصاد وتخفيف الياء مع الرفع[٨]، وهو أيضاً جمع كالعامة إلا أنه على فُعْل، والأول على[٩] فُعُول كفُلُوس[١٠].

والجملة من «تُخَيِّل» يحتمل أن تكون في محل رفع خبراً لهي[١١] على أن «إذا» الفجائية فضلة. وأن تكون في محل نصب على الحال على أن «إذا» الفجائية هي الخبر[١٢] والضمير في «إلَيْه» الظاهر عوده على موسى. وقيل يعود على (فِرْعَون)[١٣] (ويدل للأول)[١٤] قوله تعالى: «فَأَوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى[١٥]»[١٦].

وفيه إضمار أي: فألقوا فإذا حبالُهم وعِصِيُّهم، جمع حبل وعصا[١٧].

فصل

قال ابن عباس: أَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُم وأخذوا أعين الناس فرأى موسى[١٨] والقوم كأن[١٩] الأرض امتلأت حيَّات وكانت أخذت مَيْلاً من كل جانب، وأنها تسعى فخاف،

---

(١) تفسير ابن عطية ١٠/٥٣.
(٢) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(٣) انظر المختصر ٨٨، البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: فقلب وهو تحريف.
(٦) في ب: لفتح. وهو تحريف.
(٧) وذلك أن عصي جمع عصا، والأصل: عصوو، وقعت الواو لام فعول جمعاً فقلبت ياء فصارت عصوى، اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وكسرت الصاد لأجل الياء ثم كسرت العين إتباعاً لكسرة الصاد. انظر شرح الملوكي ٤٧٧ ـ ٤٧٩، الأشموني ٤/٣٢٧.
(٨) في ب: بالرفع.
(٩) على: سقط من ب.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(١١) أي: لـ (حبالهم وعصيهم).
(١٢) انظر التبيان ٢/٨٩٦، البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(١٣) فرعون: تكملة من البحر المحيط.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) [طه: ٦٧].
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/٢٥٩.
(١٧) وعصا: سقط من الأصل.
(١٨) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.
(١٩) والقوم كأن: سقط من ب.

و «أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً» وأوجَسَ[١]: أضمر في نفسه خوفاً. (وقيل: وجد في نفسه خيفة)[٢].

فإن قيل: كيف استشعر الخوف وقد[٣] عرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد، فجعل العصا حيَّة عظيمة، ثم إنه تعالى أعادها لما كانت، ثم أعطاه الاقتراحات الثمانية، وذكر ما أعطاه قبل ذلك من المنن وقال له بعد ذلك كله: «إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى»[٤]، فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: قال الحسن: إن ذلك الخوف إنما[٥] كان لطبع البشرية من ضعف القلب[٦] وإن كان قد علم موسى أنهم لا يصلون إليه وأن الله ناصره.

والثاني: قال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره، فيظنون أنهم قد ساووا موسى ـ عليه السلام[٧] ـ ويؤكده قوله تعالى: «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى»[٨].

الثالث: خاف حيث بدأوا[٩] وتأخر إلقاؤه أن ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه، فيدوموا على اعتقاد الباطل.

الرابع: لعلَّه ـ عليه السلام[١٠] ـ كان مأموراً بأن لا يفعل شيئاً إلا بالوحي، فلما[١١] تأخر نزول الوحي في ذلك الجمع بقي في الخجل.

الخامس: لعله ـ عليه السلام[١٢] ـ خاف من أنه لو أبطل سحرهم، فلعلَّ فرعون قد أعد[١٣] أقواماً آخرين فيحتاج مرة أخرى إلى إبطال سحرهم وهلم جرًّا، فلا يظهر له مقطع وحينئذ لا يتم الأمر ولا يحصل المقصود[١٤].

فصل

اختلفوا في عدد السحرة، فقال الكلبي: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، اثنان من القبط، وسبعون[١٥] من بني إسرائيل، أكرههم فرعون على ذلك مع كل واحد منهم عصا وحبل.

---

(١) وأوجس: سقط من ب.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: وهو. وهو تحريف.
(٤) [طه: ٤٦].
(٥) في ب: وإنما. وهو تحريف.
(٦) القلب: سقط من الأصل.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) من الآية (٦٨) من السورة نفسها.
(٩) في ب: بدأه.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في الأصل: فلو. وهو تحريف.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) في ب: أوعد. وهو تحريف.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٨٤.
(١٥) في الأصل: وسبعين. وهو تحريف.

وقال ابن جريج[١]: تسعمائة، ثلاثمائة من الفرس، وثلاثمائة من الروم، وثلاثمائة من الإسكندرية. وقال وهب: خمسة عشر ألفاً[٢]. وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً.

وقال القاسم بن سلام: سبعون ألفاً. وظاهر القرآن لا يدل على شيء من هذه الأقوال[٣]. ثم إنه تعالى[٤] أزال[٥] ذلك الخوف بقوله: «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى»[٦] أي الغالب: يعني: لك[٧] الغلبة والظفر، وذلك[٨] يدل على أن خوفه كان لأمر يرجع[٩] إلى أنَّ[١٠] أمره لا يظهر للقوم[١١]، فآمنه الله تعالى بقوله: «إِنَّك أَنْتَ الأَعْلَى»، وفيه أنواع من المبالغة: أحدها[١٢]: ذكر كلمة التأكيد وهي (إنَّ). وثانيها[١٣] تكرير الضمير. وثالثها[١٤]: لام التعريف. ورابعها[١٥]: لفظ العلو، وهو الغلبة الظاهرة[١٦].

قوله: «وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ» وهاهنا سؤال، وهو أنه لم[١٧] لم يقل وألق عصاك؟

والجواب: جاز[١٨] أن يكون تصغيراً لهما، أي: لا تبالِ بكثرة[١٩] حبالِهِمْ وعِصِيهم، وألق العُوَيد الفرد الصغير الجرم الذي بيمينك، فإنَّه بقدرة الله يتلقفها[٢٠] على وحدته وكثرتها، وصغره وعظمها.

وجاز[٢١] أن يكون تعظيماً لها أي لا تُخيفك هذه[٢٢] الأجرام الكثيرة فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها، وهذه[٢٣] على كثرتها أقل شيء عندها، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها[٢٤]. قوله: «تَلْقَفْ» أي: تَلْقَمْ وتبتلع «مَا[٢٥] صَنَعُوا» بسرعة.

قرأ العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء[٢٦] على جواب الأمر[٢٧]، وقد تقدم أن حفصاً يقرأ «تَلْقَفْ» بسكون اللام وتخفيف القاف[٢٨]، وقرأ ابن ذكوان هنا

---

(١) ف ب: وقال ابن جريج وعكرمة.
(٢) في ب: عشرون ألفاً.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٨٣.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٤.
(٥) أزال: سقط من ب.
(٦) [طه: ٦٨].
(٧) في ب: أن. وهو تحريف.
(٨) في ب: وهذا.
(٩) في ب: راجع.
(١٠) أنَّ: سقط من ب.
(١١) في ب: القوم. وهو تحريف.
(١٢) في ب: الأول.
(١٣) في ب: الثاني.
(١٤) في ب: الثالث.
(١٥) في ب: الرابع.
(١٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٤.
(١٧) في الأصل: لو وسقط من ب: لم.
(١٨) في ب: جائز.
(١٩) في ب: لا تمال لكثرة. وهو تحريف.
(٢٠) في ب: يلتقفها. وهو تحريف.
(٢١) في ب: وجائز.
(٢٢) في الأصل: بهذه. وهو تحريف.
(٢٣) في ب: وهي.
(٢٤) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٠، الفخر الرازي ٢٢/ ٨٤.
(٢٥) في ب: لما.
(٢٦) في ب: الفاعل. وهو تحريف.
(٢٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢، البيان ٢/ ١٤٨، البحر المحيط ٦/ ٢٦٠.
(٢٨) في سورة الأعراف عند قوله تعالى: **﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾** [الأعراف: ١٧] وذكر ابن عادل هناك: وقرأ حفص: «تلقف» بتخفيف القاف من لَقِفَ كعلم يعلم وركب، يقال: لقفت الشيء ألقفه لقفاً=

«تَلَقَّفُ» بالرفع[١] إما على الحال[٢]، وإما على الاستئناف[٣]، وأنّث الفعل في «تَلْقَفْ» حملاً على معنى «ما» لأن معناها العصا[٤]، ولو ذكَّر ذهاباً إلى لفظها لجاز ولم يقرأ به.

وقال أبو البقاء: إنه يجوز أن يكون فاعل «تَلْقَفْ» ضمير موسى[٥] فعلى هذا يجوز أن يكون «تَلْقَفُ» في قراء الرفع حالاً من موسى، وفيه[٦] بُعْد[٧]. و («صَنَعُوا» ههنا: اختلقوا وزَوّرُوا)[٨] والعرب تقول في الكذب: هو[٩] كلام مصنوع[١٠]. قوله: «إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِر»[١١] العامة على رفع «كَيْد» على أنه خبر «إنَّ» و «مَا» موصولة، و «صَنَعُوا» صلتها، والعائد محذوف، والموصول هو الاسم، والتقدير: إنَّ الذي صنعوه كَيْدُ سَاحِرٍ[١٢].

ويجوز أن تكون «مَا» مصدرية فلا[١٣] حاجة إلى العائد، والإعراب بحاله والتقدير: (إنَّ صُنْعَهُم)[١٤] كيدُ ساحر[١٥].

(وقرأ مجاهد وحميد وزيد بن عليّ «كَيْدَ» بالنصب على أنه مفعول به و «مَا» مزيدة مهيئة[١٦]. وقرأ الأخوان: «كَيْدُ سِحْرٍ»[١٧] على أن)[١٨] المعنى[١٩]: كَيْدُ ذَوِي

= وتلقفته أتلقفه تلقفاً إذا أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته، ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد قاله أبو عبيد. انظر اللباب ٤/ ٨٣.

(١) السبعة (٤٢٠ ـ ٤٢١) الحجة لابن خالويه (٢٤٤)، الكشف ٢/ ١٠١، النشر ٢/ ٣٢١، الإتحاف (٣٠٥).

(٢) قال مكي: (قوله: «تلقف» قرأه ابن ذكوان بالرفع، وجزمه الباقون، وخففه حفص وشدده الباقون. وحجة من رفعه أنه جعله حالاً من الملقى) الكشف ٢/ ١٠١، وانظر أيضاً مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢، الكشاف ٢/ ٤٤٠.

(٣) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٠.

(٤) انظر البيان ٢/ ١٤٨، التبيان ٢/ ٨٩٦. وجوز ابن الأنباري أن تكون التاء للمخاطب، وتقديره: تلقف أنت. وذكر ذلك أبو البقاء حين جوز أن يكون فاعل «تلقف» ضمير موسى، كما سيأتي.

(٥) انظر التبيان ٢/ ٨٩٦.

(٦) في الأصل: وبعد.

(٧) لأن المعنى للعصا وليس لموسى.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) هو: سقط من ب.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٨٤.

(١١) ساحر: سقط من ب.

(١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢، البيان ٢/ ١٤٨، التبيان ٢/ ٨٩٧ البحر المحيط ٦/ ٢٦٠.

(١٣) في ب: ولا.

(١٤) ما بين القوسين في ب: الذين صنعوا. وهو تحريف.

(١٥) انظر التبيان ٢/ ٨٩٧، البحر المحيط ٦/ ٢٦٠.

(١٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، تفسير ابن عطية ١٠/ ٥٥، التبيان ٢/ ٨٩٧، البحر المحيط ٦/ ٢٦٠.

(١٧) وهما حمزة والكسائي. السبعة (٤٢١)، الكشف ٢/ ١٠٢ النشر ٢/ ٣٢١، الإتحاف (٣٠٥).

(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٩) في ب: ويجوز أن يكون المعنى.

سِحْرٍ[١]، (أو جعلوا نفس السحر مبالغةً وتبييناً للكيد، أي حيلةَ سحر، لأنه يكون سحراً وغير سحر)[٢] كما تميز[٣] سائر الأعداد بما يفسره[٤] نحو[٥] مائة درهم، وألف دينارٍ، ومثله علم فقهٍ وعلمُ نحوٍ[٦]. وقال أبو البقاء: «كَيْدُ سَاحِرٍ»[٧] إضافة المصدر إلى الفاعل، و «كَيْدُ سِحْرٍ» إضافة الجنس إلى النوع[٨]. والباقون: («سَاحِرٍ»)[٩][١٠]. وأفرد[١١] ساحِراً وإن كان المراد به جماعة، قال الزمخشري: لأن القصد في[١٢] هذا الكلام إلى[١٣] معنى الجنسية لا إلى[١٤] معنى العدد (فلو جمع لَخُيِّلَ أنَّ المقصود هو العدد)[١٥][١٦]. وقرىء[١٧] «سَاحِراً»[١٨] بالنصب على أن «مَا» كافة[١٩]. ثم قال: «وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى» من الأرض. قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل معناه: حيث احتال[٢٠].

قوله: «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً»[٢١] لما أَلْقَى ما في يمينه، وصار حيَّةً، وتلقف[٢٢] ما صنعوا، وظهر الأمر، خروا عند ذلك سجداً، لأنهم كانوا في أعلى طبقات السحر، فلما رأوا ما فعل[٢٣] موسى ـ عليه السلام[٢٤] ـ خارجاً عن صناعتهم عرفوا أنه ليس من السحر البتّة، روي أن رئيسهم قال: كُنَّا نغلِبُ الناسَ بالسحر، وكانت (الآلات)[٢٥] تبقى علينا، فلو كان هذا سحراً فأَيْنَ ما ألقيناه؟ فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم، وبظهوره[٢٦] على يد موسى ـ عليه السلام[٢٧] ـ على كونه رسولاً صادقاً من عند الله فلا جرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود. قال الأخفش: إنهم في سرعة ما سجدوا كأنهم خروا. قال الزمخشري: ما أعجب أمرهم قد

(١) أي: على حذف مضاف.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: يفسر.
(٤) في ب: يميزه.
(٥) في ب: كـ.
(٦) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٠، البحر المحيط ٦/ ٢٦٠.
(٧) ساحر: سقط من الأصل.
(٨) التبيان ٢/ ٨٩٧.
(٩) السبعة (٤٢١)، الكشف ٢/ ١٠٢، النشر ٢/ ٣٢١، الإتحاف (٣٠٥).
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: أفردوا.
(١٢) في ب: إلى. وهو تحريف.
(١٣) في ب: و. وهو تحريف.
(١٤) إلى: سقط من ب.
(١٥) الكشاف ٢/ ٤٤٠.
(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٧) في ب: و.
(١٨) لم أجد من ذكر هذه القراءة فيمن تيسر لي الرجوع إلى مؤلفاتهم وقرىء «كيد ساحر» بنصب «كيد» وهي قراءة مجاهد وحميد وزيد بن علي كما تقدم.
(١٩) انظر القرطبي ١١/ ٢٢٤.
(٢٠) في ب: خان. وهو تحريف.
(٢١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٦.
(٢٢) في ب: وتلقفت. وهو تحريف.
(٢٣) في ب: ألقى.
(٢٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٦) في ب: وتحويلها وبظهورها.
(٢٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

ألقوا حبالهم[١] للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين. روي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها، وعن عكرمة: لما خروا سُجَّداً أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة[٢].

قال القاضي: هذا بعيد، لأنهم لو أراهم عياناً لصاروا ملجئين، وذلك لا يليق به[٣] قولهم: إنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا[٤] لِيَغْفِرَ لَنَا»[٥].

وأجيب: أنه[٦] لما جاز لإبراهيم[٧] مع[٨] قطعه بكونه مغفوراً له أن يقول[٩]: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِيَ خَطِيئَتِي»[١٠] فلم لا يجوز في حق السحرة[١١]؟

قوله: «آمَنَّا بَرَبِّ هارُونَ وَمُوسَى»[١٢] احتج التعليمية[١٣] بهذه الآية وقالوا[١٤]: إنَّهم آمَنُوا بالله الذي عرفوه من[١٥] قِبَل هارون وموسى، وفي الآية فائدتان:

الفائدة[١٦] الأولى: أنَّ فرعون ادَّعى الربوبية في قوله: «أَنَا رَبُّكُم»[١٧]. والإلهية في قوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلٰه غَيْرِي»[١٨] فلو[١٩] قالوا: آمَنَّا بربِّ العالمين، لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري، فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، ويدل عليه تقديمهم ذكر هارون على مُوسى، لأن فرعون كان يدعي ربوبية موسى (بناء على أنه ربَّاه)[٢٠]، وقال: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً»[٢١]، فالقوم لما احترزوا عن إيهامات (فرعون قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال.

الفائدة الثانية: هي أنهم لما شاهدوا)[٢٢] ما خصهما الله تعالى به من المعجزات

---

(١) في ب: حبالهم وعصيهم.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.
(٣) في ب: لهم. وهو تحريف.
(٤) «بربنا»: سقط من ب.
(٥) في ب: «لنا خطايانا» [طه: ٧٣].
(٦) في الأصل: لأنه.
(٧) في ب: لابراهيم عليه الصلاة والسلام.
(٨) في ب: مع كونه.
(٩) في ب: بقوله. وهو تحريف.
(١٠) من قوله تعالى: ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾ [الشعراء: ٨٢].
(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٦.
(١٢) في ب: قوله: ﴿**آمنَّا بربِّ العالمين. ربِّ موسى وهارون**﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢].
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢/ ٨٧. ولم أجد فيما رجعت إليه من كتب الفرق والمذاهب من ذكر التعليمية.
(١٤) في ب: وقال. وهو تحريف.
(١٥) من: سقط من ب.
(١٦) الفائدة: سقط من ب.
(١٧) في ب: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ [النازعات: ٢٤].
(١٨) [القصص: ٣٨].
(١٩) في ب: فلوا. وهو تحريف.
(٢٠) ما بين القوسين في ب: كونه ربَّاه.
(٢١) [الشعراء: ١٨].
(٢٢) ما بين القوسين سقط من ب.

العظيمة[١] والدرجات الشريفة قالوا: «رَبِّ هارُونَ وَمُوْسَى»[٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾.

(فصل[٣])[٤]

قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ اعلم أن فرعون لما شاهد منهم السجود والإقرار خاف أنْ يصير[٥] ذلك سبباً لاقتداء سائر الناس بهم في الإيمان بالله وبرسوله ففي الحال ألقى هذه الشبهة في النبي[٦]، وهي مشتملة[٧] على التنفير من وجهين:

الأول: أن الاعتماد على أول خاطر لا يجوز بل لا بد فيه من البحث، والمناظرة، والاستعانة بخواطر الغير، فلمَّا لم تفعلوا شيئاً من ذلك بل في الحال «آمَنْتُمْ لَهُ» دَلَّ ذلك على أن[٨] إيمانكم ليس عن[٩] بصيرة بل لسبب آخر.

والثاني: قوله: «إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْر» يعني: أنكم تلامذته في السحر، فاصطلحتم[١٠] على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجاً لأمره وتفخيماً لشأنه. ثم بعد إيراد هذه الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيراً لهم عن الإيمان، وتنفيراً لغيرهم عن الاقتداء بهم، فقال: «لأُقَطِّعَنَّ أَيْديكُم وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ»[١١].

قوله: «لأُقَطِّعَنَّ» تقدم نحوه[١٢]، و «مِنْ خِلافٍ» حال أي مختلفة و «مِنْ» لابتداء الغاية، وتقدم تحرير[١٣] هذا، وما قرىء به وقوله: «فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» يحتمل أن يكون

---

(١) في ب: من الوحي والمعجزات العظيمة.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٧.
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٧.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب أن يكون.
(٦) في النبي: سقط من ب.
(٧) في ب: وهي تدل. وهو تحريف.
(٨) أن: سقط من ب.
(٩) عن: سقط من ب.
(١٠) في ب: واصطلحتم.
(١١) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٢) عند قوله تعالى: ﴿**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنَّكم أجمعين**﴾ [الأعراف: ١٢٤].
وذكر ابن عادل هناك: وقرأ مجاهد وابن جبير وحميد المكيّ وابن محيصن «لأقطعنّ» مخففاً من قطع الثلاثي، وكذا «لأصلبنكم» من صلب الثلاثي، وروي ضم اللام وكسرها وهما لغتان في المضارع يقال: صلبه يصلبه ويصلبه. وقوله: «من خلاف» يحتمل أن يكون المعنى أنه يقطع من كل شق طرفاً فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فيكون من خلاف «حالاً»، أي: مختلفة، ويحتمل أن يكون المعنى «لأقطعن» لأجل مخالفتكم إياي فتكون «من» تعليلية.
انظر اللباب ٤/ ٨٥.
(١٣) في ب: تجويز. وهو تحريف.

حقيقة، ففي التفسير[١] أنه نَقَّر[٢] جذوع النخل حتى[٣] جوَّفَها ووضعَهُم[٤] فيها فماتوا[٥] جوعاً وعطشاً[٦] وأن يكون مجازاً، وله وجهان:

أحدهما[٧]: أنه وضع (فِي) مكان[٨] (عَلَى)، والأصل: على جذوع النخل[٩]، كقول الآخر[١٠]:

٣٦٧٥ ـ بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ (بِتَوْأَمِ[١١])[١٢]

والثاني: أنه شبه تمكنهم بتمكن مَنْ حواه الجذع واشتمل عليه، شبه تمكن المصلوب في الجِذْع بتمكُّن الشيء[١٣] الموعَى في وعائه، فلذلك قيل[١٤] «فِي جُذُوعِ النَّخْلِ»[١٥]. ومِنْ تَعدِّي (صَلَبَ) بـ (فِي) قوله:

٣٦٧٦ ـ وَقَدْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فِي جِذْعِ[١٦] نَخْلَةٍ ... فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إلاَّ بِأَجْدَعَا[١٧]

قوله: «أَيُّنَا أَشَدُّ» مبتدأ وخبر، وهذه الجملة سادة مسد المفعولين إنْ كانت (علم) على بابها[١٨]، ومسد واحد[١٩] إنْ كانت عِرفَانِيَّة[٢٠]. ويجوز على جعلها عِرْفانية أن

---

(١) في ب: يحتمل أن يكون في التفسير. وهو تحريف.

(٢) في ب: يقرأ. وهو تحريف. (٣) في ب: حفر. وهو تحريف.

(٤) في ب: ووصفهم. وهو تحريف. (٥) في ب: فيموتوا. وهو تحريف.

(٦) قال أبو البقاء: (قوله تعالى: «في جذوع النخل»: في هنا على بابها، لأن الجذع مكان للمصلوب ومحتوٍ عليه) التبيان ٢/٨٩٧.

(٧) في ب: الأول. (٨) في ب: موضع.

(٩) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٦٨، التبيان ٢/٨٩٧.

(١٠) في ب: كقوله.

(١١) البيت من بحر الكامل، وهو من معلقة عنترة بن شداد.
والشاهد فيه أن (في) بمعنى (علو) أي: على سرحةٍ.

(١٢) ما بين القوسين في ب: يعوام. (١٣) في ب: في الجذع كالشيء.

(١٤) في ب: قال. وهو تحريف. (١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/٨٧.

(١٦) في ب: جذوع. وهو تحريف.

(١٧) البيت من بحر الطويل قاله سويد بن أبي كاهل اليشكرى، ونسبه ابن جني في الخصائص لامرأة من العرب. وهو في مجاز القرآن ٢/٢٤، المقتضب ٢/٣١٨، الكامل ٢/١٠٠١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٦٨، الخصائص ٢/٣١٣، أمالي ابن الشجري ٢/٣٦٧ ابن يعيش ٨/٢١، القرطبي ١١/٢٢٤ اللسان (عبد) المغني ١/١٦٨ شرح شواهده ١/٤٧٩.
العبديّ: نسبة إلى عبد القيس. الأجدع: الأنف المقطوع. والشاهد فيه تعدي (صلب) بـ (في). أو على أن (في) بمعنى (على).

(١٨) في ب: إن كانت علماً بأينا، وهو تحريف. (١٩) في ب: ومسداً واحداً. وهو تحريف.

(٢٠) وذلك لأن (علم) إذا كانت بمعنى أيقن تعدت إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر نحو قوله تعالى: **﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنَّ إلى الكفَّار﴾** [الممتحنة: ١٠] وإن كانت بمعنى عرف تعدت إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى: **﴿والله أخرجكم من بطون أمَّهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾** [النحل: ٧٨] انظر الهمع ١/١٤٩.

تكون «أيّنا» موصولة بمعنى (الذي) وبنيت لأنها قد أضيفت وحذف صدر صلتها و «أَشَدُّ» خبر مبتدأ محذوف، والجملة من ذلك المبتدأ وهذا[١] الخبر صلة لـ «أَيّ»، و «أَيُّ» وما في خبرها في محل نصب مفعولاً به كقوله تعالى: «ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدّ عَلَى الرَّحْمٰنِ»[٢] في أحد وجهيه كما تقدم[٣]. وأراد بقوله: «أَيُّنَا» نفسه ـ لعنه الله ـ وموسى[٤]، لقوله[٥]: «آمَنْتُمْ لَهُ»[٦] و «أَشَدُّ عَذَاباً» أي: أَنَا عَلى إيمانُكم بهِ أو رَبّ موسى على ترك الإيمان به، «وَأَبْقَى» أي: أَدْوَم[٧].

فإن قيل[٨]: إنَّ فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حيَّة عظيمة، وذكر أنها قصدت ابتلاع قصر فرعون، وآلَ الأمرُ إلى أنْ استغاثَ بموسى من شر[٩] ذلك الثعبان، فمع قرب عهده بذلك، وعجزه عن[١٠] دفعه كيف يعقل أن يهدد السحرة، ويبالغ في وعيدهم إلى هذا الحد، ويستهزىء بموسى، ويقول: «أيّنا أَشَدُّ عذاباً»؟

فالجواب: يجوز أن يقال: إنَّه كان في أشد الخوف في قلبه إلا أنَّه كان يظهر الجلادة والوقاحة تمشيةً لِنَامُوسِهِ، وترويجاً لأمره. ومن استقرى أحوال أهل العالم علم أنَّ العاجز[١١] قد يفعل أمثال هذه الأشياء، ويدل على صحة ذلك أن كل عاقل يعلم بالضرورة أن عذابَ الله أشدُّ من عذاب البشر، ثم إنه أنكر ذلك.

وأيضاً: فقد كان عالماً بكذبه في قوله: «إنَّه لكبيرُكُم الذي علَّمكم السِّحر» لأنه علم أنَّ موسى ما خالطهم البتة، وما لقيهم، وكان يعرف من سحرته ويعرف أستاذ كل واحد من هو، وكيف حصَّل ذلك العلم، ثم إنه[١٢] مع ذلك قال هذا الكلام، فثبت أن سبيله في ذلك[١٣] ما ذكرناه، وقال[١٤] ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا في النهار سحرة، وفي آخره شهداء[١٥].

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

قوله: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي لن نختارك على ما جاءنا من

---

(١) هذا: سقط من ب.
(٢) [مريم: ٦٩].
(٣) في أوائل السورة.
(٤) في ب: وموسى عليه الصلاة والسلام.
(٥) في ب: بقوله.
(٦) سبق إلى تقرير هذا المعنى العلامة الزمخشري ٢/ ٤٤١.
(٧) انظر تفسير البغوي ٥/ ٤٤٣.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن تفسير الفخر الرازي ٢٢/ ٨٨.
(٩) شر: سقط من ب.
(١٠) في الأصل: و. وهو تحريف.
(١١) في ب: الفاجر. وهو تصحيف.
(١٢) أنَّه: سقط من الأصل.
(١٣) في ب: سبيل ذلك. وهو تحريف.
(١٤) في ب: فصل قال.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٨٨.

الدلالات. لمَّا هددهم فرعون أجابوه بما يدل على حصول اليقين[١] التام والبصيرة الكاملة في أصول الدين، فقالوا: «لَنْ نُؤْثِرك»، وهذا يدل على أن فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان وإلاَّ فَعَل بهم ما وعدهم، (فأجابوه بقولهم)[٢]: «لَنْ نُؤْثِرَكَ»، وبيَّنوا العلة، وهي أنَّ الذي جاءهم ببيِّنات وأدلة، والذي يذكره فرعون محض الدنيا[٣].

وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحراً فأين حبالُنا وعصيُّنا[٤].

قوله: «والَّذِي فَطَرَنا»[٥] فيه وجهان:

أحدهما: أن الواوَ عاطفة عطفت (هذا الموصول)[٦] على «مَا جَاءَنَا»[٧] أي: لن نؤثرك على الذي جاءَنا وَلاَ على الذي فطَرنَا، أي على طاعة الذي فطرنا وعلى عبادته، وإنما أخروا ذكر الباري تعالى[٨] لأنَّه من باب الترقي من الأدْنَى إلى الأعلى[٩].

والثاني: أنَّه واو قسم، والموصول مقسم به، وجواب القسم محذوف[١٠]، أي وحق الذي فطرنا[١١] لن[١٢] نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكونَ الجواب «لَنْ نُؤْثِرَكَ» عند[١٣] من يجوز تقديم الجواب[١٤]، لأنه لا يجاب القسم بـ «لَنْ» إلا في شذوذ من الكلام[١٥].

قوله: «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» يجوز في «مَا» وجهان:

أظهرهما: أنها موصولة بمعنى الذي، و «أَنْتَ قَاضٍ» صلتها والعائد محذوف، أي

---

(١) في ب: بما يدل على التبيين. وهو تحريف. (٢) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: فقالوا.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٨٩. (٤) انظر البغوي ٥/ ٤٤٣.
(٥) في ب: فطرني. وهو تحريف. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في ب: ما جاء. وهو تحريف. (٨) في ب: تبارك وتعالى.
(٩) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، البيان ٢/ ١٤٨، البحر المحيط ٦/ ٢٦٢.
(١٠) من قبل أنَّ جواب القسم لا يتقدم على المقسم به كما هو المشهور ويكون قوله: «لن نؤثرك» دليل الجواب. انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، البيان ٢/ ١٤٨، البحر المحيط ٦/ ٢٦٢.
(١١) فطرنا. سقط من ب. (١٢) في ب: لا.
(١٣) في ب: على. وهو تحريف.
(١٤) يفهم من كلام ابن هشام في المغني عن حذف جواب القسم أن الفراء وثعلب أجازا تقديم جواب القسم حيث قدرا الجواب في قوله تعالى: ﴿صٓ والقرآن ذي الذِّكر﴾ لأن معناه صدق الله، ورده ابن هشام بأن الجواب لا يتقدم.
انظر المغني ٢/ ٦٤٦. وفي معاني القرآن للفراء: (ولو أرادوا بقولهم: (والذي فطرنا) القسم بها كانت خفضاً، وكان صواباً، كأنهم قالوا: لن نؤثرك والله) ٢/ ١٨٧.
(١٥) وذلك لأنَّ جملة جواب القسم لما كانت متعلقة بالقسم كان لا بدَّ لها من رابط يربطها بها، فجعل للإيجاب حرفان (اللام)، و(إنَّ)، وللنفي حرفان (ما)، و(لا)، ولا يجوز نفي المضارع في جواب القسم بـ (لم) و(لن) لأنهم ينفونه بما يجوز حذفه للاختصار، والعامل الحرفي لا يحذف مع بقاء عمله، وإن أبطلوا العمل لم يتعين النافي المحذوف. انظر شرح الكافية ٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

قاضيه، وجاز حذفه وإن كان مخفوضاً[١]، لأنه منصوب المحل، أي فاقضِ الذي أنت قاضيه[٢].

والثاني: أنها مصدرية ظرفية[٣]، والتقدير: فاقْضِ أمرَك مدة ما أنتَ قاضٍ.

ذكر ذلك أبو البقاء[٤]. ومنع بعضهم جعلَها مصدرية، قال: لأنَّ «مَا» المصدرية لا توصل بالجمل الاسمية. وهذا المنع ليس مجمعاً عليه بل جوَّز ذلك جماعة كثيرة[٥]، ونقل ابن[٦] مالك[٧] أن ذلك يكثر إذا دلَّت (ما) على الظرفية وأنشد:

٣٦٧٧ ـ وَاصِلْ خَلِيلَكَ مَا التَّوَاصُلُ مُمْكِنٌ ... فَـلأَنْـتَ أَوْ هُـوَ عَـنْ قَـلِـيـلٍ ذَاهِـبُ[٨]

ويقل إن كانت[٩] غيرة ظرفية وأنشد:

٣٦٧٨ ـ أَحْلاَمُكُمْ لِسَقَامِ الجَهْلِ شَافِيَةٌ ... كَـمَـا دِمَـاؤُكُـمْ تَـشْـفِـي مِـنَ الـكَـلَـبِ[١٠]

---

(١) في ب: محذوفاً.

(٢) أي: أن العائد المجرور بالإضافة يجوز حذفه إذا كان المضاف الجار للعائد وصفاً ناصباً للعائد تقديراً بأن كان اسم فاعل للحال أو للاستقبال غير ماض خلافاً للكسائي نحو قوله تعالى: «فاقضِ ما أنت قاضٍ». وانظر في حذف العائد المجرور شرح التصريح ١/١٤٦ ـ ١٤٧. وشرح الأشموني ١/١٧٢.

(٣) في ب: ظرفية مصدرية.

(٤) قال أبو البقاء: («ما أنت قاض» في «ما» وجهان: أحدهما: هي بمعنى الذي، أي: افعل الذي أنت عازم عليه، والثاني: هي زمانية أي: اقض أمرك مدة ما أنت قاضٍ) التبيان ٢/٨٩٧.

(٥) ذكر المحقق الرضي أن صلة (ما) المصدرية لا تكون عند سيبويه إلا جملة فعلية. وجوز غيره أن تكون جملة اسمية أيضاً. وهو الحق، وإن كان ذلك قليلاً كقول الشاعر:

أعلاقة أم الوليد بعد ما ... أفنان رأسك كالثغام المخلس

شرح الكافية ٢/٣٨٦، وانظر أيضاً البحر المحيط ٦/٢٦٢.

(٦) في ب: وذلك. وهو تحريف.

(٧) قال ابن مالك: وأما (ما) المصدرية فتوصل بفعل متصرف غير أمر، ومثلها: «لو» إلا أنَّ (ما) تنفرد بنيابتها عن طريق زمان، وصلتها حينئذ فعل ماضي اللفظ مثبت أو مضارع منفي بـ (لم) نحو أصلك ما وصلتني وما لم تصل عمراً، وتوصل ـ أيضاً ـ إذا نابت عن ظرف الزمان بجملة ابتدائية كقول الشاعر:

واصل خليلك ما التواصل ممكن ... فلأنت أو هو عن قريب ذاهب

وقد توصل بها في غير التوقيت كقول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تشفي من الكلب

شرح الكافية الشافية ١/٣٠٦.

(٨) البيت من بحر الكامل لم ينسبه ابن مالك، وهو في شرح الكافية الشافية ١/٣٠٦ شرح التسهيل ١/٢٥٤. والشاهد فيه أنَّ (ما) دلت على الظرفية وصلتها جملة اسمية، وهي (التواصل ممكن) وذلك كثير.

(٩) في ب: ما.

(١٠) البيت من بحر البسيط قاله الكميت بن زيد الأسدي. وهو في ديوانه ١/٨١، شرح الكافية الشافية ١/٣٠٦، شرح التسهيل ١/٢٥٥، واللسان (كلب)، الهمع ١/٨١، ومعاهد التنصيص ٣/٨٨، والدرر =

قوله: «إنَّما تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا» يجوز في «ما» هذه وجهان:

أحدهما: أن تكون المهيئة لدخول[(١)] «إنْ» على الفعل، و «الحَيَاةَ الدُّنْيَا»[(٢)] ظرف لـ «تَقْضِي»، ومفعوله محذوف، أي[(٣)]: يقضي غرضك وأمرك[(٤)]. ويجوز أن تكون الحياة مفعولاً به على الاتساع في الظرف بإجرائه[(٥)] مجرى المفعول به كقولك صُمْتُ يومَ الجمعة، وبدل لذلك قراءة أبي حَيْوة: «تُقْضَى هَذِهِ الحَيَاة» ببناء الفعل[(٦)] للمفعول، ورفع «الحَيَاةُ»[(٧)] لقيامها مقام الفاعل، وذلك أنه[(٨)] اتسع فيه فقام[(٩)] مقام الفاعل فرفع[(١٠)].

والثاني: أنْ تكون «مَا» مصدرية هي اسم «إنَّ»، والخبر الظرف[(١١)] والتقدير: إنَّ قَضاءَك في هذه[(١٢)] الحياة الدنيا، يعني[(١٣)]: إن لَكَ[(١٤)] الدنيا فقط، ولنا الآخرة[(١٥)].

وقال أبو البقاء: فإنْ كانَ قد قُرِىء بالرفع فهو خبر «إن»[(١٦)] يعني لو قرىء برفع «الحَيَاةُ» لكان خبراً لـ «إنَّ»، ويكون اسمها حينئذ «مَا» وهي موصولة بمعنى الذي، وعائدُها محذوف تقديره: إن الذي تقضيه هذه الحياة الدنيا لا غيرها[(١٧)].

قوله: «وَمَا أَكْرَهْتَنَا» يجوز[(١٨)] في «مَا» هذه وجهان:

أحدهما: أنها موصولة[(١٩)] بمعنى «الَّذِي»، وفي محلها احتمالان:

أحدهما: أنَّها منصوبة المحل نسقاً على «خَطَايَانَا» أي ليغفرَ لنا أيضاً الذي أكرهتنا[(٢٠)]. **والاحتمال الثاني**: أنَّها مرفوعة المحل على الابتداء، والخبر محذوف

= ١/ ٥٤. السقام بالفتح: المرض. الكلب بالتحريك: داء يصيب الكلب شبه الجنون. والشاهد فيه أن (ما) مصدرية غير ظرفية، وصلتها جملة اسمية وهي (دماؤكم تشفي من الكلب)، وذلك قليل في غير الظرفية.

(١) في ب: للدخول. وهو تحريف. (٢) في ب: الذي. وهو تحريف.

(٣) في ب: أن. وهو تحريف.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣ البيان ٢/ ١٤٩، التبيان ٢/ ٨٩٧ البحر المحيط ٦/ ٢٦٢.

(٥) في ب: ما جر به. وهو تحريف. (٦) في الأصل: المفعول. وهو تحريف.

(٧) انظر المختصر ٨٨، البحر المحيط ٦/ ٢٦٢، والإتحاف ٣٠٥.

(٨) في ب: لأنه. (٩) مقام: سقط من ب.

(١٠) وذلك أنه لما اتسع في الظرف فأعرب مفعولاً به جاز فيه تبعاً لذلك أن يرفع على النيابة عن الفاعل. وانظر شرح التصريح ١/ ٢٩٠.

(١١) في ب: هي خبر (إنَّ) والاسم الظرف. وهو تحريف.

(١٢) هذه: سقط من ب. (١٣) في ب: أي.

(١٤) أن: سقط من ب.

(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٢. (١٦) التبيان ٢/ ٨٩٧.

(١٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، البيان ٢/ ١٤٩.

(١٨) يجوز: سقط من ب. (١٩) في ب: الأول أن تكون موصولة له.

(٢٠) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣، البيان ٢/ ١٤٩، التبيان ٢/ ٨٩٨.

تقديره: والذي أكرهتنَا عليه من السحر محطوط عنا، أو لا يؤاخذ به (ونحوه)[١][٢] **والوجه الثاني**: أنَّها نافية، قال أبو البقاء: وفي الكلام تقديم[٣] تقديره: ليغفر لنا خطايَانَا من السحر ولم تكرهنا عليه[٤]. وهذا بعيد عن المعنى، والظاهر هو الأول[٥]. و «مِنَ السِّحْرِ» يجوز أن يكون حالاً من الهاء في «عَلَيْه» أو من الموصول[٦]. ويجوز أن تكون لبيان الجنس.

فصل[٧]

قال المفسِّرون: لمَّا علم السحرة أنهم متى أصرُّوا على الإيمان أوقع بهم فرعون ما أوعدهم به فقالوا: «اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» لا على وجه[٨] الأمر، لكن أظهروا أنَّ ذلك الوعيد لا يزيلهم عن إيمانهم البتة، ثم بيَّنُوا ما لأجله يسهل[٩] عليهم احتمال ذلك، فقالوا: «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا» أي قضاؤك وحكمك أن يكون في هذه الحياة (الدنيا)[١٠]. وهي نافية تزول عن قريب، ومطلوبنا سعادة الآخرة، وهي باقية. والعقل يقتضي تحمل الضَّرَر الفاني للتوصل إلى السعادة الباقية. ثم قالوا: «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا»، ولمَّا كان أقرب خطاياهم عهداً ما أظهروه من السحر قالوا: «وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ»، وفي ذلك الإكراه وجوه:

الأول: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ ملوك ذلك الزمان كانوا يأخذون بعض رعيتهم ويكلفونهم تعلم السحر، فإذا شاخ أحدهم بعثوا إليه أحداثاً[١١] ليعلمهم ليكون في كل وقتٍ مَنْ يُحسنه، فقالوا ذلك أي: كُنَّا في التعلم الأول والتعليم[١٢] ثانياً تكرهُنَا، وهو قول الحسن. وقال مقاتل: كانت السَّحَرةُ اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان فرعون أكرههم على تعليم السحر. وقال عبد العزيز بن أبان[١٣]: قالت السحرة لفرعون: أَرِنَا مُوسَى إذا نام، فأراهم موسى نائماً، فوجدوه

---

(١) انظر البيان ٢/ ١٤٩، التبيان ٢/ ٨٩٨.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: مقدم. وهو تحريف.
(٤) التبيان ٢/ ٨٩٨. و«من السحر» على هذا الوجه يتعلق بـ «خطايانا» وعلى الوجه الأول يتعلق بـ «أكرهتنا». انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣.
(٥) في ب: والأول أظهر.
(٦) انظر التبيان ٢/ ٨٩٨.
(٧) هذا الفصل نقله ابن عادل كاملاً ببعض من التصرف من كتابي البغوي (٥/ ٤٤٤) والفخر الرازي ٢٢/ ٨٩).
(٨) في ب: سبيل.
(٩) في ب: سهل.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: أحداً ما. وهو تحريف.
(١٢) في الأصل: والتعليم.
(١٣) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاصي أبو خالد السكوني، نزيل بغداد، روى عن فطر بن خليفة، وهارون بن سليمان الفراء وغيرهما، مات سنة ٢٠٧ هـ. تهذيب التهذيب ٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣١.

تحرسه عصان، فقالوا لفرعون: إن هذا ليس بسحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن يعارضوه.

وقال الحسن: إن السحرة جَرُوا[١] من المدائن ليعارضوا موسى فأحْضرُوا بالحشر وكانوا مكرهين في الحضور لقوله: «وَابْعَثْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سحار عَلِيم»[٢]

وقال عمرو بن عبيد[٣]: دعوة السلطان إكراه. وهذا ضعيف، لأن دعوة السلطان إذا لم يكن معها خوف لم تكن إكراهاً. ثم قالوا: «وَاللَّه خَيْرٌ وَأَبْقَى» قال محمد بن إسحاق: خَيْرٌ منكَ ثواباً، وأبقَى عقاباً لمن عصاه.

وقال محمد بن كعب: خيرٌ منكَ إن أطيع وأبقَى عذاباً منك إن عُصِي[٤].

(وهذا جواب لقوله: «وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى»)[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

قوله: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً» قيل: هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل: من[٦] تمام قول السحرة[٧] ختموا كلامهم بشرح أحوال المجرمين وأحوال المؤمنين في عرصة القيامة. والهاء في «إنّه» ضمير الشأن[٨]، والجملة الشرطية خبرها، و «مُجْرِماً» حال من فاعل «يأت». وقوله: «لاَ يَمُوتُ» يجوز أن يكون حالاً من الهاء في «لَهُ» وأن يكون حالاً

(١) في ب: خرجوا. (٢) [الشعراء: ٣٦، ٣٧].

(٣) هو عمرو بن عبيد التميمي، مولاهم أبو عثمان البصري، رأس المعتزلة على زهده، كان المنصور يعتقد صلاحه، أخذ عن أبي العالية، والحسن، وأخذ عنه الحمّادان، والقطّان، مات سنة ١٤٤ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٢٩١.

(٤) في ب: قال محمد بن كعب: خير منك ثواباً. وقال محمد بن إسحاق خير منك ثواباً وأبقى عقاباً لمن عصاه.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب. (٦) في ب: هذا من.

(٧) انظر البغوي ٥/ ٤٤٥.

(٨) ضمير الشأن مرجعه متأخر لفظاً ورتبة، وهو مخالف للقياس من خمسة أوجه:

أحدها: عوده على ما بعده لزوماً.

والثاني: أن مفسره لا يكون إلا جملة، ولا يشاركه في هذا ضمير.

والثالث: أنه لا يتبع بتابع، فلا يؤكد، ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه.

والرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو أحد نواسخه.

والخامس: أنه ملازم للإفراد فلا يثنى ولا يجمع وإن فسر بحديثين أو أحاديث. ينظر هذا في المغني ٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١. وانظر التبيان ٢/ ٨٩٨.

من جهنم، لأنَّ في الجملة ضمير كل منهما. والمراد بالمجرم المشرك الذي مات[١] على الشرك «فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا» فيستريح «وَلاَ يَحْيَى»[٢] حياة[٣] ينتفع بها. فَإنْ قيلَ: الجسم الحيُّ لا بد[٤] وأن[٥] يبقى حيًّا أو ميتاً فخلوه عن الوصفين محال. فالجواب: أنَّ المعنى يكون في جهنم بأسوأ حال لا يموت موتة مريحة ولا يَحْيَى حياة (ممتعة)[٦][٧].

وقال بعضهم: إن لنا حالاً[٨] ثالثة، وهي كحالة المذبوح قبل أنْ يهدى فلا هو حَيٌّ، لأنه قد ذبح ذبحاً لا يبقى الحياة معه، ولا هو ميت، لأن الروح لم تفارقه بعد فهي حالة[٩] ثالثة.

فصل[١٠]

استدلت المعتزلة[١١] بهذه الآية في القطع على وعيد أصحاب الكبائر، قالوا: صاحب الكبيرة مجرم، وكل مجرم فإنَّ له جَهَنَّم لقوله: «مَنْ يَأْتِ رَبَّه[١٢] مُجْرِماً» وكلمةُ[١٣] (مَنْ)[١٤] في معرض الشرط تفيد العموم بدليل أنه يجوز استثناء كل واحد منها[١٥]، والاستثناء يخرج[١٦] من الكلام ما لولاه لدخل.

وأجيبت بأنه لا نسَلِّم أن[١٧] صاحب الكبيرة مجرم، لأنه تعالى جعل المجرم في مقابلة المؤمن لقوله: «وَمَنْ يَأْتِهِ مؤمِناً»، وقال: «إنَّ الَّذينَ أجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون»[١٨]، وأيضاً: فإنه لا يليق بصاحب الكبيرة أن يقال في حقّه: فَإنَّ[١٩] لَهُ جَهَنَّم لاَ يَكُون بهذا الوصف، وفي الخبر[٢٠] الصحيح «يَخْرُجُ من النَّار مَنْ كانَ في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»[٢١][٢٢]. قال[٢٣] ابنُ الخطيب: وهذه[٢٤] اعتراضات ضعيفة أما قوله:

---

(١) في ب: يموت.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: ولا حياة. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: فلا.
(٥) في ب: أن.
(٦) الفخر الرازي ٢٢/٩١.
(٧) ما بين القوسين ني ب: منفعة. وهو تحريف.
(٨) في النسختين: حال. والصواب ما أثبته.
(٩) في ب: كحالة.
(١٠) في ب: فإن قيل.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٠.
(١٢) ربه: سقط من ب.
(١٣) في ب: وكل وهو تحريف.
(١٤) من: سقط من ب.
(١٥) في ب: منهما وهو تحريف.
(١٦) في ب: مخرج وهو تحريف.
(١٧) في ب: والجواب بأنا لا نسلم بأن. وهو تحريف وفي الفخر الرازي: واعترض بعض المتكلمين من أصحابنا على هذا الكلام فقال.
(١٨) [المطففين: ٢٩].
(١٩) فإن: سقط من ب.
(٢٠) في ب: وفي الحديث.
(٢١) في ب: إيمان.
(٢٢) أخرجه البخاري (الإيمان) ١/ ١٢، (الرقاق) ٨/ ١٤٤، ومسلم (إيمان) ١/ ٩٣ وهو بالمعنى منهما.
(٢٣) في ب: فصل قال.
(٢٤) في ب: هذه.

إنَّ الله تعالى جعل المجرم في مقابلة المؤمن[١] فمسلم لكن هذا إنما ينفع[٢] لو ثبت أن صاحب الكبيرة مؤمن، ومذهب المعتزلة أنه ليس بمؤمن، فهذا المعترض كأنه[٣] بنى هذا الاعتراض على مذهب نفسه وذلك ساقط. وقوله[٤] ثانياً: إنه لا يليق بصاحب الكبيرة (أن يقال في حقه)[٥]: إِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ[٦] لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيى. قلنا[٧]: لا نسلم فإنَّ عذاب جهنَّم في غاية الشدة قال تعالى: «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه»[٨] وأما الحديث فقالوا: القرآن متواتر فلا يعارضه خبر الواحد، ويمكن أن يقال: ثبت في أصول الفقه أنه يجوز تخصيص القرآن بخبر الواحد، وللخصم أن يجيب بأن ذلك يفيد الظن فيجوز الرجوع إليه في العمليات، وهذه المسألة ليست من العمليات بل من الاعتقادات، فلا يجوز الرجوع إليه ههنا.

واعترض آخر فقال: أجمعنا على أن هذه المسألة مشروطة بنفي التوبة وبأن[٩] لا يكون عقابه محبطاً بثواب[١٠] طاعته، والقدر المشترك بين الصورتين هو أن لا يوجد ما يحبط[١١] ذلك العقاب، لكن عندنا العفو مُحْبِطٌ للعقاب، وعندنا أنَّ المجرم الذي لا يوجد في حقه العفو لا بد وأن يدخل جهنم[١٢].

قال[١٣] ابن الخطيب: وهذا الاعتراض أيضاً ضعيف. أمَّا شَرْطُ نفي التوبة فلا[١٤] حاجة إليه، لأنه قال: «مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مجْرِماً»، لأن المجرم اسم ذم، فلا يجوز إطلاقه على صاحب الصغيرة[١٥]، بل الاعتراض الصحيح أن يقول: عموم هذا الوعيد معارض بما جاء بعده من عموم الوعد، وهو قوله تعالى: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُم الدَّرَجَات العُلاَ»، وكلامنا فيمن أتى بالإيمان (والأعمال الصالحة)[١٦] ثم أتى[١٧] بعد ذلك ببعض[١٨] الكبائر[١٩].

فإن قيل[٢٠]: عقاب المعصية يحبط[٢١] ثواب الطاعة. قلنا[٢٢]: لِمَ[٢٣] لا يجوز

---

(١) في ب: جعل المؤمن في مقابلة المجرم.
(٢) في ب: ينتفع به.
(٣) في ب: أنَّه.
(٤) في ب: قوله.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: إن له جهنم فإن قيل: إن له جهنم.
(٧) في ب: فالجواب.
(٨) [آل عمران: ١٩٢].
(٩) في ب: وأن.
(١٠) في ب: لثواب.
(١١) في ب: ما يحتمل. وهو تحريف.
(١٢) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٠.
(١٣) في ب: فصل قال.
(١٤) في ب: لا.
(١٥) في ب: الكبيرة. وهو تحريف.
(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٧) في ب: عمل. وهو تحريف.
(١٨) في ب: بعض. وهو تحريف.
(١٩) الفخر الرازي. ٢٢/ ٩٠.
(٢٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٠ ـ ٩١.
(٢١) في ب: محيط.
(٢٢) قلنا: سقط من ب.
(٢٣) في ب: ولم.

أنْ يقال: ثواب الإيمان يدفع عقابَ المعصية؟ فإن[١] قالوا: فلو كان كذلك لوجب[٢] أن لا يجوز إقامة الحد عليه. قلنا[٣]: أما اللعن فغير جائز عندنا، وأما إقامة الحد فقد[٤] يكون على سبيل المحنة كما في حق التائب، وقد يكون على سبيل التنكيل. قالت المعتزلة[٥]: قوله تعالى: «والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْدِيَهُمَا جزاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ»[٦] فاللَّه[٧] تعالى نصَّ على أَنَّه يجب عليه إقامة الحد على سبيل التنكيل، وكل من كان كذلك استحال أن يكون مستحقاً للمدح والتعظيم، وإذَا[٨] لم يبق ذلك لم يبق الثواب على قولنا: إن عذاب الكبيرة أولى بإزالة ثواب الطاعة المتقدمة من الطاعات بدفع عقاب الكبيرة الطارئة. فقد انتهى كلامهم في مسألة الوعيد.

قلنا[٩]: حاصل الكلام يرجع إلى أنَّ النص الدال على إقامة الحد عليه على سبيل التنكيل صار معارضاً للنصوص الدالة على كونه مستحقاً للثواب، فلم[١٠] كان ترجيح أحدهما على الآخر أولى من العكس، وذلك لأن المؤمن كما ينقسم إلى السَّارق وإلى غير السَّارق، فالسَّارق[١١] ينقسم إلى المؤمن وغير[١٢] المؤمن، فلم يكن لأحدهما مزية على الآخر في العموم والخصوص، وإذا تعارضا تساقطا. ثم نقول[١٣]: لا نُسَلمُ أنَّ كلمة «مَنْ» في إفادة العموم قطعية بل ظنية (ومسألتنا قطعيَّة)[١٤] فلا يجوز[١٥] التعويل على ما ذكرتموه[١٦].

فصل[١٧]

تمسك المجَسِّمة[١٨] بقوله: «مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ»[١٩] فقالوا: الجسم إنما يأتي ربه لو كان الربّ في المكان[٢٠].

وجوابه أنَّ الله تعالى جعل[٢١] إتيانَهُم موضع الوعد[٢٢] إتْيَاناً إلى الله مجازاً

---

(١) في ب: وإن.
(٢) في ب: وجب.
(٣) في ب: فالجواب.
(٤) في ب: قد.
(٥) في ب: فإن قيل قالت المعتزلة.
(٦) [المائدة: ٣٨].
(٧) في ب: فإن الله.
(٨) في ب: وإن.
(٩) في ب: فالجواب.
(١٠) في ب: فإن قيل لم.
(١١) في ب: فالمؤمن ينقسم أعني السارق. زيادة من الناسخ.
(١٢) في ب: والى غير.
(١٣) في ب: والجواب.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٥) في ب: ولا يجوز.
(١٦) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٠ ـ ٩١.
(١٧) في ب: فإن قيل.
(١٨) المجسمة: فرقة متشعبة من الكرامية، وهم الذين يرون الله في صوره جسمية مدعين أن له يدين كيدي الإنسان ورجلين كالإنسان إلى آخره. الملل والنحل ١/ ١٠٨.
(١٩) في ب: من يأت ربه مجرماً.
(٢٠) في ب: مكان.
(٢١) (جعل): تكملة من الفخر الرازي.
(٢٢) في ب: فالجواب أن إتيانهم إلى الله تعالى في موضع الوعد.

كقول[١] إبراهيم عليه السلام[٢]: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ»[٣][٤].

قوله: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً».

قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر[٥] وقالون ويعقوب والآخرون بالإشباع[٦]. «مُؤْمِناً» مات على الإيمان «قَدْ عَمِلَ»[٧] أي وقد عمل الصالحات، واعلم أن قوله: «قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ» يقتضي أن يكون آتياً بكل الصالحات وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن، فينبغي أن يحمل ذلك على أداء الواجبات، ثم ذكر أنَّ مَنْ أتى بالإيمان والأعمال الصالحة كانت لهم الدرجات العلا، ثم[٨] فسر الدرجات العلا فقال: «جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار» وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر، لأنه تعالى جعل الدرجات العلا من الجنة لمن أتى بالإيمان والأعمال الصالحة فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بد وأن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان[٩]. والعلا: جمع العليا، والعليا تأنيث الأعلى[١٠].

قوله: «جَنَّاتُ» بدل من «الدَّرَجَاتُ» أو بيان، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يكون التقدير: هِي جَنَّاتُ، لأن «خَالِدِينَ» على هذا التقدير لا يكون في الكلام ما يعمل في الثاني، وعلى الأول يكون في الحال الاستقرار، أو معنى الإشارة[١١].

قوله: «وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى» قال ابن عباس: يريد من قال: لا إله إلا الله[١٢] ومعنى «تَزَكَّى» تطهَّر من الذنوب، قال عليه السلام[١٣] «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ العُلَى[١٤] لَتَرَوْنَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ[١٥] الدُّرِّي فِي أُفُقِ السَّمَاء، وإِنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَر مِنْهُم»[١٦]. واعلم أنَّه ليس في القرآن أنَّ فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين[١٧] ما أوعدهم، ولم يثبت في الأخبار[١٨].

---

(١) في ب: لقول. وهو تحريف.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) [الصافات: ٩٩].
(٤) الفخر الرازي ٢٢/ ٩١.
(٥) في ب: ويحكها وأبو جعفر.
(٦) السبعة (٢٠٧ ـ ٢١٢).
(٧) في ب: قوله: «قد عمل».
(٨) ثم: سقط من ب.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩١.
(١٠) في لسان العرب (علا): والعلى: جمع العليا أي جمع الصفة العليا والكلمة العليا، ويكون العلى جمع الاسم الأعلى، وصفة الله العليا شهادة أن لا إله إلا الله فهذه أعلى الصفات، ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له.
(١١) التبيان ٢/ ٨٩٨.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩١.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) العلى: سقط من ب.
(١٥) في ب: الكواكب. وهو تحريف.
(١٦) أخرجه الترمذي (مناقب) ٥/ ٢٦٨، ابن ماجه (مقدمة) ١/ ٣٧، أحمد ٣/ ٢٧.
(١٧) في ب: بهؤلاء المؤمنين.
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩١.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ الآية. وفي هذه[١] الآية دلالة على أنَّ موسى ـ عليه السلام[٢] ـ في تلك (الحال كثر مستجيبوه)[٣] فأراد تعالى تمييزهم من طائفة فرعون، فأوحى إليه أن يسري[٤] بهم ليلاً، والسُّرَى سَيْرُ الليل، والإسراء مثله[٥] والحكمة في السُّرَى بهم: لئلا يشاهدهم العدو فيمنعهم عن مرادِهم، أو ليكون ذلك عائقاً لفرعون عن طلبه ومتبعيه[٦] أو ليكون إذا تقارب العسكران لا يرى عسكرُ موسى عسكرَ فرعون فلا[٧] يهابونهم[٨].

قوله: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً» في نصب «طريقاً» وجهان:

أحدهما: أنَّه مفعولٌ به، وذلك على سبيل المجاز، وهو أنَّ الطريقَ متسبَّبٌ عن ضرب البحر، إذ المعنى: اضرب البحرَ لينفلق لهم[٩] فيصير طريقاً[١٠] فبهذا[١١] يصح نسبة الضرب إلى الطريق. وقيل: ضرب هنا[١٢] بمعنى جعل[١٣]، أي: اجعَلْ لهم طريقاً وأشرعه فيه.

والثاني: أنه منصوب على الظرف، قال أبو البقاء: التقدير[١٤] موضع طريق فهو مفعول به[١٥] على الظاهر[١٦]، ونظيره قوله: أن اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ[١٧] وهو مثل ضَرَبْتُ زيداً. وقيل: ضرب هنا[١٨] بمعنى جَعَل وشَرَع مثل قولهم[١٩]: ضَرَبْتُ له

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٢.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) ما بين القوسين بياض في الأصل.
(٤) في ب: أسر.
(٥) في لسان العرب (سرا): السُّرى: سير الليل عامته، وقيل: سير الليل كله تذكره العرب وتؤنثه. وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى، إذا سرت ليلاً، بالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً.
(٦) في ب: ومتابعته.
(٧) لا: سقط من ب.
(٨) آخر ما نقله عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٢.
(٩) في ب: فينفلق.
(١٠) وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.
(١١) في ب: فلهذا.
(١٢) في ب: هذا وهو تحريف.
(١٣) في ب: اجعل. وهو تحريف.
(١٤) في ب: قاله أبو البقاء والتقدير.
(١٥) كذا في التبيان، وفي الأصل: فيه، وفي ب: له فيه. وهو تحريف.
(١٦) في ب: الظاهر به. وهو تحريف.
(١٧) [الشعراء: ٦٣].
(١٨) في ب: هو. وهو تحريف.
(١٩) في ب: قوله. وهو تحريف.

بسهم[١]. انتهى. فقوله[٢] على الظَّاهر، يعني[٣] أنه لولا التأويل لكان ظرفاً. قوله: «يَبَساً» صفة لـ «طريقاً» وصف به لِما[٤] يؤول إليه، لأنه لم يكن[٥] يَبَساً بعد إنَّما مرَّت عليه الصبا[٦] فجففته كما روي في التفسير. وقيل: في الأصل مصدر وصف به مبالغة، (أو على حذف مضاف[٧] أو جمع يابس كخادم وخَدَم، وصف به الواحد مبالغة)[٨] كقوله:

٣٦٧٩ ـ .... وَمِـعًـى جِـيَـاعَـا[٩]

أي كجماعة جِياع، وصف به لفرط جوعه[١٠].

وقرأ الحسن: «يَبْساً» بالسكون، وهو مصدر أيضاً[١١].

وقيل: المفتوح اسم، (والساكن مصدر)[١٢][١٣]. وقرأ أبو حَيْوة: «يَابِساً» اسم فاعل[١٤] جعله بمعنى[١٥] الطريق. ومن قرأ[١٦] «يَبَساً» بتحريك الباء، فالمعنى[١٧]: طريقاً ذا يبس. ومن قرأ بتسكين الباء فهو مخفف عن اليبس[١٨] فالمعنى ما كان فيه وحل ولا نداوة فضلاً عن الماء، وذلك أن الله ـ تعالى[١٩] ـ أَيْبَسَ لهم الطريق في البحر.

---

(١) انظر التبيان ٢/٨٩٨.
(٢) يريد قول أبي البقاء.
(٣) في ب: أعني.
(٤) في ب: بما. وهو تحريف.
(٥) في الأصل لأنه لو لم يكن. وهو تحريف.
(٦) الصبا: ريح وسببها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. اللسان (صبا).
(٧) وذلك على مذهب البصريين في النعت بالمصدر، ومذهب الكوفيين على التأويل بالمشتق. وانظر البيان ٢/١٤٩، ١٥٠، التبيان ٢/٨٩٨.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) جزء بيت من بحر الوافر قاله القطامي وتمامه:

كَـأنَّ نُـسـوعَ رحـلـي حـيـن ضُـمَّـت ... حـوالـبَ غُـرَّزاً ومِـعًـى جِـيَـاعَـا

وهو في ديوانه (٤١)، والكشاف ٢/٤٤٢، اللسان (غرز ـ معى) وشرح شواهد الكشاف ٧٣.
(١٠) انظر الكشاف ٢/٤٤٢.
(١١) انظر المختصر (٨٨)، والبحر المحيط ٦/٢٦٤، الإتحاف (٣٠٦).
(١٢) قاله صاحب اللوامح. البحر المحيط ٦/٢٦٤.
(١٣) ما بين القوسين في ب: والمصدر ساكن.
(١٤) انظر المختصر (٨٨)، والبحر المحيط ٦/٢٦٤.
(١٥) بمعنى: سقط من ب.
(١٦) في ب: جعله. وهو تحريف.
(١٧) في ب: والمعنى.
(١٨) قال الزمخشري: (وقرىء «يبساً» و«يابساً» ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففاً عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس...) الكشاف ٢/٤٤١.
(١٩) تعالى: سقط من ب.

قوله: «لاَ تَخَافُ» العامة على[١] «لاَ تَخَافُ» مرفوعاً[٢]، وفيه أوجه:

أحدها: أنه مستأنف فلا محل له من الإعراب[٣].

الثاني: أنه في محل نصب على الحال من فاعل «اضْرِب»، أي اضْرِب[٤] غير خائف[٥].

والثالث[٦]: أنه صفة لـ «طريقاً»، والعائد محذوف، أي: لاَ تَخافُ فيه[٧] وحمزة وحده من السبعة[٨]: «لاَ تَخَفْ» بالجزم[٩]، وفيه أوجه:

أحدها: أن يكون نهياً مستأنفاً[١٠].

الثاني[١١]: أنَّه نهيٌ أيضاً في محلِ نصب على الحال من فاعل «اضْرِب»، أو صفة لـ «طَرِيقاً» كما تقدم في قراءة العامة[١٢] إلا أن ذلك يحتاج إلى إضمار قول، أي مقولاً لك، أو طريقاً[١٣] مقولاً فيها: لاَ تَخَفْ[١٤] كقوله:

---

(١) لا: سقط من ب.

(٢) وهي قراءة غير حمزة «لا تخاف» رفعاً بالألف. انظر السبعة ٤٢١ الحجة لابن خالويه (٢٤٥)، النشر ٢/ ٣٢١، الإتحاف (٣٠٦).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٤، التبيان ٢/ ٨٩٩.

(٤) اضرب: سقط من ب.

(٥) جوز سيبويه الوجهين حيث قال: (وقال عز وجل: فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى؛ فالرفع على وجهين: على الابتداء، وعلى قوله: اضربه غير خائف ولا خاش) الكتاب ٣/ ٩٨. وانظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٧٣، والكشاف ٢/ ٤٤٢، البيان ٢/ ١٥٠، التبيان ٢/ ٨٩٩، البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٦) في ب: الثالث.

(٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤، التبيان ٢/ ٨٩٩، البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٨) في ب: وحمزة وحده «لا تخاف» وباقي السبعة. وهو تحريف.

(٩) السبعة (٤٢١)، الحجة لابن خالويه (٢٤٥). الكشف ٢/ ١٠٢، النشر ٢/ ٣٢١ الإتحاف (٣٠٦).

(١٠) قال الزجاج: (ومن قال «لا تخف دركاً» فهو نهي عن أن يخاف، ومعناه لا تخف أن يدركك فرعون ولا تخشى الغرق). معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٠.

(١١) في ب: ثانيها.

(١٢) في ب: الفاتحة. وهو تحريف.

(١٣) في ب: أو إضمار طريقاً. وهو تحريف.

(١٤) ذلك لأن من شروط الجملة الواقعة حالاً أو نعتاً أن تكون خبرية، فلا تقع الجملة الطلبية حالاً أو نعتاً، فلا يجوز مررت بزيد اضربه أو لا تهنه ولا مررت برجل اضربه أو لا تهنه. ومن هنا أول النحاة ما ظاهره ذلك على إضمار قول، وتكون الجملة الطلبية مقولاً للقول المضمر، والقول ومعموله إما حال أو نعت حسب الوارد في الكلام، فوقوعه حالاً نحو: لقيت زيداً اضربه. أي مقولاً في حقه هذا القول. ووقوعه نعتاً نحو: جاءوا بمذقٍ هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول عند رؤيته هذا القول. وهذا الوجه من الإعراب في الآية أضعف الوجوه، لأنه يحتاج إلى إضمار وما لا يحتاج إلى إضمار أولى. انظر شرح الأشموني ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧، ٣/ ٦٣ ـ ٦٤.

٣٦٨٠ ـ جَاءُوا بِمَذْق هَلْ رَأيتَ الذِّئْبَ قَطّ[(١)]

الثالث[(٢)]: مجزوم على جواب الأمر، أي: إن[(٣)] تَضْرِبْ طريقاً يبساً لاَ تَخَفْ[(٤)].

قوله: «دَرَكاً» قرأ أبو حَيْوة «دَرْكاً» بسكون الراء[(٥)]. والدَّرَكُ والدَّرْكُ اسمان من الإدراك، أي: لا يُدْرِكك فرعونُ وجنودُه[(٦)] وتقدم الكلام عليهما في سورة النساء[(٧)]، وأن الكوفيين[(٨)] قرءوه بالسُّكون كأبي حيوة هنا[(٩)].

قوله: «وَلاَ تَخْشَى» لم يقرأ إلا بإثبات[(١٠)] الألف، وكان من حق من قرأ «لاَ تَخَفْ» جزماً أن يقرأ «لاَ تَخْشَ» بحذفها كذا قال بعضهم وليس بشيء، لأن القراءة سنة، وفيها[(١١)] أوجه:

أحدها[(١٢)]: أن تكون حالاً، وفيه إشكال، وهو أنَّ المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة الواو له، وتأويله على حذف مبتدأ، أي وأنت لا تخشى[(١٣)]، كقوله:

---

(١) رجز لم ينسبه أحدٌ من الرواة إلى قائله، وقيل: قائله العجاج، وقبله: حتى إذا جنَّ الظلام واختلط.
المذق: اللبن الممزوج بالماء، وأصله مصدر مذقت اللبن إذا مزجته بالماء والشاهد فيه قوله: (هل رأيت الذئب قط) فظاهرها أنها نعت لمذق وهي جملة استفهامية لا ينعت بها فيؤول على إضمار قول تكون هذه الجملة مقولاً له، وهذا القول نعت لمذق.
والتقدير: جاؤوا بمذق مقول فيه عند رؤيته: هل رأيت الذئب قط. وقد تقدم.

(٢) في ب: ثالثها.

(٣) أن: سقط من ب.

(٤) هذا تقدير معنى لا تقدير إعراب، وإلا فالجمهور على الجزم في جواب الأمر وليس على تقدير الشرط المذكور. وانظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤ والتبيان ٢/ ٨٩٩، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٥) انظر المختصر: ٨٨، البحر المحيط ٦/ ٣٦٤.

(٦) الدَّرْك اسم من الإدراك مثل اللَّحق. والدَّرك اللحاق والوصول إلى الشي. أدركته إدراكاً ودركاً، والدرك: التبعة يسكن ويحرك. اللسان (درك).

(٧) عند قوله تعالى: ﴿إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾ [النساء: ١٤٥] وذكر ابن عادل هناك: قرأ الكوفيون بخلاف عن عاصم «الدَّرك» بكسون الراء، والباقون بفتحها، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن الدَّرك والدَّرك لغتان بمعنى واحد كالشمع والشمع، والغدر والغدر. الثاني: أن الدَّرك بالفتح جمع دركة على حد بقر وبقرة، والدَّرك مأخوذ من المداركة، وهي المتابعة، وسميت طبقات النار دركات، لأنَّ بعضها مدارك لبعض، أي: متابعة. انظر اللباب ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢.

(٨) في الأصل: الكوفيون.

(٩) أي أن عاصم وحمزة والكسائي قرأوا «في الدَّرك» ساكنة الراء في سورة النساء مثل أبي حيوة هنا. السبعة (٢٣٩).

(١٠) في الأصل: ثابت. وهو تحريف.

(١١) في ب: وفيه. وهو تحريف.

(١٢) في ب: الأول.

(١٣) انظر البيان ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١، التبيان ٢/ ٨٩٩. وقد تعرضت لهذه المسألة عند قوله تعالى: ﴿إلاَّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنَّة ولا يظلمون شيئاً. جنات عدن التي وعد الرحمن عباده=

٣٦٨١ ـ نَـجَـوْتُ وَأَرْهَـنُـهُـمْ مَـالِـكَـا[١]

والثاني: أنه مستأنف أخبره تعالى أنه لا يحصل له خوف[٢].

والثالث[٣]: أنه مجزوم بحذف الحركة تقديراً[٤]، كقوله:

٣٦٨٢ ـ إِذَا الـعَـجُـوزُ غَـضِـبَـتْ فَـطَـلِّـقِ وَلاَ تَـرضَّـاهَـا وَلاَ تَـمَـلَّـقِ[٥]

وقوله:

٣٦٨٣ ـ كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا[٦]

ومنه «فَلاَ تَنْسَى»[٧] في أحد القولين[٨] إجراءً لحرف[٩] العلة مجرى الحرف الصحيح، وقد تقدم ذلك في سورة يوسف عند قوله تعالى[١٠] «مَنْ يَتَّقِي»[١١].

= بالغيب إنّه كان وعده مأتياً﴾ [مريم: ٦٠ ـ ٦١]. ومما يزاد هنا إذا ورد من كلام العرب ما ظاهره أنّ جملة الحال المصدرة بمضارع مثبت أو منفي بـ (لا) مقرونة بواو حمل على أن المضارع خبر مبتدأ محذوف، وهذا على غير مذهب ابن الناظم في المضارع المنفي بـ (لا) نحو قمت وأصك عينه، أي وأنا أصك. و: وكنت لا ينهنهني الوعيد و:

أكسبته الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعى لأب

انظر شرح الأشموني ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٩.

(١) عجز بيت من بحر المتقارب قاله عبد الله بن همّام السلولي، وصدره: فلمّا خشيت أظافيرهم.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٧٤ البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٣) في ب: الثالث.

(٤) وهذا الوجه ماشٍ على مذهب من يجزم المضارع المعتل الآخر بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله، وهو لغة لبعض العرب. انظر شرح التصريح ١/ ٨٧، الهمع ١/ ٥٢. وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤.

(٥) رجز قاله رؤبة بن العجاج. وهو في ملحقات ديوانه (١٧٩) وإيضاح الشعر ٢٣٤، والخصائص ١/ ٣٠٧، والمنصف ٢/ ١١٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٧٨، والمخصص ١٣/ ٢٥٨، ١٤/ ٩، وأمالي ابن الشجري ١/ ٨٦، الإنصاف ١/ ٢٦، ابن يعيش ١/ ١٠٦، واللسان (رضي)، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٤، والمقاصد النحوية ١/ ٢٣٦ الهمع ١/ ٥٢، شرح التصريح ١/ ٨٧، الخزانة ٨/ ٣٥٩، شرح شواهد الشافية ٤٠٩، الدرر ١/ ٢٨.

(٦) عجز بيت من بحر الطويل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، وهو شاعر جاهلي من شعراء قحطان، وصدره: وتضحك مني شيخة عبشمية.

(٧) من قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦].

(٨) على القول بأن (لا) ناهية. انظر إعراب ثلاثين سورة ٥٧ ـ ٥٨، التبيان ٢/ ١٢٨٣.

(٩) في ب: الحرف. وهو تحريف.

(١٠) قوله تعالى: سقط من الأصل.

(١١) من قوله تعالى: ﴿إنّه من يتق ويصبر﴾ [يوسف: ٩٠].

وذكر ابن عادل هناك ما ملخصه: قرأ قنبل بإثبات الياء وصلاً ووقفاً والباقون بحذفها فأما قراءة الجماعة فواضحة لأنه مجزوم، وأما قراءة قنبل فاختلف فيها فقيل: إنَّ إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب وأنشدوا: =

الرابع: أنه مجزوم أيضاً بحذف حرف العلة، وهذه الألف[1] ليست تلك، أعني لام الكلمة، إنما هي ألف إشباع أُتِيَ بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي[2]، فهي كالألف في قوله: «الرَّسُولا»[3] و[4] «السَّبِيلاَ»[5]، و «الظُّنُونَا»[6].

وهذه الأوجه إنما يحتاج إليها في قراءة جزم «لاَ تَخَفْ»، وأما من قرأه مرفوعاً فهذا معطوف عليه، أي لا تَخَافُ إدْرَاكَ فرعون ولا تخشى الغرقَ[7].

قوله: «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» قال أبو مسلم: يزعم رواة اللغة أنَّ «أَتْبَعَهُمْ وتَبِعَهُمْ» واحد، وذلك جائز[8] ويحتمل أن تكون الباء زائدة، أي أتبعَهُم فرعونُ جنوده[9] كقوله: «لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي»[10] (أَسْرَى بِعَبْدِهِ)[11][12][13].

وقال غيره[14]: في بَاء «بجنوده» أوجه:

أحدها[15]: أن تكون الباء للحال، وذلك على أن (أَتْبَعَ) متعد[16] لاثنين حذف ثانيهما، والتقدير: فَأَتْبَعَهُمْ فرعونُ عقابَه[17]، وقدَّره أبو حيَّان: رُؤَسَاءَه وحشَمَهُ[18].

قال شهاب الدين: والأول أحسن[19].

= إذا العجوز غضبت فطلِّق ... ولا ترضَّاها ولا تملَّق

وقيل: إن الجزم بحذف الحركة وإبقاء حرف العلة على حاله انظر اللباب ٥/ ٦٨.

(١) في ب: العلة. وهو تحريف.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٢، البيان ٢/ ١٥١، التبيان ٢/ ٨٩٩، البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٣) من قوله تعالى: **﴿يوم نقلَّب وجوههم في النَّار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾** [الأحزاب: ٦٦].

(٤) و: سقط من ب.

(٥) من قوله تعالى: **﴿وقالوا ربَّنا إنَّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلُّونا السبيلا﴾** [الأحزاب: ٦٧].

(٦) من قوله تعالى: **﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾** [الأحزاب: ١٠] وذلك أن نافعاً وابن عامر وأبو بكر قرأوا بالألف في الثلاثة في الوصل والوقف. وكذلك حفص وابن كثير والكسائي غير أنهم يحذفون الألف في الوصل، وحجة من قرأ بهذه القراة موافقة الفواصل ورؤوس الآي. انظر الكشف ٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٨٩٩.

(٨) فتكون الباء معدية: لأن أتبع مثل تبع يتعدَّى إلى واحد، فإذا تعدَّى إلى الثاني يكون بواسطة حرف التعدية وهو الباء. وانظر فعلت وأفعلت للزجاج (١٢). والفخر الرازي ٢٢/ ٩٣.

(٩) وهي زائدة في المفعول الثاني، وذلك على أن أتبع يتعدَّى إلى اثنين، فتكون الهمزة هي المعدية.

(١٠) من قوله تعالى: **﴿قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾** [طه: ٩٤].

(١١) من قوله تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** [الإسراء: ١].

(١٢) الفخر الرازي ٢٢/ ٩٣.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٤) في ب: وقال بعضهم.

(١٥) في ب: الأول.

(١٦) في ب: متعدي.

(١٧) انظر التبيان ٢/ ١٥١، والتبيان ٢/ ٨٩٩.

(١٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(١٩) الدر المصون ٥/ ٣٤.

والثاني(١): أن الباءَ زائدة في المفعول الثاني(٢). والتقدير: فَأَتْبَعَهُمْ فِرعون جنوده، كقوله تعالى: «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ»(٣).

٣٦٨٤ ـ (..................................... **لاَ يَقْرأْنَ بالسُّوَرِ**(٤))(٥)

وأتبع قد جاء متعدياً(٦) لاثنين مصرح بهما قال تعالى: وأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ(٧).

والثالث(٨): أنها معدية(٩) على أن «أَتْبَعَ»، قد يتعدى لواحد بمعنى(١٠) تَبِع ويجوز على هذا الوجه(١١) أن تكون الباء للحال أيضاً، بل هو الأظهر. وقرأ أبو عمرو في رواية(١٢) والحسن «فاتَّبَعَهُمْ» بالتشديد، وكذلك قراءة الحسن في جميع القرآن إلا في قوله: «فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»(١٣). قوله: «مَا غَشِيَهُمْ» فاعل «غَشيَهُمْ»(١٤) وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم أي(١٥): ما يقل لفظها ويكثر معناها، أي فَغَشِيهُمْ مَا لا يعلم كنهه إلا الله تعالى(١٦) وقراءة الأعمش «فَغَشَّاهُمْ» مضعَّفاً(١٧)، وفي الفاعل حينئذ(١٨) ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه «مَا غَشَّاهُمْ» كالقراءة قبله، أي غطَّاهم من اليَمِّ ما غطَّاهم.

والثاني(١٩): هو ضمير الباري تعالى. أي: فَغَشَّاهُم(٢٠) الله.

---

(١) في ب: الثاني.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(٣) في ب: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]. لأن الباء زائدة يقال: ألقى يده، وألقى بيده. انظر التبيان ١/ ١٥٩.

(٤) جزء من بيت من بحر البسيط يروى لشاعرين متعاصرين: أحدهما الراعي النميري، والآخر القتال الكلابي. وتمامه:

هُنَّ الحرائر لا ربَّات أخمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

والبيت في مجالس ثعلب ١/ ٣٠١، المخصص ١٤/ ٥٧٠، ابن يعيش ٨/ ٢٣، المغني ١/ ٢٩، ١٠٩، ٢/ ٦٧٥، وشرح شواهده ١/ ٩١، ٣٣٦، والخزانة ٩/ ١٠٧.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من ب.

(٦) في ب: وقد أتبع قد يجيء متعدياً. وهو تحريف.

(٧) من قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا واتَّبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [الطور: ٢١] وأتبعناهم ذرياتهم قراءة أبي عمرو السبعة ٦١٢.

(٨) في ب: الثالث.

(٩) في ب: متعدية.

(١٠) انظر التبيان ٢/ ٨٩٩. فيكون تعدى إلى الثاني بواسطة الباء.

(١١) الوجه: سقط من ب.

(١٢) هي رواية أبي عبيد. انظر السبعة ٤٣٢، تفسير ابن عطية ١٠/ ٦٣.

(١٣) [الصافات: ١٠]. وانظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(١٥) في النسختين: إلى. والصواب ما أثبته.

(١٦) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٢.

(١٧) المختصر: ٨٨، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٤.

(١٨) في ب: صفة. وهو تحريف.

(١٩) في ب: وثانيها.

(٢٠) في ب: غشاهم.

والثالث[١]: هو ضمير فرعون، لأنه السبب في إهلاكهم[٢].

وعلى هذين الوجهين: فـ «مَا غَشَّاهُمْ» في محل نصب مفعولاً ثانياً[٣].

فصل

قيل[٤]: أمرَ فرعونُ جنوده أن يَتْبَعُوا[٥] موسى وقومه[٦]، وكان هو فيهم «فَغَشِيَهُم» أصابهم «مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم»، وهو الغرق.

وقيل: «غَشِيَهُمْ» علاهم وسترهم[٧] «مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ» يريد بعض ماء اليم لا كلّه.

وقيل: غَشِيَهُم من اليَمِّ ما غشي[٨] قوم موسى فغرقوا هم ونَجَا موسى وقومه[٩].

قوله[١٠] «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى» أي بما أرشدهم، وهذا تكذيب لفرعون، وتهكم به في قوله: «وَمَا أَهْدِيكُمْ إلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ»[١١] احتج القاضي بقوله: «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَه» وقال: لو كان الضلال من خلق الله لما جاز أن يقال: «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ» بل وجب أن يقال: «اللَّهُ أَضَلَّهُمْ»[١٢]، لأن الله ذمَّه بذلك[١٣]، فكيف يكون خالقاً للكفر، لأنَّ مَنْ ذمَّ غيره بشيء لا بد وأنْ يكون المذموم هو الذي فعله وإلا استحق[١٤] الذم[١٥].

فصل

قال ابن عبَّاس[١٦]: لمَّا أمر الله تعالى موسى أن يقطعَ بقومه[١٧] البحر، وكان بنو[١٨] إسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحُلِيّ والدواب لعيد يخرجون إليه، فخرج بهم

---

(١) في ب: وثالثها.
(٢) والأوجه الثلاثة في الفاعل في الكشاف ٣/ ٤٤٢.
(٣) لأن الفعل قد استوفى فاعله.
(٤) من هنا نقله ابن عادل من تفسير البغوي ٥/ ٤٤٧.
(٥) في ب: أن يتبعهم. وهو تحريف.
(٦) في ب: وقوله. وهو تحريف.
(٧) في ب: وقيل: غشاهم وسترهم.
(٨) في ب: غشاهم من اليم بل غشّى. وهو تحريف.
(٩) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٤٧.
(١٠) قوله: سقط من الأصل.
(١١) من قوله تعالى: **﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾** [غافر: ٢٩].
(١٢) في ب: ضلهم.
(١٣) في ب: وأن الله تعالى ذمَّهم بذلك أي ذمه بذلك. وهو تحريف.
(١٤) في ب: يستحق.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٣.
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٣ ـ ٩٤.
(١٧) في ب: بقوله. وهو تحريف.
(١٨) في النسختين بنوا. والصواب ما أثبته.

ليلاً. وكان يوسف عليه السلام[١] عهد إليهم عند موته أن يخرجوا[٢] بعظامه[٣] معهم من مصر، فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فأخذوه، وقال موسى عليه السلام[٤] للعجوز: احتكمي. فقالت: أكون معك في الجنة. فلما خرجوا تَبِعَهُم فرعون، فلما انتهى موسى إلى البحر، (قال: هنا أُمِرْتُ، فَأَوْحَى اللَّه إليه أن اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ)[٥]، فضربه فانفلق، فقال لهم موسى: ادخلوا فيه قالوا: كيف وهي رطبة؟ فدعا ربّه فهبت عليهم الصبا فجفت[٦]. فقالوا: نخاف الغرق في بعضنا، فجعل بينَهُم كوًى[٧] حتى يرى بعضهُم بعضاً، ثم دخلوا حتى جازوا[٨]، وأقبل فرعون إلى تلك الطرق، فقال له قومه: إنَّ موسى قد سَحَر البَحْرَ كما ترى، وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه السلام (على فرس أنثَى في ثَلاثَةٍ وثلاثين من الملائكة، فصار جبريل عليه السلام بين يدي فرعون)[٩]. فأبصر الحصانُ الفرسَ فاقتحم بفرعون على أثرها، وصاحت الملائكة في الناس الحقُوا حتى إذا دخل آخرهم، وكاد أولهم أن يخرج[١٠] التقى البحر عليهم، فغرقوا، فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم، وقالوا: يا موسى ادْعُ اللَّهَ أنْ[١١] يخرجهم لنا (حتى ننظر إليهم)[١٢]، فلفظهم البحر إلى الساحل وأصابوا من سِلاحِهم.

قال ابن عبَّاس: إنَّ جبريل عليه السلام[١٣] قال: يا محمد لو رأيتني وأنا أدسّ فرعون في الماء والطين مخافة أن يتوب. فهذا معنى «فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم»[١٤].

قال[١٥] ابن الخطيب: وفي القصة أبحاث:

الأول: قال بعض المفسرين: إن موسى لما ضربَ البحرَ انفرق اثنا عشر طريقاً يابساً، وبقي الماء قائماً بين الطريقين كالطود العظيم وهو الجبل، فأخذ كلُّ سبط[١٦] من بني إسرائيل في طريق، وهو معنى قوله تعالى: «فَكَانَ[١٧] كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ»[١٨]

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في الأصل: خرجوا. وهو تحريف.
(٣) في ب: لعظامه. وهو تحريف.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: فجففت. وهو تحريف.
(٧) كوى جمع كوَّة: الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه. اللسان (كوى).
(٨) في الأصل: جاز. وهو تحريف.
(٩) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي، وفي الأصل: فرعون بين. وفي ب: من يدي فرعون. وهو تحريف.
(١٠) في ب: أن يقرب من الخروج.
(١١) أن: تكملة من الفخر الرازي.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) عليه السلام: سقط من ب.
(١٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٩٣ ـ ٩٤.
(١٥) في ب: فصل قال.
(١٦) السِّبط: الفرقة.
(١٧) في الأصل: نصار. وهو تحريف. وفي ب: فانفلق فكان. . . .
(١٨) [الشعراء: ٦٣].

ومنهم من قال: إنَّما حصل طريق واحد[١] لقوله: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً» ويمكن حمله على الجنس.

الثاني: أن قول بني إسرائيل بعد أن أظهر الله لهم الطرق وبينها تعنتوا وقالوا نريدُ أنْ يرى بعضُنا بعضاً فهذا كالبعيد، لأن القومَ لما أبْصَروا مجيء فرعون صاروا في نهاية الخوف[٢]، والخائف إذا وجد طريق الفِرار والخلاص كيف يتفرغ للتعنت البارد[٣].

الثالث: أنَّ فرعونَ كان عاقِلاً بل كان في نهاية الدهاء[٤] فكيف اختار إلقاء نفسه في التهلكة[٥]، فإنه كان يعلم من نفسه أن انفلاق[٦] البَحْر ليس بأمره، وذكروا[٧] عند هذا وجهين[٨]:

أحدهما: أنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ كان على الرَّمَكَة[٩] فتبعه فرس فرعون. ولقائلٍ أن يقول: هذا بعيد، لأنه يبعد أن يكون خوضُ الملك في أمثال هذه المواضع مقدماً على خوض جميع العسكر. وأيضاً فلو كان الأمر على ما قالوا لكان فرعون في ذلك الدخول كالمجبور، وذلك مما يزيده خوفاً، ويحمله عن الإمساك على الدخول. وأيضاً: فأيُّ حاجةٍ لجبريل عليه السلام إلى هذه الحيلة، وقد كان يمكنه أن يأخذه مع فرسه ويرميه في الماء ابتداء؟ بل الأولى أن يقال: إنه أمر مقدمة العسكر بالدخول فدخلوا وما غرقوا[١٠] فغلب على ظنه السلامة، فلما دخل[١١] أغرقهم الله.

الرابع: أن قولهم عن جبريل إنه كان يدسه في الماء والطين خوفاً من[١٢] أن يؤمن فبعيد، لأن المنع من الإيمان لا يليق بالملائكة والأنبياء.

الخامس: روي أن موسى عليه السلام[١٣] كَلَّم البحرَ فقال انفلق[١٤] لي لأعبر[١٥]، فقال البحر: لا يَمُرُّ عليَّ رجل عاص. وهذا[١٦] غير ممتنع على أصول أهل السنة، لأن عندهم البنية ليست شرطاً للحياة، وعند المعتزلة أن ذلك على لسان الحال لا على[١٧] لسان المقال[١٨].

---

(١) في ب: واحد.

(٢) في ب: شدة.

(٣) في ب: كيف يتخلص ويتفرغ للتعنف البارد. وهو تحريف.

(٤) في ب: الدعاء. وهو تحريف.

(٥) في التهلكة: سقط من ب.

(٦) في ب: انقلاب. وهو تحريف.

(٧) في ب: ذكروا.

(٨) في ب: بوجهين. وهو تحريف.

(٩) الرَّمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل، معرب والجمع رمك وأرماك جمع الجمع الجوهري: الرَّمكة: الأنثى من البراذين، والجمع رماكٌ ورمكاتٌ وأرماكٌ (عن الفراء) مثل ثمار وأثمار. اللسان (رمك).

(١٠) في ب: وما عرفوا. وهو تصحيف.

(١١) في ب: فلمَّا دخلوا. وهو تحريف.

(١٢) من: سقط من الأصل.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٤) في ب: الفرق. وهو تحريف.

(١٥) في ب: لا غيره. وهو تحريف.

(١٦) في ب: وهو.

(١٧) في ب: لا على سبيل.

(١٨) الفخر الرازي ٢٢/ ٩٤.

قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

قوله تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُم» الآية.

قرأ الأخوان «قَدْ أَنْجَيْتُكُمْ» و«وَاعَدتُكُمْ»[١] و «رَزَقْتُكُمْ» بتاء المتكلم. والباقون: «أَنْجَيْنَاكُمْ»[٢] و «وَاعَدْنَاكُمْ» و «رَزَقْنَاكُمْ» بنون العظمة[٣] واتفقوا على «وَنَزَّلْنَا» وتقدم خلاف أبي عمرو في[٤] «وَعَدْنَا»[٥] في البقرة[٦].

وقرأ حميد «نَجَّيْنَاكُمْ» بالتشديد[٧]. وقرىء[٨] «الأَيْمَنِ» بالجر[٩]. قال الزمخشري: خفض على الجوار كقولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ[١٠].

وجعله أبو حيان شاذاً ضعيفاً[١١]، وخرَّجه على أنَّه نعت «الطُّورِ».

قال: وصف به[١٢] لما فيه من اليُمْنِ، أو لكونه على يَمِينِ من[١٣] يستقبل الجبل[١٤] و «جَانِبَ» مفعول ثان على حذف مضاف، أي إتيان جانب. ولا يجوز أن يكون المفعول الثاني محذوفاً[١٥]، «وجَانِبَ» ظرف للوعد، والتقدير: وواعدناكم التوراة في هذا المكان، لأنه ظرف مكان مختص لا يصل إليه الفعل بنفسه[١٦]، وكما لو قيل:

---

(١) في ب: ووعدتكم. (٢) في ب: قد أنجيناكم.
(٣) السبعة (٤٢٢)، الحجة لابن خالويه (٢٤٥)، الكشف ٢/١٠٣، ٢/٣٢١، الاتحاف (٣٠٦).
(٤) في ب: وفي. (٥) في ب: واعدنا.
(٦) من قوله تعالى: **﴿وإذ واعدنا موسى أربعين أربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾** [البقرة: ٥١].
(٧) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٥. (٨) في ب: وقراء. وهو تحريف.
(٩) انظر الكشاف ٢/٤٤٢، البحر المحيط ٦/٢٦٥.
(١٠) هذا هو المسمى بالإعراب على الجوار، وقد وضحه ابن هشام بقوله: أن يعطى الشيء حكم الشيء إذا جاوره كقول بعضهم: هذا جحر ضبٍّ خرب بالجر، وذكر أمثلة أخرى شعرية وقرآنية، ثم قال: والذي عليه المحققون أنَّ خفض الجوار يكون في النعت قليلاً، وفي التوكيد نادراً. (ينظر المغني ٢/٦٨٢ ـ ٦٨٣) وانظر الكشاف ٢/٤٤٢.
(١١) سبق إلى هذا القول أبا حيان السيرافي وابن جني حيث أنكرا الخفض على الجوار، وقالا في المثال السابق: إن (خرب) صفة نصب على أن الأصل هذا حجر ضبٍّ خربٍ حجره، ثم أنيب المضاف إليه عن المضاف فارتفع واستتر. قال ابن هشام: ويلزمهما استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هي له وذلك لا يجوز عند البصريين وإن أمن اللبس. انظر المغني ٢/٦٨٢ ـ ٦٨٣.
(١٢) في ب: بذلك. (١٣) من: سقط من ب.
(١٤) البحر المحيط ٦/٢٦٥. (١٥) في ب: مرفوعاً. وهو تحريف.
(١٦) هذا بناء على ما ذهبوا إليه من أنه لا ينصب على الظرفية من أسماء المكان إلا ما كان مبهماً كأسماء الجهات وناحية وجانب ومكان. وما كان مشتقاً من اسم الحدث المشتق من الفعل، وهو ما يعرف =

إنه تُوسِّع في هذا الظرف فجعل مفعولاً به: أي جعل نفس الموعود[١] نحو: سير عليه فرسخَان وبريدان[٢]. قوله: «فَيَحِلَّ» قرأ[٣] العامة فَيَحِل بكسر الحاء واللام من «يَحْلِلْ». والكسائي بضمهما[٤].

وابن عيينة وافق العامة في الحاء، والكسائي في اللام[٥]. فالعامة[٦] من حَلَّ عليه كذا، أي: وَجَبَ، من حَلَّ الدَّيْنُ يَحِلُّ، أي: وجب قضاؤه[٧]، ومنه قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّه»[٨]، ومنه أيضاً: «وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ»[٩].

وقراءة الكسائي من حَلَّ يَحُلُّ، أي نزل[١٠]، ومنه «أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ»[١١] والمشهور أن فاعل «يَحِلُّ» في القراءتين هو «غَضَبِي» وقال صاحب اللوامح[١٢]: إنه مفعول به، وأن الفاعل ترك لشهرته والتقدير: فيحل عليكم طُغْيَانُكُمْ غَضَبِي، ودل على ذلك «وَلاَ تَطْغَوْا» ولا يجوز[١٣] أن يسند إلى «غَضَبِي» فيصير في موضع رفع[١٤] بفعله. ثم قال: وقد يحذف المفعول للدليل[١٥] عليه وهو العذاب ونحوه[١٦] قال شهاب الدين:

= بالمصدر الميمي. ويرى كثير من النحاة ومنهم الرضي استثناء (جانب) من المبهم وما في معناه كجهة، ووجه، وكنف، وجوف البيت، وخارج الدار، وداخلها... فيمتنع نصبها على الظرفية المكانية لعدم إبهامها، ويوجب جرها بالحرف (في) صريحاً، وعلى ذلك لا يجوز نصب جانب على الظرفية لأنه مختص. انظر شرح الكافية ١/ ١٨٤، شرح التصريح ١/ ٣٤١. وانظر أيضاً مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥، ٢/ ١٥١، التبيان ٢/ ٨٩٩.

(١) في ب: أي جعل نفس المخفوض وهو الموعود.

(٢) لأن الفرسخ والبريد من أسماء المقادير وهي شبيهة بالمبهم فنصب على الظرفية، فيجوز أن يسند إليه الفعل في الاتساع. بخلاف (جانب) لأنه ظرف مختص، فلا يجوز نصبه على الظرفية بل يجب جره بـ (في) صريحاً.

(٣) في ب: ليحل قراءة. وهو تحريف.

(٤) السبعة (٤٢٢)، الحجة لابن خالوية (٢٤٥)، الكشف ٢/ ١٠٣، النشر ٢/ ٣٢١ الإتحاف (٣٠٦).

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(٦) في الأصل: فقراءة.

(٧) أي أنهم بنوه على فعل يفعل، وهي لغة مسموعة، حكى أبو زيد: حلَّ عليه أمر الله يحلُّ. الكشف ٢/ ١٠٣. وقال ابن منظور: وإذا قلت: المحل بكسر الحاء فهو من حلَّ يحلُّ أي وجب يجب. اللسان (حلل).

(٨) [البقرة: ١٩٦].

(٩) [هود: ٣٩]. [الزمر: ٤٠].

(١٠) أي أنَّه بناه على فعل يفعل جعله بمنزلة ما يحل في مكان، حكى أبو زيد وغيره: حلَّ في المكان يحُلُّ حلولاً ومحلاً وحللاً بفك التضعيف نادر وذلك نزول القوم بمحلَّة، وهو نقيض الارتحال. اللسان (حلل).

(١١) [الرعد: ٣١].

(١٢) قال ذلك توجيهاً لقراءة قتادة وابن وثاب والأعمش «فيحلُّ» بضم الياء وكسر الحاء. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(١٣) في البحر المحيط: وقد يجوز.

(١٤) رفع: سقط من ب.

(١٥) في ب: لدليل.

(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

فعندَه أنَّ حَلَّ متعد بنفسه، لأنه من الإحلال كما صرح هو به(١)، وإذا كان من الإحلال تعدَّى لواحدٍ، وذلك المتعدي إليه إما «غَضَبِي» (على أن الفاعل)(٢) ضمير(٣) عائد على الطغيان كما قدَّره، وإما محذوفٌ والفاعل(٤) «غَضَبِي»، وفي عبارته قلق(٥). وقرأ طلحة «لاَ يَحِلَّنَّ عَلَيْكُمْ» بلا الناهية وكسر الحاء وفتح اللام من يَحْلِلْنَ(٦) ونون التوكيد المشددة(٧)، أي: لا تتعرضوا للطغيان فيحق عليكم غضبي، وهو من باب لا أَرَيَنَّكَ هاهنا(٨).

وقرأ زيد بن علي «وَلاَ تَطْغُوْا» بضم الغين(٩) من طغى يطغو كغَزَا يَغْزو(١٠).

وقوله: «فَيَحِلَّ» يجوز أن يكون مجزوماً عطفاً على «لاَ تَطْغَوْا» كذا قال أبو البقاء(١١). وفيه نظر، إذ المعنى ليس على نهي الغضب أن يَحِلَّ بهم.

والثاني: أنه منصوب بإضمار (أَنْ) في جواب النهي، وهو(١٢) واضح(١٣).

فصل

اعلم أن الله تعالى لمَّا أنعم على قوم موسى ـ عليه السلام(١٤) ـ بأنواع النعم ذكرهم، ولا شك أنَّ إزالة الضرر يجب تقديمه على إيصال المنفعة، وإيصال المنفعة الدينية أعظم من إيصال المنفعة الدنيوية، فلهذا بدأ تعالى بإزالة الضرر بقوله: «أَنْجَيْنَاكُمْ

---

(١) لأنه قال قبل قوله: إنه مفعول به: (فيحلُّ بضم الياء وكسر الحاء من الإحلال فهو متعد من حلَّ بنفسه والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته..) البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب. (٣) في ب: لأن الضمير. وهو تحريف.

(٤) في ب: والفاعل على. وهو تحريف.

(٥) الدر المصون ٥/ ٣٥. والقلق الذي في عبارة صاحب اللوامح هو قوله: (وقد يحذف المفعول للدليل عليه وهو العذاب ونحوه) فمعنى هذا أنَّ (غضبي) فاعل (يحلُّ) والمفعول محذوف، فكلامه هذا يتعارض مع قوله: ولا يجوز أن يسند إلى «غضبي» فيصير في موضع رفع بفعله.
وفي البحر المحيط: «وقد يجوز» وهو ما يزيل القلق الذي رآه شهاب الدين انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(٦) تقدّم. (٧) البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(٨) تقدّم. (٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٥.

(١٠) أي أنّ أصل لامه واو، قال ابن منظور: الأزهري: الليث: الطغيان والطغوان لغة فيه، والطغوى بالفتح مثله. والفعل طغوت وطغيت، والاسم الطغوى، ابن سيده: طغى يطغى طغياً ويطغو طغياناً جاوز الحد وارتفع وعلا في الكفر. اللسان (طغى).

(١١) فيكون نهياً. انظر التبيان ٢/ ٨٩٩. (١٢) في ب: هو. وهو تحريف.

(١٣) فالنصب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء الواقعة في جواب النهي. ويرى الكوفيون أنَّ النصب بالفاء نفسها. الإنصاف ٢/ ٥٥٧.

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

مِنْ عَدُوِّكُمْ»، فإن فرعون كان يُنزِل بهم أنواع الظلم، والإذلال، والأعمال الشاقة. ثم ذكر المنفعة الدينية وهي قوله: «وَوَاعَدْنَاكُمْ[١] جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنِ» وذلك أنه أنزل عليهم في ذلك الوقت[٢] كتاباً فيه بيان دينهم وشريعتهم، أو لأنهم حصل لهم شرف بسبب ذلك[٣].

قال المفسرون[٤]: وليس للجبل يمينٌ ولا يسار بل المراد أنَّ طور سيناء عن[٥] يمين السالك من مصر[٦] إلى الشام[٧]. ثم ثلَّث بذكر[٨] المنفعة الدنيوية فقال: «وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم المَنَّ والسَّلْوَى» «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» أمر إباحة.

ثم زجرهم عن العصيان فقال: «وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ»[٩] قال ابن عباس: لا يظلم بعضُكم بعضاً فيأخذه مِنْ صَاحِبه[١٠]. وقال مقاتل والضحاك: لا تظلموا فيه أنفسَكم بأن تُجَاوِزُوا حدّ الإباحَة وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة أي لا تستعينوا بنعمتي[١١] على مخالفتي ولا تُعْرِضوا عن الشكر، ولا تعدِلوا عن الحلال إلى الحرام[١٦] والمراد بالطَّيِّبات هاهنا[١٢] اللذائذ، لأن المن والسَّلوى من لذائذ الأطعمة. وقال الكَلْبي ومقاتل: الطَّيِّبات الحلالُ، وذلك لأن الله تعالى أنزله إليهم، ولم يمسه يدي الآدميين[١٣]. روي أنهم كانوا يُصبِحون[١٤] فيجدونه بين[١٥] بيوتهم فيأخذون منه[١٦] قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى الغد، ومن ادخر لأكثر[١٧] من ذلك فسد، ومن أخذ منه قليلاً كفاه، أو كثيراً لم يفضل عنه، فيصنعون منه مثل الخبز وهو[١٨] في غاية البياض والحلاوة، فإذا كان آخر النهار غشيهم طيْرُ ٱلسَّلوى فيقنصون منها بلا كلفة ما يكفيهم لعشائهم، وإذا كان الصيف ظلَّل عليهم الغمام يقيهم حر الشمس. ثم قال: «فَيَحِلَّ عَلَيْكُم غَضَبِي» أي يجب عليكم غضبي[١٩] «وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى» أي هَلك وقيل: شَقِي. وقيل: وقع في الهاوية: هوى يهوي هوياً إذا سقط[٢٠] من علو إلى سُفْلٍ[٢١].

---

(١) في النسختين: «وعدناكم».
(٢) في النسختين القرب. وما أثبته هو الصواب.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٥.
(٤) في ب: قال بعض المفسرين.
(٥) في ب: من. وهو تحريف.
(٦) في ب: من أرض مصر.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٥ ـ ٩٦.
(٨) في الأصل: ذكر. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٥.
(١٠) في الأصل: ذكر. وهو تحريف.
(١١) في الأصل: نعمتي.
(١٢) في ب: هنا.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٦٩.
(١٤) في ب: وروي أنهم كانوا يفتتحون.
(١٥) في ب: في بين. وهو تحريف.
(١٦) منه: سقط من ب.
(١٧) في ب: ومن ادخر منه أكثر.
(١٨) في ب: وهي. وهو تحريف.
(١٩) غضبي: سقط من ب.
(٢٠) في ب: إذا سقط به.
(٢١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٦، اللسان (هوى).

ثم قال: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ»[١].

واعلم أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافراً وغفوراً وغفَّاراً، وبأن له غفراناً ومغفرةً، وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والأمر. أما كون وصفه غافراً فقوله[٢]: «غَافِرِ الذَّنْبِ»[٣] وأما كونه غفُوراً فقوله: «وَرَبُّكَ الغَفُورُ»[٤] (وأما كونه غفَّاراً فقوله: «وإنِّي لغفَّار)[٥] لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ»[٦]. وأما الغفران فقوله: «غُفْرَانَكَ رَبَّنَا»[٧].

وأما المغفرة فقوله[٨]: «وإنَّ رَبَّك لَذُو[٩] مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ»[١٠].

وأما صيغة الماضي فقوله في حق داود: «فَغَفَرْنَا لَهُ»[١١].

وأما صيغة المستقبل فقوله: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»[١٢] وقوله: «إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً»[١٣] وقوله: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ»[١٤] وأما لفظ الاستغفار فقوله[١٥]: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ»[١٦] «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ[١٧] آمَنُوا»[١٨] وهاهنا نكتة وهي أنَّ العبد له أسماء ثلاثة: الظالم، والظَّلوم، والظَّلاَّم إذا كثر منه الظلم، ولله في مقابلة كل واحد[١٩] من هذه الأسماء اسماً فكأنه تعالى قال: إن كنتَ ظالماً فأنا غافرٌ، وإن كنت ظلوماً فأنا غفُورٌ، وإن كنت ظلاَّماً فأنَا غفَّارٌ[٢٠].

قال ابن عباس[٢١]: «مَنْ تَابَ» عن الشرك «وَآمَنَ» وَحَّدَ الله وصدّقه «وَعَمِلَ صَالِحاً» أدَّى الفرائض «ثُمَّ اهْتَدَى» علم أنَّ ذلك توفيق من الله عز وجل. وقال قتادة وسفيان[٢٢]

(١) في ب: وآمن وعمل صالحاً.
(٢) في ب: وإنما وصف نفسه بكونه غافراً قوله.
(٣) [غافر: ٣].
(٤) في ب: وأما قوله غفورٌ، وقوله: **﴿وربك الغفور﴾**. من قوله تعالى: **﴿وربُّك الغفور ذو الرّحمة﴾** [الكهف: ٥٨].
(٥) ما بين المعقوفين سقط من ب.
(٦) [طه: ٨٢].
(٧) في ب: **﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** [البقرة: ٢٨٥].
(٨) في ب: وأما المغفرة فقوله «وربّك الغفور» وقوله. وهو تحريف.
(٩) في الأصل: لذوا. وهو تحريف.
(١٠) في ب: على الناس. وهو تحريف.
(١١) من قوله تعالى: **﴿فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مئاب﴾** [ص: ٢٥].
(١٢) [النساء: ٤٨، ١١٦].
(١٣) [الزمر: ٥٣].
(١٤) [الفتح: ٢].
(١٥) فقوله: سقط من ب.
(١٦) في ب: **﴿واستغفروا ربّكم﴾** [هود: ٣، ٥٢، ٩٠] و [نوح: ١٠].
(١٧) [غافر: ٧].
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/٩٦.
(١٩) في ب: كل اسم.
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/٩٧.
(٢١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/٤٤٩.
(٢٢) سفيان: سقط من ب.

الثوري: لزم الإسلام حتى مات عليه. وقال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أنَّ لذلك ثواباً. وقال زيد بن أسلم: تعلَّم العلم ليهتدي كيف يعمل. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة(١).

فصل

قال بعضهم: تجبُ التوبةُ عن الكفر أولاً ثم الإتيان بالإيمان ثانياً، لهذه(٢) الآية، فإنه(٣) قدم التوبة على الإيمان.

ودلَّت هذه الآية أيضاً(٤) على أن(٥) العمل الصالح غيرُ(٦) داخلٍ في الإيمان، لأنه تعالى عطف العمل الصالح على الإيمان، والمعطوف يغاير المعطوف عليه(٧).

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.

قوله تعالى: «وَمَا أَعْجَلَكَ» مبتدأ وخبر(٨). و «مَا» استفهامية عن سبب التقدم(٩) على قومه.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: «مَا أَعْجَلَكَ» سؤال عن سبب العجلة، فكان(١٠) الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال: طلبُ زيادة رضَاكَ، أو الشوق إلى كلامك(١١) وتنجز موعدك(١٢)، وقوله: «هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي» كَمَا تَرَى غير منطبق عليه.

قلت: قد تضمَّن(١٣) ما واجهه به رب العزة شيئين:

أحدهما: إنكار العجلة في نفسها.

والثاني: السؤال عن سبب التقدم والحامل عليه، فكان(١٤) أهم الأمرين إلى موسى بسط(١٥) العذر، وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه(١٦) فاعتلَّ بأنَّه لم يوجد منِّي(١٧) إلا تقدمٌ يسير مثله لا يعتد به في العادة، ولا يحتفل به، وليس بيني وبين من سبقته(١٨) إلا

(١) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٤٩.
(٢) في ب: كهذه. وهو تحريف.
(٣) في ب: لأنه.
(٤) في ب: ودلت هذه الإيمان. وهو تحريف.
(٥) أنَّ: سقط من ب.
(٦) في ب: أنه غير.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٩٨.
(٨) انظر البيان ٢/ ١٥٢، التبيان ٢/ ٩٠٠.
(٩) في ب: المتقدم. وهو تحريف.
(١٠) في ب: وكان.
(١١) في ب: وشوق كلامك. وهو تحريف.
(١٢) في ب: موضعك. وهو تحريف.
(١٣) في ب: قلت يتضمن. وهو تحريف.
(١٤) في ب: وكان.
(١٥) في ب: لبسط. وهو تحريف.
(١٦) في ب: في نفس الأمر إما أنكر عليه.
(١٧) كذا في الكشاف، وفي النسختين: شيء. وهو تحريف.
(١٨) في ب: سبق. وهو تحريف.

مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمتهم، ثم[١] عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى».

وأجاب غيره عن هذا السؤال بأنه ـ عليه السلام[٢] ـ ورد عليه من هيبة عتاب الله ما أذهله[٣] عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام[٤].

فصل[٥]

في الآية سؤالات:

الأول: قوله: «وَمَا أَعْجَلَكَ» استفهام، وهو على الله تعالى محال.

والجواب: أنه إنكار[٦] في صيغة الاستفهام ولا امتناع فيه[٧].

الثاني: أنَّ موسى ـ عليه السلام[٨] ـ إما أن يقال: إنَّه كان ممنوعاً عن ذلك التقدم، أو لم يكن ممنوعاً عنه، فإن كان ممنوعاً كان ذلك التقدم معصية فيلزم[٩] وقوع المعصية من الأنبياء، وإن لم يَكُنْ ممنوعاً كان ذلك الإنكار غير جائز.

والجواب: لعله ـ عليه السلام[١٠] ـ ما وجد نصًّا في ذلك إلا أنَّه باجتهاده تقدم فأخطأ في ذلك الاجتهاد فاستوجب العتاب.

الثالث: قوله: «وَعَجِلْتُ» والعجلة مذمومة.

والجواب: أنها ممدوحة في الدين قال الله تعالى[١١]: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ»[١٢].

الرابع: قوله «لِتَرْضَى» يدل على أنَّه ـ عليه السلام[١٣] ـ إنَّما فعل ذلك ليحصل الرِّضا لله تعالى، وذلك باطل من وجهين:

أحدهما: يلزم تجدد صفة الله.

والآخر: أنه ـ تعالى ـ قبل حصول ذلك[١٤] الرضا يجب أن يقال: (إنَّه ما)[١٥] كان راضياً عن موسى، لأنَّ تحصيل الحاصل محال، ولما لَمْ يكن راضياً عنه وجب[١٦] أن

---

(١) ثم: سقط من ب.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) عبارة الزمخشري: ولقائلٍ أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك.
(٤) الكشاف ٢/٤٤٣.
(٥) هذا الفصل نقله ابن عادل كاملاً عن الفخر الرازي ٢٢/٩٨ ـ ٩٩.
(٦) في النسختين: كان.
(٧) في ب: والامتناع به.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في الأصل: ويلزم.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في ب: قال تعالى.
(١٢) [آل عمران: ١٣٣].
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) ذلك: مكرر في الأصل.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) في ب: يوجب.

يكون ساخطاً عليه، وذلك لا يليق بحال الأنبياء.

والجواب المراد تحصيل دوام الرضا كقوله: «ثُمَّ اهْتَدَى» المراد دوام الاهتداء.

الخامس: قوله «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عيَّنه الله له وإلا لم يكن تعجيلاً[1]، ثم ظن أنَّ[2] مخالفة أمر الله سبب[3] لتحصيل رضاه، وذلك لا يليق بأجهل الناس فضلاً عن كليم الله[4].

والجواب: أن ذلك كان باجتهادٍ وأخطأ فيه.

السادس: قوله: «إِلَيْكَ» يقتضي كون الله في الجهة، لأن «إلى» لانتهاء الغاية.

والجواب: اتفقنا على أنَّ الله ـ تعالى ـ لم يكن في الجبل، فالمراد[5] إلى مكان وعدك.

فصل

دلت الآية على أنَّه تعالى أمره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون: هم السَّبعُون الذين اختارهم الله من جملة بني إسرائيل[6]، يذهبون معه إلى الطور ليأخذوا التوراة، فسار بهم موسى، ثم عجَّل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله له: «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى» قال مجيباً لربه «هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي» أي: بالقرب منِّي يأتون من بعدي «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» لتزداد رِضًى[7].

قوله: «هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي» كقوله: «ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ»[8] و «عَلَى أَثَرِي» يجوز أن يكونَ خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً[9] وقرأ الجمهور: «أُولاَءِ» بهمزة مكسورة[10].

والحسن وابنُ[11] معاذ بياء مكسورة، وإبدال الهمزة ياءً (تخفيفاً[12])[13].

---

(١) في ب: ليلاً. وهو تحريف.
(٢) أنَّ: سقط من ب.
(٣) في ب: بسبب. وهو تحريف.
(٤) في ب: عن كليم الله موسى.
(٥) في ب: والمراد.
(٦) في ب: واختارهم أنَّه من بني إسرائيل.
(٧) انظر البغوي ٥/٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٨) [البقرة: ٨٥] أي أنَّ قوله: «هم أولاء على أثري» مثل قوله «ثمَّ انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» في الإعراب، فـ «هم» مبتدأ، و «أولاء» خبره، و «على أثري» حال من «أولاء». ويجوز على مذهب الكوفيين أن يكون «أولاء» اسماً موصولاً و «على أثري» صلته. انظر البيان ١/١٠٢ ـ ١٠٤، التبيان ١/٨٦، ٢/٩٠٠.
(٩) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٧.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٧. وذلك على لغة الحجازيين. و «أولاء» اسم إشارة للجمع ممدوداً عن الحجازيين، مقصوراً عند بني تميم. انظر شرح الأشموني ١/١٣٩.
(١١) في ب: ابن، بدون واو العطف.
(١٢) المختصر (٨٨)، البحر المحيط ٦/٢٦٧.
(١٣) ما بين القوسين في ب: مخففاً.

وابن وثاب «أُولى» بالقصر دون همزة[١].

وقرأت طائفة «أُولاَيَ» بياء مفتوحة، وهي قريبة من الغلط[٢] والجمهور «عَلَى أَثَرِي» بفتح الهمزة والثاء.

وأبو عمرو في رواية عبد الوارث، وزيد بن علي «إِثْري» بكسر الهمزة وسكون الثاء[٣] وعيسى بضمها وسكون الثاء، وحكاها الكسائي (لغة)[٤][٥].

قوله: «فَإِنَّا[٦] قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ» أي: ابتلينا الذين خَلَّفتَهُم[٧] مع هارون، وكانوا ستمائة ألف، فَأُفْتِنُوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً من بعدك من بعد انطلاقك إلى الجبل[٨].

فصل[٩]

قالت المعتزلة: لا يجوز أن يكون المرادُ أنَّ الله ـ تعالى ـ خلقَ فيهم الكفر لوجهين:

الأول: الدلائل العقلية (الدالة على)[١٠] أنه لا يجوز من الله ـ تعالى ـ أن يفعل ذلك.

والثاني[١١]: أنَّه قال: «وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيّ».

وأيضاً: فلأن موسى لمَّا طالبَهُم بذكر[١٢] سبب الفتنة، فقال: «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ»[١٣] فلو[١٤] حصل ذلك بخلق الله لكان لهم أن يقولوا السبب فيه أن الله خلقه فِينَا لا ما ذكرت، فكان يبطل كلام موسى ـ عليه السلام[١٥] ـ. وأيضاً[١٦] فقوله: «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» ولو كان[١٧] ذلك بخلقه لاستحال أن يغضبَ عليهم فيما هو الخالق له[١٨]، ولما بطل ذلك وجب أن

---

(١) على لغة بني تميم. المختصر ٨٨، البحر المحيط ٦/ ٢٦٧.

(٢) حكاها الفراء ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩، وقال الزجاج (لا وجه لها، لأن الياء لا تكون بعد ألف آخرة إلا للإضافة نحو «هداي») معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧١.

(٣) انظر المختصر (٨٨)، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٧. و «أثري» بفتح الهمزة والثاء، و «إثري» بكسر الهمزة وسكون الثاء بمعن الأثر لغتان. اللسان (أثر).

(٤) انظر المختصر: (٨٨)، البحر المحيط ٦/ ٢٦٧.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في ب: «قال فإنَّا....».

(٧) في ب: خلفهم. وهو تحريف.

(٨) انظر البغوي ٥/ ٤٥٠.

(٩) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٠ ـ ١٠١.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في ب: الثاني.

(١٢) في ب: لم يذكر. وهو تحريف.

(١٣) [طه: ٦٨].

(١٤) في ب: أعني لو.

(١٥) عليه السلام: سقط من ب.

(١٦) في ب: أيضاً.

(١٧) في ب: فلو حصل.

(١٨) في ب: فبما هو خلقه.

يكون لقوله: «فَتَنَّا» معنًى[١] آخر، وذلك لأن الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان، يقال: فَتَنْتُ الذَّهَبَ بالنار إذا امتحنته بالنار فتميز الجيد من الرديء[٢]، فهاهنا[٣] شدَّد الله التكليف عليهم، لأن السَّامِرِيَّ لما أخرج لهم العجل صاروا مكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة العالم والأجسام على أنَّ له إلٰهاً ليس بجسم وحينئذ يعرفون[٤] أن العجل لا يصلح للإلهية فكان هذا التعبد تشديداً في التكليف، (والتشديد في التكليف)[٥] موجود.

قال تعالى: «أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ»[٦].

والجواب: ليس في ظهور صوت من عجلٍ[٧] متخذٍ[٨] من الذهب شبهة أعظم مما[٩] في الشمس والقمر، والدليل[١٠] الذي ينفي كون الشمس والقمر إلهاً أولى بأن ينفي كون العجل إلهاً، فحينئذ لا يكون حدوث العجل تشديداً في التكليف[١١] ولا يصح حمل الآية عليه، فوجب حمله على خلق الضلال فيهم.

وقوله[١٢]: أضاف الإضلال إلى السَّامري. قلنا: أليس أن جميع المسببات العادية تضاف إلى أسباب من الظاهر وإن كان الموجد هو الله ـ تعالى[١٣] ـ فكذا هاهنا. وأيضاً قرىء «وَأَضَلُّهُم[١٤] السَّامِرِيّ» أي[١٥]: وأشد ضلالّهم السامري، وعلى هذا[١٦] لا يبقى للمعتزلة استدلال، ثم الذي يحسم مادة الشغب مسألة الداعي. قوله: «وَأَضَلَّهُم السَّامِرِي» العامة على أنه فعلٌ ماض مسند إلى السامري[١٧].

وقرأ أبو معاذ «وَأَضَلُّهُم» مرفوعاً بالابتداء، وهو أفعل تفضيل، و «السَّامِرِيُّ» خبره[١٨].

ومعنى «أَضَلَّهُمْ» أي: دَعَاهم وصَرفَهُم إلى عبادة العِجْل، وأضاف الإضلال إلى السَّامِرِيّ، لأنهم ضلوا بسببه[١٩]. قال ابن عباس[٢٠] في رواية سعيد بن جبير: كان السامري عِلْجاً[٢١] من أهل كِرْمان وقع إلى مصر، وكان من قوم يعبدون البقر، والأكثرون

---

(١) في ب: أمراً. وهو تحريف.
(٢) اللسان (فَتَنَ).
(٣) في ب: فهنا.
(٤) في النسختين: يعرفوا. والصواب ما أثبته.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) [العنكبوت: ٢].
(٧) من: سقط من ب.
(٨) متخذ: سقط من ب.
(٩) في ب: ما.
(١٠) الدليل: سقط من ب.
(١١) في ب: في التشبيه والتكليف.
(١٢) في ب: فإن قيل.
(١٣) تعالى: سقط من ب.
(١٤) في ب: فأضلهم.
(١٥) أي: سقط من ب.
(١٦) في ب: على.
(١٧) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٧.
(١٨) انظر المختصر: ٨٩، البحر المحيط ٦/٢٦٧.
(١٩) انظر البغوي ٥/٤٥٠.
(٢٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٠١.
(٢١) العلج: الرجل الشديد الغليظ، وقيل: كلُّ ذي لحية، والجمع أعلاج وعُلُوج. اللسان (عَلَجَ).

على أنه كان من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: السَّامرة. قاله الزجاج(١).

وقال عطاء عن ابن عباس كان الرجلُ من القبطِ جاراً لموسى وقد آمن رُوِيَ أنهم أقاموا(٢) بعد مفارقة موسى عشرين(٣) ليلة وحسبوها أربعين مع أيَّامِها، وقالوا قد أكملنا العدة، ثم كان(٤) أمر العجل بعد ذلك.

فإن قيل: كيف التوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه «إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ».

فالجواب(٥) من وجهين:

الأول(٦): أنه تعالى أخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة(٧) الكائنة على عادته كقوله: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ»(٨) «وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ»(٩) إلى غير ذلك.

الثاني: أنَّ السامري شرع في تدبير الأمر لما غاب موسى ـ عليه السلام(١٠) ـ ثم رجع موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر(١١) ذي الحجة(١٢).

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾.

قوله: «غَضْبَانَ أَسِفاً» حالان(١٣)، وقد تقدم في سورة الأعراف(١٤) قيل: الأسف(١٥) شدة الغضب، فلا يلزم التكرار، لأنَّ «غَضْبَانَ» يفيد أصل الغضب، و «أَسِفاً» يفيد كماله. وقال الأكثرون(١٦): حُزْناً وجَزَعاً، يقال: أسف يأسَف أسَفاً فهو أسِفٌ، إذا

---

(١) قال الزجاج: (قال بعض أهل التفسير: السَّامري علج من أهل كرمان والأكثر في التفسير أنَّه كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامرة وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين). معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧١.

(٢) في ب: روي أنه كان. وهو تحريف.

(٣) في الأصل: عشرون. وهو تحريف.

(٤) في ب: وقد كان.

(٥) في ب: فالجواب عن ذلك.

(٦) في ب: أحدهما.

(٧) في ب: بلفظ القدرة الموجودة.

(٨) [القمر: ١].

(٩) [الأعراف: ٤٤].

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: وعشرة.

(١٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠١.

(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٦٨.

(١٤) عند قوله تعالى: **﴿ولمَّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني بعدي أعجلتم أمر ربكم﴾** [الأعراف: ١٥٠].

(١٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠١ بتصرف يسير.

(١٦) في ب: قال بعض المفسرين.

حزن[١]. وقيل: الأسف: المغتاظ، وفرقٌ بين الاغتياظ والغضب، لأنَّ الله تعالى لا يوصف بالغيظ ويُوصَف من حيث أن الغضب إرادة الإضرار بالمغضوب عليه[٢]، والغيظ تغيُّرٌ يلحقُ المُغتاظ[٣] وذلك لا يصح إلا على الأجسام كالضحك والبكاء، ثم إن موسى - عليه السلام[٤] - عاتبهم بعد رجوعه[٥] فقال: «يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً»[٦] قيل: المراد بالوعد الحسن[٧] إنزال التوراة. وقيل: الثواب على الطاعات.

وقال مجاهد: العهد. وهو قوله: «وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ» إلى قوله: «ثُمَّ اهْتَدَى»[٨] (ويدل عليه قوله بعد ذلك)[٩] «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُّمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَّبِّكُمْ» فكأنه قال: أفنسيتم ذلك الذي قال الله لكم: «وَلاَ تَطْغوا» وقيل: الوعد الحسن[١٠] هاهنا يحتمل أن يكون وعداً حسناً في منافع الدين وأن يكون في منافع الدنيا. أما منافع الدين: فهو الوعد بإنزال الكتاب الهادي إلى الشرائع، والوعد بحصول الثواب العظيم في الآخرة. وأما منافع الدنيا فإن الله تعالى قد وعدهم قبل إهلاك[١١] فرعون أن يورثهم أرضَهُم (وديارَهُم[١٢])[١٣].

فإن قيل: قوله: «أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبّكُمْ» هذا الكلام إنما يتوجه عليهم لو كانوا معترفين بإلهٍ آخر سوى العجل، وأمَّا لمَّا اعتقدوا أنه لا إله سواه على ما أخبر الله عنهم أنهم[١٤] قالوا: «هَذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى»[١٥] كيف يتوجه عليهم هذا الكلام؟

فالجواب[١٦]: أنهم كانوا معترفين بالإله لكنهم عبدوا العجل على التأويل الذي يذكره عبَّاد الأصنام[١٧].

قوله: «وَعْداً حَسَناً» يجوز أن يكون مصدراً مؤكداً[١٨]، والمفعول الثاني محذوف

---

(١) اللسان (أسف).
(٢) وفي اللسان (غضب): وأمَّا غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه.
(٣) وفي اللسان (غيظ): فإن الغيظ صفة تغير المخلوق عند احتداده بتحرك لها، والله يتعالى عن ذلك.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠١. (٦) في ب: وعداً حسناً صدقاً.
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٢ بتصرف يسير.
(٨) [طه: ٨١، ٨٢].
(٩) ما بين القوسين سقط من ب، وفيها وقوله.
(١٠) في ب: وقيل: الوعد الحسن المراد به.
(١١) في ب: هلاك.
(١٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٢.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) أنَّهم: سقط من ب.
(١٥) [طه: ٨٨].
(١٦) في ب: الجواب.
(١٧) هذا التأويل - والله أعلم - ما ورد في قوله تعالى: **﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إنَّ الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إنَّ الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾** [الزمر: ٣] وانظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠١ - ١٠٢.
(١٨) فيعرب مفعولاً مطلقاً.

تقديره: وعدكم بالكتاب والهداية، أو يترك المفعول الثاني ليعم. ويجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود(١) فيكون هو المفعول الثاني(٢).

قوله: «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ» أيْ أقصيْتم(٣) ذلك العهد. وقيل: أفَطَالَ عليكم مدة مفارقتي إياكم. وطول العهد يحتمل أموراً(٤):

أحدها(٥): أفطال عليكم العهد بنعم(٦) الله من إنْجَائكُم من فرعون، وغير ذلك من النعم المذكورة في أول سورة البقرة كقوله تعالى(٧): «فَطَالَ عَلَيْهِمُ(٨) الأَمَرُ فقست قُلُوبُهُمْ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»(٩).

وثانيها(١٠): روي أنَّهم عرفوا أنَّ الأجل أربعون ليلةً فجعلوا كلَّ يوم بإزاء ليلة وردُّوه إلى عشرين. قال القاضي: هذا ركيك لأن ذلك لا يكاد يشتبه على أحد.

وثالثها(١١): أنَّ موسى ـ عليه السلام(١٢) ـ وعدهُم(١٣) ثلاثين ليلةً فلما زاده الله فيها عشرة(١٤) أخرى طال العهد(١٥).

قوله: «أَمْ أَرَدْتُم أَنْ(١٦) يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَّبِّكُمْ» هذا لا يمكن(١٧) إجراؤه على ظاهره لأنَّ أحداً لا يريد ذلك(١٨)، ولكن المعصية (لما كانت)(١٩) توجب ذلك، ومريد السبب مريد(٢٠) للمسبب(٢١)، أي أرَدْتُم أن تفعلوا(٢٢) فعلاً يوجب عليكم الغضب(٢٣) من ربكم(٢٤).

«فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي»، وهذا يدل على موعد كان فيه ـ عليه السلام(٢٥) ـ مع القوم،

---

(١) فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول.
(٢) انظر البيان ٢/١٥٢، والتبيان ٢/٩٠٠.
(٣) في الأصل: أنسيتم.
(٤) في ب: أمور. وهو تحريف.
(٥) في ب: الأول.
(٦) في ب: من نعم.
(٧) تعالى: سقط من ب.
(٨) في ب: عَلَيْكم. وهو تحريف.
(٩) [الحديد: ١٦].
(١٠) في ب: الثاني.
(١١) في ب: الثاني. وهو تحريف.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) في ب: أوعدهم. وهو تحريف.
(١٤) في ب: ليلة. وهو تحريف. والأولى التعبير بعشر موافقة للقرآن حيث قال الله تعالى: **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ﴾** [الأعراف: ١٤٢] ويمكن الاعتذار للمؤلف بأنه على تقدير «عشرة أيام».
(١٥) الفخر الرازي ٢٢/١٠٢.
(١٦) أن: مكررة في ب.
(١٧) في ب: لا يجوز.
(١٨) في ب: لأن ذلك لا يريده أحد.
(١٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٠) في الأصل: مريداً. وهو تحريف.
(٢١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٢.
(٢٢) في ب: أي أردتم أن تجعلوا أعني أن تفعلوا.
(٢٣) في ب: غضب.
(٢٤) فيكون من باب المجاز المرسل الذي علاقته السببية، حيث أطلق المسبب وأراد السبب.
(٢٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

فقيل: المراد ما وعدوه من اللحاق والمجيء على أثره. وقيل: ما وعدوه من الإقامة على دينه إلى أن يرجع إليهم من الطور[١] و «مَوْعدي» مصدر[٢] يجوز أن يكون مضافاً لفاعله بمعنى أَوَجَدْتَمُونِي أَخْلَفْتُكُم ما وعْدتُكُمْ. وأن يكون مضافاً لمفعوله بمعنى: أنهم وعدوه أن يتمسكوا بدينه وسنته[٣].

قوله: «بِمَلْكِنَا» قرأ الأخوان[٤] بضم الميم، ونافع وعاصم بفتحها والباقون بكسرها[٥]. فقيل: لغات بمعنى واحد[٦] كالنَّقْضِ والنُّقضِ والنِّقضِ[٧]، فهي مصادر، ومعناها القدرة والتسلط. وفرق الفارسي وغيره[٨] بينهما، فقال[٩]: المضموم معناه: لم يكن مُلْكٌ فتُخْلِفُ موعدك بسلطانه، وإنما فعلناه بنظر واجتهاد، فالمعنى على أن ليس له ملك كقول ذي الرُّمة:

٣٦٨٥ ـ لاَ يُشْتَكَى سَقْطَةٌ مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ ... بِهَا الـمَـفَـاوِزُ حَـتَّـى ظَـهْـرُهَـا حَـدِبُ[١٠]

أي لا يقع منها سَقْطَة فَتَشْتَكي[١١].

وفتح الميم مصدر من مَلَكَ أمره، والمعنى: ما فعلناه بأنَّا ملكنا الصواب، بل غلبتنا أنفسنا. وكسر الميم كَثُر فيما تحوزه اليد وتحويه، ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الإنسان، ومعناها كمعنى التي قبلها.

والمصدر في هذين الوجهين مضاف لفاعله، والمفعول[١٢] محذوف أي: بِمَلْكِنَا

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٢.

(٢) موعدي مصدر وَعَدَ، وذلك لأنَّ المصدر الميمي من المثال الواوي الذي تحذف فاؤه في المضارع يكون على مفعل بكسر العين كموعد وموضع. التبيان في تصريف الأسماء ٥١ ـ ٥٢.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٨.

(٤) وهما حمزة والكسائي.

(٥) انظر السبعة (٣٣٢، ٤٢٣) الحجة لابن خالويه (٤٤٦)، الكشف ٢/ ١٠٤ النشر ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢، الإتحاف (٣٠٦).

(٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥، التبيان ٢/ ٩٠٠، البحر المحيط ٦/ ٢٦٨ وانظر أيضاً اللسان (مَلَكَ).

(٧) في ب: كالبغض والنقض. وهو تحريف. والنقض: إفساد ما أبرمت من عقْدٍ أو بناء. انظر اللسان (نقض).

(٨) وهم مكي، وابن الأنباري، والعكبري. انظر الكشف ٢/ ١٠٤، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥، البيان ٢/ ١٥٢، التبيان ٢/ ٩٠٠ ـ ٩٠١.

(٩) في ب: فقيل.

(١٠) البيت من بحر البسيط قاله ذو الرُّمة وهو في ديوانه (١/ ٤٤)، تفسير ابن عطية ١٠/ ٧٤ البحر المحيط ٦/ ٢٦٨. السَّقطة: السقوط والعثرة. المفاوز: جمع مفازة. وهي الصحراء التي لا ماء فيها. الحَدَب: خروج الظهر، ودخول البطن والصدر.

(١١) في ب: فتشكوا. وهو تحريف.

(١٢) في ب: والمصدر. وهو تحريف.

الصوابَ[١]. قوله: «حُمِّلْنَا» قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم المشددة وأبو جعفر كذلك إلا أنه خفف الميم. (والباقون بفتحها خفيفة الميم[٢])[٣]. فالقراءة الأولى والثانية نسبوا فيهما[٤] الفعل إلى غيرهم[٥].

وفي الثالثة[٦] نسبوه إلى أنفسهم[٧] و «أَوْزَاراً»[٨] مفعول ثان على غير القراءة الثالثة[٩]. و «مِنْ زِينَةِ» يجوز أن يكون متعلقاً[١٠] بـ «حُمِّلْنَا»، وأن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه صفة لـ «أَوْزَاراً».

وقوله: «فَكَذَلِكَ» نعت لمصدر[١١] أو حال من ضميره عند سيبويه أي: إلقاء مثل إلقَائِنَا.

فصل

اختلفوا في القائل[١٢] «مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا» على وجهين:

فقيل: القائل هم الذين لم يعبدُوا العجلَ كأنهم قالوا: ما أخلَفْنَا موعدَك بأمرٍ كُنَّا نملكه، وقد يضيف[١٣] الرجل فعلَ قرينه إلى نفسه، كقوله تعالى: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ»[١٤] «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً»[١٥] وإن كان القائل[١٦] بذلك آباءهم، فكأنهم قالوا: الشبهة قويت[١٧] على عبدة العجل، فلم نقدر على منعهم عنه[١٨] ولم نقدر أيضاً على مفارقتهم، لأنَّا[١٩] خفنا أن يصير ذلك سبباً لوقوع الفرقة، وزيادة الفتنة.

وقيل: هذا قول عبدة العِجل، والمعنى أن غيرنا أوقع الشبهة في قلوبنا، وفاعل

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٨.
(٢) انظر السبعة (٤٢٣)، الحجة لابن خالويه (٢٤٦)، الكشف ٢/ ١٠٤ النشر ٢/ ٣٢٢، الإتحاف (٣٠٦).
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) في ب: فيها.
(٥) أي أنهم بنوا الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله. الحجة لابن خالويه (٢٤٦)، الكشف ٢/ ١٠٤.
(٦) في الأصل: وفي الثانية، وفي ب: وفي الثالث.
(٧) ببناء الفعل للمعلوم. الحجة لابن خالويه (٢٤٦)، الكشف ٢/ ١٠٥.
(٨) في ب: وأوزار.
(٩) «حُمِّلنا» عدِّي بالتضعيف إلى مفعولين، وبني للمفعول، فالضمير المتصل نائب فاعل، و «أوزاراً» مفعول ثان. أما على القراءة الثالثة فالضمير المتصل فاعل، و «أوزاراً» مفعول به، فالفعل متعد إلى مفعول واحد.
(١٠) في ب: متعلق. وهو تحريف.
(١١) محذوف أي إلقاء مثل ذلك، قاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥ وأبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٠١.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(١٣) في ب: يضف. وهو تحريف.
(١٤) [البقرة: ٥٠].
(١٥) [البقرة: ٧٢].
(١٦) في الفخر الرازي: الفاعل.
(١٧) في ب: قرينة. وهو تحريف.
(١٨) في ب: منه.
(١٩) في ب: لأني. وهو تحريف.

السبب فاعل المسبب، فمخلف الوعد هو[(١)] الذي أوقع الشبهة، فإنه[(٢)] كان كالمالك لنا.

فإن قيل: كيف يُعْقَل رجوع قريب من ستمائة ألف إنسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة إلى عبادة عجلٍ يُعرَف فسادُها بالضرورة، ثم إن مثل هذا الجمع لما فارقوا الدين وأظهروا الكفر فكيف يعقل[(٣)] رجوعهم دفعة واحدة عن ذلك[(٤)] الدين بسبب رجوع موسى ـ عليه السلام[(٥)] ـ وحده إليهم؟

فالجواب[(٦)]: هذا غير[(٧)] ممتنع في حق البُلْهِ[(٨)] من الناس.

ثم إنَّ القوم فروا العذر[(٩)] الحامل لهم[(١٠)] على ذلك الفعل فقالوا «وَلَكِنَّا[(١١)] حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ» فمن قرأ بالتخفيف فالمعنى حملْنَا[(١٢)] في[(١٣)] أنفسنا ما كنا استعرضناه من القوم. ومن قرأ بالتشديد فقيل: إن موسى ـ عليه السلام[(١٤)] ـ أمرهم باستعاره الحُلِيّ والخروج بها فكأنه ألزمهم ذلك. والمراد بالأوزار حُليّ قوم فرعون.

وقيل: جعلنا كالضامن لها إلى أن نؤديها إلى حيث يأمرنا الله.

وقيل: إنَّ الله تعالى حَمَّلَهُم ذلك، أي: ألزمهم حكم المغنم[(١٥)].

قيل: أخذوها على وجه العارية ولم يردوها حين خرجوا من مصر استعاروها لعيدهم[(١٦)].

وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبذَ البحر حُلِيَّهم فأخذوها وكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان، فسماها الله أَوْزَاراً لذلك[(١٦)]، لأنه يجب عليهم حفظها من غير[(١٧)] فائدة فكانت أوزاراً[(١٨)].

وقيل: سميت[(١٩)] أوزاراً لكثرتها وثقلها، والأوزار: الأثقال. وقيل المراد بالأوزار الآثام، والمعنى حُمِّلْنَا آثاماً، روي[(٢٠)] أن هارون ـ عليه السلام[(٢١)] ـ قال إنها نجسة فتطهروا منها[(٢٢)]، وقال السَّامِرِيّ إنَّ موسى إنما احتبس عقوبة بالحُلِيّ. فيجوز أن

---

(١) هو: سقط من ب.
(٢) في ب: كأنه. وهو تحريف.
(٣) في ب: يمكن.
(٤) في ب: هذا.
(٥) في ب: عليه الصّلاة والسّلام.
(٦) في ب: والجواب.
(٧) غير: سقط من ب.
(٨) الأبله: هو الذي لا عقل له. اللسان (بَلَهَ).
(٩) في ب: الفرار. وهو تحريف.
(١٠) في ب: عليهم ولهم. ولا معنى لها.
(١١) في ب: إنا. وهو تحريف.
(١٢) حُمِّلنا: سقط من الأصل.
(١٣) في الأصل: مع.
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(١٦) انظر البغوي ٥/ ٤٥١.
(١٧) في ب: لغير.
(١٨) في ب: أثقالاً.
(١٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٣.
(٢٠) في ب: فصل روي.
(٢١) في ب: عليه الصّلاة والسّلام.
(٢٢) في الأصل: منه. وهو تحريف.

يكونوا[١] أرادوا هذا القول، وقد يقول الإنسان للشيء[٢] الذي يلزمه رده هذ كله إثمٌ وذنبٌ.

وقيل: إنَّ ذلك الحلِيّ كان للقبط يتزينون به في مجامع[٣] لهم يجري فيها الكفر، فلذلك[٤] وصفت بكونها أوزاراً كما يقال مثله في آلات المعاصي[٥].

وقوله: «فَقَذَفْنَاهَا» أي فَطَرَحْنَاهَا[٦] في الحفيرة، وذلك أن هارون قال لهم: إنَّ تلكَ غنيمةٌ لا تَحِلُّ فاحفروا، فحفروا حفيرة، ثم ألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه، ففعلوا[٧].

وقيل: قَذَفُوها في موضعِ أمرهم السامريُّ بذلك[٨].

وقيل: في موضعِ جمع فيه النار، ثم قالوا: وكذلك ألقى السامري ما معه من الحُلِيّ فيها[٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

قوله: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ».

قال ابن عباس: أوقد هارون ناراً وقال: اقذفوا ما معكم فيها فألقوا فيها، ثم ألقى السامريُّ ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل ـ عليه السلام[٩] ـ.

قال قتادة: كان قد صيَّر قبضة من ذلك التراب في عمامته[١٠]، «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ».

واختلفوا[١١] هل كان ذلك الجسد[١٢] حيًّا أم لا؟

فقيل: لا لأنه لا يجوز إظهار[١٣] خرق العادة على يد الضال بل السامري صوَّر صورة على شكل العجل، وجعل فيها منافذ وتخاريق بحيث تدخل[١٤] فيها الرياح، فيخرج صوت يشبه صوت العِجْل.

وقيل: إنَّه صار حياً، وخار[١٥] كما يخور العِجْل، لقوله: «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ

---

(١) في ب: أن يكون قد. وهو تحريف.
(٢) في ب: وقد يقال للإنسان. وهو تحريف.
(٣) في ب: جامع. وهو تحريف.
(٤) في ب: فكذلك. وهو تحريف.
(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٠٣.
(٦) في ب: أي طرحناها.
(٧) انظر البغوي ٥/٤٥١.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٣.
(٩) انظر البغوي ٥/٤٥٢.
(١٠) انظر البغوي ٥/٤٥٢.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٠٣ ـ ١٠٤.
(١٢) في ب: الخوار أعني الجسد.
(١٣) إظهار: سقط من الأصل.
(١٤) في ب: يظهر.
(١٥) في ب: وخور. وهو تحريف.

الرَّسُولِ»(١)، ولو لم يصر حيًّا لما بقي لهذا الكلام فائدة، ولأنه تعالى سماه عجلاً، والعِجْل(٢) حقيقة هو الحيوان، وسماه جسَداً وهو إنما يتناول الحي.

وأثبت له الخوار(٣).

وأما ظهور خارق العادة على يد الضال فجائز، لأنه لا يحصل الالتباس وهاهنا كذلك فوجب أن لا يمتنع.

وروى عكرمة عن ابن عباس أن هارون ـ عليه السلام(٤) ـ مرَّ بالسَّامريِّ وهو يصنع العجل، فقال ما تصنع؟ فقال أصنع(٥) ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال: اللهم أعطه ما سأل، فلما مضى هارون، قال السامريُّ اللهم(٦) إني أسألك أن تجعل له خواراً(٧).

وفي رواية: فألقى التراب في فم العجل، وقال: كُنْ عِجْلاً يخور، فكان كذلك يدعوه(٨) هارون وعلى(٩) هذا التقدير يكون ذلك معجزاً للنبي(١٠).

قوله: «فَقَالُوا هَذَا إِلٰهُكُمْ وإِلٰهُ مُوسَى» وهاهنا إشكال وهو أن القوم إن كانوا في الجهالة(١١) بحيث اعتقدوا أن ذلك العجل المعمول في تلك الساعة هو الخالق للسموات والأرض فهم مجانين، وليسوا مكلفين، ولأن هذا محال على مثل ذلك الجمع العظيم، وإن لم يعتقدوا ذلك، فكيف قالوا: «هَذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى»؟

وجوابه لعلهم كانوا من الحلولية(١٢): فجوزوا حلول الإله وحلول صفة من صفاته في ذلك الجسم، وإن كان ذلك أيضاً في غاية البعد، لأن ظهور الخوارق لا يناسب الإلهية(١٣)، ولكن لعل القوم في نهاية(١٤) البلادة(١٥).

قوله: «فَنَسِي» قرأ العامة بكسر السين. وقرأ الأعمش بسكون السين(١٦)، وهي لغة فصيحة والضمير في «نَسِيَ» يجوز أن يعود على «السَّامِرِيّ»، وعلى هذا قيل: إنه من كلام

(١) [طه: ٩٦].
(٢) في ب: ولأن العجل.
(٣) في ب: خوار. وهو تحريف. وبعد ذلك في الفخر الرازي: وأجابوا عن حجة الأولين بأن ظهور خوارق العادة. . .
(٤) في ب: عليه الصّلاة والسّلام.
(٥) اصنع: سقط من الأصل.
(٦) في الأصل: قال اللهم.
(٧) في ب: اللهم اجعل له خوار.
(٨) في ب: لدعوة.
(٩) في ب: على.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٣ ـ ١٠٤.
(١١) في ب: الجاهلية.
(١٢) الحلولية مذهب عقائدي يقول أصحابه بالتناسخ، وذلك بحلول روح الإله في أجساد طوائف خاصة كالأنبياء والأئمة فاكتسبوا بذلك بعض صفات الألوهية، واعتبر الحلولية من غلاة الروافض، وقد انقسموا جملة فرق منهم: السبائية والبيانية والخطابية وغير ذلك وجميعها تنسب إلى رؤساء هذه الفرق. القاموس الإسلامي ٢/١٣٧.
(١٣) في ب: الألوهية.
(١٤) في ب: غاية.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٤.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٩.

الله تعالى، كأنه أخبر عن السامري أنه نَسِيَ الاستدلال على حدوث الأجسام، وإنَّ الإلَه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، ثم إنه تعالى[١] بيَّن المعنى الذي يجب الاستدلال به وهو قوله: «أَفَلاَ يَرَوْنَ أن لا يرْجِعُ إلَيْهِمْ قَوْلاً» أي: لم يخطر ببالهم أن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون إلهاً، ولا يكون للإله تعلق بالحالية (والمحلية[٢])[٣].

ويجوز أن يعود على «مُوسَى»[٤] وعلى هذا قيل: هذا قول[٥] السامري، والمعنى أن[٦] هذا إلٰهكم وإله موسى، فنسي موسى[٧] أن هذا هو الإله فذهب يطلبه في موضع آخر وهو قول الأكثرين. وقيل: فنسي وقت الموعد في الرجوع[٨].

قوله: «أَفَلاَ يَرَوْنَ أن لا يَرْجِعُ إلَيْهِمْ قَوْلاً» أي: أن العجل لا يكلمهم، لا يجيبهم إذا دعوه، «وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً». وهذا استدلال على عدم أنه إله بأنه[٩] لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر. وهذا يدل على أن الإله لا بد وأن يكون موصوفاً بهذه الصفات، وهو كقوله تعالى في قصة إبراهيم ـ عليه السلام[١٠] ـ «لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ»[١١] وأن موسى ـ عليه السلام[١٢] ـ في الأكثر لا يعول[١٣] إلا على[١٤] دلائل إبراهيم (عليه السلام)[١٥].

قوله: «أَنْ لاَ يَرْجِعُ» العامة على رفع «يَرْجِعُ»[١٦] لأنها المخففة من الثقيلة، ويدل على ذلك وقوع أصلها وهو المشددة في قوله: «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّه لاَ يُكَلِّمُهُمْ»[١٧].

قال الزجاج: الاختيار الرفع[١٨] بمعنى: أنه لا يرجع كقوله: «وَحَسِبُوا أن لاَ تَكُون فِتْنَةٌ»[١٩] بمعنى: أنه لا تكون.

---

(١) تعالى: سقط من ب.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٤.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) انظر البيان ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٩.
(٥) في ب: كلام.
(٦) أن: سقط من ب.
(٧) موسى: سقط من الأصل.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٤.
(٩) في ب: وبأنه.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) [مريم: ٤٢].
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسّلام.
(١٣) في ب: لا يقول. وهو تحريف.
(١٤) في ب: إلى. وهو تحريف.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب. وانظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٤.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٦٩.
(١٧) [الأعراف: ١٤٨]. وذلك أنَّ «أنْ» إذا وقعت بعد علم ونحوه من أفعال اليقين فهي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والتقدير: أنَّه لا يَرْجِعُ. شرح الأشموني ٣/ ٢٨٢.
(١٨) قال الزجاج: (والاختيار مع رأيتُ وعلمت وظننت أن لا يفعل، في معنى: قد علمت أنه لا يفعل) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٣.
(١٩) [المائدة: ٧١].

وقرأ أبو حيوة والشافعي (رضي الله عنه)[١] وأبان بنصبه[٢]، جعلوها[٣] الناصبة.

والرؤية على الأولى يقينية[٤]، وعلى الثانية بصرية، وقد تقدم تحقيق هذين القولين (في المائدة[٥])[٦].

والسَّامريُّ: منسوب لقبيلة يقال لها سامرة[٧].

فصل[٨]

دلَّت الآية على وجوب النظر في معرفة الله تعالى، وقال في آية أخرى «﴿أَلَمْ يَرَوْا أنَّه لاَ يُكَلِّمُهُم وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾[٩]، وهو قريب من قوله في ذم[١٠] عبدة الأصنام «فَاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُون»[١١]، أي لو كان يكلمهم لكان إلهاً، والشيء يجوز أن يكون مشروطاً بشروط كثيرة، وفوات واحد[١٢] منها يقتضي فوات المشروط[١٣]، وحصول الواحد منها لا يقتضي حصول المشروط.

قال بعض اليهود لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ ما دَفَنْتُم نَبيَّكُمْ حتَّى اختلفتم.

فقال[١٤]: اختلفنا عنه وما اختلفنا فيه، وأنتم ما جفَّت أقدامكم من ماء[١٥] البحر حتى قلتم لنبيكم اجعَلْ لَنَا إلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾.

فصل[١٦]

قوله[١٧]: «وَلَقَدْ قَالَ لَهُم هَارُونُ مِنْ قَبْلُ» إنما قال[١٨] ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق، أما شفقته على نفسه، فلأنه كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) انظر البحر المحيط ٦/٢٦٩.
(٣) في ب: وجعلوها.
(٤) في ب: علمية.
(٥) عند قوله تعالى: ﴿وحسبوا ألاَّ تكون فتنة﴾ [المائدة: ٧١].
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) في معجم البلدان: سامرة قرية بين مكة والمدينة. (سمر).
(٨) نقل ابن عادل هذا الفصل عن الفخر الرازي ٢٢/١٠٤ ـ ١٠٥.
(٩) [الأعراف: ١٤٨].
(١٠) ذم: سقط من ب.
(١١) [الأنبياء: ٦٣].
(١٢) في ب: واحدة. وهو تحريف.
(١٣) في ب: الشروط. وهو تحريف.
(١٤) في ب: فقالوا. وهو تحريف.
(١٥) ماء: سقط من ب.
(١٦) فصل: سقط من ب.
(١٧) قوله: سقط من الأصل.
(١٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٠٥ ـ ١٠٧.

والنهي عن المنكر، وكان مأموراً من عند أخيه موسى ـ عليه السلام[١] ـ «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ»[٢]، فلو لم يشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفاً لأمر الله ولأمر موسى وذلك لا يجوز. وأما الشفقة على الخلق فلأن الإنسان يجب أن يكون مشفقاً على خلق الله خصوصاً على أبناء جنسه، وأي شفقة أعظم من أن يرى جَمعاً يتهافتون على النار فيمنعهم[٣] منها. ولمَّا ثبت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على المسلمين واجب، ثم إن هارون ـ عليه السلام[٤] ـ رأى القوم متهافتين على النار فلم يبال بكثرتهم بل صرح بالحق فقال: «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ».

(واعلم أنَّ هارون عليه السلام سَلَكَ في هذا الوعظ أحسن الوجوه، لأنه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله: «إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ»، ثم دعاهم إلى معرفة الله ثانياً بقوله: «وَإِنَّ رَبَّكُم الرَّحْمٰنُ»)[٥] ثم دعا ثالثاً إلى النبوة[٦] بقوله: «فاتَّبِعُونِي» ثم دعاهم رابعاً بقوله «وَأَطِيعُوا أَمْرِي».

وهذا هو[٧] الترتيب الجيد، لأنه لا بد قبل كل شيء من إماطة الأذى عن الطريق، وهو[٨] إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى[٩]، فإنها هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه. وإنما قال: «وإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ» فخص هذا الموضع باسم الرحمن، تنبيهاً على أنهم متى تابوا قَبِلَ الله توبتهم، لأنه هو الرحمن، ومن رحمته أن خلصهم من آفات فرعون، ثم إنهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في[١٠] الاستدلال بالتقليد[١١] فقالوا: «لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» كأنهم قالوا: لا نقبل حجتك ولكن[١٢] نقبل قول موسى، وهذه عادة المقلِّد[١٣].

قوله: «إنَّما فُتِنْتُمْ».

قرأ العامة: «إنَّما فُتِنْتُمْ» «وإنَّ[١٤] رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ» بالكسر فيهما[١٥]، لأنها بعد القول لا بمعنى الظن[١٦] وقرأت فرقة بفتحهما[١٧]، وخُرِّجت على لغة سُلَيْم، وهي أنهم يفتحون «أنَّ» بعد القول مطلقاً[١٨].

---

(١) في ب: عليه الصّلاة والسّلام.
(٢) [الأعراف: ١٤٢].
(٣) في ب: فمنعهم.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) في ب: ثم دعاهم ثالثاً فقال.
(٧) هو: سقط من ب.
(٨) في ب: وهي.
(٩) تعالى: سقط من ب.
(١٠) في ب: مكرر في الأصل.
(١١) في ب: بالاستدلال في التقليد. وهو تحريف.
(١٢) في ب: ولن. وهو تحريف.
(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧.
(١٤) إن: سقط من ب.
(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٢.
(١٦) فيجب كسر «إن» إذا وقعت محكية بالقول، أما إن أجري القول مجرى الظن فإنه يجب الفتح نحو: أتقول أن زيداً عاقل؟ شرح الأشموني ١/ ٢٧٥.
(١٧) في ب: بفتحها.
(١٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٢.

وقرأ أبو عمرو في رواية الحسن وعيسى بن عمر بفتح «أنَّ ربَّكُمْ» فقط[١]، وخرجت على وجهين:

أحدهما: أنها وما بعدها في تأويل[٢] مصدر في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: والأمر أنَّ رَبَّكُم الرَّحْمٰنُ، فهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات[٣].

والثاني: أنها مجرورة بحرف مقدر، أي: لأنَّ رَبَّكُم الرَّحْمٰنُ[٤].

«فَاتَّبِعُونِي» وقد تقدم القول في نظير ذلك بالنسبة إلى هذه الفاء.

فصل

لمَّا قالوا لهارون «لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ» أي: مقيمين على عبادة العجل «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة، وكانوا يرقصون[٥] حول العِجْل قال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله[٦]. وقال له: «مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا» أشركوا.

قوله: «إِذْ» منصوب بـ «مَنَعَكَ»، أي: أي شيء منعك وقت ضلالهم[٧].

و «لاَ» فيها قولان[٨]:

أحدهما: أنَّها مزيدة، أي ما منعك من أن تتبعني[٩].

والثاني: أنَّها دخلت حملاً[١٠] على المعنى، إذ المعنى ما حملك على أن لا[١١] تتبعني، وما دَعَاك إلى أن لا تتبعني، ذكره عَلِيُّ بن عِيسَى[١٢].

وقد تقدم تحقيق هذين القولين في (سورة الأعراف[١٣]، والقراءة في)[١٤]، «يَبْنَؤُمَّ»[١٥].

فصل[١٦]

ومعنى تَتَّبِعني تتَّبع أمري ووصيَّتي، يعني هلاَّ قاتلتهم، وقد علمت أنِّي لو كنت

---

(١) المختصر (٨٩)، البحر المحيط ٦/ ٢٧٢.

(٢) في ب: بتأويل.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٢.

(٤) وهو تقدير أبي حاتم. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٢.

(٥) في ب: يرمضون. وهو تحريف.

(٦) انظر البغوي ٥/ ٤٥٢.

(٧) أي أيُّ شيء منعك، وقيل: أيُّ شيء منعك وقت إضلالهم.

(٨) في ب: وقيل فيها وجهان.

(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٠١، البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.

(١٠) حملاً: سقط من ب.

(١١) لا: سقط من ب.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.

(١٣) عند قوله تعالى ﴿**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾ [الأعراف: ١٢] انظر اللباب ٤/ ١١.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) عند قوله تعالى: ﴿**قال ابن أمَّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(١٦) فصل: سقط من ب.

فيهم لقاتلتهم على كفرهم، وقيل: «أَنْ لاَ تَتَّبِعَنِي» أي: ما منعك من اللحوق بي وإخباري[١] بضلالهم فتكون مفارقتك إياهُم زَجْراً[٢] لهم عما أتوا «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي»[٣].

فصل

تمسك الطاعنون[٤] في عصمة الأنبياء عليهم السلام[٥] بهذه الآية من وجوه:

أحدها[٦]: أنَّ موسى ـ عليه السلام[٧] ـ إما أن يكون قد أمر[٨] هارون باتباعه[٩] أو لم يأمره، فإن أمره، فإما[١٠] أن يكون هارون قد اتبعه أو لم يتبعه، فإن اتبعه كان كلام موسى لهارون معصيةً وذنباً، لأن ملامة غير المجرم معصية.

وإن لم يتبعه كان هارون تاركاً للواجب فكان[١١] فاعلاً للمعصية، وإن قلنا: إن موسى ما أمره باتباعه كانت ملامته إيَّاه بترك[١٢] الاتباع معصية، وعلى جميع التقديرات يلزم إسناد المعصية إما إلى موسى أو إلى هارون[١٣].

وثانيها[١٤]: قول موسى «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» استفهام على سبيل الإنكار، فوجب أن يكون هارون قد عصاه، وأن يكون ذلك العصيان منكراً، وإلا كان موسى كاذباً، وهو معصية، وإذا فعل هارون[١٥] ذلك فقد فعل المعصية.

ثالثها[١٦]: قوله: «يَا بْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي» وهذا معصية، لأن هارون ـ عليه السلام[١٧] ـ قد فعل ما قدر عليه، فكان الأخذ بلحيته وبرأسه[١٨] معصية، وإن فعل ذلك قبل تعرف الحال كان ذلك معصية.

ورابعها[١٩]: أن هارون قال: «لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي»، فإن[٢٠] كان الأخذ بلحيته ورأسه جائزاً[٢١] كان قول[٢٢] هارون «لاَ تَأْخُذْ»[٢٣] منعاً له عما كان له أن يفعله[٢٤]، فيكون ذلك القول معصية. وإن لم يكن ذلك الأخذ جائزاً كان موسى ـ عليه السلام[٢٥] ـ فاعلاً للمعصية.

---

(١) في ب: وأخبارهم. وهو تحريف.
(٢) في ب: وزجراً. وهو تحريف.
(٣) انظر البغوي ٥/ ٤٥٣.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٥) عليهم السلام: سقط من ب.
(٦) في ب: الأول.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) أمر: سقط من الأصل.
(٩) في ب: باتباعنا. وهو تحريف.
(١٠) في ب: أما.
(١١) في ب: وكان.
(١٢) في ب: بتركه.
(١٣) في ب: فرعون. وهو تحريف.
(١٤) في ب: الثاني.
(١٥) في ب: بهارون. وهو تحريف.
(١٦) في ب: الثالث.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٨) في ب: برأسه وبلحيته.
(١٩) في ب: الرابع.
(٢٠) في ب: وإن.
(٢١) في ب: جائز. وهو تحريف.
(٢٢) قول: سقط من الأصل.
(٢٣) لا تأخذ: سقط من ب.
(٢٤) في ب: يفعل.
(٢٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

والجواب[١] عن الكل: أنَّ حاصلَ هذه الوجوه تمسكٌ بظواهر قابلة للتأويل، ومعارضة ما يبعد عن التأويل بما يتسارع إليه التأويل غير جائز. وإذا ثبتت هذه المقدمة ففي الجواب وجوه:

أحدها[٢]: أنّا وإن اختلفنا في جواز عصمة الأنبياء لكن اتفقنا على جواز ترك الأولى عليهم. وإذا كان كذلك فالفعل الذي يفعله أحدهما ويمنع منه الآخر، أعني: موسى وهارون ـ عليهما السلام[٣] ـ لعله كان أحدهما أولى، والآخر كان ترك الأولى، فلذلك فعله أحدهما وتركه الآخر. فإن قيل: هذا التأويل غير جائز، لأن كل واحد منهما كان جازماً[٤] فيما يأتي به فعلاً كان أو تركاً، وفعل المندوب وتركه لا يجزمونه[٥] قلنا[٦]: تقييد المطلق بالدليل غير ممتنع، فيحمل[٧] الجزم في الفعل والترك على أن المراد افعل ذلك أو اتركه إن كنت تريد الأصلح، وقد يترك ذلك الشرط إذا كان تواطؤهما على رعايته معلوماً متقرراً[٨].

وثانيها[٩]: أن موسى ـ عليه السلام[١٠] ـ أقبل وهو غضبان على قومه فأخذ برأس أخيه وجرّه إليه كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب، فإن الغضبان المتفكر قد يعض على شفتيه وأصابعه ويفتل لحيته، فأجرى موسى أخاه هارون مجرى نفسه، لأنه كان[١١] أخاه وشريكه، فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حال الفكر والغضب، وأما قوله: «لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي» فلا يمتنع أن يكون هارون ـ عليه السلام[١٢] ـ خاف من أن يتوهم بنو إسرائيل أنه منكر عليه، فبين أنه معاون له، ثم أخذ[١٣] في شرح القصة فقال: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

وثالثها: أنَّ بني إسرائيل كانوا على نهاية سوء الظن بموسى، حتى إن هارون غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى: أنت قتلته، فلما وعد الله موسى، وكتب له في الألواح من كل شيء، ثم رجع فرأى من قومه ما رأى، أخذ[١٤] برأس أخيه ليدنيه فيتفحص عن كيفية الواقعة فخاف هارون أن يَسْبِق إلى قلوبهم ما لا أصل له، فقال إشفاقاً[١٥] على موسى: «لاَ تَأْخُذْ[١٦] بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي»، لئلا يظن القوم ما لا يليق بك[١٧].

---

(١) في ب: فالجواب.
(٢) في ب: الأول.
(٣) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(٤) في ب: جارنا وهو تصحيف.
(٥) في ب: لا يخرجونه.
(٦) في ب: فالجواب.
(٧) في ب: فيحتمل. وهو تحريف.
(٨) في ب: مقرراً.
(٩) في ب: والجواب عن الثاني.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) كان: سقط من الأصل.
(١٢) علية السلام: سقط من ب.
(١٣) أخذ: سقط من ب.
(١٤) في ب: وأخذ.
(١٥) في ب: أسفاً. وهو تحريف.
(١٦) في ب: لا نأخذ. وهو تحريف.
(١٧) في ب: فيرمونك بقتلي كما رموك قبل ذلك.

ورابعها: قال الزمخشري: كان موسى ـ عليه السلام[١] ـ رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة، والخشونة، والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا[٢] من الآيات العظام أن ألقى ألواح[٣] التوراة لما غلب عليه من الدهشة العظيمة غضباً لله وحميّة، وعنَّف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدو[٤][٥].

قال ابن الخطيب[٦]: وهذا الجواب ساقط، لأنه يقال: هَبْ أنه كان شديد الغضب، ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلاً مكلفاً أم لا؟

فإن بقي[٧] عاقلاً مكلفاً فالأسئلة باقية بتمامها، أكثر ما في الباب أنك ذكرت أنه يغضب شديداً[٨] وذلك من جملة المعاصي. فإن[٩] قلتم: إنه في ذلك الغضب[١٠] لم يبق عاقلاً ولا مكلفاً فهذا مما[١١] لا يرتضيه مسلم البتة، فهذه أجوبة من لم يجوِّز الصغائر، أما من جوزها فالسؤال[١٢] ساقط[١٣].

وجواب آخر: وهو[١٤] أنَّ موسى ـ عليه السلام[١٥] ـ لمَّا رجع إلى بني إسرائيل كان عالماً بأنهم قد فُتِنُوا، وأن السامري قد أضلهم، والدليل عليه قوله تعالى لموسى[١٦] («إِنَّا قَدْ[١٧]) فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ» وإذا كان كذلك فموسى ـ عليه السلام[١٨] ـ إنما جاء وهو عالم بحالهم، فإنكاره على هارون لعلمه بحالهم قبل مجيئه إليهم لا لما أثبتوه في سؤالهم.

وقوله: «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» يدل على أن تارك المأمور به عاص، والعاصي مستحق للعقاب، لقوله «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ[١٩] (وَرَسُولَه فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّم»[٢٠])[٢١] فمجموع الآيتين يدل على أن الأمر للوجوب[٢٢].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في ب: ما أراد. وهو تحريف.
(٣) في النسختين: الألواح.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٥.
(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٦) في ب: شديد. وهو تحريف.
(٧) في ب: فإن كان يبقى.
(٨) في ب: شديد. وهو تحريف.
(٩) في ب: وأن.
(١٠) الغضب: سقط من ب.
(١١) في ب: ما.
(١٢) السؤال: سقط من ب.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٨.
(١٤) في ب: وذلك.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) في ب: لموسى عليه الصلاة والسلام.
(١٧) ما بين القوسين في ب: ولقد وهو تحريف. ونص القرآن «فإنَّا».
(١٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٩) في ب: ﴿ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً﴾ من قوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ [النساء: ١٤].
(٢٠) [الجن: ٣٢].
(٢١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾.

قوله: «يَا بْنَ أُمَّ» قيل: إنما خاطبه بذلك ليدفعه عنه، ويتركه.

وقيل: كان[١] أخاه لأمه[٢].

واعلم أنه ليس في القرآن دلالة على أنَّه فَعَل ذلك، فإن النهي عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلاً للمنهي عنه لقوله تعالى[٣]: «وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ»[٤]، وإنما في القرآن أنه أخذ برأس أخيه يجره إليه[٥]، وهذا القدر لا يدل على الاستحقاق بل قد يفعل لسائر الأغراض على ما بيناه[٦].

قوله: «لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي» الجمهور على كسر اللام[٧] من اللحية، وهي الفصحى. وفيها الفتح وبه قرأ عيسى[٨] بن سليمان الحجازي[٩]، والفتح[١٠] لغة الحجاز[١١] ويجمع على لِحَى كقِرَب[١٢]. ونقل فيها الضم كما قالوا: صِوَر بالكسر وحقها الضم[١٣].

والباء في «بِلِحْيَتِي» ليست زائدة إما لأنَّ المعنى لا يكن[١٤] منك أخذ وإما لأن المفعول محذوف أي لا تأخُذْنِي[١٥]. ومن زعم زيادتها كهي[١٦] في «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم»[١٧] فقد تعسف.

---

(١) في ب: إنه كان.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٩.
(٣) في ب: كقوله.
(٤) [الأحزاب: ١، ٤٨].
(٥) في قوله تعالى: **﴿وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾** [الأعراف: ١٥٠].
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٩.
(٧) في ب: كسر السين. وهو تحريف.
(٨) في ب: يحيى. وهو تحريف.
(٩) وهو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي مقرىء عالم نحوي معروف أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، وروى الحروف عن إسماعيل بن جعفر عن نافع وأبي جعفر وشيبة. طبقات القراء ١/٦٠٨ - ٦٠٩.
(١٠) في ب: وهي.
(١١) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٣.
(١٢) في ب: العرب. وهو تحريف.
(١٣) أي: أن فِعَل - بكسر الفاء وفتح العين - من أمثلة جموع الكثرة، ويطرد فيما كان اسماً تاماً على فعلة - بكسر الفاء وسكون العين - نحو كسرة وكسر، وحجة وحجج وشيعة وشيع، وحيلة وحيل. وقد ينوب فعل - بكسر الفاء - عن فعل - بضم الفاء - فيكون جمع لفعلة - بضم الفاء - نحو صورة وصور، وقوة وقوى. كما ينوب فعل - بضم الفاء - عن فعل - بكسر الفاء - فيكون جمعاً لفعلة بكسر الفاء وسكون العين نحو حلية وحلى، ولحية ولحى. انظر شرح الأشموني ٤/١٣١ - ١٣٢.
(١٤) في ب: لأن المعنى ليس أي لا يكن.
(١٥) في ب: لا تأخذها. وانظر التبيان ٢/٩٠٢.
(١٦) في الأصل: فهي. وهي تحريف.
(١٧) [البقرة: ١٩٥].

فصل(١)

معنى قوله: «بِرَأْسِي» أي بشَعْر رأسي، وكان قد أخذ(٢) بذؤابته(٣) «إِنِّي خَشِيتُ» لو أنكرت عليهم لصاروا حربين بقتل بعضهم بعضاً، فتقول(٤) «أنت فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» ولم تحفظ(٥) وصيتي حين قلت لك: «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ»(٦) أي ارفق بهم(٧).

قوله: وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» هذه الجملة محلها النصب نسقاً على «فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ» أي أن تقول: فرقت بينهم وأن تقول: «لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي»(٨).

وقرأ(٩) أبو جعفر «تُرقب»(١٠) بضم حرف المضارعة من أرقب(١١). فإن قيل: إن قول موسى - عليه السلام(١٢) - «وما منعك أن لا تتبعن أفعَصَيْتَ أمْرِي» يدل على أنه أمره(١٣) بشيء، فكيف يحسن في جوابه أن يقال: إنما لم أمتثل قولك خوفاً من أن تقول «لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي»، وهل يجوز مثل هذا الكلام على العاقل؟

فالجواب(١٤): لعلَّ موسى - عليه السلام(١٥) - إنما أمره بالذهاب إليه بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى فساد القوم، فلما قال موسى «مَا مَنَعَكَ أَنْ لاَ تَتَّبِعنِي» قال لأنك إنما أمرتني باتباعك إذا لم يحصل الفساد، فلو جئتك مع حصول الفساد ما كنت مراقباً لك(١٦).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾.

قوله: «قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ». «مَا خَطْبُكَ» مبتدأ وخبر، وتقدم الكلام على الخطب(١٧) في يوسف(١٨)، ومعناه هنا: ما أمرك وشأنك، أي ما حملك على ما صنعت.

---

(١) في ب: فإن قيل.
(٢) في ب: وكانوا قد أخذوا. وهو تحريف.
(٣) الذؤابة: منبت الناصية من الرأس، والجمع الذوائب، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس. اللسان (ذأب).
(٤) في ب: وتقول. وهو تحريف.
(٥) في ب: ولم تقبل.
(٦) [الأعراف: ١٤٢].
(٧) انظر البغوي ٥/٤٥٣.
(٨) في ب: وإن لم تقل «لم ترقب قولي» وهو تحريف.
(٩) في ب: قرأ.
(١٠) تَرْقِبْ: سقط من ب.
(١١) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٣.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) أمره: سقط من ب.
(١٤) في ب: والجواب.
(١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٠٩.
(١٧) على الخطب: سقط من ب.
(١٨) عند قوله تعالى: **﴿قال ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه﴾** [يوسف: ٥١] انظر اللباب ٥/٤٢.

وقال ابن عطيَّة هنا: إنه يقتضي إشهاراً، كأنه قال: ما نَحْسُكَ وما شُؤْمُك[١].

ورد عليه أبو حيَّان بقوله: قال[٢] فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ[٣][٤].

قوله: «بَصُرْتُ» يقال: بَصُر الشيء أي: علمه، وأبصره أي: نظر إليه كذا قال الزجاج[٥].

وقال غيره: بصر بالشيء وأبصره بمعنى: علمه[٦]. والعامة علم ضم الصاد في الماضي ومضارعه وقرأ الأعمش وأبو السمال «بَصِرتُ» بالكسر «يَبْصَرُوا» بالفتح[٧] وهي لغة[٨].

وعمرو[٩] بن عبيد بالبناء للمفعول في الفعلين[١٠]، أي أُعْلِمْتُ بما لم يعلموا به، وقرأ الأخوان «تَبْصَرُوا» خطاباً لموسى وقومه أو تعظيماً له كقوله: «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء»[١١].

٣٦٨٦ ـ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ[١٢]

والباقون بالغيبة من قومه[١٣] والعامة على فتح القاف من «قَبْضَة» وهي المرة من القبض[١٤].

قال الزمخشري: وأما القبضة فالمرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر[١٥].

قال شهاب الدين: والنحاة يقولون: إن المصدر الواقع كذلك لا يؤنث بالتاء تقول:

---

(١) تفسير ابن عطية ١٠/ ٨٢.
(٢) قال: سقط من ب.
(٣) [الحجر: ٥٧] و[الذاريات: ٣١].
(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.
(٥) قال الزجاج: (يقال: قد بصُر الرجل يبصُر: إذا كان عليماً بالشيء، وأبصر يبصر: إذا نظر) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٤. وقال: (وبصرت بالشيء صرت بصيراً به عالماً، وأبصرته: إذا رأيته) فعلت وأفعلت: (١١).
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.
(٧) المختصر (٨٩)، البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.
(٨) قال ابن منظور: (والفعل بصر يبصر، ويقال: بصرت) اللسان (بَصَرَ).
(٩) في ب: لعمرو.
(١٠) انظر المختصر (٨٩).
(١١) [البقرة: ٢٣١، ٢٣٢].
(١٢) جزء بيت من بحر الطويل للعرجي وتمامه:

فإن شئت حرَّمت النِّساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا بردا

وهو في اللسان (برد، نقخ). النقاخ: الماء العذب. البرد: النوم لأنه يبرد العين بأن يقرها. وهو هنا: الريق. والشاهد فيه خطاب المفرد بخطاب الجمع تعظيماً. وقد تقدم.
(١٣) السبعة (٤٢٤)، الحجة لابن خالويه (٢٤٧)، الكشف ٢/ ١٠٥، النشر ٢/ ٣٢٢، الإتحاف (٣٠٧).
(١٤) وذلك لأن اسم المرة من الثلاثي يكون على وزن (فعلة). التبيان في تصريف الأسماء (٥٤).
(١٥) الكشاف ٢/ ٤٤٥.

هذه حلةٌ نسجُ اليمن، ولا تقول[١]: نسجة اليمن، ويعترضون بهذه الآية[٢]، ثم يجيبون بأن الممنوع إنما هو التاء الدالة على التحديد لا على مجرد التأنيث، وهذه التاء دالة على مجرد[٣] التأنيث، وكذلك قوله[٤]: «وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ»[٥][٦].

وقرأ الحسن «قُبْضَةً» بضم القاف وهي كالغُرْفَة والمُضْغَة في معنى المغروف والمقبوض[٧]. وروي عنه «قُبْصَة» بالصاد المهملة[٨]. والقَبْض بالمعجمة بجميع الكف، وبالمهملة بأطراف الأصابع، وله نظائر كالخضم وهو الأكل بجميع الفم[٩] والقضم[١٠] بمقدمه[١١]، والقضم[١٢] قطع بانفصال والفصم بالفاء باتصال[١٣]، وقد تقدَّم شيء من ذلك في البقرة[١٤]. وأدغم ابن محيصن الضاد المعجمة في تاء المتكلم مع إبقائه الإطباق[١٥]. وأدغم الأخوان[١٦] وأبو عمرو الذال في التاء من «فَنَبَذْتُهَا»[١٧].

فصل

لما أجاب هارون أخاه موسى بالجواب المتقدم أقبل موسى على السامريّ وقال له: «مَا خَطْبُكَ» أي: ما حملَكَ على ما فعلتَ؟ فقال: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» أي: رأيت

---

(١) في ب: ولا يقال.
(٢) في ب: بهذه الأمور والآية.
(٣) مجرد: سقط من ب.
(٤) في ب: وكذلك التاء في قوله.
(٥) [الزمر: ٦٧].
(٦) الدر المصون ٥/ ٣٦.
(٧) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٥.
(٨) المختصر (٨٩)، المحتسب ٢/ ٤٥٥ البحر المحيط ٦/ ٢٧٣.
(٩) الفم: سقط من ب.
(١٠) في ب: والعصم.
(١١) القضم: الأكل بأطراف الأسنان. اللسان (قضم).
(١٢) في ب: القطم.
(١٣) القصم بالقاف هو أن ينكسر الشيء فيبين يقال منه: قصمت الشيء إذا كسرته حتى يبين. والفصم بالفاء هو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين. اللسان (قصم).
(١٤) عند قوله تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾** [البقرة: ٢٥٦] وذكر هناك: والانفصام بالفاء القطع من غير بينونة، والقصم بالقاف ـ قطع ببينونة، وقد يستعمل ما بالفاء مكان ما بالقاف، والمقصود من هذا اللفظ المبالغة، لأنه إذا لم يكن لها انفصام فبأن لا يكون لها انقطاع أولى. انظر اللباب ٢/ ١٠٠.
(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٣، الإتحاف ٣٠٧.
(١٦) حمزة والكسائي.
(١٧) وأظهر الباقون. وحجة من أدغم أن قوة التاء والذال معتدلة، لأن التاء شديدة، والذال مجهورة، والشدة في القوة كالجهر ولأن التاء مهموسة، والذال رخوة، والهمس في الضعف كالرخاوة، فاعتدلا في القوة والضعف، فحسن الإدغام لذلك، على أنهما قد اشتركا في المخرج من الفم، واشتركا في إدغام لام التعريف فيهما، واتصالهما في كلمة. والإظهار أحسن، لأنه الأصل ولأن التاء في تقدير الانفصال لأن الفعل (نبذ) فالتاء داخلة فيه بعد أن لم تكن. انظر الكشف ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

ما لم يروا بنو إسرائيل[١] وعرفت ما لم يعرفوا.

قال ابن عباس: علمتُ ما لم يعلموا، ومنه قولهم: رجل بصيرٌ، أي: عالم قاله أبو عبيدة[٢] وأراد أنه رأى جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضةً من تراب، فقال: «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُول».

وقرأ ابن مسعود: «مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ»[٣] والمراد بالرسول جبريل ـ عليه السلام ـ (عند عامَّة المفسرين، وأراد بأثره التراب الذي)[٤] أخذه[٥] من موضع حافر دابته لما[٦] رآه يوم فلق البحر. وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ لمَّا نزل ليذهب موسى إلى الطور أبصره السَّامريّ من بين الناس[٧].

واختلفُوا[٨] في أنه كيف اختص[٩] السامريُّ برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس؟

فقال ابن عبَّاس في رواية الكلبي: إنَّما عرفه، لأنه رآه في صغره، وحفظه من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد بني إسرائيل، فكانت المرأة إذا ولدتْ طرحتْ ولدَها حيث لا يشعر به آل فرعون، فيأخذ الملائكة الولدان ويربونَهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس، فكان السامريُّ ممن أخذه جبريل ـ عليه السلام ـ، وجعل كفَّ نفسه في فيه وارتضع منه اللبن والعسل[١٠] ليربيه ـ فلما[١١] قضي على يديه من الفتنة فلم يزل يختلف إليه[١٢] حتى عرفه.

قال ابن جريح: فعلى هذا قوله: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» يعني رأيت ما لم يروه. ومَنْ فسّر الإبصار بالعلم فهو صحيح، ويكون المعنى علمتُ أن تراب فرس جبريل ـ عليه السلام ـ له خاصة الإحياء، وذلك أنه كان كلما رفع الفرس يديه أو رجليه في مشيه على الطريق اليبس يخرج تحته النبات في الحال.

وقال أبُو مسلم: ليس في القرآن تصريح بما ذكره المفسرون فهنا[١٣] وجه آخر، وهو أن يكون المرادُ بالرسول موسى ـ عليه السلام[١٤] ـ، وبأثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقول الرجل: إنَّ فلاناً يقفُو أثرَ فلان يقتص[١٥] أثرَه إذا كان يمتثل رسمه، والتقدير أنَّ موسى ـ عليه السلام[١٦] ـ لمَّا أقبل على السامريّ باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه

---

(١) قوله: ما لم يروا بنو إسرائيل. هذا التعبير ماش على لغة أكلوني البراغيث، وهي إلحاق الفعل علامة تدل على تثنية الفاعل أو جمعه.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦.
(٣) المختصر: ٨٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٤.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) في ب: فأخذ. وهو تحريف.
(٦) في ب: ما. وهو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٠.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٠ ـ ١١١.
(٩) في ب: في كيفية اختصاص.
(١٠) في ب: العسل واللبن.
(١١) في الأصل: لمَّا.
(١٢) في الأصل: عليه.
(١٣) في ب: وهنا.
(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في الأصل: ويقتص.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

إلى إضلال القوم في العِجْل فقال: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» أي عرفت أن[١] الذي أنتم عليه (ليس بحق)[٢]، وقد كنت قبضتُ قبضةً من أثرك أيُّها الرسولُ أي: شيئاً من دينك، فنبذته أي: طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى ـ عليه السلام[٣] ـ بما له من العذاب في الدُّنيا والآخرة، وإنما أورد بلفظ الإخبار[٤] عن غائب كما يقول الرجل[٥] لرئيسه وهو مواجه له: ما يقولُ الأميرُ في كذا، أو[٦] بماذا يأمرُ الأمير. وأما ادِّعاؤه أنَّ موسى[٧] ـ عليه السلام[٨] ـ رسول[٩] مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ»[١٠] وإن لم يؤمنوا بالإنزال[١١].

قال ابن الخطيب: وهذا[١٢] الذي ذكره أبو مسلم (ليس فيه إلاَّ أنَّه مخالف للمفسرين، ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه:

أحدها: أن جبريل ـ عليه السلام ـ)[١٣] ليس معهوداً باسم[١٤] الرسول، ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل[١٥] لام التعريف إشارة إليه، فإطلاق لفظ الرسول لإرادة جبريل كأنه تكليف بعلم الغيب.

وثانيها[١٦]: أنه لا بد فيه من الإضمار وهو قبضة من أثر حافر دابة الرسول والإضمار خلاف الأصل.

وثالثها[١٧]: أنه لا بد من التعسف في بيان أنَّ السامريّ كيف اختصَّ من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته، ثم كيف عرف أن تراب حافر دابته يؤثر هذا الأثر، والذي ذكروه من أن جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذي ربَّاه فبعيد، لأن السامريَّ إن عرف أنه جبريل حال كمال عقله[١٨] عرف قطعاً أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ نبيٌّ صادقٌ، فكيف يحاول الإضلال، وإن كان ما عرفه حال البلوغ فأنَّى ينفعه كون جبريل ـ عليه السلام ـ (مربّياً له)[١٩] حال الطفولية في حصول تلك المعرفة.

ورابعها[٢٠]: أنه لو جاز إطلاع بعض الكفرة على ترابٍ هذا شأنه لكان لقائل[٢١] أن

---

(١) أن: سقط من الأصل.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه: أمر.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: بلفظ الأمر أو الإخبار.
(٥) الرجل: سقط من الأصل.
(٦) في الأصل: أي. وهو تحريف.
(٧) أن موسى: مكرر في الأصل.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) رسول: سقط من ب، وفي الأصل: رسولاً. والصواب (رسول) لأنه خبر (أنّ).
(١٠) [الحجر: ٦].
(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٠ ـ ١١١.
(١٢) في ب: وهذا القول.
(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٤) في ب: يذكر.
(١٥) في ب: جعل. وهو تحريف.
(١٦) في ب: وفيه أمور الأول.
(١٧) في ب: الثاني.
(١٨) في الأصل: كماله.
(١٩) ما بين القوسين: سقط من ب.
(٢٠) في ب: الثالث.
(٢١) في ب: القائل.

يقول: فلعل[١] موسى اطلع أيضاً على شيء آخر يشبه ذلك، فلأجله[٢] أتى بالمعجزات، فرجع حاصله إلى سؤال من يطعن في المعجزات ويقول: لِمَ لا يجوز أن يقال: إنَّهم أتوا بهذه المعجزات لاختصاصهم بمعرفة بعض الأدوية التي لها خاصية أن يفيد حصول تلك المعجزة، وحينئذ ينسد باب المعجزات بالكلية[٣].

ثم قال: «وَكَذَلِك سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» أي زينت، والمعنى: فعلتُ ما دعتني إليه نفسي، وسولت مأخوذة من السؤال[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

قوله: «فَاذْهِبْ فإنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاس» قرأ العامة بكسر الميم وفتح السين، وهو مصدر لفاعل[٥] كالقِتَال من قَاتَل[٦]، فهو يقتضي المشاركة، وفي التفسير: لا تَمسَّني ولا أمسك[٧] وإن مَنْ[٨] مَسَّه أصابته الحمَّى.

وقرأ الحسن وأبُو حيوة وابن أبي عبلة (وقعنب)[٩][١٠] بفتح الميم وكسر السين، هكذا عبّر أبُو حيَّان[١١]، وتبع فيه أبا[١٢] البقاء[١٣]. ومتى أخذنا[١٤] بظاهر هذه العبارة لزم أن يقرأ «مَسِيس» بقلب الألف ياء لانكسار ما قبلها، ولكن لم يُرْوَ ذلك فينبغي أن يكونوا أرادوا بالكسر الإمالة[١٥]، ويدل على ذلك ما قاله الزمخشري: وقُرِىء[١٦] «لاَ

---

(١) فلعل: سقط من ب.
(٢) في ب: ولأجله.
(٣) الفخر الرازي ٢٢/ ١١١.
(٤) أصل السُّول مهموز عند العرب، استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به بتخفيف الهمز. اللسان (سول).
(٥) أي مصدر (ماس).
(٦) في ب: يقاتل.
(٧) أي أنه منفي بـ (لا) التي لنفي الجنس وهو نفي أريد به النهي. البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.
(٨) من: سقط من ب.
(٩) وهو قعنب بن أبي قعنب أبو السَّمَّال العدوي البصري. تقدمت ترجمته.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.
(١٢) في ب: أبو.
(١٣) قال أبو البقاء: (ويُقرأ بفتح الميم وكسر السين، وهو اسم فعل،أي: لا تمسني وقيل: هو اسم للخبر، أي: لا يكون بيننا مماسة) التبيان ٢/ ٩٠٣ ويفهم من كلام أبي البقاء أن المراد بكسر السين: كسر السين الثانية.
(١٤) في ب: أخذت.
(١٥) الإمالة: أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وهي لغة بني تميم، وأهل الحجاز لا يميلون. شرح الشافية ٣/ ٤.
(١٦) في ب: وقرأ.

مَساس» بوزن (فَجَارِ). ونحوه قولهم في الظباء: إنْ وَرَدَتِ المَاءَ فَلاَ عَبَابِ وإنْ فَقَدَتْهُ فَلاَ أَبَابِ[١] (فهي أعلام للمسَّةِ والعبَّة والأبَّةِ وهي المرة من الأبِّ وهو)[٢] الطلب[٣]. ويدل عليه أيضاً قولُ صاحب اللوامح: هو[٤] على صورة (نَزَالِ، ونَظَارِ)[٥] من أسماء الأفعال بمعنى (انزل، وانظر)[٦][٧]. فهذا أيضاً تصريح بإقرار الألف على حالها[٨]. ثم قال صاحب اللوامح: فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة[٩] معارف، ولا تدخل عليها (لا) النافية التي تنصب النكرات نحو: لاَ مَالَ لَكَ. لكنه فيه[١٠] نفي الفعل، فتقديره: لا يكون منك مَسَاسٌ، ومعناه النهي، أي: لا تمسَّني[١١] وقال ابن عطيَّة: «لاَ مَسَاسِ» هو معدول عن المصدر كفجَارِ ونحوه، وشبهه[١٢] أبو عبيدة[١٣] وغيره[١٤] بنزَالِ ودَرَاكِ ونحوه، والشبه صحيح من حيث هي معدولات، وفارقه من حيث أن هذه عدلت عن الأمر و «مَسَاسِ» وفَجَارِ عدلت عن المصدر، ومن هذا قول الشاعر:

---

(١) في اللسان (عَبَبَ): وحكى ابن الأعرابي: أن العرب تقول: إذا أصابت الظباء الماء فلا عباب، وإن لم تصبه فلا أباب، أي: إن وجدته لم تعُبَّ، وإن لم تجده لم تأتَبَّ له، يعني لم تتهيأ لطلبه ولا لشربه، من قولك: أبَّ للأمر وائتبّ له: تهيَّأ. وقولهم: الإعباب، أي: لا تعب في الماء.

(٢) ما بين القوسين في ب: وهي أعلام للبنية والعبد والأربة والأبّة وهي الأبة من الأب وهي. وهو تحريف.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٤٥.

(٤) في ب: وهو.

(٥) في ب: نظار ونزال.

(٦) في ب: انظر وانزل.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

(٨) يفهم من كلام ابن عادل في توجيهه لهذه القراءة أنَّ المراد بكسر السين كسر السين الأولى، ولكن المراد كسر السين الثانية، وما استدل به من قول الزمخشري وصاحب اللوامح ليس إلا دليلاً على كسر السين الثانية. وكذلك توجيه ابن جني وأبي البقاء لهذه القراءة يفهم منه ذلك، فقد شبه ابن جني هذه القراءة بنزال ودراك. وخرَّج أبو البقاء هذه القراءة على أنَّ «مساس» اسم للفعل، أي لا تمسَّني، أو اسم للخبر، أي لا يكون بيننا مماسّة. المحتسب ٢/ ٥٦، والتبيان ٢/ ٩٠٣.

(٩) في ب: الصفة. وهو تحريف.

(١٠) فيه: سقط من ب.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٥. وكذلك نرى ابن جني وجّه هذه القراءة على تقدير الحكاية، لأنه شبه «مساس» بنزال ودراك، وما سمي به الفعل لا تدخل عليه (لا) النافية للنكرات فـ (لا) إذاً في قوله: «لا مساس» نفي للفعل، فكأنه حكاية قول القائل: مَسَاسِ، ونزال، ودراك، فقال: لا مساس، أي لا أقول مساس والحكاية لا بد أن تكون مقدرة، لأنه لا يجوز أن تقول: لا اضربْ، فتنفي بـ (لا) لفظ الأمر لتنافي اجتماع الأمر والنهي، فالحكاية إذاً مقدرة معتقدة. المحتسب ٢/ ٥٦.

(١٢) في ب: وشبه.

(١٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧.

(١٤) وهو الفراء فإنه قال: (وتقرأ «لا مساس» وهي لغة فاشية، لا مساس مثل نزال ونظار من الانتظار) معاني القرآن ٢/ ١٩٠. والزجاج فإنه قال: (ويجوز لا مساس وأنَّ لك بفتح الميم وكسر السين الأخيرة على وزن دراك وتراك) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٤.

٣٦٨٧ ـ تَمِيمٌ كَرَهْطِ السَّامِرِيِّ وَقَوْلِهِ أَلاَ[١] لاَ يُرِيدُ السَّامِرِيُّ مَسَاسِ[٢][٣]

فكلام الزمخشري وابن عطية يعطي[٤] أن «مَسَاسِ» على هذه القراءة معدول عن المصدر كفجار عن الفَجرَة. وكلام صاحب اللوامح يقتضي أنَّها معدولة عن فعل الأمر إلا (أنْ يكون مراده)[٥] أنها معدولة كما أنَّ اسم الفعل معدول كما تقدم توجيه ابن عطيَّة لكلام أبي عبيدة.

فصل

معنى الكلام أنَّك ما دُمتَ حيًّا أن تقول: «لاَ مَسَاس» أي لا تخالط أحداً[٦] ولا يخالطك[٧] أحد. أو[٨] أمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقاربوه[٩]، قال ابن عباس لاَ مَسَاس لَكَ ولَوَلَدِكَ. والمَسَاس من المماسّة معناه لا يَمَسُّ بعضُنا بعضاً، فصار السامري يهيم في الأرض مع الوحوش والسباع لا يمس أحداً[١٠] ولا يمسه أحد، عاقبه الله[١١] بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول: لاَ مَسَاس، أي[١٢]: لا تقربني[١٣] ولا تَمَسَّنِي[١٤].

وقيل: كان إذا مَسَّ[١٥] أحداً أو مسَّه أحدٌ حُمَّا جميعاً، حتى إنَّ بقاياهم اليوم يقولون ذلك. وإذَا مسَّ أحدٌ من غيرهم أحداً منهم[١٦] حُمَّا جميعاً في الوقت[١٧]. وقال أبو مسلم يجوز أن يريد مسَّ النساء، فيكون من تعذيب الله إياه انقطاع نسله[١٨] فلا[١٩] يكون له من يؤنسه، فيخليه الله من زينة الدنيا (التي ذكرها)[٢٠] في قوله تعالى[٢١] «المَالُ والبَنُونُ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا»[٢٢][٢٣].

---

(١) في النسختين: أن.

(٢) البيت من بحر الطويل لم أهتد إلى قائله، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٢٧ والقرطبي ١١/ ٢٤٠، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٥. الرَّهط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة، والشاهد فيه أنَّ «مساس» معدول عن المصدر.

(٣) تفسير ابن عطية ١٠/ ٨٥.

(٤) في ب: يعني.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في الأصل: أحد. وهو تحريف.

(٧) يخالطك: سقط من الأصل.

(٨) في الأصل: و.

(٩) في الأصل: ولا يقربوه.

(١٠) في ب: أحد. وهو تحريف.

(١١) في ب: الله تعالى.

(١٢) أي: سقط من ب.

(١٣) في ب: أن تقربني.

(١٤) انظر البغوي ٥/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

(١٥) في ب: مسه. وهو تحريف.

(١٦) في ب: وإذا مسَّ أحد منهم من غيرهم.

(١٧) انظر البغوي ٥/ ٤٥٥.

(١٨) في النسختين: مسَّه. وما أثبته هو الصواب.

(١٩) في ب: ولا.

(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢١) تعالى: سقط من ب.

(٢٢) [الكهف: ٤٦].

(٢٣) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٢.

قوله: «وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ» الموعد بمعنى الوعد[١]. وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو «تُخْلِفَهُ» بكسر اللام على البناء للفاعل[٢]، أي تجيء إليه ولن تغيب عنه. والباقون بفتحها[٣] على البناء للمفعول[٤] وقرأ أبُو نُهَيْك فيما حكاه عنه (ابن خالويه)[٥] بفتح التاء من فوق وضم اللام[٦]، وحكى عنه صاحب اللوامح كذلك إلا أنه بالياء من تحت[٧] وابن مسعود والحسن بضم نون العظمة وكسر اللام[٨] فأما القراءة الأولى فمعناها: لن تَجِده[٩] مخلَفاً كقولك[١٠]: أحْمَدته وأحببته أي وجدته[١١] محموداً وحبَّاباً. وقيل المعنى: سيصل إليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيدة عنه، قال الزمخشري: وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته مخلَفاً. قال الأعشى:

٣٦٨٨ ـ أَثْــوَى وَقَــصَّــر لَـيْـلَـهُ لِـيُـزَوَّدَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا[١٢][١٣]

ومعنى[١٤] الثانية لَنْ يَخْلِفَ اللَّه موعده الَّذِي وَعَدَك. وفتحُ اللام اختيار أبي عبيد، كأَنَّهُ قال موعداً حقاً لا خُلْفَ[١٥] فيه[١٦]، ولن يُخلِف الله، والمعنى أن الله[١٧] يكافئك على فعلِك ولا تفر منه. وأما قراءتا أبي نُهَيْك فهما من خلفهُ يخلفُهُ إذا جاء بعده[١٨] أي الموعد[١٩] الذي لك لا يدفع قولَك الذي تقوله[٢٠]، وهي مشكلة، قال أبو حاتم: لا نعرف لقراءة أبي نُهَيْك مذهباً[٢١]. وأما قراءة ابن مسعود فأسند الفعل فيها[٢٢] إلى الله

---

(١) فهو مصدر ميمي على وزن مفعِل، لأنه من (وعَدَ) المثال الواوي الصحيح اللام الذي تحذف فاؤه في المضارع.

(٢) والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، والتقدير في «لن تخلِفه»: لن يخلف الله الموعد الذي قدر أن سيأتيه. وذلك لأنَّ (يخلف) مضارع أخلَفَ، وهو يتعدى إلى مفعولين. البيان ٢/ ١٥٣.

(٣) السبعة (٤٢٤)، الحجة لابن خالويه (٢٤٧)، الكشف ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦، النشر ٢/ ٣٢٢ الإتحاف (٣٠٧).

(٤) متعدياً لاثنين أحدهما الضمير المستتر المرفوع على النيابة، والثاني الهاء، أي لن يخلفك الله الموعد. البيان ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) المختصر: ٨٩.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

(٨) انظر المحتسب ٢/ ٥٧، الكشاف ٢/ ٤٤٥، البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٩) في الأصل: تجد.

(١٠) في ب: كقوله.

(١١) في ب: وحمدته.

(١٢) البيت من بحر الكامل، قاله الأعشى، وهو في ديوانه (٥٤) المحتسب ١/ ١٤٠، ٢/ ٥٧، الخصائص ٣/ ٢٥٣، أمالي ابن الشجري ٢/ ٤٤ اللسان (ثوى) البحر المحيط ٦/ ٢٧٥، وشرح شواهد الكشاف ٣٤.

(١٣) الكشاف ٢/ ٤٤٥.

(١٤) في ب: معنى.

(١٥) في ب: لا أخاف. وهو تحريف.

(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٢.

(١٧) في ب: الله تعالى.

(١٨) في ب: جاءت عدة.

(١٩) في ب: الموضع.

(٢٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

(٢١) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٢٢) في ب: هنا.

تعالى، والمفعول الأول محذوف، أي لن (يخلفكه)[١][٢].

قوله: «ظَلْتَ» العامَّة على فتح الظاء وبعدها لام ساكنة. وابن مسعود وقتادة والأعشى بخلاف عنه وأبو حَيْوَة وابن أبي عبلة ويحيى بن يعمر كسر الظَّاء[٣]، وروي[٤] عن ابن يَعْمَر ضمها[٥] أيضاً[٦]. وأبيّ والأعمش في الرواية الأخرى[٧] «ظَلِلْتَ» بلامين أولهما مكسورة[٨] فأمَّا قراءة العامة[٩] ففيها حذف أحد[١٠] المِثلين وإبقاء الظاء على حالها من حركتها، وإنما حذف تخفيفاً، وعده سيبويه في الشاذ[١١]، يعني شذوذ قياس لا شذوذ استعمال، وعدَّ معه ألفاظاً[١٢] أُخَر نحو مَسْتُ وَأَحَسْتُ[١٣]. كقوله:

٣٦٨٩ ـ أَحَسْنَ بِهِ (فَهُنَّ إلَيْكَ شُوسُ[١٤])[١٥]

وعد (ابن الأنباري)[١٦] هَمْتُ في هَمَمْتُ، ولا يكون هذا الحذف إلا إذا سكنت لام الفعل[١٧]. وذكر بعض المتأخرين أن هذا الحذف منقاس في كل مضاعف العين واللام سكنت لامه وذلك في لغة سليم[١٨].

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩٠٣.

(٢) ما بين القوسين في ب: نخلفكم.

(٣) المختصر ٨٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٤) في ب: ويروى.

(٥) في ب: فتحها. وهو تحريف.

(٦) المختصر ٨٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٧) في ب: في رواية.

(٨) المختصر: ٨٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٩) في ب: العامة بفتحها.

(١٠) في ب: إحدى. وهو تحريف.

(١١) انظر الكتاب ٤/ ٤٢٢.

(١٢) في ب: ألفاظ.

(١٣) وذلك أنه لما التقى المثلان في كلمة واحدة وتعذر الإدغام لسكون الثاني منهما، لاتصال الضمير المتحرك به، حذفوا الأول منهما حذفاً على غير القياس قال سيبويه: (وكذلك فعل به في كل بناء تبنى اللام من الفعل فيه على السكون ولا تصل إليه الحركة شبهوها بأقمت.... ومثل ذلك قولهم: ظلتُ ومسْتُ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء، كما قالوا: خِفتُ وليس هذا النحو إلا شاذاً، والأصل في هذا عربي كثير، وذلك قولك: أحسست، ومسِسْتُ، وظللت وأما الذين قالوا: ظلت ومست فشبهوها بلست، فأجروها في فَعِلتُ مجراها في فَعِل، وكرهوا تحريك اللام فحذفوا... ولا نعلم شيئاً من المضاعف شذّ عمَّا وصفت لك إلا هذه الأحرف) الكتاب ٤/ ٤٢١، ٤٢٢.

(١٤) مابين القوسين سقط من ب. وهو عجز بيت من بحر الوافر قاله أبو زبيد الطائي، وصدره:

خـلا أنّ الـعـتـاق مـن الـمـطـايـا

وهو في مجاز القرآن ٢/ ٢٨، ١٣٧، ومجالس ثعلب ١/ ٤١٨. والتهذيب ٣/ ٤٠٨، الخصائص ٢/ ٤٣٨، المنصف ٣/ ٨٤، المحتسب ١/ ١٢٣، ٢٦٩، ٢/ ٧٦، أمالي ابن الشجري ١/ ٩٧، ٣٨٨. الإنصاف ١/ ٢٧٣، ٢٧٧، ابن يعيش ١٠/ ١٥٤، اللسان (حسس ـ حسا) ويروى: حسين به.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه أبي وهو تحريف.

(١٧) البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(١٨) وهو ابن مالك قال في التسهيل: (ويجوز في لغة سليم حذف عين الفعل الماضي المضاعف المتصل بتاء الضمير أو نونه، مجعولة حركتها على الفاء وجوباً إن سكنت وجوازاً إن تحركت ولم تكن حركة العين فتحة، وربما فعل ذلك بالأمر والمضارع) ٣١٤.

قال شهاب الدين: والذي أقوله إنه متى التقى التضعيف المذكور والكسرة نحو ظَلِلْتُ ومَسِسْتُ انقاس الحذف. وهل يجري الضم مجرى الكسر في ذلك؟ فالظاهر أنه يجري بل بطريق الأولى، لأن الضم أثقل من الكسر نحو غُضْنَ يا نسوة أي اغضُضْنَ أبصاركنّ(١) ذكره ابن مالك(٢).

وأما الفتح فالحذف فيه(٣) ضعيف نحو قَرْن يا نسوة في المنزل، ومنه أحد توجيهي قراءة «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»(٤) كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وأما الكسر فوجهه أنه نقل كسرة اللام إلى الفاء بعد سلبها حركتها ليدل عليها.

وأما الضمُّ فيحتمل أن يكون جاء فيه لغة على فَعَل يَفْعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع ثم نقلت كما تقدم ذلك في الكسر. وأما «ظَلِلْتُ»(٥) بلامين فهذه هي الأصل، وهي منبهة على غيرها. و «عَاكِفاً» خبر «ظَلَّ».

قوله: «لَنُحَرِّقَنَّهُ» جواب قسم محذوف، أي: والله لنحُرِّقَنَّهُ، والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرَّقَهُ يحرّقه بالتشديد(٦). وفيها تأويلان:

أحدهما: أنها من حرقه بالنار.

والثاني: أنه من حرق ناب البعير إذا وقع عضٌّ ببعض أنيابه على بعض، والصوت المسموع منه يقال له(٧) الصَّريف، والمعنى لَنَبْرُدُنَّه بالمِبْرَد بَرداً(٨) يسحقه به كما يفعل البعير بأنيابه بعضها على بعض. وقرأ الحسنُ وقتادة وأبو جعفر «لَنُحْرُقَنَّهُ» بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من أحرق رباعياً(٩). وقرأ ابن عباس(١٠) وحميد وعيسى وأبو جعفر «لَنُحْرِقَنَّهُ» كذلك إلا أنه بضم الراء(١١)، فيجوز أن يكون من حرَّقَ وأَحْرَقَ بمعنى

---

(١) في ب: أيضاً. وهو تحريف.

(٢) الدر المصون ٥/ ٠٣٧ قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية: (ومثال ذي الضم من المضاعف: (اغْضُضْنَ) لو قيل فيه (غُضن) قياساً على (قَرْنَ) لجاز وإن لم أره منقولاً، لأن فكّ المضموم أثقل من فك المكسور وإذا كان فك المفتوح قد فر منه إلى الحذف في (قَرْنَ) المفتوح القاف فَفعْلُ ذلك بالمضموم أحق بالجواز) ٤/ ٢١٧١.

(٣) في ب: منه. وهو تحريف.

(٤) [الأحزاب: ٣٣] فقرأ نافع وعاصم: «وقرن» بفتح القاف والباقون: «وقرن» بالكسر. السبعة: ٥٢١ - ٥٢٢، وشرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٧٠.

(٥) في ب: وأما ظللن.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٧) في الأصل: لها، وفي ب: أن. وما أثبته هو الصواب.

(٨) انظر التبيان ٢/ ٩٠٣.

(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٧٦. الإتحاف (٣٠٧).

(١٠) في ب: وقرأ ابن حميد وابن عباس.

(١١) في المحتسب ٢/ ٥٨، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٦: هذه القراءة بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء خفيفة.

كأنزل ونزَّل. وأما القراءة الأخيرة فبمعنى لَنَبرُدَنَّهُ بالمِبْرَد[١].

قوله: «لَنَنْسِفَنَّهُ»[٢] العامة على فتح النون الأولى وسكون الثانية[٣] وكسر السين خفيفة. وقرأ عيسى بضم (السين[٤])[٥]. وقرأ ابن مقسّم بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر السين مشدّدة[٦]. والنَّسف التفرقة والتذرية، وقيل: قَلْع[٧] الشيء من أصله، يقال: نَسَفَهُ ينسِفُه بكسر السين وضمها في المضارع، وعليه القراءتان[٨] والتشديد للتكثير.

فصل

معنى إحراقه على قراءة التشديد قال السُّدِّي: أمر موسى بذبح العجل فذبح وسال منه الدم، ثم أُحرق ونُسِف رماده[٩]. وهذا يدل على أنه صار لحماً ودماً، لأن الذهب لا يمكن إحراقه بالنار[٩]. وفي حرف ابن مسعود: «لَنَذْبَحَنَّه ولَنَحْرِقَنَّهُ»[١٠]. وعلى[١١] قراءة التخفيف أي لَنَبْرُدَنَّه بالمِبْرد، وهذه القراءة تدل على أنه لم ينقلب لحماً ودماً، فإن ذلك لا يُبْرَد بالمِبْرد[١٢]، ومنه قيل للمبرد: المحرق.

وقال السَّدي: أخذ موسى العجل، ثم ذبحه[١٣] ثم حرقه، ثم بُرِدت عظامه بالمِبرد، ثم ذرَّاهُ في اليَمِّ[١٤]. ثم[١٥] لما فرغ من إبطال ما ذهب إليه السامريُّ عاد إلى بيان الدين الحق فقال: «إنَّما إلٰهُكُمْ» أي المستحق للعبادة «اللَّهُ الَّذِي لاَ إلٰهَ إلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلْماً» قال مقاتل: يعلم من يعبده (ومن لا يعبده)[١٦][١٧] قوله: «وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً» العامة على كسر السين خفيفة و «عِلْماً» على هذه القراءة تمييز منقول من الفاعل[١٨]، إذ الأصل وسع كُلَّ شيءٍ علمُهُ. وقرأ مجاهد وقتادة بفتح السين مشدده[١٩].

وفي انتصاب «عِلماً» أوجه:

أحدها[٢٠]: أنه مفعول به، قال الزمخشري: ووجهه[٢١] أن «وَسع» متعد إلى

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٦.
(٢) في ب: «ثم لننسفنه».
(٣) في ب: وكسر الثانية وسكون النون. وهو تحريف.
(٤) المختصر (٨٩)، البحر المحيط ٦/٢٧٦.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) البحر المحيط ٦/٢٧٦.
(٧) في ب: ويقال: لقلع.
(٨) في ب: القرآن. وهو تحريف.
(٩) الفخر الرازي ٢٢/١١٢.
(١٠) الفخر الرازي ٢٢/١١٢، القرطبي ١١/٢٤٢.
(١١) في ب: وفي.
(١٢) الفخر الرازي ٢٢/١١٢.
(١٣) في ب: فذبحه.
(١٤) انظر البغوي ٥/٤٥٦.
(١٥) في ب: فصل.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٣.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٨) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٧.
(١٩) المختصر ٨٩، الكشاف ٢/٤٤٦، القرطبي ١١/٢٤٣، البحر المحيط ٦/٢٧٧.
(٢٠) في ب: الأول.
(٢١) في الأصل: وجه.

مفعول واحد (وهو كُلَّ شيءٍ)[١] وأما «عِلماً» فانتصابه على التمييز فاعلاً في المعنى، فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما معاً على المفعولية، لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيدٌ عمراً[٢]: خَوَّفْتُ زيداً عمراً[٢]: فترُدُّ[٣] بالنقل ما كان فاعلاً مفعولاً[٤]. وقال أبو البقاء: والمعنى[٥]: أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ عِلماً[٦] فضمنه معنى (أعطَى). وما قاله الزمخشري أولى.

والوجه[٧] الثاني: أنه تميز أيضاً كما هو في قراءة التخفيف، قال أبو البقاء وفيه وجه آخر، وهو أن يكون بمعنى عظَّمَ خلقَ كُلِّ شيءٍ كالأرض والسماء، وهو بمعنى بسط فيكون «عِلماً» تمييزاً[٨] وقال ابن عطية: وسع خَلْقَ الأشياءِ وكثرها[٩] بالاختراع[١٠].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

قوله تعالى[١١]: «كَذَلِكَ نَقُصُّ» الكاف إما نعت لمصدر محذوف[١٢]، أو حال[١٣] من ضمير ذلك المصدر المقدر، والتقدير: كقصّنا هذا النبأ الغريب نقص، و «مِن أَنْبَاءِ» صفة لمحذوف[١٤] هو مفعول «نَقُصُّ» أي: نقص نبأً من أنباء.

فصل

لمَّا ذكر قصة موسى[١٥] ـ عليه السلام[١٦] ـ مع فرعون ثم مع السامري قال: «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ» من أخبار سائر الأمم وأحوالهم تكثيراً لشأنك[١٧] وزيادةً في معجزاتك «وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً» يعني القرآن (لقوله تعالى)[١٨]: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ

---

(١) ما بين القوسين تكملة من الكشاف.
(٢) في الأصل: عمروا، وفي ب: عمرو. والصواب ما أثبته.
(٣) في ب: وترد.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٦.
(٥) والمعنى: سقط من ب.
(٦) التبيان ٢/ ٩٠٣.
(٧) في ب: الوجه.
(٨) التبيان ٢/ ٩٠٤.
(٩) في ب: وعظمها وكثرها.
(١٠) تفسير ابن عطية ١٠/ ٨٩.
(١١) تعالى: سقط من ب.
(١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧. التبيان ٢/ ٩٠٤.
(١٣) في الأصل: أو حالاً. وهو تحريف.
(١٤) في ب: صفة لنقص أو لمحذوف. وهو تحريف.
(١٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٣ ـ ١١٤.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) في الأصل: لبيناتك.
(١٨) ما بين القوسين سقط من ب.

أَنْزَلْنَاهُ»[١] «وإنَّهُ لَذِكْرٌ»[٢] «والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ»[٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْه الذِّكْرُ»[٤]. وفي تسمية القرآن بالذكر وجوه[٥]:

أحدها[٦]: أنه كتاب فيه ذكرُ ما يحتاج[٧] إليه الناس من أمور[٨] دينهم ودنياهم.

وثانيها[٩]: أنه يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه، وفيه التذكير والموعظة.

وثالثها[١٠]: فيه الذكر والشرف لك ولقومك[١١] كما قال: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ»[١٢] وسمى الله تعالى كل كتاب أنزله ذكراً[١٣] فقال تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ»[١٤] وكما بيَّن[١٥] نعمته بذلك بيَّنَ وعيده لمن أعرض عنه فقال: «مَنْ[١٦] أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْراً» أي: من أعرض عن القرآن ولم يؤمن به[١٧] ولم يعمل بما فيه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً، والوزرُ هو العقوبة الثقيلة[١٨]، سماها[١٩] وزراً لثقلها على المعاقب تشبيهاً بالحمل الثقيل[٢٠]. وقيل: حِمْلاً ثقيلاً من الإثم[٢١]. قوله: «مَنْ أَعْرَضَ» يجوز أن تكون «مَنْ» شرطية أو موصولة[٢٢]، والجملة الشرطية أو الخبرية الشبيهة بها في محل نصب صفة لـ «ذِكْراً»[٢٣]. قوله: «خَالدينَ فِيهِ» حال من فاعل «يَحْمِلُ»[٢٤]. فإن قيل: كيف يكون الجمع[٢٥] حالاً من مفرد؟

فالجواب: أنه حمل على لفظ «مَنْ»[٢٦] فأفرد الضمير في قوله: «أَعْرَضَ» و «فَإِنَّهُ» و «يَحْمِلُ»، وعلى معناها فجمع في «خَالِدِينَ» و «لَهُمْ»[٢٧]، والمعنى مقيمين في عذاب

---

(١) [الأنبياء: ٥٠].
(٢) من قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ [الزخرف: ٤٤].
(٣) [سورة ص: ١].
(٤) [سورة الحجر: ٦].
(٥) في ب: وتسمية القرآن بالذكر فيه وجوه.
(٦) في ب: الأول.
(٧) في ب: ما يحتاجون.
(٨) تمور: سقط من ب.
(٩) في ب: الثاني.
(١٠) في ب: الثالث.
(١١) في ب: فيه الشرف لك ولقومك والذكر لك ولقومك.
(١٢) [الزخرف: ٤٤].
(١٣) في الأصل: ذكر. وهو تحريف.
(١٤) [النحل: ٤٣] [الأنبياء: ٧].
(١٥) في ب: ولمّا.
(١٦) في الأصل: ومن. وهو تحريف.
(١٧) به: سقط من الأصل.
(١٨) في ب: الشديدة الثقيلة.
(١٩) في ب: سماها الله تعالى.
(٢٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١١٣ ـ ١١٤.
(٢١) مجاز القرآن ٢/٢٩.
(٢٢) في ب: يجوز أن تكون موصولة وأن تكون شرطية.
(٢٣) في ب: لذكري. وهو تحريف.
(٢٤) في الآية السابقة: (١٠٠) وانظر البيان ٢/١٥٤ التبيان ٢/٩٠٤.
(٢٥) في ب: الجمع يكون.
(٢٦) من: سقط من ب.
(٢٧) البيان ٢/١٥٤، التبيان ٢/٩٠٤.

الوزر. والضمير في «فِيهِ» يعود لـ «وِزْراً»، والمراد فيه[١] العقاب المتسبب عن الوزر، وهو الذَّنب، فأقيم السبب مقام المسبب. وقرأ داود (بن رفيع[٢])[٣] «ويُحَمَّل» مضعفاً مبنيًّا للمفعول[٤]، والقائم مقام فاعله ضمير «مَنْ» و[٥] «وِزْراً» مفعول ثان[٦]. قوله: «وَسَاءَ» هذه ساء التي بمعنى بِئْس[٧] وفاعلها مستتر فيها يعود إلى «حِمْلاً» المنصوب على التمييز، لأن هذا الباب يفسر الضمير فيه بما بعده، والتقدير: وَسَاءَ الحِمْلُ حِمْلاً، (والمخصوص بالذم محذوف تقديره: وَسَاءَ الحِمْلُ حِمْلاً وِزْرُهُمْ)[٨]. ولا يجوز أن يكون الفاعل لبئس ضمير الوِزْر، لأن شرط الضمير في هذا الباب أن يعود على نفس[٩] التمييز[١٠]. فإن قلتَ[١١]: ما أنكرت أن يكون في «سَاءَ» ضمير الوزر. قلت: لا يصح أن يكون في «سَاءَ» وحكمه حكم بئس ضمير شيءٍ بعينه غير مبهم[١٢]. ولا جائز[١٣] أن يكون «سَاءَ» هنا بمعنى (أَهَمَّ وأحزَنَ) فتكون متصرفة كسائر الأفعال[١٤].

قال الزمخشري: كفاك[١٥] صادًّا عنه أن[١٦] يَؤُول كلامُ الله تعالى إلى قولك[١٧] وأحْزَنَ[١٨] الوِزْرُ لَهُمْ يومَ القيامة حِمْلاً، وذلك بعد[١٩] أن تخرج عن عُهْدِة هذه اللام وعهدة هذا[٢٠] المنصوب[٢١]. انتهى. واللام في «لَهُمْ» متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كهي في «هَيْتَ لَكَ»[٢٢] والمعنى بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً

---

(١) في ب: والضمير في ذلك هو. وهو تحريف.
(٢) لم أجد له ترجمة فيما رجعت إليه من مراجع.
(٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٤) المختصر ٩٨، ٩٠، القرطبي ١١/٢٤٤، البحر المحيط ٦/٢٧٨.
(٥) و: سقط من ب.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٨.
(٧) في لزوم إنشاء الذم، ولها حينئذ نفس الأحكام الثانية لبئس من كون الفاعل مقروناً بأل نحو ساء الرجل أبو جهل، أو مضافاً لما فيه أل نحو ساء حطب النار أبو لهب. أو مفسراً بتمييز كما هنا. وانظر ذلك في شرح الأشموني ٣/٦٣ ـ ٤٣ (باب نعم وبئس).
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) نفس: سقط من ب.
(١٠) وهو من المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. انظر الكشاف ٢/٤٤٦، التبيان ٢/٩٠٤. المغني ٢/٤٨٩.
(١١) في ب: فإن قيل.
(١٢) الكشاف ٢/٤٤٦.
(١٣) في ب: ولا يجوز.
(١٤) لأن «ساء» لما ضمِّن معن «بئس» صار جامداً ولزمه إنشاء الذم مبالغة. الأشموني ٣/٣٩.
(١٥) في ب: لفي. وهو تحريف.
(١٦) في ب: أنه.
(١٧) قولك: تكملة من الكشاف.
(١٨) في ب: أهمّ وأحزن.
(١٩) في الأصل: بعيد. وهو تحريف.
(٢٠) في ب: هذه. وهو تحريف.
(٢١) الكشاف ٢/٤٤٦.
(٢٢) من قوله تعالى: **﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله﴾** [يوسف: ٣٢] فيمن قرأ «هيت» بهاء مفتوحة وياء ساكنة وتاء مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة فهي اسم=

بالقرآن. قوله: «يَوْمَ يُنْفَخُ»[١] «يَوْمَ» بدل من «يَوْمَ القِيَامَةِ»[٢]، أو بيان له أو منصوب بإضمار فعل، أو خبر مبتدأ مضمر، وبُنِيَ[٣] على الفتح على رأي الكوفيين كقراءة «هَذَا يَوْمُ يَنْفع»[٤] وقد تقدَّم. وقرأ أبو عمرو «نَنْفُخُ» مبنيّاً للفاعل بنون العظمة كقوله: «وَنَحشُر» أسند الفعل إلى[٥] الأمر به تعظيماً للمأمور، وهو إسرافيل. والباقُونَ بالياء مضمومة مفتوح الفاء على البناء للمفعول[٦]، والقائم[٧] مقام الفاعل الجار والمجرور[٨] بعده. والعامة على إسكان الواو «في الصُّورِ».

وقرأ الحسن وابن عامر[٩] بفتحها جمع صورة كغُرَف جمع غُرْفة، وقد تقدم القول في الصُّور في الأنعام[١٠] (وقرىء: «يَنْفُخ، ويَحْشُرُ» بالياء مفتوحة مبنيّاً للفاعل[١١]، وهو الله تعالى أو المَلَك)[١٢]. وقرأ الحسن وحميد «يُنْفَخُ» كالجمهور[١٣]، «ويَحْشُرُ» بالياء مفتوحة مبنياً للفاعل[١٤]، والفاعل[١٥] كما تقدم ضمير الباري أو ضمير الملك. وروي

= فعل، ويكون مسماه فعل أمر بمعنى أقبل أو تعال، فاللام للتبيين أي إرادتي لك أو أقول لك. واللام في الآية التي معنا للبيان وهي متعلقة بمحذوف، لأن الجار والمجرور لا يتعلق بالجامد. انظر المغني ١/ ٢٢٢.

(١) في ب: يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّور.

(٢) في الآية السابقة: (١٠٠). البحر المحيط ٦/ ٢٧٨.

(٣) في ب: وهو. وهو تحريف.

(٤) من قوله تعالى: **﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾** [المائدة: ١١٩] وذكر ابن عادل هناك: الجمهور على رفعه من غير تنوين ونافع على نصبه من غير تنوين، فأما قراءة الجمهور فواضحة على المبتدأ والخبر، فالجملة في محل نصب بالقول، وجملة «ينفع الصادقين» في محل جر بالإضافة، وأما قراءة نافع فـ «هذا» مبتدأ، و «يوم» خبره كالقراءة الأولى، وإنما بني الظرف لإضافته إلى الجملة الفعلية وإن كانت معربة وهذا مذهب الكوفيين، واستدلوا عليه بهذه القراءة وأما البصريون فلا يجيزون البناء إلا إذا صدِّرت الجملة المضاف إليها بفعل ماض وخرّجوا هذه القراءة على أنَّ «يوم» منصوب على الظرف، وهو متعلق في الحقيقة بخبر المبتدأ، أي: هذا واقع أو يقع في يوم ينفع، و «يَنْفَعُ» في محل خفض بالإضافة.

(٥) في ب: في. وهو تحريف.

(٦) السبعة (٤٢٤)، الحجة لابن خالويه (٢٤٧)، الكشف ٢/ ١٠٦، النشر ٢/ ٣٣٢، الإتحاف (٣٠٧).

(٧) في ب: وهو القائم. وهو تحريف.

(٨) في ب: على الجار والمجرور. وهو تحريف.

(٩) في ب: وابن عامر في رواية.

(١٠) عند قوله تعالى: **﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾** [الأنعام: ٧٣].

(١١) البحر المحيط ٦/ ٢٧٨.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) في ب: وقرأ «ينفخ» «ويحشر» كالجمهور. وهو تحريف.

(١٤) البحر المحيط ٦/ ٢٧٨.

(١٥) والفاعل: سقط من ب.

عن الحسن أيضاً «ويُحْشَرُ» مبينًا للمفعول «المُجْرِمُونَ»[١] رفع به[٢] و «زُرْقاً» حال من المجرمين[٣]، والمراد زرقةُ العُيون، وجاءت الحال هنا بصفة تشبه اللازمة[٤]، لأن أصلها على عدم اللزوم، ولو قلتَ في الكلام: جاءَنِي زيدٌ أزرق العينين لم يجز[٥] إلا بتأويل[٦].

فصل

قيل: الصور قرن ينفخ فيه بدعائه الناس للحشر. وقيل: إنه جمع[٧] صورة، والنَّفخُ نفخ الرُّوح فيه، ويدل عليه قراءة من قرأ «الصُّوَر» بفتح الواو[٨].

والأول أولى لقوله تعالى: «فإذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ»[٩] والله تعالى يعرف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شُوهِد في الدنيا، ومن عادة الناس النفخُ في البوق عند الأسفار وفي العساكر[١٠]. والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك: «وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يُوْمَئِذٍ زُرْقاً»، فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم، فهو كقوله: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً»[١١][١٢]. والزرقة هي الخضرة في سواد العين، فيُحْشَرُون زرق العيون سود الوجوه[١٣]. فإن قيل: أليس أنَّ الله تعالى[١٤] أخبر أنهم يُحْشَرُونَ عُمْياً[١٥] فكيف يكون أعمى وأزرق[١٦]؟

---

(١) المختصر: (٩٠)، البحر المحيط ٦/ ٢٧٨. (٢) في ب: مفعول به. وهو تحريف.

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧، القرطبي ١١/ ٢٤٤.

(٤) في ب: ها هنا من الملازمة. وهو تحريف. (٥) في ب: لم يجز به. وهو تحريف.

(٦) الأصل في الحال أن تكون منتقلة، وتأتي لازمة في:

أ ـ أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها نحو زيدٌ أبوك عطوفاً، أو لعاملها نحو قوله تعالى: **﴿ويوم أبعث حياً﴾** [مريم: ٣٣] أو لصاحبها نحو قوله تعالى: **﴿لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾** [يونس: ٩٩].

ب ـ أن يدل عاملها على تجدّد صاحبها وحدوثه نحو خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها، فـ (أطول) حال ملازمة من (يديها).

ج ـ أن مرجعها إلى السماع نحو قوله تعالى: **﴿شهد الله أنه إله لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** [آل عمران: ١٨] إذا أعرب (قائماً) حالاً من فاعل (شهد). والآية التي بين أيدينا من النوع الثاني، وفي المثال لا يمكن حمله على التجدد لعدم دلالة ذلك في العامل. انظر شرح التصريح ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٧) في ب: اسم. وهو تحريف.

(٨) وهي قراءة الحسن وابن عامر.

(٩) [المدثر: ٨].

(١٠) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.

(١١) [النبأ: ١٧].

(١٢) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.

(١٣) وهو قول الضحاك ومقاتل. وانظر البغوي ٥/ ٤٥٧، والفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.

(١٤) تعالى: سقط من ب.

(١٥) قال الله تعالى: **﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً﴾** [الإسراء: ٩٧].

(١٦) في ب: أعمى وأزرق العيون.

فالجواب لعله يكون أعمى في حال، وأزرق في حال[١].

وقيل: «زُرْقاً» أي عُمْياً[٢]، قال الزجاج: يخرجون زُرْقاً في أول الأمر ويُعْمون في المحشر[٣].

وسوادُ العين إذا ذهب تزرق[٤]. فإن قيل: كيف يكون أعمى، وقد[٥] قال الله تعالى: «لِيَوْمٍ[٦] تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ»[٧] وشخوص البصر[٨] من الأعمى محال، وأيضاً قد[٩] قال فيِ حقهم: «اقْرَأْ كِتَابَكَ»[١٠] والأَعْمَى كيف يقرأ؟

فالجواب أن أحوالهم قد تختلف[١١]. وقيل: المراد بقوله: «زُرْقاً» أي زرق العيون، والعرب تتشاءَمُ بها. وقيل يجتمع مع الزرقة سواد[١٢] الوجه.

قال أبو مسلم: المراد بالزرقة شخوص أبصارهم، والأزرق شاخص فإنه لضعف بصره يكون محدِّقاً نحو الشيء، وهذه حال[١٣] الخائف المتوقع لما يكره، وهي كقوله: «إِنَّمَا يؤَخِّرهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار[١٤]»[١٥].

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: «زُرْقاً» عِطَاشاً[١٦]، قال لأنهم من شدة العطش يتغير سوادُ أعينهم حتى تزرَقُ لقوله[١٧] تعالى: «وَنَسُوقُ المُجْرِمينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً»[١٨][١٩] وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي[٢٠]: «زُرْقاً» طامعين (فيما لاَ يَنَالُونَه[٢١])[٢٢].

فصل

قالت المعتزلة: لفظُ المجرمين يتناول الكفار والعُصاة فيدل على عدم العفو عن[٢٣]

---

(١) الفخر الرازي ٢٢/ ٤١١.
(٢) قاله الكلبي. انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.
(٣) قال الزجاج: (يخرجون من قبورهم بصراء كما خلقوا أول مرة ويعمون في المحشر) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٦.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.
(٥) قد: سقط من ب.
(٦) في ب: يوم. وهو تحريف.
(٧) [إبراهيم: ٤٢].
(٨) في ب: الأبصار.
(٩) قد: سقط من ب.
(١٠) من قوله تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤].
(١١) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.
(١٢) في ب: وقيل يجتمع بين الزرقة وسواد الوجه.
(١٣) في ب: حالة.
(١٤) [إبراهيم: ٤٢].
(١٥) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.
(١٦) مجالس ثعلب ١/ ٣٢٥.
(١٧) في الأصل: كقوله.
(١٨) [مريم: ٨٦].
(١٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٥.
(٢٠) في ب: عن ابن الأعرابي أيضاً.
(٢١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٥.
(٢٢) ما بين القوسين في الأصل: على ما لا ينالوه، وفي ب: على مما ينالوه.
(٢٣) في الأصل: عنهم.

العصاة. وقال[١] ابن عباس: يريدُ بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلٰهاً آخر وتقدم هذا البحث[٢].

قوله: «يَتَخَافَتُونَ» يجوزُ أن يكون مستأنفاً، وأن يكونَ حالاً ثانية من «المُجْرمينَ»[٣]، وأن يكونَ حالاً من الضمير المستتر في «زرقاً»[٣] فتكون حالاً متداخلة[٤]، إذ هي حال (من حال)[٥]. ومعنى «يَتَخَافَتُونَ» أي: يتشاوَرُونَ فيما بينهم، ويتكلمون خفية[٦]، يقال: خَفَتَ يَخْفتُ، وخَافَتَ مُخَافَتَة[٧]، والتَّخَافُت السرار نظيره قوله تعالى[٨]: «فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً»[٩]، وإنما يتخافتون، لأنه امتلأت صدورُهُمْ من الرعب والهول، أو لأنهم بسبب[١٠] الخوفِ صارُوا في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر[١١]. وقوله: «إن لَبِثْتُمْ»[١٢] هو مفعول المارة[١٣]، وقوله: «إلاَّ عَشْراً» يجوز أن يراد الليالي، وحذف التاء من العدد قياسي[١٤]. وأن يراد الأيام، فيُسْأَل لِمَ حذفت التاء؟ فقيل[١٥]: إنه إذا لم يذكر المميز في عدد المذكر جازت التاء وعدمها[١٦]، سمع من كلامهم: صُمْنَا من الشهر خَمْساً[١٧]، والصَّوْمُ إنما هو الأيام[١٨]، دون اللَّيالي. وفي الحديث «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وأَتْبَعَهُ بستّ مِنْ شَوَّال»[١٩]، وحسن الحذف هنا لكونه رأس آية وفاصلة[٢٠].

---

(١) في الأصل: قال.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٤.

(٣) انظر التبيان ٢/ ٩٠٤.

(٤) الحال المتداخلة: هي التي يكون صاحبها ضميراً في الحال الأولى.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في اللسان (خَفَتَ): وتخافت القوم إذا تشاوروا سرّاً، وفي التنزيل العزيز: **﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً﴾**.

(٧) في ب: يقال: خفت وخافة ومخافة ومخفت. وهو تصحيف.

(٨) تعالى: سقط من ب.

(٩) [طه: ١٠٨].

(١٠) في ب: السبب.

(١١) انظر الرازي ٢٢/ ١١٥.

(١٢) في الأصل: «إن لَبِثْتُم إلا».

(١٣) في ب: المسارعة. وهو تحريف.

(١٤) لأن العدد من ثلاثة إلى عشرة يذكر مع المؤنث، ويؤنث مع المذكر.

(١٥) في ب: مذكر.

(١٦) يؤنث العدد إذا كان المعدود مذكراً نحو: أربعة أيام وعشرة رجالٍ. وإن كان المعدود محذوفاً يجوز على الأفصح تأنيث العدد نحو: صمت خمسة، أي خمسة أيام. وترك التأنيث. وعلى قوله تعالى: **﴿أربعة أشهر وعشراً﴾** [البقرة: ٢٣٤] وحديث: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوَّال» الهمع ٢/ ١٤٨.

(١٧) حكاه الكسائي عن أبي الجراح. البحر المحيط ٦/ ٢٧٩، الهمع ٢/ ١٤٨ وهذا شاهد على جواز حذف التاء من العدد إذا كان المعدود مذكراً محذوفاً.

(١٨) في ب: وإنما الصوم للأيام.

(١٩) أخرجة مسلم (صيام) ٢/ ٨٢٢، والترمذي (صوم) ٢/ ١٢٩ـ ١٣٠ وابن ماجه (صيام) ١/ ٥٤٧، وأحمد ٥/ ٤١٧، ٤١٩.

(٢٠) البحر المحيط ٦/ ٢٧٩.

فصل[(١)]

قال الحسن وقتادةَ والضحَّاك: أرادوا به[(٢)] اللبث في الدنيا، أي فما مكثتم في الدُّنْيَا إلا عشر ليال، واحتجُّوا بقوله تعالى: «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سنين قَالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم»[(٣)(٤)].

فإن قيل[(٥)]: إما (أن يقال)[(٦)]: إنهم قد[(٧)] نَسوا قدرَ لبثهم في الدنيا أو[(٨)] ما نَسوا ذلك والأول غير جائز، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يبقى الإنسان خمسين سنة في بلدة ثم يَنْسَى.

والثاني غير جائز، لأنه كذب، وأهل الآخرة لا يكذبون لا سيَّما وهذا الكذب لا فائدة فيه.

فالجواب من وجوه:

الأول: لعلَّهم إذا حُشِرُوا في أول الأمر وعاينوا تِلْكَ الأهوال وشدة وقعها ذهلوا عن مقدار عمرهم في الدُّنيا، ولم[(٩)] يذكروا إلا القليل، فقالوا: ليتَنا ما عِشْنَا إلا[(١٠)] تلك الأيام القليلة في الدنيا حتى لا نَقَع في هذه الأهوال، والإنسان قد يذهل عند الهول الشديد، وتمام تقريره مذكور في سورة الأنعام في قوله تعالى[(١١)]: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكين»[(١٢)].

وثانيها[(١٣)]: أنهم عالِمون بمقدار عمرهم في الدنيا إلا إنَّهم لمّا قَابَلُوا أَعمَارَهُمْ في الدنيا بأعمارِ الآخرة وجدُوهَا في نهاية القلة، فقال بعضهم: ما لبثْنَا في الدنيا إلا عشرة أيام، وقال أعقَلُهُمْ: ما لبثنا إلاَّ يوماً واحداً، أي: قدر لبثنا في الدنيا بالقياس إلى قدر لبثنا في الآخرة كعشرة أيام بل كاليوم الواحد بل كالعدم، وإنما خصَّ العشرة والواحد[(١٤)] بالذكر، لأن القليل في أمثال هذه المواضع لا يعبر عنه إلا بالعشرة والواحد.

وثالثها[(١٥)]: أنهم لما عايَنُوا الشدائد تذكَّروا أيام النعمة[(١٦)] والسرور، وتأسفوا عليها، وصفوها بالقصر، لأن أيام السرور قصار.

---

(١) فصل: سقط من ب.
(٢) في ب: إن أراد به. وهو تحريف.
(٣) [المؤمنون: ١١٢، ١١٣].
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١١٥.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٥ ـ ١١٦.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) قد: سقط من ب.
(٨) في ب: و. وهو تحريف.
(٩) في ب: وما. وهو تحريف.
(١٠) إلا: تكملة من الفخر الرازي.
(١١) تعالى: سقط من ب.
(١٢) [الأنعام: ٣٢].
(١٣) في ب: الثاني.
(١٤) في ب: الواحد والعشرة.
(١٥) في الأصل: وثانيها. وفي ب: الثالث.
(١٦) في ب: تذكروا أعمال ذلك وأيام النعمة. وهو تحريف.

ورابعها[١]: أن أيامَ الدنيا قد انقضت وأيام الآخرة مستقبلة، والذاهب وإن طالت مدته قليل[٢] بالقياس إلى الآتي وإن قصرت مدته، فكيف والأمر بالعكس. ولهذه[٣] الوجوه رجَّح الله تعالى قول مَنْ بالغ في التقليل[٤] فقال: «إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً». وقيل: المراد منه اللبث في القبر، ويؤيده قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقسمُ المُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُون[٥] وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ[٦] لَقَدْ لَبِثْتُم فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ البَعْثِ»[٧].

(فأمَّا من جوَّز الكذب على أهل القيامة فلا إشكال له في الآية)[٨]، أما من لم يجوزه قال: إن[٩] الله تعالى لما أحْيَاهم في الفترة وعذَّبهم، ثم أماتهم ثم بعثهم[١٠] يوم القيامة لم يعرفوا مقدار لبثهم في القبر كم كان؟ فخطر ببال بعضهم أنه في التقدير عشرة أيام.

وقال آخرون: إنه يوم واحد، فلمَّا وَقَعُوا في العذاب مرة أخرى استثقلوا زمانَ الموت الذي هو زمان الخلاص لِمَا نالهم من هول العذاب[١١].

وقيل: المراد باللبث بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين، استقصروا مدة لبثهم لهول[١٢] ما عاينوا[١٣]. والأكثرون على أنَّ قوله[١٤]: «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً» أي عشرة أيام، فيكون قولُ مَنْ قال «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً» أقل، وقال مقاتل: «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً» أي ساعات، لقوله(تعالى: «كَأَنَّهُمْ)[١٥] يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا»[١٦] وعلى هذا يكون اليوم أكثر[١٧].

ثم قال تعالى: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» أي: يَتَشَاوَرُون «إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً» أي: أوفاهم عقلاً وأعدلُهم قولاً[١٨] «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً» قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من الأهوال يوم القيامة. قيل: نَسُوا مقدارَ لبثهم لشدة ما دهمهم[١٩]. قوله: «إِذْ يَقُولُ» منصوب بـ «أَعْلَمُ» و «طريقةً» منصوب على التمييز[٢٠].

---

(١) في ب: الرابع.
(٢) في ب: قليلة. وهو تحريف.
(٣) في ب: وبهذه.
(٤) في ب: التعليل.
(٥) [الروم: ٥٥].
(٦) «الإيمان»: سقط من الأصل، وفي ب: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾.
(٧) [الروم: ٥٦].
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: أما لمن لم يجوزه فإن.
(١٠) في ب: ثم أحياهم أعني ثم بعثهم.
(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٥ـ ١١٦.
(١٢) في ب: طلبوا. وهو تحريف.
(١٣) انظر البغوي ٥/ ٤٥٧.
(١٤) في ب: طلبوا. وهو تحريف.
(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٦) [النازعات: ٤٦].
(١٧) الفخر الرازي ٢٢/ ١١٦.
(١٨) في ب: عقلاً.
(١٩) انظر البغوي ٥/ ٤٥٧.
(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية، (لما وَصَفَ لهم يومَ القيامة)[(١)] حكى سؤال من لا يؤمن بالحشر. قال ابن عباس: سأل[(٢)] رجلٌ من ثقيف رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقال[(٣)]: كيفَ تكون الجبالُ يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية[(٤)]. وقال الضحاك: نزلت في مشركي مكة، قالوا يا محمد كيف تكون الجبالُ يوم القيامة؟ على سبيل الاستهزاء[(٥)].

«فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً» وأجاب[(٦)] بفاء التعقيب، لأن مقصودَهم من[(٧)] هذا السؤال الطعنُ في الحشر والنشر، فلا جرم أمره بالجواب[(٨)] مقروناً بحرف التعقيب، لأن تأخير البيان في مثل هذه المسألة[(٩)] الأصولية غير جائز، وأما المسائل الفروعية فجائز فلذلك ذكر هناك بغير حرف التعقيب[(١٠)]. والضمير في «يَنْسِفُهَا» عائد إلى الجبال، والنسف التذرية[(١١)]. وقيل: القَلْع الذي يقلعها من أصلها ويجعلها هباءً منثوراً.

قال الخليل: «يَنْسِفُهَا» يُذهِبُها ويطيِّرُهَا[(١٢)].

قوله: «فَيَذَرُها» في هذا الضمير وجهان[(١٣)]:

أحدهما: أنه ضمير الأرض، أضمرت للدلالة عليها كقوله: «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ»[(١٤)(١٥)].

والثاني: ضمير الجبال، وذلك على حذف مضاف أي فيذر مراكزها ومقارها[(١٦)]

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٢) في الأصل: سئل. وهو تصحيف.
(٣) فقال: سقط من ب.
(٤) انظر البغوي ٥/٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٧.
(٦) في ب: وأتى.
(٧) في الأصل: في.
(٨) في ب: بالسؤال. وهو تحريف.
(٩) في ب: الأسئلة. وهو تحريف.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٧. وعبارة الفخر الرازي: (ذكر هناك (قل) من غير حرف التعقيب) ولعل مراده بـ (هناك) قوله تعالى: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** [الإسراء: ٨٥] والله أعلم.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٧.
(١٢) العين: (نَسَفَ).
(١٣) في ب: قولان.
(١٤) [فاطر: ٤٥].
(١٥) انظر التبيان ٢/٩٠٤.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/٢٧٩.

و «يَذَرُ» يجوز أن يكون بمعنى يُخْلِها، فيكون «قَاعاً»[١] حالاً[٢]، وأن[٣] يكون بمعنى يترك التصييرية[٤] فيتعدى لاثنين فـ «قَاعاً» ثانيهما[٥].

وفي القاع أقوال: فقيل: هو منتقع[٦] الماء ولا يليق[٧] معناه هنا.

وقيل: إنه[٨] المنكشف من الأرض قاله مكي[٩].

وقيل: إنه[١٠] المكان المستوي، ومنه قوله ضرار بن الخطاب[١١]:

٣٦٩٠ ـ لَتَكُونَنَّ بَالبِطَاحِ قُرَيْشٌ بُقْعَةً[١٢] القَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاءِ[١٣]

وقيل: إنه[١٤] الأرض التي لا نبات فيها ولا بناء[١٥].

والصَّفْصَفُ: الأرض الملساء، وقيل: المستوية[١٦]، فهما قريبان من المترادف[١٧] وجمع القاع أَقْوُعٌ وأَقْوَاعٌ وقِيعَانٌ[١٨].

قوله: «لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً» يجوز في هذه الجملة أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً من الجبال، ويجوز أن تكون صفة للحال[١٩] المتقدمة وهي «قَاعاً» على أحد التأويلين، أو صفة للمفعول الثاني على التأويل الآخر[٢٠].

وتقدم الكلام على العِوَج[٢١]. وقال[٢٢] الزمخشري هنا: فإن قلت: قد فرَّقوا بين

---

(١) «قاعاً»: سقط من ب.

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧، التبيان ٢/ ٩٠٤.

(٣) في ب: أو.

(٤) في ب: التفسيرية.

(٥) في ب: بينهما. وهو تحريف.

(٦) في ب: منقع.

(٧) في ب: فما أليق. وهو تحريف.

(٨) في ب: هو.

(٩) البحر المحيط ٦/ ٢٧١.

(١٠) في ب: هو.

(١١) هو ضرار بن الخطاب بن كثير الفهري، كان فارساً شاعراً، ويعد من أشعر شعراء قريش. انظر الإصابه في تمييز الصحابة ٥/ ١٩٠ـ ١٩١.

(١٢) في النسختين: تعقعة.

(١٣) البيت من بحر الخفيف قاله ضرار بن الخطاب، وهو في تفسير ابن عطية ١٠/ ٩٣ البحر المحيط ٦/ ٢٧٠.

(١٤) في ب: هي.

(١٥) قاله ابن الأعرابي. البحر المحيط ٦/ ٢٧٠.

(١٦) اللسان (صفف).

(١٧) في ب: الترادف.

(١٨) انظر الصحاح (قوع).

(١٩) في ب: الجبال. وهو تحريف.

(٢٠) تقدم أنه يجوز إعراب «قاعاً» حالاً إذا كانت «يذر» بمعنى يخل ومفعولاً ثانياً إذا كانت بمعنى يترك التصييرية. انظر التبيان ٢/ ٩٠٤.

(٢١) عند قوله تعالى: **﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾** [الكهف: ١] وذكر هناك: قال أهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الأعيان فالمراد منه نفي التناقض، وقيل معناه لم يجعله مخلوقاً. انظر اللباب ٥/ ٣٢٧.

(٢٢) في ب: فقال.

العَوَج والعِوَج، قالوا: العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأعيان[١]، والأرض عَيْن، فكيف صح فيها[٢] كسر العين. قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة[٣]، ونفي الإعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنه لو عَمَدت إلى قطعةِ أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينيك وعيون[٤] البصراء، واتفقتم على أنَّه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي[٥] المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية[٦] لعثر[٧] فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن[٨] بالقياس الهندسي، فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دقَّ وَلطُفَ عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه[٩] صاحب التقدير الهندسي، وذلك الاعوجاجُ لمَّا لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس أُلحق بالمعاني، فقيل فيه عِوَجٌ بالكسر[١٠]. والأَمْتُ[١١] النتوُ اليسير يقال: مَدَّ حَبْلَهُ حتى ما فيه أمْتٌ[١٢]. وقيل: الأمت التل[١٣]، وهو قريب من الأول.

وقيل: الشُّقُوقُ في الأرض. وقيل: الإكام[١٤].

وقال الحسن: العوَج ما انخفض من الأرض، والأمْتُ ما نشز من الرَّوابي. والمقصود من وصف الأرض بهذه الأوصَاف أنها تكون في ذلك اليوم ملساءَ خالية عن الارتفاع والانخفاض وأنواع الانحراف والاعوجاج[١٥]. قوله: «يَوْمَئِذٍ» منصوب بـ «يَتَّبِعُونَ» وقيل: بدل من «يَوْمَ القِيَامَةِ» قاله[١٦] الزمخشري[١٧]. وفيه نظر، للفصل الكثير[١٨] وأيضاً يبقى «يَتَّبِعُونَ» غير مرتبط بما قبله، وبه[١٩] يفوت المعنى[٢٠] والتقدير: يوم إذ نُسِفَت الجِبَالُ[٢١].

---

(١) وفي اللسان (عَوَجَ): والعوج: وهو بفتح العين مختص بكل شخص مرئي كالأجسام وبالكسر بما ليس بمرئي كالرأي والقول. وقيل: الكسر يقال فيهما معاً والأول أكثر.

(٢) في ب: فكيف يصح فيهما. وهو تحريف.

(٣) في ب: والملامسة. وهو تحريف.

(٤) في ب: وعين.

(٥) في ب: أمر.

(٦) الهندسية: سقط من ب.

(٧) في ب: يعثر.

(٨) في الأصل: لكن.

(٩) في ب: الذي يصرفه أي يعرفه. وهو تحريف.

(١٠) الكشاف ٢/٤٤٧.

(١١) في ب: فصل معنى الأمت.

(١٢) الكشاف ٢/٤٤٧.

(١٣) انظر البحر المحيط ٦/٢٧١.

(١٤) اللسان (أمَتَ).

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٨.

(١٦) في ب: قال.

(١٧) قال الزمخشري: (ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة) الكشاف ٢/٤٤٨.

(١٨) أي: لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه، فقوله «يوم القيامة» في الآية (١٠٠) و«يومئذ» في الآية (١٠٨).

(١٩) في ب: وفيه. وهو تحريف.

(٢٠) حيث يكون قوله «يتبعون» كلاماً مستأنفاً.

(٢١) الكشاف ٢/٤٤٨.

فصل[١]

«الدَّاعِي» إسرافيل، والدُّعَاءُ هو النفخ في الصور، أي يتبعون صوتَ الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة[٢]. وقوله: «لاَ عِوَجَ لَهُ» أي لا يعدل عن أحد بدعائه بل يحشر الكُلَّ[٣]. وقيل: لا عوج لدعائه، وهو[٤] من المقلوب، أي لا عوج لهم عن دعاء الدَّاعِي لا يعوجونَ عنه يميناً ولا شَمالاً[٥].

وقيل: إنه مَلَكٌ قائِمٌ على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول: أَيَّتُهَا العِظَام النخرة، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة قُومي إلى عَرْض الرَّحمٰن[٦].

قوله: «وَخَشَعَتِ الأَصْوَات لِلرَّحْمٰنِ» أي: سَكَنَتْ وذلَّت وخضَعَتْ. وصف الأصوات[٧] بالخشوع والمرادُ أهلُهَا[٨].

قوله: «فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً» الاستثناء[٩] مفعول به، وهو استثناء مفرغ. والهَمْسُ: الصوت الخفي[١٠]، قيل: هو تَحْريكُ الشفتيْن دون النطق[١١] قال[١٢] الزمخشري: وهو[١٣] الذكر[١٤] الخفي، ومنه الحروف المهموسَة[١٥].

وقال ابن عباس والحسن وعكرمة: الهَمْسُ: وَطْءُ الأقدام[١٦] أي: لا تسمع إلا خَفْقَ[١٧] الأرض بأقدامهم، ومنه هَمَست الإبل (إذا سمع ذلك من وقع)[١٨] أخفافها على الأرض، قال[١٩]:

٣٦٩١ ـ وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا[٢٠] هَمِيسَا[٢١]

---

(١) في ب: قوله.
(٢) انظر القرطبي ١١/٢٤٦ـ ٢٤٧.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٨.
(٤) في ب: وهذا.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٠.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٨.
(٧) في ب: للأصوات. وهو تحريف.
(٨) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.
(٩) عبر بالمصدر عن اسم المفعول إذ المقام للمستثنى.
(١٠) قاله أبو عبيدة. مجاز القرآن ٢/ ٣٠.
(١١) وهذا المعنى عن ابن عباس. البحر المحيط ٦/ ٢٨٠.
(١٢) في ب: فصل قال.
(١٣) في الأصل: هو.
(١٤) في النسختين: الذكر. وما أثبته من الكشاف. والركز: الصوت الخفي.
(١٥) الكشاف ٣/ ٤٤٧. والحروف المهموسة عشرة أحرف يجمعها قولك: «حثه شخص فسكت». والمهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردَّدت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. الكتاب ٤/ ٤٣٤.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٨.
(١٧) في ب: خفف. وهو تحريف.
(١٨) ما بين القوسين في ب: فاسمع ذلك من وطء. وهو تحريف.
(١٩) في ب: قال الشاعر.
(٢٠) في ب: بها.
(٢١) رجز لم أهتد إلى قائله، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٢، الحجة لأبي علي ٢/ ٢٢٠، الحيوان: ٣/ ٤٠، القرطبي ١١/٢٤٧، العمدة ١/ ١١ ابن كثير ١/ ٢٣٧، اللسان (رَفَثَ ـ هَمَسَ) الهميس: صوت وطء أخفاف الإبل. وهو الشاهد.

قوله: «يَوْمَئِذٍ» بدلٌ مما تقدم[١]، أو منصوبٌ بما بعد «لاَ» عند من يجيز ذلك[٢] والتقدير: يومَ إذ يَتَّبِعُونَ لا تنفعُ الشَّفَاعَةُ[٣].

قوله: «إلاَّ مَنْ أَذِنَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه منصوب على المفعول به، والناصب له «تَنْفَعُ»[٤] و «مَنْ» حينئذ واقعة على المشْفُوع له[٥].

الثاني: أنَّه في محل رفع بدلاً من «الشَّفاعة»[٦]، ولا بدَّ من حذف مضاف تقديره: إلا شَفَاعةُ مَنْ أذِنَ لَه[٧].

الثالث: أنه منصوب على الاستثناء من «الشفاعة» بتقدير المضاف المحذوف وهو استثناء متصل على[٨] هذا[٩]، ويجوز[١٠] أن يكون استثناء منقطعاً إذا لم نقدر شيئاً[١١] وحينئذ يجوز أن يكون منصوباً وهي لغة الحجاز، أو مرفوعاً وهي[١٢] لغة تميم[١٣]، وكل هذه الأوجه واضحة.

(و «لَهُ»)[١٤] في الموضعين[١٥] للتعليل[١٦] كقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا»[١٧] أي لأجله ولأجلهم.

---

(١) أي: من «يومئذ يتبعون الدَّاعي». البحر المحيط ٦/ ٢٨٠.

(٢) قيل: إن «لا» ليس لها الصدر بخلاف «ما» وتقدم معمول ما بعدها عليها في نحو قوله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها**﴾ [الأنعام: ١٥٨] دليل على ذلك. اللهم إلا أن تقع في جواب القسم، فإن الحروف التي يتلقى بها القسم كلها لها المصدر. وقيل: لها الصدر مطلقاً. وقيل: لا مطلقاً. المغني ١/ ٢٤٥.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٠.

(٤) في ب: يقع. وهو تحريف.

(٥) انظر التبيان ٢/ ٩٠٤، البحر المحيط ٦/ ٢٨٠. على أن الاستثناء مفرغ.

(٦) في ب: من الشفاعة ذا. وهو تحريف.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٩٠٥، البحر المحيط ٦/ ٢٨٠. على أن الاستثناء متصل، وإعراب المستثنى بدلاً من المستثنى منه مذهب البصريين، وعند الكوفيين عطف نسق لأن «إلا» عندهم من حروف العطف في الاستثناء خاصة. الأشموني ٢/ ١٤٥.

(٨) في ب: وعلى.

(٩) لأنه بهذا التقدير يكون المستثنى بعضاً من المستثنى منه.

(١٠) في ب: يجوز.

(١١) لأنه بدون تقدير المضاف يكون المستثنى غير المستثنى منه.

(١٢) في الأصل: وهو. وهو تحريف.

(١٣) لأن المستثنى في الاستثناء المنقطع التام المنفي يجب نصبه عند الحجازيين وعند بني تميم يجيزون أن يتبع المستثنى المستثنى منه على أنه بدل. فقوله: «من أذن» منصوب على الاستثناء عند الحجازيين ومرفوع على البدل عند بني تميم. انظر الأشموني ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) والموضعان هما: «من أذن له» و «رضي له» البحر المحيط ٦/ ٢٨٠.

(١٦) للتعليل: سقط من ب.

(١٧) [مريم: ٧٣].

فصل

المعنى: «لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ» أحداً من الناس «إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» أي: إلا من أذن له الله أن يشفع له[١] «وَرَضِي لَهُ قَوْلاً» أي رضي قوله[٢].

قال ابن عباس: يعني قَالَ: لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه[٣]. وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمنين[٣]. وقالت المعتزلة[٤]: الفاسق غير مرضيٍّ عند الله[٥]، فوجب أن لا يشفع الرسول في حقه. وهذه الآية من أقوى[٦] الدلائل على ثبوت[٧] الشفاعة في حق الفساق، (لأن قوله: «وَرَضِي لَهُ قَوْلاً» يكفي صدقه أن يكون الله تعالى قد رضِيَ له قولاً واحداً من أقواله)[٨]، والفاسق قد ارتضى الله من قوله[٩] شهادة أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله. فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له، لأن الاستثناء من النفي إثبات فإن[١٠] قيل: إنَّه تعالى استثنى من ذلك النفي بشرطين: أحدهما حصول الإذن. والثاني: أن يكون رَضِيَ له قولاً. فهب أنَّ الفاسق قد حصل فيه أحد الشرطين، وهو أنه تعالى[١١] قد رضِيَ[١٢] له قولاً، فلم قلتم: إنه[١٣] أذن فيه؟

فالجواب أنَّ هذا القيد كافٍ في حصول الاستثناء لقوله تعالى: «لاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَن ارْتَضَى»[١٤] فاكتفى هناك بهذا القيد. ودلَّت هذه الآية على أنه لا بد من الإذن، فظهر من مجموعهما أنه[١٥] إذا رضي له قولاً يحصل[١٦] الإذن في الشفاعة، وإذا حصل القيدان حصل الاستثناء وتم المقصود[١٧].

قوله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» الضمير في قوله: «بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» عائد إلى[١٨] الذين يتبعون الداعي[١٩].

ومن قال: إن قوله: «مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَن» المراد به الشافع (قال: الضمير عائد إليه)[٢٠]، والمعنى: لا تَنْفَع شفاعة الملائِكة والأنبياء إلا لِمَن[٢١] أذِنَ له الرحمن في أن

---

(١) في ب: عنده. وهو تحريف.
(٢) في ب: أي ورضي قولاً.
(٣) انظر البغوي ٥/٤٥٩.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١١٨ ـ ١١٩.
(٥) في ب: الله تعالى.
(٦) في ب: وهذا من أقوى.
(٧) في ب: قبول.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) في ب: أقواله. وهو تحريف.
(١٠) في ب: فإنه. وهو تحريف.
(١١) في ب: وهو أن الله.
(١٢) قد: سقط من الأصل.
(١٣) أنه: سقط من الأصل.
(١٤) [الأنبياء: ٢٨].
(١٥) في الأصل: على أنه.
(١٦) في النسختين لا يحصل.
(١٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١١٨ ـ ١١٩.
(١٨) في ب: على.
(١٩) أي إلى المشفوع.
(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب. الضمير عائد إلى الشافع.
(٢١) في ب: على.

يشفع من الملائكة. ثم قال[١] «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ» يعني ما بين أيدي[٢] الملائكة كقوله في آية الكرسي[٣]، قاله[٤] الكلبي ومقاتل.

وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفَعُوا له. قال مقاتل: يعلم ما كان قبل أن يخلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم[٥]. ومن قال: الضمير عائد إلى الذين يتبعون الداعي قال: «يَعْلَمُ اللَّه ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» أي ما قدموا «ومَا خَلْفَهُمْ» من أمر الدنيا قاله الكلبي. وقال مجاهد: «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من أمر الدنيا والأعمال «وَمَا خَلْفَهُمْ» من أمر الآخرة. وقال الضحاك: يعلم ما مضى وما بقي ومتى تكون القيامة[٦]. «وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً» قيل: الكناية راجعة إلى «مَا» أي: هو يعلمُ ما بيْنَ أيديهم وما خلفهم، (ولا يعلمونه أي العباد لا يعلمون بما بين أيديهم وما خلفهم[٧])[٨].

وقيل: الكناية راجعة إلى الله، أي عباده لا يحيطُون به علماً[٩].

قوله: «وَعَنَتِ الوُجُوهُ» يقال: عَنَا يَعْنُو إذا ذَلَّ وخضع وأعناه غيره أي: أذلَّه، ومنه العُنَاة جمع عانٍ وهو الأسير، قال:

٣٦٩٢ ـ فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وَعَانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عَنْهُ فَقَدْ أَبَى[١٠]

وقال أمية بن أبي الصلت[١١]:

٣٦٩٣ ـ مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الوُجُوهُ وَتَسْجُدُ[١٢]

وفي الحديث: «فَإِنَّهُنَّ[١٣] عَوَان»[١٤]. والمعنى: أنَّ ذلك اليوم تُذَلُّ الوجوه أي:

---

(١) ثم: سقط من ب. (٢) أيدي: سقط من ب.

(٣) قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٤) في الأصل: قال. (٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/١١٩.

(٦) ينظر هذه الأقوال في الفخر الرازي ٢٢/ ١١٩.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢٨٠. (٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) انظر البغوي ٥/٤٥٩. وقد رجّح ابن الخطيب عود الضمير إلى «ما» فإنه قال: (والأول أولى لوجهين: أحدهما أنَّ الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا قوله: ﴿ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ وثانيهما أنه تعالى أورد ذلك مورد الزجر ليعلم أن سائر ما يقدمون عليه وما يستحقون به المجازاة معلوم لله تعالى) الفخر الرازي ٢٢/١١٩.

(١٠) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله، ولم أجده فيما رجعت إليه من مراجع. الغُلّ: جامعة توضع في العُنق أو اليد. والشاهد فيه أن (عان) هو الأسير.

(١١) واسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره، ولما أنشد النبي ﷺ شعره قال: «آمن لسانه وكفر قلبه» مات سنة ٩ هـ كافراً. الخزانة ١/ ٢٤٧ ـ ٢٥٣.

(١٢) البيت من بحر الطويل قاله أمية بن أبي الصلت. مليك: ذو الملك. المهين: اسم من أسماء الله في الكتب القديمة، ومعناه الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف. تعنو: تخضع وتستأسر. وهو الشاهد.

(١٣) في ب: «إنهن».

(١٤) أخرجه ابن ماجه (نكاح) ١/ ٥٩٤، وهو في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٣١٤ وعوان جمع عانية، وهي الأسيرة.

المكلَّفين أنفسهم، ذكرَ «الوجوه»[١] وأراد أصحاب الوجوه، لأن قوله: «وَعَنَتْ» من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كقوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ»[٢] وخص الوجوه بالذكر، لأن الخضوع بها يبين، وفيها يظهر[٣]. وتقدم تفسير «الحَيُّ القَيُّومُ»[٤] وروى[٥] أبو أمامة الباهليّ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «اطْلُبُوا اسمَ الله الأعظم في هذه السُّور الثلاث البَقَرة وآل عمران، وطه» قال الراوي[٦]: فوجدنا المشترك في السور الثلاث «اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ»[٧].

قوله: «وَقَدْ خَابَ» يجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة، وأن تكون حالاً[٨]، ويجوز أن تكون اعتراضاً. قال الزمخشري[٩]: «وَقَدْ خَابَ» وما بعده اعتراض كقولك خَابُوا وخَسِرُوا، وكل من ظلم فهو خَائِبٌ خَاسِرٌ[١٠].

ومراده[١١] بالاعتراض هنا أنَّه خصَّ الوجوه بوجوه العصاة[١٢] حتى تكون الجملة قد دخلت بين العُصَاة وبين «وَمَنْ[١٣] يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» فَهذَا[١٤] عنده قسيم «وَعَنَتِ الوُجُوهُ» فلهذا كان[١٥] اعتراضاً[١٦]. وأما ابن عطية فجعل «الوُجُوهُ» عامة، فلذلك جعل «وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً» معادلاً بقوله «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» إلى آخره[١٧].

فصل

قال ابن عباس: «خَابَ» خَسِر من أشْرَكَ بالله. والظُّلمُ: الشِّرك[١٨] قال الله تعالى «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم»[١٩] والمراد بالخيبة: الحِرمان، أي: حُرِمَ الثواب مَنْ حَمَل ظُلْماً، أي ظلم ولم يتب[٢٠]. ثم قال: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)»[٢١] أي: ومَنْ يَعمل شيئاً[٢٢] مِنَ الصَّالِحَاتِ، والمراد به الفرائض وكان عمله مقروناً

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) [الغاشية: ٨، ٩].
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٠.
(٤) وتقدم ذلك في [البقرة: ٢٥٥] ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيُّوم﴾ انظر اللباب ٢/ ٩٥.
(٥) في ب: فصل روى.
(٦) في ب: الرازي. وهو تحريف.
(٧) [البقرة: ٢٥٥] و[آل عمران: ٢] انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٠.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩٠٥.
(٩) في ب: قال الزمخشري وغيره. وهو تحريف.
(١٠) الكشاف ٢/ ٤٤٨.
(١١) في ب: ومراد به. وهو تحريف.
(١٢) الكشاف ٢/ ٤٤٧.
(١٣) في ب: «من».
(١٤) في ب: وهذا.
(١٥) في ب: فكان هذا.
(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨١.
(١٧) انظر تفسير ابن عطية ١٠/ ٩٧.
(١٨) انظر البغوي ٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠.
(١٩) [لقمان: ١٣].
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٠.
(٢١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٢) في ب: منا. وهو تحريف.

بالإيمان، نظيره قوله[١]: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً[٢] قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ»[٣]. قوله: «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» جملة حالية.

«فَلاَ يَخَافُ» قرأ ابن كثير (بجزمه)[٤] على النهي[٥]، والمعنى: أَمِنَ، والنهي عن الخوف أمر بالأمن.

والباقون: برفعه[٦] على النفي والاستئناف، أي: فهو لا يخاف[٧].

والهضم: النقصُ[٨] تقول العرب: هَضَمْتُ لزيدٍ مِنْ حَقّي أي: نقصتُ منه[٩]، ومنه: هَضِيمُ الكَشْحَيْن أي: ضامرُهُما[١٠]، ومن ذلك أيضاً، «طَلْعُهَا هَضِيمٌ»[١١] أي: دقيق متراكب كأنَّ[١٢] بعضه يظلم بعضاً فينقصه حقه.

ورَجلٌ هضيمٌ ومهتضمٌ أي مظلوم[١٣].

وهضمته واهتضمته وتَهَّضمتُه عليه[١٤] بمعنى، قال المتوكل الليثي[١٥]:

٣٦٩٤ ـ إنَّ الأذلَّةَ واللِّئَامَ لِمَعْشَرٍ[١٦] مَوْلاَهُم المُتَهَضَّم المَظْلُومُ[١٧]

قيل[١٨]: والظلم[١٩] والهضم متقاربان[٢٠] وفرَّق القاضي الماوردي بينهما فقال: الظلم منع جميع الحق، والهضم منع بعضه[٢١]. والظلمُ هنا هو أن يعاقب لا على جريمةٍ

---

(١) قوله: سقط من ب.
(٢) مؤمناً: سقط من الأصل واستدرك بالهامش.
(٣) [طه: ٧٥].
(٤) بجزمه: سقط من ب.
(٥) وهو جواب الشرط «ومن يعمل من الصَّالحات».
(٦) السبعة (٤٢٤)، الحجة لابن خالويه (٢٤٧ ـ ٢٤٨) والكشف ٢/١٠٧، النشر ٢/٣٢٢، الإتحاف (٣٠٧).
(٧) في ب: لا يخاف ظلماً ولا هضماً.
(٨) في اللسان (هضم): وهضمه حقَّه هضماً: نقصه.
(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٩٣.
(١٠) أي ضامر الجنبين كأنهما هضما. تفسير غريب القرآن ٢٨٣.
(١١) من قوله تعالى: ﴿**وزروع ونخل طلعها هضيم**﴾[الشعراء: ١٤٨].
(١٢) في ب: كأنه.
(١٣) اللسان (هضم).
(١٤) عليه: سقط من ب.
(١٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب. . . من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة، وكان في عصر معاوية ويزيد ومدحهما. الخزانة ٨/٥٦٥ ـ ٥٦٩.
(١٦) في ب: والليالي والحشر.
(١٧) البيت من بحر الكامل قاله المتوكل الليثي، وهو في القرطبي ١١/٢٤٩ والبحر المحيط ٦/٢٧١.
الأذلة: جمع ذليل اللئام: جمع لئيم، وهو الدنيء الأصل الشحيح النفس. المعشر: كل جماعة أمرهم واحد، وهو الجمع، لا واحد له من لفظه للرجال دون النساء. المتهضم: المظلوم، وهو الشاهد.
(١٨) قيل: سقط من ب.
(١٩) في ب: الظلم.
(٢٠) انظر البحر المحيط ٦/٢٨١. على أن الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه.
(٢١) انظر البحر المحيط ٦/٢٨١.

أو يمنع من[١] الثواب على الطاعة. والهضم هو أن ينقص من ثوابه[٢].

وقال أبو مسلم: الظلم أن ينقص من الثواب، والهضم أن لا يوفي حقه[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

قوله: «وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ» نسق على «كَذَلِكَ نَقُصُّ»[٣] قال الزمخشري: ومثل ذلك الإنزال وكما أنْزَلْنَا عليك هؤلاء الآيات أنزلنا القرآن كلَّه على هذه الوتيرة[٤].

وقال غيره[٥]: والمَعْنَى كما قدَّرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد[٦] كذلك حذَّرْنَا هؤلاء أمرها[٧] و «أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» لتفهمه العرب فيقفوا على إعجازه ونظمه، وخروجه عن الكلام البشري[٨].

«وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ» أي: كرَّرنَاهُ وفصَّلنَاهُ.

قوله: «مِنَ الوَعِيدِ» صفة لمَفعُولٍ محذوف، أي: صرَّفنا في القرآن[٩] وعيداً من الوعيد، والمراد به الجنس.

ويجوز أن تكون «مِنَ» مزيدة على رأي الأخفش[١٠] في المفعول به، والتقدير: وصرَّفنا فيه الوعيد «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون» أي يجتنبون الشرك. «أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً» أي[١١]: يجدد لهم القرآن عبرة وعظة.

وقرأ الحسن: «أَوْ يُحْدِثْ» كالجماعة إلا أنه سكَّن لام الفعل وعبد الله والحسن أيضاً في رواية ومجاهد وأبو حيوة «نُحْدِثْ» بالنون، وتسكين اللام أيضاً[١٢].

(وخُرِّجَ عَلَى)[١٣] إجراء الوصل[١٤] مجرى الوقف، أو على تسكين الفعل استثقالاً للحركة، كقول[١٥] امرىء القيس:

---

(١) في الأصل: عن.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٠.

(٣) من الآية: (٩٩).

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٨.

(٥) وهو ابن عطية.

(٦) في ب: والعباد. وهو تحريف.

(٧) تفسير ابن عطية ١٠/ ٩٧.

(٨) الفخر الرازي ٢٢/ ١٢١.

(٩) في ب: أي صرفنا من القرآن أي في القرآن.

(١٠) ذهب الأخفش إلى أنَّ «من» تزاد في الإيجاب، وهي داخلة على المعرفة وهو بذلك يكون مخالفاً للبصريين لأنهم يشترطون لزيادتها أن يتقدمها نفي أو شبهه وأن يكون مجرورها نكرة. ينظر شرح الكافية ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(١١) في ب: و.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨١.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٤) في ب: وأجروا على الوصل.

(١٥) في ب: كقوله.

٣٦٩٥ ـ فَالْيَومَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ[١]

وقول جرير:

٣٦٩٦ ـ أَوْ نَهرُ تِيرَى فَلاَ تَعْرِفْكُمُ العَرَبُ[٢]

وقد فعله كما تقدم أبو عمرو في الراء خاصة[٣] نحو «يَنْصُرْكُم»[٤].

وقرىء «تُحْدث» بتاء (الخطاب[٥])[٦] أي[٧]: تُحدث أنتَ[٨].

(قوله: «أَوْ يُحْدِثُ»)[٩] فيه سؤالات[١٠]:

الأول: كيف يكون محدثاً للذكر؟ والجواب: لمّا حصل الذكر عند قراءته أضيفَ إليه.

الثاني: لِمَ أضيفَ الذكر إلى القرآن، وما أضيفت التقوى إليه؟

والجواب: أنَّ[١١] التقوى عبارة عن[١٢] أن لا يفعل القبيح، وذلك استمرار على العدم الأصلي، فلم يجز إسناده إلى القرآن، وأمَّا حدوث الذكر فأمر حدث بعد أن لم يكن، فجازت إضافته[١٣] إلى القرآن.

الثالث: كلمة «أو» للمنافاة بين التقوى وحدوث الذكر، ولا يصح الاتقاء إلا مع الذكر، فما معناه؟

والجواب: هذا كقول: جَالِس الحسن أو ابنَ[١٤] سِيرين[١٥]، أي: (لا تكن خالياً منهما)[١٦]، فكذا ههنا.

---

(١) صدر بيت من بحر السريع قاله امرؤ القيس، وعجزه: إثماً من الله ولا واغل. وهو في ديوانه ١٢٢، الكتاب ٤/ ٢٠٤، النوادر (٣١٣)، الخصائص ١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤، ٣/ ٩٦، المحتسب ١/ ١٥، الكشاف ٢/ ٤٤٨، ابن يعيش ١/ ٤٨ والمقرب ٥٦٥، اللسان (حقب ـ وغل) شذور الذهب ٢/ ٢، شرح التصريح ١/ ٨٨. الهمع ١/ ٥٤، الخزانة ٨/ ٣٥٠، الدرر ١/ ٣٢.

(٢) عجز بيت من بحر البسيط قاله جرير، وصدره:

سِيروا بَنِي العَمِّ فالأهوازُ منزلُكم

وفي النسختين (النفر) مكان (العرب).

(٣) في ب: وقد فعله أبو عمرو في الراء كما تقدم.

(٤) من قوله تعالى: **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** [آل عمران: ١٥٦].

(٥) وهي قراءة مجاهد. المختصر (٩٠)

(٦) ما بين القوسين في ب: للخطاب.

(٧) في ب: أو.

(٨) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٨.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢١.

(١١) في الأصل: لأن.

(١٢) في النسختين: على. والصواب ما أثبته.

(١٣) في ب: فجاز إسناده أي إضافته.

(١٤) في الأصل: وابن سيرين. وهو تحريف.

(١٥) الاستشهاد بهذا القول على أنَّ (أو) بمعنى الإباحة. وهي الواقعة بعد الطلب وقيل ما يجوز فيه الجمع. انظر شرح الأشموني ٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(١٦) ما بين القوسين في ب: أي لا يكون خالياً عنهما.

وقيل: معنى الكلام أنا أنزلنا القرآن ليتّقوا، فإن لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يحدث القرآن لهم ذكراً وشرفاً وصيتاً حسناً، وعلى التقديرين يكون إنزاله تقوى[1].

قوله تعالى: «فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ» لما عظم[2] أمر[3] القرآن أردفه بأن[4] عظم نفسه، وذلك تنبيه على أنَّه يجب على خلقه تعظيمه، وإنما وصف مُلكه بالحَقِّ، لأن ملكه لا يزول ولا يتغير، وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به، ولهذا[5] وصف بذلك. و «تَعَالَى» تفاعل[6] من العُلُوّ، وقد ثبت أن علوه وعظمته[7] لا تكيّفه الأوهام[8] ولا تقدره العقول[9].

ثم قال: «وَلاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه».

قال أبو مسلم: إن من قوله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ»[10] إلى هنا يتم الكلام وينقطع، ثم قوله: «وَلاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ» (خطاب مستأنف كأنه قال «وَيَسأَلُونَكَ. . .وَلاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ[11])[12].

وقال غيره: إن النبي - ﷺ - كان إذا أنزل عليه جبريل - عليه السلام[13] - بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يسكت حال قراءة المَلَك، يقرأ بعد فراغه من (القراءة[14])[15]. فكأنه تعالى لما شرح نفع القرآن للمكلفين، وتبين أنه سبحانه متعال عن كل ما لا ينبغي، ومن كان كذلك يجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان (في أمر الوحي، فإذا حصل الأمان عن السهو والنسيان)[16] فلا تعجل بالقرآن[17] فقوله: «وَلاَ تَعْجَلْ بالقُرآنِ» يحتمل أن يكون المراد لا تعجل بقراءته في نفسك. لما روى عطاء عن ابن عباس: أن يكون أخذُكَ القرآن على تثبيت وسكون[18]. ويحتمل لا تعجل في تأديته إلى غيرك، قال مجاهد[19] وقتادة: لا تقرأ به أصحابك ولا تُمْله عليهم حتى يتبين لك معانيه[20]. ويحتمل في اعتقاد ظاهره[21]، ويحتمل في تعريفه[22] الغير ما يقتضيه ظاهره، أي: حتى يتبين لك بالوحي

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢١.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.
(٣) في ب: ذكر.
(٤) في الأصل: بأنه.
(٥) في ب: فلذلك. وهو تحريف.
(٦) تفاعل: سقط من ب.
(٧) في ب: إن عظمه وعلوه. وهو تحريف.
(٨) في ب: الأفهام.
(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢١ بتصرف.
(١٠) من الآية: (١٠٥).
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢١ ـ ١٢٢.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) عليه السلام: سقط من ب.
(١٤) انظر البغوي ٥/ ٤٦٠.
(١٥) في الأصل: القرآن. وهو تحريف.
(١٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٢.
(١٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٢.
(١٩) في ب: فصل قال مجاهد.
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٢.
(٢١) في ب: ظواهره.
(٢٢) في ب: معرفة.

تمامه أو بيانه أو هما[١] جميعاً، لأنه يجب التوقف في معنى الكلام إلى أن يفرغ لجواز أن يحصل عقيبه استثناء أو شرط، أو غيرهما من المخصصات[٢].

فإن قيل: الاستعجال الذي نُهِي عنه إن كان فعلُه بوحي فكيف نهي عنه؟

فالجواب لعله فعله باجتهاد، وكان الأولى تركه فلهذا نُهِي عنه[٢].

قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه» العامة على بناء «يُقْضَى» للمفعول ورفع «وَحْيُه» لقيامه مقام الفاعل[٣].

والجحدري وأبو حيوة والحسن، وهي قراءة عبد الله «تَقْضِي» بنون العظمة مبنيًّا للفاعل، «وَحْيَه» مفعول به[٤].

وقرأ الأعمش كذلك إلاَّ أنَّه سكن (لام الفعل[٥])[٦]، استثقل الحركة وإن كانت خفيفة على حرف العلة، وقد[٧] تقدم شواهد عند قراءة «مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهَالِيكُم»[٨].

قوله: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» أي: بالقرآن ومعانيه، وقيل: «عِلْماً» أي[٩] ما علمت. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه قال[١٠]: اللهم زدْنِي إيماناً ويقيناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.

قوله تعالى[١١]: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِي» الآية. في تعليق هذه الآية بما قبلها وجوه[١٢]:

---

(١) في ب: أو بهما. وهو تحريف. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٢.

(٣) انظر التبيان ٢/ ٩٠٥، البحر المحيط ٦/ ٢٨٢، الإتحاف (٣٠٨).

(٤) المختصر (٩٠). وانظر أيضاً المراجع السابقة.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٢. وفيه: وقال صاحب اللوامح: (وذلك على لغة من لا يرى فتح الياء بحال إذا انكسر ما قبلها وحلت طرفاً).

(٦) ما بين القوسين في ب: لام التعليل والفعل. وهو تحريف.

(٧) قد: سقط من ب.

(٨) [المائدة: ٨٩] وذكر هناك: وقرأ جعفر الصادق «من أوسط ما تطعمون أهاليكم» بسكون الياء، وفيه تخريجان، أحدهما: أن أهالي جمع تكسير لأهل فهو شاذ في القياس كليلة وليال، قال ابن جني: أهال بمنزلة ليالٍ واحدها أهالة وليلاة، والعرب تقول أهل كاملة، قال الشاعر: وأهلة ودٍّ قد سررت بودِّهم. وقياس قول أبي زيد أنه يجعله جمع لواحد مقدر نحو أحاديث وأعاريض. وإليه يشير قول ابن جني أهال بمنزلة ليال واحدها أهلاة وليلاة، فهو يحتمل أن يكون بطريق الاتساع ويحتمل أن يكون بطريق القياس كما تقول أرض. وكان قياس قراءة جعفر تحريك الياء بالفتحة لخفتها ولكن تشبه الياء بالألف فقدر فيها الحركة، وهو كثير في النظم. انظر اللباب ٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

(٩) في ب: إلى. وهو تحريف. (١٠) في ب: هذه الآية يقول.

(١١) تعالى: سقط من ب. (١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤.

الأول: أنه تعالى لما قال «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ (مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ»[١] ثم إنه عظَّم أمر القرآن ذكر هذه القصة إنجازاً للوعد في قوله: «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ»)[٢].

الثاني: أنه[٣] لما قال: «وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُم ذِكْراً»[٤] أردفه[٥] بقصة آدم عليه السلام[٦] كأنَّه قال: إنَّ طاعة بني آدم للشياطين، وتركهم التحفظ من الوساوِسِ أمر قديم، فإنَّا عهدنا إلى آدم من قبل، أي: من قبل هؤلاء الذين صرَّفنا لهم الوعيد، (وبالغنا في تنبيهه)[٧]، فقلنا له: «إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ»[٨]، ثم إنه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد، فأمر البشر في ترك التحفظ أمر قديم.

الثالث: أنه لمَّا قال لِمُحمَّد «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلماً»[٩] ذكر بعده قصة آدم، فإنه عهد إليه وبالغ في تحذيره من العود، فدل ذلك على ضعف البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه[١٠] في أن يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان.

الرابع: أن محمداً ـ عليه السلام[١١] ـ لما قيل له: «وَلاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه»[١٢] دل على أنه كان في أمر الدين بحيث زاد[١٣] على قدر الواجب فلما وصفه بالإفراط، وصف آدم بالتفريط في ذلك، فإنه تساهَلَ ولم يتحفظ حتى نسي، فوصف الأول بالتفريط والآخر بالإفراط، ليعلمه أن البشر لا ينفك عن نوع زلة.

الخامس: أن محمداً[١٤] لما قيل له: «وَلاَ تَعْجَلْ» ضاق قلبه، وقال في نفسه: لولا أني أقدمت[١٥] على ما لا ينبغي، وإلا لما نهيت عنه[١٦]، فقيل له: يا محمد إن كنت فعلتَ ما نُهِيتَ عنه فإنما[١٧] فعلته حرصاً منك على العبادة، وحفظاً لأداء الوحي وإن أباك أقدم على ما لا ينبغي لتساهله، وترك التحفظ فكان أمرك أحسن من أمره[١٨].

والمراد بالعهد هنا أمر الله، أي: أمرناه وأوصينا إليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد في القرآن فتركوا الإيمان.

وقال ابن عباس: من قبل أن يأكل من[١٩] الشجرة عَهِدْنَا[٢٠] إليه أن لا يأكل

---

(١) [المائدة: ٩٩].
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) أنه: سقط من ب.
(٤) [المائدة: ١١٣].
(٥) في الأصل: أخبر. وسقط من ب.
(٦) في ب: بقصة القوم أو بقصة آدم عليه الصلاة والسلام. وهو تحريف.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) [المائدة: ١١٧].
(٩) من الآية: (١١٤).
(١٠) في ب: الاستغاثة لربه. وهو تحريف.
(١١) في ب: ﷺ.
(١٢) [المائدة: ١١٤].
(١٣) في ب: بحيث جاوز أعني زاد.
(١٤) في ب: أن محمداً عليه الصلاة والسلام.
(١٥) في ب: قدمت.
(١٦) عنه: سقط من ب.
(١٧) في ب: إنما.
(١٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤.
(١٩) من: سقط من الأصل.
(٢٠) في ب: عهد.

منها[١]. وقال الحسن: من قبل محمد والقرآن[١].

قوله: «فَنَسِيَ» قرأ اليماني بضم النون وتشديد السين[٢] بمعنى نَسَّاه الشيطان. وعلى هذه القراءة يحتمل أن يقال: أقدم على المعصية من غير تأويل، وأن يقال: أقدم عليها مع التأويل[٣].

وعلى القراءة المشهورة يحتمل أن يكون المراد بالنسيان نقيض الذكر، وإنما عوقب على ترك التحفظ، والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان، ويحتمل أن يكون المراد بالنسيان الترك، وأنه ترك ما عهد إليه من ترك أكل ثمرتها[٤].

قوله: «وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً».

يجوز أن تكون (وجد) علمية، فتتعدى لاثنين، وهما «لَهُ عَزْمًا». وأن تكون بمعنى الإصابة فتتعدى لواحد، وهو «عَزْمًا»، (و «لَهُ»)[٥] متعلق بالوجدان، أو بمحذوف على أنه حال من «عَزْماً»[٦] إذ هو في الأصل صفة له قدمت عليه[٧].

والعازم: هو المصمم[٨]، فقوله: «وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزماً» يحتمل: ولم نجد له عزمًا على ترك المعصية، أو على التحفظ والاحتراز عن الغفلة، أو على الاحتياط في كيفية الاجتهاد إذا[٩] قلنا: إنه ـ عليه السلام[١٠] ـ إنما أخطأ بالاجتهاد[١١].

وقال الحسن[١٢]: ولم نجدْ له صبراً عما[١٣] نُهي عنه.

وقال عطية[١٤]: حفظاً لما أمر به. وقال ابن[١٥] قتيبة: رأياً معزوماً[١٦].

حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له. والعزم في اللغة: هو توطين النفس على الفعل.

قال أبو أمامة الباهليّ[١٧]: لو وُزِنَ حلمُ آدم بحلمِ جميع ولده لرجح عليه وقد قال الله تعالى «وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً». فإن قيل: أتقولون إن آدمَ كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة. قيل[١٨]: يجوز أن يكون نَسِي أمره[١٩]، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٤.
(٢) المختصر: (٩٠) البحر المحيط ٦/ ٢٨٤.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٤.
(٤) انظر المرجع السابق.
(٥) ما بين القوسين سقط من ب.
(٦) انظر التبيان ٢/ ٩٠٥.
(٧) وصاحب الحال هنا نكرة، لأن صفة النكرة إذا قدمت عليها نصبتها على الحال لامتناع جواز تقديم الصفة على الموصوف انظر شرح المفصل ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.
(٨) في ب: المضمر. وهو تحريف.
(٩) في الأصل: وإذا.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٤٦٢.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٦٢.
(١٣) في ب: على ما.
(١٤) عطية العوفي.
(١٥) ابن: سقط من النسختين.
(١٦) تفسير غريب القرآن (٢٨٣).
(١٧) في ب: أبو علي الباهلي.
(١٨) في ب: فالجواب.
(١٩) في ب: ناسياً لأمره.

مرفوعاً عن الإنسان بل[١] كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عنا.

وقيل: نَسِيَ عقوبة الله، وظن أنَّه نَهي[٢] تنزيه[٣]. قوله تعالى: «وإذَا قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ» تقدَّم الكلام على ذلك مفصَّلاً في سورة البقرة[٤].

وقوله: «أَبَى» جملة مستأنفة، لأنها جواب سؤال مقدر[٥]، أي: ما منعه من السجود؟ فأجيب بأنه أبَى واستكبر.

ومفعول الإباء يجوز أن يكون مراداً[٦]، وقد صرَّح به في الآية الأخرى في قوله: «أَبَى[٧] أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ»[٨] وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة. ويجوز أن لا يراد ألبتة، وأن المعنى: أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ما هو[٩].

قوله[١٠]: «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ» وسبب[١١] تلك العداوة من وجوه[١٢]:

الأول: أن إبليس كان حسوداً، فلمَّا رأى آثار نِعَم الله تعالى في حق آدم حسده فصار[١٣] عدواً له.

الثاني: أن آدم ـ عليه السلام[١٤] ـ كان شاباً عالماً لقوله تعالى «وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا»[١٥]، وإبليس كان شيخاً جاهلاً، لأنه أثبت فضيلته بفضيلة أصله، وذلك جهل والشيخ أبداً يكون عدواً للشَّاب العالم.

الثالث: أن إبليس مخلوق من النار وآدم مخلوق من الماء والتراب، فبين أصليهما[١٦] عداوة، فبقيت تلك العداوة[١٧].

---

(١) في ب: بلى. (٢) نهي: سقط من ب.
(٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٦٢.
(٤) عند قوله تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾** [البقرة: ٣٤].
(٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٩. (٦) في ب: مراد. وهو تحريف.
(٧) في ب: وصرح به في آية أخرى فأبى. وهو تحريف.
(٨) [الحجر: ٣١].
(٩) وقد رجحه الزمخشري حيث قال: (والوجه أن لا يقدر له مفعول، وهو السجود المدلول عليه بقوله: «فسجدوا»، وأن يكون معناه: أظهر الإباء وتوقف وتثبط). الكشاف ٢/ ٤٤٩.
(١٠) قوله: سقط من ب. (١١) في ب: فصل سبب.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥.
(١٣) في ب: وصار. (١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٥) [البقرة: ٣١]. (١٦) في ب: أصلهما.
(١٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

فإن قيل: لم قال: «فَلاَ يُخرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ» مع أن المخرج لهما من الجنة هو الله تعالى[(١)]؟

فالجواب لما كان بوسوسته[(٢)] هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج صح[(٣)] ذلك[(٤)]. قوله: «فَتَشْقَى» منصوب بإضمار (أنْ) في جواب النهي[(٥)]، والنهي في الصورة لإبليس والمراد به هما، أي لا تَتَعاطَيَا أسباب الخروج (فيحصل لكما الشقاء)[(٦)]، وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة. ويجوز أن يكون مرفوعاً على الاستئناف، أي: فأنت تشقى، كذا قدره أبو حيان[(٧)].

وهو[(٨)] بعيد أو ممتنع، إذ ليس المقصود[(٩)] الإخبار بأنه يشقى بل[(١٠)] إن وقع الإخراج لهما من إبليس حصل ما ذكر. وأسند الشقاء[(١١)] إليه دونها، لأن الأمور معدوقة برؤوس الرجال، وحسن ذلك كونه رأس فاصلة، ولأنَّه إن[(١٢)] أريد بالشقاء التعب في طلب القوت فذلك على الرجل دون المرأة.

قوله: «إنَّ لَكَ ألاَّ تَجُوعَ» «لَكَ»[(١٣)] خبر «إنَّ»، و «ألاَّ تَجُوعَ» في محل نصب اسماً لها[(١٤)]، (والتقدير: إنَّ لَكَ عدم الجوع والعُرْي)[(١٥)]. و «تَعْرَى» منصوب تقديراً نسقاً على «تَجُوع»[(١٦)] (والعُرْيُ تجرد الجلد عن شيء يقيه، يقال منه: عَرِيَ يَعْرَى عَرْياً)[(١٧)] قال الشاعر:

٣٦٩٧ ـ فَإنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَوَارِي فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافِ[(١٨)]

«وأنَّكَ لاَ تَظْمَأ» قرأ نافع وأبو بكر «وإنَّك» بكسر الهمزة. والباقون بفتحها[(١٩)].

---

(١) تعالى: سقط من ب.

(٢) في ب: لما كان بوسوستهما أعني بوسوسته. وهو تحريف.

(٣) في ب: فصح.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٥.

(٥) وذلك أنَّ «أنْ» تنصب الفعل مضمرة بعد فاء جواب نهي، والنهي هنا قوله: «فلا يُخرِجنكما». وانظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٤.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٤.

(٨) في ب: وهذا.

(٩) المقصود: سقط من ب.

(١٠) في ب: بعد.

(١١) في الأصل: الشقاوة. وهو تحريف.

(١٢) أن: سقط من ب.

(١٣) لك: سقط من ب.

(١٤) انظر البيان ٢/ ١٥٤.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٦) في ب: منصوب تقديراً على تجوع نسقاً لها.

(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٨) البيت من بحر الوافر لسعيد بن مسحوج الشيباني، أو لأبي خالد القناني وهو في الكامل ٣/ ١٠٨٢، الخصائص ٢/ ٢٩٢، ٣٤٢، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٣، اللسان (كَرَمَ ـ كَسَا) المغني ٢/ ٥٢٧ وشرح شواهده ٢/ ٨٨٦.

(١٩) السبعة ٤٢٤، الحجة لابن خالويه (٢٤٧)، الكشف ٢/ ١٠٧، النشر ٢/ ٣٢٢، الإتحاف (٣٠٨).

فمن كسر فيجوز أن يكون ذلك استئنافاً[١]، وأن يكون نسقاً على «إنَّ» الأولى[٢]. ومن فتح فلأنه[٣] عطف مصدراً[٤] مؤولاً على اسم «إنَّ» الأولى، والخبر «لَكَ» المتقدم. والتقدير: إنَّ لَكَ عدم الجوع، وعدم العري، وعدم الظمأ والضحى. وجاز أن يكون «أنَّ» بالفتح اسماً لـ «إنَّ» بالكسر للفصل بينهما[٥]، ولولا ذلك لم يجز. لو قلت: إنَّ أنَّ زيداً قائم حق[٦] لم يجز، فلما فصل بينهما جاز[٧].

وتقول: إنَّ عندِي أنَّ زيداً قائمٌ، فعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو أنَّ وَمَا في تأويلها لكونه ظرفاً، والآية من هذا القبيل إذ التقدير: فإن لك أنَّك لا تَظْمَأ[٨] وقال الزمخشري: فإن قلت: «إنَّ» لا تدخل على «أنَّ»، فلا يقال: إنَّ أنَّ زيداً منطلقٌ، والواو نائبة عن «إنَّ» وقائمة مقامها، فلم دخلت عليها؟ قلت: الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن «إنَّ» إنما هي نائبة عن كل عامل، فلمَّا لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما اجتمع «إنَّ» و «أنَّ»[٩] وضَحِيَ يَضْحَى[١٠] أي: برز للشمس، قال عمر[١١] بن أبي ربيعة:

٣٦٩٨ـ رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إذَا[١٢] الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[١٣]

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٧٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧، البيان ٢/ ١٥٤. التبيان ٢/ ٩٠٦.

(٢) انظر التبيان: ٢/ ٩٠٦.

(٣) في ب: كلامه. وهو تحريف.

(٤) في ب: مصدر.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٧٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧، البيان ٢/ ١٥٤، التبيان ٢/ ٩٠٦. وذكر الزجاج وابن الأنباري وجهاً آخر، وهو أن يكون موضعها الرفع بالعطف على الموضع، كما تقول: إن زيداً قائم وعمرو. بالعطف على موضع «إنَّ».

(٦) في ب: إن زيداً قائم حق.

(٧) وذلك لأن (إنَّ وأنَّ) للتأكيد، كرهوا الجمع بين حرفين لمعنى واحد.

(٨) وذلك أنّ خبر (إنّ) إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً يجوز تقديمه على اسمها للتوسع في الظروف والمجرورات. انظر شرح الأشموني ١/ ٢٧٢.

(٩) الكشاف ٢/ ٤٤٩.

(١٠) في ب: قوله: «تَضْحَى».

(١١) في الأصل: عمرو، وفي ب: قال علي. وهو تحريف.

(١٢) في ب: واب رجلٌ أما أذى. وهو تحريف.

(١٣) البيت من بحر الطويل قاله عمر بن أبي ربيعة وهو في ديوانه (٦٤)، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٤، ومجاز القرآن ٢/ ٣٢، الكامل ١/ ٩٨، ٢٨٤، ٣/ ١١٥٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٧٨، المحتسب ١/ ٢٨٤، القرطبي ١١/ ٢٥٤، اللسان (ضحا)، المغني ١/ ٥٦، شرح شواهده ١/ ١٧٤ الهمع ٢/ ٦٧، شرح الأشموني ٤/ ٤٩. والخزانة ١١/ ٣٦٧، الدرر ٢/ ٨٤. ورواية الديوان:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

ورواية (أيما) يستدل بها النحاة على قلب ميم (أما) الأولى ياء استثقالاً للتضعيف. انظر شرح الأشموني ٤/ ٤٩.

وذكر الزمخشري هنا معنى حسَناً في كونه تعالى[١] ذكر هذه الأشياء بلفظ النفي دون أن يذكر أضدادها بلفظ الإثبات، فيقول: إنَّ لَكَ[٢] الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل، فقال[٣]: وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعُرْي، والظمأ، والضّحو ليطرق سمعه بأسامي[٤] أصناف[٥] الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب[٦] الموقع فيها كراهة لها[٧].

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

قوله: «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ»[٨] أي: أنهى إليه الوسوسة، وأمَّا وَسْوَسَ له فمعناه: لأجله قال الزمخشري: فإن قلت: كيف عدّى وَسْوَسَ باللام في قوله: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ»[٩] وأخرى بإلى؟ قلت: وَسْوَسَةُ الشيطان كَوَلْوَلَةِ[١٠] الثكلى[١١] ووَقْوَقَة[١٢] الدجاجة في أنها حكايات الأصوات، فحكمُها[١٣] حكمُ صوت أو جرس[١٤]، ومنه: وسوسة المُبْرسَم[١٥] وهو مُوَسْوس[١٦] بالكسر، والفتح لحسن[١٧]، وأنشد ابن الأعرابي:

٣٦٩٩ ـ وَسْوَسَ يدعُو مُخْلصاً[١٨] رَبَّ الفَلَقْ[١٩]

فإذا قلت: وسوس له فمعناه لأجله كقوله:

٣٧٠٠ ـ أجْرِسْ لَهَا يَا ابْنَ أبِي كِبَاشِ[٢٠]

---

(١) في الأصل: تعال. وهو تحريف.
(٢) لك: سقط من الأصل.
(٣) في ب: فقال أنواع. وهو تحريف.
(٤) في النسختين: بأشياء من.
(٥) في ب: أنواع.
(٦) في ب: الشبع. وهو تحريف.
(٧) الكشاف ٢/٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٨) إليه: سقط من ب.
(٩) [الأعراف: ٢٠].
(١٠) الولولة: صوت متتابع بالويل والاستغاثة، وقيل: هو حكاية صوت النائحة. اللسان (ولول).
(١١) في ب: الشكوى. وهو تحريف.
(١٢) في الكشاف: وكوقوعه.
(١٣) في ب: وحكمها.
(١٤) في ب: حكم صوت الجرس.
(١٥) المبرسم: الذي أصابته الحمى.
(١٦) في الأصل: مسوس.
(١٧) في ب: وهو موسوس بالفتح والكسر لحن. وهو تحريف. الوسواس بالكسر المصدر والوسواس بالفتح هو الشيطان وكل ما حدثك ووسوس إليك فهو اسم. والموسوس بالكسر الذي يعتريه الوسواس، ابن الأعرابي: رجل موسِوس، ولا يقال رجل موسوَس. اللسان (وسَس).
(١٨) في ب: وسوس مخلصاً يدعو. وهو تحريف.
(١٩) الرجز لرؤبة وهو في ديوانه (١٠٨) الكشاف ٢/ ٤٥٠، اللسان (وَسْوَسَ).
(٢٠) رجز لم أهتد إلى قائله وهو في إصلاح المنطق (٤١) الكشاف ٢/ ٤٥٠ اللسان (جرس)، شرح=

ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقوله: حدث إليه[١].

وقال أبو البقاء: عُدّي «وَسْوَسَ» بـ «إلى»، لأنه بمعنى أسرَّ، وعداه في موضع آخر باللام، لكونه بمعنى ذَكَرَ له، أو[٢] تكون بمعنى لأجله[٣].

قوله: «هَلْ أَدُلكَ عَلَى شجرة الخُلْدِ» يعني على شجرة إن أكلتَ منها بَقيتَ مخلداً، «وَمُلْكٍ[٤] لاَ يَبْلَى» أي مَنْ[٥] أكل من هذه الشجرة دام ملكه. قال ابن الخطيب[٦]: واقعة آدم عجيبة، وذلك لأن الله تعالى رغَّبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله: «فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى إنَّ لَكَ أنْ لاَ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى، وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى». ورغَّبه إبليس أيضاً في دوام الراحة بقوله[٦]: «هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ»، وفي انتظام المعيشة بقوله[٧][٨]: «وَمُلْكٍ[٩] لاَ يَبْلَى» فكان الشيء الذي رغَّب[١٠] (الله تعالى آدم)[١١] فيه هو الذي رغبه إبليس فيه إلا أن الله تعالى[١٢] وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة، وإبليس وقعه على الإقدام عليها، ثم إن آدم ـ عليه السلام[١٣] ـ مع كمال عقله وعلمه (بأن الله تعالى مولاه وناصره ومربيه، وأعلمه)[١٤] بأن إبليس عدوه حيث امتنع من السجود له، وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول إبليس مع علمه بعداوته له، وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه[١٥] بأنه هو الناصر والمولى. ومن تأمل هذا الباب طال تعجبه، وعرف[١٦] آخر الأمر أنّ هذه القصة كالتنبيه على أنه لا دافع لقضاء الله، ولا مانع منه، وأن الدليل وإن كان في غاية الظهور ونهاية القوة فإنه لا يحصل النفع به إلا إذا قضى الله ذلك وقدره[١٧].

= شواهد الكشاف ٦٥. الجرس: الحركة والصوت من كل ذي صوت. وأجرس: علا صوته وأجرس الحادي إذا حدا للإبل، أي اخدُ لها لتسمع الحُداء فتسير. والشاهد فيه أن قول: (أجرس لها) أي لأجلها.

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٠. وفي ب: كقوله:

حــدّث إلـيــه وأسِــرَّ إلــيــهـا ... بـكـرمـات عـودِ لـيـس مـن يـديـهـا

(٢) في النسختين: و.

(٣) التبيان ٢/ ٩٠٦.

(٤) في ب: قوله: وملك.

(٥) من: سقط من ب.

(٦) في ب: فصل قال ابنُ الخطيب.

(٧) في ب: في قوله.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) في ب: ملك.

(١٠) في ب: رغبه.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) تعالى: سقط من ب.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) مع علمه: تكملة من الفخر الرازي.

(١٦) في ب: وعلم.

(١٧) الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٦.

روى البخاريُّ[(١)] ومسلم[(٢)] أن النبي ـ ﷺ[(٣)] ـ قال: «احتجَّ آدمُ وموسى[(٤)] عند ربهما، فحَجَّ آدمُ موسى، قال موسى: أنت يا آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس[(٥)] بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً وجدت الله[(٦)] كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها «وَعَصَى آدَمُ رَبَّه فَغَوَى»؟ قال نعم، قال[(٧)] أفتلومني[(٨)] على أن عملت عملاً كتب الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسول الله ـ ﷺ ـ فحَجَّ آدمُ مُوسَى»[(٩)].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص[(١٠)] قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كَتَبَ اللّه مَقَادِير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعَرْشُهُ على الماء»[(١١)]. وقال: «كل شيء خلقه بقدر حتى العَجْز والكَيْسُ»[(١٢)]. قوله: «فَأَكَلاَ مِنْهَا» يعني آدم وحواء. «فَبَدَتْ[(١٣)] لَهُمَا سَوْآتُهُمَا».

قال ابن عباس: عريا من النور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما[(١٤)]. وإنما جمع «سَوْآتِهمَا» كما قال: «صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»[(١٥)].

«وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَق الجَنَّةِ» قال الزمخشري: طَفِقَ بفعل كذا مثل

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صاحب الصحيح والتصانيف، حفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي، حدّث عنه الترمذي ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما مات سنة ٢٥٦ هـ. تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥.

(٢) هو مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، أكثر عن يحيى بن يحيى التميمي وأحمد بن يونس اليربوعي، روى عنه الترمذي حديثاً واحداً، مات سنة ٢٦١ هـ. تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٨ ـ ٥٩٠.

(٣) في ب: أن النبي ﷺ وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

(٤) في ب: موسى وآدم.

(٥) الناس: سقط من ب.

(٦) في ب: أنه. وهو تحريف.

(٧) قال: سقط من ب.

(٨) في الأصل: أتلومني.

(٩) أخرجه البخاري (تفسير) ٦/ ١٢٠، ١٢١، (قدر) ٨/ ١٥٧ (توحيد) ٩/ ١٨٢.

(١٠) هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي أبو محمد، أخذ عنه جبير بن نفير وابن المسيب وغيرهما، وكان يلوم أباه على القتال في الفتنة بأدب وتؤدة، ويقول: ما لي ولصفين ما لي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشرين سنة، مات سنة ٦٥ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٨٣.

(١١) أخرجه مسلم (القدر) ٤/ ٢٠٤٤.

(١٢) أخرجه مسلم (القدر) ٤/ ٢٠٤٥.

(١٣) في ب: قوله: فبدت.

(١٤) الفخر الرازي: ٢٢/ ١٢٧.

(١٥) من قوله تعالى: ﴿**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما**﴾ [التحريم: ٤]. قال: «سوآتهما»، «قلوبكمَا» بالجمع، لأن كل عضو ليس في البدن منه إلا عضو واحد فإن تثنيته بلفظ جمعه، والسوأة، والقلب ليس في البدن منهما إلا عضو واحد. انظر البيان ٢/ ٤٤٦، التبيان ٢/ ١٢٢٩.

جعل[١] يفعَلُ وأَخَذَ وأَنْشَأ[٢]، وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً وبينها وبينه[٣] مسافة قصيرة[٤]. وقرىء «يُخَصِّفان»[٥] للتكثير والتكرير من خصف النعل، وهو أن يخرز عليها الخصاف، أي: يلزقان الورق بسوآتهما[٦] للتستر، وهو ورق التين[٧]. قوله: «وعَصَى آدَمُ رَبَّه» بأكل الشجرة «فَغَوى» أي: فعل (ما لم يكن له فعله)[٨]. وقيل: أخطأ طريق الجنة وضلّ[٩] حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عن أكله فخاف ولم ينل مراده[١٠].

وقال ابن الأعرابي: أي: فسد عليه عيشه وصار من العز إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب[١١]. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال: عَصَى آدمُ، ولا يجوز أن يقال: آدم عاصٍ (لأنه إنما يقال: عَاصٍ)[١٢] لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه فيقال خاط ثوبَه، ولا يقال: هو خياط (حتى يعاوده ويعتاده[١٣])[١٤].

قوله: «فَغَوى» الجمهور على فتح الواو بعدها ألف وتقدم تفسيرها.

وقيل: معناه بشم من قولهم: غوي البعير[١٥] بكسر الواو والياء إذا[١٦] أصابه ذلك[١٧]. وحكى أبو البقاء هذه قراءة وفسروها بهذا المعنى[١٨].

---

(١) في الأصل: جعل كذا، وفي ب: مثل فعل. وهو تحريف.

(٢) في ب: يفعل كذا، وهو تحريف.

(٣) وبينه: سقط من الأصل. وفي ب: وبينهما.

(٤) الكشّاف ٢/ ٤٥٠. طفق، جعل، أَخذ، أَنشأ، من أفعال المقاربة وهذه الأفعال تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ اسماً لها وتنصب الخبر خبراً لها، ولا يكون الخبر إلا جملة فعلية فعلها مضارع ويمتنع اقترانها بـ «أن» لما بينهما وبين «أن» من المنافاة لأن المقصود بها الحال لأن معناها الشروع في الفعل، و «أن» للاستقبال. انظر شرح المفصل ٧/ ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٥) بكسر الخاء وتشديد الصاد ـ قراءة الحسن. المختصر ٩٠، والإتحاف ٣٠٨. جعلها من (يختصفان) فأدغم التاء في الصاد، وحرك الخاء بالكسر، لاجتماع الساكنين. انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥١٥.

(٦) في ب: لسوآتهما. وهو تحريف.

(٧) انظر الكشّاف ٢/ ٤٥٠.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) وضلّ: سقط من ب.

(١٠) انظر البغوي ٦/ ٤٦٣.

(١١) انظر البعوي ٦/ ٤٦٣.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) انظر تأويل مشكل القرآن (٤٠٣).

(١٤) ما بين القوسين في ب: حتى يعاونه ويعتاده. وهو تحريف.

(١٥) غوى الفصيل: بشم من اللّبن وفسد جوفه. والبشم: التخمة، وقيل هو أن يكثر من الطعام حتى يكربه. اللّسان (غوى، بشم).

(١٦) في ب: بكسر الراء وإذا. وهو تحريف.

(١٧) انظر تأويل مشكل القرآن (٤٠٢).

(١٨) قال أبو البقاء: (وقرىء شاذاً بالياء وكسر الواو، وهو من غوى الفصيل إذا بشم على اللّبن، وليست بشيء) البيان ٢/ ٩٠٦.

قال الزمخشري: وعن بعضهم «فَغَوى»[١] فَبَشَم من كثرة الأكل، وهذا[٢] وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها[٣] ألفاً، فيقول في فَنِيَ، وبَقِيَ: فَنَا وَبَقَا[٤]، وهم بنو طيىء تفسير خبيث[٥].

قال شهاب الدين: كأنه لم يطلع على أنه قرىء[٦] بكسر الواو[٧]، ولو اطلع عليها لردها، وقد فرَّ القائل بهذه المقالة من نسبة آدم ـ عليه السلام[٨] ـ إلى الغي[٩].

فصل[١٠]

تمسك بعضهم[١١] بقوله: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» في صدور الكبيرة عنه من وجهين:

أحدهما[١٢]: أن العاصي اسم للذمّ فلا يطلق[١٣] إلا على صاحب الكبيرة، ولقوله تعالى[١٤]: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّم[١٥] خَالِدِينَ[١٦] فِيهَا»[١٧] ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فَعَل فِعْلاً يُعَاقَبُ عليه.

الثاني: أن الغواية والضلالة[١٨] اسمان مترادفان، والغي ضد الرشد، ومثل هذا لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه.

وأجيب[١٩] عن الأول: بأن المعصية مخالفة الأمر[٢٠]، والأمر قد يكون بالواجب وبالندب، فإنك تقول: أمرته فعَصَاني، وأمرته بشرب الدواء فَعَصَاني وإذا كان كذلك لم يمتنع[٢١] إطلاق اسم العصيان على آدم بكونه تاركاً للمندوب فأجاب المستدل بأنا قد بيّنّا أن ظاهر القرآن يدل على أنَّ العاصي يستحق العقاب، والعرف يدل على أنه اسم[٢٢] ذم، فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصياً لوجب وصف الأنبياء بأسرهم بأنهم عصاة، لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب. فإن قيل: وصف تارك المندوب بأنه عاص مجاز[٢٣] والمجاز لا يطرد.

---

(١) في ب: قال الزمخشري. وغوى غيره فغوى. وهو تحريف.
(٢) في ب: هذا.
(٣) في ب: ما بعدها. وهو تحريف.
(٤) في ب: فيقول في نفي معنا. وهو تحريف.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٥٠.
(٦) في ب: قرأ. وهو تحريف.
(٧) وهي القراءة الذي حكاها أبو البقاء.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) الدّر المصون: ٢/ ٤٠.
(١٠) في ب: فإن قيل.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٧.
(١٢) في الأصل: الأولى.
(١٣) في الأصل: ينطلق. وهو تحريف.
(١٤) تعالى: سقط من ب.
(١٥) نار: سقط من الأصل.
(١٦) في النسختين خالداً. وهو تحريف.
(١٧) [الجن: ٢٣].
(١٨) في ب: والضّلال.
(١٩) في ب: والجواب.
(٢٠) في ب: والأمر. وهو تحريف.
(٢١) في ب: لم يمنع.
(٢٢) اسم: سقط من ب.
(٢٣) في ب: مجازاً. وهو تحريف.

قلنا[١]: لما سلمت كونه مجازاً فالأصل عدمه، وأما قوله[٢]: يقال[٣] أمرته بشرب الدواء فعَصَاني، قلنا[٤]: لا نُسَلِّم أن هذا الاستعمال مروي[٥] عن العرب، ولئن سلَّمنا ذلك لكنهم إنما يطلقون ذلك إذا أجزموا عليه بالفعل[٦]. وحينئذ يكون معنى الإيجاب حاصلاً، وإن لم يكن الوجوب حاصلاً، وذلك يدل على أنَّ لفظ العصيان لا يجوز[٧] إطلاقه إلا عند تحقق الإيجاب، لكنا أجمعنا على أن الإيجاب من الله تعالى[٨] يقتضي الوجوب[٩]، فيلزم أن يكون إطلاق لفظ العصيان على آدم ـ عليه السلام ـ إنما كان لكونه تاركاً للواجب ومن الناس من سلَّم أن الآية تدل على صدور المعصية منه، لكنه زعم أن المعصية كانت من الصغائر لا من الكبائر، وهذا قول عامة المعتزلة. وهذا أيضاً ضعيف[١٠]، لأنا[١١] بينا أن اسم العاصي اسم للذم، وأن ظاهره يدل على أنه يستحق العقاب، وذلك لا يليق بالصغيرة، وأجاب أبو مسلم: بأنه عَصَى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف، وكذا القول في «غَوَى».

وهذا أيضاً بعيد، لأن مصالح الدنيا مباحة، من تركها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم ذم، ولا يقال: «فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ»[١٢].

وأما التمسك بقوله: «فَغَوَى» فأجابوا عنه من وجوه:

أحدها: أنه خابَ من نعيم الجنة، لأنه إنما أكل من الشجرة ليدومَ مُلْكه، فلما أكل زال، فلما خاب سَعْيه قيل: إنَّه غَوَى.

وتحقيقه أن الغَيَّ ضدُّ الرشد، والرشد هو أن يتوصل بشيء إلى شيء فيصل إلى المقصود، ومن توصل بشيء إلى شيء فحصل ضد مقصوده كان ذلك غياً.

وثانيها: قال بعضهم غَوَى أي: بَشَم من كثرة الأكل[١٣].

قال ابن الخطيب: والأولى عندي في هذا الباب أن يقال: هذه الواقعة كانت قبل النبوة، وقد تقدم شرح ذلك في البقرة. وهاهنا بحث لا بد منه، وهو أن ظاهر القرآن وإن دلَّ على أن آدم عصى وغوى[١٤]، ولكن ليس لأحد أن يقول: إن آدم كان عاصياً غاوياً. ويدل على صحة هذا القول أمور:

---

(١) في ب: فالجواب.
(٢) في ب: قولك.
(٣) يقال: سقط من ب.
(٤) قلنا: سقط من ب.
(٥) في الأصل: يروى.
(٦) في ب: بالعقل. وهو تحريف.
(٧) في ب: لا يتحقق أي لا يجوز.
(٨) تعالى: سقط من ب.
(٩) من هنا سقط من ب، وأشرت إليه من بدايته لكثرته.
(١٠) في الأصل: ضعيفاً.
(١١) في الأصل: لا.
(١٢) من الآية: (٢٢) من سورة الأعراف.
(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨.
(١٤) في النسختين: وإن دلّ على قوله: وعصى وغوى. وهو تحريف.

أحدها: قال العُتبي[١]: يقال للرجل يخيط ثوبه خاط ثوبه، ولا يقال: هو خياط حتى يعاوده ويعتاده، ويصير معروفاً بالخياطة.

وهذه الزلة لم تصدر عن آدم إلا مرة واحدة، فوجب أن لا يجوز إطلاق الاسم عليه.

وثانيها: أن على تقدير أن تكون هذه الواقعة إنما وقعت قبل النبوة، لم يجز بعد أن قبل الله توبته وشرَّفه بالرسالة والنبوة إطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن[٢] أسلم بعد الكفر أو شرب أو زنا ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك كافر أو شارب أو زانٍ[٣] فكذا هنا.

وثالثها: أن قولنا: عاصٍ وغاوٍ[٤] يُوهِمُ كونه عاصياً في أكثر الأشياء، (وغاوياً عن معرفة الله تعالى)[٥] ولم ترد هاتان اللفظتان في القرآن مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التي عَصَى فيها، فكأنه قال: عصى في كيت وكيت، وذلك لا يوهم ما ذكرنا.

ورابعها: أنه يجوز[٦] من الله ما لا يجوز من غيره، كما يجوز للسيد من ولده وعبده عند معصيته من إطلاق القول ما لا يجوز لغيره[٧].

قوله: «ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبُّه» أي: اختاره واصطفاه، «فَتَابَ عَلَيْه» بالعفو وهداه إلى التوبة حين قال: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»[٨].

قال عليه السلام: لو جُمِع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاؤه أكثر ولو جمع ذلك إلى نوح لكان بكاؤه أكثر، وإنما سمي نوحاً لنوحه على نفسه. ولو جمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته كان بكاؤه أكثر[٩].

قال وهب: لمّا كثر بكاؤه أمره الله تعالى أن يقول: «لاَ إِلَٰهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ وبحمدِكَ عَملتُ سوءاً وظَلَمْتُ نفسي فاغفر لي فإنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ» فقالها آدم، ثم قال: قل «سُبْحَانَكَ لاَ إِلَٰهَ إلاَّ أنْتَ عَمِلتُ سوءاً وظَلَمْتُ نَفْسِي فتُبْ عليَّ إنَّكَ أنْتَ التَوَّابُ»[١٠].

قال ابن عباس: هذه[١١] الكلمات التي تلقاها آدم من ربه[١٢].

---

(١) هو محمد بن عبيد. من ولد عتبة بن أبي سفيان بن حرب، والأغلب عليه الأخبار وأكثر أخباره عن بني أمية وأيامهم، وكان العتبي شاعراً، وأصيب ببنين له فكان يرثيهم، وكان مستهتراً بالشراب، مات سنة ٢٢٨ هـ. المعارف ٥٣٨.

(٢) في النسختين: لم. والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: زاني.

(٤) في النسختين: عاصي وغاوي.

(٥) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٦) في النسختين: أنه لا يجوز.

(٧) الفخر الرازي ٢٢/١٢٨.

(٨) من قوله تعالى: **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** [الأعراف: ٢٣].

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٢٩.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٢٩.

(١١) في النسختين: هن.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٢٩.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

قوله: «قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً» هنا سؤال[١] وهو أن قوله: «اهْبِطَا» إما أن يكون خطاباً مع شخصين أو أكثر، فإن كان خطاباً مع شخصين فكيف قال بعده: «فَإمّا يَأْتِيَنَّكُمْ» وهو خطاب الجمع؟ وإن كان خطاباً[٢] بالجمع فكيف قال: «اهْبِطَا»؟ وأجاب أبو مسلم: بأن الخطاب لآدم ومعه ذريته، ولإبليس ومعه ذريته، ولكونهما جنسين صح قوله: «اهْبِطَا» ولأجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله: «فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ».

وقال الزمخشري: لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصل[٣] البشر اللذين[٤] منهما تفرعوا كأنهما البشر أنفسُهما، فخوطِبَا مخاطبتهم[٥]، فقيل: «فَإمَّا يَأْتِينكم» على لفظ الجماعة[٦][٧].

ومن قال: بأنَّ أَقلَّ الجمع اثنان، أو بأنه يعبر عن الاثنين بلفظ الجمع، كقوله: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبكُما»[٨] فلا يحتاج إلى التأويل.

قوله: «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» تقدم تفسيره[٩].

«فإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن اتَّبعَ هُدَايَ» وهذا يدل[١٠] على أن المراد الذرية والمراد بالهدى الرسل، وقيل: الآيات والأدلة، وقيل: القرآن[١١].

«فَلاَ يَضِلُّ» في الدُّنيا، «ولاَ يَشْقَى» في الآخرة، لأنه تعالى يهديه إلى الجنة.

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) في النسختين: خطأ. وهو تحريف. (٣) في النسختين: أصل. وهو تحريف.

(٤) في الكشاف: والسببين اللذين. وفي النسختين: الذين.

(٥) في النسختين: فخوطبوا مخاطبتهما. وهو تحريف.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٥٠.

(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٢٩ ـ ١٣٠.

(٨) [التحريم: ٤].

(٩) في سورة البقرة عند قوله تعالى: **﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** [البقرة: ٣٦].

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٠. بتصرف.

(١١) والتحقيق أن الهدى عبارة عن الدلالة فيدخل فيه ذلك.

وقيل: لا يَضِلُّ ولا يَشْقَى في الدُّنْيَا. فإن قيل: المتبع لهدى الله قَدْ يَشْقَى في الدنيا.

فالجواب: أن المراد لا يضل في الدين، ولا يشقى بسبب الدين، فإن حصل بسبب آخر فلا بأس. ولما وعد تعالى من يتبع الهُدَى أتْبَعه بالوعيد لمن أعرض فقال: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» والذكر يقع على القرآن وعلى سائر كتب الله تعالى على ما تقدم[١].

قوله: «ضَنْكاً» صفة لمعيشة، وأصله المصدر، فكأنه قال: معيشة ذات ضنك، فلذلك لم يؤنث ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد[٢]. وقرأ الجمهور «ضَنْكاً» بالتنوين وصلاً وإبداله ألفاً وقفاً كسائر المعربات[٣].

وقرأت فرقة «ضنكى» بألف كسكرى[٤]. وفي هذه الألف احتمالان:

أحدهما: أنها بدل من التنوين[٥]، وإنما أجري الوصل مجرى الوقف كما تقدم في نظائره، وسيأتي منها بقية إن شاء الله تعالى.

والثاني: أن تكون ألف التأنيث، بُنِي المصدر على (فَعْلَى) نحو دَعْوَى. والضنك الضيق والشدة[٦]، يقال منه: ضَنُكَ عيشُه يَضْنَكُ ضَنَاكَةً وَضَنْكاً، وامرأة ضِنَاكٌ كثيرة لحم البدن، كأنهم تخيلوا ضيق جلدها به[٧]

فصل

قال جماعة من المفسرين: الكافر بالله يكون حريصاً على الدنيا طالباً للزيادة أبداً فعيشه ضَنْكٌ، وأيضاً فمن الظلمة مَنْ ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة بكفره قال تعالى: «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ»[٨] وقال: «وَلَوْ أَنَّهُم أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إليْهِم مِن رَبِّهِم

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٠. بتصرف.

(٢) يقع المصدر نعتاً كثيراً، وكان حقه أن لا ينعت به لجموده، ولكن وقوعه نعتاً قصداً للمبالغة أو توسعاً بحذف مضاف، وهو عند الكوفيين على التأويل بالمشتق، ويلزم حينئذ الإفراد والتذكير، نحو رجل عدل، وامرأة عدل، ورجلان عدل، ورجال عدل. قال ابن مالك:

ونعتوا بمصدرٍ كثيرا ... فالتزموا الإفراد والتذكيرا

انظر شرح الأشموني ٣/ ٦٤.

(٣) وذلك لأن الوقف على النون المنصوب غير المؤنث بالتاء يكون بإبدال التنوين ألفاً. انظر التبيان ٢/ ٩٠٧، البحر المحيط ٦/ ٢٨٧، شرح التصريح ٢/ ٣٣٨.

(٤) وهي قراءة الحسن. المختصر: (٩٠)، البحر المحيط ٦/ ٢٨٦.

(٥) كقراءة الجمهور في حال الوقف، وهنا بالألف وصلاً ووقفاً إجراء للوصل مجرى الوقف كما بين ابن عادل.

(٦) قال الزجاج: (الضنك أصله في اللغة الضيق والشدّة، ومعناه ـ والله أعلم ـ أنّ هذه المعيشة الضنك في نار جهنم. وأكثر ما جاء في التفسير أنه عذاب القبر) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٨.

(٧) انظر اللسان (ضنك).

(٨) [البقرة: ٦١].

لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِم وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»[١]، وقال: («وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ)[٢] بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ»[٣][٤] وقال ابن مسعود وأبو[٥] هريرة وأبو سعيد الخدري ـ (رضي الله عنهم)[٦] ـ: المراد بالعيشة الضنكى عذاب القبر[٧].

وقال الحسن وقتادة والكلبي: هو الضيق في الآخرة في جهنم، فإن طعامهم الضريع[٨] والزقوم[٩]، وشرابهُمُ الحميم[١٠] والغِسْلِين[١١]، فلا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن[١٢]. وقال ابن عباس[١٣]: المعيشة الضنك هو أن يضيق عليه أبواب[١٤] الخير فلا يهتدي لشيء منها[١٥]. وعن عطاء: المعيشةُ الضَّنك هي معيشة الكافر، لأنه غير[١٦] موقِنٍ بالثواب والعقاب[١٧].

وروي عنه ـ عليه السلام[١٨] ـ أنَّه قال: عقوبة المعصيةِ ثلاثة ضيقُ المعيشة والعُسْرُ في اللذة، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله (تعالى[١٩])[٢٠].

قوله: «وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى».

قرأ العامة «وَنَحْشُرُه» بالنون ورفع الفعل على الاستئناف.

وقرأ أبان بن تْغلب في آخرين بتسكين الراء[٢١]، وهي محتملة لوجهين:

أحدهما: أن يكون الفعل مجزوماً نسقاً على محل[٢٢] جزاء الشرط، وهو الجملة من قوله[٢٣]: «فَإِنَّ[٢٤] لَهُ مَعِيشَةً» فإنَّ محلها الجزم[٢٥]، فهي كقراءة: «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ

---

(١) [المائدة: ٦٦].
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) [الأعراف: ٩٦].
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٠.
(٥) في الأصل: وأبي. وهو تحريف.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٠.
(٨) الضريع: نبت يقال له الشبرق، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس. اللسان (ضرع).
(٩) الزقوم: شجرة غبراء صغيرة الورق مدورتها لا شوك لها، ذفرة مرة، لها كعابر في سوقها كثيرة، ولها وريد ضعيف جداً بجرسه النحل، ونورتها بيضاء، ورأس ورقها قبيح جداً، اللسان (زقم).
(١٠) الحميم: الماء الحار. اللسان (حمم).
(١١) الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يغسل عنهم. اللسان (غسل).
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٠ ـ ١٣١.
(١٣) في ب: وقال الضحاك وابن عباس.
(١٤) في ب: أسباب.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.
(١٦) في ب: عز. وهو تحريف.
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.
(١٨) في ب: عليه الصلاة السلام.
(١٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.
(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢١) المختصر ٩٠، المحتسب ٢/ ٦٠، البحر المحيط ٦/ ٢٨٧.
(٢٢) في ب: على نسق. وهو تحريف.
(٢٣) في ب: من له. وهو تحريف.
(٢٤) فإن: سقط من ب.
(٢٥) لأنها جواب الشرط الذي في قوله: «ومن أعرض عن ذكري» وكأنه قال: ومن أعرض عن ذكري يعش=

فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُم»[١] بتسكين الراء[٢].

والثاني: أنْ يكون السكون سكون تخفيف (نحو «يَأْمُرْكُم»[٣] وبابه)[٤].

وقرأت فرقة بياء الغيبة، وهو الله تعالى أو الملك[٥]. وأبان بن تغلب في رواية «وَنَحْشُرُهْ» بسكون الهاء وصلاً[٦]، وتخريجها إما على لغة بني عقيل وبني كلاب[٧] وإمَّا على إجراء الوصل مجرى الوقف[٨]. و «أَعْمَى» نصب على الحال[٩].

فصل

قال ابن عباس: أعمى البصر[١٠]. وقال مجاهد والضحاك ومقاتل: أعمى[١١] عن الحجة، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس[١٢].

قال القاضي: وهذا ضعيف، لأن في القيامة لا بد أن يُعْلِمهم الله بطلان ما كانوا عليه حتى يتميز[١٣] لهم الحق من الباطل، ومن هذا حاله لا يوصف بذلك إلا مجازاً،

= عيشة ضنكاً ونحشره. والعطف هنا على المحل. والعطف على المحل يجوز كما يجوز العطف على اللفظ نحو ليس زيد بقائم ولا قاعداً بالنصب، وله عند المحققين ثلاثة شروط: أحدها إمكان ظهوره في الفصيح، ألا ترى أنه يجوز في المثال السابق أن تسقط الباء فتنصب، فعلى هذا لا يجوز مررت بزيد وعمراً خلافاً لابن جني، لانه لا يجوز مررت زيداً. ولا تختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل في اللفظ زائداً كما مثلنا، بدليل قوله: فإن لم تجد من دون عدنان والدا... ودون معدّ فلتزعك العواذل فـ (دون معدّ) منصوب، وهو معطوف على محل (من دون عدنان) وظهر النصب في المعطوف، لأن العامل وهو (وجد) كما يتعدى إلى ثاني مفعوليه بـ (من) يتعدى إليه بنفسه.

الثاني أن يكون الموضع بحق الأصالة، فلا يجوز هذا ضاربُ زيداً وأخيه، لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته لالتحاقه بالفعل.

الثالث وجود المحرز، أي الطالب لذلك المحل، وهذا الشرط اشترطه بعض البصريين، ولم يشترطه الكوفيون. وانظر المحتسب ٢/ ٢٨٧ المغني ٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦.

(١) [الأعراف: ١٨٦].

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. «ويذرهم» على هذه القراءة معطوف على محل قوله: «فلا هادي له» فهو في محل جزم لأنه جواب الشرط. انظر السبعة (٢٩٩) الكشف ١/ ٣٨٠.

(٣) من قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ [البقرة: ٦٧] وذلك لأنهم كرهوا أن يتوالى في كلامهم في كلمة واحدة أربع متحركات أو خمس ليس فيهن ساكن. وقرأ بالتخفيف أبو عمرو. وانظر الكتاب ٤/ ٢٠٢، السبعة ١٥٥.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٧.

(٦) المختصر (٩٠) الكشاف ٢/ ٤٥١، البحر المحيط ٦/ ٢٨٧.

(٧) فإنهم يسكنون مثل هذه الهاء. البحر المحيط ٦/ ٢٨٧.

(٨) انظر الكشاف ٢/ ٤٥١.

(٩) من الهاء في «نحشره» التبيان ٢/ ٩٠٧.

(١٠) انظر البغوي ٥/ ٤٦٦.

(١١) أعمى: سقط من ب.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.

(١٣) في الأصل: يميز.

ولا يليق بهذا قوله: «وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً»، ولم يكن كذلك في حال الدنيا. ومما يؤيد ذلك أنه تعالى علَّل ذلك العمى بأن المكلف نَسِي الدلائل فلو كان العمى الحاصل في الآخرة عين ذلك النِّسيان لم يكن[١] للمكلف بسبب ذلك ضرر[٢].

قوله: «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً» اعلم أنَّ الله ـ تعالى[٣] ـ جعل هذا العمى جزاءً على تركه اتباع الهدى.

وقوله: «وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً» جملة حالية من مفعول «حَشَرْتَنِي». وفتح الياءَ من «حَشَرْتَنِي» قبل الهمزة نافع وابن كثير[٤].

قوله: «كَذَلِكَ أَتَتْكَ» قال أبو البقاء: «كَذَلِكَ» في موضع نصب أي، حَشَرْنَا[٥] مثل ذلك أو فَعَلْنَا مثل ذلك أو إتياناً مثل ذلك أو جزاءً مثل إعراضِك أو نسياناً[٦] وهذه الأوجه التي ذكرها تكون الكاف في بعضها نصباً (على المصدر، وفي بعضها نصباً)[٧] على المفعول به.

ولم يذكر الزمخشري فيه غير المفعول به فقال: أي: مثل ذلك فعلتَ أنْتَ، ثم فُسِّر بأنَّ آياتنَا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر، فتركتَها وأعرضتَ عنها[٨]. «وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى» تُتْرَك في النار.

قوله: «وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ» أي ومثل ذلك الجزاء نجزي[٩] «مَنْ أَسْرَفَ» أي: أشرك، «وَلَمْ يُؤْمِنْ بآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى» مما يعذبهم في الدنيا (والقبر، «وَأَبْقَى» وأدْوَمُ)[١٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

قوله: «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ». في فاعل (يَهْدِ) أوجه[١١]:

أحدها[١٢]: أنه[١٣] ضمير الباري تعالى، ومعنى (يَهْدِي) يُبَيِّن، ومفعول (يَهْدِي)

(١) في ب: إن لم يكن. وهو تحريف.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١.
(٣) في ب: اعلم أنه تعالى.
(٤) الكشف ٢/ ١٠٩، الإتحاف (٣٠٨).
(٥) في النسختين: حشراً.
(٦) التبيان ٢/ ٩٠٧.
(٧) ما بين القوسين سقط من ب.
(٨) الكشاف ٣/ ٤٥١.
(٩) فالكاف في «وكذلك» في موضع نصب على المفعول به.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) في ب: في ذلك أوجه. وهو تحريف.
(١٢) في ب: الأول.
(١٣) في ب: أنها. وهو تحريف.

محذوف تقديره: أفلم يُبَيِّن اللَّهُ لهم العبرَ وفعله بالأمم المكذبة.

قال أبو البقاء: وفي فاعله وجهان:

أحدهما: ضمير اسم الله تعالى وعلَّق (بَيَّن) هنا، إذا كانت بمعنى أعلم كما علقه في قوله تعالى «وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِم»(١)(٢).

قال أبو حيَّان: و «كَمْ» هنا خبرية، والخبرية لا تعلِّق العامل (عنها)(٣)(٤).

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون فيه ضمير الله، أو الرسول، ويدل عليه القراءة بالنون(٥).

الوجهُ الثاني(٦): أنَّ الفاعل مضمر يفسره ما دلَّ عليه من الكلام بعده، قال الحوفي: «كَمْ أَهْلَكْنَا» قد دَلَّ على هلاك القرون التقدير: أَفَلَمْ نُبَيِّن لَهُمْ هَلاَكَ من أهلكنا من القرون ومَحْونا آثارَهم فيتعِظُوا بذَلِك(٧).

وقال أبو البقاء: الفاعل ما دَلَّ عليه «أَهْلَكْنا» أي إهْلاَكنا والجملة مفسرة له(٨).

الوجه الثالث(٩): أنَّ الفاعل نفس الجملة بعده.

قال الزمخشري: فاعل «لَمْ يَهْدِ» الجملة بعده يريد: أَلَمْ يَهْدِ لَهُم هذا بمعناه ومضمونه، ونظيره قوله: «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ»(١٠). أي: تركنا عليه هذا الكلام(١١).

قال أبو حيَّان: وكونُ الجملة فاعل «يَهْدِ» هو مذهب كوفيّ(١٢)، وأما تشبيهه وتنظيره بقوله: «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ في الآخِرِينَ سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ»(١٠) فإن «تَرَكْنَا» معناه معنى القول(١٣) فحكيتْ به الجملة، فكأنه قيل: وقُلْنَا عليه، وأطلقنا عليه هذا اللفظ، (والجملة تُحكَى بمعنى القول كما تُحْكَى بالقول)(١٤)(١٥).

---

(١) [إبراهيم: ٤٥].

(٢) التبيان ٢/ ٩٠٧.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(٤) في ب: عليها. وهو تحريف.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٥١. والقراءة بالنون قراءة ابن عباس والسّلمي وغيرهما. انظر القرطبي ١١/ ٢٦٠، البحر المحيط ٦/ ٢٨٨.

(٦) الوجه: سقط من ب.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(٨) التبيان ٢/ ٩٠٧.

(٩) في ب: الوجه الثاني. وهو تحريف.

(١٠) الآيتان (٧٨، ٧٩) من سورة الصّافات. والاستشهاد بهما هو أن الجملة هنا وقعت مفعولاً، وفي الآية التي معنا وقعت فاعلاً. انظر التبيان ٢/ ١٠٩٠.

(١١) الكشاف ٢/ ٥١.

(١٢) اختلف النحاة في وقوع الجملة فاعلاً، فمذهب البصريين أن الفاعل لا يكون جملة مطلقاً. وهشام وثعلب أجازاه مطلقاً نحو يعجبني قام زيد. والفراء وجماعة فصّلوا ذلك فقالوا: إن كان الفاعل قلبياً ووجد معلّق عن العمل نحو ظهر لي أقام زيد صحّ وإلا فلا. وقد ذكرنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى**﴾ [طه: ١١].

(١٣) في ب: فإن تركناه معنى القول.

(١٤) البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب.

الوجه[١] الرابع[٢]: أنه ضمير الرسول ـ ﷺ ـ، لأنه هو المبيِّن لهم بما[٣] يوحى إليه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، وهذا الوجه تقدم نقلُه عن الزمخشري[٤].

الوجه الخامس[٥]: أنَّ الفاعلَ محذوف، نقل ابن عطية عن بعضهم[٦]: أنَّ الفاعل مقدر تقديره: الهُدَى أو الأمرُ أو النَّظَرُ والاعتبارُ.

قال ابن عطيَّة: وهذا عندي أحسن التقادير[٧].

قال أبو حيَّان: وهو قول المبرِّد، وليس بجيد إذ فيه[٨] حذف الفاعل، وهو لا يجوز عند البصريين[٩]، وتحسينه أن يقال: الفاعل مضمرٌ تقديره: يَهْدِ هُوَ أي: الهُدَى[١٠] قال شهاب الدين: ليسَ في هذا القول أن الفاعل محذوف بل فيه أنه مقدر، ولفظ مقدَّر كثيراً ما يستعمل في المضمر[١١]. وأما مفعول «يَهْدِ» ففيه وجهان:

أحدهما: أنه محذوف.

والثاني: أن يكون الجملة من «كَمْ» وما في خبرها، لأنها معلقة له، فهي سادة مسدّ مفعوله[١٢].

---

(١) الوجه: سقط من ب. (٢) في ب: الثالث.

(٣) في ب: مما.

(٤) عند الحديث عن الوجه الأول، حيث قال الزمخشري: (ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدل عليه القراءة بالنون) الكشاف ٢/ ٤٥١. وانظر الوجه الأول.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب، وفيه: الرابع. (٦) عن بعضهم: سقط من ب.

(٧) تفسير ابن عطية ١٠/ ١١٠. (٨) في ب: و.

(٩) وذلك لأنّ الفاعل عمدة في الكلام لا يجوز حذفه، لأن الفعل وفاعله كجزء كلمة لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وأجاز الكسائي حذفه تمسكاً بقوله:

فـإن كـان لا يـرضـيـك حـتـى تـردنـي ... إلـى قـطـريّ لا إخـالـك راضـيـا

وأوله الجمهور على أن التقدير فإن كان هو، أي: ما نحن عليه من السلامة فالفاعل ضمير مستتر عائد على معلوم من المقام لا محذوف. ويستثنى من عدم جواز حذفه أبواب: باب النائب عن الفاعل نحو قضي الأمر والاستثناء المفرغ نحو ما قام إلا زيدٌ. والتعجب نحو «أسمع بهم وأبصر» والمصدر نحو ضرباً زيداً. والفعل المؤكد بالنون نحو «ولا يصدنك».

انظر شرح الأشموني وحاشية الصبان ٢/ ٤٤ ـ ٤٥.

(١٠) البحر المحيط ٦/ ٢٨٩. (١١) في ب: الضمير.

(١٢) الدر المصون ٥/ ١٤. الجملة تقع مفعولاً في ثلاثة أبواب: أحدها: باب الحكاية بالقول أو مرادفه نحو «قال إنّي عبد الله»

الباب الثاني: باب ظنّ وأعلم فإنّها تقع مفعولاً ثانياً لظنّ وثالثاً لأعلم وذلك لأن أصلهما الخبر، ووقوعه جملة سائغ. الباب الثالث: باب التعليق، وذلك غير مختص بباب ظن، بل هو جائز في كل فعل قلبي كما هنا.

انظر المغني ٢/ ٤١٢ ـ٤١٦.

الوجه السادس[١]: أن الفاعل «كَمْ» ـ قاله الحوفي[٢]، وأنكره على قائله[٣] لأن «كَمْ» استفهام لا يعمل فيها ما قبلها[٤].

قال أبو حيَّان: وليست «كَمْ» هنا استفهامية بل هي خبرية[٥]. واختار[٦] أن يكونَ الفاعل ضمير الله تعالى، فقال[٧]: وأحسَنُ التخاريج أن يكون الفاعلُ ضميراً عائداً على الله تعالى، كأنَّه قال أَفَلَمْ يبيِّن الله، ومفعول يبين محذوف، أي العبرَ بإهلاك القرون السابقة[٨]، ثم قال: «كَمْ أَهْلَكْنَا» أي: كثيراً أهلكنا[٩]، فـ «كَمْ» مفعولة[١٠] بـ «أَهْلَكْنَا»[١١] والجملة كأنها مفسرة للمفعول المحذوف لـ «يَهْدِ»[١٢].

قال القفَّال: جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيِّناً لهم كما جعل[١٣] مثل ذلك واعظاً لهم وزاجراً[١٤]. وقرأ ابنُ عباس وأبو عبد الرحمن[١٥] السلمي «أَفَلَمْ[١٦] نَهْدِ» بالنون المؤذنة بالتعظيم[١٧]. قال الزجاج: يعني أَفَلَمْ[١٦] نبيِّن لهم بياناً يهتدون[١٨] به لو تدبروا وتفكروا.

وقوله: «كَمْ أَهْلَكْنَا» فالمراد به المبالغة في كثرة مَنْ أهلكه الله تعالى من القرون الماضية[١٩]. قوله: «مِنَ القُرونِ» في محل نصب (نعت لـ «كَمْ»)[٢٠] لأنَّها نكرة ويضعف جعلُه حالاً من النكرة[٢١]، ولا يجوز أن يكون تمييزاً على قواعد البصريين[٢٢]

---

(١) في ب: الخامس.
(٢) في ب: قال الحوفي.
(٣) والكوفيون هم القائلون بأن فاعل «يهد» هو «كم». وانظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨، البيان ٢/ ١٥٤، القرطبي ١١/ ٢٦٠.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.
(٥) المرجع السابق. وأبو حيان هو القائل وحده بأن «كم» خبرية.
(٦) في ب: وأشار.
(٧) أي أبو حيان، وأرجح ما اختاره أبو حيّان من كون الفاعل ضمير الله تعالى.
(٨) في ب: السالفة.
(٩) في ب: هلكنا.
(١٠) في ب: مفعول.
(١١) عند البصريين. انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨، التبيان ٢/ ٩٠٨.
(١٢) البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.
(١٣) في ب: كما قد جعل.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٢.
(١٥) في ب: وأبو عبد الله.
(١٦) في النسختين: أو لم. وهو تحريف.
(١٧) انظر القرطبي ١١/ ٢٦٠، البحر المحيط ٦/ ٢٨٨. والزمخشري قد استدلّ بهذه القراءة على أنّ فاعل «يهد» ضمير الله أو الرسول. انظر الكشاف ٢/ ٤٥١.
(١٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٩.
(١٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٢.
(٢٠) ما بين القوسين في النسختين: نعتاً.
(٢١) لأنه لم يتقدم على النكرة حتى يكون حالاً منها.
(٢٢) لأن مميز (كم) الاستفهامية لا يكون مجموعاً عندهم، ولأن القرون معرفة فيجوز أن يكون التمييز محذوفاً، أي قرناً من القرون. انظر الكافية ٢/ ٩٦.

و «مِن»[١] داخلة عليه على حد دخولها على غيره من التمييزات لتعريفه.

قوله: «يَمشُونَ» حال من «القُرونِ»، أو من مفعول «أَهْلَكْنَا»[٢] والضمير على هذين عائد على القرون المهلكة، ومعناه[٣]: إنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ وَهُمْ في حال أمنٍ وَمَشْيٍ وتقلُّب في حاجاتهم كقوله: «أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً»[٤] ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «لَهُمْ»، والضمير في «يَمْشُونَ» على هذا عائد على مَنْ عادَ عليه الضمير في «لَهُمْ» وهم المشركون المعاصرون لرسول الله ـ ﷺ ـ والعامل فيها «يَهْدِ»[٥]. والمعنى: إنَّكم تَمْشُون في مساكن الأمم السالفة وتتصرفون في بلادهم فينبغي أن تعتبروا لئلا يحلّ بكُم ما حلَّ بهم[٦].

وقرأ ابن السميفع «يُمَشَّوْنَ» مبنيًّا للمفعول مضعفاً[٧]، لأنه لما تعدَّى بالتضعيف جاز بناؤه للمفعول.

فصل

المعنى: أَو لَمْ[٨] نبيِّن القرآن أو مَا تقدم من المقادير[٩] لكفَّار مكة «كَمْ[١٠] أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِم» ديارهم إذا سافَرُوا. والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام، فيروْنَ ديار المهلكين من أصحاب الحِجْر، وثَمُود، وقرى[١١] لوط[١٢] «إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى» لذوي العقول. ثم بيَّن تعالى الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجلاً على من كفر بمحمد ـ عليه السلام[١٣] ـ فقال: «وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى» (وفيه تقديم وتأخير)[١٤]، والتقدير: ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجل مسمى لكانَ لزاماً[١٥].

والكلمة في الحكم بتأخير العذاب عنهم أي: وَلَوْلاَ حكمٌ سبقت بتأخير العذاب عنهم «وَأَجَلٌ مُسَمًّى» هو القيامة، (وقيل: يَوْمَ بَدْر)[١٦][١٧]. قوله: «وَأَجَلٌ مُسَمًّى» في رفعه وجهان:

---

(١) في ب: على دخوله عليه ومن. وهو تحريف.
(٢) انظر التبيان ٢/٩٠٨، البحر المحيط ٦/٢٨٩.
(٣) في ب: ومعنى. وهو تحريف.
(٤) من قوله تعالى: ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤]. وانظر التبيان ٢/٩٠٨، البحر المحيط ٦/٢٨٩.
(٥) انظر التبيان ٢/٩٠٨، البحر المحيط ٦/٢٨٩.
(٦) في ب: ما أحلَّ.
(٧) المختصر: (٩٠)، البحر المحيط ٦/٢٨٩.
(٨) في ب: إذا لم. وهو تحريف.
(٩) في ب: التعادم.
(١٠) في ب: ثمَّ. وهو تحريف.
(١١) في لأصل: وقريات. وهو تحريف.
(١٢) انظر البغوي ٥/٤٦٧.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) ما بين القوسين سقط من ب. وفيه: والكلمة هي الحد.
(١٥) في الأصل كررت الآية بدون تقدير التقديم والتأخير انظر الفخر الرازي ٢٢/١٣٢ ـ ١٣٣.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٣٣.
(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

أظهرهما[١]: عطفه على «كَلِمَةٌ»، أي: ولوْلاَ أجلٌ مُسَمًّى لكان العذاب لزاماً لهم[٢].

والثاني: جوَّزه الزمخشري، وهو أن يكون مرفوعاً عطفاً على الضمير المستتر، والضمير عائد على الأخذ العاجل المدلول عليه بالسياق[٣]، وقام الفصل[٤] بالخبر مقام التأكيد، والتقدير: ولوْلاَ كلمة سبقت من ربك لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعادٍ وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل[٥]، فقد جعل اسم «كَانَ» عائداً على ما دلَّ عليه السياق، إلا أنَّه قد يشكل عليه مسألة وهي أنه قد جوَّز في (لزاماً)[٦] وجهين:

أحدهما[٧]: أن يكونَ مصدرَ (لازم)[٨] كالخصام، ولا إشكال على هذا[٩].

والثاني: أن يكون وصفاً على (فِعَال)[١٠] بمعنى مُفْعِل أي: ملزم[١١]، كأنه آلة اللزوم، لفرط لزومه، كما قالوا: لِزَازٌ[١٢] خَصِمٌ[١٣]، وعلى هذا فيقال[١٤]: كان[١٥] ينبغي أن يطابق في التثنية، فيقال: لزامين بخلاف كونه مصدراً فإنه يفرد على كل حال. وجوَّز أبو البقاء[١٦] أن يكونَ «لِزَاماً» جمع (لاَزِم) كقيام جمع قائِم[١٧].

---

(١) في ب: الأول.

(٢) فيكون فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب (لولا)، وهو كان واسمها وخبرها، لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي. انظر الكشاف ٢/ ٤٥١، البيان ٢/ ١٥٥ التبيان ٢/ ٩٠٨ والبحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(٣) في ب: بالحسبان. وهو تحريف. وهذا الضمير اسم (كان).

(٤) في ب: الفعل. وهو تحريف، وفي الأصل: الفعل. ثم استدرك في الهامش (الفصل).

(٥) أشار بهذا إلى أنّه كان من حق العطف على الضمير المستتر أن يؤكد بالضمير المنفصل، فكان يقال: لكان هو لزاماً وأجل مسمى، لكن الفصل بخبر كان قام مقام التأكيد بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وإن علـى ضمـير رفـع متـصـل عطفت فافصل بالضَّمير المنفصل

أو فاصل ما، فالفصل بالخبر هنا من قبيل قوله: أو فاصلٍ ما. انظر شرح الأشموني ٣/ ١١٣ ـ ١١٤.

قال الزمخشري: (أو على الضمير في (كان) أي لكان الأخذ العاجل وأجلٌ مسمى لازمين لهم كانا لازمين لعادٍ وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل) الكشاف ٢/ ٤٥١.

(٦) في الأصل: لزامه.

(٧) في ب: الأول.

(٨) في ب: مصدراً لازماً.

(٩) لأن المصدر يخبر به عن المثنى والجمع بلفظ المفرد. انظر الكشاف ٢/ ٤٥١ والتبيان ٢/ ٩٠٨، والبحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(١٠) في الأصل: فعلال. وهو تحريف.

(١١) في ب: بمعنى يفعل أي يلزم. وهو تحريف.

(١٢) في ب: لزام. وهو تحريف.

(١٣) اللِّزُّ: لزوم الشيء بالشيء، ولزاز خصم أي: لازم. الكشاف ٢/ ٤٥١، البحر المحيط ٦/ ٢٨٩.

(١٤) في الأصل فقال.

(١٥) في ب: لكان.

(١٦) أبو البقاء: سقط من ب.

(١٧) في ب: قاله أبو البقاء. التبيان ٢/ ٩٠٨. وبهذا يخرج من الإشكال الموجود في الوجه الثاني.

فصل

والمراد أنَّ أمة محمد[1] ـ عليه السلام[2] ـ وإن كذَّبُوا فسيؤخرون ولا يفعل[3] بهم ما فعل بغيرهم من الاستئصال، وذلك لأنَّه عَلِم أن فيهم[4] من يؤمن. وقيل: علم أنَّ في نسلِهِم من يؤمن، ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك. وقيل: المصلحة فيه خفية لا يعلمها إلا الله تعالى[5].

وقال أهل السنة: له بحكم المالكية[6] أن يخص مَنْ يشاء بفضله ومَن شاء[7] بعذابه من غير علة، إذ لو كان فعله لعلة[8] لكانت تلك العلة إن كانت قديمة لزم قدوم[9] الفعل، وإن كانت حادثة افتقرت إلى علة أخرى ولزم التسلسل[10].

ثم إنَّه تعالى لما أخبر نبيَّه بأنه لا يُهْلِكُ أحداً قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال: «فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» أي من تكذيبهم النبوة، وقيل: تركهم القبول[11].

قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية القتال[12]. ثم قال: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أي: صَلِّ بأمر ربك. وقيل: صَلِّ للَّه بالحمْدِ له، والثناء عليه، ونظيره قوله تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ»[13].

قوله: «بِحَمْدِ رَبِّك» حال أي: وأنتَ حامدٌ لربِّك على أنه وفقك للتسبيح وأعانك عليه[14]. واختلفوا[15] في التسبيح[16] على قولين، فالأكثرون[17] على أن المراد منه الصلاة وهؤلاء اختلفوا على ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ[18] المراد الصلوات الخمس، قال ابن عباس: دخلت الصلوات الخمس فيه، فـ «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» هو الفجر[19]، وقيل؛ «غروبها» الظهر والعصر، لأنهما جميعاً قبل الغروب «وَمِنْ آنَاء[20] اللَّيْلِ فَسَبِّحْ» يعني[21] المغرب والعتمة، ويكون قوله:

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٣.
(٢) في ب: صلى الله عليه.
(٣) في ب: ولم يفعل.
(٤) أن: سقط من الأصل.
(٥) تعالى: سقط من ب.
(٦) في ب: الملائكة. وهو تحريف.
(٧) في ب: يشاء.
(٨) في ب: إذ لو كان بعلة.
(٩) في ب: قدم.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٣.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٣.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) [البقرة: ٤٥]. وانظر المرجع السابق.
(١٤) انظر المرجع السابق والبحر المحيط ٦/ ٢٩٠.
(١٥) في ب: فصب اختلفوا.
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٣.
(١٧) في ب: والأكثرون.
(١٨) أنّ: سقط من ب.
(١٩) في ب: فقيل طلوع وهي الفجر. وهو تحريف.
(٢٠) آناء: سقط من ب.
(٢١) يعني: سقط من ب.

«وَأَطْرَافَ النَّهَار» كالتوكيد للصَّلاة بين الوقتين في طرفي النهار، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب، كما اختصت الصلاة الوسطى بالتوكيد.

الثاني: أنَّ[١] المرادَ الصلوات الخمس والنوافل، لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها، فالليل والنهار داخليْن في هاتيْن العبادتين وأوقات الصلاة الواجبة دخلت فيها، ففي قوله: «وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَاف النَّهَارِ» للنوافل.

الثالث: أن المراد أربع صلوات، فقوله: «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» للفجر «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» للعصر، «وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ» المغرب والعتمة، بقي الظهر خارجاً.

وعلى هذا التأويل يمكن أن يستدل[٢] بهذه الآية على أن المراد بالصَّلاة الوُسْطى صلاة الظهر، لأن قوله: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ»[٣] المراد به هذه الأربع، ثم أفرد الوسطى بالذكر، والتأسيس أوْلَى من التأكيد، والأول أولى[٤]. هذا إذا[٥] حَمَلْنَا التسبيح على الصلاة.

وقال أبو مسلم: لا يبعد حمله على التنزيه والإجلال، والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات. فإن قيل[٦]: النهار له طرفان، فكيف قال: «وَأَطْرَافَ النَّهَار»؟ بل الأولى أن يقول[٧] كما قال: «وَأَقِم الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهَارِ»[٨].

فالجواب: من الناس من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال ومنهم من قال: إنما جمع لأنه يكرر في كل نهار ويعود[٩]. وقوله: «مِنْ آنَاء[١٠] اللَّيْلِ» متعلق بـ «سَبِّحْ» الثانية. قوله: «وَأَطْرَافَ» العامة على نصبه، وفيه وجهان:

أحدهما[١١]: أنه عطف على محل «وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ».

والثاني: أنه عطف على «قَبْل»[١٢].

وقرأ الحسن وعيسى بن عمر «وأطرافِ» بالجر عطفاً على «آنَاء اللَّيل»[١٣] وقوله هنا: «أَطْرَافَ» وفي هود «طَرَفَي النَّهَارِ»[١٤]، فقيل[١٥]: هو من وضع الجمع[١٦] موضع التثنية كقوله:

---

(١) أن: سقط من ب. (٢) في ب: يستدلّوا.
(٣) من قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ [البقرة: ٢٣٨].
(٤) في ب: أقوى. (٥) في ب: إن.
(٦) في ب: فإن قلت. (٧) في ب: يقال.
(٨) من قوله تعالى: ﴿**وأقم الصّلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إنَّ الحسنات يذهبن السَّيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ [هود: ١١٤].
(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٣٣ ـ ١٣٤.
(١٠) في ب: ومن. (١١) في ب: الأول.
(١٢) انظر البحر المحيط ٦/٢٩٠.
(١٣) المختصر: (٩٠)، البحر المحيط ٦/٢٩٠، الإتحاف: ٣٨٠.
(١٤) [هود: ١١٤]. (١٥) في ب: وقيل. (١٦) في النسختين: الجمل. والصواب ما أثبته.

٣٧٠١ ـ ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْن[١]

وقيل: هو على حقيقته، والمراد بالأطراف الساعات[٢].

قوله: «تَرْضَى» قرأ الكسائي[٣] وأبو بكر عن عاسم «تُرْضَى» مبنيًّا للمفعول[٤].

والباقون مبنيًّا للفاعل[٥]، وعليه «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى»[٦] والمعنى: ترضى ما تنال من الشفاعة، أو ترضى بما تنال من الثواب على ضم التاء كقوله: «وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»[٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

قوله: «وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُم» قيل: المراد[٨] منه نظر العين، وهؤلاء قالوا: مَدُّ النظر تطويله، وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور وإعجاباً به، كما فعل نظارة قارون حيث قالوا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أوتي قَارُون إنَّه لَذُو حَظٍّ عظيم»[٩] حتى واجههم أولو العِلْم والإيمان فقالوا: «وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً»[١٠][١١] وفيه أن النظر غير الممدود يعفى عنه كنظر الإنسان إلى الشيء مرة ثم

---

(١) من السريع، قاله خطام المجاشعي أو هميان بن قحافة، وهو في الكتاب ٢/ ٨٤، ٣/ ٦٢٢ إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣/ ٧٨٧ المخصص ٩/ ٧، ابن يعيش ٤/ ١٥٥، ١٥٦، المقاصد النحوية ٤/ ٧٩ الأشموني ٣/ ٧٤، حاشية يس ٢/ ١٢٢، الخزانة ٧/ ٥٤٤ شواهد الشافية ٤/ ٩٤. التُّرس: بالضم ما يتقى به الضرب من السلاح. وصف فلاتين لا نبت فيهما. والشاهد فيه جواز إطلاق لفظ الجمع على المثنى، قال سيبويه (وسألت الخليل ـ رحمة الله ـ عن ما أحسن وجوهما؟ فقال: لأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ذاك) الكتاب ٢/ ٤٨.

(٢) انظر التبيان ٢/ ٩٠٨.

(٣) في ب: قرأ الكسائي وأبو عمرو. وهو تحريف.

(٤) والذي قام مقام الفاعل هو النبيُّ ـ ﷺ ـ والفاعل هو الله جل ذكره تقديره: لعل الله يرضيك بما يعطيك يوم القيامة، ولعل من الله واجبة. انظر الكشف ٢/ ١٠٧.

(٥) السبعة (٤٢٥)، الحجة لابن خالويه (٢٤٨)، الكشف ٢/ ١٠٧، النشر ٢/ ٢٢ الإتحاف (٣٠٨). جعلوا الفعل للنبي ﷺ، أي: لعلك ترضى بما يعطيك.

(٦) الآية(٥) من سورة الضحى.

(٧) من قوله تعالى: **﴿وكان يأمر أهله بالصَّلاة والزَّكاة وكان عند ربّه مرضيًّا﴾** [مريم: ٥٥].

(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ببعض من التصرف ٢٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٩) من قوله تعالى: **﴿فخرج على قومه في زينته قال الَّذين يريدون الحياة الدُّنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنَّه لذو حظ عظيم﴾** [القصص: ٧٩].

(١٠) [القصص: ٨٠].

(١١) في ب: الصالحات. وهو تحريف.

يغض. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطبائع[١] قيل: «وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» أي: لا تفعل ما أنت معتاد له. ولقد شدد المتقون في وجوب غضِّ البصر عن أبنية الظلمة، ولباس الفسقة[٢]، ومراكبهم وغير ذلك، لأنهم اتَّخذُوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغرى لهم على اتخاذها. قال أبو مسلم: ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل هو الأسف، أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

قال أبو[٣] رافع[٤]: نزل ضيفٌ بالرسول ـ عليه السلام[٥] ـ فبعثني إلى يهوديٍّ، فقال قل له[٦]: إن رسول الله يقول: بعني كذا وكذا من الدقيق، وأسلفني إلى هلال رجب، فأتيته، فقلت له ذلك، فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرتُه بقوله فقال: «والله لَئِنْ باعَنِي و[٧] أسلَفَنِي لقضيتُهُ، وَإِنِّي لأَمِينٌ[٨] فِي السَّمَاءِ وَآمِينٌ[٩] فِي الأَرْضِ اذْهَبْ بِدِرْعِي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية[١٠]. وقال عليه السلام[١١]: «إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[١٢].

وقال أبو الدرداء: الدنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، ومالُ مَنْ لا مالَ له، ولها يجمع من لا عقلَ له. وعن الحسن: لَوْلاَ حمقُ الناس لخربت الدُّنيا.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام[١٣] ـ لا تَتَّخِذُوا الدنيا داراً فتتخذكم لها عبيداً.

---

(١) في ب: في الطباع.
(٢) في ب: الفسَّاق.
(٣) في ب: أبوا. وهو تحريف.
(٤) وهو أبو رافع مولى رسول الله ـ ﷺ ـ اسمه أسلم، أجمعوا على ذلك واختلفوا في قصته، فقال بعضهم: كان للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ـ ﷺ ـ فلما أسلم العباس بشر أبو رافع النبي ـ ﷺ ـ بإسلامه فأعتقه وزوجه سلمى فولدت له عبيد الله بن أبي رافع فلم يزل كاتباً لعلي بن أبي طالب خلافته كلها. المعارف ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٥) في ب: بالنبي ﷺ.
(٦) قل له: سقط من الأصل.
(٧) في الأصل: أو.
(٨) في ب: لا أمين.
(٩) في ب: أمين.
(١٠) انظر البغوي ٥/٤٦٩، تفسير ابن عطية ١٠/١١٤ ـ ١١٥ وقال ابن عطية: وهذا معترض أن يكون سبباً لأن السورة مكية، والقصة مدنية وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيّه بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا، وقال ابن حجر يمكن الجواب على ذلك أن تكون الآية وحدها مدنية، وبقية السورة مكية. الكافي الشافي (١٠٩).
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) أخرجه مسلم (البر) ٤/١٩٨٧، وابن ماجة (زهد) ٢/١٣٨٨ وأحمد ٢/٢٨٥، ٥٣٩، وانظر أسباب النزول للواحدي ٢٢٦.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

وعن عروة بن الزبير[١] كان إذَا رَأى ما عِنْدَ السلطان يتلو[٢] هذه الآية، وقال: الصلاة يرحمكم الله[٣] قوله: «أزواجاً» في نصبه وجهان: أحدهما: أنَّه منصوبٌ على المفعول به[٤]. والثاني: أنّه منصوب على الحال من الهاء في «بِهِ»[٥].

راعى لفظ «مَا» مرة فأفرد، ومعناها أخرى فلذلك[٦] جمع[٧].

قال الزمخشري: ويكون الفعل واقعاً على «مِنْهُم» كأنه قال: إلى الذين متَّعْنا به وهو أصناف منهم[٨]. قال[٩] ابن عباس: أناساً[١٠] منهم[١١]. قال الكلبي والزجاج: رجالاً منهم[١٢]. قوله: «زَهْرَةَ» في نصبه تسعة أوجه:

أحدها[١٣]: أنَّه مفعول ثانٍ، لأنه ضَمَّن «مَتَّعْنَا» معنى[١٤] أعطينا، فـ «أَزْوَاجاً» مفعول أول، و «زَهْرَةَ» هو الثاني[١٥].

الثاني: أن يكون بدلاً من «أزواجاً»، وذلك إما على حذف مضاف أي ذوي زهرة، وإمَّا على المبالغة جعلوا نفس الزهرة[١٦].

الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مضمرٍ دلَّ عليه «مَتَّعْنَا» تقديره: جَعَلنَا لهم زهرة[١٧].

الرابع: نصبه على الذم، قال الزمخشري: وهو النصب على الاختصاص[١٨].

الخامس: أن يكون بدلاً من موضع الموصول[١٩]، قال أبو البقاء: واختاره

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله المدني. وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وروى عن أبويه وعائشة، روى عنه أولاده والزهري وجماعة، مات سنة ٩٥ هـ طبقات القراء ١/ ٥١١، تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) في النسختين: يتلوا.

(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٤) لـ «متَّعنا». وانظر القرطبي ١١/ ٢٦١، البحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٥٢.

(٦) لذلك: سقط من ب.

(٧) و «ما» لفظها مفرد، ومعناها جمع، فراعى لفظها فأفرد الضمير في «به» ومعناها فجمع «أزواجاً» انظر الكشاف ٢/ ٤٥٢.

(٨) الكشاف ٢/ ٤٥٢.

(٩) في الأصل: قاله. وهو تحريف.

(١٠) في الأصل: وناساً. وهو تحريف.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦.

(١٢) انظر معاني القرآن ٣/ ٣٨٠، الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦.

(١٣) في ب: الأول.

(١٤) في ب: بمعنى.

(١٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٥٢، البحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(١٦) انظر الكشاف ٢/ ٤٥٢، التبيان ٢/ ٩٠٩، البحر المحيط ٦/ ١٩٢.

(١٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٠، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨، البيان ٢/ ١٥٥، التبيان ٢/ ٩٠١، القرطبي ١١/ ٢٦١، البحر المحيط ٦/ ١٩٢.

(١٨) الكشاف ٢/ ٤٥٢، وانظر التبيان ٢/ ٩٠٩.

(١٩) وهو «ما» فإن موضعه نصب.

بعضهم، وقال آخرون: لا يجوز، لأن قوله «لِنَفْتِنَهُمْ» من صلة «مَتَّعْنَا» فيلزم الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي(١). وهو اعتراض حسن(٢).

السادس: أن ينتصب على البدل من محل «بِهِ»(٣).

السابع: أن ينتصب على الحال من «مَا» الموصولة(٤).

الثامن: أنه حالٌ من الهاء في «بِهِ»، وهو ضمير الموصول، فهو كالذي قبله في المعنى(٥).

فإن قيل: كيف يقع الحال معرفة؟

فالجواب(٦): أن تجعل «زَهْرَةَ» منونة نكرة، وإنما حذف التنوين لالتقاء الساكنين نحو:

٣٧٠٢ ـ وَلاَ ذَاكِـــرَ الـــلَّـــهَ إلاَّ قَـــلِـــيـــلا(٧)

وعلى هذا(٨): فبم (جُرَّت «الحَيَاةِ»؟ فقيل: على البدل من «مَا» الموصولة)(٩)(١٠).

التاسع: أنه تمييز لـ «مَا» أو الهاء في «بِهِ» قاله الفراء(١١)، وقد ردوه(١٢) عليه بأنه

---

(١) التبيان ٢/ ٩٠٩.

(٢) لأنَّ «لنفتنهم» متعلق بـ «متَّعنا» فهو داخل في صلة «ما» ولا يتقدم البدل على ما هو في الصلة، لأن البدل لا يكون إلا بعد تمام الصلة من البدل منه، ولأن الموصول لا يتبع قبل كمال صلته، ولأنه لا يقال مررت بزيد أخاك على البدل، لأن العامل في المبدل منه لا يتوجه إليه بنفسه انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩، المغني ٢/ ٥٥٥.

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٧٨، الكشاف ٢/ ٤٥٢، البيان ٢/ ١٥٥ التبيان ٢/ ٩٠٩، القرطبي ١١/ ٢٦١، البحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٠٩، البحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(٥) أشار الفراء في كتابه إلى هذا الوجه فقال: (نصبت الزهرة على الفعل متَّعناهم به زهرةً في الحياة وزينةً فيها و «زهرة» وإن كانت معرفة فإن العرب تقول: مررت به الشريف الكريم). معاني القرآن ٢/ ١٩٦. وانظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨، التبيان ٢/ ٩٠٩، القرطبي ١١/ ٢٦١ والبحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(٦) في ب: أجيب.

(٧) عجز بيت من بحر المتقارب قاله أبو الأسود الدؤلي، وصدره: فألفيته غير مستعتب.

(٨) في ب: هذه. وهو تحريف.

(٩) وقد استحسن هذا الوجه مكي في مشكل إعراب القرآن والقرطبي في تفسيره فقال مكي: (والأحسن أن تنصب «زهرة» على الحال، وتحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من «الحياة» كما قرىء **﴿ولا الليل سابق النَّهار﴾** [يس: ٤٠] فنصب «النهار» بـ «سابق» على تقدير حذف التنوين لسكونه وسكون اللام. وتكون «الحياة» مخفوضة على البدل من «ما» في قوله «إلى ما متعنا». فيكون التقدير: ولا تمدن عينيك إلى الحياة الدنيا زهرة، أي: في حال زهرتها). مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩، وانظر تفسير القرطبي ١١/ ٢٦٢.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) انظر البيان ٢/ ١٥٥، والتبيان ٢/ ٩٠٩.

(١٢) في ب: ردَّ.

معرفة والمميز[١] لا يكون معرفة[٢]، وهذا غير لازم، لأنه يجوز تعريف التمييز على أصول الكوفيين[٣].

والعاشر[٤]: أنه صفة لـ «أَزْوَاجاً» بالتأويلين المذكورين في نصبه حالاً وقد منعه أبو البقاء بكون الموصوف نكرة والوصف معرفة[٥]، وهذا يجاب عنه بما أجيب[٦] في تسويغ نصبه حالاً أعني[٧] حذف التنوين لالتقاء الساكنين. والعامة على تسكين الهاء[٨]، وقرأ الحسن وأبو البرهسم[٩] وأبو حَيْوة بفتحها[١٠]، فقيل: بمعنى كَجَهْرَة وجَهَرَة. وأجاز الزمخشري[١١] أن يكونَ جمع زاهر[١٢] كفَاجِر وفَجَرة وبَارّ وبَرَرَة[١٣] وروى الأصمعي عن نافع «لِنُفْتِنهُمْ» بضم النون من أفتنه[١٤] إذا أوقعه في الفتنة[١٥] والزَّهْرة بفتح الهاء وسكونها كنَهَر ونهْر ما يروق من النور وسراج زاهر لبريقه[١٦] ورجل أزهر وامرأة زهراء من ذلك والأنجم الزهرُ هي المضيئة.

فصل[١٧]

معنى «مَتَّعْنَا» ألذَذْنَا به، والإمتاع: الإلذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من

---

(١) في ب: لأن المميز.

(٢) والذي ردَّ ذلك على الفراء ابن الأنباري في البيان ٢/ ١٥٥، حيث قال: (وهو غلط عند البصريين، لأنه مضاف إلى المعرفة، والتمييز لا يكون معرفة) وأبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٠٩، حيث قال: (وهو غلط لأنه معرفة).

(٣) وذلك لأن الكوفيين يجيزون تعريف التميز متمسكين بقول رشيد اليشكري:

رأيتـك لـمّـا أن عـرفـت وجـوهـنـا ... صددت وطبت النفس يا قيس بن عمرو

وأوله البصريون بزيادة «أل» لأن التميز عندهم واجب التنكير. انظر شرح التصريح ١/ ٣٩٤.

(٤) في ب: وقيل. وهذا الوجه زائد عن العدد الذي حدده ابن عادل في أول كلامه لإعراب «زهرة» فقد حدد في نصبه تسعة أوجه لا عشرة وأرى أنه استنبطه من منع أبي البقاء لهذا الوجه من الإعراب، وأجاب على منعه كما هو واضح من كلامه في الأصل.

(٥) قال أبو البقاء (ولا يجوز أن يكون صفة لأنه معرفة و «أزواجاً» نكرة) التبيان ٢/ ٩٠٩.

(٦) في ب: يجيب.

(٧) في ب: يعني.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩١. والإتحاف ٣٠٨.

(٩) في ب: وقرأ البرهيثم والحسن.

(١٠) انظر المختصر: (٩٠)، البحر المحيط ٦/ ٢٩١، والإتحاف ٣٠٨.

(١١) في ب: وقال الزمخشري يجوز.

(١٢) وذلك في «زهرة» المفتوح الهاء. انظر الكشاف ٢/ ٤٥٢.

(١٣) و (فعلة) من أبنية جموع الكثرة، وهو مطرد في (فاعل) وصفاً لمذكر عاقل صحيح اللام نحو كاملٍ وكملة وبار وبررة، وفي ذلك يقول ابن مالك: وشاع نحو كامل وكملة. انظر شرح الأشموني ٤/ ١٣٢.

(١٤) في ب: من الفتنة.

(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩١.

(١٦) الإتحاف ٣٠٨.

(١٧) في ب: قوله.

الأصوات المطربة[١]، ويشم من الروائح الطيبة، وغير ذلك من الملابس والمناكح، يقال: أَمْتَعَه[٢] ومتَّعهُ[٣] تمتيعاً، والتفعيل يقتضي التكثير[٤]. ومعنى الزهرة فيمن حرَّك الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة قرىء[٥] «أَرِنَا اللَّهَ جَهَرَةً»[٦]. وقيل: جمع زاهر وصفاً لهم بأنهم زَهْرَة[٧] هذه الحياة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلُّلِ وجوههم بخلاف ما عليه الصُّلحاء من شُحُوب الألوان والتقشف في الثياب[٨]. ومعنى «نَفْتِنَهُمْ» نُعَذبَهُم كقوله: «فَلاَ[٩] تُعجِبْكَ أَمْوَالُهُم وَلاَ أَوْلاَدهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ[١٠] بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»[١١].

وقال ابن عباس: لنجعل ذلك فتنةً لهم بأن أزيد لهم في النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً. ثم قال: «وَرِزْقُ رَبِّك» في المعاد يعني في الجنة «خَيْرٌ وَأَبْقَى» أي: خير من مطلوبهم وأبقى، لأنه يدوم ولا ينقطع، وليس كذلك حال ما أوتوه في الدنيا. ويحتمل أن[١٢] ما أوتيته من يسير الدنيا إذا[١٣] قرنته بالطاعة، ورضيت به، وصبرت عليه كانت عاقبته خيراً لك. ويحتمل أنْ يكون المراد ما أعطي من النبوة والدرجات الرفيعة[١٤].

قوله: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصَّلاَةِ» أي: قَوْمك.

وقيل: مَنْ كان على دينك كقوله تعالى[١٥]: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاَةِ»[١٦] وحمله بعضهم على أقاربه[١٧].

«واصْطَبِرْ عَلَيْهَا» أي: اصبِرْ على الصلاة وحافظ عليها فإنها تَنْهى عن الفحشاء والمنكر. وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ بعدَ نزول هذه الآية يذهب إلى فاطمة وعليّ ـ عليهما السلام[١٨] ـ في[١٩] كلِّ صباحٍ ويقول: «الصَّلاة»[٢٠]. ثم بيَّن تعالى أنّما أمرهم بذلك لنفعهم وأنه[٢١] متعال[٢٢] عنِ المنافع، فقال «لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً» أي: لا نكلفك أن[٢٣] ترزق أحداً من خلقنا، ولا أن ترزق نفسَك، وإنما نكلفُكَ عَملاً فَفَرِّغْ بالَك لأمر الآخرة،

---

(١) المطربة: سقط من ب.
(٢) أمْتَعه: سقط من ب. وفي الفخر الرازي أمتعه إمتاعاً.
(٣) في ب: متعه.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦.
(٥) في ب: يقال. وهو تحريف.
(٦) [النساء: ١٥٣]. و «جهرة» بفتح الهاء قراءة سهل بن شعيب وعيسى. انظر المختصر: (٥).
(٧) في النسختين: زاهروا. والصواب ما أثبته.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦.
(٩) في النسختين: ولا. وهو تحريف.
(١٠) في ب: أن يعذبهم. وهو تحريف.
(١١) [التوبة: ٥٥].
(١٢) في ب: إنما.
(١٣) في ب: إن.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦. بتصرف يسير.
(١٥) تعالى: سقط من ب.
(١٦) من قوله تعالى: ﴿وكان يأمر أهله بالصَّلاة والزَّكاة وكان عند ربِّه مرضيًا﴾ [مريم: ٥٥].
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦. بتصرف.
(١٨) في ب: عليهما الصَّلاة والسَّلام.
(١٩) في: سقط من ب.
(٢٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٢١) في ب: لنفعهم وأنهم ينتفعون بذلك وأنه تعالى.
(٢٢) في الأصل: متعالي.
(٢٣) في ب: على أن.

كما قال بعضهم: مَنْ كان في عمل الله كان الله في عمله[١]. وقال أبو مسلم: معناه إنما يُريدُ منه ومنهم العبادة، ولا يريدُ منه[٢] أن يرزقه كما يريد السادة من العبيد الخراج، ونظيره «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُريدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ»[٣][٤]. وقيل: المعنى[٥] إنما أمرناك بالصَّلاة لا لأنا ننتفع[٦] بصلاتك[٧]. «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ» في الدنيا بوجوه النعم، وفي الآخرة بالثواب قال عبد الله بن سلام: كان النبيُّ ـ ﷺ ـ إذا نزل بأهلِهِ ضِيقٌ أو شِدَّةٌ أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية[٨].

«وَالعَاقِبَةُ» الجميلة المحمودة «لِلتَّقْوَى»[٩] أي: لأهل التقوى. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (الذين صدَّقوك واتَّبعوك واتقون)[١٠][١١]، ويؤيده قوله في موضع آخر، «وَالعَاقِبَةُ للمُتَّقِينَ»[١٢]. وقرأ ابنُ وثاب: «نَرْزُقكَ» بإدغام القاف في الكاف[١٣]، والمشهور عنه أنه لا يدغم إلا إذا كانت الكاف متصلة بميم جمع[١٤] نحو: خَلَقَكُمْ، كما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

قوله تعالى[١٥]: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ واعلم[١٦] أن هذا من لازم قوله تعالى[١٧]: «فَاصْبِرْ[١٨] عَلَى مَا يَقُولُونَ»[١٩] وهو قولهم[٢٠]: «لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ»[٢١] (أي: هَلاَّ يَأْتِينَا بآيَةٍ.

وقال في موضع آخر: «فَلْيَأْتِنَا[٢٢] بآيَةٍ)[٢٣] كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ»[٢٤]. ثم أجاب عنه

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧.
(٢) في ب: حينئذ. وهو تحريف.
(٣) [الذاريات: ٥٦، ٥٧].
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧.
(٥) في ب: المراد.
(٦) في ب: بالصلاة لنفعك لا لأن انتفع.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧.
(٩) في الأصل: التقوى. وهو تحريف.
(١٠) انظر البغوي ٥/ ٤٧٠.
(١١) ما بين القوسين في ب: الذين صدَّقوا واتبعوني.
(١٢) [الأعراف: ١٢٨]. [القصص: ٨٣].
(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.
(١٤) جمع: سقط من ب.
(١٥) تعالى: سقط من ب.
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧. بتصرف.
(١٧) تعالى: سقط من ب.
(١٨) في ب: واصبر. وهو تحريف.
(١٩) [طه: ١٣٠].
(٢٠) في ب: قوله.
(٢١) في ب: «بآية من ربه».
(٢٢) في الأصل: لولا يأتينا. وهو تحريف.
(٢٣) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢٤) من قوله تعالى: **﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعرٌ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾** [الأنبياء: ٥].

بقوله: «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى» أي: بيان ما فيها وهو القرآن إذا وافق ما في كتبهم مع أنَّ الرسول ـ عليه السلام[1] ـ لم يشتغل بالدراسة والتعلم فكان ذلك إخباراً[2] عن الغيب فيكون معجزاً. و «بَيِّنَةُ[3] ما فِي الصُّحُفِ الأُولَى» ما فيها من البشائر بمحمد ـ ﷺ ـ ونبوته وبعثته[4]. وقال ابنُ جرير والقفال: «بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى» من أنباء الأمم الذين أهلكنا لمَّا جاءتهم الآيات فكفروا بها، واقترحوا الآيات، فلما جاءتهم[5] لم يؤمنُوا بها، فأخذناهم بالعقوبة والهلاك، فما يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك[6].

قوله: «أَوَلَم تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ» قرأ نافع وأبو عمرو وحفص «تَأْتِهِمْ»[7] بالتأنيث[8] والباقون بالياء من تحت[9]، لأن التأنيث مجازي[10].

وقرأ[11] العامة «بَيِّنَةُ»[12] بإضافة «بَيِّنَةُ» إلى «مَا» مرفوعة[13] وهي واضحة وقرأ أبو عمرو فيما رواه أو زيد بتنوين «بَيِّنَةٌ» مرفوعة[14]، وعلى هذه القراءة ففي «مَا» أوجه:

أحدها: أنَّها بدلٌ من «بَيِّنَة» بدل كل من كل[15].

الثاني: أن تكون خبر مبتدإٍ مضمر، أي: هي مَا في الصحف الأُولى.

الثالث: أن تكون «مَا» نافية، قال صاحب اللوامح: وأُرِيدَ بذلك ما في القرآن من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب[16]، وقرأت جماعة «بَيِّنَةً» بالتنوين والنصب.

ووجهها: أن تكون «مَا» فاعلة، و «بَيِّنَةً» نصب على الحال، وأنث على معنى «مَا»[17]. ومن قرأ بتاء التأنيث فحَمْلاً على معنى «مَا»[18] ومن قرأ بياء الغيبة فعلى لفظها[19]. وقرأ ابنُ عباس بسكون الحاء من «الصُّحْفِ»[20].

---

(١) عليه السلام: سقط من ب.

(٢) في ب: إخبار.

(٣) في ب: وقد بينه. وهو تحريف.

(٤) في النسختين: ونعته.

(٥) في ب: آتتهم.

(٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٣٧ بتصرف.

(٧) «تأتهم» سقط من ب.

(٨) السبعة (٤٣٥)، الحجة لابن خالويه (٢٨٤)، الكشف ٢/ ١٠٨، النشر ٢/ ٣٢٢، الإتحاف (٣٠٨).

(٩) وذلك لأن تأنيث البينة غير حقيقي، وأيضاً فقد فرق بين المؤنث وفعله.

(١٠) قرأ: سقط من ب.

(١١) في ب: «بيِّنة ما».

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٤) انظر التبيان ٢/ ٩٠٩. البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٥) انظر التبيان ٢/ ٩٠٩.

(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٧) انظر التبيان ٢/ ٩٠٩. البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٨) ما: سقط من ب.

(١٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(٢٠) المختصر: (٩١)، البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

قوله: «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» الهاء في «قبله» يجوز أن تعود للرسول لقوله[١]: لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً[٢].

وجوَّز الزمخشري وغيره في قوله[٣]: أنه[٤] يعود على «بَيِّنَة» باعتبار أنها في معنى البرهان والدليل[٥]. والمعنى: وَلَوْ أَنَّا أهلكناهُم بعذابٍ من قبل إرسَال الرسول، أو مِنْ قبل مجيء البرهان «لَقَالُوا» يومَ القيامة «لَوْلاَ» هَلاَّ «أرسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً» يدعُونا «فَنَتَّبِعَ[٦] آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى» (بالعذاب. والذل: الهوان. والخزي: الافتضاح)[٧]. أي: لكانَ لهم أن يقولُوا ذلك فيكون عذراً لهم، فأمَّا الآن فقد أرسلنَاكَ وبيَّنَا على لسانِكَ ما عليهم وما لَهُم فلم تبق لهم حجة ألبتة.

روى أبو سعيد الخدري[٨]: قال ـ عليه السلام[٩] ـ: «يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ الهَالِكُ في الفَتْرَة، يقول: لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ[١٠]، وتَلاَ «لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً» والمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ يقول: لَمْ تَجْعَلْ لِيَ عَقْلاً أَنْتَفِعُ بِهِ، ويقول الصَّغيرُ: كُنتُ صغيراً لا أعقلُ، فترتفع لهمُ النَّارُ[١١]، ويُقَالُ[١٢] ادْخُلُوهَا، فَيَدْخُلُها مَنْ كَانَ فِي عِلْم الله أنَّه شَقِيٌّ، ويَبْقَى مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الله أَنَّه سَعِيدٌ، فيقول[١٣]: إِيَّايَ عَصَيْتُم فَكَيْفَ بِرُسُلِي[١٤] لَوْ أَتَوْكُمْ»[١٥].

فصل

قال الجبائي: هذه الآية تدل على وجوب فعل اللُّطف إذ المراد أنه يجب[١٦] أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده، ولو لم يفعل لكان لهم أنْ يقولُوا: هلاَّ فعلتَ ذلك بنَا لنؤمن؟ وهلاَّ أرْسلتَ إِلَيْنَا رسُولاً فَنَتَّبع آياتِك؟ وإن كانَ في المعلوم أنهم لا يؤمنون، وإن

(١) في الأصل: كقوله وهو تحريف.
(٢) واستظهره أبو حيان البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.
(٣) في ب: وجوزه الزمخشري وقوله. وهو تحريف.
(٤) في ب: أنّ.
(٥) قال الزمخشري: (ذكَّر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل) الكشاف ٢/ ٤٥٣.
(٦) في ب: قوله فنتبع.
(٧) ما بين القوسين في ب: بالذل والهوان والعذاب والافتضاح.
(٨) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة استصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ تقريباً. تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٨٩.
(٩) في ب: عليه الصَّلاة والسَّلام.
(١٠) في ب: رسولاً.
(١١) في ب: فترتفع النار لهم.
(١٢) في ب: ويقال لهم.
(١٣) في ب: فتقول.
(١٤) في ب: برسل.
(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨، والقرطبي ١١/ ٢٦٥.
(١٦) يجب: سقط من ب.

بعث إليهم الرسول لم يكن لهم في ذلك حجة، فصح أنه إنما يكون حجةً لهم[١] إذا كان في المعلوم أنهم يؤمنون عنده إذا أطاعوه[٢].

فصل

قال الكلبي: قوله: «لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً» أوضح دليل على أنه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده[٣]، وأنه ليس قوله: «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»[٤] كما ظنه أهل[٥] الجبرية من أنَّ ما هو جور منا[٦] يكون عدلاً منه، بل تأويله: أنه لا يقع منه إلا[٧] العدل، قال: وإذا ثبت أنه تعالى يقبل الحُجَّة، فلَوْ لَمْ يكونوا قادرين على ما أُمِروا به لكان لهم فيه أعظم حجة[٨].

فصل

دلَّت الآية[٩] على أن الوجوب لا يتحقق إلا بالشَّرع إذ لو تحقق[١٠] العقاب قبل مجيء الشرع لكان العقابُ حاصلاً قبل الشرع[١١].

قوله: «فَنَتَّبِعَ»[١٢] نصب بإضمار «أَنْ» في جواب التحضيض[١٣].

وفي إعراب أبي البقاء: في جواب الاستفهام[١٤]، وهو سهو. وقرأ ابنُ عباس وابن الحنفية[١٥] والحسن وجماعة كثيرة[١٦]: «نُذَلَّ ونُخْزَى» مبنيين[١٧] للمفعول[١٨]. قوله:

---

(١) في ب: حجة لهم إلا إذا صحَّ في المعلوم عنده، وقيل إنه إنما يكون حجةً لهم.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٨.
(٣) في ب: قوله. وهو تحريف.

(٤) من قوله تعالى: ﴿**لا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

(٥) في ب: كما كان. وهو تحريف.
(٦) في الأصل: ما جوه منا. وهو تحريف.

(٧) إلا: زيادة من الفخر الرازي يقتضيها السياق.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٨.

(٩) في ب: قال بعضهم دلَّت الآية. وفي الفخر الرازي: قال أصحابنا الآية تدل.

(١٠) في ب: إذ لم يتحقق. وهو تحريف.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٣٨.

(١٢) في ب: فنتبع آياتك.

(١٣) وذلك لأن الفعل المضارع يجب نصبه بـ (أن) مضمرة بعد الفاء الواقعة في جواب التحضيض، فالفاء واقعة في جواب «لولا أرسلت إلينا رسولاً».
انظر شرح الأشموني ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٣.

(١٤) التبيان ٢/ ٩١٠.

(١٥) هو محمد بن عليِّ بن أبي طالب أبو القاسم ابن الحنفية، وردت الرواية عنه في حروف القرآن روى عن عمر، وروى عن أبيه وعثمان وغيرهم روى عنه بنوه إبراهيم وعبد الله والحسن وغيرهم ومات سنة ٨١ هـ تقريباً. طبقات القراء ٢/ ٢٠٤.

(١٦) زيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري وداود والفزاري وأبو حاتم ويعقوب. البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٧) مبنيين: سقط من ب.
(١٨) المختصر: (٩١).

«قُلْ[١] كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ» «كُلٌّ» مبتدأ، و «مُتَرَبِّصٌ» خبره، أفرد حملاً على لفظ «كُلّ»[٢].

والمعنى: كلٌّ منَّا ومنكم متربص منتظر عاقبة أمره، وذلك أن[٣] المشركين قالوا: نَتربص بمحمد حوادثَ الدهر فإذا ماتَ[٤] تخلَّصْنا. قال الله تعالى[٥]: «فَتَرَبَّصُوا» فانتظروا «فَسَتَعْلَمُونَ» إذا جاء أمر الله، وقامت القيامة، وظهر[٦] أمر الثواب والعقاب، فإنه يتميز المحق من المبطل.

ويحتمل أن يكون المراد قبل الموت إما بسبب الجهاد وإما[٧] بسبب ظهور الدولة والقوة[٨].

قوله: «فستعلمون مَنْ أَصْحَابُ». يجوز في[٩] «مَنْ»[١٠] وجهان:

أظهرهما[١١]: أن تكون استفهامية مبتدأة[١٢]، و «أصحابُ» خبره، والجملة في محل نصب سادّة مسدّ المفعولين[١٣].

والثاني: ويعزى للفراء: أن تكون موصولة بمعنى الذين، و «أَصْحَابُ» خبر مبتدأ مضمر، أي هم[١٤] أصحابُ[١٥]. وهذا على مقتضى مذهبهم، يحذفون مثل هذا العائد وإن لم تطل الصلة[١٦]. ثم (علم) يجوز أن تكون عرفانية فتكتفي بهذا

---

(١) قل: سقط من ب.

(٢) «كلٌّ» إذا قطعت عن الإضافة لفظاً يجوز مراعاة اللفظ، وهو الإفراد، لأن لفظها مفرد، نحو قوله تعالى: ﴿**قل كلٌّ يعمل على شاكلته**﴾ [الإسراء: ٨٤] وقوله تعالى: ﴿**فكلاً أخذنا بذنبه**﴾ [العنكبوت: ٤٠] ومراعاة المعنى، لأنَّ معناها جمع نحو قوله تعالى: ﴿**وكلٌّ كانو ظالمين**﴾ [الأنفال: ٥٤] قاله أبو حيان. انظر المغني ١/ ٢٠٠.

(٣) في ب: لأن.

(٤) في ب: فإذا جاء أي إذا مات.

(٥) تعالى: سقط من ب.

(٦) في ب: أظهر.

(٧) في ب: أو.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٨.

(٩) في ب: أن. وهو تحريف.

(١٠) في ب: من هذه.

(١١) في ب: أحدهما.

(١٢) في ب: خبرية مبتدأ. وهو تحريف.

(١٣) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٠، البيان ٢/ ١٥٦، التبيان ٢/ ٩١٠، البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٤) في ب: فهم.

(١٥) حيث قال في معاني القرآن: (وقوله: «فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ» الذين لم يضلّوا) ٢/ ١٩٧. وابن الأنباري وأبو البقاء لم يجوِّزا هذا الوجه لأن فيه حذف العائد المرفوع في صلة غير (أي)، وهذا لا يجوز عند البصريين إلا إن طالت الصلة. انظر البيان ٢/ ١٥٦، التبيان ٢/ ٩١٠.

(١٦) أي أن الكوفيين يجوِّزون حذف العائد المرفوع في صلة الموصول وإن لم تستطل الصلة. يقيسون على ذلك قراءة يحيى بن يعمر «تماماً على الذي أحسنُ» بالرفع [الأنعام: ١٥٤]. وقراءة مالك بن دينار وابن السماك «ما بعوضةٌ» بالرفع [البقرة: ٢٦].

وقول الشاعر:

من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه ... ولا يحد عن سبيل المجد والكرم

وتبعهم ابن مالك إلا أنّه جعله قليلاً فقال:

وإن لم يستطل فالحذف نزر

انظر شرح الأشموني ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

المفعول وأن تكون على بابها فلا بد من تقدير ثانيهما.

قوله: «الصِّرَاطِ السَّوِيّ» قرأ العامة: «السَّويّ» على وزن فعِيل بمعنى المستوي[١] وقرأ أبو مِجْلَز[٢] وعمران بن (حدير)[٣][٤] «السَّوَاء» بفتح السين والمد بمعنى[٥] الوسط الجيد[٦].

وقرأ يحيى بن يَعمُر[٧] والجَحْدَري «السُّوًّا» على فُعْلى[٨] باعتبار أن «الصِّرَاط» يذكر ويؤنث[٩]. وقرأ ابن عباس: «السَّوْء» بفتح السين بمعنى[١٠] الشر[١١]. وروي عنهما «السُّوَّى»[١٢] بضم السين وتشديد الواو[١٣]، ويحتمل ذلك وجهين:

أحدهما[١٤]: أن يكون قلب الهمزة واواً وأدغم الواو في الواو[١٥]، وأن يكون فُعلَى من (السواء)، وأصله (السُّوْيَا)، فقلبت الياء واواً، وأدغم أيضاً، وكان قياس هذه (السِّيَّا)، لأنه متى اجتمع ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً[١٦]، وهنا فُعِل بالعكس[١٧][١٨]. وقرىء «السُّوَيّ» بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير (سَوء). قاله الزمخشري.

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٠، البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(٢) هو لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان، وكان ينزل خراسان وعقبه بها وكان عمر بن عبد العزيز بعث إليه فأشخصه ليسأله عنها، وكان أبو مجلز عاملاً على بيت المال وعلى ضرب السكة، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز قبل وفاة الحسن البصري. المعارف ٤٦٦.

(٣) هو عمران بن حدير أبو عبيدة السدوسي البصري ثقة. روى الحروف عن لاحق بن حُميد وعكرمة، روى عنه الحروف عباس بن الفضل الأنصاري، مات سنة ١٤٩ هـ. طبقات القراء ١/ ٦٠٤.

(٤) ما بين القوسين في ب: حصين. وهو تحريف.

(٥) في ب: يعني.

(٦) التبيان ٢/ ٩١٠، البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(٧) في ب: وقرأ أبو يعمر. وهو تحريف.

(٨) في ب: على يفعل. وهو تحريف.

(٩) الصراط مذكر، وأنثه يحيى بن يعمر بدليل قراءته هذه، قال ابن الأنباري: (ولا نعلم أحداً من العلماء باللغة حكى تأنيث الصِّراط، فإن صحت هذه القراءة عن ابن يعمر، ففيه أعظم الحجج، وهو من أجلاء أهل اللغة والنحو وكتاب الله جلَّ ثناؤه نزل بتذكير الصِّراط، وكذلك هو في أشعار العرب) المذكر والمؤنث ١/ ٤٢٢. وانظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٠) بمعنى: سقط من ب.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٩١٠، البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٢) السُّوَّى: سقط من ب.

(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٩٢.

(١٤) في ب: الأول.

(١٥) فيكون أصل (السُّوَّى) (السُّوأى) فتبدل الهمزة واواً لأنها مفتوحة وقبلها ضمة، والساكن الذي بينهما ليس بحاجزٍ حصينٍ وأدغمت الواو في الواو فصارت (السوّى) انظر الكتاب ٣/ ٥٤٣، شرح الملوكي ٢٦٥.

(١٦) انظر شرح الملوكي ٤٦١.

(١٧) في ب: بالكسر. وهو تحريف.

(١٨) الكشاف ٢/ ٤٥٣.

قال أبو حيان: وليس بجيد إذ لو كان كذلك أثبت[1] همزة (سَوْءٍ)[2]، والأجود أن يكون تصغير (سواء) كقولهم عُطَيّ في عَطَاءٍ[3].

قال شهاب الدين: وقد جعله أبو البقاء أيضاً تصغير (السَّوْء) بفتح الهمزة[4] ويرد عليه ما تقدم إيراده على الزمخشري[5]. وإبدال مثل هذه الهمزة جائز فلا إيراد[6][7].

قوله: «وَمَن اهْتَدَى» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكونَ استفهامية، وحكمُها كالتي قبلها إلا في حذف العائد[8].

الثاني: أنها في محل رفع على ما تقدم في الاستفهامية[9].

الثالث: أنها في محل جر نسقاً على «الصِّراط» أي: وأصحاب مَن اهْتَدَى[10]. وعلى هذين الوجهين تكون موصولة.

قال أبو البقاء في الوجه الثاني: وفيه عطف الخبر على الاستفهام، وفيه تقويةُ قول الفراء[11] يعني: أنه إذا جعلها موصولة كانت خبرية.

ومعنى الكلام: فَسَتَعْلَمُونَ إذَا جاء أمْرُ الله وقامت القيامة مَنْ أصحابُ الصراط المستقيم ومن اهتَدَى من الضلالة نحنُ أمْ أنتم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ[12] ـ قَرَأَ طَه ويسّ[13] قبلَ أن يَخْلُقَ آدَمَ بألفي عَام، فَلَمَّا سَمِعَت الملائكَةُ القرآنَ قالوا: طُوبَىٰ لأمَّةٍ ينزِلُ عليْهَا هذا، وطُوبَىٰ لألْسُنٍ تَتَكلَّمَ بهذا، وطُوبَىٰ لأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذا»[14].

وعن الحسن أنَّ النبي ـ ﷺ ـ[12] قال: «لا يقرأ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنَ القُرآنِ إلاَّ يس وطه»[15]. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: كتبت.
(٢) فتقول: «سؤى».
(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٩٣.
(٤) التبيان ٢/ ٩١٠.
(٥) من أنّه لو كان كذلك لثبتت همزة (سوء).
(٦) لأنَّ الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها إذا أردت تخفيفها أبدلتها.
(٧) الدر المصون ٥/ ٤٣.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩١٠.
(٩) أي تكون موصولة بمعنى الذي. التبيان ٢/ ٩١٠.
(١٠) فتكون موصولة أيضاً. التبيان ٢/ ٩١٠.
(١١) في جعله «من» في قوله: «من أصحاب» موصولة، فيكون عطف الخبر على الخبر. التبيان ٢/ ٩١٠.
(١٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٣) في ب: وليس. وهو تحريف.
(١٤) أخرجه الدارمي وابن خزيمة والعقيلي والطبراني وابن عدي وابن مردويه. انظر الدر المنثور ٤/ ٢٨٨.
(١٥) في ب: إلا سورة طه عليه الصّلاة والسّلام. والحديث أخرجه ابن حجر العسقلاني في الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف من رواية زياد عن الحسن مرسلاً (١٠٩).

(تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في خامس عشر من رمضان المبارك المعظم قدره وحرمته سنة ثمانين وثمانمائة، أحسن الله عاقبتها آمين، على يد الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن عبد الله الفيومي. والحمد لله رب العالمين على كل حال. يتلوه أول سورة الأنبياء)[١].

(١) ما بين القوسين في نهاية الجزء السابع من الأصل.

سورة الأنبياء مكيّة

وهي مائة واثنتا عشرة آية، وكلماتها ألف[١] ومائة وستون كلمة، وعدد حروفها أربعة آلاف وثمان وتسعون حرفاً[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الآية.

اللام متعلّقة بـ «اقْتَرَبَ»، قال الزمخشري: هذه اللام لا تخلو إمّا[٣] أن تكون صلة لـ «اقْتَرَبَ»، أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك: أَزِفَ للحيّ رَحِيلُهُمْ، الأصل: أَزِف رحيلُ الحيّ، ثم أزف للحيّ الرحيلُ، ثم أزف للحي رَحِيلُهُمْ، ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً[٤]، نحو عَلَيْكَ زَيْدٌ حَرِيصٌ عَلَيكَ، وفِيكَ زيدٌ[٥] رَاغِبٌ فِيكَ[٦]، ومنه قولهم: لاَ أَبَا لكَ[٧]، لأنّ اللام مؤكدة لمعنى الإضافة،

---

(١) في النسختين: ألف كلمة.

(٢) في النسختين: وكلماتها ألف ومائة وثمانية وستون كلمة، وعدد حروفها ألف وثمانمائة وتسعون حرفاً. والتصويب من السراج المنير ٢/ ٤٩٤.

(٣) في الكشاف: من.

(٤) الكتاب ٢/ ١٢٥.

(٥) في الأصل: زيداً. وهو تحريف.

(٦) وذلك أن سيبويه جعل تكرير الظروف بمنزلة ما لم يقع فيه تكرير في حكم اللفظ وجعل التكرير توكيداً للأول، لا يغير شيئاً من حكمه فيما يكون خبراً وما لا يكون خبراً، فـ (عليك) متعلق بـ (حريص)، و(عليك) الثانية توكيد للأولى وكذلك فيك زيدٌ راغبٌ فيك.
قال سيبويه: (هذا باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً. وليست تثنيته بالتي تمنع الرفع حاله قبل التثنية، ولا النصب ما كان عليه قبل أن يثنى. وذلك قولك: فيها زيدٌ قائماً فيها. فإنما انتصب (قائم) باستغناء زيد بفيها وإن زعمت أنه انتصب بالآخر فكأنك قلت: زيدٌ قائماً فيها. فإنما هذا كقولك: قد ثبت زيد أميراً قد ثبت، فأعدت قد ثبت توكيداً، وقد عمل الأول في زيد والأمير. ومثله في التوكيد والتثنية: لقيت عمراً عمراً. فإن أردت أن تلغي فيها قلت: فيها زيدٌ قائمٌ فيها كأنه قال: زيدٌ قائمٌ كأنه فيصير بمنزلة قولك: فيك زيدٌ راغبٌ فيك). الكتاب ٢/ ١٢٥.

(٧) على القول بأن (أبا) مضاف إلى ما بعد اللام، وتكون اللام زائدة مؤكدة للإضافة فهي بمنزلة الاسم=

وهذا الوجه أغرب من الأول[١].

قال أبو حيَّان: يعني بقوله: صلة لـ «اقْتَرَبَ» أي: متعلقة به، وأما جعله اللام توكيداً لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحداً يقول ذلك، وأيضاً فيحتاج إلى ما يتعلق به، ولا يمكن تعلقها بـ «حِسَابُهُمْ» لأنّه مصدر موصول، ولأنه قدم معموله عليه[٢]، وأيضاً فإنّ التوكيد يكون متأخراً عن المؤكد، وأيضاً فلو أخر في[٣] هذا التركيب لم يصح[٤].

وأما تشبيهه بما أورده سيبويه فالفرق واضح، فإن (عَلَيْكَ) معمول لـ (حريص) و (عَلَيْك) المتأخرة[٥] تأكيد، وكذلك (فِيكَ زَيْدٌ[٦] رَاغِبٌ فِيكَ) يتعلق[٧] (فِيكَ) بـ (رَاغِب) و (فِيكَ) الثانية توكيد[٨]، وإنَّمَا غره في ذلك صحة[٩] تركيب اقترب حساب[١٠] الناس، وكذلك أَزِفَ رحيلُ الحيّ، فاعتقد إذا تقدم الظاهر مجروراً باللام وأضيف المصدر لضميره أنه من باب: فِيكَ زَيْدٌ رَاغِبٌ فِيكَ، فليس مثله.

وأما (لاَ أَبَا لَكَ)، فهي مسألة مشكلة، وفيها خلاف[١١]، ويكن أن يقال فيها ذلك[١٢]، لأنَّ اللام فيها جاورت الإضافة، ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة[١٣]. قال شهاب الدين: مسألة الزمخشري أشبه شيء بمسألة (لاَ أَبَا لَك)،

= الذي ثني في النداء وذلك قولك: يا تيم تيم عدي.
انظر الكتاب ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(١) الكشاف ٣/ ٢.
(٢) في البحر المحيط: ولا يتقدم معموله عليه.
(٣) في: سقط من ب.
(٤) لأنّ الضمير في «حسابهم» يكون عائداً على متأخر لفظاً ورتبة وهذا لا يجوز.
(٥) في ب: لتأخر. وهو تحريف.
(٦) في ب: زيداً.
(٧) في ب: متعلق.
(٨) وهنا لا يجوز مثل ذلك. فلا يجوز أن يكون (للنّاس) متعلقاً بـ (حساب) و (هم) توكيد (للناس).
(٩) في ب: خمسة. وهو تحريف.
(١٠) اقترب: تكملة ليست بالمخطوط.
(١١) فسيبويه يرى أن اسم (لاَ) مضاف لما بعد اللام، واللام مقحمة بين المتضايفين. وغيره يرى أن اللام وما بعدها صفة، والاسم شبيه بالمضاف، لأنّ الصفة من تمام الموصوف. أو أنّ اللام وما بعدها خبر، و (أبا) تعرب بحركات مقدرة كالمقصور على لغة من يعربها كذلك. وحينئذ تكون اللام للاختصاص، وهي متعلقة باستقرار محذوف. انظر الكتاب ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٢٨، المغني ١/ ٢١٦ ـ ٢١٧.
(١٢) وهو كون اللام توكيداً للإضافة.
(١٣) البحر المحيط ٦/ ٢٩٦. يريد أن إقحام اللام في (لا أبا لك) ورد شاذاً على غير قياس، فاختصت (لا) في الأب بهذا، كما اختص نصب (غدوة) بـ (لدن) على التشبيه باسم الفاعل، انظر الكتاب ٢/ ٢٨١، شرح المفصل ٢/ ١٠٧.

والمعنى الذي أورده صحيح، وأما كونها مشكلة فهو إنما بناها على قول الجمهور، والمشكل مقدر في بابه، فلا يضرنا القياس عليه لتقريره في مكانه[١]. قوله: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» يجوز أنْ يكونَ الجار متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الضمير في «مُعْرِضُونَ»[٢] وأن يكون خبراً من الضمير، ومعرضون خبر ثان وقول أبي البقاء في هذا الجار: إنه خبر ثان[٣]. يعني في العدد وإلا فهو أول في الحقيقة. وقد يقال: لمّا كان في تأويل المفرد جعل المفرد الصريح مقدماً في الرتبة، فهو ثان بهذا الاختيار.

وهذه الجملة في محل نصب على الحال من «للنَّاسِ»[٤].

فصل

نزلت في منكري البعث، والقرب[٥] لا يعقل إلا في المكان والزمان، والقرب المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني. فإن قيل: كيف وصف بالاقتراب وقد عبر هذا القول أكثر من ستمائة عام؟

والجواب[٦] من وجوه:

الأول: أنه مقترب عند الله، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

الثاني: أنَّ[٧] كُلَّ آتٍ قريبٌ وإن طالت أوقات ترقبه، وإنما البعيد هو الذي انقرض قال الشاعر:

٣٧٠٣ ـ فَمَا زَالَ مَا تَهْوَاهُ أَقْرَبَ مِن غَدٍ وَلاَ زَالَ مَا تَخْشَاهُ أَبعَدَ مِنْ أَمسِ[٨]

الثالث: أنَّ[٩] المقابلة[١٠] إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر، فإنه لا يقال: اقترب الأجل، أمَّا إذا كان الماضي أكثر من الباقي فإنه يقال: اقترب الأجل. فعلى هذا الوجه قال العلماء: إن فيه دلالة على قرب القيامة، ولهذا قال عليه السلام[١١]: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[١٢] وقال عليه السلام: «ختمت النبوة»[١٣] كل ذلك لأجل

---

(١) الدر المصون: ٥/ ٤٣.
(٢) أي أعرضوا قافلين. التبيان ٢/ ٩١١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٩.
(٦) في ب: فالجواب.
(٧) أن: سقط من ب.
(٨) البيت من بحر الطويل لم أهتد إلى قائله. وهو في الفخر الرازي ٢٢/ ١٣٩. البحر المحيط ٦/ ٢٩٥.
(٩) أن: سقط من ب.
(١٠) في الفخر الرازي: المعادلة.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) أخرجه مسلم (فتن) ٤/ ٢٢٦٩، ابن ماجه (فتن) ٢/ ١٣٤١، الدارمي ٢/ ٣١٣. أحمد ٥/ ١٠٣، ١٠٨.
(١٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٦١.

أنَّ[١] الباقي من[٢] مدة التكليف أقل من الماضي[٣] واعلم أنه إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من مصلحة المكلفين ليكثر تحرزهم خوفاً منها[٤]. ولم يعين الوقت، لأنَّ كتمان وقت الموت أصلح لهم[٥] والمراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل فيه.

قال ابن عباس: المراد بالناس المشركون. وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين[٦].

وقوله: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» وصفهم بالغفلة والإعراض، أما الغفلة فالمعنى: أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بُدَّ من جزاء المحسن والمسيء، ثم إذا انتبهوا من سِنَة الغفلة، ورقدة الجهالة مما يتلى عليهم من الآيات أعرضوا وسدوا أسماعهم[٧].

قوله: «مَا يأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِن رَبِّهِمْ مُحَدَثٍ» ذكر الله ـ تعالى ـ ذلك بياناً لكونهم معرضين، وذلك لأنَّ الله[٨] ـ يجدد لهم الذكر كل وقت، ويظهر لهم الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم[٩] الموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم ذلك إلا استسخاراً[١٠].

قوله: «مُحْدَثٍ» العامة على جر «مُحْدَثٍ» نعتاً لـ «ذِكْرٍ» على اللفظ[١١].

وقوله: «مِنْ رَبِّهِمْ» فيه أوجه:

أجودها: أنْ يتعلق بـ «يَأْتِيهِمْ»، وتكون «مِنْ» لابتداء الغاية مجازاً[١٢].

والثاني: أنْ يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير المستتر في «مُحْدَثٍ»[١٣].

الثالث: أنْ يكونَ حالاً من نفس «ذِكْرٍ»، وإنْ كان نكرة، لأنه قد تخصّص بالوصف بـ «مُحْدَثٍ»، وهو نظير: ما جاءني رجلٌ قائماً منطلقٌ، ففصل بالحال بين الصفة والموصوف. وأيضاً فإنّ الكلام نفي وهو مسوغ لمجيء الحال من النكرة[١٤].

---

(١) أن: سقط من ب.

(٢) في الأصل: في.

(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي٢٢/ ١٣٩.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) في ب: سماعهم. وهو تحريف. وانظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٠.

(٨) في ب: وذلك أنه.

(٩) في ب: سماعهم. وهو تحريف.

(١٠) انظر الفخر الرازي٢٢/ ١٤٠.

(١١) لأنَّ «ذكر» مجرور لفظاً مرفوع محلاً، لأنه فاعل «يأتيهم» و «من» زائدة. انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١، البيان ٢/ ١٥٧، التبيان ٢/ ٩١١، البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(١٢) انظر التبيان ٢/ ٩١١، البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(١٣) انظر التبيان ٢/ ٩١١.

(١٤) الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، لأنّه محكوم عليه بالحال، وحق المحكوم عليه أن يكون=

الرابع: أن يكون نعتاً لـ «ذِكرٍ»[(١)] فيجوز في محله وجهان: الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل، لأنه مرفوع المحل[(٢)] إذ «مَن»[(٣)] مزيده فيه، وسيأتي. وفي جعله نعتاً لـ «ذِكْرٍ» إشكال من حيث إنه قد تقدم غير الصريح[(٤)] على الصريح[(٥)]، وتقدم تحريره في المائدة[(٦)].

الخامس: أن يتعلق بمحذوف على سبيل البيان. وقرأ ابن عبلة «محدثٌ» رفعاً نعتاً[(٧)] لـ «ذِكرٍ» على المحل[(٨)]، لأن «مِنْ» مزيدة فيه لاستكمال الشرطين[(٩)].

= معرفة، ويقع نكرة بمسوغ، كأن يتقدم عليه الحال نحو في الدار جالساً رجل وقول الشاعر:

لـمـيـة مـوحـشـاً طـلـلُ ... يـلـوحُ كـأنّـه خِـلَـلُ

أو يكون مخصوصاً، إمّا بوصف كقول الشاعر:

نجيتَ يا ربِّ نوحاً واستجبت له ... في فلك ماخر في اليمّ مشحونا

أو بإضافة نحو قوله تعالى: ﴿في أربعة أيَّام سواء﴾ [فصلت: ١٠] أو بمعمول غير مضاف إليه نحو: عجبت من ضرب أخوك شديداً. أو مسبوقاً بنفي نحو قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قريةٍ إلاّ ولها كتابٌ معلومٌ﴾ [الحجر: ٤٠]. وهو ما أشار إليه ابن عادل. أو نهي، كقول الشاعر:

لا يركنن أَحدٌ إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوِّفاً لحمام

أو استفهام كقول الشاعر:

يا صاح هل حُمَّ عيشٌ باقياً فترى ... لنفسك العذر في إبعادها الأملا

وفي ذلك يقول ابن مالك:

ولم ينكَّر غالباً ذو الحال إن ... لم يتأخَّر، أو يخصَّص، أو يبن
من بعد نفي أو مضاهيه كلا ... يبغ امرؤ على امرىءٍ مستسهلا

انظر شرح التصريح ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨.

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١١. (٢) إذ هو فاعل «يأتيهم».

(٣) في ب: وفيه. وفي الأصل: إذ هي.

(٤) وذلك أنه إذا وصف بمفرد، وظرف أو مجرور، وجملة فالأولى والغالب ترتيبها هكذا كقوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨]. وعلة ذلك أن الأصل الوصف بالاسم فالقياس تقديمه وقدم الظرف ونحوه على الجملة لأنه من قبيل المفرد، وأوجبه ابن عصفور اختياراً وقال: لا يخالف في ذلك إلا في ضرورة أو ندور. ورد بقوله تعالى: ﴿كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ﴾ [ص: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي اللَّهُ بقوم يحبُّهم ويحبُّونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

انظر المقرب ٢٤٧ ـ ٢٤٨. الهمع ٢/ ١٢٠.

(٥) (على الصريح) سقط من الأصل.

(٦) عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي اللَّهُ بقوم يحبُّهم ويحبونه أذلَّه على المؤمنين أعزَّة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]. انظر اللباب ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٧) نعتا: سقط من ب.

(٨) البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(٩) وهما أن تكون في غير الموجب، وأن يكون مجرورها نكرة، وهذا عند غير الأخفش والكوفيين. انظر شرح الكافية ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

وقال أبو البقاء: ولو رفع على موضع «من ذكر» جاز[١]. كأنه لم يطلع عليه قراءة[٢] وزيد بن عليّ «مُحْدَثاً» نصباً على الحال من «ذِكْرٍ»[٣]، وسوغ ذلك وصفه بـ «مِنْ رَبِّهِمْ» إن جعلناه صفة[٤] أو[٥] واعتماده على النفي[٦].

ويجوز أن يكون من الضمير المستتر في «مِن ربهِمْ» إن جعلناه صفة[٧].

قوله: «إلاَّ اسْتَمَعُوهُ» هذه الجملة حال من مفعول «يأتيهم» وهو استثناء مفرغ، و «قد» معه مضمرة[٨] عند قوم[٩].

«وهم يلعبون» حال من فاعل «اسْتَمَعُوهُ»[١٠] أي استمعوه لاعبين.

فصل[١١]

قال مقاتل: معنى «مُحْدَثٍ» يحدث الله الأمر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ـ ﷺ ـ وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن، وأضافه إلى الرب، لأنه أمره بقوله إلاَّ «اسْتَمَعُوهُ» لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون.

فصل

استدلت المعتزلة[١٢] بهذه الآية على حدوث القرآن، فقالوا: القرآن ذكر، والذكر محدث، فالقرآن محدث، وبيان أن القرآن[١٣] ذكر قوله تعالى في صفة القرآن: «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ»[١٤] «وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ»[١٥] «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ»[١٦] «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وقُرآنٌ مُبِينٌ»[١٧] و «هَذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ»[١٨]. وبيان أن[١٩] الذكر محدث قوله:

---

(١) التبيان ٢/ ٩١١.

(٢) أي كأنه لم يطلع على قراءة الرفع، وهي قراءة ابن أبي عبلة كما تقدم.

(٣) البيان ٢/ ١٥٧، البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(٤) انظر الوجه الرابع من أوجه إعراب «من ربهم».

(٥) في ب: و.

(٦) انظر مسوغات مجيء صاحب الحال نكرة في الصفحة السابقة.

(٧) فيكون «من ربهم» متعلقاً بمحذوف.

(٨) في ب: وقد مضمرة معه.

(٩) نص السيوطي أن المتأخرين كابن عصفور والأبذي والجزولي جزموا بأن الماضي التالي إلا أو المتلو بأو، إذا وقع حالاً وإن كان مثبتاً وفيه الضمير وجبت (قد) أيضاً لتقربه من الحال، وإن لم تكن ظاهرة قدرت انظر الهمع ٢/ ٢٤٧.

(١٠) انظر البيان ٢/ ١٥٧، البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(١١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٠ ـ ١٤١.

(١٣) في ب: بيان القرآن.

(١٤) [يوسف: ١٠٤]، [ص: ٨٧]، [التكوير: ٢٧].

(١٥) [الزخرف: ٤٤].

(١٦) [الحجر: ٩].

(١٧) [يس: ٦٩].

(١٨) [الأنبياء: ٥٠].

(١٩) أن: سقط من ب.

«مَا يَأْتِيهِم مِنْ[١] ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ» وقوله: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ»[٢] فالجواب[٣] من وجهين:

الأول: أن قوله تعالى: «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» وقوله: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» إشارة إلى المركب[٤] من الحروف والأصوات، وذلك مما[٥] لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة، وإنما النزاع في قدم كلام الله تعالى بمعنى آخر.

الثاني: أن قوله: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ» لا يدل على حدوث كل ما كان ذكراً، كما أن قول القائل: لاَ يَدْخل هذه البلدة رجلٌ فاضلٌ إلا يبغضونه[٦] فإنه لا يدل على[٧] أن كل رجل يجب أن يكون فاضلاً بل على أن من الرجال من هو فاضل، وإذا كان كذلك فالآية لا تدل إلا على أن بعض الذكر محدث، فيصير نظم الكلام: القرآن ذكر، وبعض الذكر محدث، وهذا لا ينتج شيئاً، فظهر أن الذي ظنوه قاطعاً لا يفيد ظناً ضعيفاً فضلاً عن القطع[٨].

قوله: «لاهيةً» يجوز[٩] أن تكون حالاً من فاعل «اسْتَمَعُوهُ» عند من يجيز[١٠] تعدد الحال[١١]، فيكون الحالان مترادفين[١٢].

---

(١) من: سقط من ب.
(٢) [الشعراء: ٥].
(٣) في ب: والجواب.
(٤) كذا في الفخر الرازي، وفي الأصل: المتركب، وفي ب: التركب.
(٥) مما: سقط من ب.
(٦) في ب: يبغضوه.
(٧) في الأصل: في.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٠ ـ ١٤١.
(٩) في ب: لا يجوز. وهو تحريف.
(١٠) في ب: يخبر. وهو تحريف.
(١١) يجوز تعدد الحال لمفرد وغيره، لشبهها بالخبر والنعت، فالأول كقول الشاعر:

عليَّ إذا ما جئت ليلى بخفية ... زيارة بيت الله رجلان حافيا

والثاني إن اتحد لفظ ومعناه مثنى أو جمع نحو قوله تعالى: ﴿**وسخر لكم الشَّمس والقمر دائبين**﴾ [إبراهيم: ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿**وسخر لكم الليل والنَّهار والشَّمس والقمر والنجوم مسخَّراتٍ**﴾ [النحل: ١٢] وإن اختلف فرّق بغير عطف كلقيته مصعداً منحدراً، ويقدر الأول للثاني وبالعكس وقد تأتي على الترتيب إن أمن اللبس كقول الشاعر:

خرجت بها أمشي تجرُّ وراءنا ... على أثرينا ذيل مرطٍ مرحَّل

ومنع الفارسي وجماعة تعدد الحال لمفرد قائلين: بأن صاحب الحال إذا كان واحداً فلا يقتضي العامل إلا حالاً واحدة، فقدروا قوله: «حافياً» صفة أو حالاً من ضمير «رجلان». وسلموا الجواز إذا كان العامل اسم تفضيل متوسطاً بين الحالين نحو هذا بسراً أطيب منه رطباً. وإذا ما نظرنا إلى كثرة أمثلة التعدد لمفرد ولغيره يمكننا ترجيح الرأي القائل بالجواز.
انظر شرح التصريح ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧.
(١٢) الحال المترادفة هي الحال المتعددة، وهي التي تتعدد لواحد.
(المغني ٢/ ٥٦٤). فالحالان قوله: «وهم يلعبون. لاهيةً» صاحبهما فاعل «استمعوه» وعاملهما الفعل.

وأن يكون حالاً من فاعل «يلعبون» فيكون الحالان متداخلين[١] وعبر الزمخشري عن ذلك فقال: «وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ» حالان مترادفتان أو متداخلتان[٢] وإذا جعلناهما حالين مترادفتين ففيه تقديم الحال غير الصريحة على الصريحة[٣] وفيه من البحث ما في باب النعت[٤]. (و «قُلوبهم» مرفوع بـ «لاَهِيَةً»)[٥][٦].

وقال البغوي: «لاَهِيَة» نعت تقدم[٧] الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، فإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى «خَاشِعاً أَبْصَارُهُمْ»[٨] و «دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا»[٩] و «لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ»، وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله: «أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِه القَرية الظَّالِمِ أَهْلُهَا»[١٠][١١] والعامة على نصب «لاَهِيَةً»، وابن أبي عبلة على الرفع[١٢] على أنها خبر ثان لقوله «وهُمْ» عند من يُجوِّز ذلك، أو خبر مبتدأ محذوف عند من لا يجوّزه[١٣].

قوله: وَأَسَرُّوا النَّجْوىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا» يجوز في محل «الذين» ثلاثة أوجه:

الرفع، والنصب، والجر. فالرفع من ستة أوجه:

أحدها: أنه بدل من (واو) «أَسَرُّوا»[١٤] تنبيهاً على اتصافهم بالظلم الفاحش وعزاه ابن عطية لسيبويه[١٥]، وغيره للمبرد[١٦].

---

(١) الحال المتداخلة هي التي تكون من ضمير الحال الأول (المغني ٢/ ٥٦٤). فالحالان قوله «وهم يعلبون. لاهيةً) فـ «هم يلعبون» حال من فاعل استمعوه و«لاهيةً» حال من فاعل «يلعبون». وانظر البيان ٢/ ١٥٧. التبيان ٣/ ٩١١، البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٢ ـ ٣.

(٣) أي تقديم الحال الجملة وهي قوله: «وهم يلعبون» على الحال المفردة وهي «لاهية».

(٤) تقدم قريباً.

(٥) لأن اسم الفاعل إذا وقع حالاً ارتفع الاسم به ارتفاع الفاعل بفعله. انظر البيان ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في الأصل: تقديم.

(٨) من قوله تعالى: ﴿**خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر**﴾ [القمر: ٧] «خاشعا» قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي السبعة (٦١٨).

(٩) [الإنسان: ١٤].

(١٠) [النساء: ٧٥].

(١١) البغوي ٥/ ٤٧٤.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

(١٣) كابن عصفور فإنه قال: (ولا يقتضي المبتدأ أزيد من خبر واحد من غير عطف إلا بشرط أن يكون الخبران فصاعداً في معنى خبر واحد، نحو قولهم: هذا حلو حامض أي: مز) المقرب ٩٢ ـ ٩٣. وانظر شرح التصريح ١/ ١٨٢.

(١٤) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢، الكشاف ٣/ ٣، البيان ٢/ ١٥٨، التبيان ٢/ ٩١.

(١٥) قال سيبويه: (وأما قوله جل ثناؤه: «وأسرُّوا النَّجوى الَّذين ظلموا» فإنما يجيء على البدل) الكتاب ٢/ ٤١. وانظر تفسير ابن عطية ١٠/ ١٢٣.

(١٦) كأبي حيان. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

الثاني: أنه فاعل، والواو علامة جمع دلت على جمع الفاعل(١) كما تدل التاء على تأنيثه، وكذلك يفعلون في التثنية فيقولون: قاما أخواك(٢) وأنشدوا:

٣٧٠٤ ـ يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخيـ ـلِ أَهْلِي وَكُلُّهُمُ أَلْوَمُ(٣)

وإليه ذهب الأخفش(٤) وأبو عبيدة(٥)، وضعف بعضهم هذه اللغة وبعضهم حسنها فنسبها(٦) لأَزْدِ شَنُوءَة(٧).

وتقدمت هذه المسألة في المائدة عند قوله تعالى: «ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ»(٨).

الثالث: أن يكون «الذين» مبتدأ «وأَسَرُّوا» جملة خبرية قدمت على المبتدأ ويعزى للكسائي(٩).

الرابع: أن يكون «الذين»(١٠) مرفوعاً بفعل مقدر فقيل تقديره: يقول الذين(١١)، واختاره النحاس، قال: والقول كثيراً ما يضمر، ويدل عليه قوله بعد ذلك: «هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ»(١٢). وقيل تقديره: أسرها الذين ظلموا(١٣).

الخامس: أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره: هم الذين ظلموا(١٤).

السادس: أنه مبتدأ وخبره الجملة من قوله «هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ» (ولا بد من إضمار

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢، الكشاف ٣/ ٣، البيان ٢/ ١٥٨، التبيان ٢/ ٩١.

(٢) حكى هذه اللغة سيبويه فإنه قال: (واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذه بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث وهي قليلة) الكتاب ٢/ ٤٠.

(٣) البيت من بحر المتقارب قاله أمية بن أبي الصلت. وقد تقدم.

(٤) قال الأخفش: («وأسرُّوا النَّجوى» كأنه قال: وأسرُّوا ثم فسره بعد ذلك فقال هم «الذين ظلموا» أو جاء على لغة الذين يقولون «ضربوني قومك» معاني القرآن ٢/ ٦٣٢.

(٥) قال أبو عبيدة: (وقال آخرون: بل قد تفعل العرب هذا فيظهرون عدد القوم في فعلهم إذا بدءوا بالفعل قال أبو عمرو الهذلي: أكلوني البراغيث بلفظ الجميع في الفعل وقد أظهر الفاعلين بعد الفعل ومجازه مجاز ما يبدأ بالمفعول قبل الفاعل، لأن النجوى المفعولة جاءت قبل الذين أسروها، والعرب قد تفعل ذلك). مجاز القرآن ٢/ ٣٤.

(٦) في ب: ونسبها.

(٧) وعزيت أيضاً لطيىء. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٧، شرح التصريح ١/ ٢٧٥.

(٨) [المائدة: ٧١]. انظر اللباب ٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ٣، البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

(١٠) الذين: سقط من ب.

(١١) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢، القرطبي ١١/ ٢٦٩، البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

(١٢) إعراب القرآن ٣/ ٦٤. (١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

(١٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١، البيان ٢/ ١٥٨، التبيان ٢/ ٩١١ البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

القول على هذا القول تقديره: الذين ظلموا يقولون هل هذا إلا بشر)[١] والقول يضمر كثيراً[٢]. والنصب من وجهين:

أحدهما: الذم[٣].

والثاني: إضمار «أعني»[٤].

والجرّ من وجهين أيضاً:

أحدهما: النعت[٥].

والثاني: البدل من «للناس»[٦]، ويعزى هذا للفراء[٧]، وفيه بعد[٨].

قوله: «هَلْ هٰذَا» إلى قوله: «تُبْصِرونَ» يجوز في هاتين الجملتين الاستفهاميتين أن تكونا[٩] في محل نصب بدلاً من «النَّجْوَىٰ» وأن تكونا في محل نصب بإضمار القول. قالهما الزمخشري[١٠].

وأن تكونا في محل نصب على أنهما محكيتان بـ «النَّجْوَى»، لأَنها[١١] في معنى القول[١٢] «وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» جملة حالية من فاعل «تَأْتُونَ».

فصل[١٣]

اعلم أن الله ـ تعالى ـ ذم الكفار بهذا الكلام، وزجر غيرهم عن مثله، لأنهم إذا استمعوا وهم يلعبون لم يحصلوا إلا على مجرد الاستماع الذي قد تشارك[١٤] فيه البهيمة

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) انظر البيان ٢/١٥٨، التبيان ٢/٩١١.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٨٤، مشكل إعراب القرآن ٢/٨١، البيان ٢/١٥٨، التبيان ٢/ ٩١١، البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٥) «للناس» مشكل إعراب القرآن ٢/٨١، البيان ٢/١٥٨، التبيان ٢/٩١١ البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٧) قال الفراء: (و«الذين» تابعة «للناس» مخفوضة، كأنك قلت: اقترب للناس الذين هذه حالهم) معاني القرآن ٢/١٩٨.

(٨) لأنه يفيد قصر اقتراب الحساب للظالمين مع أن اقتراب الحساب للناس جميعاً ولذلك قال أبو حيان: (وهو أبعد الأقوال) البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٩) في ب: أن تكون. وهو تحريف.

(١٠) الكشاف ٣/٣.

(١١) في ب: لأنهما. وهو تحريف.

(١٢) فهما في موضع نصب على المفعول بـ «النَّجوى» والاستفهام في الجملة الأولى معناه التعجب، وفي الجملة الثانية معناه التوبيخ انظر: البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(١٣) هذا الفصل نقله ابن عادل من الفخر الرازي ٢٢/١٤١. بتصرف يسير.

(١٤) في ب: شارك. وهو تحريف.

الإنسان، ثم أكد ذمهم بقوله: «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» واللاهية من لهي عنه إذا ذهل وغفل. وقدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ»[١] تنبيهاً على أن اشتغالهم باللعب الذي معناه الذهول والغفلة والسخرية والاستهزاء مُعَلَّل باللهو الذي معناه الذهول، فإنهم إنما أقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق[٢].

وقوله: «وَأَسَرُّوا النَّجْوَى» فيه سؤال، وهو أن النجوى اسم من التناجي، وهو لا يكون إلا خفية، فما معنى قوله: «وَأَسَرُّوا»؟

فالجواب: أنهم بالغوا في إخفائها، وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم[٨].

فإن قيل: لِمَ قال: «وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا»؟

فالجواب: أن إبدال «الَّذِينَ ظَلَمُوا» من «أَسَرُّوا» إشعار بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به. أو جاء[٣] على لغة من قال: أكلوني البراغيث[٤] وقوله: «هَلْ هٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» قال الزمخشري: هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من «النَّجْوَى» أي: وَأسروا هذا الحديث[٥]، وهو قولهم: «هَلْ هٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُم». ويحتمل أن يكون التقدير: وَأسروا النجوى وقالوا هذا الكلام[٦] وإنما أسروا هذا الحديث لوجهين:

أحدهما: إنما كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم[٧] أمره، وعادة المتشاورين أن يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم.

الثاني[٨]: يجوز أن يسروا نجواهم بذاك، ثم يقولوا[٩] لرسول الله والمؤمنين: إن كان ما[١٠] تدعونه حقاً (فَأَخْبِرُونا بما أسررناه)[١١][١٢].

واعلم أنهم إنما طعنوا في نبوته[١٣] ـ عليه السلام[١٤] ـ بأمرين:

أحدهما: أنه بشر مثلهم.

والثاني: أن الذي أتى به سحر.

وكلا[١٥] الطعنين فاسد، أما الأول، فلأن النبوة تقف صحتها على المعجزات والدلائل

---

(١) من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وإن تؤمنوا وتتَّقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم**﴾ [محمد: ٣٦].

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤١.

(٣) أو: سقط من ب.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤١.

(٥) الكشاف ٣/ ٣.

(٦) أي أنه في محل نصب على إضمار القول. انظر الكشاف ٣/ ٣.

(٧) هدم: تكملة من الفخر الرازي.

(٨) في ب: والثاني.

(٩) في النسختين: ثم يقولون. والصواب ما أثبته لأنه معطوف على (يسروا).

(١٠) في ب: مما. وهو تحريف.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤١.

(١٢) ما بين القوسين في الأصل: فإنا أسررناه. وفي ب: فأما أسررناه والتصويب من الفخر الرازي.

(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤١.

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٥) في ب: وكل. وهو تحريف.

لا على الصور، إذ لو أرسل الملك إليهم لما علم كونه نبياً بصورته، وإنما كان يعلم بالعلم، فإذا أظهر ذلك على من هو بشر فيجب أن يكون نبياً، بل الأولى[١] أن يكون المبعوث إلى البشر بشراً، لأن المرء إلى القبول من أشكاله[٢] أقرب، وهو به أقيس. وأما الثاني وهو أن ما أتى به الرسول من القرآن ظاهره الوعيد لا مرية فيه، ولا لبس، وقد كان عليه السلام[٣] يتحداهم بالقرآن مدّة من الزمان حالاً بعد حال، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وكانوا في نهاية الحرص على إبطال أمره، وأقوى الأمور في إبطال أمره معارضة القرآن، فلو قدروا على المعارضة لامتنع أن لا يأتوا بها، لأن الفعل عند توفر الدواعي وارتفاع الصارف واجب الوقوع، فلما لم يأتوا بها دلّنا ذلك على أنه في نفسه معجز، وأنهم عرفوا حاله[٤] فكيف يجوز أن يقال: إنه سحر والحال ما ذكرناه وكل ذلك يدل على أنهم كانوا عالمين بصدقه إلا أنهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول، وإن كانوا فيه مكابرين[٥]. والمعنى: «أَفَتَأْتُونَ» تحضرون «السِّحْرَ وَأَنْتُم» تعلمون أنه سحر[٦][٧].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله: «قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ»[٨]. قرأ[٩] الأخوان وحفص «قَالَ» على لفظ الخبر والضمير للرسول ـ ﷺ[١٠] ـ.

والباقون: «قُلْ» على الأمر له[١١].

قوله: «فِي السَّمَاءِ» فيه أوجه:

أحدها: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من القول[١٢].

والثاني: أنه حال من فاعل «يَعْلَمُ»[١٣] وضعفه أبو البقاء[١٤]، وينبغي أن يمتنع[١٥].

---

(١) في ب: أولى.
(٢) في ب: إمكانه. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: حال. وهو تحريف.
(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٣١ ـ ١٤٢.
(٦) انظر البغوي ٥/ ٤٧٥.
(٧) ما بين القوسين في الأصل: أنه ليس بسحر. وفي ب: أنه ليس سحر. والتصويب من البغوي.
(٨) القول: سقط من ب.
(٩) في ب: في. وهو تحريف.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) السبعة (٤٢٨) الحجة لابن خالويه (٢٤٨)، الكشف ٢/ ١٦٠، النشر ٢/ ١٢٣ الإتحاف ٣٠٦.
(١٢) انظر التبيان ٢/ ٩١٢.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) المرجع السابق. ووجه الضعف فيه إثبات المكانية بالنسبة لله سبحانه وتعالى، وهذا ما تأباه عقيدة أهل السنة ولذلك قال المؤلف: وينبغي أن يمتنع.
(١٥) في ب: أن يمنع.

والثالث: أنه متعلق بـ «يَعْلَمُ»[١]، وهو قريب مما قبله[٢]. وحذف متعلق «السَّمِيعُ العَلِيمُ» للعلم به. والمعنى: لا يخفى عليه شيء «وهو السميع» لأقوالهم «العليم» بأفعالهم. قال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل: يعلم السر لقوله «وأَسَرُّوا النَّجْوَى» قلت: القول عام يشمل السر والجهر، فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة، فكان[٣] آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السر، كما أن قوله: «يَعْلَمُ السِّرَّ» آكد من أن يقول: يعلم سرهم[٤].

فإن قلت: لم ترك الآكد في سورة الفرقان في قوله: «قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ»[٥]؟ قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد تارة[٦] وبالآكد أخرى. ثم الفرق أنه قدم هنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه قال: إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد[٧] وصفه بـ «عَالِمِ الغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذرَّةٍ»[٨][٩] وإنما قدم «السميع» على «العليم» لأنه لا بد من سماع الكلام أولاً ثم من حصول العلم بمعناه[١٠]. قوله: «أَضْغاث أَحْلاَم» خبر مبتدأ محذوف، أي هو أضغاث[١١] والجملة نصب بالقول. واعلم أنه تعالى[١٢] عاد إلى حكاية قولهم: «هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر» ثم قال «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ» فحكى عنهم هذه الأقوال[١٣] الخمسة، وترتيب كلامهم أن كونه بشراً مانع من كونه رسولاً لله. سلمنا أنه غير مانع، ولكن لا نسلم أن هذا القرآن معجز، ثم إما أن يساعد على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدور[١٤] البشر، قلنا: لم لا يجوز أن يكون ذلك سحراً، وإن لم يساعد عليه فإن ادّعينا كونه في نهاية الركاكة، قلنا: إنه أضغاث أحلام. وإن ادّعينا أنه متوسط بين الركاكة والفصاحة، قلنا: إنه افتراه، وإن ادّعينا أنه كلام فصيح، قلنا: إنه من جنس فصاحة سائر الشعر. وعلى جميع هذه التقديرات فإنه لا يثبت كونه معجزاً[١٥]. ولما فرغوا من تقدير[١٦] هذه الاحتمالات قالوا: «فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كما

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٢.
(٢) في الضعف.
(٣) في ب: فكأنه.
(٤) لأن (يعلم السرّ) أعم من (يعلم سرهم) لأنه فيه علم سرهم وسر غيرهم.
(٥) [الفرقان: ٦].
(٦) تارة: مكررة في ب.
(٧) في ب: قصده.
(٨) ذره: سقط من ب. [سبأ: ٣].
(٩) الكشاف ٣/ ٣ ـ ٤. بتصرف يسير. ويبدو أن ابن عادل نقل نص الزمخشري من الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣.
(١٠) الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٣.
(١١) وقدره أبو البقاء: هذا أضغاث. التبيان ٢/ ٩١٢.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٣.
(١٣) في النسختين: الأحوال. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٤) في ب: مقدار. وهو تحريف.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٣.
(١٦) تقدير: سقط من ب.

أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ» والمراد أنهم طلبوا منه حالة[١] لا يتطرق إليها شيء من هذه الاحتمالات.

وقال المفسرون[٢]: إن المشركين اقتسموا القول فيه[٣] وفيما يقوله، فقال بعضهم «أضغاث أحلام» أي: أباطيلها وأهاويلها رآها في النوم. وقال بعضهم: «بَلِ افْتَرَاهُ» أي: اختلقه. وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وما جاءكم به شعر «فَلْيَأْتِنَا» محمد «بِآيَةٍ» إن كان[٤] صادقاً «كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ» من الرسل بالآيات[٥].

قوله: «كَمَا أُرْسِلَ» يجوز في هذه الكاف وجهان:

أحدهما: أن يكون في محل جر نعتاً لـ «آية»، أي: بآية مثل آية[٦] إرسال الأولين (ما) مصدرية[٧].

الثاني[٨]: أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، أي إتياناً مثل إرسال الأولين[٩]. فأجابهم الله تعالى بقوله: «مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِنْ قَرْيَةٍ» أي: قبل مشركي مكة «مِن قَرْيَةٍ» أتتهم الآيات «أَهْلَكْنَاهَا» أي: أهلكناهم بالتكذيب «أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ إن جاءتهم آية»[١٠] والمعنى: أنهم في العتو أشد من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات، وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا، فأهلكهم الله، فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أشد نكثاً[١١].

قال الحسن: إنما لم يجابوا لأن حكم الله تعالى[١٢] أن من كذب بعد الإجابة إلى ما اقترحه، فلا بدّ من أن ينزل به عذاب الاستئصال، وقد مضى حكمه في أمة محمد ـ ﷺ ـ خاصة بخلافه فلذلك لم يجبهم[١٣]. وتقدم الكلام في إعراب نظير[١٤] قوله: «أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ»[١٥].

قوله: «نُوحِي إِلَيْهِم». قرأ حفص: «نوحي» بنون العظمة مبنياً للفاعل، أي نوحي نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول[١٦]، وقد تقدم في يوسف[١٧]. وهذه

---

(١) في ب: حا. وهو تحريف.
(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٧٥.
(٣) فيه: سقط من ب.
(٤) في ب: ظن. وهو تحريف.
(٥) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٧٥.
(٦) آية: سقط من ب.
(٧) في ب: فأجابهم الله تعالى فـ (ما) مصدرية. انظر البحر المحيط ٦/ ٢٩٨.
(٨) في ب: والثاني.
(٩) انظر التبيان ٢/ ٩١٢، البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.
(١٠) انظر البغوي ٥/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٣.
(١٢) في ب: لأن علم الله مع. وهو تحريف.
(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٣.
(١٤) في ب: نظيره. وهو تحريف.
(١٥) وهو قوله تعالى: **﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾** [الأعراف: ٩٧]. انظر اللباب ٤/ ٧٥.
(١٦) السبعة ٤٢٨، الحجة لابن خالويه ٢٤٨، الكشف ٢/ ١٤ ـ ١٥ النشر ٢/ ٢٩٦، الإتحاف (٣٠٦).
(١٧) عند قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾** [يوسف: ١٠٩] وذكر =

الجملة في محل نصب نعتاً لـ «رِجَالاً» و «إِلَيْهِمْ» في القراءة الأولى منصوب المحل، والمفعول محذوف، أي: نوحي إليهم القرآن أو الذكر. ومرفوع المحلّ في القراءة الثانية لقيامه مقام الفاعل[١].

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠﴾

اعلم أنه تعالى أجاب عن سؤالهم الأول وهو قولهم: «هَلْ[٢] هٰذَا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» بقوله:

«وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلاَّ رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم» فبين أن هذه عادة الله في الرسل من قبل محمد ـ عليه السلام[٣] ـ ولم يمنع ذلك من كونهم رسلاً، وإذا صح ذلك فيهم فقد ظهر على محمد مثل آياتهم[٤].

«فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» يعني علماء أهل الكتاب حتى يعلموكم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشراً، ولم يكونوا ملائكة، وإنما أحالهم على أولئك، لأنهم كانوا يتابعون المشركين في معاداة الرسول[٥]، وأمر المشركين بمُساءلة أهل الكتاب، لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ـ ﷺ ـ أقرب منهم إلى تصديق من آمن قال تعالى: «وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الّذين أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكم وَمِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوا أذًى كَثِيراً»[٦] فإن قيل: إذا لم يوثق باليهود والنصارى فكيف يجوز أن يأمرهم بأن يسألوهم عن الرسل؟

فالجواب: إذا تواتر خبرهم وبلغ حدّ الضرورة جاز ذلك، لأنّا نعلم بخبر الكفار إذا تواتر كما نعلم بخبر المؤمنين[٧]. وقال ابن زيد: أراد بأهل الذكر المؤمنين[٨]، وهو بعيد، لأنهم كانوا طاعنين في القرآن وفي الرسول.

فأما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية في أن للقاضي أن يرجع إلى فتيا العلماء وفي أن للمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر، فبعيد، لأن هذه الآية خطاب مشافهة، وهي

= هناك: قرأ العامة: «يوحي» بالياء من تحت مبنيًّا للمفعول، وقرأ حفص «نوحي» بالنون وكسر الحاء مبنيًّا للفاعل، وكذلك قرأ ما في النحل وأول الأنبياء. انظر اللباب ٥/ ٧٧.

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٢.
(٢) في النسختين: ما.
(٣) في ب: ﷺ.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٤.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٤.
(٦) [آل عمران: ١٨٦].
(٧) انظر الفخر الرازي٢٢/ ١٤٤.
(٨) انظر البغوي ٥/ ٤٧٦. والقرطبي ١١/ ٢٧٢.

واردة[١] في هذه الواقعة المخصوصة، ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين[٢].

قوله: «إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم[٣] عليه، أي: «فَاسْأَلُوهم»، ومفعولا العلم يجوز أن يراد، أي: لا تعلمون أن ذلك كذلك، ويجوز أن لا يراد، أي: إن كنتم من غير ذوي العلم[٤].

قوله: «وَمَا جَعَلْنَاهُم جَسَداً» أي ما جعلنا الرسل جسداً، ولم يقل: أجساداً، لأنه اسم جنس[٥]. «لا يأكلون الطعام» هذا رد لقولهم: «ما لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ»[٦] والمعنى: لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام «وما كانوا خالدين» في الدنيا. قوله: «لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» في هذه الجملة وجهان:

أظهرهما: أنها في محل نصب نعتاً لـ «جسداً»[٧] و «جسداً» مفرد يراد به الجمع، وهو على حذف مضاف أي: ذوي أجساد غير آكلين الطعام[٨] و «جعل» يجوز أن تكون بمعنى (صير) فتتعدى لاثنين ثانيهما «جسداً» ويجوز أن تكون بمعنى (خلق) و (أنشأ) فتتعدى لواحد فيكون «جسداً» حالاً بتأويله بمشتق، أي: متغذين، لأن الجسد لا بد له من الغذاء[٩].

وقال أبو البقاء: و[١٠] «لا يأكلون» حال أخرى، بعد «جسداً» إذا قلنا إن (جعل تتعدى لواحد)[١١].

وفيه نظر. بل هو صفة لـ «جسداً» بالاعتبارين، لا يليق المعنى إلا به.

قوله: «صَدَقْنَاهُم الوَعدَ» صدق يتعدى لاثنين إلى[١٢] ثانيهما بحرف الجر. وقد يحذف تقول: صَدَقْتُكَ الحديث، وفي الحديث نحو أمر[١٣] واستغفر[١٤] وقد تقدم في

---

(١) وارده: مكرر في ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٤.

(٣) وهو قوله: «فاسألوا أهل الذكر» هذا مذهب جمهور البصريين الذين يرون أنه إذا تقدم على أداة الشرط ما يشبه الجواب فهو دليل عليه وليس إياه ويرى الكوفيون والمبرد وأبو زيد أنه الجواب نفسه. شرح الأشموني ٤/ ١٥.

(٤) أي أن «علم» يجوز أن تكون بمعنى «أيقن» ويجوز أن تكون بمعنى (عرف).

(٥) انظر التبيان ٢/ ٩١٢.

(٦) من قوله تعالى: ﴿**وقالوا ما لهذا الرَّسول يأكل الطَّعام ويمشي في الأَسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً**﴾ [الفرقان: ٧].

(٧) انظر الكشاف ٣/ ٤، التبيان ٢/ ٩١٢. (٨) انظر التبيان ٢/ ٩١٢.

(٩) انظر المرجع السابق. (١٠) في النسختين: أن، وما أثبته من التبيان.

(١١) قال أبو البقاء: (و «جعلناهم» يجوز أن يكون متعدياً إلى اثنين، وأن يعدى إلى واحد فيكون «جسداً» حالاً، و«لا يأكلون» حالاً أخرى) التبيان ٢/ ٩١٢.

(١٢) في الأصل: أي. وهو تحريف. (١٣) في ب: أقر. وهو تحريف.

(١٤) أي: أن (صدق) من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين ثانيهما بحرف جر يجوز حذفه، ومن هذه الأفعال: شكر، تقول: شكرت زيداً معروفه، وشكرت لزيد معروفه وكال، تقول: كلت زيداً الطعام. =

«آل عمران»[١]. قال الزمخشري: هو مثل قوله[٢]: «وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً»[٣] والأصل في الوعد، ومن قومه[٤]. والمعنى[٥] «صدقناهم[٦] الوعد» الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، «فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَشَاءُ» أي: أنجينا المؤمنين الذين صدقوا الرسل «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ» أي: المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

قوله: «لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً» يا معشر قريش «فِيهِ ذِكْرُكُم» أي شرفكم، كما قال: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ»[٧] وإنَّهُ شَرَفٌ[٨] لمن آمن به. وقال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: «فِيهِ ذِكْرُكُمْ» أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمور دينكم[٩] «أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» وهذا كالحث[١٠] على التدبر للقول لأنهم كانوا عقلاء، لأن التدبر[١١] من لوازم العقل، فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل[١٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله: «وَكَمْ قَصَمْنَا» «كَمْ» في محل نصب مفعولاً مقدماً بـ «قَصَمْنَا»[١٣] و «مِنْ قَرْيَةٍ» تمييز، والظاهر أن «كَمْ» هنا خبرية، لأنها تفيد التكثير. والقصم: القطع وهو الكسر الذي يبين تلازم الأجزاء[١٤] بخلاف الفصم[١٥].

= ووزن، تقول: وزنته زيتا، ووزنت له زيتاً. وأمر، تقول: أمرته الخير، وأمرته بالخير، قال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أُمرتَ به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

واستغفر، تقول: استغفرت الله ذنبي، واستغفرته من ذنبي. واختار، تقول: اخترت الرجال عمراً، واخترت من الرجال عمراً، قال الله تعالى: ﴿**واختار موسى قومه سبعين رجلا**﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه، وهذا النوع من الأفعال لا يضبط إلا بالسماع. انظر كشف المشكل في النحو ١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦.

(١) عند قوله تعالى: ﴿**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه**﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وذكر هناك: وصدق يتعدى لاثنين أحدهما بنفسه، والآخر بالحرف، وقد يحذف كهذه الآية، والتقدير صدقكم في وعده، كقولهم: صدقته في الحديث. انظر اللباب ٢/ ٣٦٩.

(٢) قوله: سقط من الأصل.

(٣) [الأعراف: ١٥٥].

(٤) الكشاف ٣/ ٤.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٧٧.

(٦) في ب: صدقناهم.

(٧) [الزخرف: ٤٤].

(٨) في ب: وهو أشرف. وهو تحريف.

(٩) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٧٧.

(١٠) في الأصل: كالبعث.

(١١) في النسختين: الخوف.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٥.

(١٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٦، التبيان ٢/ ٩١٣.

(١٤) في ب: لازم الأمر.

(١٥) الفصم: هو أن يتصدع الشيء من غير أن يبين. اللسان (فصم).

قوله: «كَانَتْ ظَالِمَةً» في محل جر صفة لـ «قَرْيَةٍ»، ولا بد من مضاف محذوف قبل «قَرْيَةٍ» أي: وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله: «فَلَمَّا أَحَسُّوا» ولا يجوز أن يعود على قوله «قوماً» لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك[١].

فصل

لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل حب الرياسة والدنيا.

والمراد بقوله: «قصمنا» أهلكنا. قال ابن عباس: المراد منه القتل بالسيوف، والمراد بالقرية: حضور وسحول باليمن ينسب إليهما[٢] الثياب، وفي الحديث: «كفن[٣] رسول الله ـ ﷺ ـ في ثوبين سحوليين»، وروي «حضوريين» بعث الله إليهما نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وروي «أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء» فندموا واعترفوا بالخطأ، و «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ»[٤][٥].

وقال الحسن: المراد عذاب الاستئصال. وهذا أقرب، لأن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته[٦] إلى القائل، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس[٧].

وقوله: «كَانَتْ ظَالِمَةً» أي كافرة، يعني أهلها «وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا» أي: أحدثنا بعد هلاك أهلها «قَوْماً آخَرِينَ»[٨]. «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا» أي: عذابنا بحاسة البصر «إِذَا هُم مِنْهَا يَرْكُضُونَ» أي: يسرعون هاربين.

والركض ضرب الدابة بالرجل، يقال: ركض[٩] الدابة يركضها ركضاً[١٠]، ومنه قوله تعالى: «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ»[١١]. فيجوز أن يركبوا دوابّهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب. ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم[١٢] بالراكبين الراكضين[١٣].

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٠.
(٢) إليهما: سقط من ب.
(٣) في ب: نسي. وهو تحريف.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ٤ ـ ٥، الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٦، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١١٠).
(٥) [الأنبياء: ١٤].
(٦) في ب: إضافة.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٦.
(٨) انظر البغوي ٥/ ٤٧٧.
(٩) في الأصل: راكض. وهو تحريف.
(١٠) اللسان (ركض).
(١١) من قوله تعالى: **﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشرابٌ﴾** [ص: ٤٢].
(١٢) على أرجلهم: سقط من ب.
(١٣) وحذف المشبه. انظر الكشاف ٣/ ٥، والفخر الرازي ٢٢/ ١٤٦.

قوله: «إِذَا هُمْ»: «إِذَا» هذه فجائية، وتقدم الخلاف فيها[١].

و «هُمْ» مبتدأ، و «يَرْكُضُونَ» خبره[٢]. وتقدم أول الكتاب[٣] أن أمثال هذه الآية دالة على أن «لمَّا»[٤] ليست ظرفية[٥] بل حرف وجوب لوجوب[٦]، لأن الظرف لا بد له من عامل، ولا عامل هنا، لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها. والجواب أنه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول عليه بـ «إِذَا»[٧].

والضمير في «مِنهَا» يعود على «قَرْيَةٍ»، ويجوز أن يعود على «بَأْسنَا» لأنه في معنى النقمة والبأساء، فأنث الضمير حملاً على المعنى[٨]. و «مِنْ» على الأول[٩] لابتداء الغاية، وللتعليل على الثاني[١٠].

قوله: «لا تَرْكُضُوا» أي: قيل لهم: لا تركضوا، أي لا تهربوا. قال الزمخشري: القول محذوف، فإن قلت: من القائل؟ قلت: يحتمل أن يكون بعض الملائكة، أو من[١١] ثم من المؤمنين، أو يكون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم[١٢]. أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم[١٣].

---

(١) عند قوله تعالى **﴿فإذا هم مبلسون﴾** [الأنعام: ٤٤]، وذكر هناك: إذا هي الفجائية، وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب سيبويه أنها ظرف مكان، ومذهب جماعة منهم الرياشي أنها ظرف زمان، ومذهب الكوفيين أنها حرف، فعلى تقدير كونها ظرفاً زماناً أو مكاناً فالناصب لها خبر المبتدأ، أي: أبلسوا في مكان إقامتهم أو زمانها. انظر اللباب ٣/ ٤١٧.

(٢) انظر التبيان ٢/ ٩١٣.

(٣) عند قوله تعالى: **﴿ولمَّا جاءهم كتابٌ من عند اللَّه مصدّقٌ لما معهم﴾** [البقرة: ٨٩] انظر اللباب ١/ ١٢٠.

(٤) في ب: على أنها.

(٥) قال بظرفيتها ابن السراج وتبعه الفارسي وابن جني وجماعة، فهي عندهم ظرف بمعنى (حين)، وقال ابن مالك «إذ» وهو حسن، لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة، والعامل فيها على الظرفية جوابها. انظر المغني ١/ ٣٨٠، الهمع ١/ ٢١٥.

(٦) وهو رأي الجمهور، لأنها عندما تدخل على الماضي تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو لما جاءني أكرمته. ويكون جوابها فعلاً ماضياً اتفاقاً نحو قوله تعالى: **﴿فلمَّا نجّاكم إلى البر أعرضتم﴾** [الإسراء: ٦٧] وجملة اسمية مقرونة بـ «إذا» الفجائية نحو قوله تعالى: **﴿فلمَّا نجّاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون﴾** [العنكبوت: ٦٥]. أو بالفاء عند ابن مالك نحو قوله تعالى: **﴿فلما نجّاهم إلى البرِّ فمنهم مقتصد﴾** [لقمان: ٣٢]، وقيل: إن الجواب محذوف، أي انقسموا قسمين فمنهم مقتصد. وفعلاً مضارعاً عند ابن عصفور نحو قوله تعالى: **﴿فلمَّا ذهب عن إبراهيم الرَّوع وجاءته البشرى يجادلنا﴾** [هود: ٧٤]، وهو مؤول بجادلنا وقيل إن الجواب (جاءته البشرى) على زيادة الواو، أو محذوف، أي: أقبل يجادلنا. انظر المغني ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٧) هذا الجواب يدل على أن ابن عادل أخذ برأي ابن السراج ومن تبعه في أن (لمّا) ظرفية.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٠.

(٩) وهو عود الضمير على «قرية».

(١٠) وهو عود الضمير على «بأسنا».

(١١) في النسختين: ومن. والتصويب من الكشاف.

(١٢) دينهم: سقط من الأصل.

(١٣) الكشاف ٣/ ٥.

وقوله: «وارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيهِ» من العيش الرافه والحال الناعمة. والإتراف انتظار النعمة، وهي الترفه. وقوله: «لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ» تهكم بهم وتوبيخ(١).

قال ابن عباس: تسألون عن قتل نبيكم(٢). وقال غيره: هذا التهكم يحتمل وجوهاً:

الأول: ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

الثاني: ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقولوا لكم: بم تأمرون، وماذا ترسمون كعادة المخدومين.

الثالث: تسألكم الناس ما في أيديكم ويستشيرونكم في المهمات(٣).

قوله(٤): «فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ» اسم «زالت» «تلك» و «دعواهم» الخبر هذا هو الصواب(٥). وقد قال الحوفي والزمخشري وأبو البقاء: يجوز العكس(٦) وهو مردود بأنه إذا أخفي الإعراب مع استوائهما في المسوغ لكون كل منهما اسماً أو خبراً، وجب جعل المتقدم اسماً والمتأخر خبراً، وهو من باب ضرب موسى عيسى(٧) وتقدم إيضاح هذا في أول سورة الأعراف(٨) فليلتفت إليه. و «تلك» إشارة إلى الجملة المقولة(٩). قال

---

(١) أي أن الأمر خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو التهكم والتوبيخ.

(٢) انظر البغوي ٥/ ٤٧٧.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٥، الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٦.

(٤) قوله: سقط من الأصل.

(٥) لخفاء الإعراب، لأن الإعراب مقدر فيهما، ولا قرينة تميز الاسم من الخبر.

(٦) وهو كون «تلك» خبر «زالت» و «دعواهم» اسمها. وانظر الكشاف ٣/ ٥. التبيان ٢/ ٩١٣. وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم حيث قال: (يجوز أن تكون «تلك» في موضع رفع اسم «زالت» و «دعواهم» في موضع نصب خبر «زالت» وجائز أن يكون «دعواهم» الاسم في موضع رفع، و «تلك» في موضع نصب على الخبر للاختلاف بين النحويين في ذلك) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٦.

(٧) أي أن اسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول، فكما لا يجوز في باب تقديم المفعول على الفاعل عند خوف اللبس. لا يجوز ذلك في باب كان، فإذا قلت: كان موسى أخي لم يجز في موسى إلا أن يكون اسم كان وأخي الخبر، كقولك ضرب موسى عيسى، فموسى الفاعل وعيسى المفعول، هذا ما ذهب إليه المتأخرون ولم ينازع في ذلك منهم إلا ابن الحاج فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وإن ألبس. فعلى هذا يتعين أن تكون «تلك» اسم «زالت» و «دعواهم» الخبر. البحر المحيط ٦/ ٣٠١، شرح الأشموني ٢/ ٥٦.

(٨) عند قوله تعالى: ﴿**فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا**﴾ [الأعراف: ٥]. وذكر هنا ما ملخصه أنهم جوزوا في «دعواهم» وجهين: أحدهما: أن يكون اسماً لـ (كان)، و «إلا أن قالوا» خبرها، والثاني: أن يكون «دعواهم» خبراً مقدماً، و «إلا أن قالوا» اسماً مؤخر، قال ذلك الفراء والزجاج ومكي والزمخشري، ولكن ذلك يشكل من قاعدة ذكرها النحاة، وهو أن الاسم والخبر في هذا الباب متى خفي في إعرابهما وجب تقديم الاسم وتأخير الخبر نحو كان موسى صاحبي، قالوا: لأنهما كالمفعول والفاعل، فمتى خفي الإعراب التزم كل في مرتبته. انظر اللباب ٤/ ٧.

(٩) [الأعراف: ١٤] وهي قوله تعالى: ﴿**يا ويلنا إنَّا كنا ظالمين**﴾.

الزمخشري: «تلك» إشارة إلى «يا وَيْلَنا» لإنها دعوى، كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى دعواهم، والدعوى بمعنى الدعوة، قال تعالى: «وآخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ»(١)(٢).

وسميت دعوى، لأنهم كانوا دعوا بالويل فقالوا: «يا ويلنا». قال المفسرون: لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله: «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُم لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا»(٣)(٤). «حتى جعلناهم حصيداً» الحصيد: الزرع المحصود، أي جعلناهم مثل الحصيد، شبههم في استئصالهم به، كما تقول: جعلناهم رماداً أي: مثل الرماد(٥) قوله: «حَصِيداً» مفعول ثان، لأن الجعل هنا تصيير(٦). فإن قيل: كيف ينصب «جعل» ثلاثة مفاعيل؟ فالجواب أن «حصيداً» و «خامدين» يجوز أن يكون من باب هذا حلو حامض(٧)، كأنه قيل: جعلناهم جامعين بين الوصفين جميعاً(٨). ويجوز أن يكون «خامدين» حالاً من الضمير في «جَعَلْنَاهُمْ»(٩)، أو من الضمير المستكن في «حَصِيداً» فإنه في معنى محصود. ويجوز أن يكون من باب ما تعدد فيه الخبر نحو: «زيد كاتب شاعر»(١٠). وجوَّز أبو البقاء فيه أيضاً أن يكون صفة لـ «حصيداً»، وحصيد بمعنى محصود كما تقدم فلذلك لم يجمع(١١). وقال أبو البقاء: والتقدير: مثل حصيد فلذلك لم يجمع كما لم يجمع «مثل» المقدر(١٢) انتهى.

وإذا كان بمعنى محصودين(١٣) فلا حاجة، والمعنى: أنهم هلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق حس ولا حركة، وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار(١٤).

---

(١) [يونس: ١٠].

(٢) الكشاف ٣/ ٥. أي أن الدعوى تصلح أن تكون في معنى الدعاء، حكى ذلك سيبويه في باب ما جاء من المصادر وفيه ألف التأنيث حيث قال: (وأما الدعوى فهو ما ادعيت، وقال بعض العرب: اللهم أشركنا في دعوى المسلمين، وقال سبحانه وتعالى **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين﴾** وقال بشير بن النكث: ولت ودعواها كثير صحبه. فدخلت الألف كدخول الهاء في المصادر) الكتاب ٤/ ٤٠ ـ ٤١.

(٣) [غافر: ٨٥].

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٦.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٥، الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٧.

(٦) انظر التبيان ٢/ ٩١٣.

(٧) أي أنهما في معنى المفعول الواحد.

(٨) انظر الكشاف ٣/ ٥. التبيان ٢/ ٩١٣.

(٩) قاله الحوفي. البحر المحيط ٦/ ٣٠١.

(١٠) أي أن الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ، والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما دخل عليهما «جعل» نصبهم جميعاً على المفعولية.

(١١) وفعيل بمعنى مفعول يستوي في الوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث تشبيهاً له بالمصدر على حد قوله تعالى: **﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾** [التحريم: ٤]. انظر التبيان ٢/ ٩١٣، شرح الأشموني ١/ ١٩٢.

(١٢) التبيان ٢/ ٩١٣.

(١٣) في ب: المحصودين.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٧.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية. اعلم أنه[١] لما بين إهلاك القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلاً منه، ومجازاة على ما فعلوا فقال: «وَمَا خَلَقْنَا السماءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما لاَعِبينَ» أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب كما سوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودينوية. أما الدينية فليتفكر[٢] المكلفون فيها على ما قال: «ويتفكرون في خلق السموات والأرض»[٣]. وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى، وهو كقوله: «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً»[٤] وقوله: «وما خلقناهما إلا بالحق»[٥]. وقيل: وجه النظم أن الغرض منه تقرير نبوة محمد ـ عليه السلام[٦] ـ والرد على منكريه، لأنه أظهر المعجز عليه، فإن كان محمد كاذباً كان إظهار المعجز عليه من باب اللعب، وذلك منفي عنه، وإن كان صادقاً فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن[٧] و «لاعبين» حال من فاعل «خلقنا»[٨].

فصل

قال القاضي عبد الجبار: دلّت هذه الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى، إذ لو[٩] كان كذلك لكان لاعباً، فإن اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب، فنفي الاسم الموضوع للفعل يقتضي[١٠] نفي الفعل. والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي، وقد تقدم[١١]. قوله: «لو أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً».

قال ابن عباس[١٢] في رواية عطاء: اللهو: المرأة، وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي: اللهو: الولد بلغة اليمن، وهو قول السدي. وهو في المرأة أظهر، لأن الوطأ يسمى لهواً[١٣] في اللغة، والمرأة محل الوطأ.

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٧.
(٢) في الأصل: فليتفكروا.
(٣) [آل عمران: ١٩١].
(٤) [ص: ٢٧].
(٥) من قوله تعالى: **﴿ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** [الدخان: ٣٩].
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي٢٢/ ١٤٧.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩١٣.
(٩) في ب: فلو.
(١٠) في ب: مقتضى.
(١١) الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٧.
(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩.
(١٣) في ب: لهو.

«لاتخذناه من لدنا» أي: من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان ذلك جائزاً في صفته لم يتخذه بحدث يظهر لهم ويستر ذلك حتى لا يطلع عليه. وتأويل الآية: أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا، وقال: «لاتخذناه من لدنا»، لأنكم تعلمون[١] أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره[٢].

قوله: «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» في «إِنْ» هذه وجهان:

أحدهما: أنها نافية، أي: ما كنا فاعلين، قاله قتادة ومقاتل وابن جريج[٣].

والثاني: أنها شرطية، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب «لو»[٤] عليه والتقدير: إن كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله، لأنه لا يليق بالربوبية[٥]. قوله: «بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ». «بَلْ» حرف إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من موجب حكمتنا أن نغلب[٦] اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق[٧]. والمعنى دع الذي قالوا فإنه كذب وباطل. و «نقذف» نرمي ونسلط قال تعالى: «وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً»[٨] أي يرمون بالشهب. «بالحق» بالإيمان، «على الباطل» على الكفر وقيل: الحق قول الله: إنه لا ولد له، والباطل قولهم: اتخذ الله ولداً. قوله: «فَيَدْمَغُه» العامة على رفع الغين نسقاً على ما قبله. وقرأ عيسى بن عمر بنصبها[٩] قال الزمخشري[١٠]: وهو في ضعف قوله:

٣٧٠٥ ـ سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ ... وأَلْحَقُ بالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا[١١]

---

(١) في ب: لا تعلمون.

(٢) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٣) وهو قول المفسرين لأن «إن» التي في معنى النفي يكثر مجيء «إلا» بعدها. انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٧ التبيان ٢/ ٩١٣، والقرطبي ١١/ ٢٧٦، البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(٤) وهو قوله: «لاتخذناه من لدنا».

(٥) وهو قول النحويين، واستظهره أبو حيان. انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٧. التبيان ٢/ ٩١٣.
القرطبي ١١/ ٢٧٦، البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(٦) في ب: نقلب.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ٦، الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٨) من قوله تعالى: **﴿لا يسمَّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كلِّ جانب دحوراً ولهم عذابٌ واصبٌ﴾** [الصافات: ٨، ٩].

(٩) في ب: بنصبهما. وهو تحريف. وقد وجه أبو البقاء قراءة النصب بأن الحمل فيه على المعنى أي بالحق فالدفع. انظر المختصر (٩١)، والتبيان ٢/ ٩١٣، والبحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(١٠) الكشاف ٣/ ٦.

(١١) البيت من بحر الوافر للمغيرة بن حبناء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية. والشاهد فيه قوله: (فأستريحا) حيث نصب الفعل المضارع بعد فاء السببية مع أنها ليست مسبوقة بطلب أو نفي وهذا=

وقرىء شاذاً «فيدمغه» بضم الميم[١]، وهي محتملة لأن يكون في المضارع لغتان يَفْعَل ويَفْعُل، وأن يكون الأصل الفتح والضمة للإتباع في حرف الحلق[٢].

و «يدمَغُه» أي يصيب دماغه من قولهم: دمغت الرجل، أي ضربته في دماغه كقولهم: رأسه وكبده ورجله، إذا أصاب منه[٣] هذه الأعضاء. وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ[٤]. واستعار القذف والدمغ تصويراً لإبطاله به، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه: أهلكه وأذهبه[٥] «فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» ذاهب، «وَلَكُمُ الوَيْلُ» يعني من كذب الرسول ونسب القرآن إلى أنه سحر وأضغاث أحلام، وغير ذلك من الأباطيل.

قوله: «مِمَّا تَصِفُونَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، أي: استقر لكم الويل من أجل ما تصفون. و «مِنْ» تعليلية. وهذا وجه وجيه.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف.

والثالث: أنه حال من الويل، أي: الويل واقعاً مما تصفون، كذا قدره أبو البقاء[٦] و «مَا» في «مِمَّا تَصِفُونَ» يجوز أن تكون مصدرية[٧] فلا عائد عند الجمهور[٨]، وأن

= ضرورة. وقيل: إن الفعل مؤكد بنون التوكيد الخفيفة على حد قوله تعالى: ﴿لنسفعاً﴾ [العلق: ١٥] وعلى هذا فالفعل مبني لا معرب. وقد تقدم.

(١) انظر الكشاف ٣/ ٦، البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(٢) مضارع (فعل) بفتح العين يجيء على ثلاثة أوجه: أحدها (يفعل) بكسر العين نحو ضرب يضرب. والثاني (يفعل) بضم العين نحو نصر ينصر.
وهل القياس الكسر أو الضم؟ فيه خلاف فعند أبي زيد هما سواء وكثرة أحدهما ترجع إلى الاستعمال، وقال بعضهم: القياس الكسر، لأنه أكثر، وأيضاً هو أخف من الضم. والثالث (يفعل) بفتح العين، ولا يكون إلا وموضع عينه أو لامه حرف من أحرف الحلق نحو ذهب يذهب، ومدح يمدح وذلك لأن أحرف الحلق سافلة في الحلق يتعسر النطق بها فأرادوا أن يكون قبلها إن كانت لاماً أو بعدها إن كانت عيناً الفتحة التي هي جزء الألف التي هي أخف الحروف، فتعدل خفتها ثقلها فيسهل النطق بأحرف الحلق الصعبة وهذا غير لازم، بدليل ما جاء منه على الأصل نحو برأ يبرؤ وهنأ يهنىء. فعلى هذا يكون مضارع دفع يدفع بفتح الميم، لأن لام الفعل حرف حلقي، وهذا هو الأصل في مضارعه. وتكون قراءة «فيدفعه» بضم الميم محتملة لعدم لزوم الفتح في الحلقي وأن يكون ضم الميم إتباعاً لضم حرف الحلق وهو لام الفعل انظر نزهة الطرف في علم الصرف ٩٨ ـ ١٠٠، وشرح الشافية ١/ ١١٧ ـ ١١٩.

(٣) منه: مكرر في الأصل.

(٤) انظر القرطبي ١١/ ٢٧٧.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٦، الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٨.

(٦) قال أبو البقاء («مما تصفون» حال، أي: ولكم الويل واقعاً) التبيان ٢/ ٩١٤.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٩١٤.

(٨) وذلك على قولهم بأن (ما) المصدرية حرف، خلافاً للمبرد والمازني والسهيلي وابن السراج والأخفش=

تكون بمعنى الذي[١]، أو نكرة موصوفة[٨]، ولا بد من العائد عند الجميع[٢]، حذف لاستكماله الشروط[٣]. والمعنى: ممّا تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة[٤] والولد[٥]. وقال مجاهد: مما تكذبون[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله[٦]: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية. لما نفى اللعب عن نفسه[٧]، ونفي اللعب لا يصح إلا بنفي الحاجة، (ونفي الحاجة)[٨] لا يصح إلا بالقدرة التامة عقب تلك الآية بقوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ» لدلالة ذلك على كمال الملك والقدرة. وقيل: لما حكى كلام الطاعنين في النبوات، وأجاب عنها، وبين أن غرضهم من تلك المطاعن التمرد، وعدم الانقياد، بين ههنا أنه تعالى منزه عن طاعتهم لأنه هو[٩] المالك لجميع المخلوقات، ولأجل أن الملائكة مع جلالتهم مطيعون له خائفون منه فالبشر مع كونهم في نهاية الضعف أولى أن يطيعوه[١٠].

قوله: «وَمَنْ عِنْدَهُ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنه معطوف على «مَنْ» الأولى[١١] أخبر تعالى عن من في السموات والأرض وعن من عنده بأن الكل له في ملكه.

وعلى هذا فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على شرفه، لأن قوله: «مَنْ فِي السَّمَواتِ» شمل «مَنْ عِنْدَهُ» وقد مرَّ نظيره في قوله: «وجِبْرِيلَ ومِيْكَالَ»[١٢] وقوله: «لاَ يَسْتَكْبِرُونَ» على هذا فيه أوجه:

أحدها: أنه حال من «مَنْ»[١٣] الأولى أو الثانية أو منهما معاً. وقال أبو البقاء حال

= في قولهم إنها اسم مفتقرة إلى ضمير، وأنك إذا قلت: (يعجبني ما قمت) فتقديره يعجبني القيام الذي قمته. انظر الهمع ١/ ٨١.

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٤.

(٢) لأن الموصول الاسمي والنكرة الموصوفة لا بد لهما من عائد يعود عليهما انظر شرح الأشموني ١/ ١٤٦.

(٣) لأن شروط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متصلاً وناصبه فعل أو وصف غير صلة أل، وأن يكون الفعل تاماً. وهو هنا متصل وناصبة فعل تام انظر شرح التصريح ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) في ب: المصاحبة. وهو تحريف.

(٥) انظر البغوي ٥/ ٤٧٩.

(٦) في ب: قوله تعالى.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٨.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) هو: سقط من ب.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٨.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٩١٤.

(١٢) البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(١٣) من قوله تعالى: **﴿من كان عدواً للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن اللّه عدو للكافرين﴾** [البقرة: ٩٨]. انظر اللباب ١/ ٢٢٣.

إما من «مَنْ»[١] الأولى أو الثانية على قول من رفع بالظرف[٢].

يعني: أنه إذا جعلنا «مَنْ» في قوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ» مرفوعاً بالفاعلية والرافع الظرف وذلك[٣] على رأي الأخفش[٤] جاز أن يكون «لاَ يَسْتَكْبِرُونَ» حالاً من «مَنْ» الأولى، وإما من «من» الثانية؛ لأن الفاعل يجيء منه الحال. ومفهومه: أنا إذا جعلناها مبتدأ لا يجيء «يَسْتَكْبِرون» حالاً وكأنه يرى أن الحال لا يجيء من المبتدأ، وهو رأي لبعضهم[٥]. ويجوز أن يكون «لاَ يَسْتَكْبِرُون» حالاً من الضمير المستكن في (عنده) الواقع صلة[٦] وأن يكون حالاً من الضمير المستكن في «له» الواقع خبراً[٧].

والوجه الثاني من وجهي «مَنْ»: أن تكون مبتدأ و «لاَ يَسْتَكْبِرونَ» خبره، وهذه جملة معطوفة على جملة قبلها[٨]، وهل الجملة من قوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ» استئنافية أو معادلة لجملة قوله: «وَلَكُم الوَيْلُ» أي لكم الويل ولله جميع العالم علويه وسفليه والأول أظهر[٩] «وَلاَ يَسْتَحْسِرُون» أي: لا يكلون ولا يتعبون، يقال: استحسر البعير أي: كلَّ وتَعِب قال علقمة بن عبدة:

٣٧٠٦ ـ بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فَأَمّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[١٠]

ويقال: حَسِرُ البعر وحسرته أنا، فيكون لازماً ومتعدياً[١١]، وأحسرته أيضاً، فيكون فعل وأفعل بمعنى في أحد وجهي فعل[١٢].

---

(١) من: سقط من الأصل.

(٢) من: تكملة من التبيان.

(٣) التبيان ٢/ ٩١٤.

(٤) في الأصل: ودال. وهو تحريف.

(٥) انظر البيان ٢/ ١٥٨.

(٦) وهو رأي سيبويه والكوفيين، قال سيبويه: (وتقول: مررت برجل معه كيس مختوم عليه، الرفع الوجه لأنه صفة الكيس، والنصب جائز على قوله: فيها رجل قائماً، وهذا رجل ذاهباً) الكتاب ٢/ ٥٢، وانظر أيضاً ٢/ ٨٨ الهمع ١/ ٢٤٣.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٩١٤.

(٨) انظر البيان ٢/ ١٥٩، التبيان ٢/ ٩١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٢.

(١٠) البيت من بحر الطويل، وهو في شرح الديوان (١٤)، الكتاب ١/ ٢٠٩، إيضاح الشعر ٣٣٤، ٥٠٦، الإفصاح ٣٧٢، المفضليات ٣٩٤، جيف: جمع جيفة وهي جثه الميت إذا نتنت. الحسرى: جمع حسير من حسرت الدابة إذا أعيت وكلت، وهي المعيية يتركها أصحابها فتموت. وهو موطن الشاهد هنا.
وجعل عظامها بيضاً لطول العهد، أو لأن الوحوش والطير أكلت ما عليها من اللحم فبدت بيضاً، الصليب: الودك الذي يخرج من الجلد، والمراد به هنا الجلد اليابس الذي لم يدبغ.

(١١) وفي اللسان (حسر): (حسرت الدابة والناقة حسراً واستحسرت: أعيت وكلّت، يتعدى ولا يتعدى) وانظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٣.

(١٢) قال الزجاج: (وحسرَت الناقة وأحسرتها: أتعبتها) فعلت وأفعلت: ٢٧ وهذا على وجه التعدي في الثلاثي، أما على لزوم الثلاثي فالهمزة أدت معنى التعدية في المزيد بها.

قال الزمخشري: فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور. قلت: في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الشاقة[١] بأن[٢] يستحسروا فيما يفعلون[٣]. وهو سؤال حسن وجواب مطابق. قوله: «يُسَبِّحُون» يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون حالاً من الفاعل في الجملة قبله[٤]. و «لاَ يَفْتُرُون» يجوز فيه الاستئناف، والحال من فاعل «يُسَبِّحُون»[٥].

فصل

دلَّت هذه الآية على أن الملك أفضل من البشر من ثلاثة أوجه تقدمت في البقرة[٦]. والمراد بقوله: «وَمَنْ عِنْدَه» هم الملائكة بالإجماع وصفهم الله تعالى بأنهم «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ» وهذا لا يليق بالبشر، وهذه العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة[٧]. روى عبد الله بن الحارث بن نوفل[٨] قال: قلت لكعب: أرأيت قول الله تعالى: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ» ثم قال: «جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً»[٩] أفلا تكون الرسالة مانعة لهم عن ذلك التسبيح، وأيضاً قال: «أولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ والمَلاَئِكَة»[١٠] فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح؟ أجاب كعب الأحبار وقال: التسبيح لهم كالتنفس لنا، فكما أن اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا الكلام فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الأعمال[١١].

فإن قيل: هذا القياس غير صحيح، لأن الاشتغال بالتنفس إنما لم يمنع من الكلام؛ لأن آلة التنفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال. فالجواب: أي استبعاد في أن يخلق الله لهم ألسنة كثيرة ببعضها[١٢] يسبح الله

---

(١) في ب: الباهظة.
(٢) في النسختين: بأن لا. والتصويب من الفخر الرازي.
(٣) الكشاف ٣/٦.
(٤) انظر التبيان ٢/٩١٤.
(٥) المرجع السابق.
(٦) عند قوله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ [البقرة: ٣٤] انظر اللباب ١/١٢٠. وانظر الفخر الرازي ٢٢/١٤٨.
(٧) المرجع السابق.
(٨) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي أبو محمد المدني. روى عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً وعن عمر وعثمان وعلي وعن أبيه، وغيرهم، وروى عنه أبناؤه عبد الله وإسحاق وعبد الملك بن عمير، وغيرهم، مات سنة (٩٩هـ). تهذيب التهذيب ٥/١٨٠ ـ ١٨١.
(٩) من قوله تعالى: ﴿**الحمد للّه فاطر السّموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إنّ اللّه على كلّ شيء قدير**﴾ [فاطر: ١].
(١٠) من قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين**﴾ [البقرة: ١٦١].
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٤٩.
(١٢) في ب: بعضها.

وببعضها[(١)] يلعنون أعداء الله. أو يقال: معنى قوله: «لاَ يَفْتُرُونَ» أنهم لا يفترون عن العزم على أدائه في[(٢)] أوقاته اللائقة به كما يقال: إن فلاناً مواظب على الجماعة لا يفتر عنها، لا يراد به أنه أبداً مشتغل بها، بل يراد به أنه مواظب على العزم على أدائها في أوقاتها[(٣)].

قوله تعالى: «أَمِ اتَّخَذُوا» هذه «أَمْ» المنقطعة، فتقدر بـ (بل) التي لإضراب الانتقال وبالهمزة التي معناها الإنكار[(٤)]. و «اتخذ» يجوز أن يكون بمعنى (صنع) فيتعلق «مِنْ» به[(٥)]، وجوَّز أبو حيَّان أن يكون بمعنى (صَيّر) التي في قوله «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً»[(٦)]، قال: وفيه معنى الاصطفاء والاختيار[(٧)]. و «مِنَ الأَرْضِ» يجوز أن يتعلق بالاتخاذ كما تقدم، وأن يتعلق بمحذوف على أنها نعت لـ «آلِهَة» أي من جنس الأرض[(٨)].

قوله: «هُمْ يُنْشِرُونَ» جملة في محل نصب صفة لـ «آلهة». وقرأ العامة «يُنْشِرُون» بضم حرف المضارعة من أنشر[(٩)]. وقرأ الحسن بفتحها وضم الشين[(١٠)] يقال: أنشر الله الموتى فنشروا. ونشر يكون لازماً ومتعدياً[(١١)]. قوله[(١٢)]: «أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً» استفهام

---

(١) في النسختين: وبعضها.
(٢) في ب: و.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٤٩.
(٤) (أم) المنقطعة هي المسبوقة بالخبر المحض نحو قوله تعالى: ﴿**تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربِّ العالمين أم يقولون افتراه**﴾ [السجدة: ٢، ٣]. أو المسبوقة بهمزة لغير الاستفهام نحو قوله تعالى: ﴿**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها**﴾ [الأعراف: ١٩٥]، إذ الهمزة في ذلك للإنكار. أو المسبوقة باستفهام بغير الهمزة نحو قوله: ﴿**هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظُّلمات والنُّور أم جعلوا للَّه شركاء**﴾ [الرعد: ١٦] ومعنى «أم» المنقطعة الذي لا يفارقها الإضراب ثم تارة تكون له مجرداً نحو قوله تعالى: ﴿**هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا للَّه شركاء**﴾ [الرعد: ١٦]. وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً. نحو قوله تعالى: ﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾ [الطور: ٣٩] وذلك كالآية التي نتعرض لها فإن «أم» فيها للإضراب الذي يتضمن استفهاماً إنكارياً. والإضراب هنا للانتقال من غرض إلى غرض فالكلام من أول السورة إلى ههنا كان في النبوات وما يتصل بها من الكلام سؤالاً وجواباً وأما هذه الآيات فإنها في بيان التوحيد ونفي الأضداد والأنداد وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً طلبياً نحو قولهم: إنها لإبل أم شاء، التقدير: بل هي شاء. انظر المغني ١/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(٦) [النساء: ١٢٥].
(٧) البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(٩) والمعنى: أم اتخذوا آلهة يحيون الموتى. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٨. القرطبي ١١/ ٢٧٨. والبحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(١٠) مضارع نشر، وأنشر ونشر لغتان، والمعنى على هذه القراءة: أم اتخذوا آلهة لا يموتون يحيون أبداً. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٨، البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.
(١٢) في ب: فصل.

بمعنى الجحد أي[1] لم يتخذوا من الأرض يعني: الأصنام من الأرض والحجارة، وهما من الأرض، والمنكر بعد اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى. فإن قيل: كيف أنكر[2] عليهم اتخاذ آلهة تنشر، وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم بل كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى، فإنهم كانوا مع إقرارهم بالله وأنه خالق السموات والأرض منكرين للبعث، ويقولون: «مَنْ يُحْيي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم»[3] فكيف يدعون ذلك للجماد الذي لا يوصف بالقدرة البتة؟ فالجواب: أنهم لما اشتغلوا بعبادتها، ولا بد للعبادة من فائدة، وهي الثواب، فإقدامهم على عبادتها يوجب إقرارهم بكونهم قادرين على الحشر والنشر والثواب والعقاب، فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم، والمعنى: إذا لم يكونوا قادرين على أن يُحْيوا أو يميتوا ويضروا وينفعوا فأي عقل يجوز اتخاذهم آلهة[4].

وقوله: «مِنَ الأَرضِ» كقولك: فلان من مكة أو من المدينة[5]. وقوله: «هم» يفيد معنى الخصوصية كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدرون على الإنشار إلا هم وحدهم[6].

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله: «لَوْ كَانَ فيهما آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهَ لَفَسدَتَا» وإلا هنا صفة للنكرة قبلها بمعنى «غير»، والإعراب فيها متعذر فجعل على ما بعدها[7]. وللوصف بها شروط منها: تنكير الموصوف، أو قربه من النكرة بأن يكون معرفاً بـ (أل) الجنسية[8].

ومنها: أن يكون جمعاً صريحاً كالآية أو ما في قوة الجمع كقوله[9]:

٣٧٠٧ ـ لَوْ كَانَ غَيْرِي سُلَيْمَىٰ الدَّهْرَ غَيَّرَهُ وَقْعُ الحَوَادِثِ إلا الصَّارِمُ الذَّكَرُ[10]

---

(١) أي: سقط من ب. (٢) في الأصل: أنكرا. وهو تحريف.

(٣) من قوله تعالى: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميمٌ﴾** [يس: ٧٨].

(٤) انظر الكشاف في ٣/ ٧، والفخر الرازي ٢٢/ ١٥٠.

(٥) أي: أن من للتبيين. (٦) انظر الكشاف في ٣/ ٧، الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٠.

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢ البيان ٢/ ١٥٩، التبيان ٢/ ٩١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٠٤.

(٨) لأن المعرف بـ (أل) الجنسية في معنى النكرة كقول الشاعر:

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليلٌ بها الأصوات إلا بغامها

وانظر الكتاب ١/ ٣٣٢، والمغني ١/ ٧٢، الهمع ١/ ٢٢٩، الأشموني ٢/ ١٥٦.

(٩) في ب: لقوله.

(١٠) البيت من بحر البسيط قاله لبيد، وهو في ديوانه (٥٧) والكتاب ٢/ ٣٣٣، المغني ١/ ٧٢، اللسان (إلا)، وشرح شواهد المغني ١/ ٢١٨، الأشموني ٢/ ١٥٦.

=

فـ (إلا الصارم) صفة لـ «غيري»، لأنه في معنى الجمع[١]. ومنها: أن لا يحذف موصوفها عكس (غير)[٢]، وأنشد سيبويه[٣] على ذلك قوله:

٣٧٠٨ ـ وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ   لَعَمْرُ أَبِيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ[٤]

أي وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

وقد وقع الوصف بـ «إلا» كما وقع الاستثناء بـ «غير»، والأصل في[٥] «إلا» الاستثناء وفي «غير» الصفة[٦]. ومن مُلَح كلام الزمخشري: واعلم أن (إلا)[٧] و (غير) يتقارضان[٨]. ولا يجوز أن يرتفع الجلالة على البدل من «آلهة» لفساد المعنى. قال الزمخشري: فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل. قلت لأن «لو» بمنزلة «إن» في أن الكلام معها موجب[٩]، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب[١٠] كقوله تعالى

= الصارم: السيف القاطع. الذكر من السيوف: ما كان ذا ماء ورونق.
والشاهد فيه وقوع (إلا) نعتاً لـ (غيري) وهو غير جمع إلا أنه في قوة الجمع والتقدير: لو كان غيري الصارم الذكر لغيره وقع الحوادث.

(١) ومفهوم كلام سيبويه أنه لا يشترط كون الموصوف جمعاً أو شبهه لتمثيله بـ «لو كان معنا رجل إلا زيد لغلبنا». انظر الكتاب ٢/٣٣١.

(٢) وذلك لأن (غير) اسم متمكن تعمل فيه العوامل، فيجوز أن يقام مقام الموصوف، فإذا قلت: مررت بغيرك، فغيرك مجرور بحرف الجر، وكذلك إذا قلت: قام غيرك، فغيرك مرفوع بالفعل قبله، وكذلك إذا قلت: رأيت غيرك، فغيرك منصوب بوقوع الفعل عليه لا بحكم أنه صفة تابع. فـ (إلا) إنما وصف بها حملاً على (غير)، وإذا كانت (غير) نفسها إذا حذف موصوفها لا تبقى نعتاً، إذ النعت يقتضي منعوتاً متقدماً عليه، كان ما حمل عليه وهو حرف لا يعمل فيه عامل لا رافع ولا ناصب ولا خافض أشد امتناعاً، فلم يجز لذلك حذف الموصوف وإقامته مقامه، فلا تقول: ما قام إلا زيد وأنت تريد الصفة، كما جاز ما قام غير زيد. انظر ابن يعيش ٢/ ٩٠.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٣٤.

(٤) البيت من بحر الوافر قاله عمرو بن معديكرب أو حضرمي بن عامر.
الفرقدان: نجمان قريبان من القطب لا يفترقان. والشاهد فيه وصف (كل) بقوله (إلا الفِرقدان) أي غير الفرقدين. وقد احتج الكوفيون بهذا البيت على أن (إلا) بمنزلة (الواو)، ورد عليهم ابن الأنباري بأن (إلا) بمعنى (غير) ولذلك ارتفع ما بعدها وقد تقدم.

(٥) في: سقط من ب.

(٦) أي أن الأصل في (إلا) أن تكون للاستثناء، وفي (غير) أن تكون وصفاً، ثم قد يحمل أحدهما على الآخر فيوصف بـ (إلا) ويستثنى بـ (غير) الهمع ١/ ٢٢٩.

(٧) في ب: لا. وهو تحريف.

(٨) يعني أن كل واحد منهما يستعير من الآخر حكماً هو أخص به. انظر الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ١/٣٦٩، شرح المفصل لابن يعيش ٢/٨٨.

(٩) وذلك لأن (لو) شرط فيما مضى فهي بمنزلة (إن) في أنها شرط في المستقبل فلو قلت: إن أتاني إلا زيد لم يصح، لأن الشرط في حكم الموجب، فكما لا يصح أتاني إلا زيد فكذلك لا يصح إن أتاني إلا زيد، والمستثنى يجب نصبه إذا كان الكلام تاماً موجباً. انظر شرح المفصل ٢/ ٨٩.

(١٠) أي أن الكلام إذا كان تاماً منفياً، والاستثناء متصل فالأرجح في المستثنى إبداله من المستثنى منه بدل=

«ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك»(١) وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه(٢).

فجعل المانع صناعياً مستنداً إلى ما ذكر من عدم صحّة إيجاب أعم العام. وأحسن من هذا(٣) ما ذكره أبو البقاء من جهة المعنى قال: ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأن المعنى يصير إلى قولك: لَوْ كَانَ فِيهِمَا الله لفسدتا(٤) ألا ترى أنك لو قلت: ما جاءني قومك إلا زيد(٥) على البدل لكان المعنى: جاءني زيد وحده(٦).

ثم ذكر الوجه الذي رد به الزمخشري فقال: وقيل يمتنع البدل، لأن قبلها إيجاباً(٧). ومنع أبو البقاء النصب على الاستثناء لوجهين:

أحدهما: أنه فاسد في المعنى، وذلك أنك إذا قلت: لو جاءني القوم إلا زيداً لقتلتهم، كان معناه أن القتل امتنع لكون زيد مع القوم، ولو نصبت(٨) في الآية لكان المعنى: أن فساد السموات والأرض امتنع لوجود الله تعالى مع الآلهة، وفي ذلك إثبات إلٰه مع الله. وإذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل ذلك، لأن المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا(٩).

والوجه الثاني: أن «آلهة» هنا نكرة، والجمع إذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين، إذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء(١٠). وهذا الوجه

= بعض من كل عند البصريين، وعطف نسق عند الكوفيين لأن (إلا) عندهم من حروف العطف في باب الاستثناء خاصة نحو قوله تعالى: ﴿ما فعلوه إلا قليلٌ منهم﴾ [النساء: ٦٦] بالرفع في قراءة السبعة غير ابن عامر (السبعة ٢٣٥) ويجوز فيه النصب على الاستثناء. أما إذا كان الاستثناء منقطعاً فإن لم يمكن تسليط العامل على المستثنى وجب النصب نحو ما زاد هذا المال إلا ما نقص، وما نفع زيد إلا ماضي وإن أمكن تسليط العامل المستثنى نحو ما قام القوم إلا حماراً. فالحجازيون يوجبون النصب، وتميم ترجحه وتجيز الإتباع. انظر شرح التصريح ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٣. شرح الأشموني ٢/ ١٤٤ ـ ١٤٨.

(١) [هود: ٨١]. وذلك على قراءة رفع «امرأتك» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وباقي السبعة بالنصب (السبعة: ٣٣٨).

(٢) الكشاف ٣/ ٧. (٣) في ب: هذه.

(٤) في ب: لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا. (٥) في ب: زيدا.

(٦) التبيان ٢/ ٩١٤. لأن المبدل منه في حكم الطرح، وذلك من جهة المعنى، فلو طرح المبدل منه في الآية لفسد المعنى كما ذكر أبو البقاء. وانظر أيضاً التبيان ٢/ ١٥٩.

(٧) التبيان ٢/ ٩١٥، وانظر أيضاً البيان ٢/ ١٥٩.

(٨) في ب: نصب.

(٩) في ب: لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا.

(١٠) التبيان ٢/ ٩١٥، وابن هشام ذكر في هذه الآية أنه لا يجوز في «إلا» هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى، إذ التقدير حينئذ لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وليس ذلك المراد. ولا من جهة اللفظ، لأن (آلهة) جمع منكر في=

الذي منعاه، أعني الزمخشري وأبا البقاء، قد أجازه المبرد وغيره أما المبرد فإنه قال: جاز البدل، لأن ما بعد «لو» غير موجب في المعنى والبدل في غير الموجب أحسن من الوصف(١).

وفي هذا نظر من جهة ما ذكره أبو البقاء من فساد المعنى(٢).

وقال ابن الضائع(٣) تابعاً للمبرد: لا يصح المعنى عندي إلا أن تكون «إلا»(٤) في معنى (غير) التي يراد بها البدل، أي: لو كان فيهما آلهة عوض واحد، أي: بدل الواحد الذي هو الله لفسدتا، وهذا المعنى أراد سيبويه في المسألة التي جاء بها توطئة(٥). وقال الشلوبين(٦) في مسألة سيبويه: «لو كان معنا رَجُلٌ إلاَّ زَيْدٌ لَغُلِبْنَا» إن المعنى: لَوْ كَانَ مَعَنَا رَجُلٌ مكان زيد لغلبنا، فـ (إلا) بمعنى (غير) التي بمعنى مكان(٧). وهذا أيضاً جنوح من أبي علي إلى البدل. وما ذكره ابن الضائع من المعنى المتقدم مسوغ للبدل، وهو جواب عما أفسد به أبو البقاء وجه البدل إذ معناه واضح، ولكنه قريب من تفسير المعنى لا من تفسير الإعراب(٨).

فصل

المعنى لو كان يتولاهما، ويدبر أمرهما شيء غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز أن تكون «إلا» بمعنى الاستثناء، لأنها لو كانت استثناء لكان المعنى: لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا، وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد، وذلك باطل، لأنه لو كان فيهما آلهة فسواء كان الله معهم أو لم

= الإثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه، فلو قلت: قام رجال إلا زيداً لم يصح اتفاقاً. انظر المغني ١/ ٧٠ ـ ٧١

(١) هذا القول المنسوب للمبرد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٠٥.

(٢) حيث قال: (ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأن المعنى يصير إلى قولك: لو كان فيهما الله لفسدتا). التبيان ٢/ ٩١٤.

(٣) هو علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الإشبيلي أبو الحسن المعروف بابن الضائع، بلغ الغاية في علم النحو، ولازم الشلوبين، وفاق أصحابه بأسرهم، له شرح الجمل، وشرح كتاب سيبويه جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن، وغير ذلك، مات سنة ٦٨٠هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٠٤.

(٤) إلا: سقط من ب.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٥.

(٦) تقدم.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٥.

(٨) ذكر ابن هشام في المغني قول ابن الضائع والشلوبين مجملاً ثم رد عليهما بقوله: (قلت: وليس كما قالا، بل الوصف في المثال وفي الآية مختلف فهو في المثال مخصص مثله في قولك: جاء رجل موصوف بأنه غير زيد، وفي الآية مؤكد مثله في قولك: متعدد موصوف بأنه غير الواحد، وهكذا الحكم أبداً؛ إن طابق ما بعد (إلا) موصوفها فالوصف مخصص له، وإن خالفه بإفراد أو غيره فالوصف مؤكد، ولم أر من أفصح عن هذا) المغني ١/ ٧١.

يكن الله معهم فالفساد لازم. ولما بطل حمله على الاستثناء ثبت ما ذكرنا[١]. وهو أن المعنى: لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله لفسدتا، أي لخربتا، وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة، لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام[٢]. ويدل العقل على ذلك من وجوه:

الأول: أنا لو قدرنا إلٰهين لكان أحدهما إذا انفرد صح منه تحريك الجسم وإذا انفرد الثاني صح منه تسكينه[٣]، فإذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كان عليه حال الانفراد، فعند الاجتماع يصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فإما أن يحصل المرادان، وهو محال، وإما أن يمتنعا وهو أيضاً محال، لأنه يكون كل واحد منهما عاجزاً، وأيضاً المانع من تحصيل مراد كل واحد منهما مراد الآخر، والمعلول لا يحصل إلا مع علته، فلو امتنع المرادان لحصلا، وذلك محال وإما أن يمتنع أحدهما دون الثاني، وذلك أيضاً محال، لأن الممنوع يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلٰهاً، ولأنه لما كان كل واحد منهما مستقلاً بالإيجاد لم يكن عجز أحدهما أولى من عجز الآخر، فثبت أن القول بوجود إلٰهين يوجب هذه الأقسام الفاسدة فكان القول به باطلاً.

الوجه الثاني: أن الإلٰه يجب أن يكون قادراً على جميع الممكنات، فلو فرضنا الإلٰهين لكان[٤] كل واحد منهما قادراً على جميع الممكنات، فإذا أراد كل واحد منهما تحريك جسم فتلك الحركة إما أن تقع بهما معاً[٥] ولا تقع بواحد منهما أو تقع بواحد منهما أو تقع بأحدهما دون الثاني، والأول محال، لأن الأثر مع المؤثر المستقل واجب الحصول، ووجوب حصوله به يمنع من استناده إلى الثاني، فلو اجتمع على الأثر الواحد مؤثران مستقلان يلزم أن يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما، فيكون محتاجاً إليهما، وغنيًا عنهما وهو محال، وإما أن لا يقع بواحد منهما ألبتة، فهذا يقتضي كونهما عاجزين، وأيضاً فامتناع وقوعه بهذا إنما يكون لأجل وقوعه بذاك وبالضد، فلو امتنع وقوعه بهما لوقع بهما معاً وهو محال، وإما أن يقع بأحدهما دون الثاني فهو باطل، لأن وقوعه بهذا يلزم فيه رجحان أحد الإلهين على الآخر من غير مرجح، وهو محال.

الوجه الثالث: لو قدرنا إلٰهين فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال، وإن اختلفا فإما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما، أو يقع أحدهما دون الآخر والكل محال، فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات[٦].

وذكروا وجوهاً أخر عقلية وفي هذا كفاية.

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٠.
(٢) انظر البغوي ٥/ ٤٨٠.
(٣) في ب: تسكين الجسم.
(٤) في ب: لو أن. وهو تحريف.
(٥) في ب: أو. وهو تحريف.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٠ ـ ١٥٣ بتصرف.

ثم إنه تعالى نزه نفسه فقال: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» أي: عما يصفه به المشركون من الشرك والولد(١).

فإن قيل: أي فائدة لقوله تعالى: «رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ».

فالجواب: أن هذه المناظرة وقعت مع عبدة الأصنام، وهي أنه كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذي لا يعقل ولا يحس شريكاً في الإلهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والأرضين(٢).

قوله: «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» اعلم أن أهل السنة(٣) استدلوا على أنه تعالى لا يسأل عما يفعل بأمور:

أحدها: أنه لو كان كل شيء معللاً بعلة كانت تلك العلة(٤) معللة بعلة أخرى ولزم التسلسل، فلا بد في قطع التسلسل من الانتهاء إلى ما يكون غنياً عن العلة، وأولى الأشياء بذلك ذات الله تعالى، وصفاته مبرأة عن الافتقار إلى المبدع المخصص، فكذا فاعليته يجب أن تكون مقدسة عن(٥) الاستناد إلى الموجب والمؤثر.

وثانيها: أن فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة إما أن تكون واجبة أو ممكنة، فإن كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونها فاعلاً، وحينئذ يكون موجباً بالذات لا فاعلاً باختيار. وإن كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلاً لله تعالى فتفتقر فاعليته لتلك العلة إلى علة أخرى ولزم التسلسل وهو محال.

وثالثها: أن علة فاعلية الله تعالى للعالم إن كانت قديمة لزم أن تكون فاعليته للعالم قديمة، فيلزم قدم العالم وإن كانت محدثة افتقرت(٦) إلى علة أخرى ولزم التسلسل.

ورابعها: أنه إن فعل فعلاً لغرض فإما أن يكون متمكناً من تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة، أو لا يكون متمكناً منه. فإن كان متمكناً منه كان توسط تلك الواسطة عبثاً. وإن لم يكن متمكناً منه كان عاجزاً، والعجز على الله تعالى محال، وأما العجز علينا فغير ممتنع، فلذلك كانت أفعالنا معللة بالأغراض وذلك في حق الله تعالى(٧) محال.

وخامسها: لو كان فعله معللاً بغرض لكان ذلك الغرض إما أن يكون عائداً إلى الله تعالى أو إلى العباد، والأول محال، لأنه منزه عن النفع والضر، وإذا بطل ذلك تعين أن الغرض لا بد وأن يكون عائداً إلى العباد، ولا غرض للعباد إلا حصول اللذة وعدم حصول الآلام، والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء(٨) من غير واسطة، وإذا كان كذلك استحال أن يفعل شيئاً لأجل شيء.

---

(١) انظر البغوي ٥/ ٤٨٠.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥.
(٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٤) في الأصل: الصلة. وهو تحريف.
(٥) في ب: إلى
(٦) في ب: افتقر.
(٧) تعالى: سقط من ب.
(٨) ابتداء: سقط من ب.

وسادسها: أن الموجودات ملكه، ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له: لم فعلت ذلك؟

وسابعها: أن من قال لغيره: لم فعلت ذلك؟ فهذا السؤال إنما يحسن حيث يكون للسائل على المسؤول حكم على فعله، وذلك في حق الله تعالى محال، فإنه لو فعل أي فعل شاء فالعبد كيف يمنعه عن ذلك بأن يهدده بالعقاب؟ فذلك على الله محال، وإن هدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفاهة على ما يقوله المعتزلة فذلك أيضاً محال، لأنه مستحق للمدح والاتصاف بصفات الحكمة والجلال. فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز أن يقال لله في أفعاله: لم فعلت؟ وأنّ كل شيء صنعه لا علة لصنعه[١]. وأما المعتزلة فإنهم[٢] سلموا أنه يجوز أن يقال: الله عالم بقبح القبيح، وعالم بكونه غنياً عنها، ومن كان كذلك فإنه يستحيل أن يفعل القبيح، ومن كان كذلك فإنه يستحيل أن يفعل القبيح، وإذا عرفنا ذلك عرفنا أن كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب، وإذا كان كذلك لم يجز للعبد أن يقول لله[٣]: لم فعلت هذا[٤]؟ ثم قال تعالى: «وهُمْ يُسْأَلُونَ» وهذا يدل على كون المكلفين مسؤولين عن أفعالهم. واعلم أن منكري التكليف احتجوا على قولهم بوجوه[٥]:

أحدها: قالوا: التكليف إما أن يتوجه على العبد حال استواء داعيته إلى الفعل والترك، أو حال رجحان أحدهما على الآخر، والأول محال، لأن حال الاستواء يمنع الترجيح، وحال امتناع الترجيح يكون تكليفاً بالمحال. والثاني محال، لأن حال الرجحان يكون الراجح واجب الوقوع، وإيقاع ما هو ممتنع الوقوع تكليف ما لا يطاق.

وثانيها[٦]: قالوا: كل ما علم الله وقوعه فهو واجب، فيكون التكليف به عبثاً، وكل ما علم الله عدمه كان ممتنع الوقوع، فيكون التكليف به تكليفاً بما لا يطاق.

وثالثها: قالوا: سؤال العبد إما أن يكون لفائدة أو لا لفائدة، فإن كان لفائدة[٧] فإن عادت إلى العبد فهو محال، لأن سؤاله لما كان سبباً للعقاب[٨] لم يكن نفعاً عائداً إلى العبد بل ضرر عائد إليه. وإن لم يكن في سؤاله فائدة كان عبثاً، وهو غير جائز على الحكيم، بل كان إضراراً وهو غير جائز على الرحيم. والجواب من وجهين:

الأول: أن غرضكم[٩] من إيراد هذه الشبه النافية للتكليف أن تلزمونا نفي التكليف فكأنكم كلفتمونا بنفي التكليف، وهذا متناقض.

---

(١) في الأصل: صنعه. وهو تحريف.
(٢) في ب: فإن.
(٣) في ب: له.
(٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٥٦ ـ ١٥٧.
(٦) في ب: وثانيهما. وهو تحريف.
(٧) في ب: الفائدة. وهو تحريف.
(٨) في ب: للعذاب.
(٩) في النسختين: أن غرضه. والتصويب من الفخر الرازي.

والثاني: أن مدار كلامكم في هذه الشبهات على حرف واحد، وهو أن التكاليف[١] كلها تكليف (بما لا يطاق)[٢] فلا يجوز من الحكيم أن يوجهها على العباد، فيرجع حاصل هذه الشبهات إلى أنه يقال لله[٣] تعالى: لِمَ كلفت عبادك، إلا أنَّا قد بيَّنا أنه سبحانه «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»، فظهر بهذا أن قوله: «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» أصل لقوله: «وَهُمْ يُسْأَلُونَ» فتأمل هذه الدقائق العجيبة لتقف على طرف من أسرار علم القرآن. فإن قيل: «وَهُمْ يُسْأَلُونَ» متأكد بقوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»[٤] وبقوله: «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولُونَ»[٥] إلا أَنَّهُ يناقضه قوله: «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ»[٦].

فالجواب: أن يوم القيامة طويل وفيه مقامات، فيصرف كل واحد من السلب والإيجاب إلى مقام دفعاً للتناقض[٧].

فصل[٨]

قالت المعتزلة: (فيه وجوه:

أحدها)[٩]: أنه تعالى لو كان هو الخالق للحسن[١٠] والقبيح لوجب أن يسأل عما يفعل، بل كان يذم بما من حقه الذم، كما يحمد بما[١١] من حقه الحمد.

وثانيها: أنه يجب أن يسأل[١٢] عن المأمور به إذ لا فاعل[١٣] سواء.

وثالثها: أنه لا يجوز أن يسألوا عن عملهم إذ لا عمل لهم.

ورابعها: أن عملهم لا يمكنهم أن يعدلوا عنه من حيث إنه خلقه وأوجده فيهم.

وخامسها: أنه تعالى صرح في كثير من المواضع أنه يقبل حجة العباد لقوله: «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»[١٤]

وهذا يقتضى أن لهم عليه حجة قبل بعثة الرسل، وقال: «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً»[١٥] ونظائر هذه الآيات كثيرة، وكلها تدل على أن حجة العبد متوجهة على الله تعالى.

والجواب هو[١٦] المعارضة بمسألة الداعي ومسألة العلم ثم بالوجوه المتقدمة التي بينا فيها أنه يستحيل طلب عِلِّيَّة أفعال الله تعالى.

---

(١) في ب: التكليف. وهو تحريف.
(٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: الله.
(٤) [الحجر: ٩٢].
(٥) [الصافات: ٢٤].
(٦) [الرحمن: ٣٩].
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٥٦ ـ ١٥٧.
(٨) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٥٧ ـ ١٥٨.
(٩) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٠) في ب: المحسن. وهو تحريف.
(١١) بما: سقط من الأصل.
(١٢) في الأصل: أنه لا يجب أن يسأل.
(١٣) في ب: فاعلي. وهو تحريف.
(١٤) [النساء: ١٦٥].
(١٥) [طه: ١٣٤].
(١٦) في ب: هي. وهو تحريف.

فصل [١]

في تعلق هذه الآية بما قبلها، وهو أن كل[٢] من أثبت لله تعالى[٣] شريكاً ليس عمدته إلا طلب اللمية في أفعال الله تعالى، وذلك لأن الثنوية والمجوس وهم الذين أثبتوا الشريك لله تعالى، قالوا: رأينا في العالم خيراً وشراً، ولذة وألماً، وحياة وموتاً، وصحة وسقماً، وغنى وفقراً، وفاعل خير وفاعل شر، ويستحيل أن يكون الفاعل الواحد خيراً وشرّيراً معاً، فلا بد من فاعلين ليكون أحدهما فاعلاً (للخير والآخر للشر)[٤]، فرجع حاصل هذه القسمة إلى أن مدبر العالم لو كان واحداً فلم خصَّ هذا بالحياة والصحة والغنى، وخصَّ هذا بالموت والألم والفقر. فيرجع حاصلة إلى طلب اللمية. لا جرم أنه تعالى بعد أن ذكر الدليل على التوحيد ذكر ما هو النكتة الأصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك، لأن الترتيب الجيد في المناظرة أن يبتدأ بذكر الدليل المثبت للمطلوب، ثم يذكر بعده الجواب عن شبهة الخصم.

قوله تعالى: «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» استعظام لكفرهم، وهو استفهام إنكار وتوبيخ[٥]. «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» إما من جهة العقل وإما من جهة النقل، واعلم أنه تعالى لما ذكر دليل التوحيد أولاً، وقرر الأصل الذي عليه تخرج شبهات القائلين بالتثنية أخذ يطالبهم بدليل شبهتهم. قوله: «هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ» العامة على إضافة «ذِكْرُ» إلى «مَنْ» أضاف المصدر إلى مفعوله كقوله تعالى «بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ»[٦]. وقرىء «ذِكْرٌ» بالتنوين فيهما و «مَنْ» مفتوحة الميم[٧]. نوّن المصدر ونصب به المفعول (كقوله تعالى)[٨] «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً»[٩]. وقرأ يحيى بن يعمر «ذِكْرٌ» بتنوينهما[١٠] و «مِنْ» بكسر الميم[١١]، وفيه تأويلان:

---

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٥.

(٢) كل: سقط من ب. (٣) تعالى: سقط من الأصل.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) «أم» هنا مثل «أم» في قوله تعالى: **﴿أم اتّخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾** [الأنبياء: ٢١] وقد تقدم الكلام فيها. فإن «أم» هنا المنقطعة ومعناه الإضراب الذي يتضمن استفهاماً إنكاريا.
والإضراب هنا للانتقال من غرض إلى غرض، فإنه لما ذكر دليل التوحيد أولاً، وقرر الأصل الذي عليه تخرج شبهات القائلين بالتثنية أخذ يطالبهم بدليل شبهتهم.

(٦) من قوله تعالى: **﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾** [من سورة ص: ٤٢] فهو مصدر مضاف إلي المفعول به. البحر المحيط ٦/٣٠٦.

(٧) البحر المحيط ٦/٣٠٦. (٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) [البلد: ١٤، ١٥] هذا على مذهب البصريين في إعمال المصدر المنون، وأنكره الكوفيون، وقالوا: إن وقع بعده مرفوع أو منصوب فبإضمار فعل يفسره المصدر. انظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن: (٩١)، البحر المحيط ٦/٣٠٦، الهمع ٢/٩٣.

(١٠) في الأصل: بتنوينها. وهو تحريف. (١١) المختصر: (٩١)، المحتسب ٢/ ٦١، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

أحدهما: أن ثم موصوفاً محذوفاً قامت صفته وهي الظرف مقامه، والتقدير: هذا ذكر من كتاب معي ومن كتاب قبلي[١].

والثاني: أن «مَعِيَ» بمعنى عندي[٢]. ودخول «من» على «مع» في الجملة نادر، لأنها ظرف لا يتصرف[٣].

وقد ضعف أبو حاتم[٤] هذه القراءة، ولم ير لدخول «من» على «مع» وجهاً[٥]. ووجهه بعضهم بأنه اسم هو ظرف نحو (قبل وبعد) فكما تدخل (من) على أخواته كذلك تدخل عليه[٦]. وقرأ طلحة: «ذِكْرٌ مَعِي وذِكْرٌ قَبْلِي» بتنوينهما دون (من) فيهما[٧]. وقرأ طائفة «ذِكْرُ مَنْ» بالإضافة لـ «من» كالعامة «وذِكْرٌ مِن قَبْلِي» بتنوينه وكسر ميم[٨] «من»[٩] ووجهها[١٠] واضح مما تقدم[١١].

فصل

قال ابن عباس «هذا ذكر من معي» أي: هو الكتاب المنزل على من معي، «وهذا ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي»[١٢] أي: الكتاب الذي نزل على من تقدمني من الأنبياء وهذه التوراة والإنجيل والزبور والصحف. وليس في شيء منها أني أذنت بأن تتخذوا إلٰهاً من دوني بل

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٥.

(٢) انظر المحتسب ٢/ ٦١، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

(٣) من الظروف التي لا تتصرف (مع)، وهي اسم لمكان الاجتماع أو وقته تقول: زيد مع عمرو، وجئت مع العصر، وهي اسم معرب ملازم للإضافة لا ينفك عنها إلا مستعملاً حالاً بمعنى جميع كقول الشاعر:

بكت عيني اليسرى فلمّا زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

ويدل على اسميتها تنوينها في قولك: معاً، ودخول (من) عليها، حكى سيبويه: ذهب من معه، وقراءة يحيى بن يعمر لهذه الآية. والمشهور فيها فتح العين، وهو فتح إعراب، وربيعة وغنم تسكين عينها إذا وليها متحرك نحو زيد مع عمرو، وكقول جرير:

وريشي منكم وهواي معكم ... وإن كانت زيارتكم لماما

وزعم سيبويه أن تسكين العين ضرورة. واسميتها حين السكون باقية خلافاً لمن زعم حَرْفِيَتها حين ذلك، وادعى النحاس الإجماع عليه، وهو غير صحيح. ونقل فيها فتح عينها وكسرها إذا وليها ساكن نحو مع القوم. انظر الكتاب ٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، شرح الأشموني ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥. الهمع ١/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني، كان إماماً في علوم القرآن واللغة والشعر قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وغيرهم، وعنه ابن دريد وغيره، صنف إعراب القرآن، لحن العامة، القراءات، الوحوش وغير ذلك مات سنة ٢٥٥هـ بغية الوعاة ١/ ٦٠٦ ـ ٧٠٧.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

(٦) هذا التوجيه لأبي حيان، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

(٧) المختصر (٩١)، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

(٨) ميم: سقط من ب.

(٩) البحر المحيط ٦/ ٣٠٦.

(١٠) في ب: ثم من وجهها. وهو تحريف.

(١١) من توجيه قراءة يحيى بن يعمر.

(١٢) في ب: قبل وهو تحريف.

ليس فيها إلا أنني أنا الله لا إله إلا أنا[١] كما قال بعد هذا: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ[٢] قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ[٣] إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ»[٤]. وهذا اختيار القفال والزجاج[٥].

وقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي: معناه: القرآن ذكر من معي فيه خبر من معي على ديني، ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، وذكر خبر من قبلي من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة[٦]. وقال القفال: المعنى: قل لهم: هذا الكتاب الذي جئتكم به قد اشتمل على أحوال من معي من المخالفين والموافقين، وعلى بيان أحوال من قبلي من المخالفين والموافقين، فاختاروا لأنفسكم، فكأن الغرض منه التهديد[٧]. ثم قال: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ» لما طالبهم بالدلالة على ما ادعوه، وبين أنه لا دليل لهم البتة لا من جهة العقل ولا من جهة السمع، ذكر بعده أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم إليه بل لأن عندهم أصل الشر والفساد وهو عدم العلم والإعراض عن استماع الحق[٨].

العامة على نصب «الحَقَّ» وفيه وجهان:

أظهرهما: أنه مفعول به بالفعل قبله[٩].

والثاني: أنه مصدر مؤكد. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون المنصوب أيضاً على التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل[١٠] فأكد انتقاء العلم. وقرأ الحسن وابن محيصن وحميد برفع «الحَقُّ»[١١] وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ والخبر مضمر[١٢].

والثاني: أنه خبر لمبتدأ مضمر[١٣].

قال الزمخشري: وقرىء «الحَقُّ» بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل[١٤].

---

(١) قال تعالى: **﴿إنّني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصّلاة لذكري﴾** [طه: ١٤].

(٢) من: سقط من ب. (٣) أنه لا إله: سقط من ب.

(٤) [الأنبياء: ٢٥].

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٨٩، الفخر الرازي ٢٢/١٥٨.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٥٨. (٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/٨٣، البيان ٢/ ١٦٠، التبيان ٢/ ٩١٥،البحر المحيط ٦/٣٠٦.

(١٠) الكشاف ٣/٨.

(١١) المختصر: (٩١). والمحتسب: ٢/٦١، البحر المحيط ٦/٣٠٦.

(١٢) قاله صاحب اللوامح. انظر البحر المحيط ٦/٣٠٦.

(١٣) والتقدير: هو الحق أو هذا الحق.

انظر مشكل إعراب القرآن ٢/٨٣، المحتسب ٢/٦١، البيان ٢/ ١٦٠، البحر المحيط ٦/٣٠٦.

(١٤) الكشاف ٣/٨.

قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ» الآية. اعلم أن هذه الآية مقررة لما سبقها من آيات التوحيد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «نُوحِي» بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله: «أَرْسَلْنَا» وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ﴾ الآية.

لما بيَّن بالدلائل القاهرة كونه منزهاً عن الشريك والضد والند أردف ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد[٢]. قال[٣] المفسرون: نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقالوا: إنه تعالى صاهر الجن على ما حكى الله تعالى عنهم فقال: «وَجَعَلوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً»[٤][٥]. ثم إنه تعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله: «سبحانه»، لأن الولد لا بد وأن يكون شبيهاً بالوالد[٦]، فلو كان لله ما يشبهه من بعض الوجوه فلا بد وأن يخالفه من وجه آخر، وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيقع التركيب في ذات الله تعالى، وكل مركب ممكن، فاتخاذه للولد يدل على كونه ممكناً غير واجب، وذلك يخرجه عن حد الإلهية ويدخله في حد العبودية، فلذلك نزه نفسه[٧]. قوله: «بَلْ عِبَادٌ» «عِبَاد» خبر مبتدأ مضمر، أي هم عباد[٨]، و «مُكْرَمُونَ»[٩] في قراءة العامة مخفف، وقراءة عكرمة مشدد[١٠] و «لا يَسْبِقُونَهُ» جملة في محل رفع صفة لـ «عباد»[١١] والعامة على كسر الباء في «يَسْبِقُونَهُ» وقرىء بضمها[١٢] وخرجت على أنه مضارع سَبَقَهُ، أي: غلبه في السبق، يقال: سابقه فَسَبَقَه يَسْبُقُه أي: غلبه في السبق، ومضارع فعل في المغالبة مضموم العين مطلقاً إلا في يائيّ[١٣] العين أو لامه[١٤] والمراد لا يسبقونه بقوله، فعوض الألف واللام عن

(١) السبعة (٤٢٨)، الكشف ٢/ ١٤ ـ ١٥، الإتحاف ٣٠٩.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٩.
(٣) في الأصل: قالت.
(٤) من قوله تعالى: **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾**[الصافات: ١٥٨].
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٩.
(٦) في الأصل: بالولد. وهو تحريف.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٩.
(٨) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣، البيان ٢/ ١٦٠، التبيان ٢/ ٩١٦.
(٩) في ب: ومكرموني. وهو تحريف.
(١٠) المختصر: (٩١) البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩١٦.
(١٢) انظر المختصر (٩١)، الكشاف ٣/ ٩، البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.
(١٣) في الأصل: ثاني. وهو تحريف.
(١٤) وذلك أن مضارع (فعل) بفتح العين في باب المغالبة يكون على (يفعل) بضم العين، ومعنى المغالبة أن=

الضمير[١] عند الكوفيين[٢]، والضمير محذوف عند البصريين أي: بالقول منه[٣].

فصل

لما نزه تعالى نفسه أخبر عنهم بأنهم عباد، والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مفضلون على[٤] سائر العباد لا يسبق قولهم قوله، وإن[٥] كان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً مبني على أمره[٦] لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به[٧] ثم إنه تعالى ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم» والمعنى أنهم لما علموا كونه سبحانه عالماً بجميع المعلومات علموا كونه عالماً بظواهرهم وبواطنهم، فكان ذلك داعياً لهم إلى نهاية الخضوع وكمال العبودية[٨]. قال ابن عباس[٩]: يعلم ما قدموا وأخروا من أعمالهم. وقال مقاتل: يعلم ما كان قبل أن يخلقهم، وما يكون بعد خلقهم.

وقيل: «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» الآخرة، «وَمَا خَلْفَهُمْ» الدنيا. وقيل بالعكس[١٠] ثم قال: «ولا يشفعون إلا لِمن ارتضى» أي لمن هو عند الله مرضي. قاله مجاهد[١١]، وقال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله[١٢]. «وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ» أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى مفعوله. «مُشْفِقُونَ» خائفون لا يأمنون من مكره، ونظيره قوله تعالى «لا يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ»[١٣]. وروي[١٤] عن رسول الله ـ ﷺ ـ «أنه رأى جبريل

= تشارك غيرك في معنى فيظهر واحد منكما على الآخر ويستبد بالمعنى دونه، فينسبه إلى نفسه بصيغة ثلاثي مفتوح العين نحو كارمني فكرمته أكرمه. فإذا أردت الدلالة على أن اثنين تفاخرا في أمر، فغلب أحدهما الآخر فإنك تحول الفعل إلى باب نصر ينصر، سواء كان هذا الفعل من هذا الباب أصلاً كناصرته فنصرته فأنا أنصره، أم كان من غيره نحو ضاربني فضربته فأن أضربه وكارمني فكرمته فأن أكرمه.

إلا أن يكون المثال الواوي، كوعد، والأجوف والناقص اليائين كباع ورمى، فمضارعها بكسر العين. انظر شرح الشافية ١/ ٧٠ ـ ٧١.

(١) في النسختين: عن الضمة. والصواب ما أثبته.

(٢) وكذا قال الزمخشري: (والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة) الكشاف ٣/ ٩ وانظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.

(٤) في ب: عن.

(٥) في ب: وإذا.

(٦) في النسختين: عمله. والتصويب من الفخر الرازي.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٥٩.

(٨) المرجع السابق.

(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٠.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٠.

(١١) انظر البغوي ٥/ ٤٨٢.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) من قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرّحمن وقال صواباً﴾ [النبأ: ٣٨].

(١٤) في الأصل: روى.

ـ عليه السلام ـ ليلة المعراج ساقطاً كالحلس[١] من خشية الله»[٢].

قوله: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ».

قال قتادة: عني إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه فإن أحداً من الملائكة لم يقل إني إلٰهٌ من دون الله[٣].

والآية لا تدل على أنهم قالوا ذلك أو ما قالوه، وهذا قريب[٤] من قوله: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ»[٥] قوله: «فذلك نجزيه» يجوز في «ذلك» وجهان:

أحدهما: أنه مرفوع بالابتداء[٦]، وهذا وجه حسن.

والثاني: أنه منصوب بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر[٧]، والمسألة من باب الاشتغال، وفي هذا الوجه إضمار عامل مع الاستغناء عنه، فهو مرجوح[٨].

والفاء وما في حيزها في موضع جزم جواباً للشرط[٩].

و «كذلك» نعت لمصدر محذوف، أو حال من ضمير المصدر أي جزاء مثل ذلك الجزاء، أو نجزي[١٠] الجزاء حال كونه مثل ذلك[١١].

وقرأ العامة «نَجْزِيه» بفتح النون، وأبو عبد الرحمن المقرىء[١٢] بضمها[١٣]، ووجهها أنه من أجزأ بالهمز من أجزأني[١٤] كذا، أي: كفاني، ثم خففت الهمزة فانقلبت إلى الياء[١٥].

---

(١) في الأصل: كالجالس. وفي ب: جالساً كالساقط.
(٢) انظر الفائق ١/ ٣٠٥، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١١٠) ويشبه به الذي لا يبرح منزله فيقال: هو حلس بيته.
(٣) انظر البغوي ٥/ ٤٨٢.
(٤) في الأصل: أقرب.
(٥) من قوله تعالى: **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾** [الزمر: ٦٥] وانظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٠.
(٦) والجملة بعده خبر التبيان ٢/ ٩١٦.
(٧) انظر التبيان ٢/ ٩١٦.
(٨) وأيضاً فالجملة خرجت من الاسمية إلى الفعلية، ولا يوجد سبب لاقتران جواب الشرط بالفاء.
(٩) وهو قوله: «ومن يقل منهم....» وانظر التبيان ٢/ ٩١٦.
(١٠) في ب: ونجزي.
(١١) وجوز أبو البقاء في «كذلك» أن يكون في موضع نصب بـ «نجزي» أي جزاء مثل ذلك التبيان ٢/ ٩١٦. ولو نظرنا إلى تقدير أبي البقاء لوجدناه يقصد أنه نعت لمصدر محذوف.
(١٢) هو عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن القرشي المقرىء البصري ثم الكوفي إمام كبير في الحديث، ومشهور في القراءات، روى الحروف عن نافع، روى عنه ابنه محمد شيخ أبي بكر الأصبهاني، مات سنة ٣٢٢هـ طبقات القراء ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(١٣) المحتسب ٢/ ٦١، البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.
(١٤) في ب: أجزأ في. وهو تحريف.
(١٥) وقد وجه ابن جني هذه القراءة بأنه يقال: أجزأني الشيء أي كفاني، فكأنه في الأصل نجزىء به=

فصل (١)

احتجت المعتزلة بقوله: «وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ» على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يقال في أهل الكبائر: إن الله يرتضيهم.

والجواب: قول ابن عباس والضحاك: أن معنى «إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ» أي لمن قال: لا إله إلا الله. وهذه الآية من أقوى الدلائل في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، وهو أن من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه الله في ذلك، ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله في ذلك (فقد صدق عليه أنه ارتضاه الله)(٢) لأن المركب متى صدق عليه أنه ارتضاه فقد صدق لا محالة كل واحد من أجزائه، وإذا ثبت أن الله سبحانه قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآية، فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا على ما قرره ابن عباس.

فصل (٣)

دلَّت الآية على أن الملائكة مكلفون لقوله: «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»، وعلى(٤) أن الملائكة معصومون. قوله: «كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» قال القاضي عبد الجبار: هذا يدل على أن كل ظالم يجزيه الله جهنم، كما توعد الملائكة به، وذلك يوجب القطع بأنه تعالى لا يغفر الكبائر في الآخرة. وأجيب بأن أقصى(٥) ما فيه أن هذا العموم مشعر بالوعيد، وهو معارض بعمومات الوعد.

والمراد بـ «الظَّالِمِينَ» الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الآيات. اعلم أنه تعالى شرع الآن في الدلائل الدالة على وجود الصانع، وعلى كونه منزهاً عن الشريك، وعلى التوحيد، فتكون

= جهنم، أي نكفيها به، ثم حذف حرف الجر فصار نجزئه جهنم، أي نطعمه جهنم، كما حذف حرف الجر في قوله تعالى: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا﴾** [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه، ثم أبدلت الهمزة من «نجزئه» ياء على حد أخطيت وإبدال الهمزة هنا ياء لغير علة إلا طلباً للتخفيف. انظر المحتسب ٢/ ٦٢، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٣٩، وانظر أيضاً البحر المحيط ٦/ ٣٠٧.

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٠.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٤) في ب: على. (٥) في ب: أقضى.

كالتوكيد لما تقدم، لأنها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم، ووجود إلهين يقتضي وقوع الفساد. وفيها رَدٌّ على عبدة الأوثان من حيث إن الإله القادر على مثل هذه المخلوقات العظيمة، كيف يجوز في العقل أن يعدل عن عبادته إلى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع؟ فهذا وجه النظم(١). قرأ ابن كثير «أَلَمْ يَرَ» من غير واو، والباقون بالواو(٢). ونظير حذف الواو(٣) وإثباتها هنا ما تقدم في البقرة وآل عمران في قوله: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً»(٤) «سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ»(٥)، وقد تقدم حكمه، وإدخال الواو يدل على العطف على آخر تقدمه. والرؤية هنا يجوز أن تكون قلبية، وأن تكون بصرية. فـ «أَنَّ» وخبرها سادة مسد مفعولين عند الجمهور على الأول(٦)، ومسد واحد والثاني محذوف(٧) عند الأخفش(٨). وسادة مسد واحد فقط على الثاني(٩). فإن قيل: إن كان المراد بالرؤية البصرية فمشكل(١٠)، لأن القوم ما رأوهم كذلك ألبتة، ولقوله تعالى: «مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمٰوٰتِ والأَرْضِ»(١١). وإن كان المراد بالرؤية العلم(١٢) فمشكل، لأن الأجسام قابلة للفتق والرتق(١٣) في أنفسها فالحكم عليها بالرتق أولاً وبالفتق ثانياً لا

---

(١) في تعلق هذه الآية بما قبلها. وانظر الفخر الرازي ٢٢/١٦١ بتصرف يسير.

(٢) السبعة ٤٢٨، الكشف ٢/١١٠، النشر ٢/٣٢٣، الإتحاف ٣١٠.

(٣) [البقرة: ١١٦]

(٤) من قوله تعالى: **﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾** [البقرة: ١١٦] وذكر هنا: قرأ الجمهور «وقالوا» بالواو عطفاً لهذه الجملة الخبرية على ما قبلها، وهو أحسن في الربط، وقرأ ابن عامر بغير واو، وكذلك هي في مصاحف الشام، وتحتمل وجهين: أحدهما: الاستئناف، والثاني: حذف حرف العطف، وهو مراد، واستغني عنه بربط الضمير قبل هذه الجملة. انظر اللباب ١/٢٥٤.

(٥) [سورة آل عمران: ١٣٣] وذكر هناك: قرأ نافع وابن عامر «سارعوا» دون واو، وكذلك هي في مصاحف المدينة، والشام، والباقون بواو العطف، وكذلك هي في مصاحف مكة والعراق ومصحف عثمان، فمن أسقطها استأنف الأمر بذلك أو أراد العطف لكنه حذف العاطف لقرب كل واحد منهما من الآخر فإن قوله: «سارعوا» وقوله: «اطيعوا» كالشيء الواحد. ومن أثبت الواو عطف جملة أمرية على مثله، وبعد اتباع الأثر في التلاوة اتبع كل رسم مصحفه انظر اللباب ١/١١٠.

(٦) في ب: وعلى الا. وهو تحريف.

(٧) محذوف: سقط من ب.

(٨) وذلك لأن (أنّ) المشددة ومعمولاها تسد مسد المفعولين في باب ظن وأخواتها عند الجمهور، وذهب الأخفش إلى أنها ومعموليها سادة مسد واحد والثاني محذوف. انظر الهمع ١/١٥١ ـ ١٥٢.

(٩) أي على أن الرؤية بصرية.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٢.

(١١) من قوله تعالى: **﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾** [الكهف: ٥١].

(١٢) في الأصل: بالعلم.

(١٣) الرتق: ضد الفتق، وهو إلحام الفتق وإصلاحه، رتقه يرتقه ويرتقه رتقاً فارتتق أي التأم. اللسان (رتق). الفتق: خلاف الرتق فتقه يفتقه ويفتقه فتقاً شقه. اللسان (فتق).

سبيل إليه إلا بالسمع والمناظرة مع الكفار[١] المنكرين للرسالة، فكيف يجوز مثل[٢] هذا الاستدلال؟

فالجواب: المراد[٣] من الرؤية العلم، وما ذكروه من السؤال فدفعه من وجوه:

أحدها: أنا نثبت نبوة محمد ـ عليه السلام[٤] ـ بسائر المعجزات، ثم نستدل بقوله، ثم نجعله دليلاً على حصول النظام في العالم، وانتفاء الفساد عنه، وذلك يؤكد[٥] الدلالة المذكورة في التوحيد.

وثانيها: أن يحمل الرتق والفتق على إمكان الرتق والفتق، والعقل يدل عليه لأن الأجسام يصح عليها الاجتماع والافتراق فاختصاصها بالاجتماع دون الافتراق أو بالعكس يستدعي مخصصاً.

وثالثها: أن اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك، فإنه جاء في التوراة أن الله تعالى خلق جوهرة، ثم نظر إليها بعين إلٰهية، فصارت ماء، ثم خلق السموات والأرض منها، وفتق بينهما، وكان بين اليهود وعبدة الأوثان نوع صداقة بسبب الاشتراك في عداوة[٦] محمد ـ ﷺ[٧] ـ، فاحتج الله عليهم بهذه الحجة على أنهم يقبلون قول اليهود في ذلك[٨].

قوله: «كَانَتَا» الضمير يعود على «السَّمٰواتِ والأَرضِ» بلفظ التثنية والمتقدم جمع وفي ذلك أوجه:

أحدها: ما ذكره الزمخشري فقال: وإنما قال «كَانَتَا» دون كُنَّ، لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرضين، ومنه قولهم: لقاحان[٩] سوداوان، أي: جماعتان، فعل في المضمر ما فعل في المظهر[١٠].

الثاني: قال أبو البقاء: الضمير يعود على الجنسين[١١].

الثالث: قال الحوفي: «كَانَتَا رَتْقاً»، و «السَّمٰواتِ» جمع، لأنه أراد الصنفين. قال الأسود بن يعفر[١٢]:

---

(١) مع الكفار: سقط من الأصل.
(٢) مثل: سقط من ب.
(٣) المراد: سقط من الأصل.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) في ب: مؤكد.
(٦) في الأصل: بعداوة.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٢.
(٩) اللقاح: ذوات الألبان من النوق. ولقاحان تثنيته: لقاح، ولقاح: جمع لقحة وثني الجمع لأنهم قصدوا الجماعة.
(١٠) الكشاف ٣/٩.
(١١) التبيان ٢/٩١٦.
(١٢) بن يعفر: سقط من ب. وهو الأسود بن يعفر النهشلي شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية شرح شواهد المغني ٢/٥٥٣، الخزانة ١/٤٠٥ ـ ٤٠٦.

٣٧٠٩ ـ إنَّ المَنيَّةَ والحُتُوفَ كِلاهُمَا   يُوفِي[١] المخَارِمَ[٢] يَرْقُبَان سَوَادِي[٣]

لأنه أراد النوعين[٤]. وتبعه ابن عطية[٥] في هذا فقال: وقال: «كَانَتَا» من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شُيَيْم[٦]:

٣٧١٠ ـ أَلَمْ يَحْزُنْكَ أن حِبَالَ قَيسٍ   وتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعَا[٧]

قال الأخفش: «السَّمٰوات» نوع، والأرض نوع، ومثله: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولا»[٨][٩]. ومن ذلك: أصلحنا بين القومين، ومرت بنا غنمان أسودان، لأن هذا القطيع غنم، وذاك غنم[١٠]. و «رَتْقاً» خبر، ولم يثن لأنه في الأصل مصدر، ثم لك أن تجعله قائماً مقام المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق[١١] أو تجعله على حذف مضاف أي: ذواتي رتق[١٢]. وهذه قراءة الجمهور[١٣]. وقرأ الحسن وزيد بن علي وأبو حيوة وعيسى «رَتَقاً» بفتح التاء[١٤] وفيه وجهان:

---

(١) في ب: لو في. وهو تحريف.   (٢) في ب: المحارم. وهو تصحيف.

(٣) البيت من بحر الكامل، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٦٣، والمغني ١/ ٢٠٤. والبحر المحيط ٦/ ٣٠٨، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٣.
المنية: الموت، الحتوف: جمع الحتف وهو الموت بلا ضرب ولا قتل وقيل: فجأة.
المخارم: جمع المخرم وهو منقطع أنف الجبل. والشاهد فيه أنه جعل (المنية، والحتوف) نوعين فأخبر عنهما بالمثنى مع أن (الحتوف) جمع.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٨.

(٥) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٤٢.

(٦) هو عمير بن شييم التغلبي وهو المعروف بالقطامي، كان نصرانياً فأسلم، وهو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام. الخزانة ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٧) البيت من بحر الوافر قاله القطامي وهو في ديوانه (٤٠) مجاز القرآن ٢/ ٣٧ تفسير ابن عطية ١٠/ ١٤٢ القرطبي ١٣/ ٦٣، البحر المحيط ٦/ ٣٠٨ والمراد بالحبال في البيت ما بين قيس وتغلب من علاقات وعهود. تباينت: تفرقت واختلفت أي انقطعت الصلات بينهما. والشاهد أن الشاعر قال: تباينتا بلفظ التثنية مع أن (حبال) جمع، فكان الظاهر أن يقول: تباينت انقطاعاً وأن يراعي الجمع في الحبال، ولكنه راعى أنهما نوعان حبال لقيس وحبال لتغلب تفسير ابن عطية ١٠/ ١٤٢.

(٨) [سورة فاطر: ٤١].

(٩) قال الأخفش: قال: «كانتا» لأنه جعلهما صنفين كنحو قول العرب: هما لقاحان سودان. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿**إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا**﴾ معاني القرآن ٢/ ٦٣٤.

(١٠) أي: أن جمع التكسير ـ غير صيغة منتهى الجموع ـ واسم الجمع واسم الجنس قد ثني أحياناً نحو جمالين، وركبين في تثنية جمال وركب بقصد الدلالة في التثنية على التنويع، ووجود مجموعتين متميزتين في شيء ما، على تأويل الجماعتين والفرقتين انظر ابن يعيش ٤/ ١٥٣ ـ ١٥٥، الهمع ١/ ٤٢، وانظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٢.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٩١٦.   (١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣، البيان ٢/ ١٦٠.

(١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.

(١٤) المختصر (٩١)، والمحتسب ٢/ ٦٢، والبحر المحيط ٦/ ٣٠٩.

أحدهما: أنه مصدر أيضاً، ففيه الوجهان المتقدمان في الساكن التاء[١].

والثاني: أنه فعل بمعنى مفعول كالقَبض والنَّفَض[٢] بمعنى المقبوض والمنفوض، وعلى هذا فكان ينبغي أن يطابق مخبره في التثنية. وأجاب الزمخشري عن ذلك فقال: هو على تقدير موصوف، أي: كانتا شيئاً رتقاً[٣].

وقال المفضل[٤]: لم يقل: كانتا رتقين كقوله: «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ»[٥] وحّد «جسداً» كذلك ما نحن فيه كل واحد رتق[٦].

ورجح بعضهم[٧] المصدرية بعدم المطابقة في[٨] التثنية، وقد عرف جوابه[٩] وله أن يقول: الأصل عدم حذف الموصوف، فلا يصار إليه دون ضرورة والرتق: الانضمام، ارتتق حلقه أي: انضم، وامرأة رتقاء أي: منسدة الفرج فلم يمكن جماعها من ذلك. والفتق: فصل ذلك المرتتق. وهو من أحسن البديع هنا حيث قابل الرتق بالفتق[١٠].

فصل

قال ابن عبَّاس[١١] في رواية عكرمة والحسن وقتادة وسعيد بن جبير: كانتا شيئاً واحداً ملتزمين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء، لأنه تعالى لما فصل بينهما جعل الأرض حيث هي، وأصعد الأجزاء السماوية. قال كعب: خلق الله السموات والأرض ملتصقتين، ثم خلق ريحاً توسطتهما ففتقتهما. وقال مجاهد والسدي: كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة

---

(١) وهما أن تجعله قائماً مقام المفعول. أو تجعله على حذف مضاف أي ذواتي رتق.

(٢) النفض بالتحريك: ما تساقط من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض. اللسان (نفض).

(٣) الكشاف ٣/ ٩.

(٤) في الأصل: وقال المفضل اللام.

(٥) [الأنبياء: ٨] أي أنه مفرد في موضع الجمع والمضاف محذوف. انظر التبيان ٢/ ٩١٢.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٢.

(٧) وهو أبو الفضل الرازي حيث قال: (الأكثر في هذا الباب أن يكون المتحرك منه اسماً بمعنى المفعول، والساكن مصدراً، وقد يكونان مصدرين لكن المتحرك أولى بأن يكون في معنى المفعول، لكن هنا الأولى أن يكونا مصدرين، فأقيم كل واحد منهما مقام المفعولين ألا ترى أنه قال: «كانتا رتقاً» فلو جعلت أحدهما اسماً لوجب أن تثنيه، فلما قال: «رتقاً» كان في الوجهين كرجل عدل، ورجلين عدل، وقوم عدل) البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.

(٨) في ب: و. وهو تحريف.

(٩) وهو جواب الزمخشري المتقدم، وهو على تقدير موصوف.

(١٠) وهي ما يسمى بالطباق، وهو الجمع بين المتضادين، أي: معنيين متقابلين في الجملة الإيضاح (٣٤٨).

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣.

ففتقها فجعلها سبع أرضين. وقال ابن عباس في رواية عطاء وأكثر المفسرين: إن السموات كانت رتقاً مستوية صلبة لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، ونظيره قوله تعالى: «والسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ والأَرْض ذَاتِ الصَّدْعِ»[١]. ورجحوا هذا الوجه بقوله بعد ذلك: «وَجَعَلْنَا مِن المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»، وذلك لا يلَيق إلا وللماء تعلق بما تقدم، وهو ما ذكرنا فإن قيل: هذا الوجه مرجوح، لأن المطر لا ينزل من السموات بل من سماء واحدة، وهي سماء الدنيا.

فالجواب: إنما أطلق عليه لفظ الجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق[٢]، وبُرْمَة أَعْشَار[٣]. وعلى هذا التأويل فتحمل الرؤية على الإبصار. وقال أبو مسلم: يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد والإظهار كقوله: «فَاطِرِ السَّمَوات والأَرْضِ»[٤]، وكقوله: «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهنَّ»[٥] فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق.

وتحقيقه أن العدم نفي محض، فليس فيه ذوات وأعيان متباينة بل كأنه أمر واحد متصل متشابه، فإذا وجدت الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميز بعضها من بعض، وينفصل بعضها عن بعض.

فبهذا الطريق يحسن جعل الرتق مجازاً عن العدم، والفتق عن الوجود.

وقيل: إن الليل سابق النهار لقوله: «وَآيَةٌ لَهُم اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ»[٦] فكانت[٧] السموات والأرض مظلمة أولاً ففتقها الله بإظهار النهار المبصر[٨]. واعلم أن دلالة هذه

---

(١) [الطارق: ١١، ١٢].
(٢) أخلاق جمع خلق أي: بال، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلوقة فيه كله، كما قالوا: برمة أعشار. اللسان (خلق).
(٣) البرمة: قدر من حجارة، والجمع بُرَم، وبرام، وبُرَم. (اللسان «برم») وأعشار جمع العشر أي مكسرة على عشر قطع، (اللسان «عشر»).
(٤) قوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ ورد في القرآن ست مرات أولها [الأنعام: ١٤] وآخرها [الشورى: ١١] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٥٢٣).
(٥) [الأنبياء: ٥٦]. (٦) [سورة يس: ٣٧]
(٧) في الأصل: كانت.
(٨) وابن الخطيب عند ترجيحه لهذه الأقوال ذكر: أن الظاهر يقتضي أن السماء على ما هي عليه، والأرض على ما هي عليه كانتا رتقاً، ولا يجوز كونهما كذلك إلا وهما موجودان، والرتق ضد الفتق، فإذا كان الفتق هو المفارقة فالرتق يجب أن يكون هو الملازمة وبهذا الطريق صار قول أبي مسلم وما بعده مرجوحاً ويصير قول ابن عباس في رواية عكرمة والحسن وقتادة وسعيد بن جبير أولى الوجوه. ويتلوه قول مجاهد والسدي، وهو أن كل واحد منهما كان رتقاً ففتقهما بأن جعل كل واحد منهما سبعاً، ويتلوه قول ابن عباس في رواية عطاء وأكثر المفسرين وهو أنهما كان صلبين من غير فطور وفرج، ففتقهما لينزل المطر من السماء، ويظهر النبات على الأرض. انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٣.

الوجوه على إثبات الصانع ووحدانيته ظاهرة لأن أحداً لا يقدر على مثل ذلك[١]. قوله: «وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ» يجوز في «جَعَلَ» هذه أن يكون بمعنى (خَلَقَ) فيتعدى لواحد، وهو «كُلَّ شيءٍ حَيٍّ»[٢] و «من الماء» متعلق بالفعل قبله، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «كُلَّ شَيءٍ» لأنه في الأصل يجوز أن يكون وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال[٣]. ومعنى خلقه من الماء: أحد شيئين: إما شدة احتياج كل حيوان للماء فلا يعيش بدونه، وإما لأنه مخلوق من النطفة التي تسمى ماء. ويجوز أن يكون (جَعَلَ) بمعنى (صَيَّر) فيتعدى لاثنين ثانيهما الجار[٤] بمعنى أنا صيرنا كل شيء حي بسبب[٥] من الماء لا بد له منه. والعامة على خفض «حَيٍّ» صفة لشيء[٦]. وقرأ حميد بنصبه[٧] على أنه مفعول ثان لـ «جعلنا» والظرف لغو[٨]،ويبعد على هذه القراءة أن يكون «جَعَلَ» بمعنى (خلق)، وأن ينتصب[٩] «حياً» على الحال.

قال الزمخشري: وَ «مِنْ» في هذا نحو «مِنْ» في قوله عليه السلام[١٠] «ما أنا مِنْ دَدٍ وَلاَ الدَّدُ مِنِّي»[١١][١٢].

فإن قيل: كيف قال: خلقنا من الماء كل حيوان، وقد قال: «وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُوم»[١٣]، وقال عليه السلام[١٤]: «إن الله تعالى خلق الملائكة من النور»[١٥]، وقال في عيسى: «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيْرِ بإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فتكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي»[١٦]، وقال في حق آدم: «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ»[١٧] فالجواب: اللفظ وإن كان عاماً

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) انظر التبيان ٢/ ٩١٦.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٩١٧.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣، التبيان ٢/ ٩١٧.

(٥) في ب: لسبب.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٩، والإتحاف ٣١٠.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.

(٨) أي أن (جعل) على هذه القراءة يكون بمعنى (صير)، وجوز أبو البقاء أن يكون «حياً» بالنصب صفة لـ «كل». وانظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٤، الكشاف ٣/ ٩ ـ ١٠، التبيان ٢/ ٩١٧، البحر المحيط ٦/ ٣٠٩، والإتحاف ٣١٠.

(٩) في ب: تنصب.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) انظر النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٠٩، الفائق ١/ ٤٢٠، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف(١١٠)، والدد: اللهو واللعب.

(١٢) الكشاف: ٣/ ٩.

(١٣) [الحجر: ٢٧]

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٥) في صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» (زهد) ٤/ ٩٤، ٢٢ وأحمد ٦/ ١٥٨، ١٦٨.

(١٦) [المائدة: ١١٠] وفي النسختين: إذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فتكون طيراً بإذن الله. وهو تحريف.

(١٧) من قوله تعالى: ﴿**إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران: ٥٩].

إلا أن القرينة المخصصة قائمة، فإن الدليل لا بد وأن يكون مشاهداً محسوساً ليكون أقرب إلى المقصود، وبهذا الطريق تخرج عنه الملائكة والجن وآدم وقصة عيسى لأن[١] الكفار لم يروا شيئاً من ذلك[٢].

فصل

قال بعض المفسرين[٣]: المراد بقوله: «كُلَّ شيءٍ حيٍّ» الحيوان فقط. وقال آخرون: بل يدخل[٤] فيه النبات، لأنه من الماء صار نامياً، وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر. وهذا القول أليق بالمقصود، لأن المعنى كأنه قال: ففتقنا السماء لإنزال المطر وجعلنا منه كل شيء في الأرض من النبات وغيره حياً. فإن قيل: النبات لا يسمى حياً. فالجواب: لا نسلم، ويدل عليه قوله تعالى «كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»[٥]. ثم قال «أَفَلاَ يُؤْمِنُون» والمعنى أفلا يؤمنون بأن يتدبروا[٦] هذه الأدلة[٧] فيعملوا بها ويتركوا طريقة الشرك[٨].

قوله: «وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ» الرواسي الجبال، والراسي: هو الداخل في الأرض[٩]. قوله: «أنْ تَمِيدَ» مفعول من أجله، أي: أن لا تميد[١٠]، فحذفت «لا» لفهم المعنى كما زيدت في «لِئَلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ»[١١]، أو كراهة أن تميد[١٢] وقدره أبو البقاء فقال: مخافة أن تميد[١٣] وفيه نظر، لأنا إن جعلنا المخافة مسندة إلى[١٤] المخاطبين اختل شرط من شروط النصب في المفعول وهو اتحاد الفاعل[١٥]. وإن جعلناها مسندة لفاعل الجعل استحال ذلك، لأنه تعالى لا يسند إليه الخوف. وقد يقال يختار أن يسند المخافة إلى المخاطبين، وقولكم يختل شرط من شروط النصب جوابه: أنه ليس بمنصوب بل مجرور بحرف الجر[١٦] المقدر[١٧]، وحذف حرف الجر مطرد مع أنَّ وأنْ بشرطه[١٨].

---

(١) في الأصل: أن. وهو تحريف.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤.
(٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤.
(٤) في الأصل: يدخلون.
(٥) [الروم: ٥٠].
(٦) في الأصل: يتدبر.
(٧) في ب: الآية.
(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤، وفي ب: الشراك. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤.
(١٠) قاله الكوفيون. الكشاف ٣/ ١٠، القرطبي ١١/ ٢٨٥.
(١١) «الكتاب»: سقط من ب. [الحديد: ٢٩].
(١٢) قاله البصريون. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٠، القرطبي ١١/ ٢٨٥.
(١٣) التبيان ٢/ ٩١٧.
(١٤) إلى: سقط من ب.
(١٥) لأن من شروط النصب في المفعول له اتحاده بالمعلل به فاعلاً بأن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحد. انظر شرح التصريح ١/ ٣٣٥.
(١٦) في النسختين: العلة.
(١٧) كما قدره الكوفيون: لئلا. الكشاف ٣/ ١٠.
(١٨) شرط حذف الجار مع (أنّ، وأنْ) أمن اللبس، نحو قوله تعالى: ﴿**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم**﴾ =

فصل

قال ابن عباس: إن الأرض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها[١] الله بالجبال الثقال[٢]. قوله: «وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً» في «فِجَاجاً» وجهان:

أحدهما: أنه (مفعول به)[٣] و «سُبُلاً» بدل منه[٤].

والثاني: أنه منصوب على الحال من «سُبُلاً»[٥]، لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب كقوله:

٣٧١١ ـ لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ[٦]

ويدل على ذلك مجيئه صفة في قوله تعالى «لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً»[٧]

وقال الزمخشري: فإن قلت: في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كقوله تعالى: «لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً»[١١]، قلت: لم تقدم وهي صفة، ولكن جعلت حالاً كقوله:

٣٧١٢ ـ لعزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمُ[٨]

= [الأعراف: ٦٣، ٦٩]. وقوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] أي: من أن جاءكم، وبأنه فإن خيف اللبس امتنع الحذف كما في رغبت في أن تفعل أو عن أن تفعل، لإشكال المراد بعد الحذف. واطرد حذف حرف الجر مع (أنّ) و(أنْ) لطولهما بالصلة انظر المغني ٢/ ٦٤٠، الأشموني ٢/ ٩١ ـ ٩٢.

(١) في ب: وأرساها.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٩١٧.

(٥) المرجع السابق.

(٦) البيت من مجزوء الوافر لكثير، وهو في ديوانه ٢/ ٢١٠ والكتاب ٢/ ١٢٣، ومجالس العلماء ١٣١، ١٣٢، والخصائص ٢/ ٤٩٢. ابن يعيش ٢/ ٥٠ المغني ١/ ٨٥، وشذور الذهب ٢٤، ٢٥٣، المقاصد النحوية ٣/ ١٦٣ شرح التصريح ١/ ٣٧٥ وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤٩، شرح الأشموني ٢/ ١٧٤ والخزانة ٣/ ١١٢.

ميّة: اسم امرأة. الموحش: المنزل الذي صار قفراً لا أنيس به. الطلل: ما شخص من آثار الديار. خلل: جمع خلّة: وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره. والشاهد فيه نصب (موحشاً) على الحال، وكان أصله صفة لـ (طلل) فقدمت على الموصوف فصارت حالاً، وذلك لأن صفة النكرة إذا قدمت عليها صارت حالا.

(٧) [نوح: ٢٠].

(٨) صدر بيت من بحر الوافر قاله كثير، وعجزه: عفاه كل أسحم مستديم. وهو في ديوانه ٢/ ٢١٠، ابن يعيش ٢/ ٦٢ ـ ٦٤ وشرح التصريح ١/ ٣٧٥، الخزانة ٣/ ٢٠٩ عفاه: درسه وغيره. الأسحم: الأسود، والمراد هنا السحاب لأنه إذا كان ذا ماء يرى أسود لامتلائه. المستديم: صفة (كل) وهو السحاب الممطر مطر الديمة. والديمة: مطرة أقلها ثلث النهار أو ثلث الليل. والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.

فإن قلت: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ قُلْتُ: أحدهما: إعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة، والثاني: أنه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة[١]. قال أبو حيان: يعني بالإبهام أن الوصف لا يلزم أن يكون الموصوف متصفاً به حالة الإخبار عنه، وإن كان[٢] الأكثر قيامه به حالة الإخبار عنه، ألا ترى أنه يقال: مررت بوحشيّ القاتل حمزة، وحالة[٣] المرور لم يكن قائماً به قتل حمزة[٤]. والفَجُّ الطَّرِيقُ الوَاسِعُ، والجمع الفِجَاج[٥]. والضمير في «فيها» يجوز أن يعود على الأرض وهو الظاهر كقوله «واللَّهُ[٦] جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِسَاطاً لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً»[٧][٨]. وأن يعود على الرواسي[٩]، يعني أنه جعل في الجبال طرقاً واسعة وهو قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وعن ابن عمر قال: كانت الجبال منضمة فلما أغرق الله قوم نوح فرّقها فجاجاً وجعل فيها طرقاً[١٠]. وقوله «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أي لكي يهتدوا[١١] إذ الشك لا يجوز على الله[١٢]. والمعنى[١٣]: ليهتدوا إلى البلاد. وقيل: ليهتدوا إلى وحدانية الله بالاستدلال قالت المعتزلة: وهذا يدل على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين الاهتداء وقد تقدم.

وقيل: الاهتداء إلى البلاد والاهتداء إلى وحدانية الله تعالى يشتركان في أصل الاهتداء، فيحمل اللفظ على ذلك المشترك مستعملاً في مفهوميه[١٤] معاً[١٥]. قوله: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» سميت سقفاً، لأنها كالسقف للبيت، ومعنى «محفوظاً» أي: محفوظاً من الوقوع كقوله: «وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ»[١٦]. وقيل: محفوظاً من الشياطين[١٧].

قوله: «وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا»[١٨] جملة استئنافية، ويضعف جعلها[١٩] حالاً مقدرة. وقرأ مجاهد وحميد «عَنْ آيَتِهَا» بلفظ الإفراد[٢٠].

جعل الخلق آية وهي مشتملة على آيات، أو[٢١] أطلق الواحد وأراد به الجنس[٢٢]

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠
(٢) كان: سقط من ب.
(٣) في ب: وبحالة.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.
(٥) وفي اللسان (فجج): الفج: الطريق الواسع بين جبلين، وجمعه فجاج.
(٦) في الأصل: «الله»
(٧) [نوح: ١٩، ٢٠].
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥، البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.
(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٩.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٤.
(١١) في النسختين: لكي يهتدون.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥.
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥.
(١٤) في الأصل: مفهومين.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥.
(١٦) «على الأرض»: سقط من الأصل. [الحج: ٦٥].
(١٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥.
(١٨) في ب: آياتنا. وهو تحريف.
(١٩) في ب: حملها. وهو تحريف.
(٢٠) المختصر: (٩١)، البحر المحيط ٦/ ٣١٠.
(٢١) في ب: و. وهو تحريف.
(٢٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٠

والمعنى: أن الكفار معرضون عما خلق في السماء من الشمس والقمر والاستيضاء[١] بنوريهما، والنجوم والاهتداء بها، وحياة الأرض بأمطارها، وعن كونها آية بينة على وجود الصانع ووحدانيته لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها[٢]. قوله: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أي: كل منهما من الشمس والقمر أو منها أي من الليل والنهار والشمس والقمر. و «يَسْبَحُون» يجوز أن يكون خبر «كُلٌّ» على المعنى، و «في فَلَكٍ» متعلق به. ويجوز أن يكون حالاً والخبر «في فَلَكٍ»[٣]. وكون المضاف إليه يجوز أن يقدر بالأربعة الأشياء المذكورة ذكره أبو البقاء ولم يذكر غيره[٤]، إلا أن المضاف إليه (الشَّمْس[٥] والقَمَر) وهو الظاهر، لأن السباحة من صفتهما دون (اللَّيلِ والنَّهَارِ)، وعلى هذا فيعتذر عن الإتيان بضمير الجمع، وعن كونه جمع من يعقل، أما الأول فقيل: إنما جمع، لأن ثم معطوفاً محذوفاً تقديره: والنجوم كما دلت عليه آيات أخر، فصارت النجوم وإن لم تكن مذكورة يعود هذا الضمير إليها[٦].

وقال الزمخشري: الضمير للشمس والقمر، والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار[٧]. انتهى. والذي حسن ذلك كونه رأس آية[٨]. وقال أبو البقاء: و «يَسْبَحُونَ» خبر «كُلٌّ» على المعنى، لأن كل واحد إذا سبح فكلها تَسْبَح. وقيل[٩]: «يسبحون» على هذا الوجه حال، والخبر «في فَلَكٍ». وقيل: التقدير: وكلها، والخبر «يَسْبَحُونَ» وأتى بضمير الجمع على معنى «كل»[١٠].

وفي هذا الكلام نظر من حيث أنه لما جوز أن يكون المضاف إليه شيئين جعل الخبر الجار و «يَسْبَحُونَ» حالاً فراراً من عدم مطابقة الخبر للمبتدأ، فوقع في تخالف الحال[١١] وصاحبها.

وأما الثاني فلأنه لمَّا أسند إليها السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعها جمع

---

(١) في الأصل: ويستضاء.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٥.
(٣) انظر التبيان ٢/ ٩١٧.
(٤) قال أبو البقاء: (قوله تعالى: «كلٌّ» أي واحد منهما أو منها، ويعود إلى الليل والنهار والشمس والقمر) التبيان ٢/ ٩١٧.
(٥) في ب: والشمس.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٠.
(٧) الكشاف ٣/ ١٠.
(٨) قال الكسائي: (إنما قال: «يسبحون» لأنه رأس آية كما قال الله تعالى: ﴿**نحن جميع منتصر**﴾ [القمر: ٤٤] ولم يقل منتصرون) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٠، القرطبي ١١/ ٢٨٦
(٩) في الأصل: قيل.
(١٠) التبيان ٢/ ٩١٧.
(١١) الحال: سقط من ب.

العقلاء كقوله[١]: «رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»[٢] و «أَتَيْنَا طَائِعِينَ»[٣].

قال الزمخشري: والتنوين في «كل» عوض عن المضاف إليه أي: كلهم[٤]. «فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» وهذه الجملة يجوز أن تكون لا محل لها من الإعراب لاستئنافها[٥] ويجوز أن يكون محلها النصب على الحال من «الشَّمْسِ والقَمَرِ»[٦]. فإن قلنا: إن السباحة تنسب إلى الليل والنهار كما نقل عن أبي البقاء في أحد الوجهين[٧] فيكون حالاً من الجميع، وإن كان لا يصح نسبتها إليهما[٨] كانت حالاً من «الشَّمْسِ والقمر» وتأويل الجمع قد تقدم[٩]. قال أبو حيان: أو[١٠] محلها النصب على الحال من «الشمس والقمر» لأن الليل والنهار لا يتصفان بأنهما يجريان في فَلَكٍ فهو كقولك: رأيت هنداً وزيداً (متبرجة[١١])[١٢]. انتهى. وسبقه إلى هذا الزمخشري، يعني أنه قد دل على أن الحال من بعض ما تقدم كما في المثال المذكور، قال الزمخشري: فإن قُلْتَ: لكل واحد من القمرين فَلَكٌ[١٣] على حدة فكيف قال: «في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ». قُلْت: هذا كقولهم: كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً أي: كل واحد منهم[١٤]. والسباحة العوم في الماء، وقد يعبر به عن مطلق الذهاب وقد تقدم اشتقاقه في «سُبْحَانَكَ»[١٥].

ومعنى «يَسْبَحُونَ» يسيرون بسرعة كالسابح في الماء.

---

(١) في ب: لقوله تعالى.

(٢) من قوله تعالى: **﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾** [يوسف: ٤].

(٣) من قوله تعالى: **﴿ثمّ استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾** [فصلت: ١١]. أي أنه لما أخبر عنهما بفعل من يعقل فأجراه مجرى من يعقل، فجمع بالواو والنون، وانظر الكتاب ٢/ ٤٧، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٤، البيان ٢/ ١٦٠ التبيان ٢/ ٩١٢.

(٤) الكشاف ٣/ ١٠.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٠، البحر المحيط ٦/ ٣١٠.

(٦) المرجعان السابقان.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٩١٧.

(٨) في ب: اليها. وهو تحريف.

(٩) في نص الزمخشري السابق فإنه قال: (الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة...).

(١٠) في ب: و.

(١١) البحر المحيط ٦/ ٣١٠.

(١٢) ما بين القوسين في ب: مسرخة. وهو تحريف.

(١٣) في الأصل: فلكم. وهو تحريف.

(١٤) الكشاف ٣/ ١٠ ـ ١١.

(١٥) من قوله تعالى: **﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم﴾** [البقرة: ٣٢] وقوله: «سبحانك» ورد في القرآن تسع مرات أولها [البقرة] وآخرها [سبأ: ٤١] انظر اللباب ١/ ١١٠.

فصل

اعلم أن للكواكب[١] حركتين الأولى: مجمع عليها[٢] وهي حركتها من المشرق إلى المغرب. والحركة الثانية: قالت الفلاسفة وأصحاب[٣] الهيئة: إن للكواكب حركة أخرى من المغرب إلى المشرق، قالوا: وهي ظاهرة في السبعة السيارة خفية في الثابتة، واستدلوا بأنا وجدنا الكواكب السيارة كل ما كان منها أسرع حركة إذا قارن[٤] ما هو أبطأ حركة منه تقدمه نحو المشرق، وهذا[٥] في القمر ظاهر جداً، فإنه يظهر بعد الاجتماع بيوم أو يومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس، ثم يزداد كل ليلة بعداً منها إلى أن يقابلها وكل كوكب كان شرقياً منه على طريقه على ممر البروج يزداد كل ليلة قرباً منه، ثم إذا أدركه ستره بطرفه الشرقي، وينكشف ذلك الكوكب بطرفه الغربي. فعلمنا أن لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب إلى المشرق. وأجيبوا: بأن ذلك محال، لأن الشمس مثلاً إذا كانت متحركة بذاتها من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة، وهي متحركة بسبب الحركة اليومية من المشرق إلى المغرب لزم كون الجرم الواحد متحركاً حركتين[٦] إلى جهتين مختلفتين دفعة واحدة، وذلك محال، لأن التحرك إلى جهة يقتضي حصول المتحرك في الجهة المنتقل إليها، فلو تحرك[٧] الجسم الواحد دفعة واحدة إلى جهتين لزم حصوله دفعة واحدة في مكانين، وهو محال. قالوا: ما ذكرتموه ينتقض بما إذا دارت الرحى[٨] إلى جانب والنملة التي تكون عليها متحركة على خلاف ذلك الجانب[٩]. وللكلام في هذه المسألة مكان غير هذا.

فصل

والفَلَكُ مدار النجوم، والفَلَكُ في كلام العرب كل مستدير وجمعه أَفْلاَك، ومنه فلك المغزل[١٠]. قال الضحاك: الفلك ليس بجسم، وإنما هو مدار هذه النجوم[١١]. وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء[١٢]. وقال بعضهم: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه[١٣]. وقيل: ماء مجموع تجري فيه الكواكب[١٤]. واحتجوا

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٦. بتصرف يسير.
(٢) عليها: سقط من ب.
(٣) في الأصل: أصحاب.
(٤) في الأصل: فارق. وسقط من ب.
(٥) في الأصل: هذا.
(٦) في ب: حركة. وهو تحريف.
(٧) في ب: تحركت. وهو تحريف.
(٨) الرحى: الحجر العظيم، وهي التي يطحن بها. وتكتب بالألف وبالياء، لأنه يقال: رحوت بالرحا ورحيت بها. اللسان (رحا).
(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٦ بتصرف يسير.
(١٠) انظر البغوي ٥/٤٨٥
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٧.
(١٢) انظر البغوي ٥/٤٨٥.
(١٣) فيه: سقط من ب. وانظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٧.
(١٤) قاله الكلبي. انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٧.

بأن السباحة لا تكون إلا في الماء. وأجيبوا بالمنع، فإنه يقال في الفرس الذي يمدّ[١] يديه في الجري: سابح[٢].

وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل[٣].

وقال جمهور الفلاسفة وأصحاب الهيئة: الأفلاك أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق[٤] والالتئام والنمو والذبول[٥]. واختلف الناس[٦] في حركات الكواكب، فقال بعضهم: الفلك ساكن والكواكب تتحرك فيه كحركة السمكة[٧] في الماء، وقال آخرون: الفلك متحرك، والكواكب تتحرك فيه أيضاً إما مخالفاً لجهة حركته، أو موافقاً لجهته إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة.

وقيل: الفلك متحرك والكواكب مغروزة فيه. أما الأول فقالت الفلاسفة إنه باطل، لأنه[٨] يوجب خرق الفلك وهو محال.

وأما الثاني فحركة الكواكب إن كانت مخالفة لحركة الفلك فذلك أيضاً يوجب الخرق، وإن كانت حركتها إلى جهة حركة الفلك فإن كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق، وإن استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق أيضاً لازم، لأن الكوكب يتحرك بالعرض بسبب حركة الفلك فتبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق. فلم يبق إلا القسم الثالث، وهو أن يكون الكوكب مغروزاً في الفلك، والفلك يتحرك، فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك. واعلم أن مدار هذا الكلام على أن امتناع الخرق على الأفلاك باطل، بل الحق أن الأقسام الثلاثة ممكنة، والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي دل عليه لفظ القرآن أن الأفلاك ثابتة و[٩] الكواكب جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء[١٠].

فصل[١١]

احتج ابن سينا[١٢] على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله «يَسْبَحُونَ» قال: والجمع

---

(١) في ب: يمدين.
(٢) في الأصل: سابحاً. انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٧.
(٣) انظر البغوي ٥/ ٤٨٥.
(٤) في ب: الخرق.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٧.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٧ ـ ١٦٨.
(٧) في ب: السما. وهو تحريف.
(٨) في الأصل: كأنه. وهو تحريف.
(٩) في ب: في. وهو تحريف.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨.
(١١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٦٨.
(١٢) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات مات سنة ٤٢٨هـ. الأعلام ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٥٧ ـ ١٦٢.

بالواو والنون لا يكون إلا للعقلاء، وبقوله تعالى: «والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ»[١].

والجواب إنما أتى بضمير العقلاء للوصف بفعلهم[٢] وهو السباحة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ» الآية. لما استدل بالأشياء المذكورة، وهي من أصول النعم الدنيوية أتبعه بما يدل على أن هذه الدنيا أمرها كذلك لا يبقى ولا يدوم، وإنما خلقها سبحانه وتعالى للابتلاء والامتحان، وليتوصل بها إلى دار الخلود فقال: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ»[٣].

قال مقاتل: إن ناساً كانوا يقولون: إن محمداً لا يموت فنزلت هذه الآية[٤].

وقيل: كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون به في قولهم: نتربص بمحمد ريب المنون[٥]، فنفى الله عنه الشماتة بهذه الآية فقال: «أَفَإِنْ مِتَّ فَهُم الخَالِدُونَ» قضى الله تعالى[٦] أن لا يخلد في الدنيا بشراً لا أنت ولا هم، وفي هذا المعنى قول القائل:

٣٧١٣ ـ فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا[٧]

وقيل: يحتمل أنه لما أظهر أنه عليه السلام[٨] خاتم الأنبياء، وجاز أن يقدر مقدر أنه لا يموت إذ لو مات لتغير شرعه، فنبه الله تعالى على أن حاله كحال غيره من الأنبياء عليهم السلام[٩] في الموت[١٠].

---

(١) [يوسف: ٤].
(٢) في الأصل: بفعل. وهو تحريف.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٩ بتصرف.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٩.
(٥) حيث قال الله تعالى: ﴿**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**﴾ [الطور: ٣٠].
(٦) تعالى: سقط من ب.
(٧) البيت من بحر الوافر قاله ذو الإصبع العدواني، وقيل: فروة بن مسيك المرادي وقيل: الفرزدق. والبيت في الكشاف ٣/١١، والفخر الرازي ٢٢/١٦٩، والبحر المحيط ٦/٣١٠ وشرح شواهد الكشاف ١٣١.
الشامت: المستشفي من غيظه بما أصاب عدوه. أي فقل للشامتين لما نزل بنا من الهزيمة أفيقوا من سكرتكم فإنكم ستلقون من الهزيمة مثل ما لقينا.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٩.

قوله: «أَفَإِنْ مِتَّ» تقدم نظيره في آل عمران عند قوله «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ»(١) وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، وهو أنه إذا اجتمع شرط واستفهام(٢) أجيب الشرط، فتكون الآية قد دخلت فيها همزة الاستفهام على جملة الشرط والجملة المقترنة بالفاء جواب الشرط، وليست مصبًا للاستفهام، وزعم يونس أن الاستفهام منصب على الجملة المقترنة بالفاء، وأن الشرط معترض بين الاستفهام وبينها، وجوابه محذوف(٣). وليس بشيء إذ لو كان كما قال لكان التركيب: أفإن مت هم الخالدون بغير فاء(٤). وكان ابن عطية ينحى منحى يونس فإنه قال: وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط(٥).

قوله(٦): «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ» هذا العموم(٧) مخصوص فإن له تعالى نفساً لقوله تعالى: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ»(٨) مع أن الموت لا يجوز عليه.

قال ابن الخطيب: وكذا الجمادات لها نفوس، وهي لا تموت، والعام المخصوص حجه فيبقى معمولاً به فيما عدا هذه الأشياء، وذلك يبطل قول الفلاسفة في أن الأرواح البشرية والعقول والنفوس الفلكية لا تموت(٩). واعلم أن الذوق ها هنا لا يمكن إجراؤه على ظاهره، لأن الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق، بل الذوق إذ ذاك خاص، فيجوز جعله مجازاً عن أصل الإدراك(١٠).

وأما الموت فالمراد منه هنا مقدماته من الآلام العظيمة، لأن الموت قبل دخوله في الوجود يمتنع إدراكه، وحال وجوده يصير الشخص ميتاً، والميت لا يدرك شيئاً والإضافة

---

(١) [آل عمران: ١٤٤].

(٢) في النسختين: وقسم. والصواب ما أثبته.

(٣) أي: أن الشرط إذا دخل عليه همزة الاستفهام فمذهب سيبويه أن همزة الاستفهام داخلة على جملة الشرط والجواب لكونهما كجملة واحدة.

وزعم يونس أن جملة الجزاء هي مصب الاستفهام، وجملة الشرط معترضة بين همزة الاستفهام وجملة الجزاء، وجوابها محذوف. والحق مذهب سيبويه لأن الأولى أن يجعل الجواب للشرط ويجعل الاستفهام داخلاً على الشرط والجزاء معاً كدخول الموصول عليهما معاً في نحو جاءني الذي إن تأته يشكرك والآية دليل لمذهبه فالفاء في «فهم» لجواب الشرط، وفي «فإن» للسببية ولو كان التقدير: أفهم الخالدون لم يقل: فإن مت بل كان يقول أئن مت فهم الخالدون أي: أفهم الخالدون إن مت. والأصل عدم الحكم بزيادة الفاء. انظر الكتاب ٣/ ٨٢ ـ ٨٣، وشرح الكافية ٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥. والتبيان ١/ ٢٩٦، والبحر المحيط ٦/ ٣١٠ ـ ٣١١.

(٤) انظر البيان ٢/ ١٦١، البحر المحيط ٦/ ٣١١.

(٥) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٤٦، وفيه: (وقدمت في أول الجملة، لأن الاستفهام له صدر الكلام، والتقدير: أفهم الخالدون إن مت؟ والفاء في قوله تعالى «أفإن» عاطفة جملة على جملة).

(٦) في ب: قوله تعالى.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٩

(٨) [المائدة: ١١٦].

(٩) انظرالفخر الرازي ٢٢/ ١٦٩.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٦٩.

في «ذَائِقَةُ المَوْتِ» في تقدير الانفصال، لأنه لما يستقبل[١]، كقوله[٢]: «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدَ»[٣] و «هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ»[٤].

قوله: «وَنَبْلُوكُمْ بالشَّر والخَيْرِ» «نَبْلُوكُمْ» نختبركم «بالشَّر والخَيْرِ» بالشدة والرخاء، والصحة والسقم والغنى والفقر. وقيل: بما تحبون وما تكرهون[٥] لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن، فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم. وإنما سمي ذلك ابتلاء[٦] وهو عالم بما يكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار[٧]. قوله: «فِتْنَةً» في نصبه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مفعول من أجله[٨].

الثاني: أنه مصدر في موضع الحال، أي فاتنين[٩].

الثالث: أنه مصدر من معنى العامل لا من لفظه، لأن الابتلاء فتنة، فكأنه قيل: نفتنكم فتنة[١٠]. ثم قال: «وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون» أي: إلى حكمه ومحاسبته ومجازاته بيّن بذلك بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد[١١]. وقرأ العامة «ترجعون» بتاء الخطاب مبنياً للمفعول[١٢]. وغيرهم بياء الغيبة على الالتفات[١٣].

---

(١) وتسمى هذه الإضافة بالإضافة اللفظية، وبالإضافة غير المحضة، وهي أن يكون المضاف وصفاً يشبه الفعل المضارع وهو كل اسم فاعل أو مفعول بمعنى الحال أو الاستقبال أو صفة مشبهة ولا تكون إلا بمعنى الحال. فمثال اسم الفاعل هذا ضارب زيد الآن أو غداً. واسم المفعول هذا مضروب الأب. والصفة المشبهة هذا حسن الوجه. وهذه الإضافة لا تفيد تخصيصاً ولا تعريفاً، والدليل على ذلك وصف النكرة في قوله تعالى: ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ [المائدة: ٩٥] وإنما تفيد التخفيف وهو حذف التنوين ونون الجمع والتثنية من المضاف ورفع القبح في نحو مررت بالرجل الحسن الوجه ففي رفع الوجه على الفاعلية قبح خلو الصفة عن ضمير يعود على الموصوف وفي نصبه على التشبيه بالمفعول به قبح إجراء الفعل القاصر مجرى وصف الفعل المتعدي، وفي الجر تخلص منهما. انظر شرح التصريح ٢/٢٧ ـ ٢٩.

(٢) في ب: لقوله.

(٣) من قوله تعالى: **﴿يا أيها الَّذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلَّت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلِّي الصَّيد وأنتم حرم إنَّ الله يحكم ما يريد﴾** [المائدة: ١] فـ «محلي» اسم فاعل مضاف إلى مفعوله.

(٤) [المائدة: ٩٥]. فـ «بالغ الكعبة» نعت لـ «هدياً» و «هدياً» نكرة وهذا دليل على أن الإضافة غير المحضة لا تفيد تخصيصاً ولا تعريفاً.

(٥) انظر البغوي ٥/٤٨٦.

(٦) في الأصل: ابتداء وهو تحريف.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٦٩ ـ ١٧٠.

(٨) انظر التبيان ٢/٩١٨، والبحر المحيط ٦/٣١١.

(٩) المرجعان السابقان.

(١٠) انظر الكشاف ٣/١١، التبيان ٢/٩١٨، والبحر المحيط ٦/٣١١.

(١١) انظر الفخر الرازي٢٢/١٧٠.

(١٢) في السبعة قال ابن مجاهد: (روى عباس عن أبي عمرو: «يرجعون» بالياء مضمومة وقرأ ابن عامر وحده «ترجعون» بنصب التاء، والباقون «إلينا ترجعون» بضم التاء) ٤٢٩.

(١٣) قال أبو حيان: (وقرأت فرقة بضم الياء للغيبة مبنياً للمفعول على سبيل الالتفات) البحر المحيط ٦/ ٣١١

قوله: «وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً» المعنى: ما يتخذونك إلا هزواً، وهذا رجوع إلى[١] تهجين كفرهم. قال السدي ومقاتل: نزلت في أبي جهل قربه النبي ـ ﷺ ـ وكان أبو سفيان مع أبي جهل، فقال أبو جهل[٢] لأبي سفيان: هذا نبيّ عبد مناف، فقال أبو سفيان: وما تنكر[٣] أن يكون نبياً في بني عبد مناف. فسمع[٤] رسول الله ـ ﷺ ـ قولهما فقال لأبي جهل «ما أراك[٥] تنتهي حتى ينزل بك[٦] ما نزل بعمك[٧] الوليد بن المغيرة، وأما أنت يا أبا سفيان فإنما قلت ما قلته رحمة». فنزلت هذه الآية[٨].

قوله: «إِنْ يَتَّخِذونَك» «إِنْ» هنا نافية، وهي وما في حيزها جواب الشرط بإذا[٩]. و «إذا» مخالفة لأدوات الشرط في ذلك، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بـ (إن) النافية أو بـ (ما) النافية وجب الإتيان بالفاء تقول: إن أتيتني فإن أهنتك، أو فما أهنتك، وتقول: إذا أتيتني ما أهنتك بغير فاء يدل له قوله تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتنا بَيِّنَات مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أَنْ قَالُوا»[١٠] و «اتخذ» هنا متعد لاثنين و «هُزُواً» هو الثاني إما على حذف مضاف، وإما على الوصف بالمصدر مبالغة، وإما على وقوعه موقع اسم المفعول[١١].

وفي جواب «إِذَا» قولان:

أحدهما: أنه «إِنْ» النافية وقد تقدم.

والثاني: أنه محذوف، وهو القول الذي قد حكي به الجملة الاستفهامية في قوله «أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ» إذ التقدير: وإذا رآك الذين كفروا يقولون أهذا الذي، وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقدر[١٢].

قوله: «وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَن هُمْ كَافِرُونَ» «هُمْ»[١٣] الأولى مبتدأ مخبر عنه بـ «كَافِرُونَ»، و «بِذِكْر» متعلق بالخبر، والتقدير: وهم كافرون بذكر، و «هُمْ» الثانية[١٤] تأكيد[١٥] للأول تأكيداً لفظياً، فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد، وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول. وفي هذه الجملة قولان:

أحدهما: أنها في محل نصب على الحال من فاعل القول المقدر، أي[١٦]: يقولون ذلك وهم على هذه الحالة[١٧].

---

(١) في الأصل: لا. وهو تحريف.
(٢) في ب: أبي جهل. وهو تحريف.
(٣) في ب: نكر.
(٤) في ب: وسمع.
(٥) في ب: ما أدراك
(٦) في الأصل: بعمك. وهو تحريف.
(٧) في ب: ما نزل بك بعمك.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٠، والبحر المحيط ٦/ ٣١١.
(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١١.
(١٠) [الجاثية: ٢٥]
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩١٨، البحر المحيط ٦/ ٣١٢
(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٢.
(١٣) هم: سقط من ب.
(١٤) في ب: الثاني.
(١٥) في ب: تأكيداً.
(١٦) في الأصل: و.
(١٧) واستظهره أبو حيان. البحر المحيط ٦/ ٣١٢.

والثاني: أنها حال من فاعل «يتخذونك»، وإليه نحا الزمخشري فإنه قال: والجملة في موضع الحال، أي يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله[١].

فصل[٢]

والمعنى: أنهم يعيبون عليه كونه يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء مع أنهم بذكر الرحمن المنعم عليهم الخالق المحيي المميت كافرون، ولا فعل أقبح من ذلك فيكون الهزؤ واللعن والذم عليهم من حيث لا يشعرون[٣]. ويحتمل أن يراد «بذكر الرحمن» القرآن. ومعنى إعادة «وهم» أن الأولى إشارة إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل، والثانية إبانة لاختصاصهم به، وأيضاً فإن في إعادتها تأكيداً وتعظيماً لفعلهم.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: «خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» الآية. في المراد بالإنسان قولان:

أحدهما: أنه النوع، وذلك أنهم كانوا يستعجلون العذاب «ويقولون متى هذا الوعد»[٤]. (والمعنى أن بنيته من العجلة وعليها طبع كما قال: «وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً»[٥])[٦]. فإن قيل: مقدمة الكلام لا بد وأن تكون مناسبة للكلام وكون الإنسان مخلوقاً من العجل يناسب كونه معذوراً فيه فلم رتب على هذه المقدمة قوله: «فَلاَ تَسْتَعْجِلُون»؟

فالجواب أنه تعالى نبه بهذا على أن ترك الاستعجال حالة مرغوب فيها[٧].

القول الثاني: أن المراد بالإنسان شخص معين، فقال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث[٨].

---

(١) الكشاف ٣/ ١١.
(٢) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٠.
(٣) في ب زيادة بعد لا يشعرون: يقال: فلان يذكر فلاناً، أي يعينه، وفلان يذكر الله أي يعظمه.
(٤) [الأنبياء: ٣٨]
(٥) من قوله تعالى: **﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا﴾** [الإسراء: ١١] انظر البغوي ٥/ ٤٨٦.
(٦) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧١.
(٨) الفخر الرازي ٢٢/ ١٧١.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي ومقاتل والضحاك: المراد آدم عليه السلام[١]. وروى ابن جريج وليث بن أبي سليم[٢] قال: خلق آدم بعد كل شيء من آخر نهار يوم الجمعة، فلما دخل الروح رأسه ولم يبلغ أسفله نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فوقع فقيل «خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»[٣] والقول الأول أولى، لأن الغرض ذم القوم، وذلك لا يحصل إلا إذا حملنا لفظ الإنسان على النوع[٤]. قوله: «من عجل» فيه قولان:

أحدهما: أنه من باب القلب، والأصل: خُلِقَ العَجَلُ مِنَ الإنْسَانِ لشدة صدوره منه وملازمته له وإلى هذا ذهب أبو عمرو، ويؤيده قراءة عبد الله: «خُلِقَ العَجَلُ مِنَ الإنْسَانِ»[٥]. والقلب موجود في كلامهم قال الشاعر:

٣٧١٤ ـ حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السِّرْبَالِ آخذُهُ[٦]

يريد: حسرت السربال عن كفي.

ومثله في الكلام: إذا طلعت الشِّعرى[٧] استوى العود على الحِرْباء وقالوا: عرضت الناقة على الحوض[٨]، وتقدم منه أمثلة إلا أن بعضهم يخصه بالضرورة[٩] وتقدم فيه ثلاثة مذاهب.

والثاني: أنه لا قلب فيه، وفيه ثلاثة[١٠] تأويلات أحسنها أن ذلك على المبالغة

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧١.

(٢) هو ليث بن أبي سليم القرشي، أحد العلماء والنساك، أخذ عن عكرمة، وغيره، وأخذ عنه شعبة، والصوري، وخلق، مات سنة ١٤٣ هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٢٣.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧١، والقرطبي ١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧١. (٥) البحر المحيط ٦/ ٣١٢.

(٦) صدر بيت من بحر البسيط لتميم بن مقبل وعجزه:

فرداً يجر على أيدي المفدِّينا

وهو في ديوانه (٣٢٥)، جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٦٢ وتفسير ابن عطية ١٠/ ١٥٠ البحر المحيط ٦/ ٣١٣ وهو في الجمهرة برواية: حسرت عن كفي السربال.

السربال: القميص والدرع. والشاهد فيه أنه من المقلوب، فهو يريد أن يقول: حسرت السربال عن كفي.

(٧) الشعرى: كوكب نير يطلع عند شدة الحر.

(٨) هذا من المقلوب في كلام العرب، والأصل: استوى الحرباء على العود، وعرضت الحوض على الناقة. انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٣.

(٩) قال أبو حيان رداً على من ادّعى القلب في الآية: (فليس قوله بجيد، لأن القلب الصحيح فيه أن يكون في كلام فصيح وأن بابه الشعر) البحر المحيط ٦/ ٢١٣ ـ ٢١٤.

(١٠) ثلاثة: سقط من الأصل.

جعل ذات الإنسان كأنها خلقت من نفس العجلة دلالة على شدة اتصاف الإنسان بها، وأنها مادته التي أخذ منها كما قيل للرجل الذي هو حاد: نار تشعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه، فتقول: ما أنت إلا أكل ونوم، وما هو إلا إقبال وإدبار، قال الشاعر:

٣٧١٥ ـ تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حتى إذَا ادَّكَرَتْ(١) فَـإنَّـمَـا هِـيَ إقْـبَـالٌ وَإدْبَـارُ(٢)

ويتأكد هذا بقوله: «وَكَانَ(٣) الإِنْسَانُ عَجُولاً»(٤).

قال المبرد: «خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» أي من شأنه العجلة كقوله «خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ(٥)» أي: ضُعَفاء(٦). ومثله في المبالغة من جانب النفي قوله عليه السلام(٧): «لست من الدَّدِ وَلاَ الدَّدُ مِنِّي»(٨)، والدَّدُ: اللعب، وفيه لغات: دَدٌ محذوف اللام ودَدَا مقصوراً كعصا، ودَدَنٌ بالنون. وألفه في إحدى لغاته مجهولة الأصل لا يدرى أهي عن ياء أو واو(٩). وقيل: «خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» أي بسرعة، وتعجيل من غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم أنشأناه خلقاً آخر(١٠). وقال أبو عبيدة: العَجَل الطين بلغة حمير قال شاعرهم:

٣٧١٦ ـ والنَّبْعُ في الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَلِ(١١)

قال الزمخشري بعد إنشاده عجز هذا البيت: والله أعلم بصحته(١٢).

قال شهاب الدين: وهو معذور(١٣). وهذا الجار يحتمل تعلقه بـ «خُلِقَ» على

---

(١) في النسختين: ترتع إذا نسيت حتى إذا ذكرت.

(٢) البيت من بحر البسيط قالته الخنساء، رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: تركتها ترعى. ادكرت: تذكرت.

(٣) في النسختين: خلق. وهو تحريف. (٤) [الإسراء: ١١].

(٥) من قوله تعالى: **﴿الله الّذي خلقكم من ضعفٍ ثمّ جعل من بعد ضعفٍ قوّة ثمّ جعل من بعد قوّةٍ ضعفاً وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** [الروم: ٥٤].

(٦) هذا القول أقرب إلى الصواب لأنه أمكن حمل الكلام على معنى صحيح، وهو على ترتيبه، فهو أولى من أن يحمل على أنه مقلوب. انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٢.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) سبق تخريجه.

(٩) ينظر هذه اللغات في اللسان (ددن ـ ددا).

(١٠) البحر المحيط ٦/ ٣١٣.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٣، والبيت من بحر البسيط لم أهتد إلى قائله وهو في الكشاف ٣/ ١١ ـ ١٢، تفسير ابن عطية ١٠/ ١٥١، اللسان (عجل) تفسير القرطبي ١١/ ٢٨٩، البحر المحيط ٦/ ٣١٣. النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ. الصماء: الصلبة. يقول: النبع منبته في الصخرة الصماء، والنخل ينبت في الأرض اللينة. والشاهد فيه أن (العجل) بمعنى الطين.

(١٢) الكشاف ٣/ ١٢.

(١٣) الدر المصون ٥/ ٤٩.

المجاز أو الحقيقة المتقدمتين[١]. وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال كأنه قال: خلق الإنسان عجلاً. قاله أبو البقاء[٢]. وقرأ العامة «خُلِقَ» مبنياً للمفعول «الإنسان» مرفوعاً لقيامه مقام الفاعل. وقرأ مجاهد وحميد وابن مقسم «خَلَقَ» مبنياً للفاعل «الإنسان» نصباً مفعولاً به[٣]. فإن قيل: القوم استعجلوا الوعيد على وجه التكذيب، ومن هذا حاله لا يكون مستعجلاً على الحقيقة.

فالجواب: أن استعجالهم بما توعدهم من عقاب الآخرة أو هلاك الدنيا يتضمن استعجال الموت، وهم عالمون بذلك فكانوا مستعجلين حقيقة[٤].

قوله: «سَأُرِيكُمْ آيَاتِي» مواعيدي؛ قيل: هي الهلاك المعجل في الدنيا والآخرة، ولذلك قال «فَلاَ تَسْتَعْجِلُون» أي أنه سيأتي لا محالة في وقته، فلا تطلبوا العذاب قبل وقته، فأراهم يوم بدر. وقيل: كانوا يستعجلون القيامة. وقيل: الآيات: أدلة التوحيد وصدق الرسول. وقيل: الآيات آثار القرون الماضية بالشام واليمن[٥]. قوله: «وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» هذا هو الاستعجال المذموم على سبيل الاستهزاء، وهو كقولهِ: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّىٰ لَجَاءَهُم العَذَابُ»[٦] فبين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم[٧].

قوله: «مَتَى هَذَا» «مَتَى» خبر مقدم، فهي في محل رفع[٨]. وزعم بعض الكوفيين أنها في محل نصب على الظرف، والعامل فيها فعل مقدر رافع لـ «هَذَا»، التقدير: متى يجيء هذا الوعد، أو متى يأتي ونحوه[٩] والأول أشهر.

قوله: «لو يعلم» جوابها مقدر، لأنه أبلغ في الوعيد[١٠] فقدره الزمخشري: لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم هو الذي هونه

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩١٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المختصر: (٩١)، البحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٢.
(٥) الأول أقرب إلى النظم وهو: الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٢، البحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(٦) [العنكبوت: ٥٣].
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٢.
(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(٩) «متى» عند الكوفيين في موضع نصب وكذا الجواب في المعرفة إذا قيل: متى الميعاد؟ قيل: يوم الخميس، فإن كان نكرة رفعت فقلت: ميعادك يوم أو يومان والعرب تقول: إنما البرد شهران، وإنما الصيف شهران، ولو جاء نصباً لكان صواباً، وإنما اختاروا الرفع في النكرة لأنك أبهمت الشهرين فصارا جميعاً كأنهما وقتا الصيف، واختاروا في المعرفة لأنها حين معلوم مسند إلى الذي بعده فحسنت الصفة، كما أنك تقول: عبد الله دون من الرجال، وعبد الله دونك، بالنصب في المعرفة. انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٠ ـ ٧١ والبحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٣.

عندهم[١] وقدره ابن عطية: لما استعجلوا[٢]. وقدره الحوفي: لسارعوا[٣]. وقدره غيره: لعلموا صحة البعث[٤]. وقال البغوي: لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا بقولهم «مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ»[٥].

و «حين» مفعول به لعلموا، و[٦] ليس منصوباً على الظرف، أي: لو يعلمون وقت عدم كف النار[٧]. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «يعلم» متروكاً بلا تعدية بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، و «حين» منصوب بمضمر أي حين «لا يَكُفُّونَ عَنْ وَجُوهِهِم النَّارَ» يعلمون أنهم كانوا على الباطل[٨]. وعلى هذا فـ «حين» منصوب على الظرف، لأنه جعل مفعول العلم أنهم كانوا.

وقال أبو حيان: والظاهر أن مفعول (يَعْلَمُ) محذوف لدلالة ما قبله، أي: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعد الذي سألوا عنه واستبطأوه، و «حِينَ» منصوب بالمفعول الذي هو مجيء، ويجوز أن يكون من باب الإعمال على حذف مضاف، وأعمل الثاني[٩]، والمعنى: لو يعلمون مباشرة النار حيت لا يكفونها عن وجوههم[١٠].

فصل[١١]

ثم إنه تعالى ذكر في رفع هذا الحزن عن قلب رسول الله ـ ﷺ ـ وجهين: **الأول**: أنه بيَّن ما لصاحب هذا الاستهزاء من العقاب الشديد فقال «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنْصرُونَ» أي: لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم «مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ» وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من قدّام ومن خلف، فلا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم كقوله: «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إن جَاءَنَا»[١٢]. وإنما خص الوجوه والظهور، لأن مس العذاب لها أعظم موقعاً.

قال بعضهم: «وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِم» السياط. قوله: «بَغْتَةً» نصب على الحال، أي: مباغتة[١٣]. والضمير في «تَأتيهم» يعود على النار[١٤]، وقيل: على الحين، لأنه في معنى الساعة. وقيل: على الساعة التي تضطرهم فيها إلى العذاب[١٥]. وقيل: على الوعد،

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢.
(٢) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٥٣.
(٣) البحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(٤) المرجع السابق.
(٥) البغوي ٥/ ٤٨٨.
(٦) في الأصل: أو. وهو تحريف.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٢.
(٨) الكشاف ٣/ ١٢.
(٩) على مذهب البصريين.
(١٠) البحر المحيط ٦/ ٣١٣.
(١١) فصل: سقط من ب. وهذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣.
(١٢) [غافر: ٢٩].
(١٣) أي على التأويل بالمشتق لأن (بغتة) مصدر، وذلك على مذهب البصريين.
(١٤) واستظهره أبو حيان. البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(١٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٤.

لأنه في معنى النار التي وعدوها قاله الزمخشري[١]. وفيه تكلّف[٢]. وقرأ الأعمش: «بَلْ يَأْتِيهِمْ» بياء الغيبة «بَغْتَةً» بفتح الغين «فَيَبْهَتَهُمْ» بالياء أيضاً[٣]. فأما الياء فأعاد الضمير على الحين أو على الوعد[٤]، وقيل: على «النَّار» وإنما ذكر ضميرها، لأنها في معنى العذاب، ثم راعى لفظ «النَّارِ» فأنث في قوله «رَدَّهَا»[٥]. وقوله «بَلْ تَأْتِيهِمْ» إضراب انتقال[٦].

وقال ابن عطية: «بَلْ» استدراك مُقَدَّرٌ قبله نفيٌ تقديره: إنَّ الآيات لا تأتي على حسب اقتراحهم[٧]. وفيه نظر، لأنه يصير التقدير: لا تأتيهم الآيات على حسب اقتراحهم بل تأتيهم بغتة، فيكون الظاهر أن الآيات تأتي بغتة، وليس ذلك مراداً قطعاً. وإن أراد أن يكون التقدير: بل تأتيهم الساعة أو النار، فليس مطابقاً لقاعدة الإضراب.

فصل[٨]

لما بين شدة هذا العقاب بين أن وقت مجيئه غير معلوم لهم «بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً» وهم غير محتسبين ولا مستعدين «فَتَبْهَتُهُمْ» أي: تدعهم حيارى واقفين «لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» في ردها، «وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ» أي لا يمهلون لتوبة أو معذرة. وإنما لم يعلم المكلفين وقت الموت (والقيامة لما)[٩] فيه من المصلحة، لأن المرء مع كتمان ذلك أشد[١٠] حذراً وأقرب إلى التلافي.

ثم ذكر **الوجه الثاني** في دفع الحزن عن قلب الرسول ـ عليه السلام[١١] ـ فقال: «وَلَقَد اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أي: عقوبة استهزائهم. و «حَاقَ» وحَقّ بمعنى[١٢] كزَالَ[١٣] وزَلَّ[١٤]، والمعنى: فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٢.

(٢) من جهة تأويل «الوعد» بمعنى النار، فعوده إلى «النار» من غير تأويل أولى.

(٣) المختصر: (٩١)، والكشاف ٣/ ١٢، والبحر المحيط ٦/ ٣١٤.

(٤) في الأصل: الوقت، وهو تحريف. وانظر الكشاف ٣/ ١٢.

(٥) قاله أبو الفضل الرازي. انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٤.

(٦) وذلك أن الله حكى عنهم أنهم يستعجلون العذاب الموعود بقوله: ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾ وبيَّن أن سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد، ثم أضرب وانتقل من بيان السبب إلى بيان كيفية وقوع الموعود فقال: ﴿**بل تأتيهم بغتة**﴾.

(٧) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٥٣.

(٨) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٣.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) في ب: أشدا. وهو تحريف.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) وذلك أن حاق بهم العذاب أي أحاط ونزل كأنه وجب عليهم. وحقَّ الأمر يحِقُّ ويَحُقُّ حقّاً وحقوقاً: صار حقّاً وثبت (اللسان: حيق ـ حقق).

(١٣) في النسختين: زال. وما أثبته هو الصواب.

(١٤) وذلك أن زال الشيء عن مكانه يزول زوالاً وأزاله غيره وزوله فانزال. وزل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة يَزِلُّ ويَزَلُّ زلاً وزليلاً ومزلَّةً: زلق. (اللسان: زول ـ زلل).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: «قُلْ مَن يَكْلَؤُكُمْ» الآية[١] لما بين أن الكفار في الآخرة «لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِم النَّارَ» بسائر ما وصفهم[٢] به أتبعه بأنهم في الدنيا أيضاً لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة، فقال لرسوله: «قُلْ» لهؤلاء الكفار الذين يستهزئون ويغترون بما هم عليه «مَنْ يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ» وهذا كقول الرجل لمن حصل في قبضته ولا مخلص له منه: من ينصرك مني؟ وهل لك مخلص[٣]؟

والكلاءة: الحفظ، أي يحفظكم بالليل والنهار «مِنَ الرَّحْمَنِ» إن نزل بكم عذابه. يقال: كَلأَهُ الله يَكْلَؤُهُ كِلاَءَةً بالكسر كذا ضبطه الجوهري[٤] فهو كالىء ومكلوء.

قال ابن[٥] هرْمة[٦]:

٣٧١٧ ـ إنَّ سُلَيْمَىٰ وَاللَّهُ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا[٧]

واكْتَلأْتُ منه: احترست، ومنه سُمِّيَ النبات كلأً[٨]، لأنَّ به تقوم بنية البهائم وتحرس. ويقال: بلغ الله بك أكلأ العمر. والمُكَلأُ موضع يحفظ فيه السفن[٩]. وفي الحديث: «نَهَى عَنْ بَيْعِ الكَالِىءِ بَالكَالِىءِ»[١٠] أي: بيع الدين بالدين كأنَّ كُلاً من رب الدينين يكلأ الآخر أي: يراقبه.

---

(١) الآية: سقط من الأصل. (٢) في النسختين: ما وصفه. وما أثبته هو الصواب.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٣.

(٤) الصحاح ١/ ٦٩. هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، كان إماماً في اللغة والأدب، صنف كتاباً في العروض، ومقدمة في النحو، والصحاح في اللغة، ومات في حدود سنة ٤٠٠هـ. البغية ١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٥) في ب: بن. وهو تحريف.

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هرمة، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم الخزانة ١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦.

(٧) البيت من بحر المنسرح، وهو مطلع قصيدة لإبراهيم بن هرمة، وقد قيل له إنَّ قريشاً لا تهمز، فقال: لأقولنَّ قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش. والبيت في مجاز القرآن ٢/ ٣٩، ومجالس العلماء ١٢٢، أمالي ابن الشجري ١/ ٢١٥، والمغني ١/ ٣٨٨، ٣٩٦، القرطبي ١١/ ٢٩١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٢٦. سليمى: تصغير سلمى. يكلؤها: يحرسها ويحفظها. ضنَّت: بخلت. يرزؤها: ينقضها. واستشهد به على أن (يكلؤها) مضارع (كلأ) بمعنى يحرسها ويحفظها.

(٨) وفي اللسان (كلأ): الكلأ: البقل والشجر.

(٩) وفي اللسان (كلأ): والمكلأ، بالتشديد: شاطىء النهر ومرفأ السفن وهو ساحل كل نهر.

(١٠) وهو أن يكون لك على رجل دين فإذا حل أجله استباعك ما عليه إلى أجل، انظر النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٩٤، الفائق ٣/ ٢٧٣.

(وقال ابن عباس: المعنى: مَنْ يمنعكم من عذاب الرحمن[١].

وقرأ الزهري وابن القعقاع[٢] «يَكْلُوكُمْ» بضمة خفية دون همز[٣].

وحكى الكسائي والفراء «يَكْلَوْكُمْ» بفتح اللام وسكون الواو[٤].

قال شهاب الدين: ولم أعرفها قراءة. وهو قريب من لغة من يخفف أكلت الكلأ على الكلو وقفاً[٥] إلا أنه أجرى الوصل مجرى الوقف[٦])[٧].

قوله: «مِنَ الرَّحمٰنِ» متعلق بـ «يَكْلَؤُكُمْ» على حذف مضاف أي من أمر الرحمن أو بأسه كقوله: «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»[٨][٩]. و «بِاللَّيْلِ» بمعنى في الليل[١٠]، وإنما ذكر الليل والنهار، لأن لكل واحد من الوقتين آفات تختص به، والمعنى: من يحفظكم بالليل إذا نمتم وبالنهار إذا تصرفتم في[١١] معاشكم[١٢].

وخص هاهنا اسم الرحمن بالذكر تلقيناً للجواب حتى يقول العاقل أنت الكالىء يا إلهنا لكل الخلائق برحمتك كما في قوله: «مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم»[١٣]. فخص اسم الكريم تلقيناً[١٤]. قوله: «بَلْ هُمْ» إضراب عما تضمنه الكلام الأول من النفي، إذ التقدير: ليس لهم كالىء ولا مانع غير الرحمن[١٥]. والمراد بـ «ذِكْرِ رَبِّهِمْ» القرآن ومواعظ الله «مُعْرِضُونَ» لا يتأملون في شيء منها ليعرفوا أنه لا كالىء لهم سواه، ويتركوا عبادة الأصنام التي لا تحفظهم ولا تنعم عليهم[١٦].

قوله: «أمْ لَهُمْ آلِهَةٌ» «أَمْ» منقطعة[١٧]، أي بل ألهم[١٨]؟ فالميم صلة والمعنى: ألهم آلهة تمنعهم، وقد تقدم ما فيها[١٩].

وقوله: «من دُونِنَا» فيه وجهان:

---

(١) انظر البغوي ٥/ ٤٨٨.
(٢) تقدم.
(٣) أي: أن الهمزة صارت بين الهمزة والواو الساكنة، وذلك أن الهمزة إذا كانت مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة. انظر الكتاب ٣/ ٥٤٢، البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٤) انظر معاني القرآن ٢/ ٢٠٤، والبحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٥) حكى سيبويه في آخر الكلمة أن من العرب من يقول: هذا هو الكَلَوْ، حرصاً على البيان، كما قالوا: الوَثَوْ. انظر الكتاب ٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٦) الدر المصون ٥/ ٥٠.
(٧) ما بين القوسين سقط من الأصل.
(٨) [الرعد: ١١].
(٩) انظر التبيان ٢/ ٩١٨.
(١٠) أي: أن الباء بمعنى الظرفية.
(١١) في ب: و.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٤.
(١٣) من قوله تعالى **﴿يا أيُّها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم﴾** [الانفطار: ٦].
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٤.
(١٥) قاله ابن عطية. تفسير ابن عطية ١٠/ ١٥٤.
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٤.
(١٧) وهي للإضراب المتضمن معه استفهاماً إنكارياً.
(١٨) في ب: بل لهم. وهو تحريف.
(١٩) في هذه السورة.

أحدهما: أنه متعلق بـ «تَمْنَعُهُمْ» قبل، والمعنى: ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز، وإلى[١] هذا ذهب الحوفي[٢].

والثاني: أنه متعلق بمحذوف، لأنه صفة لـ «آلهة»، أي آلهة من دوننا تمنعهم، ولذلك قال ابن عباس إن في الكلام تقديماً وتأخيراً[٣].

ثم وصف الآلهة بالضعف فقال: «لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ» وهذا مستأنف لا محل له[٤]، ويجوز أن يكون صفة لـ «آلهة»، وفيه بعد من حيث المعنى.

قال ابن الخطيب: «لا يستطيعون» خبر مبتدأ محذوف، أي فهذه الآلهة لا تستطيع حماية أنفسها عن الآفات[٥]، وحماية النفس أولى من حماية الغير، فإذا لم تقدر على حماية نفسها فكيف تقدر على حماية غيرها[٦].

قوله: «وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ». قال ابن عباس[٧]: يجاورون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مجير عنه. وقال مجاهد: يُنْصَرُونَ. وقال قتادة: لا يصحبون من الله بخير. «بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ» الكفار «وَآبَاءَهُمْ» في الدنيا، أي أمهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة. «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ» أي امتد بهم الزمان فاغتروا[٨]. «أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا» أي[٩]: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في أنا ننقص الأرض من جوانبها نأخذ الواحد بعد الواحد من المشركين ونفتح البلاد والقرى من حول مكة، ونزيدها في ملك محمد، أما[١٠] كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا برسول الله ـ ﷺ[١١] ـ. «أَفَهُمُ الغَالِبُونَ» أم نحن، وهو استفهام تقريع[١٢].

قال ابن عباس[١٣] ومقاتل والكلبي: «نَنْقُصُهَا» بفتح البلدان. وروي عن ابن عباس رواية أخرى: المراد نقصان أهلها. وقال عكرمة: تخريب القرى وموت أهلها.

---

(١) في ب: وا إلى. وهو تحريف. (٢) البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٣) تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٤) انظر التبيان: ٢/٩١٨، البحر المحيط ٦/ ٣١٤.
(٥) في ب: عن الآيات. وهو تحريف. (٦) الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٤.
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٨٩.
(٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٨٩.
(٩) أي: سقط من ب. (١٠) في الأصل: أفلا.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.
(١٢) أي: أن الهمزة خرجت عن الاستفهام الحقيقي إلى استفهام مقصود به التقرير والتقريع، ومعناه: حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به. انظر المغني ١/١٨.
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٥.

وقيل: موت العلماء، وهذه الرواية إن صحت عن رسول الله ـ ﷺ ـ فلا يعدل[١] عنها وإلا فالأظهر هاهنا ما يتعلق بالغلبة، ولذلك قال: «أَفَهُمُ الغَالِبُونَ». قال القفال: نزلت هذه الآية في كفار مكة، فكيف يدخل فيها العلماء والفقهاء[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: «قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ» أي: أخوفكم بالقرآن وقوله: «وَلا يَسْمَعُ» قرأ ابن عامر هنا «وَلاَ تُسْمِعُ» بضم التاء للخطاب وكسر الميم، «الصُّمَّ الدُّعَاءَ» منصوبين. وقرأ ابن كثير كذلك في النمل[٣] والروم[٤]. وقرأ باقي السبعة بفتح ياء الغيبة والميم «الصُّمُّ» بالرفع «الدُّعَاءَ» بالنصب في جميع القرآن[٥].

وقرأ الحسن كقراءة ابن عامر إلا أنه بياء الغيبة[٦]. وروى عنه[٧] ابن خالويه «وَلاَ يُسْمَعُ» بياء الغيبة مبنياً للمفعول «الصُّمُّ»[٨] رفعاً «الدُّعَاءَ» نصباً[٩].

وروي عن أبي[١٠] عمرو بن العلاء «وَلاَ يُسْمِعُ» بضم الياء من تحت وكسر الميم «الصُّمَّ»[٤] نصباً «الدُّعَاءُ» رفعاً[١١].

فأما قراءة ابن عامر وابن كثير فالفاعل فيها ضمير المخاطب، وهو الرسول ـ عليه السلام[١٢] ـ. فانتصب «الصُّمَّ»[١٣] و «الدُّعَاءَ» على المفعولين، وأولهما هو الفاعل المعنوي[١٤].

---

(١) في ب: بعد. وهو تحريف.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٥.
(٣) وهو قوله تعالى: **﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصُّمَّ الدُّعاء إذا ولَّوا مدبرين﴾** [النمل: ٨٠].
(٤) وهو قوله تعالى: **﴿فإنَّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصّمَّ الدعاء إذا ولَّوا مدبرين﴾** [الروم: ٥٢].
(٥) السبعة (٤٢٩)، الكشف ٢/ ١١٠ ـ ١١١، النشر ٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤، الإتحاف (٣١٠). وقراءة ابن كثير لآيتي النمل والروم **﴿ولا يسمع﴾** بالياء المفتوحة **﴿الصُّمُّ﴾** رفعاً، وباقي السبعة **﴿ولا تسمع﴾** بضم التاء **﴿الصُّمَّ﴾** نصباً، وروى عباس عن أبي عمرو **﴿ولا يسمع الصم﴾** مثل ابن كثير. السبعة (٤٨٦، ٥٠٨) الكشف ٢/ ١٦٥.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٥.
(٧) في الأصل: عن.
(٨) في ب: الضم. وهو تحريف.
(٩) المختصر(٩١).
(١٠) في الأصل: ابن. وهو تحريف.
(١١) البحر المحيط ٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) في ب: الضم. وهو تحريف.
(١٤) لأنه جعل الفعل رباعياً من «أسمع» فتعدى إلى مفعولين والفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول ـ ﷺ ـ لأنه لما أضيف الفعل إليه في «أنذركم» أضيف إليه في «تسمع». انظر الكشف ٢/ ١١٠ ـ ١١١، البحر المحيط ٦/ ٣١٥.

وأما قراءة الجماعة فالفعل مسند للصّمّ فانتصب «الدُّعَاءَ» مفعولاً به[١]. وأما قراءة الحسن الأولى فأسند الفعل فيها إلى ضمير الرسول ـ ﷺ ـ وهي كقراءة ابن عامر في المعنى. وأما قراءته الثانية فأسند الفعل فيها إلى «الصُّم»[٢] قائماً مقام الفاعل، فانتصب الثاني وهو «الدُّعَاءَ» وأما قراءة أبي عمرو فإنه أسند الفعل فيها إلى الدعاء على سبيل الاتساع وحذف المفعول الثاني للعلم به، والتقدير: ولا يسمع الدعاء الصم شيئاً البتة[٣] ولما وصل أبو البقاء إلى هنا قال: «وَلاَ يَسْمَعُ» فيه قراءات وجوهها ظاهرة[٤] ولم يذكرها. و «إِذَا» في ناصبه وجهان:

أحدهما: أنه «يَسْمَعُ».

والثاني: أنه «الدّعاء» فأعمل المصدر المعرف بـ (أل)[٥] وإذا[٦] أعملوه في المفعول الصريح ففي الظرف أولى[٧].

قال الزمخشري: فإن قلت: الصم[٨] لا يسمعون دعاء المبشّر كما لا يسمعون دعاء المنذر، فكيف قيل: «إِذَا مَا يُنْذَرُونَ»؟ قلت: اللاّم في «الصُّم» عائدة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس، والأصل: ولا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدهم أسماعهم[٩] إذا أنذروا، أي أنتم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصامّ عن[١٠] الإنذار والآيات[١١]. ثم بيّن تعالى أن حالهم سيتغير[١٢] إلى أن يصيروا بحيث إذا شاهدوا اليسير مما[١٣] أنذروا به، فعنده يسمعون ويعتذرون ويعترفون حيث لا ينتفعون، وهذا المراد بقوله «وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» وأصل النفح من الريح: اللين[١٤]. قال الزمخشري: في المس والنفحة ثلاث مبالغات، لفظ المس، وما في النفح من معنى القلّة والنزارة يقال: نفحته الدابة: رمحته رمحاً يسيراً[١٥]. والنفح[١٦]: الخطرة. قال ابن عباس[١٧]:

---

(١) أضافوا الفعل إلى الصم فارتفعوا بفعلهم، لأنه نفى السمع عنهم، وتعدى الفعل إلى مفعول وهو «الدعاء» لأنه ثلاثي. انظر الكشاف ٢/١١١.

(٢) في الأصل: الضم. وهو تحريف.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/٣١٦.

(٤) التبيان ٢/٩١٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) في ب: وإذ.

(٧) وإعمال المصدر المعرف بـ (أل) أجازه سيبويه وبعض البصريين. انظر شرح الأشموني ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٨) في ب: الضم. وهو تحريف.

(٩) في ب: سماعهم.

(١٠) في الأصل: على.

(١١) الكشاف ٣/١٣.

(١٢) في النسختين: يستعين. وما أثبته هو الصواب.

(١٣) في ب: فما، وهو تحريف.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٧٦.

(١٥) الكشاف ٣/ ١٣. وفيه: يقال: نفحته الدابة وهو رمح يسير، ونفحه بعطية: رضخه.

(١٦) في ب: النفخ. وهو تصحيف.

(١٧) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٤٩٠.

«نَفْحَةٌ» طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصيب من قولهم: نفح فلان لفلان من ماله أي: أعطاه حظاً منه[١]، قال:

٣٧١٨ ـ **إِذَا رَيْدَةٌ مِنْ حَيْثُ مَا نَفَحَتْ لَهُ[٢]   أَتَاهُ بِرَيَّاهَا خَلِيلٌ يُوَاصِلُهْ[٣]**

وقيل: ضربة، من قولهم: نفحت[٤] الدابة برجلها، أي: ضربت[٥].

و «مِنْ عَذَابِ» صفة لـ «نَفْحَةٌ»[٦].

ثم بيّن تعالى أن جميع ما ينزل[٧] بهم في الآخرة لا يكون إلاّ عدلاً فيهم بقولهم: «لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» أي: مشركين دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا بالشرك[٨].

قوله: «وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ» قال الزجاج: ذوات القسط[٩]، ووَضْعُها إحضارها. (وإنما جمع «المَوَازِينَ» لكثرة من توزن أعمالهم، وهو جمع تفخيم. ويجوز أن يرجع إلى الموزونات[١٠])[١١]. وفي نصب «القِسْطَ» وجهان:

أحدهما: أنه نعت للموازين، وعلى هذا فلم أُفردَ؟ وعنه جوابان:

أحدهما: أنه في الأصل مصدر، والمصدر يوحّد[١٢] مطلقاً.

والثاني: أنه على حذف مضاف[١٣].

الوجه الثاني: أنه مفعول من أجله أي: لأجل القسط[١٤]، إلا أن في هذا نظراً[١٥] من حيث إن المفعول له إذا كان معرّفاً بـ (أل) يقل تجرّده من حرف العلة[١٦] تقول: جئت للإكرام، ويقل: جئت الإكرام، كقوله:

---

(١) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٤٩.

(٢) في ب: إذا أريد به من حيث ما نفحت له. وهو تحريف.

(٣) البيت من بحر الطويل قاله أبو حية النمري، شاعر مجيد أدرك الدولة الأموية والعباسية. وهو في اللسان (ريد) والمغني ١/ ١٣٢، المقاصد النحوية ٣/ ٣٨٦، الهمع ١/ ٢١٢، شرح شواهد المغني ١/ ٣٩٠، الخزانة ٦/ ٥٥٤، الدرر ١/ ١٨٠ الرَّيدة: ريح لينة الهبوب. نفحت بمعنى: أعطت. وهو موطن الشاهد هنا. ريًا: الرائحة.

(٤) في ب: نفخت. وهو تصحيف.

(٥) انظر البغوي ٥/ ٤٩٠.

(٦) انظر التبيان ٢/ ٩١٩. وجوز أبو البقاء أن يكون «من عذاب» في موضع نصب بـ «مسّتهم».

(٧) في النسختين: ما نزل. وما أثبته من الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٦.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٦.

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٧.

(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(١٢) في ب: يوجب. وهو تحريف.

(١٣) والتقدير: ذوات القسط. انظر الكشاف ٣/ ١٣، التبيان ٢/ ٩١٩، البحر المحيط ٦/ ٣١٦.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣١٦.

(١٥) في ب: نظر.

(١٦) أي حرف الجر، وهو اللام.

٣٧١٩ ـ لاَ أَقْعُدُ الجُبْنَ عَنِ الهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَتْ زُمَرُ الأَعْدَاءِ(١)

وقرىء: القِصْطَ بالصاد(٢)، لأجل الطاء(٣). وقد تقدّم.

قوله: «لِيَوْمِ القِيَامَةِ» في هذه اللام أوجه:

أحدها: قال الزمخشري: مثلها في قولك: جئت لخمس خلون من الشهر(٤) ومنه بيت النابغة:

٣٧٢٠ ـ تَوَهَّمْتُ(٥) آيَاتٍ لها فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا العَامِ سَابِعُ(٦)(٧)

والثاني: أنها بمعنى (في) وإليه ذهب بن قتيبة وابن مالك وهو رأي الكوفيين(٨) ومنه عندهم: «لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا»(٩) وكقول(١٠) مسكين الدارمي:

٣٧٢١ ـ أُوْلَئِكَ قَوْمِي قَدْ مَضوا لسبيلِهِمْ كَمَا قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِ عَادٌ وَتُبَّعُ(١١)

وكقول الآخر:

---

(١) رجز مجهول القائل. الهيجاء: الحرب. الزّمر جمع زمرة وهي الجماعة.
والشاهد فيه قوله: «الجبن» حيث وقع مفعولاً له وهو مقرون بـ (أل) وجاء منصوباً على قلة، والأكثر فيه أن يكون مجروراً، لأن المفعول له إذا كان معرفاً بـ (أل) يقل تجرده من حرف الجر. وقد تقدم.

(٢) البحر المحيط ٦/٣١٦.

(٣) وذلك إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صاداً على لغة بني العنبر. قالوا في: أسبغ: أصبغ، وسخَّر: صخر، وسقت: صقت، وسراط: صراط. انظر الكتاب ٤/٤٧٩ ـ ٤٨١، الأصول ٣/٤٣١، سر صناعة الإعراب ١/٢١١ ـ ٢١٢.

(٤) أي: أن اللام بمعنى (عند).

(٥) في الكشاف: ترسمت.

(٦) البيت من بحر الطويل قاله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه (٣٠)، والكتاب ٢/٨٦، والمقتضب ٤/٣٢٢. والمقرب ٢٧١، البحر المحيط ٦/٣١٦، والمقاصد النحوية ٤/٤٨٢. وشرح شواهد الكشاف ٧٣. توهمها: لم يعرفها إلا توهماً لخفاء معالمها وانطماسها. الآيات: علامات الدار التي تعرف بها. لستة أعوام: يريد بعد ستة أعوام، والشاهد فيه مجيء اللام في قوله (لستة أعوام) بمعنى عند.

(٧) الكشاف ٣/١٣.

(٨) انظر التبيان ٢/٩١٩، البحر المحيط ٦/٣١٦.

(٩) من قوله تعالى **﴿يسألونك عن السَّاعة أيَّان مرساها قل إنَّما علمها عند ربِّي لا يجلّيها لوقتها إلاَّ هو ثقلت في السموات والأرض﴾** [الأعراف: ١٨٧].

(١٠) في ب: ولقول. وهو تحريف.

(١١) البيت من بحر الطويل قاله مسكين الدارمي وهو في الديوان (٥٠) برواية:

أولئك قوم قد مضوا لسبيلهم كما مات لقمان بن عاد وتبّع

والبحر المحيط ٦/٣١٦، والخزانة ٤/١٠١. تبّع: واحد التبابعة، وهم ملوك اليمن، سموا بذلك، لأنه يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته. والشاهد فيه مجيء اللام بمعنى (في) والتقدير: قد مضوا في سبيلهم.

٣٧٢٢ ـ وَكُلَّ أب وابن وإن عمرا معاً مقيمين مفقود لوقت وفاقد[١]

والثالث: أنها على بابها من التعليل ولكن على حذف مضاف أي: لحساب يوم القيامة و «شَيْئاً» يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً، وأن يكون مصدراً، أي: شيئاً من الظلم[٢].

فصل[٣]

في وضع الموازين[٤] قولان:

أحدهما: قال مجاهد: هذا مثل، والمراد بالموازين العدل، ويروى مثله عن قتادة والضحاك، والمراد بالوزن: القسط بينهم في الأعمال، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه أي: **ذهبت** سيئاته وحسناته حكاه ابن جرير[٥] عن ابن عباس.

والثاني: أنَّ الموازين توضع حقيقة ويوزن بها الأعمال، روي عن الحسن أنه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل ـ عليه السلام[٦] ـ يروى «أنَّ داود ـ عليه السلام[١٠] ـ سأل ربه أنْ يُرِيَه الميزان، فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه، ثم أفاق، فقال: إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات، فقال: يا داود إنِّي إذا[٧] رضيت عن عبد ملأتها بتمرة»[٨].

وعلى هذا القول في كيفية وزن الأعمال طريقان:

أحدهما: أن توزن صحائف الأعمال.

والثاني: أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود[٩] مظلمة فإن قيل: أهل القيامة إمّا أن يكونوا عالمين بكونه ـ تعالى ـ عادلاً غير ظالم أو لا يعلمون ذلك. فإن علموا كان مجرد حكمه[١٠] كافياً في معرفة أنَّ الغالب هو الحسنات أو السيئات فلا فائدة في وضع الميزان. وإن لم يعلموا ذلك لم تحصل الفائدة في وزن الصحائف، لاحتمال أنه جعل إحدى الصحيفتين أثقل أو[١١] أخف ظلماً، فلا فائدة في وضع الميزان على كلا التقديرين.

والجواب: قال ابن الخطيب: أما على قولنا «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»[١٢] وأيضاً ففيه

---

(١) البيت من بحر الطويل وهو في البحر المحيط ٣١٦/٦. والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق، وهو مجيء اللام بمعنى (في).
(٢) انظر البحر المحيط ٣١٦/٦.
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ١٧٦/٢٢ ـ ١٧٧.
(٤) في ب: الميزان.
(٥) جامع البيان ٢٥/١٧.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: أنا. وهو تحريف.
(٨) انظر البغوي ٤٩١/٥.
(٩) في الأصل: بيض. وهو تحريف.
(١٠) في الأصل: حكم. وهو تحريف.
(١١) في ب: و. وهو تحريف.
(١٢) من قوله تعالى: ﴿**لا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ظهور حال الولي من[١] العدو في مجمع الخلائق، فيكون لأحد القبيلين[٢] في ذلك أعظم السرور والأخرى أعظم الغم، ويكون ذلك بمنزلة نشر الصحف وغيره. وإذا ثبت ذلك فالدليل على وجود الموازين الحقيقية أن حمل لفظ الميزان على مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير دليل غير جائز لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة[٣] في ذلك[٤].

قوله: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ» قرأ نافع هنا[٥] وفي لقمان[٦] برفع «مِثْقَال»[٧] على أن «كَانَ» تامة، أي: وإنْ وجد مثقال[٨]. والباقون بالنصب[٩] على أنها ناقصة واسمها مضمر، أي: وإنْ كان العمل[١٠]. و «مِنْ خَرْدَلٍ» صفة لـ «حَبَّةٍ»[١١]. وقرأ العامة «أَتَيْنَا» من الإتيان بقصر الهمزة أي: جئنا بها.[١٢].

وفي حرف[١٣] أُبَيّ «جِئْنَا»[١٤]. وكذا قرأ ابن مسعود، وهو تفسير معنى لا تلاوة. وقرأ ابن عباس ومجاهد وسعيد وابن أبي إسحاق والعلاء بن سيابة[١٥]، وجعفر بن محمد «آتَيْنَا» بمد الهمزة[١٦]، وفيه أوجه:

أصحها: أنَّه (فَاعَلْنَا) من المواتاة وهي المجازاة والمكافأة، والمعنى: جازينا بها، ولذلك تعدى بالباء[١٧].

الثاني: أنَّها (مفاعلة)[١٨] من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة، لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء، قاله الزمخشري[١٩].

---

(١) في ب: إلى.

(٢) في ب: القبيلتين.

(٣) الصحيحة: سقط من ب.

(٤) الفخر الرازي ٢٢/١٧٦ ـ ١٧٧.

(٥) في الأصل: وهنا. وهو تحريف.

(٦) في قوله تعالى: ﴿يا بنيَّ إنَّها إن تك مثقال حبةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السَّموات أو في الأرض يأت بها الله إنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

(٧) السبعة: (٤٢٩، ٥١٣)، الكشف ٢/١١١، ١٨٨، والنشر ٢/٣٢٤، الإتحاف (٣١٠).

(٨) فتكتفي بالفاعل ولا تحتاج إلى المنصوب. انظر الكشف ٢/١١١، ومشكل إعراب القرآن ٢/٨٤، البيان ٢/١٦١، التبيان ٢/٩١٩ والكشاف ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٣١٦.

(٩) السبعة (٤٢٩، ٥١٣) والكشف ٢/١١١، ١٨٨، النشر ٢/٣٢٤، الإتحاف (٣١١).

(١٠) انظر الكشف ٢/١١١، ومشكل إعراب القرآن ٢/٨٤، البيان ٢/١٦١، التبيان ٢/٩١٩ والبحر المحيط ٦/٣١٦.

(١١) انظر التبيان ٢/٩١٩، وجوز أبو البقاء أيضاً أن يكون (من خردلٍ) صفه لـ (مثقال).

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/٣١٦.

(١٣) حرف: سقط من ب.

(١٤) المختصر (٩٢)، الكشاف ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٣١٦.

(١٥) لم أقف له على ترجمة فيما رجعت إليه من مراجع.

(١٦) الكشاف ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٣١٦.

(١٧) انظر البحر المحيط ٦/٣١٦.

(١٨) في النسختين: فاعلة. وهو تحريف.

(١٩) الكشاف ٣/١٣.

الثالث: أنه أفعل من الإيتاء، كذا توهم بعضهم وهو غلط. قال ابن عطية: ولو كان آتينا: أعطينا لما تَعَدَّتْ بحرف جر، وَيُوهِنُ هذه القراءة أنَّ إبدال[١] الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف، وإنما يُعْرَف ذلك في المضمومة والمكسورة[٢] يعني: أنه كان من حق هذا القارىء أن يقرأ «وَأَتَيْنَا» مثل وأعطينا، لأنها من المواتاة على الصحيح، فأبدل هذا القارىء الواو المفتوحة همزة وهو قليل ومنه أحد وأناة[٣].

قال أبو البقاء: ويُقْرَأ بالمد بمعنى جَازَيْنَا بها، فهو يَقْرُبُ من معنى أعطينا، لأنَّ الجزاء إعطاء، وليس منقولاً من أتينا، لأن ذلك لم يُنْقَلْ عنهم[٤].

وقرأ حُمَيْدُ «أَثْبْنَا» من الثواب[٥]، والضمير في «بِهَا»[٦] عائد على المثقال وأنّث ضميره لإضافته لمؤنث[٧]، فهو كقوله:

٣٧٢٣ ـ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[٨]

في اكتسابه التأنيث بالإضافة.

فصل

زعم الجبائي أنَّ من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءاً من الثواب فهذا الأقل ينحبط بالأكثر، فيبقى الأكثر كما كان[٩]. وهذه الآية تبطل قوله، لأن الله تعالى تمدح بأنَّ اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الأمر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة[١٠]. فإن قيل: الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال: «حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ؟» فالوجه فيه أن تفرض الخردلة كالدينار ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار. والغرض المبالغة في أنَّ شيئاً من الأعمال صغيراً كان أو كبيراً غير ضائع عند الله[١١]. ثم قال: «وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ».

قال السّديّ: مُحْصِينَ[١٢]. والحَسبُ: معناه العد. قال ابن عباس: عالمين

---

(١) في الأصل: بدل وهو تحريف.
(٢) تفسير ابن عطية ١٠/١٥٩.
(٣) أصل أحد وأناة: وحد ووناة، فإبدال الواو هنا همزة سماعيّ.
(٤) التبيان ٢/٩١٩.
(٥) المختصر (٩٢)، الكشاف ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٣١٦.
(٦) في ب: باها. وهو تحريف.
(٧) انظر الكشاف ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٣١٦.
(٨) عجز بيت من الطويل قاله الأعشى وصدره:

وتَشْرَق بالقول الَّذي قد أذعته

وسبق تخريجه.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٧٧.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) المرجع السابق.
(١٢) انظر البغوي ٥/٤٩١.

حافظين، لأنَّ من حسب[١] شيئاً علمه وحفظه[٢].

والغرض منه التحذير فإنَّ المحاسب إذا كان عالماً بحيث لا يمكن أن يفوته شيء، وكان في القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون شديد الخوف منه[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ» الآية. لما أمر رسوله[٤] أن يقول «إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ»[٥] أتبعه بأنه عادة الله في الأنبياء قبله. «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ» يعني: الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة، وكان «ضِيَاءً» لغاية وضوحه يتوصل به إلى طرق الهدى في معرفة[٦] الشرائع، وكان «ذكرى» أي موعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم.

وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء كقوله تعالى: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ»[٧] يعني: يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل[٨]. وهو مروي عن ابن عباس، ولأنه أدخل الواو في قوله «وَضِيَاءً» أي: آتينا موسى النصر والضياء، وهو التوراة، لأنَّ العطف يقتضي المغايرة. وقيل: المراد بالفرقان: البرهان الذي فرق به بين الحق والباطل. وقال الضحاك: الفرقان هو فلق البحر.

وقال محمد بن كعب: الفرقان الخروج عن الشبهات[٩]. ومن قال المراد بالفرقان: التوراة قال: الواو في قوله: «وَضِيَاءً» تكون من عطف الصفات، والمراد به شيء واحد، أي: آتيناه الجامع بين هذه الأشياء. وقيل: الواو زائدة[١٠]. قال أبو البقاء فـ «ضِيَاءً» حال على هذا[١١]. وإنما خصص الذكر بالمتقين كما في قوله «هُدًى للمتّقين»[١٢].

قوله: «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ» في محله ثلاثة أوجه: (الجر على النعت أو البدل أو البيان، والنصب ووالرفع على القطع)[١٣]. وفي معنى «الغَيْب» وجوه:

---

(١) في الأصل: لأن من حفظ حسب.
(٢) انظر البغوي ٥/ ٤٩١.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٩.
(٥) [الأنبياء: ٤٥].
(٦) في الأصل: موعظة وهو تحريف.
(٧) [الأنفال: ٤١].
(٨) انظر البغوي ٥/ ٤٩١.
(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٩.
(١٠) على مذهب الكوفيين والأخفش، أما البصريون فلا يرون زيادتها ولا تأتي عندهم إلا للعطف. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٤ والمغني ٢/ ٣٦٢.
(١١) التبيان ٢/ ٩١٩.
(١٢) [البقرة: ٢].
(١٣) انظر الكشاف ٣/ ١٣، التبيان ٢/ ٩١٩.

الأول: «يَخْشَوْنَ» أي: يخافون ربهم ولم يروه فيأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

وثانيها: يخشون ربهم وهم غائبون عن الآخرة وأحكامها.

وثالثها: يخشون ربهم في الخلوات إذا غابوا عن الناس[(١)] «وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ» خائفون. ثم قال: ولما أنزلت عليه الفرقان فكذلك هذا القرآن المنزل عليك وهو معنى قوله: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَك» يعني: القرآن «ذِكْرٌ» لمن تذكر به «مُبَارَكٌ» يتبرك به، ويطلب منه الخير، «أَفَأَنْتُمْ» يا أهل مكة «لَهُ مُنْكِرُونَ» جاحدون، استفهام إنكار وتوبيخ[(٢)]، والمعنى: لا إنكار في إنزاله وفي عجائب ما فيه.

قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ» الآية. «رُشْدَهُ» مفعول ثان.

وقرأ العامة «رُشْدَهُ» بضم الراء وسكون الشين. وعيسى الثقفي بفتحها[(٣)]. والرُّشْدُ والرَّشَدُ كالعُدْم والعَدَم[(٤)]، وقد تقدم الكلام عليهما[(٥)]. والمراد بالرُّشْد[(٦)]: النبوة لقوله «وَكُنّا بِهِ عَالِمِينَ»، لأنه تعالى إنَّمَا يخص بالنبوة من يعلم من حاله أنه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا[(٧)] يليق بها ويحترز عما ينفر قومه من القبول.

وقيل: الرُّشْد: الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا لقوله تعالى: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً»[(٨)] وقيل: يدخل تحت الرشد النبوة والاهتداء[(٩)].

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٧٩. وفي ب: الساعة. وهو تحريف.

(٢) انظر البحر المحيط ٦/٣١٧.

(٣) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٢٠. وفي ب بفتحها. وهو تحريف.

(٤) في ب: والعدم كالعدم. وهو تحريف. الرُّشد والرَّشد نقيض الغيّ، رشد الإنسان بالفتح يرشد رشداً، ورشد بالكسر يرشد رشداً. اللسان (رشد).
العَدَمُ والعُدْمُ والعُدُمُ فقدان الشيء وذهابه، وغلب على فقد المال وقلته عدمه يعدمه عُدْماً وعَدَماً. اللسان (عدم).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وإن يروا سبيل الرُّشد﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وذكر هناك أنهما لغتان في المصدر كالبخل والبخل والسُّقم والسَّقم، وقال أبو عمرو بن العلاء الرشد بضم وسكون الصلاح في النظر، وبفتحتين الدين. انظر اللباب ٤/٩٩.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٧) لا: سقط من الأصل.

(٨) [النساء: ٦].

(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

قوله: «مِنْ قَبْلُ»[(١)] أي: من قبل موسى وهارون، قاله ابن عباس، وهذا أحسن ما قدر به المضاف إليه[(٢)] وقيل: من قبل بلوغه أو نبوته حين كان في السرب فظهرت له الكواكب، فاستدل بها، وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتداء وإلا لزمه أن يحكم بنبوته ـ عليه السلام[(٣)] ـ قبل البلوغ. قاله مقاتل.

وروى الضحاك عن ابن عباس معنى «مِنْ قَبْلُ» أي: حين كان في صلب آدم لما أخذ الله ميثاق النبيين[(٤)].

والضمير في «بِهِ» يعود على «إِبْرَاهِيمَ». وقيل: على «رُشْدَهُ»[(٥)].

والمعنى: أنه تعالى علم منه أشياء بديعة وأسراراً عجيبة حتى أهّله لأن يكون[(٦)] خليلاً له، وهذا كقولك في رجل كبير: أنا عالم بفلان، فإنَّ هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه أدل مما إذا شرحت حال كماله[(٧)].

فصل[(٨)]

دَلَّت الآية على أنَّ الإيمان مخلوق لله تعالى، لأنَّهُ لو كان الرشد هو التوفيق والبيان، وقد فعل الله تعالى ذلك بالكفار فيجب أن يكون قد آتاهم رشدهم.

وأجاب الكعبي: بأنَّ هذا يقال فيمن قَبِلَ لا فيمن ردَّ، وذلك كمن أعطى المال لولدين فقبله أحدهما وثمره، وردَّه الآخر أو أخذه ثم ضيعه، يقال: أغنى فلان ابنه فيمن ثمر المال، ولا يقال فيمن ضيع. وهذا الجواب لا يتم إلا إذا جعلنا قبوله جزءاً من مسمى الرّشد وذلك باطل، لأنَّ المسمى إذا كان متركباً من جزأين ولا يكون أحدهما مقدور[(٩)] الفاعل لم يجز إضافة ذلك المسمى إلى ذلك الفاعل، فكان يلزم أن لا يجوز[(١٠)] إضافة الرشد إلى الله تعالى بالمفعولية[(١١)] لكن النص وهو قوله «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ» صريح في أنَّ ذلك الرشد إنما حصل من الله تعالى فبطل قوله.

قوله: «إِذْ قَالَ» يجوز أن يكون منصوباً بـ «آتَيْنَا» أو بـ «رُشْدَهُ» أو بـ «عَالِمِينَ» أو بمضمر أي: اذكر وقت قوله[(١٢)]. وجَوَّز أبو البقاء فيه أن يكون بدلاً من موضع

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٠. بتصرف.
(٢) في الأصل: ما قدره المضاف إليه. وفي ب: ما قدر به المضاف به. وما أثبته هو الصواب.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٠.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٠.
(٦) في ب: لأن لا يكون. وهو تحريف.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٣.
(٨) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٠.
(٩) في ب: معدود. وهو تحريف.
(١٠) في النسختين: أن يجوز. وما أثبته هو الصواب.
(١١) في النسختين بالمنقولة. وما أثبته هو الصواب.
(١٢) انظر الكشاف ٣/ ١٤، التبيان ٢/ ٩٢٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٠.

«قَبْلُ»[١]. أي: أنه يحل محله فيصح المعنى إذْ يصير التقدير: ولقد آتيناه رشده إذْ قال. وهو بعيدٌ من المعنى بهذا التقدير.

قوله: «مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثيل» أي: الصور، يعني: الأصنام. والتمثال: اسم للشيء المصنوع[٢] مشبهاً بخلق من خلق الله. وأصله من مثَّلْتُ الشيء بالشيء: إذا شبهته به، فاسم ذلك المُمَثَّل تِمْثَال[٣]. والتَّمَاثِيلُ: جمع تِمْثَال، وهو الصورة المصنوعة من رخام، أو نحاس، أو خشب، أو حديد؛ يشبه بخلق الآدمي وغيره من الحيوانات، قال امرؤ القيس:

٣٧٢٤ ـ فَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ[٤]

قوله: «لَهَا» قيل: اللام للعلة، أي: عاكفون لأجلها[٥]. وقيل: بمعنى (على)، أي: عاكفون عليها[٦]. وقيل: ضمّن «عَاكِفُونَ» معنى[٧] عابدين فلذلك أتى باللام[٨] وقال أبو البقاء: وقيل: أفادت معنى الاختصاص[٩].

وقال الزمخشري: لم ينو للعاكفين مفعولاً، وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقوله: فاعلون العكوف لها، أو واقفون لها. فإن قلت: هلاً قيل: عليها عاكفون كقوله: «يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ»[١٠] قلت: لو قصد التعدية لعداه بصلته[١١] التي هي[١٢] «على»[١٣].

قال شهاب الدين: الأولى أن تكون اللام للتعليل وصلة «عَاكِفُونَ» محذوفة أي: عاكفون عليها، أي[١٤]: لأجلها لا لشيء آخر[١٥].

قوله: «قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ» «عَابِدِينَ» مفعول ثان لـ «وَجَدْنَا» و «لَهَا» لا تعلق له، لأنَّ اللام زائدة في المفعول به[١٦] لتقدمه[١٧].

---

(١) قال أبو البقاء: (لا يجوز أن يكون بدلاً من موضع «من قبل») التبيان ٢/ ٩٢٠.
(٢) في النسختين: الموضوع. والصواب ما أثبته.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٠، القرطبي ١١/ ٢٩٦.
(٤) البيت من بحر الطويل قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ٢٩، المقرب ٢١٩ والبحر المحيط ٦/ ٣١٨، المغني ١/ ١٣٥، ٢/ ٥٨٧، شرح التصريح ٢/ ١٨، الهمع ٢/ ٢٦ شرح شواهد المغني ١/ ٣٤١، ٣٩٣، الدرر ٢/ ١٨.
(٥) انظر التبيان ٢/ ٩٢٠. البحر المحيط ٦/ ٣٢٠. (٦) المرجعان السابقان.
(٧) في ب: بمعنى. وهو تحريف.
(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٠.
(٩) التبيان ٢/ ٩٢٠.
(١٠) [الأعراف: ١٣٨].
(١١) في النسختين: بصلة. والصواب ما أثبته.
(١٢) هي: تكملة من الكشاف.
(١٣) الكشاف ٣/ ١٤.
(١٤) أي: سقط من الأصل.
(١٥) الدر المصون ٥/ ٥١.
(١٦) في ب: المعلول. وهو تحريف.
(١٧) وهذه اللام تسمى لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخيره أو بكونه فرعاً في العمل، وقد اجتمع التأخير والفرعية هنا. المغني ١/ ٢١٧.

فصل

اعلم أنَّ القوم لم يجدوا في جوابه إلاَّ طريقة التقليد فأجابوه بأنَّ آباءهم سلكوا هذا الطريق، فاقتدوا بهم، فلا جرم أجابهم إبراهيم ـ عليه السلام(١) ـ بقوله(٢): «لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ في ضلاَلٍ مُبِينٍ» فبين أنَّ الباطل لا يصير حقاً بكثرة المتمسكين به(٣). قوله: «أَنْتُمْ» تأكيد للضمير المتصل.

قال الزمخشري: و «أَنْتُمْ» من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال(٤) به، لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع، ونحوه «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة»(٥). قال أبو حيان: وليس هذا حكماً مجمعاً عليه فلا يصح الكلام مع الإخلال(٦) به، لأنَّ الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل، ولا فصل(٧)، وتنظير(٨) ذلك بـ «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ» مخالف لمذهبه في «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ» لأنه يزعم أنَّ «وَزَوْجُكَ» ليس معطوفاً على الضمير المستكن في «اسْكُنْ» بل مرفوع بفعل مضمر أي: وليسكن، فهو عنده من قبيل عطف الجمل(٩)، وقوله(١٠) هذا(١١) مخالف لمذهب(١٢) سيبويه(١٣).

---

(١) في ب: عليه الصلاة السلام.

(٢) بقوله: سقط من ب.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٠.

(٤) في ب: الإضلال. وهو تحريف.

(٥) [البقرة: ٣٥]، [الأعراف: ١٩]. الكشاف ٣/ ١٤.

(٦) في ب: الإخلاط. وهو تحريف.

(٧) سبق أن بينت عند قوله تعالى: **﴿فلنأتينَّك بسحرٍ مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾** [طه: ٥٨] أنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل إلا بعد تأكيده بالضمير المنفصل أو فصل يقوم مقام التأكيد. وهو مذهب البصريين. أما الكوفيون فيجوزون العطف على هذا الضمير بلا فصل اختياراً حكي: مررت برجلٍ سواء والعدم، وفي الصحيح «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر». وهذا الحديث يحتمل أن يكون مرويًا بالمعنى. انظر الهمع ٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٨) في ب: وينظر. وهو تحريف.

(٩) وكلام الزمخشري عند هذه الآية مخالف لما حكاه أبو حيان عنه فإنه قال: (و «أنت» تأكيد للمستكن في «أسكن» ليصح العطف عليه) الكشاف ١/ ٦٣ فيفهم من كلامه أنه من عطف المفردات لا من عطف الجمل.

(١٠) في ب: وقويله. وهو تحريف.

(١١) في النسختين: هنا.

(١٢) في ب: لمذهبه. وهو تحريف.

(١٣) البحر المحيط ٦/ ٣٢٠. ذلك أنَّ مذهب سيبويه في مسألة العطف على الضمير المرفوع المتصل كمذهب البصريين في ذلك حيث قال سيبويه في كتابه: (وأمّا ما يقبح أن يشركه المظهر فهو المضمر في الفعل المرفوع، وذلك قولك: فعلت وعبد الله وأفعل وعبد الله) ثم ذكر تعليل الخليل لقبحه، ثم قال: (فإن نعته حسن أن يشركه المظهر، وذلك قولك: ذهبت أنت وزيد، وقال الله عز وجل **﴿اذهب أنت وربُّك﴾** [المائدة: ٢٤] و **﴿اسكن أنت وزوجك الجنَّة﴾** [البقرة: ٣٥] [الأعراف: ١٩] وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام حيث طوله وأكده) الكتاب ٢/ ٣٧٨.

قال شهاب الدين: لا يلزم من ذلك أنه خالف مذهبه إذ يجوز أن ينظر بذلك عند من يعتقد ذلك[١] وإن لم يعتقده (هو[٢])[٣].

و «فِي ضَلاَلٍ» يجوز أن يكون خبراً إن كانت (كَانَ) ناقصة، أو متعلقاً بـ «كُنْتُمْ» إن كانت تامة.

قوله: «أَجِئْتَنَا بِالحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ» لما حقق عليه السلام[٤] ذلك عليهم، ولم يجدوا من كلامه مخلصاً ورأوه منكراً عليهم مع كثرتهم «قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ» فأوهموه بهذا الكلام أنه يبعد أن يقدم على الإنكار عليهم جاداً في ذلك، وقالوا: أجاد أنت فيما تقول أم لاعب، فأجابهم بقوله ـ عليه السلام[٥] ـ «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» الآية[٦]. قوله «بِالحَقِّ» متعلق بـ «جئت»، وليس المراد به[٧] حقيقة المجيء إذ لم يكن غائباً[٨]. و «أَمْ أَنْتَ» «أَمْ» متصلة[٩] وإن كان بعدها جملة، لأنها في حكم المفرد إذ التقدير: أي الأمرين واقع مجيئك بالحق أم لعبك كقوله:

٣٧٢٥ ـ ما أُبَالِي أَنَبَّ بِالحَزْنِ تَيسٌ   أَمْ لَحَانِي[١٠] بِظَهْرِ غَيبٍ لَئِيمُ[١١]

وقوله[١٢]:

٣٧٢٦ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتَ دَارِياً   شُعَيثُ بنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيثُ بْنُ مِنْقَرِ[١٣]

---

(١) ذلك: سقط من الأصل.

(٢) الدر المصون ٥/ ٥١.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) في ب: فأجابهم عليه الصلاة والسلام بقوله.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨١.

(٧) في ب: أنه. وهو تحريف.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٠.

(٩) أم المتصلة هي التي يتقدم عليها همزة التسوية نحو **﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾** [المنافقون: ٦] أو يتقدم عليها همزة يطلب بها وبـ (أم) التعيين نحو أزيد في الدار أو عمرو؟ انظر المغني ١/ ٤١.

(١٠) في النسختين: حقاني. وهو تحريف.

(١١) البيت من بحر الخفيف قاله حسان بن ثابت، وهو في شرح الديوان (٤٣٤) والكتاب ٣/ ١٨١ والمقتضب ٣/٢٩٨، أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٣٤، المقاصد النحوية ٤/١٣٥، الخزانة ١١/ ١٥٥.

(١٢) وقوله: سقط من ب.

(١٣) البيت من بحر الطويل نسبه سيبويه إلى الأسود بن يعفر ونسبه المبرد في الكامل إلى اللعين المنقري، وهو في الكتاب ٣/ ١٧٥، المقتضب ٣/ ٢٩٤، الكامل ٢/ ٧٩٣ ٣/ ١٠٩٥، المحتسب ١/ ٥٠، المغني ١/ ٤٢، المقاصد النحوية ٤/١٣٨، شرح التصريح ٢/ ١٤٣، الهمع ٢/ ١٣٢، شرح شواهد المغني ١/ ١٣٨، الأشموني ٣/ ١٠١، ١٠٤، الخزانة ١١/ ١٢٨، الدرر ٢/ ١٧٥. شعيث: حي من تميم، ثم من بني منقر، فجعلهم أدعياء، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم. وسهم: حي من قيس. والشاهد فيه وقوع (أم) المتصلة بين جملتين اسميتين.
واستشهد به سيبويه على حذف همزة الاستفهام ضرورة لدلالة (أم) عليها.

يريد: أي الأمرين واقع، ولو كانت منقطعة لَقُدِّرَتْ بـ (بل) والهمزة وليس ذلك مراداً.

قوله: «الذي فَطَرَهُنَّ» يجوز أن يكون مرفوع الموضع أو منصوبه على القطع. والضمير المنصوب في «فَطَرَهُنَّ» للسموات والأرض(١). قال أبو حيان: ولما لم تكن السموت والأرض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة(٢). قال شهاب الدين: إن عنى لم تبلغ كل واحد من السموات والأرض فمسلم ولكنه غير مراد، بل المراد المجموع، وإن عنى لم تبلغ المجموع منهما فغير مسلم، لأنه يبلغ أربع عشرة، وهو فوق حد جمع الكثرة، اللهم إلاّ أنْ نقول(٣): إنَّ الأرض شخص واحد وليست بسبع كالسماء على ما رآه بعضهم، فيصح له ذلك، ولكنه غير معول عليه(٤). وقيل: على التماثيل(٥).

قال الزمخشري: وكونه للتماثيل أثبت لتضليلهم وأدخل في الاحتجاج عليهم(٦).

وقال ابن عطية: «فَطَرَهُنَّ» عبارة عنها كأنها تعقل، وهذا من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بوصف من يعقل(٧). وقال غيره: «فَطَرَهُنَّ» أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الأحوال التي تدل على أنهما من قبيل مَنْ يعقل، فإنَّ الله تعالى أخبر بقوله: «أَتَيْنَا طَائِعِينَ»(٨) وقوله ـ عليه السلام(٩) ـ «أَطَّتِ السماءُ وحقَّ لها أن تَئِطَّ(١٠)»(١١). قال شهاب الدين: كأنَّ ابن عطية وهذا القائل توهما أنَّ (هُنَّ) من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات، وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى: «مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ»(١٢) ثم قال تعالى «فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ»(١٠)(١٣).

قوله: «عَلَى ذَلِكُمْ» متعلق بمحذوف(١٤) أو بـ «الشَّاهِدِينَ» اتساعاً(١٥)، أو على

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٢١.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٣٢١.

(٣) في ب: يقال.

(٤) الدر المصون ٥/ ٥٢.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٢١.

(٦) الكشاف ٣/ ١٤.

(٧) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٦١.

(٨) من قوله تعالى **﴿ثم استوى إلى السَّماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾** [فصلت: ١١].

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) أخرجه الترمذي (زهد) ٤/ ٥٥٦، ابن ماجه (زهد) ٢/ ١٤٠٢ أحمد ٥/ ١٧٣، وانظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٥٤، الفائق ١/ ٤٩. الأطيط: الحنين والصوت أي: أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢١.

(١٢) من قوله تعالى **﴿إنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السَّموات والأرض منها أربعةٌ حرمٌ ذلك الدِّين القيِّم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم﴾** [التوبة: ٣٦].

(١٣) الدر المصون ٥/ ٥٢.

(١٤) انظر البيان ٢/ ١٦٢، والتبيان ٢/ ٩٢٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٠.

(١٥) أي: لاتساعهم في الظرف والمجرور. البحر المحيط ٦/ ٣٢١.

البيان[١]، وقد تقدم نظيره نحو «لَكُمَا لَمِنَ[٢] النَّاصِحِينَ»[٣].

فصل[٤]

اعلم أنَّ القوم لمَّا أوهموه أنه كالمازح في ما خاطبهم به في أمر أصنامهم أظهر ذلك بالقول أولاً ثم بالفعل ثانياً. أمَّا القول فهو قوله: «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ» وهذا يدل على أنَّ الخالق الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن أن يعبد لأن القادر على ذلك هو الذي يقدر على الضرر والنفع، وهذه الطريقة هي نظير قوله: «لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلا[٥] يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً»[٦]، ثم قال: «وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ» أي: على أنه لا إله إلا الذي لا يستحق العبادة إلا هو. وقيل: «مِنَ الشَّاهِدِينَ» على أنه خالق السموات والأرض.

وقيل: إنِّي قادر على إثبات ما ذكرته بالحجة، وإني لست مثلكم أقول[٧] ما لا أقدر على إثباته بالحجة، ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم. وقيل: المراد منه المبالغة في التأكيد والتحقيق، كقول الرجل إذا بالغ في مدح آخر أو ذمه: أشهد أنه كريم أو ذميم.

قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

وأما الفعل فقوله: «وَتَاللَّهِ[٨] لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» لأمكرن بها. قرأ[٩] العامة «تَاللَّهِ» بالتاء المثناة فوق. وقرأ معاذ بن جبل[١٠]، وأحمد بن حنبل[١١] بالباء الموحدة[١٢]. قال الزمخشري: فإنْ قُلْتَ: ما الفرق بين التاء والباء[١٣]؟ قلتُ: الباء[١٤] هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدل[١٥] منها، وأنَّ التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه[١٦]. أما قوله: إنَّ الباء هي الأصل فيدل على ذلك تصرفها

---

(١) انظر البحر المحيط: ٦/ ٣٢١.
(٢) في ب: من. وهو تحريف.
(٣) من قوله تعالى: **﴿وقاسمهما إنّي لكما لمن النَّاصحين﴾** [الأعراف: ٢١].
(٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨١ ـ ١٨٢.
(٥) في الأصل: وما لا. وهو تحريف.
(٦) [مريم: ٤٢].
(٧) في ب: أقوى. وهو تحريف.
(٨) في ب: والله. وهو تحريف.
(٩) في الأصل: قال. وهو تحريف.
(١٠) تقدم.
(١١) تقدم.
(١٢) الكشاف ٣/ ١٤، البحر المحيط ٦/ ٣٢١.
(١٣) في ب: الباء. وهو تحريف.
(١٤) الباء: سقط من ب.
(١٥) في الأصل: والمبدل.
(١٦) الكشاف ٣/ ١٤.

في الباب[١] بخلاف الواو والتاء[٢]، وإن كان السُّهيلي قد ردَّ كون الواو بدلاً منها[٣].

وقال أبو حيان: النظر يقتضي أن كلاً منهما أصل[٤]. وأما قوله: التعجب فنصوص النحويين أنه يجوز فيها التعجب وعدمه، وإنما يلزم ذلك مع اللام[٥] كقوله:

٣٧٢٧ ـ لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حِيَدٍ　　بِمُشْمَخِرٍّ بِهِ الظَّيَانُ[٦] والآسُ[٧]

و «بَعْدَ» منصوب بـ «لأَكِيدَنَّ»، و «مُدْبِرِينَ» حال مؤكدة، لأن «تُوَلُّوا» يفهم معناها. وقرأ العامة «تُوَلُّوا» بضم التاء واللام مضارع (وَلَّى) مشدداً[٨].

وقرأ عيسى بن عمر «تَوَلَّوا» بفتحهما مضارع (تَوَلَّى)[٩]، والأصل: تتولوا فحذف

---

(١) في الأصل: في التاء والباب. وهو تحريف.

(٢) الباء أصل حروف القسم، لأنها أوسعها إذ تدخل على الظاهر والمضمر تقول: بالله لأفعلن وبك لأذهبن، وغيرها إنما يدخل على الظاهر دون المضمر. ويصرح بفعل القسم معها فتقول: أحلف بالله وأقسم بالله تفعل ذلك بغيرها ويؤتى بها للاستعطاف، كأن تحلف على إنسان فتقول: بالله إلا فعلت وتفعل ذلك بغيرها لأنه ليس قسم. وتحذف الباء فينتصب المقسم به بالفعل المضمر نحو الله لأفعلن، يمين الله، أمانة الله. والتاء بدل من الواو، وإنما أبدلت منها، لأنها قد أبدلت منها كثيراً نحو قولهم: تجاه وتراث. وهذه الواو بدل من الباء لموافقتها لها في المخرج فهما من الشفتين وتقاربهما في المعنى إذ الواو للجمع والباء للإلصاق؛ لأن الشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه. انظر شرح المفصل ٩/ ٩٩ ـ ١٠٤.

(٣) في الأصل: قد ردَّ بدل الواو منها. انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٤) وعبارته: (والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء منها أصلاً لآخر) البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٥) والتاء لضعفها بكونها في المرتبة الثالثة اختصت باسم الله تعالى لشرفه وكونه اسماً لذاته سبحانه تقول: تالله لأفعلن، وفيها معنى التعجب قال الله تعالى: ﴿**تالله لقد آثرك الله علينا**﴾ [يوسف: ٩١]، وربما جاءت لغير التعجب كقوله تعالى ﴿**وتالله لأكيدنَّ أصنامكم**﴾ [الأنبياء: ٥٧] بخلاف اللام فإنها تدخل للقسم على معنى التعجب كالبيت المستشهد به في الأصل. قال سيبويه: وقد تقول: تالله. وفيها معنى التعجب. وبعض العرب يقول في هذا المعنى: لله فيجيء باللام، ولا تجيء إلا أن يكون فيها معنى التعجب. قال أميّة بن أبي عائذ:

لله يبقى على الأيام ذو حيدٍ　　بمشمخرٍ به الظّيّان والآس

الكتاب ٣/ ٤٩٧. وانظر شرح المفصل ٩/ ٩٩ البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٦) في ب: الضيان. وهو تحريف.

(٧) البيت من بحر البسيط قاله أميّة بن أبي عائذ أو أبو ذؤيب الهذلي أو مالك بن خويلد الخناعي الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ٢، والكتاب ٣/ ٤٩٧، المقتضب ٢/ ٣٢٣، أمالي ابن الشجري ١/ ٣٦٩، وشرح المفصل ٩/ ٩٨، ٩٩، المغني ١/ ٢١٤، القرطبي ١١/ ٢٩٧، الهمع ٢/ ٣٢، شرح شواهد المغني ٢/ ٥٧٤، شرح الأشموني ٢/ ٢١٦ الخزانة ١٠/ ٩٥، الدرر ٢/ ٢٩. حِيد جمع حَيَد: وهو كل نتوء في قرن أو جبل. المشمخرُ: الجبل العالي. الظيان: ياسمين البر. الآس: الريحان ومنابتهما الجبال وحزون الأرض. والشاهد فيه دخول اللام على لفظ الجلالة في القسم بمعنى التعجب. واستشهد به أيضاً على حذف حرف النفي وهو (لا) إذا وقعت جواباً للقسم. والتقدير: لا يبقى.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.　　(٩) المختصر(٩٢) البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

إحدى التاءين إمَّا الأولى على رأي هشام(١)، وإمَّا الثانية على رأي البصريين(٢) وينصرها قراءة الجميع «فَتَولَّوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ»(٣)، ولم يقرأ أحد «تُوَلُّوا» وهي قياس(٤) قراءة الناس هنا، وعلى كلتا القراءتين فلام الكلمة محذوفة، وهو(٥) الياء، لأنه من «وَلَّى»، ومتعلق هذا الفعل محذوف تقديره: تولوا إلى عيدكم ونحوه(٦). فإن قيل: الكيد ضرر الغير بحيث لا يشعر به ولا يتأتى ذلك في الأصنام فكيف قال: «لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ»؟

فالجواب: توسعاً لما كان عندهم أنَّ الضرر يجوز عليها، وقيل: المراد لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل أنزل بهم الغم(٧).

قوله: «فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً». قرأ العامة «جُذَاذاً»(٨) بضم الجيم، والكسائي بكسرها(٩) وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها(١٠). قال قطرب: هي في لغاتها كلها مصدر، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث(١١) والظاهر أنَّ المضموم اسم للشيء المكسر كالحطام والرفات والفتات بمعنى(١٢) الشيء المحطم والمفتت(١٣). وقال اليزيدي: المضموم جمع جُذَاذَة بالضم نحو زجاج في زجاجة(١٤)، والمكسور جمع جَذِيذ نحو كِرَام في كَرِيم(١٥). وقال بعضهم: المفتوح مصدر بمعنى المفعول أي: مَجْذوذِينَ. ويجوز على هذا أن يكون على حذف مضاف أي: ذوات جذاذ(١٦).

---

(١) هو هشام بن معاوية الضرير، أبو عبد الله النحوي الكوفي، أحد أعيان أصحاب الكسائي، صنف مختصر النحو، الحدود، القياس. مات سنة ٢٠٩ هـ بغية الوعاة ٢/٣٢٨.

(٢) احتج هشام بأن الثانية تدل على معنى هو المطاوعة وحذفها يخل بذلك، واحتج البصريون بأن الثقل حصل بالثانية وهي قريبة من الطرف وبأن الأولى تدل على المضارعة وحذفها يضيع المقصود منها. انظر الإنصاف ٢/٦٤٨ ـ ٦٥٠ ضياء السالك ٤/٤٢٣، شرح التصريح ٢/٤٠١، الأشموني ٤/٣٥١.

(٣) [الصافات: ٩٠]. وانظر الكشاف ٣/١٤، البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(٤) قياس: سقط من ب.

(٥) في ب: وهي.

(٦) انظر البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٨٢.

(٨) جذاذاً: سقط من ب.

(٩) السبعة: (٤٢٩) الكشف ٢/١١٢، النشر ٢/٣٢٤، الإتحاف (٣١١).

(١٠) المختصر (٩٢) المحتسب ٢/٦٤. البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(١١) المحتسب ٢/٦٤، حيث قال ابن جني: (وكذلك روينا عن قطرب: جذَّ الشيء يجذُّه جذّاً وجُذاذاً وجِذاذاً وجَذاذاً) وانظر أيضاً البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(١٢) في ب: وبمعنى.

(١٣) انظر البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(١٤) البحر المحيط ٦/٣٢٢.

(١٥) وذلك أن (فعال) من أمثلة جمع الكثرة، ومما يطرد فيه كل ما كان على وزن فعيل أو فَعِيلَة وصفاً للفاعل صحيح اللام نحو كريم وكريمة، وظريف وظريفة تقول في جمعها: كرام وظراف. انظر البحر المحيط ٦/٣٢٢، وشرح الأشموني ٤/١٣٥.

(١٦) انظر التبيان ٢/٩٢٠.

وقيل: المضموم جمع جُذَاذَة بالضم، والمكسور جمع جِذَاذَة بالكسر، والمفتوح مصدر[١] وقرأ ابن وثاب «جُذُذاً»[٢] بضمتين دون ألف بين الذالين[٣]، وهو جمع جَذِيذ[٤] كقَلِيب وقُلُبٍ[٥]. وقرىء بضم الجيم وفتح الذال[٦]، وفيها وجهان:

أحدهما: أن يكون أصلها ضمتين، وإنما خففت بإبدال الضمة فتحة نحو سُرَر وذُلَل في جمع سرير وذليل، وهي لغة لبني كلب[٧].

والثاني: أنه جمع جذَّة[٨] نحو قبب في قبة ودرر[٩] في درة[١٠].

والجذ القطع والتكسير، وعليه قوله[١١]:

٣٧٢٨ ـ بَنُو[١٢] المُهَلَّبِ جَذَّ اللَّهُ دَابِرَهُمْ أَمْسَوا رَمَاداً فَلاَ أَصْلٌ وَلاَ طَرَفُ[١٣]

وتقدم هذا مستوفى في هود[١٤]. فإن قيل: لِمَ قال «جَعَلَهُمْ» وهذا جمع لا يليق إلا بالعقلاء؟

فالجواب عَامَلَ الأصنام مُعَاملة العقلاء حيث اعتقدوا فيها ذلك[١٥].

قوله: «إلاَّ كَبِيراً» استثناء من المنصوب في «فَجَعلَهُمْ»، أي: لم يكسره بل تركه[١٦]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) في ب: جذاذ. وهو تحريف.

(٣) المختصر (٩٢). البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٤) في ب: لجذيذ.

(٥) وذلك أن (فعل) من أمثلة جمع الكثرة، وهو يطرد في كل اسم رباعي ثالثه مدة صحيح اللام، نحو قضيب وقضب، وسرير وسرر، وعمود وعمد، وزبور وزبر، وكتاب وكتب، وإذا كانت المدة ألفاً اشترط في المفرد ألا يكون مضعفاً فلا يجمع نحو مداد ولا سنان ولا هلال على فعل. ويطرد أيضاً في كل وصف على فعول ـ بفتح الفاء وضم العين ـ بمعنى فاعل، نحو صبور، وغفور وشكور، تقول في جمعها: صبر وغفر وشكر.
انظر شرح الأشموني ٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٦) التبيان ٢/ ٩٢٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٠٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

(٨) في ب: جذذة.

(٩) في الأصل: ددر. وهو تحريف.

(١٠) وذلك أن (فعل) من أمثلة جموع الكثرة، ومما يطرد فيه ما كان على فعلة ـ بضم الفاء وسكون العين ـ اسماً نحو غرفة وغرف وحُجة وحجج. انظر البحرالمحيط ٦/ ٣٢٢، وشرح الأشموني ٤/ ١٣٠.

(١١) في ب: قول. وهو تحريف.

(١٢) في الأصل: بنوا، وفي ب: بني.

(١٣) البيت من بحر البسيط قاله جرير، وهو في ديوانه ١/ ١٧٦، وفيه: «آل» مكان «بنو» ومجاز القرآن ٢/ ٥٠، الكامل ٢/ ١٠٤٠، البحر المحيط ٦/ ٣١٨. والشاهد فيه أنَّ الجذَّ معناه القطع والتكسير.

(١٤) عند قوله: **﴿وأمَّا الَّذين سعدوا ففي الجنَّة خالدين فيها ما دامت السَّموات والأرض إلاَّ ما شاء ربُّك عطاءً غير مجذوذٍ﴾** [هود: ١٠٨] وذكر هناك «غير مجذوذ» في المختار: جذّه كسره وقطعه وبابه ردّ والجذاذ بضم الجيم وكسرها ما تكسر منه والضم أفصح، و «عطاءً غير مجذوذٍ» أي غير مقطوع، والجذاذات القراضات. انظر اللباب ٤/ ٣٧٤.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٢.

(١٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.

و «لَهُمْ» صفة له، وهذا الضمير يجوز أن يعود على الأصنام، وتأويل عود ضمير العقلاء عليها تقدم. ويجوز أن يعود على عابديها[١]. والضمير في «إِلَيْهِ» يجوز أن يعود إلى «إبراهيم»، أي: يرجعون إلى مقالته حين يظهر لهم الحق، أو غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما شاهدوه من إنكاره لدينهم، وسب آلهتهم، فيبكتهم بما أهانهم[٢] به من قوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ»[٣].

ويجوز أن يعود إلى الكبير[٤]، وفيه وجهان:

أحدهما: لعلهم يرجعون إليه كما يرجعون إلى العالم في حل[٥] المشكلات، فيقولون: ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ وهذا قول الكلبي. وإنما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم، فلعلهم كانوا يعتقدون فيها أنها تجيب وتتكلم.

والثاني: أنه ـ عليه السلام[٦] ـ قال ذلك مع علمه أنهم لا يرجعون إليه (استهزاء[٧] بهم)[٨].

فصل[٩]

قال السّدّيّ: كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان هذا الوقت قال آزر لإبراهيم: لو خرجت معنا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إنِّي سَقِيم أشتكي رِجْلِي[١٠]، فلمَّا مَضَوْا وبقي ضعفاء الناس، نادى وقال: «تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» أي: إلى عيدكم. فسمعوها منه. واحتج هذا القائل بقوله تعالى: «قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَه إِبْرَاهِيمُ»[١١].

وقال الكلبيّ: كان إبراهيم ـ عليه السلام[١٢] ـ من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يتركوا إلاّ مريضاً، فلما هَمَّ إبراهيم بكسر الأصنام، نظر قبل يوم العيد إلى السماء، وقال لأصحابه: أراني أشتكي غداً، وهو قوله: «فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ»[١٣]. وأصبح في الغد معصوباً رأسه، فخرج القوم لعيدهم

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٢.
(٢) في الأصل: أهابهم. وفي ب: أعابه. والصواب ما أثبته.
(٣) [الأنبياء: ٦٣]. وانظر الكشاف ٣/ ١٤، والفخر الرازي ٢٢/ ١٨٣.
(٤) قال ابن عطية: (ويحتمل أن يعود الضمير إلى الكبير المتروك، ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٦٢. وهذا قول الكلبي، الكشاف ٣/ ١٤.
(٥) في ب: محل. وهو تحريف.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤.
(٨) ما بين القوسين سقط من ب.
(٩) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٢.
(١٠) في ب: رجل.
(١١) «يقال له إبراهيم»: سقط من ب. [الأنبياء: ٦٠].
(١٢) عليه السلام: سقط من ب.
(١٣) [الصافات: ٨٨، ٨٩].

ولم يتخلف أحد غيره، فقال «وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» فسمع رجل منهم هذا القول، فحفظه عليه، ثم أخبر به غيره، وانتشر ذلك في جماعة، فلذلك قال تعالى: «قَالوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ»، ثم إنَّ إبراهيم ـ عليه السلام[١] ـ دخل بيت الأصنام فوجد سبعين صنماً مصطفة[٢]، وعند الباب صنم عظيم من ذهب مستقبل الباب وفي عينه جوهرتان تضيئان بالليل، فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلاَّ الكبير علق الفأس في عنقه.

فإن قيل: أولئك الأقوام إمَّا أنْ يكونوا عقلاء أو لم يكونوا عقلاء، فإن كانوا عقلاء وجب أن يكونوا عالمين بالضرورة أنَّ تلك الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضرّ، فأي حاجة في إثبات ذلك إلى كسرها؟ أقصى ما في الباب أن يقال: القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف والمسجد والمحراب وكسرها لا يقدح في تعظيمها من هذا الوجه. وإن لم يكونوا عقلاء لم يحسن مناظرتهم ولا بعثة الرسل إليهم.

فالجواب: أنهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين بالضرورة أنها جمادات، ولكن لعلهم كانوا يعتقدون فيها أنها تماثيل للكواكب، وأنها طلسمات موضوعة، بحيث إنّ كل من عبدها[٣] انتفع، وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد، ثم إنَّ إبراهيم ـ عليه السلام[٤] ـ كسرها ولم ينله منها ضرر ألبتة، فكان فعله دالاً على فساد مذهبهم[٥]. قوله: «مَنْ فَعَلَ هَذَا» يجوز في «مَنْ»[٦] أن تكون استفهامية وهو الظاهر، فعلى هذا تكون الجملة من قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» استئنافاً لا محل لها من الإعراب[٧]. ويجوز أن تكون موصولة بمعنى (الَّذِي)، وعلى هذا فالجملة من «إِنَّهُ» في محل رفع خبراً للموصول، والتقدير: الذي فعل هذا بآلهتنا إنَّه[٨]. ومعنى الآية: مَنْ فَعَلَ هذا الكسر والحطم[٩] الشديد معدود في الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقة بالتوقير والإعظام، وإما لأنهم رأوا إفراطاً في كسرها، وتمادياً في الاستهانة بها[١٠].

قوله: «يَذْكُرُهُمْ». في هذه الجملة أوجه:

أحدها: أن «سمع» هنا يتعدى لاثنين، لأنها متعلقة بعين، فيكون «فَتًى» مفعولاً أولاً و «يَذْكُرُهُمْ» هذه الجملة في محل نصب مفعولاً ثانياً، ألا ترى أنك لو قلت: سَمِعْتُ زَيْداً، وسَكَتَّ لم يكن كلاماً بخلاف: سمعت قراءته وحديثه[١١].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) في الأصل: مصففة. وهو تحريف.
(٣) عبدها: سقط من ب.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٣.
(٦) في ب: يجوز من في من. وهو تحريف.
(٧) انظر التبيان ٢/ ٩٢١، القرطبي ١١/ ٢٩٨، البحر المحيط ٦/ ٣٢٣.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩٢١، والقرطبي ١١/ ٢٩٨ وكون (من) استفهامية هو الأولى لقوله: «سمعنا فتى يذكرهم» وهذا هو جواب «من فعل هذا؟».
(٩) في ب: الخطم. وهو تصحيف.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٣.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٢١.

والثاني: أنها في محل نصب أيضاً صفة لـ «إبراهيم».

قال الزمخشري: فإنْ قُلْتَ: ما حكم الفعلين بعد «سَمِعْنَا»، وما الفرق بينهما؟ قلت: هما صفنان لـ «فَتَى» إلاَّ أنَّ الأول وهو «يَذْكُرُهُمْ» لا بدَّ منه(١) لـ «سَمِعَ»(٢) لأنك لا تقول: سَمِعْتُ زَيْداً وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع، وأما الثاني فليس كذلك(٣). وهذا الذي قاله(٤) لا يتعين لما عرفت أن(٥) سمع إن تعلقت بما سمع(٦) نحو سمعت مقالة بكر فلا خلاف أنها تتعدى لواحد. وإن تعلقت بما لا يسمع فلا يكتفى به أيضاً بلا خلاف بل لا بدّ من ذكر شيء يسمع، فلو قلت: سَمِعْتُ زَيْداً، وسكت، أم سَمِعْتُ زَيْداً يركب، لم يجز، فإن قلت: سمعته يقرأ صح، وجرى في ذلك خلاف بين النحاة فأبو علي يجعلها متعدية لاثنين، ولا يتمشى عليه قول الزمخشري. وغيره يجعلها متعدية لواحد، ويجعل الجملة بعد المعرفة حالاً وبعد النكرة صفة، وهذا أراد الزمخشري(٧).

قوله: «إِبْرَاهِيمُ». في رفع «إِبْرَاهِيمُ» أوجه:

أحدها: أنه مرفوع على ما لم يسم فاعله، أي: يقال له هذا اللفظ، وكذلك قال أبو البقاء: فالمراد الاسم لا المسمى(٨). وفي هذه المسألة خلاف بين النحويين أعني تسلط القول على المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة، ولا هو مصدر لـ «قال»، ولا هو صفة لمصدره نحو: قلت زَيْداً، أي: قلت هذا اللفظ، فأجازه جماعة كالزجاجي(٩) والزمخشري وابن خروف(١٠) وابن مالك، ومنعه آخرون(١١). وممن اختار

---

(١) في ب: فيه. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: يسمع. وهو تحريف.
(٣) الكشاف ٣/ ١٥.
(٤) وهو قوله: (هما صفتان).
(٥) في ب: أنه. وهو تحريف.
(٦) في الأصل: بما لا يسمع وهو تحريف.
(٧) وذلك لأنَّ (سمع) إمَّا أن تدخل على مسموع أو غيره: فإن دخلت على مسموع فلا خلاف أنها تتعدى إلى واحد نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد. وإن دخلت على غير مسموع فاختلف فيها، فقيل: إنها تتعدى إلى اثنين وهو مذهب الفارسي، ويكون الثاني مما يدل على صوت، فلا يقال: سمعت زيداً يركب. ومذهب غيره أنَّ (سمع) يتعدى إلى واحد، والفعل بعده إن كان معرفة في موضع الحال منها أو نكرة في موضع الصفة فعلى مذهب غير الفارسي يتمشى قول الزمخشري أنه صفة لـ «فتىً» وعلى مذهب الفارسي فلا يكون إلا في موضع المفعول الثاني لـ «سمع». انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.
(٨) التبيان ٢/ ٩٢١، وانظر أيضاً الكشاف ٣/ ١٥.
(٩) هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، أصله من صيمر، نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو، ومن مصنفاته الجمل في النحو، والإيضاح، الكافي كلاهما في النحو، شرح كتاب الألف واللام للمازني وغيرها مات سنة ٣٤٠هـ. بغية الوعاة ٢/ ٧٧.
(١٠) تقدم.
(١١) أي أن تسلط القول على المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة، ولا هو مقتطع من جملة، ولا هو مصدر لقال، ولا هو صفة لمصدره مسألة اختلف فيها النحويون، فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك إلى جواز نصبه بالقول. نحو قلت زيداً. وذهب جماعة منهم ابن عصفور إلى أنه لا ينصب=

رفع «إِبْرَاهِيمُ» على ما ذكرت[١] الزمخشري وابن عطية[٢]. أمَّا إذا كان المفرد مؤدياً معنى جملة كقولهم: قلت خطبة وشعراً وقصيدة أو اقتطع من جملة كقوله:

٣٧٢٩ ـ إِذَا ذُقْتَ فَاهَا قُلْتَ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُـعَـتَّـقَـةٍ مِـمَّـا يَـجِـيءُ بِـهِ الـتُّـجُـرْ[٣]

أو كان مصدراً نحو قُلْتُ قَوْلاً، أو صفة له نحو: قُلْتُ حقاً أو باطِلاً، فإنه يتسلط عليه كذا قالوا[٤]. وفي قولهم: المفرد المقتطع من الجملة نظر، لأنَّ هذا لم يتسلط عليه القول إنما تسلط[٥] على الجملة المشتملة عليه.

الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر، يقال له: هذا إبراهيم، أو هو إبراهيم[٦].

الثالث: أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: يقال له إبراهيم فاعل ذلك[٧].

الرابع: أنه منادى وحرف[٨] النداء محذوف أي: يا إبراهيم[٩].

وعلى الأوجه الثلاثة فهو مقتطع من جملة، وتلك الجملة محكية بـ «يُقَالُ» وتقدم تحقيق[١٠] هذا في البقرة عند قوله «وَقُولُوا حِطَّةٌ»[١١] رفعاً ونصباً، وفي الأعراف عند

= بالقول بل يحكى، وهو الصحيح إذ لا يحفظ من لسانهم: قال فلان زيداً، ولا قال ضرب، ولا قال ليت، وإنما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل. انظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/ ٤٦٢، المقرب (٣٢٤) شرح الكافية الشافية ٢/ ٥٦٧، البحر المحيط ٦/ ٣٢٤. الهمع ٢/ ١٥٧.

(١) في ب: ما ذكر. أي: أنه مرفوع على ما لم يسم فاعله، أي: يقال له هذا اللفظ.

(٢) الكشاف ٣/ ١٥، تفسير ابن عطية ١٠/ ١٦٤.

(٣) البيت من بحر الطويل قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (١١٠)، المقرب (٣٢٤) شرح جمل الزجاجي ٢/ ٤٦٣، اللسان (تجر) البحر المحيط ٦/ ٣٢٤، الهمع ٢/ ١٥٧، الدرر ١/ ١٣٨. المدامة: الخمر القديمة، والمعتقة كذلك. التُّجر: جمع تجار وهو جمع تاجر، أي: جمع الجمع، وقيل: التُّجر جمع تاجر كشارف وشرف، وهم التجار بالخمر المعتقة. والشاهد فيه أنَّ قوله (طعم مدامة) مقتطع من جملة أي: طعمه طعم مدامة فليس فيه إلا الحكاية.

(٤) انظر شرح جمل الزجاجي ٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣، المقرب (٣٢٤)، شرح الكافية الشافية ٢/ ٥٦٧، البحر المحيط ٦/ ٣٢٤، الهمع ٢/ ١٥٧.

(٥) في ب: سلط.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٦، الكشاف ٣/ ١٥، البيان ٢/ ١٦٣، التبيان ٢/ ٩٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.

(٧) انظر التبيان ٢/ ٩٢١.

(٨) في الأصل: وحذف. وهو تحريف.

(٩) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٦، الكشاف ٣/ ١٥، البيان ٢/ ١٦٣، التبيان ٢/ ٩٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.

(١٠) في ب: تقرير.

(١١) من قوله تعالى: **﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجَّداً وقولوا حطَّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾** [البقرة: ٥٨]. وذكر هناك: قرىء بالرفع والنصب، فالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أمرك طاعة، قال الزمخشري: والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة. . . . انظر اللباب ١/ ١٥٦.

قوله «قَالُوا مَعْذِرَةً»[١] رفعاً ونصباً. والجملة من «يُقَالُ لَهُ»[٢] يحتمل أن تكون مفعولاً آخر نحو ظننت زيداً كاتباً شاعراً. وأن تكون صفة على رأي الزمخشري[٣] ومن تابعه وأن تكون حالاً من «فتَى» وجاز ذلك لتخصصها بالوصف[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فصل

لما سمع بعض القوم قول إبراهيم ـ عليه السلام[٥] ـ «تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» وسمعوا سبّه لآلهتهم غلب على ظنهم أنه الفاعل لذلك، فلذلك[٦] قالوا: «سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ» أي: يعيبهم ويسبهم «يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»، فهو الذي يظن أنه الذي صنع هذا[٧].

فبلغ ذلك نمروذ الجبار، وأشراف قومه، فقالوا فيما بينهم «فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ» قاله نمروذ، أي: جيئوا به ظاهراً، أي بمرأى من الناس «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» عليه أنه الذي فعله. قال الحسن وقتادة والسدي: كرهوا أن يأخذوه بغير بينةٍ[٨]. وقال محمد بن إسحاق: «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» أي: يحضرون عقابه فينزجروا عن الإقدام على مثله[٩]. وقال

---

(١) من قوله تعالى: ﴿قالوا معذرةً إلى ربِّكم ولعلَّهم يتَّقون﴾ [الأعراف: ١٦٤]. وذكر هناك: قرأ العامة «معذرةٌ» رفعاً على خبر ابتداء مضمر أي: موعظتنا معذرةٌ، وقرأ حفص عن عصام، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف «معذرةً» نصباً، وفيها ثلاثة أوجه: أظهرها: أنَّها منصوبة على المفعول من أجله، أي: وعظناهم من أجل المعذرة، قال سيبويه: ولو قال رجل لرجل معذرة إلى الله وإليك من كذا انتصب. الثاني: أنها منصوبة على المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره: نعتذر معذرة. الثالث: أن ينتصب انتصاب المفعول به، لأنَّ المعذرة تتضمن كلاماً، والمفرد المتضمن لكلام إذا وقع بعد القول نصب نصب المفعول به كقلت خطبة وسيبويه يختار الرفع قال: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً ولكنهم قيل لهم لم تعظون فقالوا: موعظتنا معذرة. انظر اللباب ٤/ ١١٤.

(٢) في الأصل: لهم. وهو تحريف.

(٣) الكشاف ٣/ ١٥، والتبيان ٢/ ٩٢١.

(٤) أي: أنَّ الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة و «فتى» نكرة، وجاز مجيء الحال من النكرة هنا لتخصصها بالوصف وهو قوله «يذكرهم» عند من أعربها صفة لـ «فتى» وهما الزمخشري وأبو البقاء وانظر التبيان ٢/ ٩٢١.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) في ب: فكذلك. وهو تحريف.

(٧) انظر البغوي ٥/ ٤٩٥.

(٨) انظر البغوي ٥/ ٤٩٥.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٤.

الكلبي ومقاتل: المراد مجموع الأمرين أي: يشهدون عليه ويشهدون عقابه[١].

قوله: «عَلَى أَعْيُنِ» في محل نصب على الحال من الهاء في «بِهِ» أي: ائتوا به ظاهراً مكشوفاً بمرأى منهم ومنظر[٢]. قال الزمخشري: فإنْ قُلْتَ: ما معنى الاستعلاء في: «عَلَى»؟ قُلْتُ: هو وارد على طريق المثل، أي: يثبت إتيانه على الأعين، ويتمكن ثبات الراكب على المركوب، وتمكنه منه[٣].

قوله: «ءَأَنْتَ فَعَلْتَ». في «ءَأَنْتَ» وجهان:

أحدهما: أنه فاعل بفعلٍ مقدر يفسره الظاهر بعده، والتقدير: أفعلت هذا بآلهتنا فلمّا حذف الفعل انفصل الضمير.

والثاني: أنه مبتدأ والخبر بعده الجملة[٤].

والفرق بين الوجهين من حيث اللفظ واضح، فإنَّ الجملة من قوله «فَعَلْتَ» الملفوظ بها على الأول لا محل لها، لأنها مفسرة ومحلها الرفع على الثاني، ومن حيث المعنى أنّ الاستفهام إذا دخل على الفعل أشعر بأنَّ الشك إنما تعلق به (هل وقع أم لا؟ من غير شك في فاعله. وإذا دخل على الاسم وقع الشك فيه)[٥] هل هو الفاعل أم غيره؟ والفعل غير مشكوك في وقوعه، بل هو واقع فقط.

فإذا قلت: أَقَامَ زَيْدٌ؟ كان شكك في قيامه. وإذا قلت: أَزَيْدٌ قَامَ؟ وجعلته مبتدأ كان شكك في صدور الفعل منه أم من عمرو.

والوجه الأولى هو المختار عند النحاة، لأنَّ الفعل تقدم ما يطلبه، وهو أداة الاستفهام[٦].

قوله: «بَلْ فَعَلَهُ» هذا الإضراب عن جملة محذوفة تقديره: لم أفعله إنما الفاعل حقيقة الله تعالى، وإسناد الفعل إلى «كَبِيرُهُمْ» من أبلغ التعاريض[٧].

قوله[٨]: «هَذَا» فيه ستة أوجه:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٥، التبيان ٢/ ٩٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.

(٣) الكشاف ٣/ ١٥.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) لأنَّ همزة الاستفهام يغلب دخولها على الأفعال. انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٤.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٤. التعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقاضياً. وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح، لأنه يلوح منه ما يريده. الكشاف ١/ ١٤٣.

(٨) في الأصل: فصل. وهو تحريف.

أحدها: أن يكونَ نعتاً لـ «كَبِيرُهُمْ».

الثاني: أن يكون بدلاً من «كَبِيرُهُمْ».

الثالث: أن يكون خبراً لـ «كَبِيرُهُمْ» على أنَّ الكلام يتم عند قوله «بَلْ فَعَلَهُ» وفاعل الفعل محذوف. كذا نقله أبو البقاء، وقال: وهذا بعيد، لأنَّ حذف الفاعل لا يسوغ[١]. قال شهاب الدين: وهذا القول يعزى للكسائي[٢]، وحينئذ لا يحسن الرد عليه بحذف الفاعل فإنه يجيز ذلك، ويلزمه، ويجعل التقدير: بل فعله من فعله ويجوز أن يكون أراد بالحذف الإضمار، لأنه لمّا لم يذكر الفاعل لفظاً سمى ذلك حذفاً[٣].

الرابع: أن يكونَ الفاعل ضمير «فَتَى»[٤].

الخامس: أن يكون الفاعل ضمير «إِبْرَاهِيم»[٥].

وهذان الوجهان يؤيدان أنَّ المراد بحذف الفاعل إنَّمَا هو الإضمار.

السادس: أن «فَعَلَهُ» ليس فعلاً، بل الفاء حرف عطف دخلت على «عَلَّ»[٦] التي أصلها «لَعَلَّ» حرف ترج وحذف اللام الأولى ثابت[٧]، فصار اللفظ «فَعَنَّهُ» أي: فَلعلّهُ، ثم حذفت اللام الأولى وخففت الثانية. وهذا يعزى للفراء[٨] وهو مرغوب عنه. وقد استدل على مذهبه بقراءة ابن السميفع «فَعَلَّهُ» بتشديد اللام[٩]، وهي قراءة شاذة لا يرجع بالقراءة المشهورة إليها، وكأن الذي حملهم على هذا خفاء وجه صدور هذا الكلام من النبي - عليه السلام[١٠] -.

---

(١) التبيان ٢/ ٩٢١.

(٢) قد ذكرت في سورة [طه: ١٢٨] عند بيان الأوجه في فاعل «يهد» من قوله تعالى **﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾** رأي الكسائي وما استدل به، وما يستثنى من عدم جواز حذف الفاعل.

(٣) الدر المصون ٥/ ٥٣.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٥.

(٥) المرجع السابق.

(٦) في ب: على.

(٧) وذلك أن (لعل) فيها لغات وهي «لعل» بسيطة ولامها أصل، وقيل: مركبة من «عل» واللام زائدة، وقيل من لام الابتداء، و «عل» بحذف اللام، ولعنَّ بإبدال اللام نوناً، و (عنَّ) بحذف اللام من هذه، و «رعن» بإبدال اللام راء، و «رغنّ» ولغنّ بالغين المعجمة فيهما بدلاً من المهملة و (رعلّ) بالمهملة، و (لوان). ونقل البعض زيادة (عل وأل) بفتح اللام في هذين، فإن أراد فتح اللام مشددة لزمه التكرار لتقدم علّ المشدّدة اللام، وإن أراد فتحها مخففة، فلعل لا يجوز تخفيفها على اختلاف لغاتها، وقال الفارسي: تخفف وتعمل في ضمير الشأن محذوفاً.

انظر الهمع ١/ ١٣٤، وشرح الأشموني وحاشية الصبان ١/ ٢٧١، ٢٩٤.

(٨) قال الفراء: (قال بعض الناس: (بل فعلّه كبيرهم) مشددة يريد: فلعله كبيرهم) معاني القرآن ٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٩) المختصر (٩٢)، والقرطبي ١١/ ٣٠٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٥.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. وانظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٥.

فصل[١]

اعلم أنّ القوم لمّا قالوا له «ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ» طلبوا منه الاعتراف بذلك، ليقدموا على إيذائه، فقلب الأمر عليهم وقال: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»، وكان قد علق الفأس في رقبته[٢]، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم وإظهار جهلهم في عبادة الأوثان، وقال: «فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» واعلم أنّ للناس هاهنا قولان:

الأول: قول كافة المحققين، وهو أنّ قول إبراهيم ـ عليه السلام[٣] ـ «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا» من قبيل التعريض، وهو من وجوه:

أحدها: أنَّ قصد إبراهيم ـ عليه السلام[٦] ـ تقرير الفعل لنفسه على أسلوب تعريضيّ[٤]، وليس قصده نسبة الفعل إلى الصنم، وهذا كما لو قال صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط، ولا يقدر هو إلا على خرمشة[٥] فاسدة: أأنت كتبت هذا، فقلت له: بل كتبته أنت، وكأن قصدك بهذا تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش، لأن إثباته والأمر دائر بينهما للعاجز منهما استهزاء وإثبات للقادر.

وثانيها: أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام[٦] ـ غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة، وكان غيظه من كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب في استهانته لها وحطمه لها[٧]، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه.

وثالثها: أن يكون حكاية لما يلزم عن مذهبهم كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإنَّ حق من يُعْبَد، وَيُدْعَى إلهاً أن يقدر على هذا أو أشد منه ذكر هذه الأوجه الثلاثة الزمخشري[٨].

ورابعها: ما تقدم عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله «كَبِيرُهُمْ» ثم يبتدىء فيقول: «هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ». والمعنى: بل فعله كبيرهم، وعنى نفسه، لأنّ الإنسان أكبر من كل صنم، وأنه كناية عن غير مذكور، أي: فعله من فعله و «كَبِيرهُمْ» ابتداء كلام.

وخامسها: قال الطِّيبي[٩] معناه على التقديم والتأخير، أي بل فعله كبيرهم إن كانوا

---

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ببعض من التصرف ٢٢/ ١٨٥.

(٢) في ب: زقبته. وهو تصحيف.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) في الأصل: تعريض.

(٥) الخرمشة: إفساد الكتاب والعمل، اللسان (خرمش).

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) في الأصل: وحكمه لهما. وهو تحريف.

(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٥.

(٩) في الأصل: القسي، وفي ب: الليث. والصواب ما أثبته. وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي ـ بكسر الطاء ـ الإمام المشهور العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان. صنف شرح الكشاف، التفسير، التبيان في المعاني والبيان، شرحه، شرح المشكاة. مات سنة ٥٤٠هـ. بغية الوعاة ١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

ينطقون فاسألوهم، فجعل النطق شرطاً للفعل إن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم، وفي ضمنه أنا فعلت ذلك.

وسادسها: قراءة ابن السميفع المتقدمة[١].

والقول الثاني: قال البغوي: والأصح أن إبراهيم ـ عليه السلام[٢] ـ أراد بذلك الفعل إقامة الحجة عليهم فذلك قوله: «فَاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» حتى يخبروا من فعل ذلك بهم، لما روى أبو هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيمُ[٣] إلا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله، قوله[٤]: «إنِّي سَقِيمٌ»[٥]، وقوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»، وقوله لسارة: «هذه أختي»[٦] وفي حديث الشفاعة قول إبراهيم ـ عليه السلام[٧] ـ: «إنِّي كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذبَاتٍ»[٨] والقائلون بهذا القول قدروه من جهة العقل وقالوا: الكذب ليس قبيحاً لذاته فإنَّ النبي إذا هرب[٩] من ظالم واختفى في دار إنسان فجاء الظالم وسأل عنه، فإنه يجب الكذب فيه، وإذا كان كذلك، فأي بُعْد في أن يأذن الله في ذلك[١٠] لمصلحة لا يعلمها إلا هو كما أذن ليوسف ـ عليه السلام[١١] ـ حين أمر مناديه فقال لإخوته: «أَيَّتُهَا العِيرُ إنَّكُمْ لَسَارِقُونَ»[١٢] ولم يكونوا سرقوا[١٣].

قال ابن الخطيب: وهذا القول مرغوب عنه أما الخبر فلأن يضاف الكذب إلى رواته[١٤] أولى من أن يضاف إلى الأنبياء، والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذبوا لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه فلنجر هذا الاحتمال في كل ما أخبروا عنه، وفي كل ما أخبر الله عنه، وذلك يبطل الوثوق بالشرائع، وتطرق التهمة[١٥] إلى كلها، ثم لو صح ذلك الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام[١٦] «إنَّ في المَعَارِيضِ لمندوحةً عن الكَذِبِ»[١٧].

---

(١) تقدم قريباً.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) في ب: إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: وقوله.
(٥) [الصافات: ٨٩]
(٦) أخرجه مسلم (فضائل) ٤/ ١٨٤٠، والترمذي (تفسير) ٥/ ٣٢١، وأحمد ٢/ ٤٠٣.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) أخرجه البخاري (نكاح) ٣/ ٢٤٠، الترمذي (قيامة) ٤/ ٦٢٣، (تفسير) ٥/ ٣٠٨، أحمد ١/ ٢٨١، ٢٩٥.
(٩) في النسختين: «هزم».
(١٠) في ب: في ذلك لتوبيخهم والاحتجاج عليهم.
(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٢) من قوله تعالى: **﴿فلمّا جهَّزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثمَّ أذَّن مؤذِّن أيَّتها العير إنكم لسارقون﴾** [يوسف: ٧٠].
(١٣) البغوي ٥/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦.
(١٤) في الأصل: راويه.
(١٥) في ب: الفهم. وهو تحريف.
(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٧) المعاريض: جمع معراض. من التعريض وهو خلاف التصريح من القول، يقال: عرفت ذاك في معراض كلامه. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢١٢، الفائق ٢/ ٤١٩.

فأمّا قوله: «إني سَقِيمٌ» فلعله سقيم القلب كما يجيء في موضعه[١].

وأمّا قوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ» فقد ظهر الجواب عنه[٢]. وأما قوله لسارة: هذه أختي، أي[٣]: في الدين[٤]. وأما قصة يوسف ـ عليه السلام[٥] ـ فتقدم الكلام عليها[٦].

قوله: «إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» جوابه محذوف لدلالة ما قبله، ومن جوَّز التقديم جعل «فَاسْأَلُوهُمْ» هو الجواب[٧].

قوله: «فَرَجَعُوا إلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» فيه وجوه:

الأول: أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام[٨] ـ لما نبههم على قبح طريقتهم بما أورده عليهم علموا أنَّ عبادة الأصنام باطلة، وأنهم على غرور وجهل في ذلك.

الثاني: قال مقاتل: «فَرَجَعُوا إلَى أَنفُسِهِمْ» فلاموها وقالوا: «إنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» لإبراهيم حيث تزعمون أنه كسرها مع أن الفأس بين يدي الصنم الكبير.

الثالث: أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتموه حتى إنه يستهزىء بكم في الجواب[٩].

قوله «ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُوسِهِمْ» قرأ العامة: «نُكِسُوا» مبنياً للمفعول مخفف الكاف أي: نكسهم الله[١٠] أو خجلهم. و «عَلَى رُؤُوسِهِم» حال، أي: كائنين على رؤوسهم[١١]. ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل[١٢]. والنَّكْسُ والتَّنْكِيسُ: القلب، يقال:

---

(١) [الصافات: ٨٩].
(٢) قريباً.
(٣) أي: سقط من ب.
(٤) الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في سورة يوسف. انظر اللباب ٥/ ٥٥.
(٧) وذلك أنه يجوز حذف ما علم من جواب شرطه ماض نحو **﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السَّماء فتأتيهم﴾** [الأنعام: ٣٥]، والتقدير نافعل، ويجب حذف الجواب إن كان الدَّال عليه ما تقدم مما هو جواب في المعنى، ولا يصح جعله جواباً صناعة إما لكونه جملة اسمية مجردة من الفاء نحو أنت ظالم إن فعلت. وإما لكونه جملة منفية بلم مقرونة بالفاء نحو قوله: فلم ارقه أن ينج منها. وإما لكونه مضارعاً مرفوعاً لزوماً نحو أقوم إن قمت. والجواب في ذلك كله محذف لدلاله المتقدم عليه. وليس المتقدم بجواب عند جمهور البصريين، لأن أداة الشرط لها صدر الكلام فلا يتقدم عليها الجواب وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد إلى أنَّه لا حذف والمتقدم هو الجواب. والصحيح مذهب البصريين.
كذلك يحذف جواب الشرط إنْ كان الدال عليه ما تأخر من جواب قسم سابق عليه نحو قوله تعالى: **﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾** [الإسراء: ٨٨]، فجملة «لا يأتون» جواب القسم السابق على الشرط، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه.
انظر شرح التصريح ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ شرح الأشموني ٤/ ١٥، ٢٥.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) انظرالفخر الرازي ٢٢/ ١٨٦.
(١٠) لفظ الجلالة سقط من الأصل.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٢٢.
(١٢) المرجع السابق.

نَكَسَ رَأْسَهُ ونَكَّسَهُ مخففاً ومشدداً. أي: طأطأه حتى صار أعلاه أسفله[١].

وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وابن الجارود[٢] وابن مقسم: «نُكِّسُوا» بالتشديد[٣] وقد تقدم أنه لغة في المخفف، فليس التشديد لتعدية ولا لتكثير.

وقرأ رضوان بن عبد المعبود[٤]: «نَكَسُوا» مخففاً مبنياً للفاعل[٥]، وعلى هذا فالمفعول محذوف تقديره: نكسوا أنفسهم على رؤوسهم.

فصل

قال المفسرون: أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول[٦] ثم أدركتهم الشقاوة فهو معنى قوله: «ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤوسِهِمْ» أي: ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم[٧]. وقيل: قلبوا على رؤوسهم حقيقة بفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم إبراهيم، فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة لإبراهيم ـ عليه السلام[٨] ـ حين جادلهم ـ فقالوا: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنْطِقُونَ» فأقروا بهذه الحجة التي لحقتهم[٩].

قوله: «لَقَدْ عَلِمْتَ» هذه الجملة جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر، وذلك القول المضمر حال من مرفوع «نُكِسُوا» أي: نكسوا قائلين: والله لقد علمت[١٠].

قوله: «مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ» يجوز أن تكون «مَا» حجازية[١١] فيكون «هَؤُلاَءِ» و «يَنْطِقُونَ» في محل نصب خبرها.

أو تميمية فلا عمل لها. والجملة المنفية بأسرها سادة مسد المفعولين إن كانت «عَلِمْتَ» على بابها، ومسد واحد إن كانت عرفانية[١٢].

قوله: «قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً» إن عبدتموه، «وَلاَ يَضُرُّكُمْ»

---

(١) وفي اللسان (نكس): النَّكس: قلب الشيء على رأسه، نكسه ينكسه نكساً فانتكس، ونكس رأسه: أماله، ونكّسته تنكيساً، وفي التنزيل: ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ [السجدة: ١٢]. والناكس: المطأطىء رأسه، ونكس رأسه إذا طأطأه من ذلّ. وقيل: النكس في الأشياء معنًى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدَّمه مؤخَّره.

(٢) تقدم

(٣) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٤) لم أقف له على ترجمة فيما رجعت إليه من مراجع.

(٥) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظَّالمون﴾ [الآية: ٦٤] من السورة نفسها.

(٧) انظر البغوي ٥/ ٤٩٦.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٨٦.

(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٢٣٥.

(١١) فتعمل عمل (ليس).

(١٢) وذلك أنَّ الفعل «علم» علق عن العمل في اللفظ لوقوعه قبل شيء له صدر الكلام وهو «ما» النافية. انظر شرح الأشموني ٢/ ٢٩.

إن تركتم عبادته. «أُفٍّ لَكُمْ» أي: نتناً وقذراً لكم «وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ اللَّهِ» تقدم الكلام على «أُفٍّ» في سورة سبحان[١]. قال الزمخشري: «أُفٍّ» صوت إذا صوت به دل على أنّ صاحبه متضجر، وأن إبراهيم ـ عليه السلام[٢] ـ أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد وضوح الحق وانقطاع عذرهم وزهوق الباطل فتأفف[٣].

واللام في «لَكُم» وفي «لِمَا» لام التبيين، أي: التأفيف لَكُمْ لا لغيركم، وهي نظير قوله: «هَيْتَ لَكَ»[٤]. ثم قال «أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» أي: أليس لكم عقل تعقلون هذا وتعرفونه؟

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

فلما ألزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب «قَالُوا حَرِّقُوهُ وانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ» ليس في القرآن[٥] من القائل ذلك، والمشهور أنه نمروذ بن كنعان بن سنجاريب[٦] بن نمروذ بن كوش[٧] بن حام بن نوح. وقال مجاهد: سمعت ابن عمر[٨] يقول: إنما أشار بتحريق إبراهيم رجل من الأكراد من فارس.

روى ابن جريج[٩] عن وهب عن شعيب[١٠] قال: إن الذي قال حرقوه اسمه هرين[١١] فخسف[١٢] الله به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[١٣].

---

(١) عند قوله تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما﴾** [الإسراء: ٢٣]. وذكر ابن عادل هناك أنّ فيها أربعين لغة قال: وقد قرىء من هذه اللغات بسبع ثلاث في المتواتر وأربع في الشواذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وابن كثير وابن عامر بالفتح دون تنوين، والباقون بالكسر دون تنوين، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء، وقرأ نافع في رواية «إف» بالرفع، وأبو السمال بالضم من غير تنوين، وزيد بن علي بالنصب والتنوين، وابن عباس «أف» بالسكون. انظر اللباب ٥/ ٢٢٦ والسبعة (٣٧٩، ٤٢٩ ـ ٤٣٠)، الكشف ٢/ ٥٤٤ البحر المحيط ٦/ ٢٣.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) الكشاف ٣/ ١٦.

(٤) [يوسف: ٢٣]. فيمن قرأ بهاء مفتوحة وياء ساكنة وتاء مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، فـ «هيت» اسم فعل فإن كان مسماه فعل ماض أي تهيأت، فاللام متعلقة به كما تتعلق بمسماه لو صرح به. أما إن كان مسماه فعل أمر بمعنى أقبل أو تعال، فاللام للتبيين أي إرادتي لك أو أقول لك وأما من قرأ «هئتُ» مثل جئت فهو فعل بمعنى تهيأت، واللام متعلقة به وأما من قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب فاللام للتبيين مثلها مع اسم الفعل. المغني ١/ ٢٢٢.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٧.

(٦) في الأصل: السنجاريب.

(٧) في ب: كوين. وهو تحريف.

(٨) عمر: سقط من ب.

(٩) في الأصل: ابن جرير. وهو تحريف.

(١٠) هو شعيب الجبائي.

(١١) في النسختين: هرير.

(١٢) في الأصل: خسف.

(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٧.

فصل

قال مقاتل[١]: لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا له بنياناً كالحظيرة، وذلك قوله: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ في الجَحِيم»[٢]. ثم جمعوا له الحطب الكثير، حتى إنّ الرجل أو المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم. وقيل: بنوا آتوناً بقرية يقال لها كوثى.

ثم جمعوا له أصلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوماً، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً في دينها، فلما اشتعلت النار، واشتدت حتى أن كانت الطير لتمر به وهي في أقصى الجو فتحترق من شدة وهجها. روي أنَّهم لم يعلموا كيف يلقوه فيها؟ فجاء إبليس وعلمهم عمل[٣] المنجنيق[٤] فعملوه. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له: هيزن، وكان أول من صنع المنجنيق، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ثم عمدوا إلى إبراهيم ـ عليه السلام[٥] ـ فوضعوه فيه مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة صيحة واحدة: أي ربنا ما في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم، وإنه يحرق فيك فأذن لنا في نصرته، فقال سبحانه: «إن استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وَلِيُّهُ فخلوا بيني وبينه، فإنه خليلي ليس لي خليل[٦] غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري»[٧].

فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار. وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء[٨].

فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل.

قال ابن عباس: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[٩] قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له: «إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إيْمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ»[١٠] فحين ألقي في النار قال: «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك

---

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) [الصافات: ٩٧].

(٣) في ب: عمر. وهو تحريف.

(٤) المنجنيق والمِنجنيق، بفتح الميم وكسرها، والمنجنوق: القذاف التي ترمى بها الحجارة، دخيل أعجمي معرب. اللسان (مجنق).

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) خليل: سقط من ب.

(٧) إله: سقط من ب.

(٨) في ب: في الهوى.

(٩) [آل عمران: ١٧٣].

(١٠) [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

لك». ثم رموه في المنجنيق إلى النار، فأتاه جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فاسأل[١] ربك قال: حسبه[٢] من سؤالي علمه بحالي. فقال الله تعالى: «يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيم». قال كعب الأحبار جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ النار. وروت أم شريك[٣] أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بقتل الوزغ وقال: «كان ينفخ على إبراهيم»[٤]. وقال السُّدِّيّ: القائل «كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً» هو جبريل. وقال ابن عباس في رواية مجاهد: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم[٥] من بردها، قال: ولم يبق يومئذ نار إلا طفئت، ولو لم يقل «عَلَى إِبْرَاهِيم» بقيت ذات برد أبداً. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي[٦] إبراهيم وأقعدوه على الأرض فإذا[٧] عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، ولم تحرق النار منه إلا وثاقه. وقال المنهال[٨] بن عمرو[٩]: أخبرت[١٠] أنّ إبراهيم ـ عليه السلام[١١] ـ لما ألقي في النار كان فيها إما أربعين يوماً أو خمسين يوماً، وقال: ما كنت أطيب عيشاً مني إذ كنت فيها. قال ابن يسار[١٢]: وبعث الله عز وجل[١٣] ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه، وأتى جبريل[١٤] بقميص من حرير الجنة وَطِنْفسَة[١٥] فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال: يا إبراهيم إنَّ ربك يقول: أما[١٦] علمت أن النار لا تضر أحبابي.

ثم نظر نمروذ من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وما حوله نار تحرق، فناداه نمروذ: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟

---

(١) في ب: فل. (٢) في الأصل: حسبي.

(٣) هي غزيلة بنت دُودان بن عمرو بن عامر بن رواحة بن منقذ صحابية لها أحاديث اتفقا على حديث أخذ عنها جابر وابن المسيب وعروة. خلاصة تهذيب الكمال ٣/ ٤٠٠.

(٤) ذكره البغوي بسنده عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك ٥/ ٤٩٨.

(٥) إبراهيم: سقط من ب. (٦) الضبع: العضد.

(٧) في ب: فإذا هي.

(٨) وهو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي أخذ عن ابن الحنفية وزر بن حُبيش وأخذ عنه زيد بن أبي أنيسة ومنصور والأعمش. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ٥٩.

(٩) في ب: ابن عمر، وهو تحريف. (١٠) في ب: اخضرت. وهو تحريف.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في الفخر الرازي: قال ابن إسحاق: وابن يسار هو عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني، روى عن معاذ بن جبل، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وغيرهم روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن عمر بن عطاء، وغيرهما، مات سنة ٩٤هـ وقيل بعد ذلك. تهذيب التهذيب ٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

(١٣) في ب: الله تعالى. (١٤) في الأصل: وأتى جبريل من.

(١٥) الطنفسة: البِساطُ الذي له خمل رقيق. اللسان (طنفس).

(١٦) في ب: ما. وهو تحريف.

قال: نعم، قال: قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج منها.

قال له نمروذ: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذاك[١] ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني، فقال له نمروذ: إني مُقَرِّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، وإنِّي ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال إبراهيم ـ عليه السلام[٢] ـ لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا، قال نمروذ: لا أستطيع ترك[٣] ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها ثم كف عن إبراهيم.

روي أن إبراهيم ـ عليه السلام[٤] ـ ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة. وإنما اختاروا المعاقبة بالنار، لأنها أقوى العقوبات. وقيل[٥]: روي أن هاران أبا لوط قال لهم: إن النار لا تحرقه، لأنه سحر النار، ولكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته، ففعلوا، فطارت شرارة في لحية أبي لوط فأحرقته[٦].

قوله: «بَرْداً» أي: ذات برد. والظاهر في «سَلاَمَاً» أنه نسق على «بَرْداً» فيكون خبراً عن «كونِي». وجوَّز بعضهم أن ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف وقد رُدَّ هذا بأنه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه أولى[٧]، نحو قول إبراهيم: «سَلاَمٌ»[٨]، وهذا غير لازم، لأنه لا يجوز أن يأتي القرآن على الفصيح والأفصح، ويدل على ذلك أنه جاء مقصوداً، والمقصود به التحية نحو قول الملائكة: «قَالُوا سَلاَمَاً»[٨].

وقوله «عَلَى إِبْرَاهِيمَ» متعلق بنفس سلام إن قصد به التحية[٩]. ويجوز أن يكون صفة[١٠] فيتعلق بمحذوف، وعلى هذا فيحتمل أن يكون قد حذف صفة الأول لدلالة[١١] صفة الثاني عليه تقديره: كوني برداً عليه وسلاماً عليه.

فصل[١٢]

قال أبو مسلم الأصفهاني في تفسير قوله «قُلْنَا يَا نَارُ» المعنى: أنه سبحانه وتعالى

---

(١) في الأصل: ذلك.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) في ب: أمر. وهو تحريف.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) قيل: سقط من ب.

(٦) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/٣٢٨.

(٨) من قوله تعالى: ﴿**ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ**﴾ [هود: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وجلون**﴾ [الحجر: ٥٢]. وقوله تعالى: ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون**﴾ [الذاريات: ٢٥].

(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٢.

(١٠) أي لـ «سلاماً». التبيان ٢/ ٩٢٢.

(١١) في ب: فدلالة. وهو تحريف.

(١٢) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٨٨ ـ ١٨٩.

جعل النار برداً وسلاماً لا أنَّ هناك كلاماً[١] كقوله: «أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون»[٢] أي: يكونه. واحتج عليه بأن النار جماد فلا يجوز خطابه.

والأكثرون على أنه وجد ذلك القول، ثم هؤلاء لهم قولان:

أحدهما: قال السُّديّ: القائل هو جبريل.

والثاني: قول الأكثرين إنَّ القائل هو الله تعالى، وهو الأقرب الأليق بالظاهر. وقوله: النار جماد فلا يكون في خطابها فائدة.

فالجواب: لِمَ لا يجوز أن يكون المقصود من ذلك الأمر مصلحة عائدة إلى الملائكة.

فصل[٣]

اختلفوا في كيفية برد النار. فقيل: إن الله تعالى أزال ما فيها من الحرارة والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كل شيء قدير.

وقيل: إنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول النار إليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة[٤] المحماة، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار. وقيل: إنه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه.

قال المحققون: والأول أولى، لأنَّ ظاهر قوله «يَا نَارُ كُونِي بَرداً» أي نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها. فإن قيل: النار إن بقيت كما كانت، والحرارة جزء من مسمى النار، وامتنع كون النار باردة، فإذن يجب أن يقال: المراد من النار الجسم الذي هو أحد أجزاء مسمى النار، وذلك مجاز فلم كان مجازكم أولى. فالجواب: أن المجاز الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد وفي الذي ذكرتم لا يبقى ذلك، فكان مجازنا أولى[٥].

فصل[٦]

معنى كون النار سلاماً على إبراهيم: أنَّ البرد إذا أفرط[٧] أهلك كالحر فلا بُدّ من الاعتدال، وهو من وجوه:

---

(١) في النسختين كلام. والصواب ما أثبته.
(٢) من قوله تعالى: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ [يس: ٨٢].
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٨٩.
(٤) في ب: الحديد.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/١٨٩.
(٦) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٨٩.
(٧) في الأصل: فرط.

الأول: أن يقدر الله بردها بالمقدار الذي لا يؤثر.

والثاني: أنَّ بعض النار صار برداً وبقي بعضها على حرارته فتعادل الحر والبرد.

والثالث: أنه تعالى جعل في جسمه مزيدَ حرٍّ فانتفع بذلك البرد وَالتَذَّ بهِ[١].

فصل[٢]

روي أنّ كلّ النيران في ذلك الوقت زالت وصارت برداً، ويؤيد ذلك أنَّ النار اسم للماهية، فلا بُدّ وأنْ يحصل هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل أفراد الماهية وقيل: بل اختصت بتلك النار، لأنّ الغرض إنما تعلق ببرد تلك النار، وفي النار منافع للخلق فلا يجوز تعطيلها، والمراد خلاص إبراهيم لا إيصال الضرر إلى سائر الخلق. فإن قيل: أفيجوز ما روي من أنه لو لم يقل «وَسَلاَمَاً» لأتى البرد عليه. قال ابن الخطيب: ذلك بعيد، لأنَّ برد النار لم يحصل منها وإنما حصل من جهة الله تعالى[٣] فهو القادر على الحر والبرد، فلا يجوز أن يقال: كان البرد يعظم لولا قوله: «سَلاَمَاً»[٤].

قوله: «وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً» أي: أرادُوا أن يكيدوه «فَجَعَلْنَاهُم الأَخْسَرِينَ»[٥].

قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم[٦].

وقيل: فجعلناهم مغلوبين غالبوه فلقنه الله الحجة وقيل: أرسل الله على نمروذ وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته[٧].

قوله تعالى: «وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إلى الأَرْضِ التي بَارَكْنَا فِيْهَا لِلْعَالَمِيْنَ» لما نصره الله تعالى أتم النعمة عليه بأن نجاه ونجّى لوطاً وهو ابن أخيه، وهو لوط بن هاران نجاهما من نمروذ وقومه من أرض العراق إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة، وقيل: أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء[٨].

وقال تعالى: «إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ»[٩] قال أُبي بن كعب: سماها مباركة، لأنّ ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[١٠] وروى قتادة أنّ عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها

---

(١) في الأصل: وانتفع به.

(٢) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٨٩.

(٣) تعالى: سقط من الأصل.

(٤) الفخر الرازي: ٢٢/ ١٨٩.

(٥) في الأصل: الأسفلين. وهو سهو من الناسخ أو لعله سبق ذهنه إلى قوله تعالى: ﴿**فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين**﴾ [الصافات: ٩٨].

(٦) انظر البغوي ٥/ ٥٠٠.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) [الإسراء: ١].

(١٠) انظر البغوي ٥/ ٥٠٠.

مهاجر رسول الله ـ ﷺ ـ وقبره، فقال إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أنّ الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده(١).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم»(٢) قوله: «وَلُوطاً» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أَنْ يكونَ معطوفاً على المفعول قبله(٣).

والثاني: أَنْ يكونَ مفعولاً معه. والأول أولى.

وقوله: «إِلَى الأَرْضِ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بـ «نَجَّيْنَاهُ» على أن يتضمن معنى أخرجناه بالنجاة فلما ضمن معنى أخرج تعدى تعديته(٤).

والثاني: أنه لا تضمين(٥) فيه وأنَّ حرف الجر يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في «نَجَّيْنَاهُ» أي: نجيناه منتهياً إلى الأرض كذا قدره أبو حيان(٦) وفيه نظر من حيث إنه قدر كوناً مقيداً وهو كثيراً ما يَرُدُّ على الزمخشري وغيره(٧) ذلك.

فصل

اعلم أنَّ لوطاً(٨) آمن بإبراهيم كما قال تعالى «فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ»(٩) وكان ابن أخيه، وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يقال له(١٠) ناخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة، وهي بنت عمه، وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم فخرج من كوثى(١١) من أرض حدود بابل بالعراق مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حَرَّان(١٢) فمكث بها

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٨٤، ١٩٩، وانظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٤٤ المهاجر: بفتح الجيم موضع المهاجرة، ويريد به الشام، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما خرج من أرض العراق مضى إلى الشام وأقام به.

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٤.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٥) في ب: لا يتضمن. وهو تحريف.

(٦) البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.

(٧) في ب: وغير.

(٨) في ب: لوط. وهو تحريف.

(٩) من قوله تعالى: **﴿فآمن له لوط وقال إنّي مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾** [العنكبوت: ٢٦].

(١٠) له: سقط من الأصل.

(١١) كوثى: في ثلاثة مواضع: بسواد العراق في أرض بابل، وبمكة، وهو منزل بني عبد الدار خاصة، ثم غلب على الجميع. معجم البلدان ٤/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

(١٢) حرَّان: مدينة قديمة في تركيا ما بين النهرين موطن إبراهيم الخليل بعد هجرته. المنجد في الأعلام (٢١٤).

ما شاء الله، ثم ارتحل منها ونزل أرض[١] السبع[٢] من فلسطين وهي برية الشام، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى[٣] الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب، وبعثه الله نبياً، فذلك قوله: «وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلى الأَرْضِ التي بَارَكْنَا فِيها لِلْعَالَمِينَ»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً». قال مجاهد وعطاء: النافلة العطية وكذل النفل، ويسمى الرجل الكثير العطاء نوفلا[٥].

وقيل: الزيادة[٦]. وقيل: ولد الولد[٧].

فعلى الأول ينتصب انتصاب المصدر من معنى العامل وهو «وَهَبْنَا» لا من لفظه لأنّ الهبة والإعطاء متقاربان فهي كالعاقبة والعافية[٨]. وعلى الآخرين ينتصب على الحال[٩]، والمراد بها يعقوب. والنافلة مختصة بيعقوب على كل تقدير، لأنّ إسحاق ولده لصلبه، وهذا قول ابن عباس وأُبيّ بن كعب وابن زيد وقتادة[١٠].

قوله: «وَكُلاًّ» مفعول أول لـ «جَعَلْنَا»[١١] و «صَالِحِينَ» هو الثاني توسط العامل بينهما، والأصل: وجعلنا أي: صيرنا كلاً من إبراهيم ومن ذكر معه صالحين. وقوله: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» كما تقدم[١٢] إلا أنه لم يتوسط العامل.

وقوله: «يَهْدُونَ» صفة لـ «أئمة» و «بِأَمْرِنَا» متعلق بـ «يَهْدُونَ» وقد تقدم التصريف المتعلق بلفظ «أَئِمَّة» وقراءة القراء فيها[١٣].

فصل

المعنى: «وَكُلاًّ» من إبراهيم وإسحاق ويعقوب «جَعَلْنَا صَالِحِينَ».

---

(١) في ب: بأرض.
(٢) السبع: سقط من ب.
(٣) في ب: يريد.
(٤) انظر البغوي ٥/ ٥٠١.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.
(٨) انظر التبيان ٢/ ٩٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.
(٩) المرجعان السابقان.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٣٣/ ١٩٠.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٢٢.
(١٢) من أنّ «هم» مفعول أول لـ «جعلنا» و «أئمَّةً» مفعول ثان.
(١٣) عند قوله تعالى: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنَّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾** [التوبة: ١٢].

قال الضحاك: أي: مرسلين[١]، وقال آخرون: عاملين[٢] بطاعة الله[٣]. «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم في الخير «يَهْدُونَ» يدعون الناس إلى ديننا «بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِم فِعْلَ الخَيْرَاتِ» أي: العمل بالشرائع. وقال أبو مسلم: المراد النبوة[٤]. «وَإِقَام الصَّلاَةِ» أي: وإقامة الصلاة، يعني المحافظة. «وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِيْنَ» موحدين. دلَّت[٥] هذه الآية على أنَّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، لأنَّ قوله تعالى «وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِيْنَ» يدل على أنّ الصلاح من قبله.

وأجاب الجبائي: بأنه لو كان كذلك لما وصفهم بكونهم «صَالِحِيْنَ» وبكونهم «أَئِمَّةً» وبكونهم «عَابِدِيْنَ»، ولما مدحهم بذلك، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ من التأويل وهو من وجهين:

الأول: أنْ يكونَ المراد أنه تعالى أتاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به.

والثاني: أنَّ المراد تسميتهم بذلك كما يقال: زيد فسق فلاناً وكفره، إذا وصفه بذلك وكان مصدقاً عند الناس، وكما يقال في الحاكم زكى فلاناً، وعدله، وجرحه، إذا حكم بذلك. والجواب: المعارضة بمسألة العلم والداعي[٦]، وأما الحمل على اللطف فباطل، لأنَّ فعل الإلطاف عام في المكلفين، فلا بُدَّ في هذا التخصيص من مزيد فائدة، ولأنّ قوله: جعلته صالحاً كقولك: جعلته متحركاً، فحمله على تحصيل شيء سوى الصلاح ترك للظاهر. وأما الحمل على التسمية فمحال، لأنّ ذلك إنما يصار إليه إلا عند الضرورة في بعض المواضع، ولا ضرورة ههنا إلا أن يرجعوا مرة أخرى إلى فصل المدح والذم وحينئذ نرجع إلى مسألتي الداعي والعلم[٧].

قوله: «فِعْلَ الخَيْرَاتِ» قال الزمخشري: أصله أنْ تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات، (ثم فعل الخيرات)[٨] وكذلك «إِقَام الصلاةِ وإِيتَاء الزكَاةِ»[٩].

قال أبو حيَّان: كأنَّ الزمخشري لما رأى أنَّ فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليس من الأحكام المختصة بالموحى إليهم، بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافاً من حيث المعنى إلى ضمير الموحى إليهم، فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات وإقامتهم الصلاة وإيتاؤهم الزكاة، ولا يلزم ذلك إذ الفاعل

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩١.

(٢) في الأصل: عامرين. وهو تحريف، وفي ب: عاملون.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩١.

(٦) والداعي: سقط من ب.

(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩١.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) الكشاف ٣/ ١٦ ـ ١٧.

مع المصدر محذوف[١]. ويجوز أنْ يكونَ من حيث المعنى مضافاً إلى ظاهر محذوف يشمل الموحى إليهم وغيرهم، والتقدير: فعل المكلفين[٢] الخيرات. ويجوز أنْ يكون مضافاً إلى ضمير الموحى إليهم أي: أن يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلاة ويؤتوا[٣] الزكاة، وإذا كانوا هم[٤] قد أوحي إليهم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم في ذلك، ولا يلزم اختصاصهم به. ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول مختلف فيه أجاز ذلك الأخفش، والصحيح منعه[٥]، فليس ما اختاره الزمخشري بمختار[٦]. قال شهاب الدين: الذي يظهر أنّ الزمخشري لم يقدر هذا التقدير الذي ذكره الشيخ حتى يلزمه ما قاله بل إنما قدّر ذلك، لأن نفس الفعل الذي هو معنى صادر من فاعله لا يوحى إنما يوحى ألفاظ تدل عليه فكأنه قيل: وأوحينا هذا اللفظ وهو أن نفعل الخيرات، ثم صاغ ذلك الحرف المصدري مع ما بعده مصدراً منوناً ناصباً لما بعده، ثم جعله مصدراً مضافاً لمفعوله[٧].

وقال ابن عطية: والإقام مصدر وفي هذا نظر[٨] انتهى، يعني ابن عطية بالنظر أن مصدر (أفعل) على (الإفعال)، فإنْ كان صحيح العين جاء[٩] تاماً كالإكرام، وإنْ كان معتلها حذف منه إحدى الألفين، وعوض منه تاء التأنيث[١٠] فيقال: إقامة، فلما[١١] نقل كذلك جاء فيه النظر المذكور.

قال أبو حيان: وأي نظر في هذا، وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة[١٢] وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء، وهو المقيس في مصدر (أفعل) إذا اعتلت عينه،

(١) ذلك أنَّ الفاعل يحذف مع المصدر المنون، وأوجبه الفراء فقال: لا يجوز ذكر الفاعل مع المصدر المنون البتة لأنه لم يسمع. الهمع ٢/ ٩٤.

(٢) في ب: المكلف.

(٣) في ب: ويؤتون. وهو تحريف.

(٤) هم: سقط من ب.

(٥) وذلك أنَّ في رفع المصدر النائب عن الفاعل خلافاً، ومذهب البصريين جوازه وقال الأخفش لا يجوز ذلك بل يتعين النصب أو الرفع على الفاعلية، واختاره الشلوبين، ووجه المنع في ذلك ما فيه من الإلباس؛ لأنك إذا قلت مثلاً: عجبت من ضرب عمرو. تبادر إلى الذهن المبني للفاعل. وقال أبو حيان يجوز إذا كان فعله ملازماً للبناء للمجهول كزُكِمَ لعدم الإلباس حينئذ فيجوز أعجبني زكام زيد. وزاد الدماميني عن ابن خروف وهو الجواز إذا لم يقع لبس نحو أعجبني قراءة في الحمام القرآن، وأكل الخبز وشرب الماء. انظر الهمع ٢/ ٩٤، شرح الأشموني وحاشية الصبان ٢/ ٢٨٣.

(٦) البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.

(٧) الدر المصون: ٥/ ٥٤.

(٨) تفسير ابن عطية ١٠/ ١٧٣.

(٩) جاء: سقط من ب.

(١٠) اختلف في المحذوف أهو ألف المصدر أم الألف المبدلة من العين؟ فالخليل وسيبويه يذهبان إلى أن المحذوف الألف المبدلة من العين وهو القياس. انظر شرح المفصل ٦/ ٥٨.

(١١) في ب: فلما لم.

(١٢) قال سيبويه: هذا باب ما لحقته هاء التأنيث عوضاً لما ذهب، وذلك قولك: أقمته إقامةً، واستعنته استعانةً، وأريته إراءةً، وإن شئت لم تعوض وتركت الحروف على الأصل، قال الله عز وجل: ﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**﴾ [النور: ٣٧] الكتاب ٤/ ٨٣.

وحسن ذلك أنه قابل «وَإِيتَاءَ الزَّكَاة» وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله «وإقامَ الصَّلاَةِ وَإِيْتَاءَ الزكَاةِ». وقال الزجاج: حذفت التاء من إقامة، لأنَّ الإضافة عوض عنها[(١)]. وهذا قول الفراء زعم أنَّ التاء تحذف للإضافة كالتنوين[(٢)(٣)].

وقد تقدَّم بسط القول في ذلك عند قراءة من قرأ في براءة «عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: «وَلُوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً» الآية.

في الواو في قوله[(٥)]: «وَلُوطاً» قولان:

أحدهما: قال الزجاج: إنَّهُ عطف على قوله «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِم»[(٦)].

والثاني: قال أبو مسلم: إنه عطف على قوله «آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ»[(٧)] ولا بُدَّ من ضمير في قوله: «وَلُوطاً» كأنه قال: وآتينا لوطاً[(٨)]، فهو منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده تقديره: وآتينا لوطاً آتيناه، فهي من الاشتغال[(٩)] والنصب في مثله هو الراجح، ولذلك لم يقرأ إلا به لعطف جملته على جملة فعلية وهو أحد المرجحات[(١٠)].

---

(١) قال الزجاج: (إقام مفرد (بدون تاء) قليل في اللغة، تقول: أقمت إقامة، فأما إقام الصلاة فجائز، لأنَّ الإضافة عوض من الهاء) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٨.

(٢) قال الفراء: (فإنَّ المصدر من ذوات الثلاثة إذا قلت: أفعلت كقيلك أقمت وأجرت وأجبت يقال فيه كله: إقامة وإجارة وإجابة لا يسقط منه الهاء. وإنما أدخلت لأنَّ الحرف قد سقطت منه العين، كان ينبغي أن يقال: أقمته إقواماً وإجواباً فلما سكّنت الواو وبعدها ألف الإفعال فسكنتا سقطت الأولى منهما، فجعلوا فيه الهاء كأنها تكثير للحرف، ومثله مما أسقط منه بعضه فجعلت فيه الهاء قولهم: وعدته عدة ووجدت في المال جدة، وزنة ودية، وما أشبه ذلك، لما أسقطت الواو من أوله كثّر من آخره بالهاء، وإنما استجيز سقوط الهاء من قوله: «وإقام الصَّلاة» لإضافتهم إياه، وقالوا: الخافض وما خفض بمنزلة الحرف الواحد) معاني القرآن ٢/ ٢٥٤.

(٣) البحر المحيط ٦/٣٢٩.

(٤) من قوله تعالى: **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾** [التوبة: ٤٦]. قرأ معاوية بن أبي سفيان «لأعدوا له عدده» هاء كناية وزر بن حبيش «لأعدوا له عِدَّة» بكسر العين كناية أيضاً. وعنه أيضاً «عدَّة» انظر المختصر (٥٣) وانظر اللباب ٤/٢١٧ ـ ٢١٨.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٨.

(٧) الآية [٥١] من السورة نفسها.

(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٩٨. ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥، البيان ٢/١٦٣، التبيان ٢/ ٩٢٢، البحر المحيط ٦/٣٢٩.

(١٠) وذلك أنه من الأمور التي يترجح فيها نصب الاسم المشغول عنه أن يقع الاسم بعد عاطف غير مفصول بأما مسبوق بفعل غير مبني على اسم، كقام زيد وعمراً أكرمته، ورجح النصب طلباً للمناسبة=

وقيل: إنَّ «لُوْطاً» منصوب بـ (اذكر)[١] لوطاً.

«آتَيْنَاهُ حُكْماً» أي: الحكمة، أو الفصل[٢] بين الخصوم بالحق. وقيل: النبوة[٣] «وَعِلْماً» قيل: أدخل التنوين على الحكم والعلم[٤] دلالة على علو شأن ذلك الحكم وذلك العلم[٥].

قوله: «وَنجّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ» أي: من أهل، يدل على ذلك قوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا قوم سوء» وكذلك أسند عمل الخبائث إليها، والمراد أهلها يريد سدوساً[٦].

والخبائث صفة لموصوف محذوف أي: يعمل الأعمال الخبائث[٧]، كانوا يأتون الذكران في أدبارهم، ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أُخَر كانوا يعملون من المنكرات «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوْءٍ فَاسِقِينَ» «وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا» قال مقاتل: الرحمة النبوة[٨] وقال ابن عباس والضحاك: إنّها الثواب[٥]. «إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ».

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: «وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ» الآية. في نصب «نُوحاً» وجهان:

أحدهما: أنه منصوب عطفاً على «لوطاً» فيكون مشتركاً معه في عامله الذي هو «آتَيْنَا» المفسر بـ «آتَيْنَاهُ» الظاهر، وكذلك «دَاودَ وَسُلَيْمَانَ»، والتقدير: وَنُوْحاً آتيناه حُكْماً وداود وسليمان آتيناهما حكماً[٩]، وعلى هذا فـ «إِذْ» بدل من «نُوحاً» ومن «داود وسليمان» بدل اشتمال، وتقدم تحقيق مثل هذا في طه[١٠].

= بين الجملتين؛ لأنَّ من نصب فقد عطف فعلية على فعلية، ومن رفع فقد عطف اسمية على فعلية، وتناسب المتعاطفين أحسن من تخالفهما، وإلى هذا الموضع يشير ابن مالك:

وبعد عاطف بلا فصل على ... معمولِ فعل مستقرٌ أوّلا

انظر شرح الأشموني ٢/ ٧٩.

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٨، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٩. والبيان ٢/ ١٦٣، والتبيان ٢/ ٩٢٣.

(٢) في ب: والفصل.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٢.

(٤) في ب: على العلم والحكم.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٢.

(٦) سدُوم: مدينة من مدائن قوم لوط ـ عليه السلام ـ كان قاضيها يقال له سدوم. معجم البلدان ٣/ ٢٠٠، المنجد في الأعلام (٢٩٨).

(٧) انظر البحر المحيط: ٦/ ٣٣٠.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٢.

(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٣٠

(١٠) انظر سورة طه.

الثاني: أنه منصوب بإضمار (اذكر)، أي: اذكر نوحاً وداود وسليمان أي: اذكر خبرها وقصتهم، وعلى هذا فيكون «إذْ» منصوبة بنفس المضاف المقدر، أي: خبرهم[١] الواقع في وقت كان كيت وكيت[٢].

وقوله: «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل هؤلاء المذكورين[٣].

فصل

المراد من هذا النداء[٤]: دعاؤه على قومه بالعذاب، ويدل على ذلك قوله: «أَنِّي مَغْلُوب فَانْتَصِر»[٥]، وقوله: «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً»[٦] ويؤكده قوله تعالى «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ»[٧] «فَنَجَّيْنَاهُ»، يدل على ذلك أنَّ نداءه ودعاءه كان بأن ينجيه مما يلحقه من جهتهم من الأذى بسبب تكذيبهم وردهم عليه واتفق المحققون على أنَّ ذلك النداء كان بأمر الله، لأنَّه لو لم يكن بإذنه لم يؤمن أن يكون المصلحة أن لا يجاب إليه، فيصير ذلك سبباً لنقصان حال الأنبياء. وقال آخرون: لم يكن مأذوناً له في ذلك. قال أبو أمامة: لم يتحسر أحد من[٨] خلق الله كحسرة آدم ونوح ـ عليهما السلام[٩] ـ فحسرة آدم على قبول[١٠] وسوسة إبليس، وحسرة نوح على دعائه على قومه فأوحى الله إليه أن دعوتك وافقت قدرتي[١١] قوله: «فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيم» المراد بالأهل هنا: أهل دينه[١٢] قال ابن عباس: المراد «مِنَ الكَرْبِ العَظِيم» من الغرق وتكذيب قومه[١٣] وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عُمراً وأشدَّهُمْ بلاءً، والكرب أشد الغم[١٤].

قوله: «وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ» فيه أوجه:

أحدها: أن يُضمن «نَصَرْنَاهُ» معنى منعناه وعصمناه، ومثله «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ»[١٥] فلما تضمن معناه تعدى تعديته[١٦].

---

(١) في الأصل: أخبرهم.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٩٩، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥، البيان ٢/ ١٦٣ والتبيان ٢/ ٩٢٣.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧.

(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٣.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فدعا ربَّه أنّي مغلوب فانتصر﴾ [القمر: ١٠].

(٦) [نوح: ٢٦].

(٧) فاستجبنا له: سقط من الأصل.

(٨) في النسختين: لم يحسر أحد في.

(٩) في ب: عليهما الصلاة والسلام.

(١٠) قبول: سقط من ب.

(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٣.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٣.

(١٣) انظر البغوي ٥/ ٥٠٢.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) [غافر: ٢٩].

(١٦) انظر التبيان ٢/ ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣٠.

والثاني: أنَّ (نصر) مطاوعه (انتصر) فتعدى تعدية ما طاوعه، قال الزمخشري هو نصر الذي مطاوعه انتصر، وسمعت هذلياً يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي: اجعلهم منتصرين منه[١]. ولم يظهر فرق بالنسبة إلى التضمين المذكور فإن معنى قوله: منتصرين منه أي: ممتنعين أو معصومين منه.

الثالث: أن «مِنْ» بمعنى «عَلَى» أي: على القوم[٢]، (وقرأ أبي «وَنَصَرْنَاهُ عَلَى القَوْمِ»)[٣][٤]. قال المبرد: تقديره: ونصرناه من مكروه القوم[٥].

قال تعالى: «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ»[٨]. والمعنى منعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أن يصلوا إليه بسوء «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوْءٍ» لتكذيبهم[٦] له وردهم عليه «فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» فخلصه منهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ الآية. تقدم الكلام على الإعراب[٧].

واعلم[٨] أَنَّ المقصود ذكر نعم الله على داود وسليمان، فذكر أولاً النعمة المشتركة بينهما ثم ذكر ما يخصّ كل واحد منهما من النعم. أما النعمة المشتركة فهي قصة الحكومة، وهو أن الله زينهما بالعلم والفهم في قوله[٩]: «وَكُلاً آتَيْنَا حُكماً وَعِلْماً»[١٠][١١] قال أكثر المفسرين: المراد بالحرث الزرع[١٢]. وقال ابن مسعود وابن عباس: كان الحرث كرماً قد تدلت عناقيده[١٣]. «إِذْ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القَوْمِ» أي رعته ليلاً فأفسدته؛

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧.
(٢) انظر التبيان ٢/ ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣٠.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٤.
(٤) ما بين القوسين سقط من ب.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٤.
(٦) في ب: كتكذيبهم. وهو تحريف.
(٧) تقدم قريباً.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٩) في ب: و.
(١٠) الآية [٧٩] من السورة نفسها.
(١١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٥.
(١٣) انظر القرطبي ١١/ ٣٠٧.

والنَّفْشُ: الرعي بالليل. قاله ابن السكيت[١]، وهو قول جمهور المفسرين. والنَّفْشُ: الانتشار، ومنه «كَالعِهْنِ المَنْفُوش»[٢] ونفشت الماشية أي: رعت ليلاً بغير راع، عكس الهَمَل وهو رعيها نهاراً بلا راع[٣]. وعن الحسن: أنَّ النفش هو الرعي بلا راع ليلاً كان أو نهاراً.

قوله: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِيْنَ» في الضمير المضاف إليه «حُكْم» أوجه:

أحدها: أنه ضمير جمع يراد به المثنى، وإنما وقع الجمع موقع التثنية مجازاً، أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان، ويدل على أنَّ المراد التثنية قراءة ابن عباس «لِحُكْمِهِما»[٤] بصيغة التثنية[٥].

الثاني: أنَّ المصدر مضاف للحاكِمين والمحكوم له والمحكوم عليه، فهؤلاء جماعة[٦].

وهذا يلزم منه إضافة المصدر لفاعله ومفعوله دفعة واحدة، وهو إنما يضاف لأحدهما فقط. وفيه الجمع[٧] بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر لفاعله، والمجاز إضافته لمفعوله.

الثالث: أنَّ هذا مصدر لا يراد به الدلالة على علاج، بل جيء به للدلالة على أنَّ هذا الحدث وقع وصدر كقولهم: له ذكاء الحكماء، وفهم فهم الأذكياء فلا ينحل بحرف[٨] مصدري وفعل، وإذا كان كذلك فهو مضاف في المعنى للحاكم والمحكوم له والمحكوم عليه[٩]، ويندفع المحذوران المذكوران[١٠].

قوله: «فَفَهَّمْنَاهَا». قرأ العامة «فَفَهَّمْنَاهَا» بالتضعيف الذي للتعدية، والضمير للمسألة أو للفتيا[١١].

وقرأ عكرمة: «فَأَفْهَمْنَاهَا» بالهمزة[١٢] عداه بالهمزة كما عدّاه العامة بالتضعيف[١٣].

---

(١) إصلاح المنطق (٤١)

(٢) من قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [القارعة: ٥].

(٣) اللسان (نفش، همل).

(٤) في ب: كحكمهما. وهو تحريف.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٨، الكشاف ٣/ ١٧، البيان ٢/ ١٦٣، التبيان ٢/ ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣١.

(٦) انظر البيان ٢/ ١٦٣، التبيان ٢/ ٩٢٣.

(٧) في الأصل: الفرق. وهو تحريف.

(٨) في الأصل: الحرف.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(١٠) في الوجه الثاني.

(١١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٠.

(١٢) في ب: بالهمز. المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٠.

(١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٠.

فصل[١]

قال أكثر المفسرين: دخل رجلان على داود ـ عليه السلام[٢] ـ أحدهما: صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدته، فلم يبق منه شيئاً، فقال داود: اذهب فإن الغنم لك. فخرجا فمرا على سليمان، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال: لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا. وروي أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين[٣] فأخبر بذلك داود، فدعاه، فقال: كيف تقضي، وروي أنه قال له[٤]: بحق النبوة والأبوة إلاّ أخبرتني بالذي هو أرفق[٥] بالفريقين، فقال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها، ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت. وقال ابن مسعود ومقاتل: إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم، فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان، وأفسدت الكرم، فذهب صاحب الكرم من الغد إلى داود، فقضى له بالغنم، لأنه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الأغنام تفاوت وذكر باقي القصة. قال ابن عباس: حكم سليمان ذلك وهو ابن إحدى عشرة سنة وأما حكم الإسلام: أنّ ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها، وما أفسدت بالليل ضمنه ربها، لأنَّ في عرف الناس أنَّ أصحاب الزروع يحفظونها بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار، وترد بالليل إلى المراح[٦].

روى ابن[٧] محيصة أنّ ناقة لِلْبرَاء بن عازِب[٨] دخلت حائطاً[٩] فَأَفْسَدَتْ، فقضى رسول الله ـ ﷺ[١٠] ـ «أَنَّ على أَهْلِ الحَوَائِط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضَامِنٌ على أَهْلِها»[١١].

---

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٥ ـ ١٩٩.
(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٣) في ب: أوفق الفريقين. وهو تحريف.
(٤) له: سقط من ب.
(٥) في ب: أوفق.
(٦) في الأصل: الراح. وهو تحريف. هذا الحكم قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ واحتج بالحديث المروي عن البراء بن عازب الآتي. الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٩.
(٧) في النسختين: روى محيصة. والصواب ما أثبته وهو حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود الأنصارى المدني وينسب إلى جده، أخذ عن أبيه، وأخذ عنه الزهري، مات سنة ١١٣هـ. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٠٢.
(٨) تقدم.
(٩) الحائط هنا: البستان من النخيل إذا كان عليه الحائط وهو الجدار، وجمعه الحوائط. اللسان (حوط).
(١٠) وسلم: سقط من الأصل.
(١١) أخرجه مالك في الموطأ (أقضية) ٢/ ٧٤٨، أحمد ٥/ ٤٣٦.

وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما اتلفت الماشية ليلاً كان أو نهاراً[(١)].

فصل[(٢)]

قال أبو بكر الأصم: إنهما لم يختلفا في الحكم البتة، وأنه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان. والصواب أنهما اختلفا، ويدل عليه إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأيضاً قوله تعالى: «وَكُنا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِيْنَ»، ثم قال: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» والفاء للتعقيب، فوجب أن يكون ذلك الحكم سابقاً على هذا الفهم، وذلك الحكم السابق إن اتفقا فيه لم يبق لقوله «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمانَ» فائدة. وإن اختلفا فيه فهو المطلوب.

فصل[(٣)]

احتج الجبائي على أنّ الاجتهاد غير جائز من الأنبياء بوجوه:

الأول: قوله تعالى: «قُلْ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبعْ إلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ»[(٤)] وقوله: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى»[(٥)].

الثاني: أنّ الاجتهاد طريقه الظن وهو قادر على اليقين، فلا يجوز المصير إلى الظن كالمعاين للقبلة لا يجوز له الاجتهاد.

الثالث: لو جاز له الاجتهاد في الأحكام لكان لا يقف في شيء منها، فلما وقف في مسألة الظهار واللعان إلى ورود الوحي دلّ على أنّ الاجتهاد غير جائز عليه.

الرابع: أنّ الاجتهاد إنما يصار إليه عند فقد النص، وفقد النص في حق الرسول كالممتنع فوجب أن لا يجوز الاجتهاد.

الخامس: لو جاز الاجتهاد من الرسول لجاز أيضاً من جبريل، وحينئذ لا يحصل الأمان بأن[(٦)] هذه الشرائع التي جاء بها أهي من نصوص الله أم من اجتهاد جبريل؟

وأجيب عن الأول: أن الآية واردة في إبدال آية بآية، لأنه عقيب قوله: «قَالَ[(٧)] الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ»[(٨)] ولا مدخل للاجتهاد في ذلك.

---

(١) هذا الحكم قاله الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ حيث قال: لا ضمان عليه ليلاً كان أو نهاراً إذا لم يكن متعدياً بالإرسال لقوله ﷺ: «جرح العجماء جبار» الفخر الرازي ٢٢/١٩٩.

(٢) في ب: قوله. وهو تحريف. هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٥ ـ ١٩٧.

(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٦ ـ ١٩٧.

(٤) [يونس: ١٥].

(٥) [النجم: ٣].

(٦) في النسختين: أن.

(٧) في النسختين: وقال. وهو تحريف.

(٨) [يونس: ١٥].

وأما قوله «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى» فمن جوَّز له الاجتهاد يقول[١] إنّ الذي اجتهد فيه هو عن وحي على[٢] الجملة، وإن لم يكن ذلك[٣] على التفصيل، وأيضاً فالآية واردة في الأداء عن الله لا في حكمه الذي يكون بالعقل.

وعن الثاني: أنَّ الله تعالى إذا قال له إذا غلب على ظنك كون الحكم معللاً في الأصل بكذا، ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة أخرى فاحكم بمثل ذلك الحكم، فههنا الحكم مقطوع به، والظن غير واقع فيه بل في طريقه.

وعن الثالث: لعله ـ عليه السلام[٤] ـ كان ممنوعاً عن الاجتهاد في بعض الأنواع، أو كان مأذوناً له مطلقاً، لكنه لم يظهر له في تلك الصورة وجه الاجتهاد فتوقف.

وعن الرابع: لِمَ لا يجوز أن يحبس النص عنه في بعض الصور فحينئذ يحصل شرط جواز الاجتهاد.

وعن الخامس: أن هذا الاحتمال[٥] مدفوع بإجماع الأمة على خلافه. ثم الذي يدل على جواز الاجتهاد لهم وجوه:

الأول: أنه ـ عليه السلام[٦] ـ إذا[٧] غلب على ظنه أنَّ الحكم في الأصل معلّل بمعنى ثم علم أو ظن قيام ذلك المعنى في صورة أخرى، فلا بُدَّ وأن يغلب على ظنه أنَّ[٨] حكم الله في[٩] هذه الصورة مثل ما في الأصل كقوله ـ عليه السلام[١٠] ـ:

«أَرَأَيتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِهِ»[١١].

الثاني: قوله تعالى: «فَاعْتَبِرُوا»[١٢] أمر الكل بالاعتبار، فوجب اندراج الرسول ـ عليه السلام[١٣] ـ فيه لأنه إمام المعتبرين وأفضلهم.

الثالث: أنَّ الاستنباط أرفع درجات العلماء، فوجب أن يكون للرسول[١٤] فيه مدخل، وإلا لكان كل واحد من المجتهدين أفضل منه في هذا الباب. فإن قيل: إنما يلزم لو لم يكن درجته أعلى من الاعتبار، وليس الأمر كذلك لأنه كان يستدرك الأحكام وحياً على سبيل اليقين، فكان أرفع درجة من الاجتهاد (قصاراه الظن.

فالجواب: لا يمتنع أن لا يجد النص في بعض المواضع، فلو لم يكن من أجل

---

(١) في الأصل: ويقول. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: عن.
(٣) في ب: كذلك. وهو تحريف.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) في النسختين: الاجتهاد. والصواب ما أثبته.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: لو.
(٨) أن: سقط من ب.
(٩) في ب: و. وهو تحريف.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) أخرجه مسلم (صيام) ٢/ ٨٠٤.
(١٢) من قوله: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢].
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) في ب: الرسول.

الاجتهاد)[١] لكان أقل درجة من المجتهد الذي يمكنه تعرف ذلك[٢] الحكم من الاجتهاد، وأيضاً فقد تقدم أن الله لما أمره بالاجتهاد كان ذلك مفيداً للقطع.

الرابع: قوله ـ عليه السلام[٣] ـ «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[٤] فوجب أن يثبت للأنبياء درجة الاجتهاد ليرث العلماء عنهم ذلك.

الخامس: قوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ»[٥] فذاك الإِذْنُ إن كان بإذن الله ـ تعالى ـ استحال له «لِمَ أَذِنْتَ» وإن كان بهوى[٦] النفس فهو جائز. وإن كان بالاجتهاد فهو المطلوب.

فصل[٧]

قال الجبائي: لو جوزنا الاجتهاد من الأنبياء ففي هذه المسألة لا نجوزه لوجوه:

أحدها: أن الذي وصل إلى صاحب الزرع من دَر الماشية وصوفها ومنافعها مجهول المقدار، فكيف يجوز الاجتهاد وأخذ المجهول عوضاً عن الآخر.

وثانيها: أنَّ اجتهاد داود ـ عليه السلام[٨] ـ إن كان صواباً لزم أن لا ينقض لأنَّ الاجتهاد لا ينقض[٩] بالاجتهاد، وإن كان خطأ وجب أن يبين الله توبته[١٠] كسائر ما حكاه عن الأنبياء ـ عليهم السلام[١١] ـ، فلما مدحهما بقوله: «وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً» دَلَّ على أنه لم يقع الخطأ من داود عليه السلام[١٢].

وثالثها: لو حكم بالاجتهاد لكان الحاصل هناك ظناً لا علماً لكن الله تعالى قال: «وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً».

ورابعها: كيف يجوز أن يكون عن اجتهاد مع قوله: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ».

وأجيب **عن الأول**: بأنَّ الجهالة في القدر لا تمنع من الاجتهاد كالجِعَالاَت[١٣]، وحكم المصرّاة[١٤].

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب.
(٢) في ب: ذي. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) أخرجه ابن ماجة (مقدمة) ١/٨١، أحمد ٥/١٩٦.
(٥) من قوله تعالى: ﴿**عفا اللَّهُ عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ [التوبة: ٤٣].
(٦) في ب: هوى.
(٧) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٧ ـ ١٩٨.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في ب: لا ينقص. وهو تحريف.
(١٠) في ب: توبته عنه.
(١١) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) الجعالة والجعالات: ما يتجاعلونه عند البعوث أو الأمر يحزبهم من السلطان. اللسان (جعل).
(١٤) في الأصل: المصرات.

وعن الثاني: لعلَّ خطأه كان من باب الصغائر.

وعن الثالث: إنّ المتمسك بالقياس فإن الظن واقع في طريق الحكم، فأمَّا الحكم فمقطوع به.

وعن الرابع: أنّ المجتهد إذا تأمل واجتهد وأداه اجتهاده إلى حكم كأن الله ـ تعالى[١] ـ فهمه من حيث بين له[٢] طريق ذلك.

فهذا جملة الكلام في بيان أنه لا يمتنع أن يكون اختلاف داود وسليمان في ذلك الحكم إنما كان بسبب الاجتهاد. وأما بيان أنه لا يمتنع أيضاً أنْ يكون اختلافهما فيه بسبب النص، فوجهه أنْ يقال: إنَّ داود ـ عليه السلام[٣] ـ كان مأموراً بالحكم من قبل الله ـ تعالى ـ ثم إنه تعالى نسخ ذلك بالوحي[٤] إلى سليمان خاصة، وأمره أن يعرف داود ذلك فصار ذلك الحكم حكمهما جميعاً.

وقوله: «فَفَهَّمْناها سُلَيْمَانَ» أي: أوحينا إليه. فإن قيل: هذا باطل لوجهين:

الأول: لما أنزل الله الحكم الأول على داود[٥] وجب أن ينزل نسخه أيضاً على داود لا على سليمان.

الثاني: أن الله تعالى مدح كل واحد منهما على الفهم، ولو كان ذلك على سبيل النص لم يكن في فهمه كثير مدح.

واعلم أنَّ القول الأول أولى، لأنه روي في الأخبار الكثيرة أن داود لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان أنَّ غير ذلك أولى، وفي بعضها أنّ داود ناشده لكي يورد ما عنده، ولو كان نصاً لكان يظهره ولا يكتمه. ووجه الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس: أن داود ـ عليه السلام[٦] ـ قوّم قدر الضرر في الكرم فكان مساوياً لقيمة الغنم وكان عنده أنّ الواجب في ذلك الضرر أن يزال[٧] بمثله من النفع، فلا جرم سلم الغنم إلى المجني عليه كما قال أبو حنيفة[٨] في العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه[٩].

وأما سليمان فأداه[١٠] اجتهاده إلى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد وأما مقابلته بالزوائد فغير جائز، لأنه يقتضي الحيف، ولعل منافع الغنم في تلك

---

(١) تعالى: سقط من ب.
(٢) له: سقط من ب.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في ب: الوحي. وهو تحريف.
(٥) في الأصل: على الأول داود، وهو تحريف.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في الأصل: أن ينزال.
(٨) في ب: أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ.
(٩) في الأصل: أو يفيده. وفي ب: أو يعديه. والصواب ما أثبته.
(١٠) في ب: فإذا أداء.

السنة كانت موازنة فحكم به، كما قال الشافعي(١): فيمن غصب عبداً فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه(٢) بإيزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادّا.

فصل(٣)

إذا ثبت أنّ تلك المخالفة كانت مبنية على الاجتهاد، فهل تدل هذه القصة على أنَّ المصيب واحد، أو الكل مصيبين؟. فمن قال: إنَّ المصيب واحد استدل بقوله تعالى «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» قال: ولو كان الكل مصيبون لم يكن لتخصيص سليمان بهذا التفهيم فائدة. وأما القائلون بأنَّ الكل مُصيبون فمنهم من(٤) استدل بقوله تعالى «وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً»، ولو كان المصيب(٥) واحداً ومخالفه مخطئاً لما صح أن يقال: «وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً». قال ابن الخطيب: وكلا الاستدلالين ضعيف **أما الأول**: فلأنّ الله ـ تعالى ـ لم يقل إنه فهمه الصواب، فيحتمل أنه فهمه الناسخ، ولم يفهم ذلك داود، فكل واحد منهما مصيب فيما حكم به على أن أكثر ما في الآية أنَّها دالة على أنَّ داود وسليمان ما(٦) كانا مصيبين، وذلك لا يوجب أن يكون الأمر كذلك في شرعنا.

وأما الثاني: فلأنه تعالى لم يقل: كلاً آتيناه حكماً فيما حكم به هنا، بل يجوز أنْ يكون إيتاؤه حكماً وعلماً بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام، على أن لا يلزم من كون كل مجتهد مصيب في شرعهم أنْ يكون الأمر كذلك في شرعنا(٧).

قوله تعالى: «وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ» هذه من النعم التي خصَّ بها داود فقوله: «يُسَبِّحْنَ» في موضع نصب على الحال(٨).

«والطَّيْرَ» يجوز أن ينتصب نسقاً على «الجِبَالَ»، وأن ينتصب على المفعول معه(٩) وقيل: «يسبِّحْنَ» مستأنف فلا محل له(١٠). وهو بعيد. وقرىء «وَالطَّيْرُ» رفعاً وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ والخبر محذوف، أي: والطير مسخرات أيضاً(١١).

---

(١) في ب: الشافعي ـ رحمه الله ـ. (٢) منه: سقط من ب.

(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/١٩٨ ـ ١٩٩.

(٤) من: سقط من ب. (٥) في الأصل: المصيبو. وهو تحريف.

(٦) ما: سقط من ب. (٧) الفخر الرازي ٢٢/١٩٩.

(٨) انظر الكشاف ٣/١٧، التبيان ٢/٩٢٣، البحر المحيط ٦/٣٣١.

(٩) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/٥٨٦ الكشاف ٣/١٧، البيان ٢/١٦٣، التبيان ٢/٩٢٣ البحر المحيط ٦/ ٣٣١.

(١٠) انظر الكشاف ٣/١٧، البحر المحيط ٦/ ٣٣١.

(١١) التبيان ٣/٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣١.

والثاني: أنه نسق على الضمير في «يُسَبِّحْنَ»، ولم يؤكد ولم يفصل، وهو موافق لمذهب الكوفيين[١].

فصل

قال ابن عباس[٢]: (كان يفهم)[٣] تسبيح الحجر والشجر.

وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

وقال قتادة: «يُسَبِّحْنَ» أي: يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر سمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه[٤].

وقال بعض المفسرين[٥]: إنه يحتمل أن يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»[٦] وتخصيص داود ـ عليه السلام[٧] ـ بذلك إنما كان بسبب أنه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقيناً وتعظيماً.

وقالت المعتزلة: لو حصل الكلام في الجبل لحصل إما بفعله أو بفعل الله فيه، والأول محال، لأن بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة، وما لا يكون حياً قادراً عاقلاً[٨] يستحيل منه الفعل.

والثاني محال، لأن المتكلم عندهم من كان فاعلاً للكلام لا من كان محلاً للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله لكان المتكلم هو الله لا الجبال. فثبت أنَّه لا يمكن إجراؤه على ظاهره، فعند هذا قالوا: معنى قوله: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ» قوله: «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ»[٩] أي: تصرفي معه وسيري بأمره. ومعنى «يُسَبِّحْنَ» من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه على التكثير ولو أفرد لقيل: اسبحي، فلما كثر قيل سبحي معه، أي: سيري وهو كقوله: «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيْلاً»[١٠] أي: تصرفاً ومذهباً، إذا ثبت هذا فنقول: إن سيرها هو التسبيح لدلالته على قدرة الله. واعلم أنّ مدار هذا القول على أن بنية الجبال لا تقبل الحياة، وأن المتكلم من فعل الكلام، وكلاهما ممنوع. وأما

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٤٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٦، التبيان ٢/ ٩٢٣ البحر المحيط ٦/ ٣٣١.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٦) [الإسراء: ٤٤].

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) في ب: عاقلاً قادراً.

(٩) في قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد﴾** [سبأ: ١٠].

(١٠) [المزمل: ٧].

«الطَّيْر» فلا امتناع أن يصدر عنها الكلام، ولكن أجمعت الأمة على أنّ المكلفين إمَّا الجن والإنس والملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في أن يُؤْمر ويُنْهَى. وإن لم يكن مكلفاً فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق. وأيضاً فيه[1] دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه عمّا لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال[2]. وقدم الجبال على الطير، لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان[3].

ثم قال: «وَكُنَّا فَاعِلِينَ» أي: قادرين على أنْ نفعل هذا وإنْ كان عجباً عندكم وقيل: نفعل ذلك بالأنبياء ـ عليهم السلام[4] ـ.

الإنعام الثاني قوله: «وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ» الجمهور على فتح اللام[5] من «لَبُوسٍ» وهو الشيء المعد للبس قال الشاعر:

٣٧٣٠ ـ أَلْبَسُ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا[6]

والمراد باللبوس هنا الدرع لأنها تلبس، وهي في اللغة اسم لكل ما يلبس. ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالحلوب[7] والركوب.

وقرىء «لُبُوس» بضم اللام[8]، وحينئذ إما أنْ يكون جمع لُبْس المصدر الواقع موقع المفعول، وإما أنْ لا يكون واقعاً موقعه، والأول أقرب. و «لَكُمْ» يجوز أن يتعلق بـ «عَلَّمْنَاه»[9]، وأن يتعلق بـ «صَنْعَةَ» قاله أبو البقاء[10]، وفيه بُعْد. وأن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ «لَبُوس»[11]. قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وإنما كانت صفائح[12].

قوله: «لِتُحْصِنَكُم». هذه لام كي[13]، وفي متعلقها أوجه:

أحدها: أنْ تتعلق بـ «عَلَّمْنَاهُ»[14]، وهذا ظاهر على القولين الآخرين وأما على

---

(١) فيه: تكملة ليست في المخطوط.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٧.
(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(٦) رجز قاله بيهس الفزاري، وهو في إصلاح المنطق ٣٣٣، الكشاف ٣/ ١٧ القرطبي ١١/ ٣٢٠، اللسان (لبس). شرح شواهد الكشاف (١٤٠).
(٧) في ب: كالمحلوب. وهو تحريف.
(٨) البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٠) التبيان ٣/ ٩٢٣.
(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٢) انظر البغوي ٥/ ٥٠٦.
(١٣) والفعل المضارع بعدها منصوب بـ (أن) مضمرة على مذهب البصريين وذهب الكوفيون إلى أنَّ اللام ناصبة بنفسها. انظر شرح الأشموني ٣/ ٢٩٢.
(١٤) انظر التبيان ٢/ ١٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.

القول الثالث فيشكل، وذلك أنه يلزم تعلق جر في جر متحدين لفظاً ومعنى. ويجاب عنه بأن يجعل بدلاً من «لَكُمْ» بإعادة العامل كقوله تعالى: «لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ»[١] وهو بدل اشتمال، وذلك أنَّ أنْ الناصبة للفعلِ المقدرة مؤولة هي ومنصوبها بمصدر، وذلك المصدر بدل من ضمير المخاطب في «لَكُمْ» بدل اشتمال، والتقدير: وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم.

والثاني: أن تتعلق بـ «صَنْعَةَ»[٢] على معنى أنه بدل من «لَكُم» كما تقدم تقريره وذلك على رأي أبي البقاء، فإنه علّق «لَكُمْ» بـ «صَنْعَةَ»[٣].

والثالث: أنها تتعلق بالاستقرار الذي تعلق به «لَكُمْ» إذا جعلناه صفة لما قبله[٤].

وقرأ الحرميان[٥] والأخوان[٦] وأبو عمرو: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء من تحت[٧]، والفاعل الله تعالى، وفيه التفات[٨] على هذا الوجه، إذ تقدمه ضمير المتكلم في قوله «وَعَلَّمْنَاهُ». أو داود، أو التعليم، أو اللبوس[٩]. وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق[١٠]، والفاعل الصنعة أو الدرع، وهي مؤنثة، أو اللبوس، لأنها يراد بها ما يلبس، وهو الدرع، والدرع مؤنثة كما تقدم[١١].

وقرأ أبو بكر «لِنُحْصِنَكُمْ» بالنون[١٢] جرياً على «عَلَّمْنَاهُ»[١٣]. وعلى هذه القراءات الثلاث الحاء ساكنة والصاد مخففة. وقرأ الأعمش «لِيحَصِّنكم» وكذا النعيمي[١٤] عن أبي عمرو بفتح الحاء وتشديد الصاد على التكثير إلاَّ أن الأعمش بالتاء من فوق وأبو عمرو بالياء من تحت[١٥] وقُدِّمَ[١٦] ما هو الفاعل[١٧].

فصل

معنى «لِنُحْصِنَكُم» أي: لنحرزكم ونمنعكم من بأسكم أي: حرب عدوكم[١٨].

---

(١) [الزخرف: ٣٣].
(٢) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(٣) التبيان ٢/ ٩٢٣.
(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(٥) ابن كثير ونافع.
(٦) حمزة والكسائي.
(٧) السبعة (٤٣٠) الكشف ٢/ ١١٢، النشر ٢/ ٣٢٤، الإتحاف (٣١١).
(٨) في الأصل: التفاوت. وهو تحريف.
(٩) انظر الكشف ٢/ ١١٢، التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢، الإتحاف (٣١١).
(١٠) السبعة (٤٣٠)، الكشف ٢/ ١١٢، النشر ٢/ ٣٢٤، الإتحاف (٣١١).
(١١) انظر الكشف ٢/ ١١٢، التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢، الإتحاف (٣١١)
(١٢) السبعة (٤٣٠)، الكشف ٢/ ١١٢، النشر ٢/ ٣٣٢، الإتحاف (٣١١).
(١٣) انظر الكشف ٢/ ١١٢، البيان ٢/ ١٦٤، التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٤) النعيمي: سقط من ب.
(١٥) المختصر (٩٢) البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٦) في ب: وقد تقدم.
(١٧) في توجيه قراءة التخفيف.
(١٨) انظر البغوي ٥/ ٥٠٦، الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٠.

وقال السُّديّ: من وقع السلاح فيكم[١]. ذكر الحسن أن لقمان الحكيم ـ صلوات الله عليه ـ حضر داود وهو يعمل الدرع، فأراد أن يسأله عمَّا يفعل ثم كف عن السؤال حتى فرغ منها ولبسها على نفسه، فقال عند ذلك: الصمت حكمة وقليل فاعله[٢]. ثم قال تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ» يقول لداود وأهل بيته وقيل: يقول لأهل مكة، فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول[٣].

قوله تعالى: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ» العامة على النصب، أي: وسخرنا الريح لسليمان، فهي منصوبة بعامل مقدر[٤]. وقرأ ابن هرمز وأبو بكر عن عاصم في رواية بالرفع على الابتداء، والخبر الجار قبله[٥]. وقرأ الحسن وأبو رجاء بالجمع والنصب. وأبو حيوة بالجمع والرفع[٦]. وتقدم الكلام على الجمع والإفراد في البقرة[٧]، وبعض هؤلاء قرأ في سبأ[٨] كذلك كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله: «عَاصِفَةً» حال، والعامل فيها على قراءة من نصب «سَخَّرْنَا» المقدر، وفي قراءة من رفع الاستقرار الذي تعلق به الخبر[٩]. يقال: عَصَفتِ الرِّيْحُ تَعْصِفُ عَصْفاً وَعُصُوفاً، فهي عَاصِفٌ وعَاصِفَةٌ. وأسد تقول: أَعصَفَتْ بالألف تعصف، فهي[١٠] مُعْصِفٌ وَمُعْصِفَةٌ[١١]. والريح تذكر وتؤنث[١٢]. والعاصفة: الشديدة الهبوب. فإن قيل: قد قال[١٣] في موضع آخر «تجري بِأَمْرِهِ رُخَاءً»[١٤] والرخاء: اللين قيل: كانت الريح تحت أمره، إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت[١٥].

فإن قيل: قال في داود: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ»، وقال في حق سليمان «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ»[١٦] فذكر في حق داود بكلمة مع وفي حق سليمان باللام وراعى[١٧]

---

(١) انظر البغوي ٥/ ٥٠٦.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٠.
(٣) في ب: الرسول عليه الصلاة والسلام.
(٤) انظر التبيان ٢/ ٣٣٢.
(٥) المرجعان السابقان.
(٦) المختصر (٩٢) البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(٧) عند قوله تعالى: **﴿وتصريف الرِّياح والسَّحاب المسخّر بين السَّماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾** [البقرة: ١٦٤].
(٨) عند قوله تعالى: **﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾** [سبأ: ١٢].
(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٠) في ب: فهو.
(١١) اللسان (عصف).
(١٢) قال ابن الأنباري: (والريح على وجهين: الريح من الرياح مؤنثة. والريح: الأرج والنشر وهما حركتا الريح مذكر) المذكر والمؤنث ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(١٣) في الأصل: فإن قال قد قيل.
(١٤) من قوله تعالى: **﴿فسخّرنا له الرِّيح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب﴾** [ص: ٣٦].
(١٥) انظر البغوي ٥/ ٥٦٠٥، الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠١.
(١٦) في النسختين: وسخرنا لسليمان الريح.
(١٧) في الأصل: راعى.

هذا الترتيب أيضاً في قوله: «يَا جِبَالُ أَوبي مَعَهُ»(١) وقال: «فَسَخَّرنَا(٢) لَهُ الرِّيْحَ تَجْري بِأَمْرِهِ»(١٣) فما الفائدة في تخصيص داود بلفظ مع، وسليمان باللام؟

فالجواب: يحتمل أنّ الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف فما أضيف بلام التمليك، وأما الريح فلم يصدر منه إلا ما يجرى مجرى الخدمة فلا جرم أضيف إلى سليمان بلام التمليك وهذا جواب إقناعي(٣).

قوله: «تَجْرِي» يجوز أن تكون حالاً ثانية، وأن تكون حالاً من الضمير في «عَاصِفَة» فتكون حالين متداخلتين(٤). وزعم بعضهم(٥): أَنَّ «الَّتِي بَارَكْنَا (فِيهَا» صفة للريح، وفي الآية تقديم وتأخير، والتقدير: الريح التي باركنا فيها)(٦) إلى الأرض. وهو تعسف. والمراد بقوله: «إلى الأَرْضِ التي بَارَكْنَا فِيهَا» بيت المقدس(٧). قال الكلبي: كان(٨) سليمان ـ عليه السلام(٩) ـ وقومه يركبون(١٠) عليها من إصطخر(١١) إلى الشام(١٢)، وإلى حيث شاء، ثم يعود إلى منزله.

ثم قال: «وَكُنَّا بِكُلِ شَيْءٍ عَالِمِيْنَ» وكنا بكل شيء عملناه عالمين بصحة التدبير فيه، علمنا أنما نعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه. قوله: «مَنْ يَغُوصُونَ» يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة وعلى كلا التقديرين فموضعها إمَّا نصب نسقاً على الريح، أي: وسخرنا(١٣) له من يغوصون، أو رفع على الابتداء والخبر في الجار قبله(١٤) وجمع الضمير حملاً على معنى «مَنْ»(١٥)، وحسن ذلك تقدم الجمع في

---

(١) [سبأ: ١٠].
(٢) في النسختين: وسخرنا. وهو تحريف.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠١.
(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤.
(٥) هو المنذر بن سعيد قال أبو حيان: (وقال منذر بن سعيد الكلام تام عند قوله: «إلى الأرض» و «التي باركنا فيها» صفه للريح ففي الآية تقديم وتأخير يعني أن أصل التركيب ولسليمان الريح التي باركنا فيها عاصفة تجري بأمره إلى الأرض).
البحر المحيط ٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.
(٦) ما بين القوسين سقط من ب.
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠١.
(٨) في ب: و. وهو تحريف.
(٩) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: يركبون. وهو تصحيف.
(١١) إصطخر: أطلال مدينة إيرانية قديمة. المنجد في الأعلام (٥٢).
(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.
(١٣) في ب: أو سخرنا. وهو تحريف.
(١٤) انظر التبيان ٢/ ٩٣٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٣.
(١٥) «من» تكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفرداً كان أو مثنى أو مجموعاً والأكثر في ضميرها اعتبار اللفظ نحو **﴿ومنهم من يستمع إليك﴾** [الأنعام: ٢٥]، ويجوز اعتبار المعنى نحو **﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾** [يونس: ٤٣]، ما لم يحصل من مطابقة اللفظ لبس نحو: أعط من سألتك، ولا تقل من سألك، أو قبح نحو: من هي حمراء أمك. وما لم يعضد المعنى سابق فيختار مراعاة المعنى نحو: وإن من النسوان من هي روضة. وإذا اجتمع في (من) ضمائر جاز في بعضها مراعاة اللفظ وبعضها=

قوله «الشَّيَاطِينَ»[١] فلما ترشح جانب المعنى روعي، ونظيره قوله:

٣٧٣١ ـ وَإِنَّ من النِّسْوَانِ مَنْ هِيَ روضة تهيج الرياض[٢] قبلها وتصوح[٣]

راعى التأنيث لتقدم قوله: وإنَّ من النسوان. و «دُونَ ذَلِكَ» صفة لـ «عَمَلاً»[٤].

فصل

يحتمل أن يكون[٥] من يغوصون منهم هو الذي يعمل سائر الأعمال، ويحتمل أنهم فرقة أخرى، ويكون الكل داخلين في لفظة «مَنْ» والأول أقرب. وظاهر الآية أنه[٦] سخرهم لكنه قد روي أنه تعالى سخر كفارهم دون المؤمنين وهو الأقرب من وجهين:

أحدهما: إطلاق لفظ الشياطين.

والثاني: قوله: «وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِيْنَ» فإنَّ المؤمن إذا سخر في أمر لا يجب أن يحفظ لئلا يفسد، وإنما يجب ذلك في الكافر[٧]. ومعنى «يَغُوصُونَ» أي: يدخلون تحت الماء، فيخرجون له من قعر البحر الجواهر «وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ» أي: دون الغوص، وهو ما ذكره تعالى في قوله: «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيْلَ»[٨][٩] الآية. «وَكُنا لَهُمْ حَافِظِيْنَ» حتى لا يخرجوا من أمره[١٠].

وقيل: وكل بهم جمعاً من الملائكة وجمعاً من المؤمنين الجن. وقال ابن عباس:

= مراعاة المعنى، والأحسن البداءة بالحمل على اللفظ نحو قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾** [البقرة: ٨]. ويجوز البداءة بالمعنى كقولك: من قامت وقعد، وشرط قوم لجوازه وقوع الفصل بين الجملتين نحو من يقومون في غير شيء وينظر في أمرنا قومك وعزي للكوفيين. وإذا اعتبر اللفظ ثم المعنى جاز العودة إلى اعتبار اللفظ بقلة قال تعالى: **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين. وإذا تُتلى عليه آياتنا ولَّى مستكبراً﴾** [لقمان: ٦، ٧].
انظر شرح التصريح ١/ ١٤٠، الهمع ١/ ٨٧.

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٣. (٢) في ب: الرياح.
(٣) البيت من بحر الطويل لم أهتد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٦/ ٣٣٣، شرح التصريح ١/ ١٤٠، حاشية الصبان على شرح الأشموني ١/ ١٥٣.
(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٢.
(٦) في ب: أن. وهو تحريف.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٢.
(٨) من قوله تعالى: **﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾** [سبأ: ١٣].
(٩) انظر البغوي ٥/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩.
(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٢.

إنَّ سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء. وفي كونهم محفوظين ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه تعالى كان يحفظهم لئلا يذهبوا.

وثانيها: قال الكلبي: كان يحفظهم من أن يهيجوا أحداً[(١)] في زمانه.

وثالثها: قال الزجاج: كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا[(٢)]، وكان دأبهم أن يعملوا[(٣)] بالنهار[(٤)] ثم يفسدونه بالليل[(٥)].

روي أن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه[(٦)] وأفسدوه[(٧)].

فصل[(٨)]

سأل الجبائي نفسه، وقال: كيف يتهيأ لهم هذه الأعمال وأجسامهم دقيقة لا يقدرون على عمل الثقيل، وإنما يمكنهم الوسوسة؟ وأجاب بأنه ـ سبحانه ـ كثف أجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون[(٩)] ذلك معجزة لسليمان، فلما مات سليمان ـ عليه السلام[(١٠)] ـ ردهم إلى الخلقة الأولى، لأنه لو بقاهم على الخلقة الثانية لصار شبهة على الناس ولو ادعى مثبت النبوة وجعله دلالة، لكان كمعجزات الرسل، فلذلك ردهم إلى خلقهم[(١١)] الأول. قال ابن الخطيب: وهذا الكلام ساقط من وجوه:

أحدها: لم قلتم إنّ الجن من الأجسام، ولم يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز، ويكون الجن منهم؟ فإن قلت: لو كان الأمر كذلك لكان مثلاً للباري تعالى. قلت: هذا ضعيف لأنَّ الاشتراك[(١٢)] في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في اللزومات، فكيف اللوازم السلبية.

سلمنا أنه جسم لكن لم[(١٣)] يجوز حصول القدرة على هذه الأعمال الشاقة في الجسم اللطيف، وكلامه بناء على أن البنية شرط وليس في يده إلا الاستقراء الضعيف سلمنا أنه لا بُدّ من تكثيف أجسامهم، لكن لم قلت: بأنه لا بُدّ من ردها إلى الخلقة الأولى بعد موت سليمان.

---

(١) أحداً: سقط من ب.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠١.

(٣) في الأصل: يعملون. وهو تحريف.

(٤) بالنهار: تكملة ليست بالمخطوط.

(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٢.

(٦) في ب: ما عملوا.

(٧) انظر البغوي ٥/ ٥٠٩.

(٨) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٩) في ب: فيكون.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: حلقهم. وهو تصحيف.

(١٢) في الأصل: الاشتراك. وهو تصحيف.

(١٣) في ب: لم لا.

وقوله: بأنه يفضي إلى التلبيس، قلنا: التلبيس غير لازم، لأن النبي إذا جعل ذلك معجزة لنفسه فالمدعوّ أن يقول: لم لا يجوز أن يقال: إن قوة أجسامهم[١] كانت معجزة لنبي آخر. ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به. واعلم أن أجسام هذا العالم إما كثيفة أو لطيفة. أما الكثيف[٢] فأكثف الأجسام الحجارة والحديد، وقد جعلهما الله تعالى معجزة لداود ـ عليه السلام[٣] ـ قوة النار مع كون الإصبع في نهاية اللطافة، فأي بعد أنْ يجعل التراب اليابس جسماً حيوانياً. وألطف الأشياء في هذا العالم الهواء والنار، وقد جعلها الله ـ تعالى ـ معجزة لسليمان ـ عليه السلام[٤]، أما الهواء فقوله: «فَسَخَّرْنَا[٥] لَهُ الرِّيحَ»[٦]. وأما النار فلأنَّ الشياطين مخلوقون[٧] من النار، وقد سخرهم الله ـ تعالى ـ له، ثم كان يأمرهم بالغوص في المياه، والنار تطفأ بالماء، ولم تكن تضرهم وذلك يدل على قدرته على إظهار الضد من الضد.

قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ الآية.

قوله: «وَأَيُّوبَ» كقوله: «وَنُوحاً»[٨] وما بعده[٩]. وقرأ العامة «أَنِّي» بالفتح لتسلط النداء عليها بإضمار حرف الجر بأني[١٠]. وعيسى بن عمر بالكسر[١١] فمذهب[١٢] البصريين إضمار القول أي: نادى فقال: إني[١٣] ومذهب الكوفيين أجرى النداء مجرى القول[١٤]. والضُّرّ بالضم المرض في البدن وبالفتح الضرر في كل شيء فهو أعم من الأول[١٥].

فصل

قال وهب بن منبه[١٦]: كان أيوب ـ عليه السلام[١٧] ـ رجلاً من الروم، وهو

(١) في ب: أجسادهم.
(٢) في ب: الكثيفة.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في النسختين: وسخرنا. وهو تحريف.
(٥) في النسختين: وسخرنا. وهو تحريف.
(٦) من قوله تعالى: **﴿فسخَّرنا له الرِّيح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب﴾** [ص: ٣٦].
(٧) في الأصل: مخلوقين.
(٨) [الأنبياء: ٧٦].
(٩) وهو قوله: **﴿وداود وسليمان﴾** [الأنبياء: ٧٨] من أوجه الإعراب الجائزة.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١١) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٢) في ب: فذهب. وهو تحريف.
(١٣) في ب: وإني. وهو تحريف.
(١٤) انظر الكشاف ٣/ ١٨، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١٨، اللسان (ضرر)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٨.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

أيوب بن أنوص بن زارح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البَثَنِيَّة(١) من أرض الشام كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمر والبساتين ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة والأهل والولد من الرجال والنساء، وكان رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل. وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به، وعرفوا فضله؛ قال: كان أحدهم من أهل اليمن يقال له: اليقن، ورجلان(٢) من أهل بلده يقال لأحدهما: يلدد، والآخر ضافر، وكانوا كهؤلاء.

وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى، فحجب من أربع، فما بعث محمد ـ ﷺ ـ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه(٣) البغي والحسد، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال: إلٰهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك. فقال الله ـ تعالى ـ: انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني سلطت على مال أيوب؟ فقال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فأحرق كل شيء، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها فذهب فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها وانبثت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منه أحد إلا احترق، فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها. ثم جاء إبليس في زي بعض الرعاة إلى أيوب، فوجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب: الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها، وقديماً وطَّنْتُ نفسي ومالي على الفناء، فبقي الناس مبهوتين متعجبين، فمن قائل يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً، وما كان إلا في غرور. ومنهم مَنْ يقول: لو كان إلٰه أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه. ومنهم مَنْ يقول: هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه، ويفجع به صديقه فقال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً(٤) أعود في التراب، وعرياناً أحشر إلى الله(٥)، ولو علم الله فيك خيراً أيها العبد لنقل روحك مع تلك الأرواح، وصرت شهيداً ولكنه علم

---

(١) البثنيَّة: الزبدة، وقيل: ضرب من الحنطة، وقيل حنطة منسوبة إلى بلدة معروفة بالشام من أرض دمشق. اللسان (بثن).

(٢) في ب: ورجلاء. وهو تحريف.

(٣) في ب: وأدركه.

(٤) عرياناً: مكرر في ب.

(٥) في ب: وعرياناً يحشرني الله.

منك شراً فأخرك. فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فقال عفريت آخر: عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت روحه. فقال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاتها، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول، فرد[١] عليه أيوب الرد الأول. فرجع إبليس صاغراً إلى أصحابه، فقال لهم: ما عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت آخر: عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً أقلع[٢] كل شيء أتيت عليه.

فقال: اذهب إلى الحرث والفدادين، فأتاهم، فأهلكهم[٣]. ثم أتى إبليس متمثلاً إلى أيوب، فقال[٤] مثل قوله، فرد عليه أيوب الرد الأول. وكلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال. فلما رأى إبليس صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله. فقال: إلٰهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده، فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها المعصية التي لا تقوم لها قلوب الرجال؟ قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده. فأتى أولاد أيوب في قصرهم فلم يزل يزلزله بهم من قواعده حتى قلب القصر عليهم. ثم جاء أيوب متمثلاً بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ[٥] الوجه والرأس يسيل دمه ودماغه، فقال: لو رأيت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم لتقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رَقَّ أيوب ـ عليه السلام[٦] ـ وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه، وقال: ليت أمي لم تلدني، فاغتنم إبليس ذلك وصعد سريعاً، ووقف موقفه. ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فسبقت توبته إلى الله ـ تعالى ـ وهو أعلم. فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلٰهي إنما هوّن على أيوب المال والولد لعلمه أنه يرى أنك متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فقال الله ـ عزَّ وجلَّ[٧] ـ انطلق فقد سلطتك على جسده، وليس لك على قلبه وعقله ولسانه سلطان، وكان الله ـ عزَّ وجلَّ[٧] ـ أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين، وذكرى للعابدين، وكل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر، ورجاء للثواب. فانْقَضّ عدو الله سريعاً، فوجد أيوب ساجداً، فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل فيها جسده فخرج من

---

(١) في ب: ورد.
(٢) في ب: لأقلع.
(٣) في الأصل: فأهلكم. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: وقال.
(٥) الشدخ: كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه، شدخ رأسه فانشدخ وشدّخت الرؤوس شدِّد للكثرة. اللسان (شدخ).
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: تعالى.

قرنه إلى قدمه ثآليل[١] مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكّة لا يملكها، فكان يحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن، فأخرجوه أهل القرية وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، ورفضه الناس كلهم إلا امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف، فكانت تصلح أموره ويختلف إليه مما يصلحه. ثم إنَّ وَهْباً طول الحكاية إلى أن قال: إنَّ أيوب ـ عليه السلام[٢] ـ أقبل على الله ـ تعالى[٣] ـ متضرعاً إليه فقال: رب لأي شيء خلقتني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك عني ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم ولياً، وللمرأة قيماً، إلٰهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فَالمَنُّ لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضاً، وللفتنة نصباً، وسلطت عليّ[٤] ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله، إلٰهي تقطعت أصابعي، وتساقطت لهواتي، وتناثر شعري، وذهب المال فصرت أسأل اللقمة فيطعمني من يمن[٥] بها علي، ويعيرني بفقري وهلاك أولادي. قال الإمام أبو القاسم الأنصاري ـ رحمه الله ـ: وفي جملة هذا الكلام ليتك إذ كرهتني لم تخلقني، ثم قال: ولو كان ذلك صحيحاً لاغتنم إبليس بأن يحمله على الشكوى، وأن يخرجه عن[٦] حلية الصابرين، والله لم يخبر عنه إلا قوله «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ» وقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب»[٧]. واختلف العلماء في السبب الذي قال لأجله «أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ» فروى ابن شهاب عن أنس عن رسول الله ـ ﷺ ـ «إن أيوب ـ عليه السلام[٨] ـ بقي في البلاء ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلاَّ رجلين كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر ذات يوم: والله إن أيوب أذنب ذنباً ما أذنبه أحد[٩] من العالمين. فقال صاحبه: وما ذاك. فقال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، ولم يكشف ما به. فلما راحا إلى أيوب لم يصبر حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: ما أدري ما يقولان غير أن الله ـ تعالى ـ يعلم[١٠] أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق. وروي أنّ الرجلين لما دخلا عليه قالا: لو كان لأيوب عند الله منزلةً ما بلغ إلى هذه الحالة. فما شق على أيوب شيء مما بلي به أشد مما سمع منهما، وقال: اللهم إن كنت تعلم أني

---

(١) الثآليل: جمع الثؤلول: وهو الخراج، وقد ثؤلل الرجل وقد تثأل جسده بالثآليل وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. اللسان (ثأل).

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) تعالى: سقط من ب.

(٤) على: سقط من الأصل.

(٥) في ب: عن. وهو تحريف.

(٦) في الأصل: على.

(٧) [ص: ٤٤].

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) في ب: أحداً. وهو تحريف.

(١٠) يعلم: سقط من الأصل.

لم أبت شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقني، فصدق. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس قميصي وأنا أعلم مكان عار فصدقني، فصدق. وهما يسمعان، ثم خرَّ أيوب ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي قال: فكشف الله ما به».

وروى الحسن قال: مكث أيوب بعد ما ألقي على[1] الكناسة سبع سنين وأشهراً، ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته رحمة، صبرت معه، وكانت تأتيه بطعام. وتحمد الله مع أيوب والصبر على ما ابتلاه، فصرخ إبليس صرخة جزعاً من أيوب، فاجتمع جنوده من أقطار الأرض، وقالوا له: ما خبرك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولداً، ولم[2] يزدد بذلك إلا صبراً وحمداً، ثم سلطت على جسده فتركته ملقى في كناسة ما يقربه إلا امرأته، وهو مع ذلك لا يفتر عن الذكر والحمد، فاستغثت بكم لتعينوني، فأشيروا علي. قالوا: أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته؟ قال: من قبل امرأته. قالوا: فشأنك من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها، لأنه لا يقربه أحد غيرها. قال: أصبتم. فانطلق حتى أتى امرأته، فتمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ فقالت: هو ذَا يَحُكُّ قُرُوحَهُ وتتردد[3] الدواب في جسده. فلما سمعها طمع أن يكون ذلك جزعاً فوسوس إليها وذكرها ما كان لها من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه.

قال الحسن: فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت، فأتاها بسخلة[4] فقال: ليذبح هذا أيوب لغير الله فيبرأ، قال: فجاءت تصرخ إلى أيوب تقول: حتى متى يعذبك ربك، ألا يرحمك، أين المال، أين[5] الولد، أين الماشية، أين الصديق، أين الحسن، أين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيك الدواب، اذبح هذه السخلة واسترح؟ قال أيوب ـ عليه السلام[6] ـ: أتاك عدو الله ونفخ فيك فأجبتيه، أما تذكرين ما كنا فيه من المال والولد والصحة، من أعطانا ذلك؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمنذ كم ابتلانا بهذا البلاء؟ قالت سبع سنين. قال: ما أنصفت ربك ألاً صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله، وحرام عليّ أن أذوق بعد هذا شيئاً من طعامك وشرابك الذي تأتيني به، فطردها، فذهبت، فلما نظر أيوب في شأنه، وليس عنده طعام، ولا شراب، ولا صديق، وقد ذهبت امرأته، خَرَّ ساجداً، وقال: «رَبِّ إنِّي

---

(١) في ب: عليه.
(٢) في الأصل: ولا.
(٣) في ب: وتترد.
(٤) السخلة: ولد الشاة من المعز والضأن، ذكراً كان أو أنثى، والجمع سخل، وسخال. اللسان (سخل).
(٥) في ب: وأين.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

مَسَّنِيَ الضُّر وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فقال: ارفع[١] رأسك فقد استجبت لك «أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ»[٢] فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها، فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت، ثم ضرب برجله مرة أخرى، فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلاّ خرج، وقام[٣] صحيحاً، وعاد إليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ما كان، ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله، حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراداً من ذهب، فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك[٤]؟ قال: بلى، ولكن من يشبع من نعمك، قال: فخرج حتى جلس على مكان[٥] مشرف، ثم إن امرأته قالت: هب أنه طردني أفأتركه حتى يموت جوعاً وتأكله السباع، لأرجعن إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة، ولا تلك الحال، وإذا[٦] الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه، وتسأل عنه، فأرسل إليها أيوب، ودعاها، فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت، وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة. قال لها أيوب: ما كان منك، فبكت، وقالت[٧]: بعلي، قال أتعرفينه إذا رأيتيه، قالت: وهل يخفى علي فتبسم وقال: أنا هو. فعرفته بضحكه فاعتنقته، ثم قال: إنك أمرتيني أن أذبح لإبليس سخلة[٨]، وإني أطعت الله، وعصيت إبليس، ودعوت الله، فرد عليَّ ما ترين.

وروى الضحاك ومقاتل: أنّ أيوب بقي في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات. وقال وهب: بقي في البلاء ثلاث سنين، فلما غلب أيوب ـ عليه السلام[٩] ـ إبليس ذهب إبليس ـ لعنه الله ـ إلى امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والحسن والجمال، وعلى مركب ليس من مراكب الناس، فقال لها: أنت صاحبة أيوب، قالت: نعم. قال: فهل تعرفيني؟ قالت: لا. قال: فأنا إله الأرض، صنعت بأيوب ما صنعت، وذلك لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فإن ذلك عندي. قال وهب: وسمعت أنه قال: لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم الله لعوفي مما به من البلاء، وفي رواية أخرى قال لها: لو شئت فاسجدي[١٠] لي سجدة واحدة لرجعت المال والولد وأعافي زوجك. فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها. فقال لها أيوب ـ عليه

---

(١) أرفع: سقط من ب.
(٢) من قوله تعالى: ﴿**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**﴾ [ص: ٤٢].
(٣) في ب: وقال. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: ألم أكن أغنك؟.
(٥) في الأصل: مكاك. وهو تحريف.
(٦) في ب: وإذ.
(٧) في ب: قالت.
(٨) في ب: سخلة لإبليس.
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: فاسجد.

السلام[١] ـ أتاك عدو الله ليفتنك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة سوط. فقال عند ذلك: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» يعني من طمع إبليس في سجودي له وسجود زوجتي له، ودعائه إيَّاها وإيَّايَ إلى الكفر.

وفي رواية قال وهب: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتأتيه بقوته، فلما طال عليه البلاء، وسئمها الناس، فلم يستعملوها، فالتمست ذات يوم شيئاً من الطعام، فلم تجد شيئاً، فجزت قرنها من رأسها فباعته برغيف، فأتته، فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته بذلك. فحينئذ قال: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ». وفي رواية قال إسماعيل السّدّيّ: لم يقل أيوب «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» إلا لأشياء ثلاثة:

أحدها: قول الرجل له: لو كان عملك خالصاً لما أصابك ما أصابك.

والثاني: كانت لامرأته ثلاث ذوائب فعمدت إلى إحداهن[٢] فقطعتها وباعتها فأعطوها بذلك خبزاً ولحماً، وجاءت إلى أيوب، فقال: من أين هذا؟ قالت: كُلْ فإنَّهُ حلال. فلما كان من الغد لم تجد شيئاً فباعت الثانية، وكذلك فعلت في اليوم الثالث، وقالت: كُلْ فإنَّه حلال، فقال لا آكل ما لم تخبريني، فأخبرته، فبلغ ذلك من أيوب ما الله أعلم به. وقيل: إنما باعت، لأن إبليس تمثل لقومه في صورة بشر، وقال: لئن تركتم أيوب في قريتكم فإني أخاف أن يعدي إليكم ما به من العلة فأخرجوه إلى باب البلد، ثم قال لهم: إنَّ امرأته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها، فأقول: إنَّه يتعدى إليكم علته، فحينئذ لم يستعملها أحد فباعت ضفيرتها.

والثالث: حين قالت له امرأته ما قالت. وفي رواية: قيل: سقطت دودة من فخذه فردها إلى موضعها، وقال: قد جعلني الله طعمة لك، فعضته عضة شديدة. فقال: «مَسّنِيَ الضُّرُّ». وأوحى الله إليه: لولا أني جعلت تحت كل شعرة صبراً لما صبرت[٣].

فصل[٤]

طعنت المعتزلة في هذه القصة من وجوه:

الأول: قال الجبائي: ذهب بعض الجهال إلى أن ما كان به من المرض كان فعلاً للشيطان سلطه عليه لقوله تعالى عنه «مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنصبٍ وَعَذَابٍ»[٥]. وهذا جهل أما أولاً: فإنه لو قدر على إحداث الأمراض والأسقام وضدها من العافية لتهيأ له فعل الأجسام، ومن هذا حاله يكون إلهاً. وأما ثانياً: فلأن الله تعالى أخبر عنه وعن جنوده بأن

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) في الأصل: أحدها. وهو تحريف.
(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٨.
(٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٥) من قوله تعالى: ﴿**واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربَّه أنّي مسني الشَّيطانُ بنصبٍ وعذاب**﴾ [ص: ٤١].

قال: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي»[(١)] فالواجب تصديق خبر الله ـ تعالى ـ دون الرجوع إلى وهب بن منبه. وهذا اعتراض[(٢)] ضعيف، لأن المذكور في الحكاية أنَّ الشيطان نفخ[(٣)] في منخره فوقعت الحكة[(٤)] فيه. فلم قلتم: إنَّ القادر على النفخة التي تولد منها هذه الحكة[(٤)] لا بدَّ وأن يكون قادراً على خلق الأجسام، وهل هذا إلا محض التحكم. وأما التمسك[(٥)] بالنصّ فضعيف، لأنه إنَّما يقدم على هذا الفعل مع علمه أنه لو أقدم عليه لما منعه الله تعالى. وهذه الحالة لم تحصل إلا في حق أيوب ـ عليه السلام[(٦)] ـ من أنه استأذن الله فأذن له، وإن[(٧)] كان كذلك لم يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية مناقضة.

وثانيها: قالوا: ما روي أنه ـ عليه السلام[(٨)] ـ لم يسأل إلا عند أمور مخصوصة. فبعيد، لأنّ الثابت في العقل أنه يحسن من[(٩)] المرء أن يسأل ذلك ربه ويفزع إليه كما يحسن منه المداواة، وإذا جاز أن يسأل ربه عند الغم بما يراه من أهله جاز أيضاً أن يسأل ربه من قبل نفسه. فإن قيل: أفلا يجوزون أنه تعالى تعبده بأن لا يسأل الكشف إلا في آخر أمره. قلنا: يجوز ذلك بأن يعلمه أن إنزال ذلك به مدة مخصوصة من مصالحه ومصالح غيره لا محالة، فعلم عليه السلام[(١٠)] أنه لا وجه للمسألة في هذا الأمر الخاص، فإذا قرب الوقت جاز أن يسأل ذلك من حيث يجوز أن يدوم ويجوز أن ينقطع.

وثالثها: قالوا: انتهاء ذلك المرض إلى حد التنفير غير جائز على الأنبياء.

فصل

اعلم أنه[(١١)] ـ عليه السلام[(١٢)] ـ ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب. فإن قيل: أليس أن الشكوى تقدح في كونه صابراً.

فالجواب: قال سفيان بن عيينة: ولو شكى إلى الله فإنه لا يعد ذلك جزعاً إذا كان في شكواه راضياً بقضاء الله إذ ليس من شرطه استحلاء البلاء، ألم تسمع قول يعقوب: «إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ»[(١٣)].

---

(١) [إبراهيم: ٢٢].
(٢) في ب: اعراض. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: ينفخ.
(٤) في ب: الحكمة.
(٥) في ب: المتمسك.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ب: وإذا.
(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٩) في الأصل: في.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٠٩ ـ ٢١٠.
(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٣) من قوله تعالى: ﴿**قال إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾ [يوسف: ٨٦].

قوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وذلك أنَّ كلَّ من يرحم غيره فإمَّا أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو الثواب في الآخرة أو للرقة الجنسية في الطبع، فيكون مطلوب ذلك الراحم حظ نفسه، وأما الحق سبحانه فإنه يرحم عباده من غير طلب زيادة أو نقصان من الثناء، ومن صفات الكمال فهو أرحم الراحمين. وأيضاً فكل من رحم غيره فإنما ذلك بمعونة رحمة الله، لأن من أعطى غيره طعاماً أو ثوباً أو دفع عنه بلاء فلولا الله ـ سبحانه ـ خلق المطعوم والملبوس والأدوية وإلا لما قدر أحد على إعطاء ذلك الشيء ولولا فضل[١] الله لما حصل النفع بذلك، فإذن رحمة العباد مسبوقة برحمة الله، وملحوقة برحمته، فما بين الطرفين كالقطرة في البحر، فوجب أن يكون أرحم الراحمين. وأيضاً فلولا أن الله ـ تعالى ـ خلق في قلب العبد تلك الدواعي والإرادات لاستحال صدور تلك الرحمة عنه، فكان الراحم في الحقيقة هو الحق سبحانه لأنه هو الذي أنشأ تلك الداعية فكان تعالى أرحم الراحمين. فإن قيل: كيف يكون أرحم الراحمين مع أنه ملأ الدنيا من الآفات والأسقام والأمراض والآلام، وسلط البعض على البعض بالإيذاء، وكان قادراً على أن يغني كل واحد عن إيلام الآخر وإيذائه؟

فالجواب: أن كونه ـ سبحانه ـ ضاراً لا ينافي كونه راحماً بل هو الضار النافع فإضراره ليس لدفع مشقة، ونفعه ليس لجلب منفعة، بل لا يسأل عما يفعل.

قوله: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» يدل على أنه دَعَا ربَّه لكن هذا الدعاء يجوز أن يكون وقع منه على سبيل التعريض، كما يقال: إن رأيت أو أردت أو أجبت فافعل كذا، ويجوز أن يكون على سبيل التصريح[٢] لإزالة ما به من ضر. وبيّن تعالى أنه آتاه أهله، ويدخل فيه من ينسب إليه من زوجة وولد وغيرهما قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومقاتل والحسن والكلبي[٣] وكعب: إن الله تعالى أحيا له أهله، يعني أولاده بأعيانهم، وأعطاه[٤] مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن[٥].

قال الحسن[٦]: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده إليه وأهله، ويدل عليه ما روى الضحاك عن ابن عباس: أن الله رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. قال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين.

وقال ابن يسار: كان له سبعة بنين وسبع بنات. وروي عن أنس يرفعه: أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب[٧]، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض[٨].

(١) فضل: سقط من ب.
(٢) في ب: التضرع.
(٣) في ب: الكعبي.
(٤) في الأصل: وأعطاهم.
(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/٥١٨ ـ ٥١٩.
(٧) في الأصل: المذهب. وهو تحريف.
(٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٥١٨ ـ ٥١٩.

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «بَيْنَمَا أَيُوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فجعل أيّوب يَحْثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيوب ألم أكن أغْنَيْتُكَ عَمَّا ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى عن بركتك»[١] وروى الليث قال: أرسل مجاهد إلى عكرمة وسأله عن الآية فقال: قيل لأيوب[٢] إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا[٣] فعلى هذا يكون معنى الآية «وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ» في الآخرة «وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» في الدنيا. وأراد بالأهل الأولاد، فأما الذين أهلكوا فإنَّهم لم يردوا عليه في الدنيا.

قوله: «رَحْمَةً» فيها وجهان:

أظهرهما: أنها مفعول من أجله.

والثاني: أنها مصدر لفعل مقدر، أي: رحمناه رحمةً[٤].

و «مِنْ عِنْدِنَا» صِفَة لـ «رَحْمَةً».

قوله: «وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ» أي: فعل به تلك الرحمة، وهي النعمة لكي يتفكروا فيه بالذكر، ويتعظون فيعتبرون. وخص العابدين، لأنهم المنتفعون بذلك[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: «وَإِسْمَاعِيلَ» يعني ابن إبراهيم، «وَإِدْرِيسَ» وهو اخنوخ «وَذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ». لما ذكر صبر أيوب[٦] أتبعه بذكر هؤلاء، فإنهم أيضاً كانوا من الصابرين على الشدائد والمحن والعبادة. أما إسماعيل فصبر على الانقياد للذبح، وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء، وصبر في بناء البيت فأكرمه الله وأخرج من صلبه خاتم النبيين. وأما إدريس فتقدمت قصته في سورة مريم[٧] قال ابن عمر: «بعث إلى قومه داعياً إلى الله فأبوا فأهلكهم الله، ورفع إدريس إلى السماء السابعة» وأما ذو الكفل قال الزجاج: الكِفْلُ في اللغة الكساء[٨] الذي يجعل على عجز البعير[٩] والكفل أيضاً:

---

(١) أخرجه البخاري (غسل) ١/ ٢٣١، النسائي (غسل) ١/ ٢١، أحمد ٢/ ٣١٤.

(٢) في الأصل: أيوب.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٠.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٤.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٠.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٧) عند قوله تعالى: **﴿واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صديقاً نبياً﴾**، انظر اللباب ٥/ ٣٢٥.

(٨) في النسختين: اللعب، والصواب ما أثبته.

(٩) وهنا زيادة في ب بعد قوله: على عجز البعير: قال ابن الأثير: هو كساء يكون حول سنام البعير، ثم=

النصيب قال تعالى: «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا»[١] أي: نصيب[٢]. واختلفوا في تسميته بهذا الاسم، فقال الحسن: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه، وضعف ثوابهم. وقال ابن عباس: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل آتاه الله الملك والنبوة ثم أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك، فاعرض الملك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا[٣]. وَوَفَى به، فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل. وعلى هذا فالمراد بالكفل هنا الكفالة، لأنه تكفل بأمور فوفى بها.

وقال مجاهد: لما كبر اليسع ـ عليه السلام[٤] ـ قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس، فقال من يتقبل مني ثلاثاً أستخلفه[٥]: يصوم النهار، ويقوم الليل، ويقضي فلا يغضب، فقام رجل تزدريه العين فقال: أنا. فرده ذلك اليوم، وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا. فاستخلفه. فأتاه إبليس في صورة شيخ حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة. فدق الباب فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، فقال: افتح الباب. فقال: إنّ بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة. فقال: إذا رحت فأتني آخذ حقك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره، فلما كان الغد يقضي بين الناس ينظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة أخذ مضجعه أتاه، فدق الباب، فقال من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم، ففتح له، فقال: أقيل، فإذا قعدت فأتني، فقال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد، قالوا: نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني. قال: فانطلق فإذا رحت فأتني، فأتته القائلة، فراح فجعل ينظر ولا يراه، وشق عليه النعاس. فقال للبواب في اليوم الثالث: قد غلب عليّ النعاس فلا تدع أحداً يقرب من هذا الباب حتى أنام، فجاء إبليس في تلك الساعة، فلم يأذن له الرجل فدخل في كُوَّة[٦]

= يركب، فذلك هو الكساء، هو الكفل وهو بكسر الكاف وإسكان الفاء، فأصله من الكفَل بفتح الفاء. انظر النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٩٢.

وابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المشهور بابن الأثير من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء، أخذ النحو عن ابن الدهان ويحيى بن سعدون القرطبي، ومن مصنفاته: النهاية في غريب الحديث، البديع في النحو، تهذيب فصول ابن الدهان، وغير ذلك، مات سنة ٦٠٦هـ. بغية الوعاة ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(١) من قوله تعالى: **﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾** [النساء: ٨٥].

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٣) في ب: بهذا التكفل.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) استخلفه: سقط من ب.

(٦) الكوة: الخرق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه. اللسان (كوى).

في البيت، فتسور منها[١] ودق الباب من داخل، فاستيقظ وعاتب البواب، فقال: أما من قبلي فلم يأت، فانظر من أين أتيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال له: أتنام والخصوم ببابك. فقال: أنت إبليس. قال: نعم أعييتني في كل شيء ففعلت هذه الأفعال بك، فعصمك الله مني، فسمي ذا الكفل، لأنه تكفل بأمر فوفى به، وقيل غير ذلك[٢].

فصل[٣]

قال أبو موسى الأشعري[٤] ومجاهد: ذو الكفل لم يكن نبياً بل كان عبداً صالحاً. وقال الحسن والأكثرون كان نبياً، وهو الأظهر، لأنه تعالى قرن ذكره بإسماعيل وإدريس، والغرض ذكر الفضلاء من عباده، فدلّ ذلك على نبوته، ولأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، ولأنَّ قوله: «ذُو الكِفْلِ» يحتمل أن يكون لقباً، وأن يكون اسماً، والأولى أن يكون اسماً، لأنه أكثر فائدة من اللقب، وإذا ثبت ذلك، فالكِفْلُ هو النصيب، لقوله تعالى «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا»[٥]. والظاهر أنّ الله تعالى سماه بذلك تعظيماً له، فوجب أن يكون الكفل هو كفل الثواب، فسمي بذلك، لأن عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف ثواب غيره، وقد كان في زمنه أنبياء على ما روي.

فصل[٦]

قيل: إن ذا[٧] الكفل زكريا. وقيل: يوشع. وقيل: إلياس. ثم قالوا: خمسة من الأنبياء ـ عليهم السلام[٨] ـ سماهم الله باسمين إسرائيل ويعقوب، وإلياس وذا الكفل، وعيسى والمسيح، ويونس وذا النون، ومحمداً وأحمد.

قوله: «كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِيْنَ» أي: على القيام بأمر الله، واحتمال الأذى في نصرة دينه. «وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا» قال مقاتل: الرحمة النبوة، وصيرهم إلى الجنة والثواب. وقال آخرون: يتناول جميع أعمال[٩] البر.

---

(١) تسور الحائط: تسلقه. اللسان (سور).

(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١١ بتصرف.

(٤) هو عبد الله بن قيس بن سليمان، الأشعري أبو موسى، أخذ عنه ابن المسيب وأبو وائل، وأبو عثمان النهدي، وغيرهم، قيل: إنه مات سنة ٤٢هـ.
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ٨٩.

(٥) [النساء: ٨٥].

(٦) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٧) في ب: ذوا. وهو تحريف.

(٨) في ب: عليهم الصلاة والسلام.

(٩) أعمال: سقط من ب.

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً» الآية[١]. «ذَا» بمعنى صاحب و «النون» الحوت. ويجمع على نِينَان[٢] كحوت وحيتان والمراد بذي النون يونس ـ عليه السلام[٣] ـ وسمي بذلك، لأنَّ النون ابتلعه. وقد تقدم أن الاسم إذا دار بين أن يكون مفيداً ولقباً فحمله على المفيد أولى خصوصاً إذا علمت الفائدة التي لذلك الوصف[٤].

قوله: «مُغَاضِباً» حال من فاعل «ذَهَبَ»[٥] والمفاعلة هنا تحتمل أن تكون على بابها من المشاركة، أي: غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا في أول الأمر[٦]، وفي بعض التفاسير: مغاضباً لربه[٧] فإن صح ذلك عمن يعتبر قوله، فينبغي أن تكون اللام للتعليل لا التعدية للمفعول، أي: لأجل ربه ولدينه[٨].

ويحتمل أن يكون بمعنى غضبان، فلا مشاركة كعاقبت وسافرت[٩]. والعامة على «مُغَاضِباً» اسم فاعل. وقرأ أبو شرف[١٠] «مُغَاضَباً» بفتح الضاد على ما لم يسم فاعله كذا نقله أبو حيان[١١]. ونقله الزمخشري عن أبي شرف «مُغْضباً» دون ألف من أغضبته فهو مغضب[١٢].

قوله: «أن لَّن» «أنْ»[١٣] هذه المخففة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و «لَنْ نَقْدِرَ» هو الخبر، والفاصل حرف النفي[١٤]. والمعنى: لن نضيق عليه كقوله: «فَقَدَرَ عَلَيْهِ

---

(١) الآية: سقط من ب.

(٢) النون: الحوت، الجمع أنوان ونينان، وأصله: نونان، فقلبت الواو ياء لكسرة النون. اللسان (نون).

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٢.

(٥) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/٨٦، البيان ٢/ ١٦٤، التبيان ٢/ ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.

(٦) انظر البحر المحيط: ٦/ ٣٣٤.

(٧) وهو قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختيار ابن قتيبة ومحمد بن جرير. الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٤.

(٨) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٧، البحر المحيط ٦/ ٣٣٥.

(٩) انظر البحر المحيط: ٦/ ٣٣٤.

(١٠) لم أقف له على ترجمة فيما رجعت إليه من مراجع.

(١١) وفي البحر المحيط: (وقرأ أبو شرف «مغضباً» اسم مفعول) ٦/ ٣٣٥.

(١٢) قال الزمخشري: (وقرأ أبو شرف «مغضباً») الكشاف ٣/ ١٩. وقال ابن خالويه: («إذ ذهب مغضباً» أبو شرف) المختصر (٩٢).

(١٣) أن: سقط من ب.

(١٤) وذلك أنَّ (أنَّ) إذا خففت فاسمها ضمير الشأن محذوف، والخبر الجملة الواقعة بعد «أن»، فإن كان=

رِزْقَهُ»[١] «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ»[٢]. والعامة على «نَقْدِرَ» بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال، والمفعول محذوف أي: الجهات والأماكن[٣].

وقرأ الزهري بضمها وتشديد الدال[٤]. وقرأ ابن أبي ليلى[٥] وأبو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب «يُقْدَر» بضم الياء من تحت، وفتح الدال خفيفة مبنياً للمفعول[٦]. وقرأ الحسن وعيسى بن عمر بفتح الياء وكسر الدال خفيفة[٧] وعلي بن أبي طالب واليماني بضم الياء وكسر الدال مشددة[٨].

والفاعل على هذين الوجهين ضمير يعود على الله تعالى[٩].

قوله: «أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ» يجوز في «أَنْ» وجهان:

أحدهما: أنها المخففة من الثقيلة فاسمها كما تقدم محذوف، والجملة المنفية بعدها الخبر[١٠].

والثاني: أنها تفسيرية، لأنَّها بعد ما هو بمعنى القول دون حروفه[١١].

فصل

معنى الآية: واذكر صاحب الحوت، وهو يونس بن متى «إِذْ ذَهَبَ[١٢] مُغَاضِباً» قال ابن عباس[١٣]: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين، فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة

= صدر الجملة الواقعة خبر «أن» المخففة فعلاً متصرفاً ولم يكن دعاء فالأحسن الفصل بين (أن) وبينه بـ (قد) نحو **﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾** [المائدة: ١١٣]، أو نفي بـ (لا) نحو **﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة﴾** [المائدة: ٧١] أو (لن) كالآية التي معنا أو (لم) نحو **﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾** [البلد: ٧] أو حرف التنفيس نحو **﴿علم أن سيكون﴾** [المزمل: ٢٠]. أو (لو) نحو **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾** [الجن: ١٦]. وانظر شرح الأشموني ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(١) من قوله تعالى: **﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربِّي أهانن﴾** [الفجر: ١٦].

(٢) من قوله تعالى: **﴿لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله﴾** [الطلاق: ٧].

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٥، الاتحاف (٣١١).

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٣٥. وتكون القاف مفتوحة.

(٥) هو عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، الكوفي، عرض القرآن على أبيه عن علي، عرض عليه أخوه محمد بن عبد الرحمن القاضي، وثقه ابن معين، ومناقبه كثيرة مات سنة ١٤٨هـ. طبقات القراء ١/ ٦٠٩.

(٦) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٥، الاتحاف (٣١١).

(٧) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٥.

(٨) البحر المحيط ٦/ ٣٣٥. وتكون القاف مفتوحة.

(٩) تعالى: سقط من ب.

(١٠) عند إعراب قوله تعالى **﴿أن لن نقدر﴾**.

(١١) انظر الكشاف ٣/ ١٩، وسبق الحديث عن «أن» المفسرة عند قوله تعالى: **﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم﴾** [طه: ٣١].

(١٢) في ب: هب. وهو تحريف.

(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٢.

أسباط ونصفاً[1]، وبقي سبطان ونصف، فأوحى الله إلى شعيا[2] النبي[3] أن اذهب إلى حزقيل الملك، وقل له حتى يوجه نبياً قوياً أميناً، فإني ألقي في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل. فقال الملك: ومن ترى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال: يونس بن متى فإنه قوي أمين، فدعا[4] الملك يونس وأمره أن يخرج، فقال يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا. قال: هل سماني لك؟ قال: لا. قال[5]: فهاهنا[6] أنبياء غيري أقوياء فألحوا عليه، فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه. فأتى بحر الروم، فوجد قوماً هيأوا سفينة فركب معهم[7]. وقال عروة بن الزبير[8] وسعيد بن جبير وجماعة: إذ ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعد ما وعدهم. فكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف[9] فيما وعدهم، واستحيى منهم، ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب عنهم، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأن يسمى كذاباً لا كراهية لحكم[10] الله. وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب. والمغاضبة هاهنا هي المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة[11].

فمعنى قوله: «مُغَاضِباً» أي: غضبان. وعن ابن عباس قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، قال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك، فغضب، فانطلق إلى السفينة[12]. وقال وهب[13]: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً، وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوة تَفَسَّخَ تَحْتَهَا تَفَسُّخَ الرَّبع تحت الحمل الثقيل[14]. فقذفها من يده، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم، فقال لنبيه محمد ـ عليه السلام[15] ـ: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ»[16]، وقال: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ[17]»[18].

قوله: «فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أي: لن نقضي عليه بالعقوبة[19]. قال مجاهد وقتادة

---

(١) في النسختين ونصف. والصواب ما أثبته.
(٢) في ب: شعيب وكذا في الفخر الرازي، وفي القرطبي: شعيا.
(٣) في ب: النبي عليه الصلاة والسلام.
(٤) في الأصل: فدع.
(٥) في ب: فإن. وهو تحريف.
(٦) في ب: ههنا.
(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٢.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٢٣.
(٩) في ب: الحلف. وهو تصحيف.
(١٠) في ب: لحلم. وهو تحريف.
(١١) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٥٢٣.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٣.
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٢٤.
(١٤) وذلك إذا لم يطقه. والربع: الفصيل إذا ولد في الربيع وكان أول النتاج.
(١٥) في ب: ﷺ.
(١٦) [الأحقاف: ٣٥].
(١٧) [القلم: ٤٨].
(١٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٥٢٤.
(١٩) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

والضحاك والكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس: يقال: قدّر الله شيئاً تقديراً، وقدر يقدر قدراً بمعنى واحد[١]. ومنه قوله: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُم[٢] المَوتَ»[٣] في قراءة من خفّفها[٤] دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز[٥] والزهري «فَظَنَّ أنْ لَنْ نُقَدِّرَ عَلَيْهِ» بالتشديد[٦]. وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى: «اللَّهُ يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»[٧] أي: يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه أفظن أنه يعجز ربه فلا يقدر (عليه[٨]؟)[٩]. وعن الحسن قال: بلغني أنَّ يونس[١٠] لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه، واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه، وكان له سلف عبادة، فأبى الله أن يجعله للشيطان، فقذفه في بطن الحوت، فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة[١١]. وقال عطاء: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة[١٢]. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة، فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه، فقال: «لا إِلٰهَ إلاّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ[١٣] إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» حين عصيتك، وما صنعت من شيء، فلم أعبد غيرك، فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته[١٤].

فصل

احتج القائلون[١٥] بجواز الذنب على الأنبياء بهذه الآية من وجوه:

أحدها: أن أكثر المفسرين على أنه ذهب يونس مغاضباً لربه، قيل: هذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب، واختيار ابن قتيبة ومحمد بن جرير، وإذا كان كذلك فمغاضبة الله من أعظم الذنوب، ثم على تقدير أن هذه المغاضبة لم تكن مع الله بل كان مع ذلك الملك، أو مع القوم، فهو أيضاً محظور لقول الله تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ»[١٦] وذلك[١٧] يقتضي أن ذلك الفعل من يونس محظور.

---

(١) قال الزجاج: (ويقْدر بمعنى يقدّر) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٢.

(٢) بينكم: سقط من ب.

(٣) [الواقعة: ٦٠].

(٤) وهو ابن كثير، والباقون بالتشديد. السبعة (٦٢٣). الكشف ٢/ ٣٠٥.

(٥) تقدم.

(٦) الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٥. والقرطبي ١١/ ٣٣٢، البحر المحيط ٦/ ٣٣٥.

(٧) ويقدر: سقط من ب. [الرعد: ٢٦].

(٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) في ب: يونس عليه الصلاة والسلام.

(١١) انظر البغوي ٥/ ٥٢٥.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) في الأصل: سبحانك لا إله إلا أنت.

(١٤) انظر البغوي ٥/ ٥٢٥.

(١٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٣ ـ ٢١٦.

(١٦) [القلم: ٤٨].

(١٧) في ب: وهذا.

وثانيها: قوله: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» وذلك يقتضي كونه شاكاً في قدرة الله.

وثالثها: قوله: «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» والظلم مذموم قال تعالى: «أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»(١).

ورابعها(٢): أنه لو لم يصدر منه الذنب، فلم عاقبه الله بأن ألقاه في البحر في بطن الحوت.

وخامسها: قوله: «فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيم»(٣) والمليم هو ذو الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب.

وسادسها: قوله: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ»(٤) فإن لم يكن صاحب ذنب لم يجز النهي عن التشبّه به وإن كان مذنباً فهو المطلوب.

وسابعها: قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ»(٤) وقال: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ»(٤) وهذا يقتضي أنّ ذلك الفعل مخرج أن يكون يونس من أولي العزم.

والجواب: أنه ليس في الآية من غاضبه، فلا نقطع على نبي الله بأنه غاضب ربه، لأنّ ذلك صفة من يجهل كون الله مالكاً للأمر والنهي، والجاهل بالله لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون نبياً.

وأما ما روي من أنه خرج مغاضباً لأمر يرجع إلى الاستعداد فمما يرتفع حال الأنبياء عنه، لأنّ الله تعالى إذا أمرهم بشيء فلا يجوز أن يخالفوه، لقوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُم الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»(٥) وقوله: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يؤْمِنُونَ حَتَى يُحكِّمُوكَ(٦) فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِما قَضَيْتَ»(٧). فإذا كان في الاستعداد مخالفة لم يجز أن يقع ذلك منهم. وإذا ثبت أنه لا يجوز صرف هذه المغاضبة إلى الله وجب أن يكون المراد أنه خرج مغاضباً لغير الله، والغالب أنه إنما يغاضب من يعصيه فيما يأمره به، فيحمل على مغاضبة قومه، أو الملك، أو هما جميعاً ومعنى مغاضبته لقومه أنه غاضبهم لمفارقته لخوف(٨) حلول العذاب بهم، وقرىء «مغضباً» كما تقدم(٩) وأما قولهم: مغاضبة القوم أيضاً محظورة لقوله: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ»(١٠).

---

(١) [هود: ١٨].

(٢) في الأصل: رابعها.

(٣) [الصافات: ١٤٢].

(٤) [الأحقاف: ٣٥].

(٥) [الأحزاب: ٣٦.

(٦) في ب: يحلموك. وهو تحريف.

(٧) [النساء: ٦٥].

(٨) في ب: بخوف.

(٩) وهي قراءة أبي شرف.

(١٠) [القلم: ٤٨].

فالجواب لا نسلم أنها[١] كانت محرمة، أما الذهاب، فلأن الله أمره بتبليغ الرسالة إليهم، وما أمره بأن يبقى معهم أبداً، فظاهر الأمر لا يقتضي التكرار، فلم يكن خروجه من بينهم معصية. وأما الغضب لما لم يكن منهياً عنه قبل ذلك ظن أن ذلك جائز من حيث أنه لم يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه، بل كان الأولى أن يصابر وينتظر من الله الأمر بالمهاجرة عنهم، ولهذا قال تعالى: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ»[٦] كأن[٢] الله تعالى أراد لمحمد ـ ﷺ ـ أفضل المنازل وأعلاها.

وأما الجواب عن قوله: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» فنقول من ظن عجز الله فهو كافر، ولا خلاف أنه لا يجوز نسبة ذلك إلى آحاد المؤمنين فكيف إلى الأنبياء، فإن لا بدَّ فيه من التأويل، وفيه وجوه:

الأول: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» نضيق عليه كقوله: «اللَّهُ يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»[٣] «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ»[٤] أي: ضيق[٥]، وكذا قوله: «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ»[٦] أي: ضيق، فمعناه: أن لن نضيق عليه، وعلى هذا فالآية حجة لنا، لأن يونس ظن أنه مخير[٧] إن شاء أقام وإن شاء خرج وأنه تعالى لا يضيق عليه في اختياره، وكان في المعلوم أنَّ الصلاح في تأخير خروجه، وهذا من الله بيان لما يجري مجرى العذر[٨] له من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن ظن أنَّ الأمر في خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخر، وكان الصلاح خلاف ذلك.

والثاني: أن يكون هذا من باب التمثيل، أي: فكانت حاله مماثلة لحال من ظن أن لن نقدر عليه في خروجه عن قومه من غير انتظار لأمر الله.

الثالث: أن يفسر القدر بالقضاء، والمعنى: فظن أن لن نقدر عليه بشدة.

قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، ورواية العوفي عن ابن عباس واختيار الفراء[٩] والزجاج[١٠]: يقال: قَدَرَ الله الشيء قَدْراً وقَدَّرَهُ تَقْدِيراً فالقدر بمعنى التقدير، وتقدم قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري بضم النون والتشديد من التقدير[١١].

---

(١) في ب: أنه. وهو تحريف. (٢) في ب: فإن.
(٣) [الرعد: ٢٦]، وفي ب: «لمن يشاء من عباده ويقدر» [العنكبوت: ٦٢].
(٤) [الطلاق: ٧]. (٥) في الأصل: يضيق.
(٦) [الفجر: ١٦]. (٧) في الأصل: مخيراً.
(٨) في الأصل: القدر، وفي ب: الغدر. والصواب ما أثبته.
(٩) قال الفراء: (وقوله: «فظنَّ أن لن نقدر عليه» يريد أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا). معاني القرآن ٢/٢٠٩.
(١٠) قال الزجاج: («فظنَّ أن لن نقدر عليه» أي: ظن أن لن نقدر عليه ما قدرناه من كونه في بطن الحوت، ويقْدر بمعنى يقدِّر). معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٠٢.
(١١) تقدم قريباً.

وروي أنه دخل ابن عباس على معاوية، فقال معاوية: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة، فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك. فقال: وما هي؟ قال: ظن نبي الله أن لن يقدر الله عليه. فقال ابن عباس: هذا من القدر لا من القدرة.

الرابع: فظن أن لن[1] (نقدر، أي: فظن أن لن نفعل لأن)[2] بين القدرة والفعل مناسبة، فلا يبعد جعل أحدهما مجازاً عن الآخر.

الخامس: أنه استفهام بمعنى التوبيخ كما تقدم عن ابن زيد[3].

السادس: قول من قال إن هذه الواقعة كانت قبل رسالة يونس، فيكون هذا الظن حاصلاً قبل الرسالة، وإذا كان كذلك فلا يبعد في حق غير الأنبياء أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم إنه يرده بالحجة والبرهان.

وأما الجواب عن قوله «إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين» فنقول: إن حملناه على ما قبل النبوة فلا كلام، وإن حملناه على ما بعدها فيجب تأويله، لأنا لو أجريناه على ظاهره، لاستحق اللعن، وهٰذا لا يقوله مسلم، وإذا وجب التأويل فنقول: لا شك أنه كان تاركاً للفضيلة مع القدرة على تحصيل الأفضل، فكان ذلك ظلماً.

وأما الجواب عن إلقائه في البحر في بطن الحوت، وأن ذلك عقوبة، فلا نسلم أنَّ ذلك عقوبة، إذ الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا بل المراد المحنة.

وأما الجواب عن الملامة فإنما كان بسبب ترك الأفضل[4].

فصل

قوله[5] «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» قال الزمخشري: أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله: «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ»[6] وقوله: «يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»[7]. وقيل: أراد ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت[8].

«أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ أنت سُبْحَانَكَ» نزه ربه عن كل النقائص، ومنها العجز، وهذا يدلّ على أنه ما كان مراده من قوله: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أنه ظن العجز، وإنما قال: «سُبْحَانَكَ»، لأنّ معناه سبحانك أن تفعل جوراً أو شهوة الانتقام أو عجزاً عن تخليصي عن هذا الحبس، بل فعلته بحق الإلهية وبمقتضى الحكمة[9] «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»

---

(١) في الأصل: لم. وهو تحريف.
(٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٣) تقدم قريباً.
(٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٣ ـ ٢١٦.
(٥) قوله: سقط من الأصل.
(٦) [البقرة: ١٧].
(٧) [البقرة: ٢٥٧].
(٨) الكشاف ٣/ ١٩.
(٩) في النسختين: الإلهية. انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٦.

أي: ظلمت نفسي بفراري من قومي بغير إذنك كأنه قال: كنت من الظالمين، وأنا الآن من التائبين النادمين فاكشف عني المحنة[(١)].

روى أنس عن النبي - ﷺ - «مَا من[(٢)] مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»[(٣)].

قوله: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ» أي: من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته.

قوله: «وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ»: الكاف نعت لمصدر أو حال من ضمير المصدر أي: كما أنجينا يونس من كرب الحوت إذ دعانا، أو كإنجائنا يونس كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا. وقرأ العامة[(٤)] «نُنْجِي» بضم النون الأولى وسكون الثانية من أنجى ينجي[(٧)]. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم «نُجِّي» بتشديد الجيم وسكون الياء[(٥)] وفيها أوجه:

أحسنها: أن يكون الأصل «نُنَجِّي» بضم الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالي مثلين، فحذفت الثانية كما حذفت في قوله «مَا نُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ»[(٦)] في قراءة من قرأه كما تقدم[(٧)]، وكما حذفت التاء الثانية في قوله: «تَذَكَّرُونَ»[(٨)] و «تَظَاهَرُونَ»[(٩)] وبابه. ولكن أبو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين فقال:

أحدهما: أنَّ النون الثانية أصل، وهي فاء الكلمة، فحذفها يبعد جداً.

والثاني: أنَّ حركتها غير حركة النون الأولى، ولا يستثقل الجمع بينهما بخلاف «تظاهرون»[(٩)] ألا ترى أنك لو قلت: تتحامى المظالم لم يَسُغْ[(١٠)] حذف الثانية[(١١)].

أما كون الثانية أصلاً فلا أثر له في[(١٢)] منع الحذف، ألا ترى أن النحويين اختلفوا

---

(١) المرجع السابق.
(٢) في ب: من أمن. وهو تحريف.
(٣) أخرجه ابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف (١١١).
(٤) غير أبي بكر عن عاصم وابن عامر. السبعة ٤٣٠.
(٥) السبعة (٤٣٠)، الكشف ٢/ ١١٣، النشر ٢/ ٣٢٤، الاتحاف ٣١١.
(٦) من قوله تعالى: ﴿**ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين**﴾ [الحجر: ٨].
(٧) وهو زيد بن علي حيث قرأ ﴿**ما نزل**﴾ ماضياً مخففاً مبنيًا للفاعل «الملائكة» بالرفع. البحر المحيط ٦/ ٤٤٦.
(٨) قوله ﴿**تذكرون**﴾ ذكر في القرآن في سبعة عشر موضعاً أوله: ﴿**وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ [الأنعام: ١٥٢] وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٢٧٢.
(٩) من قوله تعالى: ﴿**تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان**﴾ [البقرة: ٨٥]، والأصل تتظاهرون حكى هذا الوجه أبو جعفر النحاس عن علي بن سليمان. إعراب القرآن ٣/ ٨٧. انظر اللباب ١/ ٢٠١.
(١٠) في النسختين: لم تمنع. وما أثبته من التبيان.
(١١) التبيان ٢/ ٩٢٥.
(١٢) في ب: و. وهو تحريف.

في إقامة واستقامة، أي الألفين المحذوفة مع أنّ الأولى هي الأصل، لأنها عين الكلمة[١] وأما اختلاف الحركة فلا أثر له أيضاً، لأن الاستثقال باتحاد لفظ الحرفين على أي حركة كانا.

الوجه الثاني: أنّ[٢] «نُجّي»[٣] فعل ماض مبني للمفعول، وإنما سكنت لامه تخفيفاً، كما سكنت في قوله: «مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا»[٤] في قراءة شاذّة تقدمت[٥]، قالوا: وإذا كان الماضي الصحيح قد سكن تخفيفاً فالمعتل أولى، ومنه:

٣٧٣٢ ـ إنّـمَـا شِـعْـرِي قَـنْـدٌ قَـدْ خُـلِـطْ بِـجُـلْـجُـلَانِ[٦]

وتقدم من ذلك جملة[٧] وأسند[٨] هذا الفعل إلى ضمير المصدر مع وجود المفعول الصريح كقراءة أبي جعفر «لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»[٩] وهذا رأي الكوفيين والأخفش[١٠]، وتقدمت شواهد ذلك، والتقدير: نُجِّي النجاة، قال أبو البقاء: وهو ضعيف من وجهين:

---

(١) فالخليل وسيبويه على أنّ المحذوف الألف الثانية، والأخفش والفراء على أن المحذوف الألف الأولى.

(٢) أن: سقط من ب. (٣) في ب: تنجي. وهو تحريف.

(٤) من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين**﴾ [البقرة: ٢٧٨].

(٥) وذلك أن أبيًا قرأ «ما بقي» بكسر القاف وسكون الياء. المختصر(١٧).

(٦) البيت من مجزوء الرمل، قاله وضاح اليمن، وهو في الحجة ٢/٦٦، اللسان (جلل) والبحر المحيط ١/٤٢. وقبله:

ضـحـك الـنـاس وقـالـوا شـعـر وضـاح الـكـبـانـي

القند: عسل قصب السكر، ويروى (شهد) والشهد بفتح الشين وضمها وسكون الهاء: العسل ما دام لم يعصر من شمعه، ويروى (ملح) بكسر الميم ومعناه الحسن من الملاحة، ويروى (فيد) بفتح الفاء وسكون الياء: وهو ورد الزعفران وقيل: ورقه. الجلجلان: ثمرة الكزبرة، وقيل: حب السمسم، وقيل: ما في جوف التين.

والاستشهاد بالبيت على حذف حركة اللام من الفعل الماضي الصحيح اللام في خلط.

(٧) تقدم في السورة السابقة. (٨) في الأصل: واسكن. وهو تحريف.

(٩) من قوله تعالى: ﴿**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون**﴾ [الجاثية: ١٤] وقراءة أبي جعفر ﴿**ليجزى**﴾ بضم الياء وفتح الزاي بالبناء للمجهول. النشر ٢/٣٧٢.

(١٠) وذلك أنّ الكوفيين والأخفش يجوزون إنابة غير المفعول به مع وجوده مطلقاً، غير أن الأخفش يشترط تقدم النائب، واستدلوا على ذلك بقراءة أبي جعفر ﴿**ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون**﴾ ببناء (يجزى) للمفعول، وبقول الشاعر:

لـم يـعـن بـالـعـلـيـاء إلا سـيـدا ولا شـفـى ذا الـغـي إلا ذو هـدى

وقول الآخر:

وإنّـمـا يـرضـي الـمـنـيـب ربّـه مـا دام مـعـنـيـاً بـذكـر قـلـبـه

ومذهب البصريين لا يجوز إنابة غير المفعول به مع وجوده، وأولوا قراءة أبي جعفر بأن النائب منها ضمير مستتر يعود على الغفران المفهوم من يغفروا وحملوا البيتين على الضرورة وانظر البيان ٢/١٦٤، البحر المحيط ٦/٣٣٥، الهمع ١/١٦٢، شرح الأشموني ٢/٦٧ ـ ٦٨.

أحدهما: تسكين آخر الفعل الماضي.

والآخر: إقامة المصدر مع وجود المفعول الصريح(١).

وقد عرف جوابهما مما تقدم(٢).

الوجه الثالث: أن الأصل: «نُنْجِي» كقراءة(٣) العامة إلا أن النون الثانية قلبت جيماً وأدغمت(٤) في الجيم بعدها(٥). وهذا ضعيف جداً، لأن النون لا تقارب الجيم فتدغم فيها(٦).

الوجه الرابع: أنه ماض مسند بضمير المصدر أي: نُجِّي النجاءُ(٧) كما تقدم في الوجه الثاني، إلاَّ أنَّ «المُؤْمِنِينَ» ليس منصوباً بـ «نُجِّي» بل بفعل مقدر(٨). وكأن صاحب هذا الوجه فرَّ من إقامة غير المفعول به مع وجوده فجعله من جملة أخرى. وهذه القراءة متواترة، ولا التفات على من طعن على قارئها، وإن كان أبو علي قال: هي لحن(٩). وهذه جرأة منه، وقد سبقه إلى ذلك أبو إسحاق الزجاج(١٠).

وأما الزمخشري فإنما طعن على بعض الأوجه المتقدمة، فقال: ومن تمحل لصحته فجعله فُعِّل، وقال: نُجِّي النجاء المؤمنين، وأرسل الياء وأسنده إلى مصدره، ونصب المؤمنين فمتعسف بارد(١١) التعسف(١٢). فلم يرتض هذا التخريج بل للقراءة عنده تخريج آخر، وقد يمكن أن يكون هو المبتدأ به لسلامته مما تقدم من الضعف(١٣).

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: «وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً» الآية. اعلم أنه تعالى بين

---

(١) التبيان: ٢/ ٩٢٥.

(٢) من أن تسكين آخر الفعل الماضي للتخفيف، وإقامة غير المفعول به مع وجوده مذهب الكوفيين والأخفش.

(٣) في ب: لقراءة. وهو تحريف.

(٤) في ب: قلبت ضماً وإذا ضمت. وهو تحريف.

(٥) وهذا الوجه لأبي عبيد، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٨.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٨، الكشف ٢/ ١٣٣، التبيان ٢/ ٩٢٥، البحر المحيط ٣٣٥.

(٧) في الأصل: نجاء.

(٨) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٥.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٥.

(١٠) قال الزجاج: (فأما ما روي عن عاصم بنون واحدة فلحن لا وجه له، لأنَّ ما لا يسمى فاعله لا يكون بغير فاعل. وقد قال بعضهم: نُجّي النجاء المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرب زيداً، تريد ضرب الضرب زيداً، لأنك إذا قلت: ضرب زيد فقد علم أنه الذي ضربه ضرب، فلا فائدة في إضماره وإقامته مقام الفاعل) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٥٠٣.

(١١) في ب: بإرادة. وهو تحريف.

(١٢) الكشاف ٣/ ١٩.

(١٣) وهو قوله: (وننجي) فيكون موافقاً للوجه الأول.

هاهنا انقطاع زكريا إلى ربه لما مسه الضر بتفرده، وأحب من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه، ويقوم مقامه بعد موته، فدعا الله تعالى دعاء مخلص عارف بقدرة ربه على ذلك، وانتهت به الحال وبزوجه من الكبر وغيره ما يمنع من ذلك بحكم العادة(١) فقال: «رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً» وحيداً لا ولد لي، وارزقني وارثاً، «وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه أفضل من بقي حياً(٢).

ويحتمل أن يكون المعنى: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير الوارثين(١).

قال ابن عباس: كان سنه مائة سنة، وسن زوجته تسعاً وتسعين(٣) «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» أي: فعلنا ما أراده بسؤاله، «وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى» ولداً صالحاً «وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» أي: جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً(٤). قاله أكثر المفسرين وقيل: كانت سيئة الخلق سلطة اللسان فأصلح الله خلقها(٥). وقيل: جعلها مصلحة في الدين، فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه، لأنه يكون إعانة في الدين والدنيا(٦) واعلم أنَّ قوله «وَوَهَبْنَا لَهُ(٧) يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» يدل على أن الواو لا تفيد الترتيب، لأنّ إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ(٨). ثم قال: «إِنَّهُمْ» يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة(٩).

وقيل: زكريا وولده وأهله(١٠) «كَانوا يُسَارِعُونَ في الخَيْرَاتِ»، والمسارعة في طاعة الله من أكبر ما يمدح المرء به، لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة(١١).

قوله: «وَيَدْعُونَنَا» العامة على ثبوت نون الرفع قبل (نا)(١٢) مفكوكة منها وقرأت فرقة «يَدْعُونَا» بحذف نون الرفع(١٣). وطلحة بإدغامها فيها(١٤).

وهذا الوجهان فيهما إجراء نون (نا) مجرى نون الوقاية(١٥). وقد تقدم. قوله: «رَغَباً وَرَهَباً» يجوز أن ينتصبا على المفعول من أجله(١٦)، وأن ينتصبا على أنهما مصدران واقعان موقع الحال، أي: راغبين راهبين(١٧)، وأن ينتصبا على المصدر الملاقي لعامله

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧.
(٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧.
(٣) المرجع السابق.
(٤) وهو قول قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين. الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧، القرطبي ١١/ ٣٣٦.
(٥) وهو قول ابن عباس وعطاء. الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧، القرطبي ١١/ ٣٣٦.
(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧.
(٧) ووهبنا له: سقط من ب.
(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨.
(٩) انظر البغوي ٥/ ٥٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(١٠) في ب: وأهله وولده. الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٨.
(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٨.
(١٢) في ب: أنها. وهو تحريف.
(١٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(١٤) أي: بإدغام نون الرفع في «نا» ضمير النصب، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(١٥) ذلك أن نون الوقاية مع نون الإعراب لها ثلاثة أوجه: حذف إحداهما، وإدغام نون الإعراب في نون الوقاية وإثباتهما بلا ادغام. شرح الكافية ٢/ ٢٢.
(١٦) انظر التبيان ٢/ ٩٢٥، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(١٧) المرجعان السابقان.

في المعنى دون اللفظ، لأن ذلك نوع منه(١). والعامة على فتح الغين والهاء. وابن وثاب والأعمش ورويت عن أبي عمرو بسكون الغين والهاء(٢)، ونقل عن الأعمش وهو الأشهر عنه بضم الراء وما بعدها(٣). وقرأت فرقة بضمة وسكون فيهما(٤).

فصل

ومعنى «رَغَباً»: طمعاً «وَرَهَباً»: خوفاً، أي: رغباً في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله. «وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» أي: متواضعين، قال قتادة: ذلك لأمر الله(٥). وقال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب(٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾

قوله تعالى: «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» الآية(٧). يجوز أن ينتصب قوله: «وَالَّتِي» نسقاً على ما قبلها، وأن ينتصب بإضمار اذكر(٨)، وأن يرتفع بالابتداء، والخبر محذوف، أي: وفيما يتلى عليكم التي أحصنت(٩). ويجوز أن يكون الخبر «فَنَفَخْنَا» وزيدت الفاء على رأي الأخفش نحو زيد فقائم(١٠). وفي كلام الزمخشري: نفخنا الروح في عيسى فيها(١١). قال أبو حيان مؤاخذاً له: فاستعمل «نفخ» متعدياً والمحفوظ أنه لا يتعدى فيحتاج في تعديه إلى سماع، وغير متعد استعمله هو في قوله؛ أي: نفخت في المزمار(١٢). انتهى ما آخذه به.

قال شهاب الدين: وقد سمع «نفخ» متعدياً، ويدل على ذلك ما قرىء في الشاذ «فانفخها فَيَكُونُ طَائِراً»(١٣)، وقد حكاها هو قراءة(١٤)، فكيف ينكرها؟ فعليك بالالتفات إلى ذلك(١٥). وقال ابن الخطيب: جعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل ـ عليه

(١) التبيان ٢/ ٩٢٥.
(٢) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(٤) المرجع السابق.
(٥) انظر البغوي ٥/ ٥٢٨.
(٦) المرجع السابق.
(٧) الآية: سقط من ب.
(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٤٠٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٦، البيان ٢/ ١٦٤، التبيان ٢/ ٩٢٥.
(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٥.
(١٠) وذلك أن الأخفش يجيز زيادة الفاء في خبر المبتدأ مطلقاً.
(١١) الكشاف ٣/ ٢٠.
(١٢) البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.
(١٣) من قوله تعالى: ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩]. في البحر المحيط: (وقرأ بعض القراء «فأنفخها») ٢/ ٤٦٦. و «طائراً» قراءة نافع. وغيره قرأ «طيراً». انظر السبعة ٢٠٦.
(١٤) قال أبو حيان: (وقرأ بعض القراء «فأنفخها» أعاد الضمير على الهيئة المحذوفة إذ يكون التقدير: هيئة كهيئة الطير، أو على الكاف على المعنى، إذ هي بمعنى مماثلة هيئة الطير، فيكون التأنيث هنا كما هو في المائدة في قوله: «فتنفخ فيها») البحر المحيط ٢/ ٤٦٦.
(١٥) الدر المصون: ٥/ ٥٧.

السلام[١] ـ لأنه نفخ في جيب درعها[٢]، فوصل النفخ إلى جوفها[٣] أي: أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى (ـ عليه السلام[٤] ـ)[٥].

ومعنى «أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» أي: إحصاناً كلياً من الحلال والحرام جميعاً كما قالت: «وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»[٦]. وقيل: منعت جبريل جيب[٧] درعها[٨] قبل أن تعرفه.

والأول أولى لأنه الظاهر من اللفظ[٩].

قوله: «وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلعَالَمِينَ» أما مريم فآياتها كثيرة:

إحداها: ظهور الحبل فيها لا من ذكر، وذلك معجزة خارجة عن العادة.

وثانيها: أنَّ رزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة لقول زكريا: «أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُو مِنَ عِنْدِ اللَّهِ»[١٠].

وثالثها: ورابعها: قال الحسن: أنها لم تلتقم ثدياً[١١] قط، وتكلمت هي أيضاً في صباها كما تكلم عيسى[١٢]. وأما آيات عيسى ـ عليه السلام[١٣] ـ فقد تقدم بيانها[١٤] فإن قيل: هلا قيل آيتين كما قال: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ»[١٥] ليطابق المفعول؟

فالجواب: أنَّ كلاً منهما آية بالآخر فصارا آية واحدة، لأنّ حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل[١٦]. أو تقول: حذف من الأول لدلالة الثاني، أو بالعكس أي: وجعلنا ابن مريم آية وأمه كذلك[١٧]، وهو نظير الحذف في قوله: «واللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ»[١٨] وقد تقدم. أو أنّ معنى الكلام: وجعلنا شأنهما وأمرهما آية[١٩].

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٢) درع المرأة: قميصها.
(٣) الفخر الرازي ٢٢/٢١٨.
(٤) انظر البحر المحيط ٦/٣٣٦.
(٥) ما بين القوسين في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) من قوله تعالى: **﴿قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا﴾** [مريم: ٢٠].
(٧) في الأصل: ذيل.
(٨) في الأصل: ذرعها. وهو تحريف.
(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢١٨.
(١٠) من قوله تعالى: **﴿قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** [آل عمران: ٣٧].
(١١) في ب: ثدي.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢١٨.
(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢١٨.
(١٥) [الإسراء: ١٢].
(١٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢١٩. التبيان ٢/٩٢٦، البحر المحيط ٦/٣٣٦.
(١٧) انظر البيان ٢/١٦٤ ـ ١٦٥، التبيان ٢/٩٢٦.
(١٨) [التوبة: ٦٢]. والتقدير الأول أولى وهو الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه. وهو مذهب سيبويه. البيان ١/٤٠١، التبيان ٢/٦٤٨. وانظر اللباب ٤/٢٢٦.
(١٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢١٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٤٠٤.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً»[١] الآية. قرأ العامة على رفع «أُمَّتُكُمْ» خبراً لـ «إنَّ»، ونصب «أُمَّةً واحِدَةً» على الحال[٢]، وقيل: على البدل من «هَذِهِ»[٣] فيكون قد فصل بالخبر بين البدل والمبدل فيه نحو: إنَّ زيداً قائمٌ أخاكَ. وقرأ الحسن «أُمَّتَكُمْ» بالنصب[٤] على البدل من «هَذِهِ»[٥]، أو عطف البيان[٦]. وقرأ أيضاً هو وابن أبي إسحاق والأشهب العقيلي[٧] وأبو حيوة وابن أبي عبلة وهارون عن أبي عمرو «أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ» بالرفع على خبر «إنّ»[٨] و «أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ» برفع الثلاث[٩] على أن يكون «أُمَّتُكُمْ» خبر «إنَّ» كما تقدم[١٠] و «أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ» بدل منها بدل نكرة من معرفة، أو يكون «أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ» خبر مبتدأ محذوف[١١] ومعنى «أُمَّتُكُمْ» قال الزمخشري: الأمة الملة، وأشار إلى ملة الإسلام[١٢]. «أمَّةً وَاحِدَةً» أي: ديناً واحداً وهو الإسلام غير مختلف، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان. وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد، فجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد. ثم قال: «وَأَنَا رَبُّكُمْ» أي: إلهكم[١٣] فَاعْبدُونِ.

قوله: «وَتَقَطَّعُوا» أي: اختلفوا، والأصل[١٤]: وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريق[١٥] الالتفات[١٦]، وكأنه ينفي عهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم[١٧]: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء، والمعنى: اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً[١٨].

---

(١) «أمة واحدة» سقط من الأصل.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٤٠٤، التبيان ٢/ ٢٩٦، البحر المحيط ٦/ ٣٣٧، والاتحاف (٣١٢).

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(٤) المختصر (٩٣)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٢٠، التبيان ٢/ ٩٢٦، البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(٦) انظر التبيان ٢/ ٩٢٦.

(٧) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(٨) قال ابن جني: (ولو قرىء أمتكم بالنصب بدلاً وتوضيحاً لـ «هذه» ورفع «أمةٌ واحدة» لأنَّه خبر «إن» لكان وجهاً جميلاً حسناً) المحتسب ٢/ ٦٥.

(٩) المختصر (٩٣) المحتسب ٢/ ٦٥، البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(١٠) كما تقدم توجيهه في قراءة العامة.

(١١) انظر المحتسب ٢/ ٦٥، التبيان ٢/ ٩٢٦، البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(١٢) الكشاف ٣/ ٢٠.

(١٣) أي إلهكم: سقط من ب.

(١٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٩.

(١٥) في الأصل: طريقة.

(١٦) من الخطاب في قوله: «إن هذه أمتكم أمةً واحدةً» إلى الغيبة في قوله: «وتقطعوا أمرهم».

(١٧) في ب: وبقولهم.

(١٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢١٩٢٢.

قال الكلبي: وفرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض. والتقطع هاهنا بمعنى: التقطيع[١].

قوله: «أَمرَهُمْ» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي: تفرقوا في أمرهم.

الثاني: أنه مفعول به، وعدى «تَقَطعُوا» لأنه بمعنى: قطعوا.

الثالث: أنه تمييز[٢]، وليس بواضح معنى، وهو معرفة، فلا يصح من جهة صناعة البصريين[٣]. قال أبو البقاء: وقيل: هو تمييز أي: تقطع أمرهم[٤]. فجعله منقولاً من الفاعلية. و «زُبُراً»[٥] يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على أن تضمن (تقطعوا) معنى (صيروا) بالتقطيع[٦]. وإمَّا أن ينصب على الحال من المفعول، أي: مثل زبر، أي: كتب[٧]، فإنّ الزبر جمع زَبُور كرُسُل جمع رَسُول[٨].

أو يكون حالاً من الفاعل، نقله أبو البقاء في سورة المؤمنين[٩]. وفيه نظر إذ لا معنى له[١٠]، وإنما يظهر كونه حالاً من الفاعل في قراءة «زُبَراً» بفتح الباء[١١] أي فرقاً. والمعنى: صيروا أمرهم زبراً أي تقطعوه في هذه الحال، والوجهان مأخوذان من تفسير الزمخشري، لمعنى[١٢] الآية الكريمة، فإن قال: والمعنى جعلوا أَمْر دِينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة، ويقتسمونه، فيصير لهذا نصيب، ولذلك نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً[١٣] وفي الكلام التفات من الخطاب وهو قوله: «أُمَّتُكُمْ» إلى الغيبة تشنيعاً عليهم بسوء صنيعهم[١٤].

وقرأ الأعمش: «زُبَراً» بفتح الباء[١٥] جمع زُبْرَة[١٦]، وهي قطعة الحديد في الأصل

---

(١) انظر البغوي ٥/٥٢٩.

(٢) ذكر الأوجه الثلاثة أبو البقاء. التبيان ٢/٩٢٦.

(٣) وذلك أنّ البصريين اشترطوا تنكير التمييز، وذهب الكوفيون وابن الطراوة إلى جواز أن يكون معرفة كقوله: وطبت النفس يا قيس عن عمرو. وقوله: علام ملئت الرعب والحرب لم تقد وقولهم: سنه زيد نفسه. وألم رأسه، وبطرت معيشتها. والبصريون أولوا ذلك على زيادة اللام، والمضافات نصبت على التشبيه بالمفعول به أو على إسقاط الجار، أي: في نفسه، وفي رأسه، وفي معيشتها انظر الهمع ١/٢٥٢.

(٤) التبيان ٢/٩٢٦.

(٥) من قوله تعالى: ﴿**فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ [المؤمنون: ٥٣].

(٦) التبيان: ٢/٩٥٧.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/١١١، التبيان ٢/٩٥٧.

(٨) وذلك أن فعل بضمتين من أمثلة جمع الكثرة وهو يطرد في نوعين.

(٩) التبيان ٢/٩٥٧.

(١٠) وذلك أن معنى زبر ـ بضم الفاء والعين ـ كتب.

(١١) وهي قراءة الأعمش كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

(١٢) في ب: ولمعنى.

(١٣) الكشاف ٣/٢٠.

(١٤) البحر المحيط ٦/٣٣٧.

(١٥) المختصر (٩٩)، البحر المحيط ٦/٣٣٨.

(١٦) وذلك أن فعل ـ بضم الفاء وفتح العين ـ من أمثلة جمع الكثرة، وهو يطرد في نوعين: الأول: ما كان=

ونصبه على الحال من ضمير الفاعل في «تَقَطَّعُوا» كما تقدم[١]. ولم يتعرض له أبو البقاء في هذه السورة، وتعرض له في المؤمنين[٢]، فذكر فيه الأوجه المتقدمة، وزاد أنه قرىء «زُبْراً» بسكون الباء[٣] وهو بمعنى المضمومة[٤].

قوله: «كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ» توعدهم[٥] بأن هذه الفرق المختلفة إليه يرجعون فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم، قال عليه السلام[٦]: تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، فهلك سبعون وخلصت فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، تهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: «الجماعة الجماعة الجماعة»[٧] وبهذا الخبر بيّن أن المراد بقوله: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ» الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى في هذه السورة من التوحيد والنبوات، وأن قول الرسول في الناجية إنّها الجماعة ليس تعريفاً للفرقة الناجية، إذ لا فرقة تمسكت بباطل أو بحق إلا وهي جماعة من حيث العدد، ولهذا طعن بعضهم في صحة الخبر، فقال: إنْ أراد بالاثنتين وسبعين فرقة أصول الأديان فلن يبلغ هذا القدر، وإن أراد الفروع فإنَّها تتجاوز هذا القدر إلى أضعاف ذلك. وقيل أيضاً ضد ذلك، وهو أنها كلها ناجية إلا فرقة واحدة.

والجواب: قال ابن الخطيب: المراد ستفترق أُمتي في حال ما وليس فيه دلالة على افتراقها في سائر الأحوال، ولأنه[٨] لا يجوز أن يزيد وينقص[٩].

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ

= على فعلة ـ بضم الفاء وسكون العين ـ اسماً نحو غرفة وغرف ومدية ومدى، فإن كان صفة نحو ضحكة لم يجمع على فعل وشذ قولهم رجل بهمة، ورجال بهم. الثاني: ما كان على فعلى ـ بضم الفاء وسكون العين ـ أنثى أفعل صفة نحو كبرى وكبر، فإن لم تكن فعلى أنثى أفعل كحبلى لم تجمع هذا الجمع، انظر شرح الأشموني ٤/ ١٣٠.

(١) كما تقدم في إعراب «زبراً» بضم الزاي والباء في قراءة الجمهور.

(٢) عند قوله تعالى: **﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون﴾** [المؤمنون: ٥٣].

(٣) قراءة عبد الوهاب عن أبي عمرو. المختصر (٩٩).

(٤) وذلك أن (فُعُل) بضمتين جمعاً يجب في غير الضرورة تسكين عينه إن كانت واواً لثقل الضمة على الواو، فتقول في جمع سوار سور، ويجوز تسكين عينه إن لم تكن واواً فتقول في جمع كتاب كتُب وكتْب وفي جمع زبور زُبُر وزُبْر. وعلى ذلك يكون (زبر) بسكون الباء مخفف زبر بضمها. وإن كانت عين هذا الجمع ياء كسرت الفاء عند التسكين لمناسبة الياء فتقول في جمع سيال: سُيُل وسِيَل. انظر التبيان ٢/ ٩٥٧، شرح الأشموني ٤/ ١٣٠.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٩.

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) أخرجه ابن ماجه (فتن) ٢/ ١٣٢٢، أحمد ٣/ ١٤٥.

(٨) في النسختين: ولا أنه.

(٩) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢١٩.

كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

قوله تعالى[١]: «فَمَنْ يَعْمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الآية. لمَّا ذَكَرَ أَمْرَ الأُمَّة وتفرقهم، وأنهم راجعون إلى حيث لا أمر إلا له أتبع ذلك بقوله: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ» لا نجحد ولا نبطل سعيه[٢].

والكفران مصدر بمعنى الكفر، قال:

٣٧٣٣ ـ رَأَيْتُ أُنَاساً لاَ تَنَامُ خُدُودُهُمْ ... وَخَدِّي وَلاَ كُفْرَانَ لِلَّهِ نَائِمُ[٣]

و «لِسَعْيِهِ» متعلق بمحذوف، أي: نكفر لسعيه، ولا يتعلق بـ «كُفْرَانَ» لأنه[٤] يصير مطولاً، والمطول ينصب وهذا مبني[٥]. والضمير في «لَهُ» يعود على السعي[٦]. والمعنى[٧]: لا بطلان لثواب عمله، وهو كقوله: «وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَة وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً»[٨].

فالكفران مثل في حرمان الثواب، والشكر مثل في إعطائه.

فقوله: «فَلاَ كُفْرَانَ» المراد نفي الجنس للمبالغة، لأنَّ نفي الماهية يستلزم نفي جميع أفرادها. ثم قال: «وإنَّا لَهُ كَاتِبُونَ» أي: لسعيه كاتبون إمَّا في أم الكتاب، أو في الصحف التي تعرض[٩] يوم القيامة، والمراد من ذلك ترغيب العباد في الطاعات[١٠].

قوله تعالى[١١] «وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ» قرأ الأخوان[١٢] وأبو بكر ورويت عن أبي عمرو

---

(١) تعالى: سقط من الأصل. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٠.
(٣) البيت من بحر الطويل، لم أهتد إلى قائله وهو في مجاز القرآن ٢/ ٤٢ الطبري ١٧/ ٦٨، الجمهرة ٣/ ٤١٥، تفسير ابن عطية ١٠/ ٢٠٢ البحر المحيط ٦/ ٣٣٨.
(٤) أي: اسم (لا) النافية للجنس.
(٥) وذلك أن اسم (لا) النافية للجنس إذا كان مفرداً بني على ما ينصب به، أما إذا كان مضافاً أو مشبهاً به والمراد به ما اتصل به شيء من تمام معناه ويسمى مطولاً، فينصب نحو: لا قبيحاً فعله محمود ولا طالعاً جبلاً حاضرٌ، ولا خيراً من زيد عندنا. فلو تعلق قوله (لسعيه) بـ (كفران)، لأصبح اسم (لا) مشبهاً بالمضاف فينصب، وهو هنا مبني على الفتح، فيتعلق (لسعيه) بمحذوف. انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٨، شرح الأشموني ٢/ ٥ ـ ٩.
(٦) انظر التبيان ٢/ ٩٢٦، وجوز أبو البقاء أيضاً عوده على «من».
(٧) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٠.
(٨) [الإسراء: ١٩].
(٩) في الأصل: المصحف الذي يعرض. وفي ب: الصحف الذي تعرض.
(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٠.
(١١) قوله تعالى: سقط من الأصل. (١٢) حمزة والكسائي.

«وَحِرْمٌ» بكسر الحاء وسكون الراء[١] وهما لغتان كالحِلّ والحَلاَل[٢].

وقرأ ابن عباس وعكرمة «وحَرِمَ» بفتح الحاء وكسر الراء وفتح الميم[٣] على أنه فعل ماض وروي عنهما أيضاً وعن أبي العالية[٤] بفتح الحاء والميم وضم الراء[٥] بزنة كَرُم، وهو فعل ماض أيضاً. (وروي عن ابن عباس أيضاً فتح الجميع[٦] وهو فعل ماض أيضاً)[٧]. وعن[٨] اليماني بضم الحاء وكسر الراء (مشددة وفتح الميم[٩] ماضياً مبنياً للمفعول. وروى عكرمة بفتح الحاء وكسر الراء)[١٠] وتنوين الميم[١١].

فمن جعله اسماً[١٢] ففي رفعه وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ، وفي الخبر حينئذ ثلاثة أوجه:

أحدها: قوله: «لا يَرْجِعُونَ» وفي ذلك حينئذ أربعة تأويلات:

التأويل الأول: أن «لا» زائدة[١٣]، والمعنى: وممتنع على قرية قدرنا إهلاكها لكفرهم رجوعهم إلى الإيمان إلى أن تقوم الساعة. وممن ذهب إلى زيادتها أبو عمرو مستشهداً عليه بقوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ»[١٤] يعني في أحد القولين[١٥].

التأويل الثاني: أنها غير زائدة، وأن المعنى: أنهم غير راجعين عن معصيتهم وكفرهم[١٦].

---

(١) السبعة (٤٣١)، الكشف ٢/ ١١٤، ٢/ ٣٢٤، الاتحاف (٣١٢).
(٢) انظر الكشف ٢/ ١١٤، التبيان ٢/ ٩٢٧.
(٣) المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٦٥، البحر المحيط ٦/ ٣٣٨.
(٤) تقدم.
(٥) المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٦٥، البحر المحيط ٦/ ٨ ٣٣٨.
(٦) البحر المحيط ٦/ ٣٣٨، ونسب ابن جني هذه القراءة إلى قتادة ومطر الوراق المحتسب ٢/ ٦٥.
(٧) ما بين القوسين سقط من الأصل. (٨) عن: سقط من ب.
(٩) المختصر (٩٣)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٨.
(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.
(١١) المحتسب ٢/ ٦٥، البحر المحيط ٦/ ٢٣٨.
(١٢) وهي قراءة: «حرامٌ» بالألف، و«حرمٌ» بدون ألف وبكسر الحاء وسكون الراء و«حرمٌ» بفتح الحاء وكسر الراء وتنوين الميم.
(١٣) «لا» الزائدة: هي الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده. نحو قوله: **﴿ما منعك ألا تسجد﴾** [الأعراف: ١٢].
وانظر البيان ٢/ ١٦٥، والتبيان ٢/ ٩٢٦ ـ ٩٢٧، والمغني ١/ ٢٤٨.
(١٤) [الأعراف: ١٢]. والدليل على زيادتها قوله تعالى في موضع آخر **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾** [ص: ٧٥].
انظر البيان ١/ ٣٥٥.
(١٥) القول الثاني: أنها غير زائدة. انظر البحر المحيط ٤/ ٢٧٣.
(١٦) انظر التبيان ٢/ ٩٢٧.

التأويل الثالث: أنَّ الحرام قد يراد به الواجب، ويدل عليه قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُم أَلاَّ تُشْرِكُوا»[١] وترك الشرك واجب ويدل عليه قول الخنساء[٢]:

٣٧٣٤ ـ وَإنَّ حَرَاماً لا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِياً عَلَى شَجْوِهِ إلاَّ بَكَيْتُ عَلَى صَخْر[٣]

أي: واجباً. وأيضاً فمن الاستعمال إطلاق أحد الضدين على الآخر، وهو مجاز مشهور قال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»[٤] ومن ثَمَّ قال الحسن والسدي: لا يرجعون عن الشرك. وقال[٥] قتادة: لا يرجعون إلى الدنيا[٦].

التأويل الرابع: قال مسلم بن بحر: حرام ممتنع، وأنهم لا يرجعون، فيكون عدم رجوعهم واجباً، وإذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع، فيكون المعنى: إن رجوعهم إلى الحياة في الدار الآخرة واجب، ويكون الغرض منه إبطال قول من ينكر البعث، وتحقيقه ما تقدم أنه لا كفران لسعي أحد وأنه ـ تعالى ـ مجازيه يوم القيامة[٧].

وقول[٨] ابن عطية قريب من هذا فإنه قال: وَمُمْتَنِعٌ على الكفرة المهلكين أنهم لا يرجعون (بل هم راجعون)[٩] إلى عذاب الله وأليم عقابه، فتكون «لاَ» على بابها والحرام على بابه[١٠].

الوجه الثاني: أن الخبر محذوف، تقديره: وحرام توبتهم أو رجاء بعثهم، ويكون «أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» علة لما تقدم من معنى الجملة. فيكون حينئذ في «لاَ» احتمالان:

الاحتمال الأول: أن تكون زائدة، ولذلك قال أبو البقاء في هذا الوجه بعد تقديره الخبر المتقدم: إذا جعلت (لا) زائدة[١١].

قلت: والمعنى عنده لأنهم يرجعون إلى الآخرة وجزائها.

الاحتمال الثاني: أن تكون غير زائدة بمعنى ممتنع توبتهم، أو رجاء بعثهم لأنهم لا يرجعون إلى الدنيا فيستدركوا فيها ما فاتهم من ذلك.

الوجه الثالث: أن يكون هذا المبتدأ لا خبر له لفظاً ولا تقديراً، وإنما وقع شيئاً

---

(١) [الأنعام: ١٥١].

(٢) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، وهي صحابية ـ رضي الله عنها ـ قدمت على رسول الله ـ ﷺ ـ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم، وكان النبي ـ ﷺ ـ يعجبه شعرها، ويستنشدها. الخزانة ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٨.

(٣) البيت من بحر الطويل قالته الخنساء وليس في ديوانها، وهو في الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢١، القرطبي ١١/ ٣٤٠، واللسان (حرم) وهو فيه منسوب إلى عبد الرحمن بن خمانة المحاربي، جاهلي. والبحر المحيط ٦/ ٣٣٩.

(٤) [الشورى: ٤٠]. (٥) في ب: قال.

(٦) انظر هذا التأويل في الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٨. (٨) في ب: وقرأ. وهو تحريف.

(٩) ما بين القوسين تكملة من تفسير ابن عطية. (١٠) تفسير ابن عطية ١٠/ ٢٠٤.

(١١) التبيان ٢/ ٩٢٧.

يقوم مقام خبره من باب أقائم أخواك، قال أبو البقاء: والجيد أن يكون (أنهم)[١] فاعلاً سد مسد الخبر[٢]. وفي هذا نظر، لأنَّ ذلك يشترط فيه أن يعتمد الوصف على نفي أو استفهام وهنا لم يعتمد المبتدأ على شيء من ذلك اللهم إلا أن ينحو نحو الأخفش فإنه لا يشترط ذلك، وهو الظاهر[٣]، وحينئذ يكون في (لا) الوجهان المتقدمان من الزيادة وعدمها باختلاف معنيين، أي: امتنع رجوعهم إلى الدنيا أو عن شركهم، إذا قدرتها زائدة، أو امتنع عدم رجوعهم إلى عقاب الله في الآخرة، إذا قدرتها غير زائدة.

الوجه الثاني من وجهي رفع «حَرَامٌ»: أنه خبر مبتدأ محذوف، فقدره بعضهم: الإقالة والتوبة حرام[٤]، وقدره أبو البقاء: أي: ذلك الذي ذكر من العمل الصالح حرام[٥] وقال الزمخشري: وحرام على قرية أهلكناها ذاك، وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح، والسعي المشكور غير المكفور، ثم علل فقيل: إنَّهم لا يرجعون عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك[٦]. وقرأ العامة «أَهْلَكْنَاهَا» بنون العظمة.

وقرأ أبو عبد الرحمن وقتادة «أَهْلَكْتُهَا» بتاء المتكلم[٧]. ومن قرأ «حَرِمٌ» بفتح الحاء وكسر الراء وتنوين الميم فهو في قراءه صفة على فَعِل نحو حَذِر[٨]، وقال:

٣٧٣٥ ـ وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرِمُ[٩]

---

(١) في ب: أنه. وهو تحريف. (٢) انظر التبيان ٢/٩٢٧.

(٣) وذلك أن كل وصف اعتمد على نفي أو استفهام، وكان مرفوعه اسماً ظاهراً أو ضميراً منفصلاً، وتم الكلام بمرفوعه، استغني بمرفوعه عن الخبر نحو: أقائم الزيدان، وما مضروب الزيدان، وأقائم أنتما. والأخفش والكوفيون لا يشترطون اعتماد الوصف على نفي أو استفهام فأجازوا: قائم الزيدان، محتجين بقول الشاعر:

خبير بنو لهبٍ فلا تك ملغياً ... مقالة لهبيٍّ إذا الطَّير مرّت

فخبير مبتدأ وبنو لهب فاعل سد مسد الخبر. ورد البصريون احتجاجهم بالبيت بأن (خبير) خبر مقدم، و (بنو لهب) مبتدأ مؤخر، وجاز الإخبار بالمفرد عن الجمع، لأن (خبير) على وزن (فعيل) بزنة المصدر، والمصدر يخبر به عن الواحد والمثنى والجمع بلفظ الواحد. وفي ذلك يقولَ ابن مالك:

وأول مبتدأ، والثاني ... فاعل أغنى في «أسارذان»

وقس، وكاستفهام النَّفي وقد ... يجوز نحو «فائز أولو الرّشد»

انظر الهمع ١/٩٤، وشرح الأشموني ١/١٨٩ ـ ١٩٢.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/٣٣٨. (٥) التبيان ٢/٩٢٧.

(٦) الكشاف ٣/٢٠. (٧) انظر البحر المحيط ٦/٣٣٨.

(٨) أي: أن الوصف من (فعل)، اللازم على (فاعل) قليل نحو سلم فهو سالم، وإنما قياس الوصف منه (فعل) بفتح الفاء وكسر العين في الأعراض كفرح، وكما هنا. و (أفعل) في الألوان والخلق كأخضر، وأعور، و (فعلان) فيما دلّ على امتلاء وحرارة البطن كشبعان وريان، وعطشان وصديان. انظر شرح التصريح ٢/٧٨.

(٩) البيت من بحر البسيط، قاله زهير بين أبي سلمى. وقد تقدم.

ومن قرأه فعلاً ماضياً[١] فهو في قراءته مسند لـ «أن» وما في حيزها[٢]، ولا يخفى الكلام في (لا) بالنسبة إلى الزيادة وعدمها، فإن المعنى واضح مما تقدم[٣].

وقرىء «إِنَّهُمْ» بالكسر على الاستئناف[٤]، وحينئذ[٥] فلا بُدَّ من تقدير مبتدأ يتم به الكلام تقديره: ذلك العمل الصالح حرام، وتقدم تحرير ذلك[٦].

قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ» الآية. تقدم الكلام على (حَتَّى) الداخلة على (إذا) مشبعاً[٧]. وقال الزمخشري هنا: فإن قُلْت: بم تعلقت (حَتَّى) واقعة غاية له وأية الثلاث هي[٨]؟ قلت: هي متعلقة بـ «حَرَام» وهي غاية له، لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة، وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكي هو الجملة من الشرط والجزاء أعني: إذا وما في حيزها[٩]. وأبو البقاء نحا هذا النحو، فقال: و «حَتَّى» متعلقة في المعنى بـ «حَرَام». أي: يستمر الامتناع إلى هذا الوقت، ولا عمل لها في «إِذَا»[١٠]. قال الحوفي: هي غاية، والعامل فيها ما دل عليه المعنى من تأسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك[١١]. وقال ابن عطية: «حَتَّى» متعلقة بقوله: «وَتَقَطَّعُوا»[١٢]، ويحتمل على بعض التأويلات المتقدمة أن تتعلق بـ «يَرْجِعُونَ»، ويحتمل أن تكون حرف ابتداء، وهو الأظهر بسبب (إذا) لأنها تقتضي جواباً للمقصود ذكره[١٣].

قال أبو حيان: وكون (حَتَّى) متعلقة بـ «تَقَطَّعُوا» فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جَيِّد، وهو أنهم لا يزالون مختلفين على دين الحق إلى قرب[١٤] مجيء الساعة، فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك كله[١٥]. وتلخص في تعلق (حَتَّى) أوجه:

أحدها: أنها متعلقة بـ «حَرَام»[١٦].

---

(١) وهي (حرم) بفتح الحاء وكسر الراء وفتح الميم، و (حرم) بفتح الحاء والميم وضم الراء و (حرم) بفتح الجميع وحرم بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم.

(٢) انظر التبيان ٢/٩٢٧. (٣) تقدم قريباً.

(٤) انظر التبيان ٢/٩٢٧، البحر المحيط ٦/٣٣. (٥) في ب: وح.

(٦) تقدم قريباً.

(٧) عند قوله تعالى: **﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر﴾** [آل عمران: ١٥٢].

(٨) هي: سقط من الأصل. (٩) أي أن (حتى) حرف ابتداء. الكشاف ٣/ ٢١.

(١٠) التبيان ٢/٩٢٧.

(١١) أي أنها حرف جر متعلق بمحذوف دل عليه الكلام. ومعروف أنه يشترط في مخفوضها إذا كانت حرف جر شرطان. أحدهما: أن يكون ظاهراً لا مضمراً خلافاً للكوفيين والمبرد. والثاني: أن يكون المجرور آخراً نحو أكلت السمكة حتى رأسها، أو ملاقياً لآخر جزء نحو **﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾** [القدر: ٥] انظر البحر المحيط ٦/٣٣٨، المغني ١/ ١٢٣.

(١٢) [الأنبياء: ٩٣]. (١٣) تفسير ابن عطية ١٠/ ٢٠٥.

(١٤) في الأصل: أقرب. (١٥) في الأصل: عنده. وانظر البحر ٦/ ٣٣٩.

(١٦) وهو قول الزمخشري وهو واضح من النص المنقول عنه فيما سبق.

والثاني: أنها متعلقة بمحذوف دلَّ عليه المعنى، وهو قول الحوفي.

الثالث: أنها متعلقة بـ «تَقَطَّعُوا».

الرابع: أنها متعلقة بـ «يَرْجِعُونَ»(١).

وتلخص في (حتى) وجهان:

أحدهما: أنَّها حرف ابتداء، وهو قول الزمخشري وابن عطية فيما اختاره.

والثاني: إنها حرف جر بمعنى (إلى)(٢).

وقرأ: «فُتِّحَتْ» بالتشديد ابن عامر، والباقون بالتخفيف(٣). وتقدم ذلك أول الأنعام(٤) وفي جواب «إِذَا» أوجه:

أحدها: أنه محذوف، فقدره أبو إسحاق: قالوا يا ويلنا(٥)، وقدره غيره: فحينئذ يبعثون، وقوله: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ» عطف على هذا المقدر(٦).

والثاني: أنَّ جوابها الفاء في قوله: «فَإِذَا هِيَ»(٧) قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية، فقال الزمخشري: و «إذا» هي للمفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى: «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ»(٨)، فَإِذَا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل: (إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ) كان سديداً(٩).

وقال(١٠) ابن عطية: والذي أقول: إنَّ الجواب في قوله: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ» وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره، لأنه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه(١١).

وقوله: «يَأْجُوج» هو على حذف مضاف، أي سدّ يأجوج ومأجوج(١٢)، وتقدم

---

(١) والثالث والرابع من احتمالات ابن عطية. وهو واضح من النص المنقول عنه.
(٢) وهو قول الحوفي وابن عطية في بعض احتمالاته.
(٣) السبعة (٤٣١)، الكشف ٢/ ١١٤، النشر ٢/ ٢٥٨، الإتحاف (٣١٢).
(٤) عند قوله تعالى: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾** [الأنعام: ٤٤].
(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٨، البيان ٢/ ١٦٦ والبحر المحيط ٦/ ٣٣٩.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٩.
(٧) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٨، البيان ٢/ ١٦٦.
(٨) من قوله تعالى: **﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدَّمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾** [الروم: ٣٦].
(٩) أي أن (إذا) تقوم مقام الفاء في ربط جواب الشرط بالشرط، وهي هنا مع الفاء للتأكيد. الكشاف ٣/ ٢١.
(١٠) في الأصل: قال.
(١١) تفسير ابن عطية ١٠/ ٢٠٥.
(١٢) البحر المحيط ٦/ ٣٣٩.

الكلام فيهما[١] وهما قبيلتان[٢] من جنس الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء تسعة أجزاء منها يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد. قيل: السد يفتحه الله ابتداء. وقيل: بل إذا جعل الله الأرض دكاً زالت تلك الصلابة من أجزاء الأرض فحينئذ ينفتح[٣] السد[٤].

قوله: «وَهُمْ» قال أكثر المفسرين: «هُم» كناية عن «يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ».

وقال مجاهد: كناية عن جميع العالم بأسرهم أي: يخرجون من قبورهم، ومن كل موضع، فيحشرون إلى موقف الحساب.

والأول أظهر وإلا لتكلف النظم، ولأنه روي في الخبر أن يأجوج ومأجوج لا بدَّ وأن يسيروا في الأرض، ويقبلوا على الناس من كل موضع مرتفع[٥]. وقرأ العامة: «يَنْسِلُونَ» بكسر السين. وأبو السمال وابن أبي إسحاق بضمها[٦]. والحَدَب: النشز من الأرض. أي: المرتفع، ومنه الحدب في الظهر، وكل كُدْيَة[٧] أو أَكْمَةٍ[٨] فهي حدبة، وبها سمي القبر لظهوره على وجه الأرض[٩] والنَّسَلاَنُ: مقاربة الخطا مع الإسراع كالرمل يقال: نَسَلَ يَنْسِلُ وَيَنْسُلُ بالفتح في الماضي والكسر والضمّ في المضارع[١٠]، ونَسَلَ وعَسَلَ واحد[١١] قال الشاعر:

٣٧٣٦ ـ عَسَلاَنَ الذئبِ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[١٢]

والنَّسْلُ من ذلك، وهو الذُّرِّيةُ، أطلق المصدر على المفعول، وَنَسَلْتُ ريشَ الطائِر من ذلك. وقدم الجار على متعلقه لتراخي رؤوس الآي.

---

(١) عند قوله تعالى: **﴿قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾** [الكهف: ٩٤].

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٢.

(٣) في ب: فتح.

(٤) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٢.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٣٩.

(٦) المختصر (٩٣)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٩. وذلك أن مضارع نسل يجيء بكسر العين وضمها.

(٧) الكدية: الأرض المرتفعة. وقيل: الأرض الصلبة، وقيل: الأرض الغليظة. اللسان (كدا).

(٨) الأكمة: القف من حجارة واحدة، وقيل: هو دون الجبل. وقيل: هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. اللسان (أكم).

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٢. اللسان (حدب).

(١٠) انظر اللسان (نسل).

(١١) انظر مجاز القرآن ٢/ ٤٢، الكامل ١/ ٤٧٤.

(١٢) البيت من بحر الرمل، وهو في مجاز القرآن للنابغة الجعدي، وفي الجمهرة واللسان (عسل) للبيد. وهو في مجاز القرآن ٢/ ٤٢، الكامل ١/ ٤٧٤ والجمهرة ١/ ٢٥٢، والخصائص ٢/ ٤٨، القرطبي ١١/ ٣٤١، اللسان (عسل، نسل).

وقرأ عبد الله وابن عباس: «جَدَث» بالثاء المثلثة والجيم[١] اعتباراً بقوله:

«فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»[٢]. وقرىء بالفاء، وهي بدل منها[٣] قال الزمخشري: الثاء للحجاز[٤]، والفاء لتميم[٥]. وينبغي أن يكونا أصلين، لأنَّ كلاً منهما لغة مستقلة[٦]، ولكن كثر إبدال الثاء من الفاء، قالوا مغثور في مغفور، وقالوا فُمَّ في ثُمَّ، فأبدلت هذه من هذه تارة، وهذه من هذه أخرى[٧].

(روى حذيفة بن أسد الغفاري[٨] قال: اطلع النبي ـ ﷺ ـ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيات فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[٩])[١٠].

قوله: «وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ». المراد بالوعد الموعود وهو يوم القيامة.

(وسمي الموعود وعداً تجوّزاً. قال الفراء وجماعة: الواو في قوله: «وَاقْتَرَبَ» مقحمة معناه: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، كقوله: «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ»[١١] أي: ناديناه[١٢]. ويدل عليه ما روى حذيفة قال: لو أنَّ رجلاً اقتنى فُلُوّاً[١٣] بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة[١٤].

---

(١) المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٦٦، الكشاف ٣/ ٢١، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩.

(٢) [سورة يس: ٥١]

(٣) أي: أن الفاء بدل من الثاء. البحر المحيط ٦/ ٣٣٩.

(٤) في ب: للحجازيين.

(٥) الكشاف ٣/ ٢١.

(٦) قال ابن جني في المحتسب ٢/ ٦٦: الجدث ـ بالثاء ـ هو القبر بلغة أهل الحجاز، والجدف ـ بالفاء ـ لبني تميم.

(٧) وذلك أن العرب تقول في العطف: قام زيد فمَّ عمرو، وكذلك قولهم: جدف وجدث. انظر سر صناعة الإعراب ١/ ٢٤٨ ـ ٢٥١، البحر المحيط ٦/ ٣٣٩.

(٨) هو حذيفة بن أسيد الغفاري، أبو سريحة، شهد الحديبية، روى عن النبي ـ ﷺ، وأبي بكر، وعلي، وأبي ذر، روى عنه أبو الطفيل والشعبي، وغيرهما، مات سنة ٤٢ هـ. تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩.

(٩) ذكره البغوي بسنده عن سفيان بن عيينة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري ٥/ ٥٣٢.

(١٠) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(١١) [الصافات: ١٠٣، ١٠٤].

(١٢) في ب: أي وناديناه. أي: أن جواب الشرط قوله: «واقترب» على زيادة الواو، وهو مذهب الكوفيين. انظر معاني القرآن ٢/ ٢١١، إعراب القرآن ٢/ ٨٨، البيان ٢/ ١٦٦، التبيان ٢/ ٩٢٧.

(١٣) الفَلُوُّ والفُلُو والفِلْو: الجحش والمهر إذا فطم، والجمع أفلاء. اللسان (فلا).

(١٤) انظر البغوي ٥/ ٥٣٣، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ» في قوله: «يَا وَيْلَنَا» يكون مجازاً لأنّ التقدير: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة)[١].

قوله: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَار» «إِذَا» هنا للمفاجأة، و «هِيَ»[٢] فيها أوجه:

أجودها: أن يكون ضمير القصة، و «شَاخِصَةٌ» خبر مقدم، و «أَبْصَارُ» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر لـ «هِيَ»، لأنها لا تفسر إلا بجملة مصرح بخبرها، وهذا مذهب البصريين[٣].

الثاني: أن تكون «شَاخِصَةٌ» مبتدأ، و «أَبْصَارُ» فاعل سد مسد الخبر، وهذا يتمشى على رأي الكوفيين، لأن ضمير القصة يفسر عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل فإنه في قوة الجملة[٤].

الثالث: قال الزمخشري: «هِيَ» ضمير مبهم يوضحه الأبصار ويفسره كما فسر «الَّذِينَ ظَلَمُوا» «وَأَسَرُّوا»[٥]. ولم يذكر غيره. قال شهاب الدين: وهذا قول الفراء، فإنه قال في ضمير الأبصار: تقدمت لدلالة[٦] الكلام ومجيء ما يفسرها، وأنشد شاهداً على ذلك:

٣٧٣٧ ـ فَلاَ وَأَبِيهَا لاَ تَقُولُ خَلِيلَتِي ... أَلاَ فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبِ[٧][٨]

الرابع: أن تكون «هِيَ» عماداً[٩]، وهو قول الفراء أيضاً قال: لأنه يصلح موضعها

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل. أي: أن جواب الشرط محذوف تقديره قالوا يا ويلنا، وهو مذهب البصريين ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٥.

(٢) هي: سقط من ب.

(٣) أي أنّ مفسر ضمير الشأن والقصة لا يكون عندهم إلا جملة. التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٣٩، المغني ٢/ ٤٩٠.

(٤) الكوفيون والأخفش يجوزون تفسير ضمير الشأن والقصة بمفرد له مرفوع نحو: كان قائماً زيد، وظننته قائماً عمرو. البحر المحيط ٦/ ٣٣٩. المغني ٢/ ٤٩٠.

(٥) من قوله تعالى: ﴿**لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم**﴾ [الأنبياء: ٣] الكشاف ٣/ ٢١.

(٦) في الأصل: في دلالة.

(٧) البيت من بحر الطويل قاله مالك بن أبي كعب. وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢ برواية: لعمر أبيها لا تقول ظعينتي. وتفسير ابن عطية ١٠/ ٢٠٨ والقرطبي ١١/ ٣٤٢، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠. الظعينة: المرأة في الهودج. الخليل: المحب الذي ليس في محبته خلل والأنثى خليلة.

(٨) الدر المصون ٥/ ٥٩، وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢.

(٩) يريد بقوله: (عماداً) ضمير الفصل والفصل تسمية البصريين والعماد تسمية الكوفيين. وهذا الضمير يشترط فيما قبله كونه مبتدأ في الحال أو في الأصل، وأجاز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها نحو جاء زيد هو ضاحكاً. وكونه معرفة، وأجاز الفراء وهشام ومن تابعهما من الكوفيين كونه نكرة نحو: ما=

هو، فتكون كقوله: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ»[١] ومثله: «فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ»[٢] وأنشد:

٣٧٣٨ ـ بِثَوب ودينارٍ وشاة ودرهم فَهَلْ هُوَ مَرْفُوع بِمَا هَاهُنَا رَاس[٣]

وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي، وهو أنه يجيز تقدم الفصل مع الخبر المتقدم نحو: هو خير منك زيد. الأصل زيد هو خير منك[٤]. وقال أبو حيان: أجاز هو القائم زيد، على أنَّ زيداً هو المبتدأ، والقائم خبره، وهو عماد، وأصل المسألة: زيد هو القائم[٥].

قال شهاب الدين: وفي التمثيل نظر، لأنّ تقديم الخبر هنا ممتنع لاستوائهما في التعريف بخلاف المثال المتقدم[٦]. فيكون أصل الآية الكريمة: فإذا أبصار الذين كفروا هي شاخصة، فلما قدم الخبر، وهو[٧] «شَاخِصَة»، قدم معها العماد.

وهذا أيضاً إنما يجيء على مذهب من يرى وقوع العماد قبل النكرة غير المقارنة للمعرفة[٨].

الخامس: أن تكون «هِيَ» مبتدأ وخبره مضمر، فيتم الكلام حينئذ على «هِيَ» ويبتدأ بقوله: «شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ»، والتقدير: فإذا هي بارزة، أي: الساعة بارزة أو حاضرة و «شَاخِصَةٌ» خبر مقدم، و «أَبْصَارُ» مبتدأ مؤخر. ذكره الثعلبي[٩].

= ظننت أحداً هو القائم. ويشترط فيما بعده كونه خبراً في الحال أو في الأصل، وكونه معرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل (أل)، وشرط الذي كالمعرفة أن يكون اسماً كخير، وخالف في ذلك الجرجاني فألحق المضارع بالاسم لتشابههما، وجعل منه **﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾** [البروج: ١٣] ويشترط فيه أن يكون بصيغة المرفوع، وأن يطابق ما قبله، فلا يجوز كنت هو الفاضل. وفائدته الإعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا تابع، ولهذا سمي فصلاً، لأنه يفصل بين الخبر والتابع، وعماداً لأنه يعتمد عليه معنى الكلام، والتوكيد والاختصاص. وزعم البصريون أنه لا محل له وقال الكوفيون له محل، ثم قال الكسائي محله بحسب ما بعده، وقال الفراء بحسب ما قبله. انظر المغني ٢/٤٩٣ ـ ٤٩٧.

(١) من قوله تعالى: **﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾** [النمل: ٩].

(٢) [الحج: ٤٦].

(٣) البيت من بحر الطويل لم أهتد إلى قائله، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/٢١٢. والبحر المحيط ٦/٣٤٠، شرح التصريح ٢/٧٢، الهمع ٢/٩٩، ١٠١ الدرر ٢/١٣٣، ١٣٤.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/٣٤٠.

(٥) البحر المحيط ٦/٣٤٠.

(٦) الدر المصون: ٥/٥٩.

(٧) في الأصل: وهي.

(٨) أجاز قوم من الكوفيين وقوع العماد بين نكرتين مطلقاً، وخرجوا عليه **﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾** [النحل: ٩٢]. وذهب قوم منهم إلى جواز وقوعه بعد اسم (لا) نحو لا رجل منطلق. وذهب آخرون إلى جواز وقوعه قبل المضارع نحو كان زيد هو يقوم. علماً بأنه يشترط فيما بعده أن يكون معرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل أل نحو زيد هو خير منك. وذهب قوم إلى جواز وقوعه بين نكرتين كمعرفتين في امتناع دخول أل نحو: ما أظن أحداً هو خيراً منك. انظر الهمع ١/٦٨.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/٣٤٠.

وهو بعيد جداً لتنافر التركيب، وهو التعقيد عند علماء البيان(١).

قوله: «يَا وَيْلَنَا» معمول لقول محذوف، أي: يقولون يا وَيْلَنا(٢). وفي هذا القول المحذوف وجهان:

أحدهما: أنه جواب «حتى إذا» كما تقدم(٣).

والثاني: في محل نصب على الحال من «الَّذِينَ كَفَرُوا» قاله الزمخشري(٤).

قوله: «قَدْ كُنا في غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا» يعني في الدنيا حيث كذبناه وقلنا(٥): إنه غير كائن، بل كنا ظالمين أنفسنا بتلك الغفلة وتكذيب محمد، وعبادة الأوثان(٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ» أتى هنا بـ «مَا» وهي لغير العقلاء، لأنه متى اختلط العاقل بغيره يُخَيّر الناطق بين (مَا)، و (مَنْ)(٧).

وقرأ العامة: «حَصَبُ» بالمهملتين والصاد مفتوحة، وهو ما يحصب أي: يرمى في النار ولا يقال له حصب إلا وهو في النار، فأما قبل ذلك فهو حطب وشجر وغير ذلك(٨).

وقيل: يقال له حصب قبل الإلقاء في النار. قيل: هو الحطب بلغة أهل اليمن(٩).

وقال عكرمة: هو الحطب بالحبشية(١٠). وقرأ ابن السميفع وابن أبي عبلة ورويت عن ابن كثير بسكون الصاد(١١)، وهو مصدر، فيجوز أن يكون واقعاً موقع المفعول(١٢)،

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٢١، التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(٣) تقدم قريباً. (٤) الكشاف ٣/ ٢١.

(٥) في الأصل: وقد قلنا. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٢.

(٧) وذلك أن (من) الموصولة الأصل فيها أن تكون للعاقل نحو «ومن عنده علم الكتاب» والأصل في (ما) أن تكون لغير العاقل نحو **﴿ما عندكم ينفد﴾** [النحل: ٩٦] وإذا اختلط العاقل بغيره فقد يعبر بمن نحو **﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾** [الحج: ١٨]. وقد يعبر عنه بما نحو **﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾** [الحشر: ١] و [الصف: ١] هذا إذا كان المقصود بقوله: «وما تعبدون من دون الله» الأصنام وغيرهم من المسيح وعزير. أما إذا كان المقصود الأصنام فقط فـ (ما) على أصلها. انظر شرح التصريح ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٨) انظر اللسان (حصب) والبحر المحيط ٦/ ٣٤٠، الإتحاف ٣١٢.

(٩) وهو قول الفراء. معاني القرآن ٢/ ٢١٢. (١٠) انظر البغوي ٥/ ٥٣٥.

(١١) المحتسب ٢/ ٦٦، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(١٢) انظر المحتسب ٢/ ٦٧، التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

أو على المبالغة، أو على حذف مضاف. وقرأ ابن عباس بالضاد معجمة مفتوحة أو ساكنة[١] وهو أيضاً ما يرمى به في النار[٢]، ومنه المِحْضَبِ عُودٌ يُحَرَّك به النار لتوقد، وأنشد:

٣٧٣٩ ـ فَلاَ تَكُ في حَرْبِنَا مِحْضَباً فَتَجْعَلَ قَوْمَكَ شَتَّى شُعُوبَا[٣]

وقرأ أمير المؤمنين وأبيّ وعائشة وابن الزبير «حَطَبُ» بالطاء[٤]، ولا أظنها إلا تفسيراً لا قراءة[٥].

فصل

المعنى «إنَّكُمْ» أيُّها المشركون «وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ» يعني الأصنام «حَصَبُ جَهَنَّم» أي: وقودها، وهذا تشبيه[٦]. وأصل الحصب الرمي[٧]، قال تعالى: «أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم حَاصِباً»[٨] أي: ريحاً ترميهم بالحجارة.

قوله: «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ». جوز أبو البقاء في هذه الجملة ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون بدلاً من «حَصَبُ جَهَنَّم»[٩].

يعني: أن الجملة بدل من المفرد الواقع خبراً، وإبدال الجملة من المفرد إذا كان أحدهما بمعنى الآخر، جائز، إذ التقدير: إنكم أنتم لها واردون[١٠].

---

(١) المختصر (٩٣). المحتسب ٢/٦٦، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(٢) أي: أن الحضب: الحطب، ففيه ثلاث لغات: حطب، وحضب، وحصب. المحتسب ٢/ ٦٧.

(٣) البيت من بحر المتقارب قاله الأعشى، وليس في ديوانه، وهو في المحتسب ٢/ ٦٧ واللسان (حضب)، تفسير ابن عطية: ١٠/ ٢١٠، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠. المحضب: المسعر، وهو عود تحرك به النار عند الإيقاد. يقول: لا تحرك الفتنة وتشعل نار الحرب فتفرق قومك وتجعلهم شعوباً مختلفة.

(٤) المحتسب ٢/ ٦٧، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠.

(٥) في ب: تلاوة.

(٦) انظر البغوي ٥/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.
فالمراد يقذفون في نار جهنم، فشبههم بالحصباء التي يرمى بها الشيء فلما رمي بها كرمي الحصباء جعلهم حصب جهنم تشبيهاً. الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٤.

(٧) الكشاف ٣/ ٢١.

(٨) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أرسلنا عليهم حاصباً إلاَّ آل لوطٍ نجيناهم بسحرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

(٩) انظر التبيان ٢/ ٩٢٨.

(١٠) وذلك أن ابن جني والزمخشري وابن مالك أجازوا إبدال الجملة من المفرد كقول الفرزدق:
إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً وبالشام أخرى كيف يلتقيان
أبدل (كيف يلتقيان) من (حاجة) و (أخرى) أي: إلى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما، وجعل منه ابن مالك: عرفت زيداً أبو من هو. وذكر الأزهري أنه بدل كل، والظاهر أنه بدل اشتمال. وإنما صح ذلك لرجوع الجملة إلى التقدير بالمفرد. انظر شرح التصريح ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣، الهمع ٢/ ١٢٨، شرح الأشموني ٣/ ١٣٢.

والثاني: أن تكون الجملة مستأنفة[١].

والثالث: أن تكون في محل نصب على الحال من «جَهَنَّمَ»[٢] وفيه نظر من حيث مجيء الحال من المضاف إليه في غير مواضع المستثناة[٣]. ومعنى «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» أي: فيها داخلون. وإنما جاءت اللام في «لَهَا» لتقدمها تقول: أنت لزيد ضارب. كقوله تعالى: «وَالَّذِينَ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ»[٤] والمعنى: أنه لا بُدَّ وأن تردوها، ولا معدل لكم من دخولها[٥].

فصل

روى ابن عباس[٦] أنه ـ عليه السلام[٧] ـ دخل المسجد وصَنَادِيد[٨] قريش في الحَطِيم[٩]. وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجلس إليهم، فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه، ثم تلا عليهم «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» الآية. فأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى فرآهم يتهامسون، فقال: فيم[١٠] خوضكم؟ فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله. فقال ابن الزبعرى: أنت قلت ذلك؟ قال نعم.

قال: خصمتك ورب الكعبة، أليس اليهود عبدوا عُزَيْراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح[١١] عبدوا الملائكة. فسكت رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يجب، فضحك القوم، ونزل قوله تعالى «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»[١٢].

ونزل في عيسى والملائكة «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى»[١٣]. وفي رواية

---

(١) انظر التبيان ٢/٩٢٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ذكرنا سابقاً ما قاله السيوطي في الهمع من أن بعض البصريين وصاحب البسيط جوزوا مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً. وعلى ذلك فكون الجملة حالاً من (جهنم) على مذهب من جوز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً.
(٤) [المؤمنون: ٨]. [المعارج: ٣٢] وهذه اللام تسمى لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إمّا بتأخير أو بكونه فرعاً في العمل.
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٤.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٨) الصناديد جمع صنديد، وهم أشراف القوم وعظماؤهم. اللسان (صند).
(٩) الحطيم: قال ابن عباس: الحطيم الجدار بمعنى جدار الكعبة، ابن سيدة: الحطيم حجر مكة مما يلي الميزاب، سمي بذلك لانحطام الناس عليه. اللسان (حطم).
(١٠) في ب: ففيم.
(١١) في الأصل: بليح. وهو تحريف.
(١٢) [الزخرف: ٥٧، ٥٨].
(١٣) [الأنبياء: ١٠١].

أخرى أنه ـ عليه السلام[1] ـ قال: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك» فأنزل الله ـ تعالى ـ «إِنَّ الذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى»[2] يعني عزيراً والمسيح والملائكة. قال ابن الخطيب: واعلم أنَّ سؤال ابن الزبعرى غير متوجه من وجوه:

أحدها: أنَّ ذلك الخطاب كان مع مشركي مكة، وهم كانوا يعبدون الأصنام فقط.

وثانيها: أنه لم يقل: ومن تعبدون بل قال: «وَمَا تَعْبُدُونَ». وكلمة «مَا» لا تتناول العقلاء، وأما قوله تعالى: «وَمَا بَنَاهَا»[3] وقوله: «لا[4] أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ»[5] فحمول على الشيء[6]، ونظيره هاهنا أن يقال: إنكم والشيء الذي تعبدون من دون الله، لكن لفظ الشيء لا يفيد العموم فلا يتوجه سؤال ابن الزبعرى.

وثالثها: أنَّ مَنْ عَبَد الملائكة لا يَدَّعِي أنهم آلهة وقال سبحانه «لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا»[7].

ورابعها: أنه ثبت العموم لكنه مخصوص بالدلائل العقلية والسمعية في حق الملائكة والمسيح وعزير لبراءتهم من الذنوب والمعاصي، ووعد الله إياهم بكل مكرمة، وهو المراد بقوله سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى»[8].

وخامسها: الجواب الذي ذكره رسول الله ـ ﷺ ـ وهو أنهم كانوا يعبدون الشياطين.

فإن قيل: الشياطين عقلاء ولفظ «مَا» لا يتناولهم، فكيف قال ذلك؟ قلنا: كأنه ـ عليه السلام[9] ـ قال: لو ثبت لكم أنه يتناول العقلاء فسؤالكم أيضاً غير لازم من هذا الوجه.

فأما ما قيل: إنه ـ عليه السلام[10] ـ سكت عند إيراد ابن الزبعرى هذا[11] السؤال، فهو خطأ، لأنه لا أقل من أنه ـ عليه السلام[1] ـ كان يتنبّه لهذه الأجوبة التي ذكرها المفسرون، لأنه أعلم منهم باللغة وبتفسير القرآن، فكيف يجوز أن تظهر هذه الأجوبة لغيره، ولم يظهر له منها شيء.

فإن قيل: يجوز أن يسكت عليه السلام[1] انتظاراً للبيان. قلنا: كان البيان حاضراً معه، فلم يجز عليه السكوت، لكي لا يتوهم عليه الانقطاع من سؤالهم.

---

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) تقدم قريباً.
(٣) من قوله تعالى: ﴿**والسماء وما بناها**﴾ [الشمس: ٥].
(٤) في النسختين: ولا. وهو تحريف.
(٥) [الكافرون: ٢]، ولعله يريد قوله تعالى: ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، فإن (ما) في الآية التي ذكرها على أصلها وهي لغير العاقل، ولورود قوله: ﴿**والسماء وما بناها**﴾ وقوله: ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ زعم قوم منهم ابن درستويه، وأبو عبيدة، ومكي، وابن خروف وقوعها على آحاد من يعقل مطلقاً. انظر الهمع ١/ ٩١.
(٦) في النسختين: النفي. والصواب ما أثبته. (٧) [الأنبياء: ٩٩].
(٨) [الأنبياء: ١٠١]. (٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١١) في ب: هل. وهو تحريف.

ومن الناس من أجاب عن سؤال ابن الزبعرى، فقال: إن الله ـ تعالى ـ يُصَوِّرُ لهم في النار ملكاً على صورة مَنْ عبدوه وحينئذ تبقى الآية على ظاهرها وهذا ضعيف من وجهين:

الأول: أنَّ القوم لم يعبدوا تلك الصورة وإنما عبدوا شيئاً آخر لم يحصل معهم في النار.

الثاني: أنَّ الملك لا يصير حصب جهنم في الحقيقة، وإن صح أن يدخلها، فإنَّ خزنة النار يدخلونها مع أنهم ليسوا حصب جهنم[(١)].

فصل[(٢)]

الحكمة في أنهم قرنوا بآلهتهم أمور:

أحدها: أنَّهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة، لأنهم ما وقعوا في ذلك العذاب إلا بسببهم، والنظر إلى وجه العدوّ باب من العذاب.

وثانيها: أنَّهم قَدَّرُوا أن يشفعوا لهم في الآخرة، فإذا وجدوا الأمر على عكس ما قَدَّرُوا لم يكن[(٣)] شيء أبغض إليهم منهم.

وثالثها: أنَّ إلقاءها في النار يجري مجرى الاستهزاء بها.

ورابعها: قيل ما كان منها حجراً أو حديداً يحمى فيعذب بعبادها[(٤)]، وما كان خشباً يجعل جمرة يعذب بها صاحبها.

قوله تعالى: «لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَا ورَدُوهَا» اعلم أنّ قوله[(٥)] «وَمَا تَعْبُدُونَ» بالأصنام أليق، لدخول لفظ «مَا»، وهذا الكلام بالشياطين أليق، لقوله: «هَؤُلاَءِ» ويحتمل أن يريد الشياطين والأصنام وغلب العقلاء[(٦)] ونبه الله ـ تعالى ـ على أنه مَنْ[(٧)] يرمى في النار لا يمكن أن يكون إلهاً. قال ابن الخطيب: وهنا سؤال، وهو أنَّ قوله «لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا» لكنهم وردوها، فهم ليسوا آلهة، وهذه[(٨)] الحجة إما أن يكون ذكرها لنفسه أو لغيره، فإن ذكرها لنفسه فلا فائدة فيه، لأنه كان عالماً بأنها ليست آلهة، وإن ذكرها لغيره فإما أن يذكرها لمن يُصَدق بنبوته، (أو ذكرها لمن يُكَذّب بنبوته)[(٩)] فإن ذكرها لِمَنْ يُصَدّق بنبوته فلا حاجة إلى هذه الحجة، لأنّ كل مَنْ صدق[(١٠)] بنبوته[(١١)] لم

---

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٢) نقل ابن عادل هذا الفصل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٤٢٢.
(٣) في ب: لم يكن لهم.
(٤) في ب: بعبادتها.
(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٦) انظر استعمال (ما) قبل صفحات.
(٧) من: سقط من ب.
(٨) في الأصل: هذه.
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) في ب: يصدق.
(١١) في الأصل: نبوته.

يقل بإلاهية هذه الأصنام[١]، وإن ذكرها لمن كذب بنبوته فذلك المكذب لا يسلم أنّ تلك الآلهة يردون النار، فكان ذكر هذه الحجة لا فائدة فيه كيف كان.

وأيضاً فالقائلون بإلاهيتها لم يعتقدوا إلا كونها تماثيل الكواكب أو صورة الشفعاء، وذلك لا يمنع من دخولها النار. وأجيب عن ذلك بأن[٢] المفسرين قالوا: المعنى لو كان هؤلاء ـ يعني الأصنام ـ آلهة على الحقيقة ما وردوها، أي: ما دخل عابدوها النار[٣].

قوله: «آلِهَةً» العامة على النصب خبراً لـ «كَانَ»[٤]. وقرأ طلحة بالرفع[٥] وتخريجها كتخريج قوله:

٣٧٤٠ ـ إذَا مُتَّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ[٦]

ففيها ضمير الشأن[٧].

قوله: «وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ» يعني: العابدين والمعبودين، وهو تفسير[٨] لقوله: «إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»[٩].

وقوله: «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ»[١٠] قال الحسن: الزفير هو اللهيب[١١]، أي: يرتفعون بسبب لهب النار حتى إذا ارتفعوا وأرادوا الخروج ضربوا بمقامع الحديد، فهوَوا إلى أسفلها سبعين خريفاً. قال الخليل: الزفير أن يملأ الرجل صدره غماً ثم يتنفس[١٢].

---

(١) الأصنام: سقط من ب. (٢) في ب: فإن. وهو تحريف.

(٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٠. (٥) المرجع السابق.

(٦) جزء بيت من بحر الطويل قاله العجير السلولي، والبيت بتمامه:

إذا مــتُّ كــان الــنــاس صــنــفــان شــامــت ... وآخــر مــثــن بــالــذي كــنــت أصــنــع

وقد تقدم.

(٧) أي أن اسم (كان) ضمير الشأن مضمر فيها، وجملة «هؤلاء آلهة» من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر لـ (كان)، وهي مفسرة لضمير الشأن. والتقدير: لو كان الشأن هؤلاء آلهة. وضمير الشأن يضمر في باب (كان) كما هنا، وباب (كاد) نحو قوله تعالى: ﴿**من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم**﴾ [التوبة: ١١٧] في قراءة «يزيغ» بالتحتية وهي قراءة حمزة وحفص عن عاصم. السبعة (٣١٩). ويبرز مبتدأ نحو ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص: ١] واسم (ما) كقول الشاعر:

ومــا هــو مــن يــأســو الــكــلــوم ويــتــقــى ... بــه نــائــبــات الــدهــر كــالــدائــم الــنــجــل

ويبرز منصوباً في بابي (أنّ) نحو ﴿**وأنه لمَّا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ [الجن: ١٩]. و (ظن) نحو قول الشاعر:

عــلــمــتــه الــحــق لا يــخــفــى عــلــى أحــد

انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٠، الهمع ١/ ٦٧.

(٨) في ب: وهذا التفسير. (٩) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٥.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٥.

(١١) في ب: اللهب. (١٢) العين: (زفر).

قال أبو مسلم: قوله: «لَهُمْ» عام لكل مُعَذب، فيقول: لهم زفير من شدة ما ينالهم والضمير في قوله: «وَهُمْ فِيهَا» يرجع إلى المعبودين أي: لا يسمعون صراخهم وشكواهم، ومعناه أنهم[١] لا يغيثونهم، وشبهه: (سمع الله لمن حمده)، أي: أجاب الله دعاه.

وقوله: «وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ» على قول أبي مسلم محمول على الأصنام.

ومن حمله على الكفار فيحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ الكفار يحشرون صماً كما يحشرون عمياً زيادة في عذابهم.

والثاني: لا يسمعون ما ينفعهم، لأنهم إنما يسمعون أصوات المعذبين، أو كلام مَنْ يتولى تعذيبهم من الملائكة.

والثالث: قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إنَّ الكفار يجعلون في توابيت[٢] (من نار، ثم يجعل تلك التوابيت في توابيت أخر، ثم تلك التوابيت في توابيت)[٣] أخر من نار عليها مسامير من نار، فلذلك لا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم أنَّ أحداً يعذب غيره. والأول ضعيف، لأنَّ أهل النار يسمعون كلام أهل الجنة، فلذلك يستغيثون بهم على ما ذكره الله تعالى في سورة الأعراف[٤][٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى» الآية. قال بعض أهل العلم[٦] «إنَّ» هٰهنا بمعنى (إلا) أي: إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى[٧].

قال ابن الخطيب: قد بينا فساد هذا القول، وذكرنا[٨] أنَّ سؤال ابن الزبعرى لم يكن وارداً[٩]، فلم يبق إلا أحد أمرين:

---

(١) أنهم: سقط من الأصل.

(٢) التوابيت جمع تابوت، وهو الصندوق الذي يحرز فيه المتاع، وعند قدماء المصريين صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة، عليه من الصور والرسوم ما يصور آمال المصريين وعقائدهم في العالم الآخر. المعجم الوسيط ١/ ٨٤ (تبت)

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في قوله تعالى: **﴿ونادى أصحاب النَّار أصحاب الجنَّة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إنَّ الله حرمهما على الكافرين﴾** [الأعراف: ٥٠].

(٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٥.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٦.

(٧) قال القرطبي: (فمعنى الكلام الاستثناء، ولهذا قال بعض أهل العلم: **«إن»** هنا بمعنى (إلا) وليس في القرآن غيره) تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٥.

(٨) في ب: وذكر.

(٩) انظر ما سبق قريباً.

الأول: أن يقال: إنَّ عادة الله تعالى أنه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار، فلهذا ذكر هذه الآية عقيب تلك الآية فهي عامة في حق كل المؤمنين.

الثاني: أن هذه الآية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتأكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى ثم قال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا هو الحق، أجراها على عمومها، فتكون الملائكة والمسيح وعزير ـ عليهم السلام[١] ـ داخلين فيها، لا أنّ الآية مختصة بهم. ومَنْ قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله: «إنَّ الَّذِيْنَ» بهؤلاء فقط[٢].

قوله: «مِنَّا» يجوز أن يتعلق بـ «سَبَقَتْ»، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «الحُسْنَى»[٣] قال الزمخشري: «الحُسْنَى» الخصلة[٤] المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي إما السعادة، وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة[٥] ثم شرح أحوال ثوابهم[٦] فقال: «أولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُوْنَ». قال أهل العفو معناه: أولئك عنها مخرجون، واحتجوا بوجهين:

الأول: قوله «وَإِنْ مِنْكُم إِلاَّ وَارِدُهَا»[٧] أثبت الورود، والورود الدخول، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج.

والثاني: أن إبعاد الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر، لأنّ تحصيل الحاصل محال.

وقالت المعتزلة: «أُولَئِكَ عَنْهَا مُبعَدُونَ» لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة. واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الأول بأمور:

أحدها: أنَّ قوله تعالى «إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى» يقتضي أنّ الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا، وليس هذا[٨] حال من يخرج من النار.

وثانيها: أنه تعالى قال: «أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» فكيف يدخل في ذلك من وقع فيها.

وثالثها: قوله: «لاَ يَسْمَعُوْنَ حَسِيْسَهَا» وقوله: «لاَ يَحْزُنُهُم الفَزَعُ الأَكْبَرُ» يمنع من ذلك. والجواب عن الأول لا نسلم أنّ المراد من قوله «إِنَّ الَّذِين سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى» هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم، ولم لم يجوز أن يكون المراد من «الحُسْنَى» تقدم الوعد بالثواب، (لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا)[٩] يليق بحال من يخرج من النار فإن عنده المحابطة[١٠] باطلة، ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب. وعن[١١] الثاني: أنا

---

(١) في ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٦.
(٣) انظر التبيان ٢/ ٩٢٨.
(٤) في ب: الخصلة الحسنى.
(٥) الكشاف ٣/ ٢١.
(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٦.
(٧) من قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربّك حتماً مقضياً**﴾ [مريم: ٧١].
(٨) في الأصل: هذه. وهو تحريف.
(٩) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(١٠) في الأصل: المخاطبة. وهو تحريف.
(١١) في ب: وعلى.

بينا أنّ قوله: «أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار. وعن الثالث: أن قوله: «لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا» مخصوص بما(١) بعد الخروج(٢).

وعلى قول المعتزلة بأن المراد بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها، يبطل القول بأن جميع الناس يردون النار، ثم يخرجون إلى الجنة، فيجب التوفيق بينه وبين قوله: «وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدهَا»(٣) وقد تقدم(٤).

قوله: «وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ» إلى قوله: «وَتَتَلَقاهُم»(٥) كل جملة من هذه الجمل يحتمل أن تكون حالاً مما قبلها، وأن تكون مستأنفة، وكذلك الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله «هَذَا يَوْمُكُمْ» إذ التقدير: وتتلقاهم الملائكة يقولون هذا يومكم.

فصل

معنى «لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا»(٦) أي: صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازل لهم في الجنة. والحس والحسيس: الصوت الخفي(٧). «وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ» مقيمون كقوله: «وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ»(٨) «لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ» النفخة الأخيرة لقوله تعالى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ(٩) في الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرضِ»(١٠). وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار. وقال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادى يا أهل الجنة خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق جهنم، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه.

«وَتَتَلَقَّاهُمْ المَلاَئِكَةُ» أي: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون «هَذَا يَوْمُكُم الَّذِي كُنْتُم تُوعَدُونَ»(١١). فإن قيل: أي بشارة في أنهم لا يسمعون حسيسها؟

فالجواب: المراد منه تأكيد بعدهم عنها، لأن من قرب منها قد يسمع حسيسها(١٢) فإنْ قيل: أليس أهل الجنة يرون أهل النار، فكيف لا يسمعون حسيس النار؟ فالجواب: إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال(١٣).

---

(١) بما: سقط من ب.

(٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٦.

(٣) [مريم: ٧١].

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٧.

(٥) قال الله تعالى: ﴿**وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة**﴾.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٧) اللسان (حسس).

(٨) [الزخرف: ٧١].

(٩) في النسختين: نفخ. وهو تحريف.

(١٠) [النمل: ٨٧]. وانظر الكشاف ٣/ ٢٢، الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٧.

(١١) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٧.

(١٣) المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ الآية. في «يَوْمَ نَطْوِي» أوجه:

أحدها: أنه[1] منصوب بـ «لاَ يَحْزُنُهُمْ»[2].

الثاني: أنه منصوب بـ «تَتَلَقاهُم»[3].

الثالث: أنه منصوب بإضمار (اذكر) أو (أعني)[4].

الرابع: أنه بدل من العائد المقدر تقديره: توعدونه يوم نطوي، فـ «يَوْمَ» بدل من الهاء، ذكره أبو البقاء[5] وفيه نظر، إذ يلزم من ذلك خلو الجملة الموصول بها من عائد على الموصول، ولذلك منعوا جاء الذي مررت به أبي عبد الله، على أن يكون (أبي عبد الله) بدلاً من الهاء لما ذكر[6]، وإن كان في المسألة خلاف.

الخامس: منصوب بالفزع، قاله الزمخشري[7]، وفيه نظر من حيث إنه أعمل المصدر الموصوف قبل أخذه معموله[8]. وقد تقدم أن نافعاً يقرأ «يُحْزِنُ» بضم الياء إلا هنا، وأن شيخه ابن القعقاع يقرأ «يَحْزُنُ» بالفتح إلا هنا[9].

---

(١) أنه: سقط من الأصل.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٢٢، التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٢.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٢.

(٥) التبيان ٢/ ٩٢٨.

(٦) في ب: لما ذكره. وذلك لأنَّ المبدل منه في حكم الطرح وإحلال البدل محله، وهنا يمتنع إحلال البدل محل المبدل منه، لما يلزم من خلو صلة الموصول من العائد، فعلى هذا يكون النظر موجوداً، ومذهب سيبويه أنَّ المبدل منه ليس مهدراً بالكلية، لأنه قد يحتاج إليه لغرض آخر، كقولك: زيد رأيت غلامه رجلاً صالحاً. فلو ذهبت تهدر الأول لم يصح كلامك. انظر شرح التصريح ٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٧) الكشاف ٣/ ٢٢.

(٨) وذلك لأنه يشترط في المصدر العامل عمل الفعل أن يكون غير منعوت قبل تمام عمله، فلا يجوز أعجبني ضربك المبرح زيداً، وذلك لأن المصدر المقدر بالحرف المصدري والفعل مع معموله كالموصول مع صلته فلا يتقدم ما يتعلق به عليه كما لا يتقدم شيء من الصلة على الموصول، ولا يفصل بينهما بأجنبي كما لا يفصل بين الموصول والصلة. فإن ورد ما يوهم ذلك قدّر فعل بعد النعت يتعلق به المعمول المتأخر. انظر الأشموني ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩١.

(٩) [آل عمران: ١٧٦]. عند قوله تعالى: ﴿**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً**﴾.

وقرأ العامة «نَطْوِي» بنون العظمة[١]. وشيبة بن نصاح[٢] في آخرين «يَطوي» بياء الغيبة[٣]، والفاعل هو الله تعالى[٤]. وقرأ أبو جعفر في آخرين «تُطْوَى» بضم التاء المثناة من فوق وفتح الواو مبنياً للمفعول[٥]. وقرأ العامة «السِّجِلِّ» بكسر السين والجيم وتشديد اللام كالطِّمرّ[٦]. وقرأ أبو هريرة وصاحبه أبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير[٧] بضمهما[٨] واللام مشددة أيضاً بزنة «عُتُلٍّ»[٩]. ونقل أبو البقاء تخفيفها في هذه القراءة أيضاً فتكون بزنة عُنُقٍ[١٠]. وأبو السمال وطلحة والأعمش بفتح السين. والحسن وعيسى بن عمر بكسرها. والجيم في هاتين القراءتين ساكنة واللام مخففة[١١].

قال أبو عمرو: قراءة أهل مكة مثل قراءة الحسن[١٢]. والسِّجل الصحيفة مطلقاً[١٣] وقيل: مخصوص بصحيفة العهد[١٤]، وهي من المساجلة وهي المكاتبة.

والسَّجْلُ: الدلو المَلأى[١٥]. وقال بعضهم: هو فارسيّ معرب فلا اشتقاق له[١٦] و «طَيّ» مصدر مضاف للمفعول، والفاعل محذوف، تقديره: كما يطوي الرجل الصحيفة ليكتب فيها، أو لما يكتبه فيها من المعاني[١٧]، والفاعل يحذف مع المصدر باطراد[١٨]

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣، الإتحاف ٣١٢.

(٢) تقدم.

(٣) التبيان ٢/ ٩٢٨، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣. (٤) و «السَّماء» بالنصب مفعول.

(٥) و«السَّماء» بالرفع نائب. المختصر (٩٣)، التبيان ٢/ ٩٢٨ ـ ٩٢٩. والبحر المحيط ٦/ ٣٤٣، الإتحاف (٣١٢).

(٦) التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣، الإتحاف ٣١٢.

(٧) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، كان من علماء التابعين الثقات، وأهل الصدق، رأى علياً ـ كرم الله وجهه ـ، وروى عن جده وأبي هريرة، وغيرهما، وروى عنه عمه إبراهيم بن جرير وإبراهيم النخعي وغيرهما.
تهذيب التهذيب ١٢/ ٦٩.

(٨) في الأصل: بضمها. وهو تحريف.

(٩) المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٦٧، التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.

(١٠) التبيان ٢/ ٩٢٩.

(١١) المحتسب ٢/ ٦٧، التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٣ (١٣) وهو قول مجاهد. البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٣. (١٥) المرجع السابق.

(١٦) وهو قول أبي الفضل الرازي، المرجع السابق.

(١٧) انظر البيان ٢/ ١٦٦، التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.

(١٨) وذلك أنّ المصدر إذا أضيف إلى مفعوله يحذف الفاعل كقوله: ﴿**لا يسأم الإنسان من دعاء الخير**﴾ [فصلت: ٤٩] أي: دعائه الخير وبذلك يفارق الفعل، لأنّ الموجب للمنع فيه تنزيله إذا كان ضميراً متصلاً كالجزء منه بدليل تسكين آخره، وللفصل به بين الفعل وإعرابه في يفعلان، وحذف الجزء من الكلمة لا يجوز بقياس، وحمل عليه المنفصل والظاهر، والمصدر لا يتصل به ضمير فاعل، فلم تكن=

والكلام في الكاف معروف[(١)] أعني: كونها نعتاً لمصدر مقدر[(٢)] أو حالاً من ضميره. وأصل «طَيّ» طَوْي، فأعلّ كنظائره[(٣)]. وروي عن علي وابن عباس: أنّ السجل اسم ملك يطوي كتب أعمال بني آدم[(٤)]. وروى أبو الجوزاء[(٥)] عن ابن عباس: أنّ السجل اسم رجل كان يكتب لرسول الله ـ ﷺ[(٦)] ـ. وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافاً لفاعله[(٧)]، والكتاب اسم الصحيفة المكتوبة. قال بعضهم[(٨)]: وهذا القول بعيد، لأنّ كُتَّاب رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا معروفين وليس فيهم من سُمِّيَ بهذا[(٩)]. قال أبو إسحاق الزجاج: السجل الرجل بلغة الحبشة[(١٠)].

وقال الزمخشري: كما يطوى الطُّومَار[(١١)] للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو لما يكتب فيه، لأنَّ الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب[(١٢)]. فقدره الزمخشري من الفعل المبني للمفعول، وقد عرف ما فيه من الخلاف واللام في «الكتاب» إما مزيدة في المفعول إنْ قلنا: إنَّ المصدر مضاف لفاعله[(١٣)]. وإما متعلقة بـ «طَيِّ» إذا قلنا: المراد بالسجل الطومار، فالمصدر وهو الطيّ مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، والتقدير: كطي الطاوي السجل وهذا قول الأكثرين[(١٤)]. وقيل: اللام بمعنى (على)[(١٥)]، وهذا ينبغي أن لا يجوز لبعد معناه على كل قول.

= نسبة فاعله منه نسبة الجزء من الكلمة. وقال الكوفية لا يحذف بل يضمر في المصدر كما يضمر في الصفات والظرف. وقال أبو القاسم خلف بن فرتون بن الأبرش ينوى إلى جنب المصدر قال: ولا يجوز أن يقال إنه محذوف، لأن الفاعل لا يحذف ولا يضمر لأن المصدر لا يضمر فيه لأنه بمنزلة اسم الجنس. ويجوز إبقاؤه مع الإضافة إلى المفعول في الأصح، نحو قوله تعالى في قراءة يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر ﴿ذكر رحمة ربّك عبده زكريا﴾ [مريم: ٢] برفع «عبده». المختصر (٨٣) الهمع ٢/ ٩٤.

(١) في ب: معروفة. وهو تحريف. (٢) البيان ٢/ ١٦٦.

(٣) وذلك أنه متى اجتمعت الواو والياء في كلمة والسابق منهما متأصل ذاتاً وسكوناً تقلب الواو ياء وتدغم الياء في الياء نحو سيّد وميّت وطيّ وليّ. انظر شرح الشافية ٣/ ١٣٩.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٨.

(٥) هو أوس بن عبد الله الربعي أبو الجوزاء البصري، روى عن أبي هريرة وعائشة، وابن عباس وغيرهم، مات سنة ٨٣ هـ. تهذيب التهذيب ١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، تقريب التهذيب ١/ ٨٦.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٨. (٧) انظر التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.

(٨) وهو ابن الخطيب في تفسيره ٢٢/ ٢٢٨. (٩) انظر الفخر الرازي ٢/ ٢٢٨.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٦.

(١١) الطُّومار: الصحيفة، وهو واحد الطَّوامير. اللسان (طمر).

(١٢) الكشاف ٣/ ٢٢.

(١٣) وتسمى لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخير أو بكونه فرعاً في العمل كما هنا فالعامل مصدر، وهو فرع في العمل عن الفعل. انظر التبيان ٢/ ٩٢٩، المغني ١/ ٢١٧.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٨، التبيان ٢/ ٩٢٩. (١٥) انظر التبيان ٢/ ٩٢٩.

والقراءات المذكورة في السجل كلها لغات فيه[١].

وقرأ الأخوان[٢] وحفص «لِلْكُتُبِ» جمعاً. والباقون «لِلْكِتَابِ» مفرداً[٣]. والرسم يحتملهما فالإفراد يراد به الجنس والجمع للدلالة على الاختلاف، والمعنى المكتوبات، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. فيكون معنى طي السجل للكتابة، كون السجل ساتراً[٤] لتلك الكتابة ومخفياً لها، لأنّ الطي هو الدرج ضد النشر الذي يكشف. قوله: «كَمَا بَدَأْنَا» في متعلق هذه الكاف وجهان:

أحدهما: أنها متعلقة بـ «نُعِيدُهُ»، و «مَا» مصدرية، و «بَدَأْنَا» صلتها، فهي وما في حيزها في محل جر بالكاف. و «أَوَّلَ خَلْقٍ» مفعول «بَدَأْنَا»، والمعنى: نعيد أوّل خلق إعادة مثل بدأتنا[٥] له، أي: كما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من العدم إلى الوجود[٦] وإلى هذا نحا أبو البقاء فإنه قال: الكاف نعت لمصدر محذوف أي: نعيده عوداً كمثل بدئه[٧].

وفي قوله: عوداً نظر إذ الأحسن أن يقول: إعادة[٨].

والثاني: أنّها تتعلق[٩] بفعل مضمر. قال الزمخشري: ووجه آخر، وهو أنْ ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره «نُعِيدُهُ» و «مَا» موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأنا نعيده و «أَوَّلَ خَلْقٍ» ظرف لـ «بَدَأْنَا» أي: أول ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى[١٠]. قال أبو حيَّان: وفي تقديره[١١] تهيئة «بَدَأْنَا» لأنْ ينصب «أَوَّلَ خَلْقٍ» على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو إلى ذلك، وارتكاب إضمار (نعيد) مفسراً بـ «نُعِيدُهُ» وهذه عجمة في كتاب الله، وأما قوله: ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره «نُعِيدُهُ» فهو ضعيف جداً، لأنه مبني على أن الكاف اسم لا حرف، وليس مذهب الجمهور، وإنما ذهب إلى ذلك الأخفش، وكونها اسماً عند البصريين مخصوص بالشعر[١٢].

---

(١) انظر التبيان ٢/ ٩٢٩، اللسان (سجل).
(٢) حمزة والكسائي.
(٣) السبعة ٤٣١، الكشف ٢/ ١١٤، النشر ٢/ ٣٢٥، الإتحاف ٣١٢.
(٤) في ب: ساتر.
(٥) في ب: بدتنا. وهو تحريف.
(٦) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٣.
(٧) التبيان ٢/ ٩٢٩.
(٨) لأنه مصدر (أعاد).
(٩) في ب: متعلق. وهو تحريف.
(١٠) وتقديرة: بدأناه. الكشاف ٣/ ٢٢.
(١١) قال الزمخشري: («أول خلق» مفعول نعيد الذي يفسره «نعيده» والكاف مكفوفة بما، والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء) الكشاف ٣/ ٢٢.
(١٢) الكاف تقع اسماً في ضرورة الشعر عند سيبويه والمحققين، فتجر بالحرف نحو قول الشاعر:

بِيضٍ ثلاثٍ كنعاجٍ جُمٍّ ... يضحكن عن كالبَرَدِ المُنْهَمِّ

وبالإضافة كقوله:

=

قال شهاب الدين: كل ما قدره فهو جار[1] على القواعد المنضبطة وقاده إلى ذلك المعنى الصحيح فلا مؤاخذة عليه، ويظهر ذلك بالتأمل لغير الفطن[2] وأما «مَا» ففيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها مصدرية.

والثاني: أنها بمعنى الذي. وقد تقدم تقرير هذين[3].

والثالث: أنها كافة للكاف عن العمل كما في قوله:

٣٧٤١ ـ كَمَا النَّاسُ مَجْرومٌ عَلَيْهِ وجَارِمُ[4]

فيمن رفع (النَّاس) قال الزمخشري: «أَوّلَ خَلْق» مفعول نعيد الذي يفسره «نُعيدُهُ»[5] والكاف مكفوفة بـ «ما» والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لها على السواء، فإنْ قُلْتَ: ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قُلْتُ: أوله إيجاده من العدم، فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم[6].

وأما «أَوَّلَ خَلق» فيحصل فيه أربعة أوجه: **أحدها**: أنه مفعول «بَدَأْنَا».

والثاني: أنه ظرف لـ «بَدَأْنَا».

والثالث: أنه منصوب على الحال من ضمير الموصول[7] كما تقدم تقريره[8].

والرابع: أنه حال من مفعول «نُعِيدُهُ» قاله أبو البقاء[9]، والمعنى: مثل أول خلقه

= تيم القلب حب كالبدر لا بل ... فاق حسناً من تَيَّمَ القلب حبا

وتقع فاعلة كقوله:

أتنهون ولن ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ومبتدأة كقوله:

بنا كالجوى مما تخاف وقد ترى ... شفاء القلوب الصاديات الحوائم

واسم كان كقوله:

لو كان في قلبي كقدر قلامة ... فضلاً لغيرك ما أتتك رسائلي

ومفعولة كقول النابغة:

لا يبرمون إذا ما الأفق جلّله ... برد الشتاء من الإمحال كالأدم

وذهب الأخفش والفارسي إلى أنها تقع اسماً اختياراً كثيراً نظراً إلى كثرة السماع، وعلى هذا يجوز في زيد كالأسد أن تكون الكاف في موضع رفع والأسد مخفوضاً بالإضافة وعلى ذلك كثير من المعربين منهم الزمخشري كما هنا، قال ابن هشام: ولو كان كما زعموا لسمع في الكلام مثل مررت بكالأسد.
البحر المحيط ٦/ ٣٤٣، المغني ١/ ١٨٠، الهمع ٢/ ٣١.

(١) في ب: جاز. وهو تصحيف. (٢) الدر المصون: ٥/ ٦١.

(٣) الأوجه المتقدمة في الكاف تقدمت قريباً.

(٤) عجز بيت من بحر الطويل، قاله عمرو بن براقة الهمداني، وصدره: ونحصر مولانا ونعلم أنّه.

(٥) في الأصل: نعيد. (٦) الكشاف ٣/ ٢٢.

(٧) في ب: الموصوف. وهو تحريف. (٨) الأوجه المتقدمة في الكاف تقدمت قريباً.

(٩) التبيان ٢/ ٩٢٩.

وأما تنكير «خَلقٍ» فلدلالته على التفصيل، قال الزمخشري: فإن قُلْتَ: ما بال «خَلْق» منكراً. قُلْتُ: هو كقولك: أول رجل جاءني، تريد أول الرجال، ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى أول خلق بمعنى أول الخلائق، لأنَّ الخلق مصدر لا يجمع[١].

قوله: «وَعْداً» منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة، فناصبه مضمر، أي: وعدنا ذلك وعداً[٢].

فصل[٣]

اختلفوا في كيفية الإعادة فقيل: إن الله يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها ثم إنه يعيد تركيبها فذلك هو الإعادة.

وقيل: إنه تعالى يعدمها بالكلية، ثم إنه يوجدها بعينها مرة أخرى، وهذه الآية دالة على هذا الوجه؛ لأنه تعالى شبه الإعادة بالابتداء، والابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم، فوجب أنْ تكون الإعادة كذلك[٤].

واحتج الأولون بقوله تعالى: «والسَّمٰواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِيْنِهِ»[٥] فدلّ هذا على أنّ السموات حال كونها[٦] مطويات تكون موجودة. وبقوله تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ»[٧] وهذا يدلّ على أنَّ الأرض باقية لكنها جعلت غير الأرض.

فصل

قال المفسرون: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلاً[٨] كذلك نعيدهم يوم القيامة «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»[٩]. روى ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» ثم قرأ[١٠] «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيْدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِيْنَ»[١١]. يعني الإعادة والبعث. وقيل: المراد حقاً علينا بسبب الإخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه وأن وقوع ما علم الله وقوعه واجب[١٢].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢.
(٢) انظر التبيان ٢/ ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٤.
(٣) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٩.
(٤) في ب: لذلك. وهو تحريف.
(٥) [الزمر: ٦٧].
(٦) في ب: لكونها. وهو تحريف.
(٧) من قوله تعالى: ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**﴾ [إبراهيم ٤٨].
(٨) أي قلفاً، والغرل جمع الأغرل. اللسان (غرل).
(٩) [الأنعام: ٩٤].
(١٠) في ب: قرىء. وهو تحريف.
(١١) أخرجه مسلم (جنة) ٤/ ١٢٩٤ ـ ٢١٩٥، الترمذي (قيامة) ٤/ ٦١٥ ـ ٦١٦ (تفسير) ٥/ ٣٢٢، النسائي (جنائز) ٤/ ١١٤ ـ ١١٧، الدارمي (رقاق) ٢/ ٣٢٦ أحمد ١/ ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٥٣.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٢٩.

ثم حقق ذلك بقوله «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ» قرأ حمزة بضم الزاي، والباقون بفتحها[١] بمعنى المزبور[٢] كالمحلوب والمركوب[٣]، يقال: زبرت الكتاب أي: كتبته[٤]. والزُّبور بضم الزاي جمع زِبْرة كقِشرة وقُشور[٥]. ومعنى القراءتين واحد، لأنّ الزبور هو الكتاب.

قال سعيد بن[٦] جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل: «الزّبُور» جميع الكتب المنزلة، و «الذِّكْر» أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس والضحاك: الزبور: التوراة، والذكر: الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال قتادة والشعبي: الزبور والذكر: التوراة. وقيل: الزبور: زبور داود، والذكر[٧]: القرآن، و «بَعْدِ» بمعنى قبل[٨] كقوله: «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلكٌ يَأْخُذُ»[٩] أي[١٠]: أمامهم.

---

(١) السبعة (٤٣١)، الكشف ٢/ ٤٠٢، النشر ٢/ ٢٥٣، الإتحاف (٣١٢).

(٢) في الأصل: المصدور. وفي ب: الزبور. وهو تحريف.

(٣) في الأصل: والمقبوض المركوب.

(٤) اللسان (زبر).

(٥) على ترك الاعتداد بالتاء، وذلك لأن فعول ـ بضم الفاء والعين ـ من أمثلة جمع الكثرة ويطرد في خمسة أوزان:

الأول: ما كان على فَعِل ـ بفتح الفاء وكسر العين ـ نحو كيد وكيود، ونمر ونمور.

الثاني: ما كان اسماً على فعل ـ بفتح الفاء وسكون العين ـ وليست عينه واواً نحو كعب وكعوب.

الثالث: ما كان اسماً على فعل ـ بكسر الفاء وسكون العين ـ نحو حمل وحمول.

الرابع: ما كان اسماً على فعل ـ بضم الفاء وسكون العين ـ وليست عينة واواً، ولا لامه ياء ولا مضعفاً نحو جند وجنود.

الخامس: ما كان على فعل ـ بفتح الفاء والعين ـ اسماً غير مضعف نحو أسد وأسود، وشجن وشجون.

انظر شرح الأشموني ٤/ ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٦) في النسختين: شعبة. من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/ ٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٧) في ب: الذكر.

(٨) قال أبو حاتم: وقالوا: قبل وبعد من الأضداد، وقال في قوله عز وجل **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾** أي: قبل ذلك. قال الأزهري: والذي قاله أبو حاتم عمن قاله خطأ قبل وبعد كل واحد منهما نقيض صاحبه، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر، وهو كلام فاسد، وأما قول الله عز وجل **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾**، فإن السائل يسأل عنه فيقول: كيف قال بعد ذلك والأرض أنشأ خلقها قبل السماء، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾** [فصلت: ٩] فلما فرغ من ذكر الأرض وما خلق فيها قال: **﴿ثم استوى إلى السماء﴾** [فصلت: ١١]. وثم لا يكون إلا بعد الأول الذي ذكره قبله، ولم يختلف المفسرون أن خلق الأرض سبق خلق السماء، والجواب فيما سأل عنه السائل أنّ الدَّحو غير الخلق، وإنما هو البسط، والخلق هو الإنشاء الأول فالله عز وجل خلق الأرض أولاً غير مدحوة ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض أي بسطها. انظر اللسان (بعد).

(٩) يأخذ: سقط من الأصل. [الكهف: ٧٩].

(١٠) أي: سقط من ب.

«وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»(١) أي: قبله(٢). وقيل: الزبور: زبور داود، والذكر هو ما روي أنه ـ عليه السلام(٣) ـ قال «كان الله ولم يكن معه شيء ثم خلق الذكر»(٤). قوله: «مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» يجوز أن يتعلق بـ «كَتَبْنَا»(٥)، ويجوز أن يتعلق بنفس «الزَّبُور» لأنه بمعنى المزبور، أي: المكتوب، أي: المزبور من بعد(٦). ومفعول «كَتَبْنَا» «أنَّ» وما في حيزها، أي: كتبنا وراثة الصالحين للأرض، أي: حكمنا به(٧) قوله: «أَنَّ الأَرْضَ» يعني(٨) أرض الجنة «يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» قال مجاهد: يعني أمة محمد ـ ﷺ ـ ويدل عليه قوله تعالى: «وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ»(٩). وقال ابن عباس: أراد أراضي الكفار يفتحها المسلمون، وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين.

وقيل: أراد(١٠) الأرض المقدسة(١١) يرثها الصالحون لقوله تعالى: «وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبهَا التي بَارَكْنَا فِيْهَا»(١٢)

«إِنَّ فِي هَذَا» أي(١٣): في هذا القرآن يعني ما فيه من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة «لَبَلاَغاً» وصولاً إلى البغية، فمن اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب. وقيل: «لَبَلاَغاً» أي: كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر. «لِقَوْم عَابِدِينَ» أي: مؤمنين. وقال ابن عباس: عالمين. وقال(١٤) كعب الأحبار: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان(١٥).

وقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً» يجوز أن ينتصب «رَحْمَةً» مفعولاً له، أي: لأجل الرحمة. ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في(١٦) أن جعله نفس الرحمة، وإما على حذف مضاف أي: ذا رحمة، أو بمعنى راحم(١٧). وفي الحديث: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»(١٨).

قوله: «لِلْعَالَمِينَ» يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ «رَحْمَةً» أي: كائنة

---

(١) [النازعات: ٣٠].
(٢) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٥٤١ ـ ٥٤٢.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢/٢٢٩.
(٥) في ب: لكتبنا. وهو تحريف. التبيان ٢/٩٢٩.
(٦) انظر التبيان ٢/٩٢٩.
(٧) به: سقط من ب.
(٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/٥٤٢ ـ ٥٤٣.
(٩) [الزمر: ٧٤].
(١٠) أراد: سقط من ب.
(١١) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٥٤٢ ـ ٥٤٣.
(١٢) [الأعراف: ١٣٧].
(١٣) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٥/٥٤٣ ـ ٥٤٤.
(١٤) في الأصل: قال.
(١٥) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٥/٥٤٣ ـ ٥٤٤.
(١٦) في ب: و. وهو تحريف.
(١٧) انظر التبيان ٢/٩٢٩.
(١٨) أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة. الدر المنثور ٤/٣٤٢.

للعالمين. ويجوز أن يتعلق بـ «أَرْسَلْنَاكَ» عند مَنْ يرى تعلق ما بعد إلا بما قبلها جائز، أو بمحذوف عند مَنْ لا يرى ذلك(١). هذا إذا لم يفرغ الفعل لما بعدها أما إذا فرغ فيجوز نحو: ما مررت إلا بزيد، كذا قاله أبو حيَّان هنا(٢). وفيه نظر من حيث إن هذا أيضاً مفرغ، لأنّ المفرغ عبارة عما افتقر ما بعد إلا لما قبلها على جهة المعمولية له.

فصل

قال ابن عباس: قوله: «رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ» عام في حق من آمن ومن لم يؤمن(٣). اعلم أنه(٤) ـ عليه السلام(٥) ـ كان رحمة في الدين والدنيا، أما في الدين فلأنه ـ عليه السلام ـ بعث والناس في جاهلية وضلال، وأهل الكتابين(٦) كانوا في حيرة في أمر دينهم لطول مدّتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله(٧) محمداً حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام، وميز الحلال والحرام، فمن كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار، قال الله تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدى وشِفَاء» إلى قوله: «وَهُوَ عَلَيْهِم عَمًى»(٨). وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من الذل والقتل. فإن

---

(١) وذلك أنّ الاستثناء في حكم جملة مستأنفة، لأنك إذا قلت: جاء القوم إلا زيداً، فكأنك قلت: جاء القوم وما منهم زيد، فمقتضى هذا أن لا يعمل ما بعد (إلا) فيما قبلها، ولا ما قبلها فيما بعدها، فلا تقدم معمول تاليها عليها، فلا يقال: ما زيد إلا أنا ضارب، وقال الرماني: لا يقال: ما قومك زيداً إلا ضاربون، لأن تقدم الاسم الواقع بعد (إلا) عليها غير جائز فكذلك معموله لما تقرر من أن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل. ولا يؤخر معمول ما قبلها عنها فلا يقال: ما ضرب إلا زيد عمراً، وما ضرب إلا زيداً عمرو، وما مر إلا زيد بعمر، إلا على إضمار عامل يفسره ما قبله. ويستثنى من هذا المستثنى منه وصفته فيجوز تأخيرهما نحو ما قام إلا زيداً أحد، وما مررت بأحد إلا زيداً خير من عمرو.
وأجاز الكسائي تأخير المعمول مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً، واستدل بقوله: فما زادني إلا غراماً كلامها. وقوله: وما كف إلا ماجد ضرب بأس وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر**﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤] ووافقه ابن الأنباري في المرفوع. ووافقه الأخفش في الظرف المجرور والحال نحو ما جلس إلا زيد عندك، وما مر إلا عمرو بك، وما جاء إلا زيد راكباً.
قال أبو حيان وهو المختار. لأنه يتسامح في المذكورات ما لا يتسامح في غيرها. الهمع ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٢) حيث قال أبو حيان: (ولا يجوز على المشهور أن يتعلق الجار بعد إلا بالفعل قبلها إلا إذا كان العامل مفرغاً له نحو ما مررت إلا بزيد) البحر المحيط ٦/ ٣٤٤.
(٣) انظر البغوي ٥/ ٥٤٤.
(٤) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في الأصل: الكتاب.
(٧) لفظ الجلالة: سقط من الأصل.
(٨) من قوله تعالى: ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**﴾ [فصلت: ٤٤]

قيل: كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة المال؟ فالجواب من وجوه:

الأول: إنما جاء بالسيف لمن أنكر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر، ومن أوصاف الله الرحمن الرحيم، وهو منتقم من العصاة. وقال: «وَنزَّلْنَا(١) مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً»(٢) ثم قد يكون سبباً للفساد.

الثاني: أنّ كل نبي من الأنبياء قبله إذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق، وأنه تعالى أخر عذاب من كذب رسولنا إلى الموت أو إلى القيامة قال الله(٣) تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيْهِم»(٤) ولا يقال: أليس أنه قال: «قَاتِلُوهُمْ يعَذِّبْهُمُ اللَّه بَأَيْدِيكُمْ»(٥). وقال: «لِيُعَذبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ»(٦) لأنا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه.

الثالث: أنه ـ عليه السلام(٧) ـ كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم»(٨) وقيل له ـ عليه السلام(٩) ـ: ادع على المشركين. فقال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»، وقال في رواية حذيفة: «إنَّما أَنَا بَشَرٌ(١٠) أغضب كما يغضب البشر، فأيما رجل سببته أو لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة إلى يوم القيامة»(١١).

الرابع: قال عبد الرحمن بن زيد(١٢): «إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ» يعني المؤمنين خاصة(١٣).

فصل(١٤)

قالت المعتزلة: لو كان تعالى أراد من الكافر الكفر ولم يرد منه القبول من الرسول، بل ما أراد منهم إلا الرد عليه، وخلق ذلك فيهم، ولم يخلقهم إلا لذلك كما يقول أهل

---

(١) في النسختين: وأنزلنا. وهو تحريف.

(٢) من قوله تعالى: ﴿ونزلنا من السَّماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحبَّ الحصيد﴾ [ق: ٩].

(٣) لفظ الجلالة: سقط من ب.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣].

(٥) من قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة: ١٤].

(٦) في النسختين: ليعذب المنافقين. وهو تحريف. وهو من قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [الأحزاب: ٧٣].

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) [القلم: ٤].

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) في الأصل: رجل.

(١١) أخرجه أحمد ٣/٤٩٣.

(١٢) تقدم.

(١٣) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(١٤) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣١.

السنة لوجب أن يكون إرساله نقمة[١] وعذاباً عليهم لا رحمة، وهو خلاف هذا النص، ولا يقال: إن رسالته رحمة للكفار من حيث لم يعجل عذابهم في الدنيا كما عجل عذاب سائر الأمم، لأنا[٢] نقول: إنّ كونه رحمة للجميع على حد واحد، وما ذكرتموه في الكفار فهو حاصل للمؤمنين، وأيضاً فإن الذي ذكروه من نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار قبل بعثته ـ عليه السلام[٣] ـ لحصولها بعده، بل كانت نعمهم في الدنيا قبل بعثته كحصولها بعده وأعظم، لأن في بعثته نزل بهم الغم والخوف، ثم أمر الجهاد الذي فيه أكبر همّ، فلا يجوز أن يكون هذا هو المراد.

والجواب أنْ نقول لما علم الله أن أبا لهب[٤] لم يؤمن ألبتة، وأخبر عنه أنه لا يؤمن كان أمره بالإيمان أمراً يقلب علمه جهلاً وخبره الصدق كذباً، وذلك محال، فكان قد أمره بالمحال، وإن كانت البعثة مع هذا القول رحمة، فلم لا يجوز أن يقال البعثة رحمة مع أنه خلق الكفر في الكافر؟ ولأنّ قدرة الكافر إن لم تصلح إلا للكفر فقط فالسؤال عليهم لازم، وإن كانت صالحة للضدين توقف الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى قطعاً للتسلسل. وحينئذ يعود الإلزام، ثم نقول: لم لا يجوز أن يكون رحمة للكفار تأخير عذاب الاستئصال عنهم؟ وقولهم أولاً: لما كان رحمة للجميع على حد واحد وجب أن يكون رحمة للكفار من الوجه الذي كان رحمة للمؤمنين.

فالجواب: ليس في الآية أنه ـ عليه السلام[٥] ـ رحمة للكل باعتبار واحد أو باعتبارين مختلفين، فدعواكم بكون الوجه واحداً تحكم. وقولهم نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار من قبل. فالجواب: نعم، ولكنه ـ عليه السلام[٦] ـ لكونه رحمة للمؤمنين لما بُعِثَ حصل الخوف للكفار من نزول العذاب، فلما اندفع ذلك عنهم بسبب حضوره كان ذلك رحمة في حق الكفار.

فصل[٧]

تمسكوا بهذه الآية في أنه أفضل من الملائكة، لأنّ الملائكة من العالمين، فوجب أن يكون أفضل منهم. وأجيب بأنه معارض بقوله تعالى في حق الملائكة «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذينَ آمَنُوا»[٨] وذلك رحمة منهم في حق المؤمنين، والرسول ـ عليه السلام[٩] ـ داخل

---

(١) في ب: نعمة. وهو تحريف.
(٢) في ب: لأن. وهو تحريف.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في الأصل: جهل.
(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٧) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٨) من قوله تعالى: ﴿**الَّذين يحملون العرش ومن حوله يسبِّحون بحمد ربِّهم ويؤمنون به ويستغفرون للَّذين آمنوا**﴾ [غافر: ٧].
(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

في المؤمنين، وكذا قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي»(١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)﴾

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية.

لما أورد على الكافر الحجج في أن لا إلٰه سواه، وبين أنه أرسل رسوله رحمة للعالمين أتبع ذلك بما يكون إنذاراً(٢) في مجاهدتهم والإقدام عليهم فقال: «قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ»(٣) قوله: «أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ» (أنَّ) وما في حيزها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل إذ التقدير: إنما يوحي إليّ وحدانية إلهكم(٤). وقال الزمخشري: «إنّما» لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنّما زيد قائم، وإنَّما يقوم زيد، وقد اجتمع المثلان في هذه الآية، لأنّ «أَنَّمَا يُوحَى إليَّ» مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد، و «أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهُ وَاحِدٌ» بمنزلة إنَّما زيد قائم، وفائدة اجتماعهما الدلالة على أنَّ الوحي لرسول الله ـ ﷺ ـ مقصور على استئثار الله بالوحدانية(٥).

قال أبو حيَّان: أما ما ذكره في «إنَّما» أنها لقصر ما ذكر فهو مبني على أن «إنّما» للحصر، وقد قررنا(٦) أنها لا تكون للحصر، وأنّ «مَا» مع «إنَّ» كهي مع «كأن» ومع «لَعَلّ»، فكما أنها لا تفيد الحصر في التشبيه، ولا الحصر في الترجي، فكذلك(٧) لا تفيده مع «إنَّ»، وأما جعله «أنَّما» المفتوحة الهمزة مثل المكسورتها يدل على القصر فلا نعلم الخلاف إلا في «إنَّما» بالكسر، وأما «أَنَّما» بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر، فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة، ولو كانت «أنَّمَا» دالة على الحصر لزم أن يقال: أنه لم يوح إليَّ شيء إلا التوحيد، وذلك لا يصح الحصر فيه، إذ قد أوحي إليه أشياء غير التوحيد(٨). قال شهاب الدين: الحصر بحسب كل مقام على ما يناسبه، فقد يكون هذا المقام يقتضي الحصر في إيحاء الوحدانية لشيء جرى من إنكار الكفار وحدانيته تعالى، وأنَّ الله لم يوح إليه شيئاً، وهذا كما أجاب الناس عن هذا الإشكال

---

(١) من قوله تعالى: **﴿إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النَّبي يا أيُّها الَّذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً﴾** [الأحزاب: ٥٦].

(٢) في ب: إنذار.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٢.

(٤) انظر التبيان ٢/ ٩٢٩.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٢٣.

(٦) في ب: قرر.

(٧) في ب: كذلك.

(٨) البحر المحيط ٦/ ٣٤٤.

الذي ذكره الشيخ في قوله: «إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ»[١] «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»[٢] «أَنَّما الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ»[٣] إلى غير ذلك[٤] و «مَا» من قوله: «إِنَّما يُوحَى» يجوز فيها وجهان:

أحدهما: أنْ تكون كافة. وقد تقدم.

والثاني: أنْ تكون موصولة[٥] كهي في قوله: «إِنَّمَا صَنَعُوا»[٦]، ويكون الخبر هو الجملة من قوله «أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» تقديره: أنّ الذي يوحى إليّ هو هذا الحكم. قوله: «فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ» استفهام معناه الأمر بمعنى: أسلموا، كقوله: «فَهَلْ أَنتُمْ مُنتَهُونَ»[٧] أي: انتهوا. قوله: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ» آذَنْتُكُمْ أعلمتكم، فالهمزة فيه للنقل، قال الزمخشري: آذن منقول[٨] من أذن: إذا علم[٩]، لكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار[١٠]، ومنه قوله: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ»[١١] وقول ابن حلزة:

٣٧٤٢ ـ آذَنَـتْـنَـا بِـبَـيْـنِـهَـا أَسْـمَـاءُ[١٢]

وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة[١٣].

قوله: «عَلَى سَوَاءٍ» في محل نصب على الحال من الفاعل والمفعول معاً، أي:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿ويقول الَّذين كفروا لولا أنزل عله آيةٌ من ربِّه إنَّما أنت منذرٌ ولكلِّ قوم هادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿إنَّما أنت منذر من يخشاها﴾ [النازعات: ٤٥].
(٢) من قوله تعالى: ﴿إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].
(٣) من قوله تعالى: ﴿اعلموا أنَّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: ٢٠].
(٤) الدر المصون: ٥/ ٦١.
(٥) البحر المحيط ٦/ ٣٤٤.
(٦) من قوله تعالى: ﴿وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنَّما صنعوا كيد ساحرٍ ولا يفلح السَّاحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٩].
(٧) من قوله تعالى: ﴿إنَّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩١].
(٨) في ب: مفعول. وهو تحريف.
(٩) أذن بالشيء إذناً وأذناً وأذانة: علم، وآذنه الأمر وآذنه به: أعلمه، وآذنتك بالشيء أعلمتكه، وآذنته: أعلمته. قال الله عز وجل ﴿فقل آذنتكم على سواءٍ﴾ اللسان (أذن).
(١٠) قال أبو عبيدة: («وآذنتك على سواء» إذا أنذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر فقد آذنته على سواء) مجاز القرآن ٢/ ٤٣.
(١١) من قوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من عند الله ورسوله﴾ [البقرة: ٢٧٩].
(١٢) صدر بيت من بحر الخفيف قاله الحارث بن حلزة اليشكري وعجزه:
رُبَّ ثـاوٍ يـمـلُّ مـنـه الـثَّـواء
وهو مطلع معلقته. وقد تقدم.
(١٣) عند قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله﴾ [البقرة: ٢٧٩]. انظر اللباب ٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

مستوين في العلم بما أعلمتكم به لم نطوه على أحد منهم[١].

فصل[٢]

قال أبو مسلم: الإنذار على السواء الدعاء على الحرب مجاهرة كقوله: «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»[٣] وفائدة ذلك أنه كان يجوز أن يقدر من أشرك أنّ حالهم مخالف لسائر حال الكفار في المجاهرة، فعرفهم بذلك أنهم كالكفار في ذلك[٤]. وقيل: المعنى: فقد أعلمتكم ما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره على سواء في الإبلاغ والبيان، لأني بعثت معلماً، والغرض منه إزاحة العذر لئلا يقولوا «رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُوْلاً»[٥] وقيل: (ليستوي في الإيمان)[٦]. وقيل: «آذَنْتُكُم عَلَى سَوَاءٍ» أي: على مهل أي: لا أعاجل بالحرب الذي آذنتكم، بل أمهل وأؤخر رجاء إسلامكم.

قوله: «وَإِنْ أَدْرِي» العامة على إرسال الياء ساكنة، إذ لا موجب لغير ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قرأ «وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيْبٌ» «وَإِنْ أَدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ» بفتح الياءين[٧]، وخرجت على التشبيه بياء الإضافة على أن ابن مجاهد أنكر هذه القراءة البتة[٨]. وقال ابن جنيّ:

---

(١) وذلك أنّ الحال وصف هيئة الفاعل أو المفعول، وذلك نحو جاء زيد ضاحكاً. فتكون بياناً لهيئة الفاعل الذي هو زيد. ونحو ضربت عبد الله باكياً، فتكون بياناً لهيئة المفعول الذي هو عبد الله. وقد تكون الحال منهما معاً، فإن كانتا متفرقتين نحو قائم وقائم فأنت مخير إن شئت فرقت بينهما، فقلت: ضربت زيداً قائماً قائماً، تجعل أحدهما للفاعل والآخر للمفعول. وإن شئت جمعت بينهما فقلت: ضربت زيداً قائمين، لأنَّ الاشتراك قد وقع في الحال والعامل واحد، وصار كأنك قلت: ضربت قائماً زيداً قائماً، واستغنيت بالتثنية عن التفريق، ومن ذلك قول عنترة:

متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا

وكالآية التي معنا فقوله: «على سواء» حال من الفاعل والمفعول معاً في «آذَنْتُكُمْ» وهما: التاء والكاف والميم. وقد جوز مكي وابن الأنباري وجهاً آخر وهو أن يكون قوله: «عَلَى سَوَاء» منصوباً لأنه صفة لمصدر محذوف، وتقديره: آذنتكم إيذاناً على سواء. مشكل إعراب القرآن ٢/٨٨، البيان ٢/١٦٦ ـ ١٦٧، التبيان ٢/٩٣٠، شرح المفصل ٢/٥٥ ـ ٥٦.

(٢) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٣) من قوله تعالى: **﴿وإمَّا تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنَّ الله لا يحب الخائنين﴾** [الأنفال: ٥٨].

(٤) في ب: زيادة بعد قوله في ذلك: أي: أعلمتكم وأن لا صلح بيننا على سواء أي: إنذاراً بيناً ليتأهبوا لما يراد بكم، أي: آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به.

(٥) من قوله تعالى: **﴿ولو أنَّا أهلكناهم بعذابٍ من قبله لقالوا ربَّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتَّبع آياتك من قبل أن نذلَّ ونخزى﴾** [طه: ١٣٤].

(٦) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٧) في المحتسب (٢/٦٨): روى أيوب عن يحيى عن ابن عامر أنه قرأ «وإن أدريَ لعلَّه»، «وإن أدريَ أقريب» بفتح الياء فيهما جميعاً.

(٨) انظر المحتسب ٢/٦٨ ـ ٦٩.

هو غلط، لأن «أن» نافية لا عمل لها[١]. ونقل أبو البقاء عن غيره أنه قال في تخريجها: أنه ألقي[٢] حركة الهمزة على الياء فتحركت، وبقيت الهمزة ساكنة، فأبدلت ألفاً[٣] لانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت همزة متحركة، لأنها في حكم المبتدأ بها، والابتداء بالساكن محال[٤]. وهذا تخريج متكلف لا حاجة إليه، ونسبة راويها عن ابن عباس إلى الغلط أولى من هذا التكلف فإنها قراءة شاذة، وهذا التخريج وإن وقع[٥] في الأولى فلا يجري في الثانية شيئاً. وسيأتي قريب من ادعاء قلب الهمزة ألفاً ثم قلب الألف همزة في قوله: «مِنسأَتَهُ»[٦] ـ إن شاء الله تعالى ـ، وبذلك يسهل الخطب في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب بـ «أَدْرِي»، لأنها معلقة لها عن العمل، وأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة، ولو وسط لكان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد، ولكنه أخر مراعاة لرؤوس الآي[٧]. و «مَا تُوعَدُونَ» يجوز أن يكون مبتدأ وما قبله خبر عنه ومعطوف عليه، وجوّز أبو البقاء فيه أن يرتفع فاعلاً بـ «قَرِيبٌ» قال: لأنه اعتمد على الهمزة. قال: ويخرج على قول البصريين أن يرتفع بـ «بَعِيدٌ» لأنه أقرب إليه[٨]. يعني أنه يجوز أن تكون المسألة من التنازع فإن كُلاً من الوصفين يصح تسلطه على «مَا تُوعَدُونَ» من حيث المعنى.

فصل

المعنى[٩]: وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، يعني: القيامة أو من عذاب الدنيا. وقيل: الذي آذنهم به من الحرب لا يعلم هو قريب أم بعيد لئلا يقدر أن يتأخر، وذلك أنَّ السورة مكية، وكان الأمر بالجهاد بعد الهجرة. وقيل: ما يوعدون من غلبة المسلمين عليهم[١٠].

قوله: «إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ» والمقصود منه الأمر بالإخلاص وترك النفاق. و«من القول» حال من الجهر[١١]. قوله: «لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ» الظاهر أن هذه الجملة

---

(١) لم أجد ما قاله ابن جني فيما رجعت إليه من كتبه، وهو في التبيان ٢/ ٩٢٠.

(٢) في ب: التي. وهو تحريف.

(٣) ألفاً: سقط من الأصل.

(٤) التبيان ٢/ ٩٣٠.

(٥) في الأصل: يقع.

(٦) من قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاَّ دابة الأرض تأكل منسأته﴾ [سبأ: ١٤]. حيث قرأ نافع وأبو عمرو «منساته» بألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه سكن الهمزة. السبعة (٥٢٧)، الكشف ٢/ ٢٠٣.

(٧) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٤.

(٨) التبيان ٢/ ٩٣٠.

(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٣. بتصرف.

(١٠) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٣. بتصرف.

(١١) انظر التبيان ٢/ ٩٣٠.

متعلقة بـ «أَدْرِي» والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في ذلك، إلا أنّ النحويين لم يعدوا من المعلقات (لَعَلّ)[١] وهي ظاهرة في ذلك كهذه الآية، وكقوله: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكى»[٢] «وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيْبٌ»[٣][٤].

فصل

المعنى[٥]: وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم، أو لعل إبهام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فتنة لكم أي: بلية واختبار لكم ليرى صنيعكم، وهل يتوبوا عن الكفر أم لا وقيل: لعل ما أنتم فيه من الدنيا بلية لكم، والفتنة البلوى والاختبار[٦].

وقيل: لعل تأخير الجهاد فتنة لكم إذا أنتم دمتم على كفركم. وقيل: لعل ما بينت لكم فتنة لكم (لأنه زيادة في عذابهم إن لم يتوبوا)[٧] «وَمتَاعٌ إِلَى حِيْن» أي: يتمتعون إلى انقضاء آجالهم.

قوله: «قُلْ رَبِّ احكُمْ» قرأ حفص عن عاصم «قَالَ رَبِّ» خبراً عن الرسول ـ عليه السلام[٨] ـ والباقون: «قُلْ» على الأمر[٩]. وقرأ العامة بكسر الباء اجتزاءً بالكسرة عن ياء الإضافة وهي الفصحى[١٠]. وقرأ أبو جعفر بضم الباء[١١]، فقال صاحب اللوامح: إنه منادى

---

(١) عدَّ أبو علي الفارسي (لعل) من المعلقات نحو ﴿**وما يدريك لعلّه يزَّكى**﴾ [عبس: ٣] ﴿**وما يدريك لعلَّ السَّاعة قريبٌ**﴾ [الشورى: ١٧] ووافقه أبو حيان، لأنه مثل الاستفهام في أنه غير خبر، وأنَّ ما بعده منقطع مما قبله ولا يعمل فيه. الهمع ١/ ١٥٤.

(٢) [عبس: ٣].

(٣) [الشورى: ١٧].

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٥.

(٥) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٣. بتصرف يسير.

(٦) في ب: والامتياز. وهو تحريف.

(٧) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٣. بتصرف.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) السبعة ٤٣١ ـ ٤٣٢، الكشف ٢/ ١١٥، النشر ٢/ ٣٢٥، الإتحاف ٣١٢.

(١٠) المضاف إلى ياء المتكلم الصحيح الآخر حال ندائه يجوز فيه لغات الأفصح والأكثر من هذه اللغات حذف الياء، والاكتفاء بالكسرة كما هنا ثم ثبوتها ساكنة نحو ﴿**يا عبادي لا خوف عليكم**﴾ [الزخرف: ٦٨]، ثم ثبوتها مفتوحة نحو ﴿**يا عباديَ الّذين أسرفوا**﴾ [الزمر: ٥٣]، ثم قلب الكسرة فتحة والياء ألفاً نحو ﴿**يا حسرتا**﴾ [الزمر: ٥٦] ثم حذف الألف والاجتزاء بالفتحة فأجازها الأخفش والمازني والفارسي كقوله:

ولست براجعٍ ما فات منّي ... بلهف ولا بليت ولا لو أنّي

أصله: بقولي يا لهفا. ونقل عن الأكثرين المنع. وذكروا أيضاً لغة سادسة، وهي الاكتفاء عن الإضافة بنيتها، وجعل الاسم مضموماً كالمنادى المفرد، حكى يونس عن بعض العرب يا أم لا تفعلي، وبعض العرب يقولون: يا ربِّ اغفر لي، ويا قوم لا تفعلوا. شرح الأشموني ٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

(١١) المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٦٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٥، الإتحاف ٣١٢.

مفرد، ثم قال: وحذف حرف النداء فيما يكون وصفاً لـ (أيّ) بعيد بابه الشعر[١]. قال شهاب الدين: وليس هذا من المنادى المفرد، بل نصّ بعضهم على أن هذه بعض اللغات الجائزة في المضاف إلى ياء المتكلم حال ندائه[٢]. وقرأ العامة «احْكُمْ» على صورة الأمر.

وقرأ ابن عباس وعكرمة وابن يعمر «رَبِّي» بسكون الياء «أَحْكَمُ» أفعل تفضيل، فهما مبتدأ وخبر[٣]. وقرىء «أَحْكَمَ» بفتح الميم كأكرم على أنه فعل ماض في محل خبر أيضاً لـ «رَبِّي»[٤] وقرأ العامة «تَصِفُونَ» بالخطاب[٥].

وقرأ رسول الله ﷺ على أبيّ ـ رضي الله عنه ـ «يَصفُون» بالياء من تحت وهي مروية أيضاً عن عاصم وابن عامر[٢]، والغيبة والخطاب واضحان.

فصل

المعنى: رب اقض بيني وبين قومي بالحق أي: بالعذاب، والحق ههنا العذاب، نظيره: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ»[٦] فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر[٧]. وقال أهل المعاني: رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه[٨]. والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب: ظهور الرغبة من الطالب للحق[٩]. وقيل: المعنى: افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع، وهو أن تنصرني عليهم[١٠]. «وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» من الكذب والباطل. وقيل: كانوا يطمعون أن يكون لهم الشوكة والغلبة، فكذب الله ظنونهم، وخيب آمالهم، ونصر رسوله والمؤمنين[١١].

فصل

روي عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»[١٢].

تمَّ الجزء الثَّالث عشر، ويليه الجزء الرَّابع عشر

وأوّله: تفسير سورة الحج

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٤٥.
(٢) الدر المصون: ٥/ ٦٢.
(٣) فيكون قوله «ربِّي» على هذه القراءة في موضع رفع. المختصر (٩٣)، المحتسب ٢/ ٧١، التبيان ٢/ ٩٣٠، البحر المحيط ٦/ ٣٤٥.
(٤) المختصر (٩٣)، البحر المحيط ٦/ ٣٤٥.
(٥) السبعة (٤٣٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٤٥.
(٦) من قوله تعالى: ﴿ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خيرُ الفاتحين﴾ [الأعراف: ٨٩].
(٧) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.
(٨) انظر القرطبي ١١/ ٣٥١.
(٩) انظر البغوي ٥/ ٥٤٥.
(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢/ ٢٣٤.
(١١) المرجع السابق.
(١٢) أخرجه ابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف، والثعلبي وابن مردويه من حديث أبيٍّ بن كعب. الكافي الشاف (١١٢).

فهرس المحتويات

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء